الفناء في حب أهل البيت عليهم السلام

رجال حول الإمام علي "ع"

الإمام الأكبر

السيد محسن الأمين العاملي

حققه واعتنى به

محسن عقيل

دار المحجة البيضاء





الفناء في حب أهل البيت عليهم السلام

رحلة حول الإمام علي (ع)


بسم الله الرحمن الرحيم

الفناء في حب أهل البيت عليهم السلام

رجال حول الإمام علي (ع)

الإمام الأكبر

السيد محسن الأمين العاملي

حققه واعتنى به

محسن عقيل

دار المحجة البيضاء



الطبعة الأولى

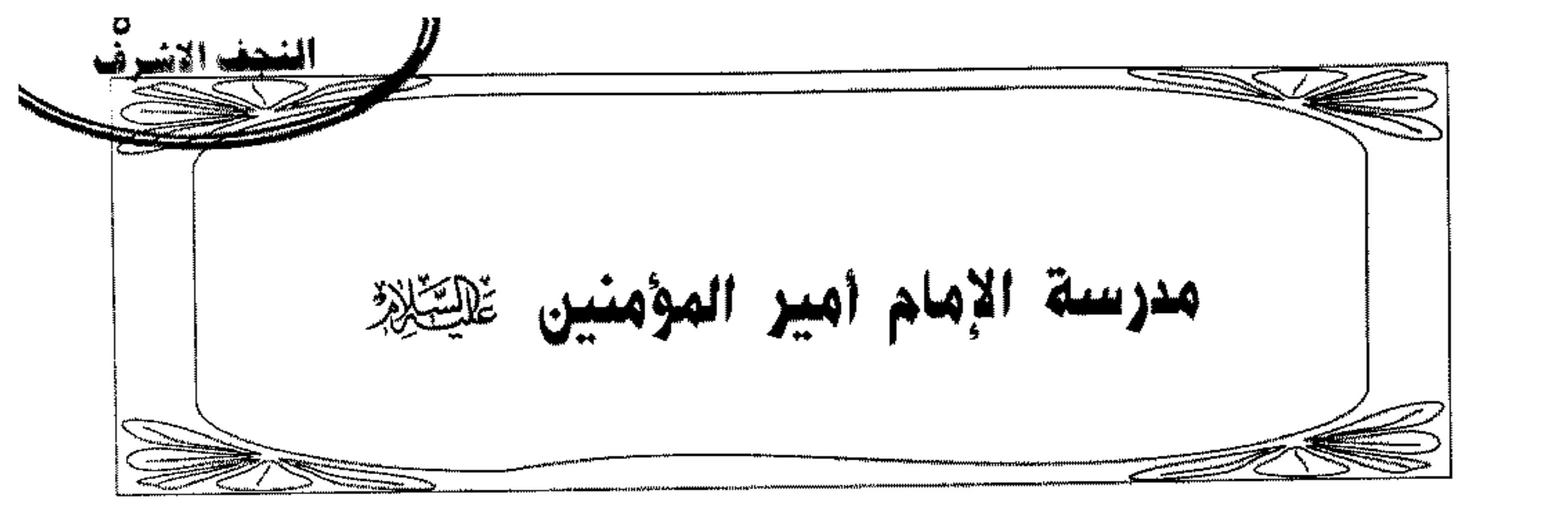
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com



مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

لم تكن مدرسة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ذات اتجاه وعلم وثقافة خاصة، كبقية المدارس والجامعات العالمية العلمية، وإنّما كانت جامعة وحاوية لكافة العلوم والمعارف والثقافات، في كافة المجالات والاتجاهات، والحقول المتجسدة في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام . . . ذلك العملاق الذي من أي باب قصدته وأتيته وجدته متفرداً فيه، وهو نسيج وحده في كل مضمار، فقد نبغ في تاريخ البشرية على امتداد التاريخ، نوابغ يمتازون عن سائر أهل زمانهم، وكانوا يتفاوتون في نبوغهم وصفاتهم التي ميّزتهم عمن سواهم، سنة الله تعالى في خلقه، وعلى كثرة النوابغ في الحياة لم تجتمع في واحد منهم جميع السمات، والقيم، والمثل الكاملة، كما لم تجتمع في واحد منهم محاسن الأضداد كما تجمعت في شخصية علي بن أبي طالب عليه السلام فكان نابغة الحياة والخليقة والإنسانية بحق، بعد أن تفرّد في صفاته الفاضلة، ومزاياه الرفيعة، ومثله العليا من غير إغراق وتعصب.

لذلك يعسر أو يمتنع على الإنسان مهما أوتي من قوة العلم، والفكر، وحول البيان، والفصاحة، ومهما أطال ومهما دقق أن يحيط بجميع ما فيها، وفي ذاته الفذة من سمو وتميز على سائر النوابغ. . . ومهما حاول الإنسان أن يحيط بجميع صفاته، فقد قعد به العجز، واستولى عليه البهر، وتحكم فيه الضعف.

اشتهر بكل فضيلة من غير استثناء، وعرف بكل منقبة بحيث لم تبق منقبة لم يشتهر بها، وأخيراً كان كما قال النظام: «علي بن أبي طالب، محنة على المتكلم: إن وفاه حقَّه غلا، وأن بخسه حقَّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، صعبة المرتقى، إلاَّ على الحاذق في الدين».

والواقع أننا لو درسنا الجانب العلمي والفكري، من حياته عليه السلام، ألفيناه العالِم، والمجتهد الربّاني المستجمع الذي يقول على ملإٍ من الناس وعلى أعواد المنابر: «**سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض**».

ومن ذا الذي يجرؤ من الناس أن يقول هذا الكلام في حشد من ألوف الخلق، وما يؤمّنه أن يسأله سائل عن مسألة لا يكون عنده جوابها فيخجله فيها.

أجل لا يجرؤ على هذا القول والكلام، إلاّ من كان واثقاً من نفسه، بأنّ لديه جواب كلِّ ما يُسأل عنه... ثم هل تنحصر المسألة في علم من العلوم، أو ناحية من النواحي، أو جانب من الجوانب، حتّى يجرؤ أحد على هذا القول، إذا لم يكن مؤيّداً بالتأييد الإلّهي، وواثقاً من نفسه كلّ الوثوق بأنّه لا يغيب عنه جواب مسألة مهما أشكلت ودقت، فإنّ هذا لمقام يقصر العقل عن الإحاطة به، ويُسأل وهو على المنبر عن مسافة ما بين المشرق والمغرب، فيجيب بأنّه مسيرة يوم للشمس... وهو جواب اقناعيّ مركز علمي، أحسن ما يجاب به في مثل المقام.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أن عليّاً عليه السلام، كان بحق الحبر الأعلم الربّاني، المؤيّد بالتأييد الإلّهي فحسب، لا يجاريه ولا يشاركه فيه أحد، مهما أوتي من مناعة علمية جامعة، وحيوية ثقافية كاملة.

ولم يحدثنا التأريخ قبل أمير المؤمنين عليه السلام، وبعده من عرض نفسه لمعضلات المسائل، وكراديس الأسئلة ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملإِ العلمي بقوله سلوني... إلاّ صنوه الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله فإنّه كان كذلك يكثر من قوله: سلوني عما شئتم. وقوله سلوني... سلوني... وقوله سلوني، ولا تسألوني عن شيءٍ إلاّ أنبأتكم به. فكما ورث أمير المؤمنين علمه صلى الله عليه وآله ورث مكرمته هذه وغيرها، وهما صنوان في المكارم والمناقب، والقيم كلّها.

والواقع أنّ شخصية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، خليقة بكلِّ تقديس وتعظيم وتكريم، وجديرة بالخضوع والخشوع والمحبة والإخلاص، والولاء والمودّة، لكونه أمة بمفرده، يمتاز بخلقه وأخلاقه، وعلومه، ومعارفه، وشجاعته، وحكمته، وبسالته، وصبره، ونضاله، وشهامته، وفتوّته، وإخلاصه، وسياسته، وعدله، وإحسانه، وعبادته، وزهده، وشفقته، وبرّه، وحسن تربيته، وسخائه، وجوده، وسماحه، وتواضعه، وحلمه، وصفحه، وفصاحته، وبلاغته،

وحكمه، وجهاده في سبيل الله، ودعواته، ومناجاته، وقراءته القرآن، واشتغاله به، وبأجوائه وآفاقه، وبجوانبه الخلقية، فقد كان في كافة هذه الخصائص والسجايا، الإمام المتبع فعله، والرئيس المقتفى أثره... ولم يعهد العالم وجود سجية واحدة منها عند واحد من الصحابة والتابعين على كثرتهم، غير ذات أمير المؤمنين عليه السلام... المستجمع لكافة السمات والسجايا.

ولو فرضنا أنّ الله سبحانه وتعالى، لم يكن يودع في وجوده أسرار الإمامة، وودائع الخلافة الإلّهية، ولم يعهد إليه مقاليد الحكومة الإسلامية، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة مباشرة... لكان أيضاً جديراً بالتقديس والتعظيم حيث منح للحياة - بخطبه، وكتبه، ورسائله، وكلماته - علماً جماً، وحكمة بالغة، وتبياناً زاخراً... بالإضالة إلى أن طلع على الدنيا بأبناء كانوا، الأئمة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحماة، وأهل الذكر، وأولي الأمر، وبقية الله، وخيرته، وحزبه، وعيبة علمه، وحجته، وصراطه، ونوره، وبرهانه... يملأون الحياة قسطاً وعدلاً، ويبثون وينشرون في أرجائها المترامية، وأجوائها البسيطة المديدة، وآفاقها البعيدة النائية، مثل النور، والشعاع، والجمال، والحق، والخير، والحنان، والإحسان.

هؤلاء السؤدد الكرام من ذريّة محمد صلى الله عليه وآله، وأبناء عليّ عليه السلام المنتجبين المصطفين الأخيار الذين وجدهم الله سبحانه أجدر نفر يتحملون من الله رسالة الإمامة، وأمانة الخلافة الإلهية... فيقوم كل واحد منهم برسالته فلما انقضت مدّته أودعها للّذي بعده، حسبما يريده الله تعالى، وكما يشاء الخالق... بعد أن صفّاهم واصطفاهم من خلقه، فساروا في معارج الأصلاب الشامخة، وتناقلوا في الأرحام الطاهرة المطهرة، لم تنجسهم الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، حتى انتهوا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أولئك النفر البيض الخيرة الذين أبدعهم الله تعالى لدينه ليكونوا قادة خير، وأئمة هداة، يعملون به ويدعون إليه، وينشرون مفاهيمه، ويبثون أضواءه، فلا تجد فضيلة من فضائل الحياة، ولا سجية من سجايا الطبيعة، ولا تكامل من القيم، والمثل في العقيدة، والمبدأ، والحمية، والنجدة، والفكر، والإصلاح،

والصلاح، والخير، إلاّ وكانوا مفاتيحها، وأبوابها، وأعلامها والأدلاء عليها... وما زالوا الركيزة، والدعامة الأساسية في التوجيه، والفطنة، وسلامة الضمير، وطهارة الذات والدوامة التي تعول عليها الدنيا، وقطب رحى الحق، والخير الذي يدفع الإنسان إلى مراقيه الجسام.

والواقع الذي لا غضاضة فيه، أنّ كل واحد من الأئمة الهداة، جامعة بذاته، ومدرسة فكريّة متكاملة بشخصه، فتحوا للبشريّة أبواب العلم ومناهل المعرفة، وسبل الحكمة والمعرفة، وعبّدوا لها طرق الخير والسداد، ومهيع الصراط المستقيم، فاتجهت نحوهم الإنسانية، وقصدتهم البشريّة، وتحولت نحوهم الطوائف والملل، وحضروا مجالسهم الفكرية، وارتشفوا من مناهلهم العلمية المتواصلة السرمدية التي لن تنضب إلى الأبد، وستبقى يانعة متدفعة وقويّة جديدة ما دامت الإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد أخذ وتعلم من أمير المؤمنين، ومن أولاده الأئمة الهداة عليهم الصلوات والسلام... الآلاف من الصحابة والتابعين، والجهابذة والأئمة من السلف خلال القرون الثلاثة الإسلامية الأولى، وفتحوا أبوابهم على مصراعيها لطلاب العلم، والحديث، والتشريع الإسلامي، رغم المضايقات السياسية الأموية، والعباسية، وتحكم أئمة الجور والفساد والبغي، واستيلائهم على الحواضر الإسلامية، وإقامة عروشهم الواهية على أكتاف آل محمد عليهم السلام، وأشلاء وجماجم المسلمين، فكانت أدوارهم وعهودهم، محكومة بالجور، والإرهاب، والإرهاص، والنفي، والتشريد، والقتل. وكان آل محمد صلوات الله عليهم يواجهون تلك المصاعب، ويلاقون تلكم الشدائد، بقلوب مطمئنة ومعتقدة بما وعد الله الصابرين. فبعين الله ما كابدت الأمة الإسلامية، وما أصيب آل محمد صلوات الله عليهم الذين هم بحق حملة العلم، وأمانة الإمامة، ومبلغو ودعاة رسالات الإسلام.

لقد شاهد أئمة الهداة، تلكم الظروف الراهنة، والحكم الرّعون في حياتهم، أو أخذ عنها من أبيه صورة واقعية بعد حدوثها، وتحدّث إليه عن تلك العهود المظلمة الظالمة المحاطة بالرقابة، والمحن القائمة على الإتهامات،

والتخرصات التي اختلقت ضدهم، من قبل خصوم آل محمد صلى الله عليه وآله وشيعتهم، وهم في الوقت نفسه يشاهدون بين آونة وأخرى مطاردة أبناء الشيعة، ونفي رجالات الأمة، وزجهم إلى السجون، وأخيراً مصارع واستشهاد عيون الطائفة من قبل ولاة أضاعوا الحق، والحقيقة، والنبأ العظيم، وظلموا العترة الطاهرة، والشيعة والأمة، واتبعوا الشهوات، ونفوسهم الأمارة بالسوء، وأعلنوا العداء والخصم لآل محمد صلى الله عليه وآله، ومن هنا يمكن القول بصراحة أنّ التحكم السياسي لعب دوراً فعالاً في سيطرته على نظام التأريخ الصحيح، ومسيره ومصيره، فانتزع حريّته في أداء أمانته، وهذا مما جعل التأريخ غير متمكن من أداء واجبه على الوجه الصحيح، لأنّه فقد حريته واستقلاله، والتوت به الأهواء والطرق، فأصبح يسجل بمداد غيره، ويعمل بغير يده، ويفعل بعمل المسيطرين الحاكمين عليه لا بفعله هو.

ومهما يكن من أمر، فالحديث ذو شجون وشجون... لأنّ العهود الزمنية التي عاشها الأئمة الهداة عهود إعياءٍ ومحنٍ وشدائد، ومصائب ونفي وتشريد، ولكن رغم كلِّ هذه البسابس والظلامات، والإرهاصات، فقد خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ثروة علمية، ومناعة فكرية، وحيوية ثقافية، وخرّجت الآلاف من الصحابة والتابعين، ورجالات العلم، والحديث، وأنجبت خيرة العلماء، والمفكرين، وصفوة الأدباء والشعراء، وجهابذة الفقهاء، والرواية، والدراية، والخطابة، والفصاحة، والنحو.

إنّ مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... كانت جامعة إسلامية ومصدراً خصباً للعلم، وينبوعاً مترعاً، ومنهلاً فياضاً يفيض على الأفكار والقلوب صنوف العلوم، والمعارف الإسلامية، وأغدقت على الحياة بحيويّتها الفكرية، ومناعتها العلمية، منذ عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وفي كافة العصور، فازدهر بها العلم، وأخصبت بها القيم والمثل والتعاليم الخالدة، وأينعت وأتت بخيراتها، فاتجهت الشعوب والأمم على انتهالها، وقطافها، والتمتع، والتفكه بها، على ما هم عليه من تباين جنسياتهم، واختلاف ألوانهم ومعتقداتهم، لأنّ العلم مشاع للجميع من دون استثناء وتمييز، ويحق لكل فرد الأخذ منه.

والواقع أنّ جامعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، الفكرية قد أنجبت خيرة الرجال، وصفوة العلماء، وجهابذة الفتوة، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، والأدب، والنحو، والبلاغة. . . فإذا كانت هناك حقيقة يجب أن تقال، فهي: إنّ الحضارة العلمية الإسلامية، والفكر العربي، مدينان لتلك المدرسة بالرقيّ والنموّ، والتطوّر، والخلود. . . ولعميدها وبانيها، وواضع لبنتها الأولى. . . الذي كان ولم يزل باب مدين علم الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله لأنّها كانت تحمل في منهجها، وبرامجها الاستقلال الروحيّ النبوي. . . والمجد العلميّ العلويّ. . . والتراث الفكريّ الحيدريّ. . . وما برحت عن ذلك المنهج الثمين الخالد على امتداد التأريخ.

تحليل في طبقات عماله

حكومة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام التي دامت قرابة خمس سنين جديرة بالبحث والدراسة من جهات متنوّعة. والتأمّل في سيرته المباركة عليه السلام من جوانب شتّى ذو بُعدٍ تذكيري وتربوي. وعمّاله وولاته يترجمون مفردة مهمّة من مفردات سياسته عليه السلام ، من حيث اختيارهم، ومراقبة الإمام لهم بعد الاختيار، وغير ذلك.

تحدّثنا عن هذه الأُمور في فصول هذا الكتاب، والذي نريد ذكره هنا هو أنّنا يمكن أن نقسّم ولاته عليه السلام إلى الأقسام الآتية:

١ - الولاة الثقات المتديّنون المعروفون بكفاءتهم الإداريّة وحَنكتهم وشخصيّتهم الاجتماعية الخاصّة. ولنا أن نسمّي هؤلاء طلائع أصحابه والوجوه البارزة فيهم.

وكان هؤلاء أعضاد الإمام عليه السلام ومشاوريه الصالحين المخلصين. منهم: مالك الأشتر الذي ولاّه الإمام عليه السلام في البداية على الجزيرة (منطقة بين دجلة والفرات، كانت تتمتع بأهميّة خاصّة لقربها من الشام). ثمّ استعمله على مصر. ومنهم: عبد الله بن عبّاس الذي كان والياً على البصرة. ومنهم: قيس بن سعد بن عُبادة الذي وجهّه إلى مصر، ثمّ جعله على آذربايجان.

وكان هؤلاء إذا نشبت الحرب لازموا الإمام عليه السلام، ولم يقيموا في العاصمة، ذلك الذي وجهّه إلى مصر، ثمّ جعله على آذاربجان.

وكان هؤلاء إذا نشبت الحرب لازموا الإمام عليه السلام، ولم يقيموا في العاصمة، ذلك لأنّ أُولي الكفاءة القياديّة وأصحاب الرأي عند المشاورة كانوا قليلين.

إذا ألقينا نظرة تاريخيّة على هؤلاء، نجد أنّ مالك الأشتر هو الوجه المتألّق الذي لم تَشُبه شائبة قطّ. أمّا ابن عبّاس فإنّ ما أُشيع عليه من أخذ أموال البصرة حقيق بالتأمّل. وأمّا قيس بن سعد فإنّ عزله عن حكومة مصر - مع عظمته - لافت النظر.

٢ - الولاة المتديّنون الملتزمون المعتمدون الذين تنقصهم الكفاءة الإداريّة بشكلٍ من الأشكال. فهؤلاء لم يكن لهم باع يُذكر في تدبير الأمور. ولقد كانوا من الوجهاء، بَيْدَ أنّهم لم يتّخذوا القرار الحاسم في الظروف الحرجة، ولم يتخلّصوا من الأزمات كما ينبغي. فمحمّد بن أبي بكر، مع سموّ قدره، عجز عن تهدئة الوضع في مصر، وفقد قدرة الدفاع حين اضطربت أُمورها. وأبو أيّوب الأنصاري، مع جلالته وعظمته، لم يستطع مواجهة بُسر ولاذ بالفرار. وسهل بن حُنيف لم يسيطر على الأوضاع في تمرّد أهالي فارس وامتناعهم عن دفع الخراج، فعُزل عن منصبه، وعبيد الله بن عبّاس ولّى مدبراً أمام بُسر، وعثمان ابن حُنيف فقدَ حزمه في مواجهة مكيدة الناكثين، وأخفق، فأُلقيَ عليه القبض. وكميل بن زياد لم يُطِق غارات معاوية، فهمّ بالمقابلة بالمثل وتوجّه لشن الغارة على مناطق الشام، فلامه الإمام عليه السلام.

٣ - الولاة الذين ليس لهم عقيدة راسخة، ولم يتمتّعوا بإيمانٍ عميق وإن كانوا ساسة مدبّرين وذوي حسّ إداري فعّال، فهؤلاء لم يتورّعوا عن القبض على بيت المال والتلاعب به إسرافاً وتبذيراً، وقد اشتكى منهم الإمام عليه السلام في الأيّام الأخيرة من حياته، وقال: لو ائتمنتُ أحدَكُم على قدحٍ لأخذَ علاقته.

ومن هؤلاء: زياد بن أبيه؛ فقد تصرّف في بيت المال بنحوٍ غير مشروع، فاعترض عليه الإمام عليه السلام، ثمّ التحق بمعاوية بعد استشهاد الإمام عليه السلام، ولم يَرعَوِ عن ارتكاب الجرائم.

ومنهم: المنذر بن الجارود. عنّفه الإمام عليه السلام لأنّه أباح لنفسه التلاعب في بيت المال أيضاً.

ومنهم: النعمان بن عجلان، لامه الإمام عليه السلام أيضاً بسبب بذله الأموال على قبيلته وتصرّفه غير المشروع فيها لمصلحته، ثمّ فرّ والتحق بمعاوية.

ومنهم: يزيد بن حجية، ومصقلة بن هُبَيرة، والقَعْقاع بن شور، فقد فعلوا فعل أصحابهم المذكورين.

إنّ التأمّل في حياة عمّال الإمام عليه السلام، وتحليل مواقفهم، والنظر في مآل حياتهم السياسيّة، كلّ ذلك ذو بُعدٍ تربوي توجيهي للمرء.

ومن الضروري أن نستعرض في هذا المجال ملاحظات ترتبط بهذا الموضوع.

١ - الشخصيّات الفعّالة الموثوق بها كانت قليلة مع الإمام عليه السلام.

وهؤلاء هم الذين كانوا ينتدبوه للأعمال في مواطن متنوّعة، وظلّ الإمام عليه السلام في الحقيقة وحيداً بعد استشهاد عدد من عِلية أصحابه في صفّين، وخلا الجوّ من هؤلاء الأعاظم. وعزم الإمام عليه السلام على تسريح هاشم بن عتبة إلى مصر بعد عزل قيس بن سعد، بَيْدَ أنّه كان بحاجة إلى شخصيّته القِتاليّة في صفّين؛ لذا أشخص محمد بن أبي بكر إليها. وعندما استُشهد هاشم في صفّين، لم يجد بُدّاً إلاّ إرسال مالك الأشتر إليها مع حاجته الشديدة إلى وجوده معه في مركز الخلافة الإسلامية.

٢ - كان بين أصحاب الإمام عليه السلام رجال أُمناء صالحون ووجهاء أُولو سابقة مشرقة نقيّة من كلّ شائبة. وهؤلاء كانوا دعائم الحكومة وأعضاد النظام العلّوي ولا مناص من بقائهم إلى جانب الإمام عليه السلام، إذ كان يشاورهم في شؤون الحكومة.

ومن هؤلاء: الصحابي الجليل عمّار بن ياسر، النصير الوفيّ المخلص للإمام عليه السلام، وكان وجوده مع الإمام ودفاعه السخيّ عنه يقضي على التردّد، ويُثبّت كثيراً من الذين كانت تضعضعهم الدعايات المسمومة التي تبثّها أجهزة الإعلام الأموي في الشام ضدّ الإمام عليه السلام.

من جانب آخر، كانت هناك قبائل ما زالت العصبيّات القبليّة متأصّلة في نفوسها، فلم تسمع إلاّ كلام رُؤسائها، من هنا ظلّ رجال مثل عديّ بن حاتم إلى جانب الإمام عليه السلام لتبقى قبائلهم معه أيضاً.

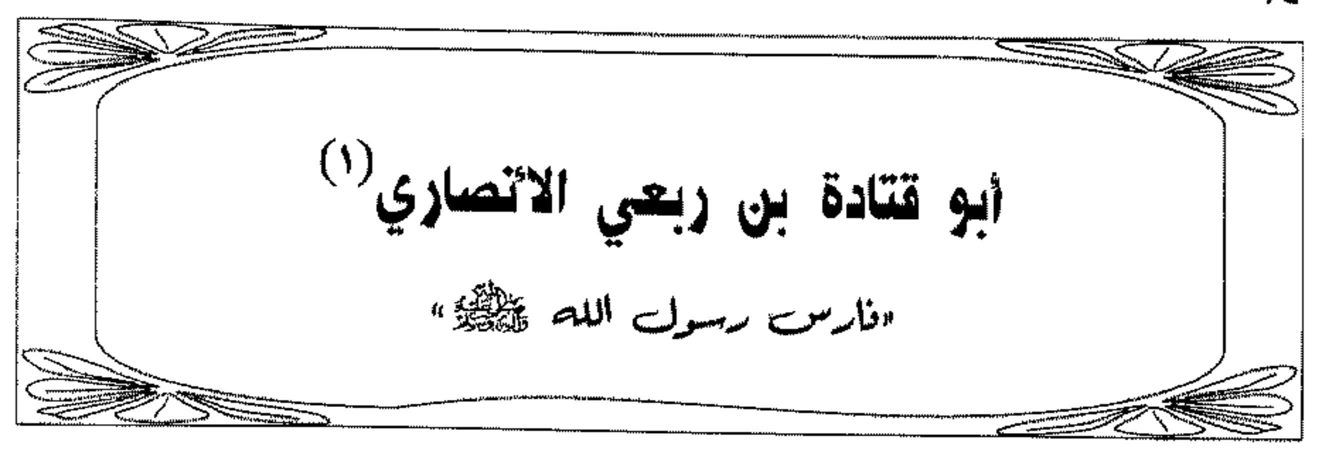
٣ - إنّ وجود أشخاصٍ مثل زياد بن أبيه بين عمّال الإمام عليه السلام مثير للسؤال، فقد أنفذ الإمامُ الشخصَ المذكور - باقتراح عبد الله بن عبّاس وتأييد جارية بن قُدامة - على رأس قوّة عسكريّة كبيرة لإخماد تمرّد أهل فارس الذين امتنعوا عن دفع الضرائب، فاستطاع زياد بتدبيره وحنكته السياسيّة الخاصّة أن يسيطر على الوضع.

كان زياد مطعوناً في نسبه، وكان يتّصف بدهاء عجيب، ويمكن أن نعدّه نموذجاً للإنسان المتخصّص غير الملتزم الذي جمع بين خبث السريرة وظلمة الروح وبين التدبير والدهاء، وإنّ ملازمته لمعاوية مع تحذيرات الإمام المتكرّرة له، وعمله في «العراقَين» مَعْلَمان على خبث طينته ودَنَسه الذي لم يظهره في عصر الإمام عليه السلام.

وينبغي الالتفات إلى أن الإمام عليه السلام كان يواجه حقائق لا تُنكَر كغيره من الحكّام. وبالنظر إلى ضرورة إدارة المجتمع واستثمار مختلف الطاقات، وبالنظر أيضاً إلى معاناة الإمام عليه السلام من قلّة الأنصار المخلصين فلا بدّ له من تولية زياد وأضرابه، بَيْدَ أنّه عليه السلام كان يقرِن ذلك بالإشراف والتحذير، ويراقب الأوضاع بدقّة. وهنا يكمن السرّ في تحذيراته عليه السلام للبعض، ودعوته الناس إلى طاعة البعض الآخر طاعة مطلقة.

٤ - كان بعض الأشخاص يعملون مع الإمام عليه السلام، لكنّهم كانوا لا يوافقونه في بعض مواقفه!! فزياد لم يشترك في حروبه جميعها، وأبو مسعود الأنصاري لم يرغب في الاشتراك في الحروب، وحين نشبت حرب صفّين، وَلِيَ الكوفة وظلّ فيها، ويزيد بن قيس الذي عُيّن والياً على إصفهان كان يميل إلى الخوارج، ففرّق الإمام عليه السلام بينه وبينهم بتعيينه.

هذا كلّه آية على سماحة الإمام عليه السلام من جهة، ومن جهة أُخرى مَعْلَم على ما ذكرناه آنفاً من أنّه كان يواجه حقائق في المجتمع لا محيص له منها.



أبو قتادة بن ربعي الأنصاري(١)

«فارس رسول الله ﷺ»

الخلاف في وفاته

في الاستيعاب: مات بالمدينة سنة ٥٤.

وقيل: بل مات في خلافة علي بالكوفة، وهو ابن سبعين سنة.

وقال الحسن بن عثمان: مات سنة ٤٠.

وفي الإصابة: عن الواقدي: مات بالمدينة سنة ٥٤ وله ٧٢ سنة ويقال: ابن ٧٠.

قال الواقدي: ولا أعلم بين علمائنا اختلافاً في ذلك.

وروى أهل الكوفة أنه مات بالكوفة وعلي بها سنة ٣٨.

وذكره البخاري في الأوسط فيمن مات بين الخمسين والستين وساق بإسناد له: أن مروان لما كان والياً على المدينة من قبل معاوية أرسل إلى أبي قتادة «الحديث».

قال: ويدل على تأخره ما أخرجه عبد الرزاق أن معاوية لما قدم المدينة تلقاه الناس فقال لأبي قتادة: تلقاني الناس كلهم إلا أنتم يا معشر الأنصار.

وفي الاستيعاب: صلى عليه علي، وكبر عليه سبعاً، روي من وجوه، عن موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصاري، وعن الشعبي أنهما قالا: صلى علي عليه السلام على أبي قتادة وكبر عليه سبعاً.

ومن طريق آخر عن الشعبي: أن علياً عليه السلام كبر على أبي قتاة ستاً هكذا قال ستاً «انتهى».

---

(١) أعيان الشيعة ج٣ ص٤٨٢، ح٩٠٦.

الخلاف في اسمه

في الاستيعاب: أبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله ﷺ وكان يعرف بذلك، اختلف في اسمه فقيل: الحارث بن ربعي بن بلدمة، وقيل: النعمان بن ربعي وقيل: النعمان بن عمرو بن بلدمة، وقيل: بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي.

وفي الإصابة أبو قتادة بن ربعي الأنصاري المشهور أن اسمه الحارث وجزم الواقدي، وابن القداح، وابن الكلبي، بأن اسمه النعمان وقيل: اسمه عمرو وأبوه ربعي هو ابن بلدمة بن خناس بضم المعجمة وتخفيف النون وآخره مهملة ابن عبيد بن غنم بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي.

وفي أسد الغابة: أبو قتادة الأنصاري اسمه الحارث بن ربعي، وقيل: اسمه النعمان قاله الكلبي، وابن إسحاق، والحارث أكثر «انتهى» ونظراً للاختلاف في اسمه ذكرناه هنا.

في الاستيعاب: أمه كبشة بنت مظهر بن حرام بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة[1].

---

(١) كان أحد الشجعان في جيش النبي ﷺ، حتى ذكره ﷺ بأنّه من خيرة المقاتلين.
كان من صحابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واشترك في جميع حروبه، قال في معركة الجمل قولاً يدلّ على إيمانه العميق ووفائه للإمام عليه السلام، وكان على الرجّالة في النهروان، وولاّه الإمام عليه السلام على مكّة، توفّي أبو قتادة في أيّام خلافة الإمام عليه السلام.
الاستيعاب: إنّ علياً لمّا وليَ الخلافة عزل خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي عن مكّة وولاّها أبا قتادة الأنصاري.
تاريخ الطبري عن أبي قتادة - لعليّ عليه السلام في حرب الجمل -: يا أمير المؤمنين! إنّ رسول الله ﷺ قلّدني هذ السيف وقد شِمْته فطال شَيمه[1]، وقد أنى تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأُمّة غشّاً؛ فإن أحببت أن تقدّمني، فقدّمني.

---

(١) الشَّيم: إغماد السيف، وهو من الأضداد (النهاية: ٢/ ٥٢١).

✍ أقوال العلماء فيه

في الاستيعاب: اختلف في شهوده بدراً فقال بعضهم: كان بدرياً ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين. وبسنده عن الشعبي كان بدرياً.

قال: وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد كلها، وشهد مع علي مشاهده كلها في خلافته.

وذكر الواقدي: عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، عن جده أبي قتادة قال: أدركني رسول الله ﷺ يوم ذي قرد فنظر إلي فقال: اللهم بارك في شعره وبشره وقال: أفلح وجهك.

قلت: ووجهك يا رسول الله قال: قتلت مسعدة.

قلت: نعم.

قال: فما هذا الذي بوجهك؟.

قلت: سهم رميت به يا رسول الله.

قال: أُدْنُ، فدنوت فتفل عليه فما ضرب علي قط إلا فاح.

وروي من حديث محمد بن المنكدر ومرسل عطاء ومرسل عروة أن رسول الله ﷺ قال لأبي قتادة: من اتخذ شعراً فليحسن إليه وليلحقه وقال له: أكرم جمتك وأحسن إليها فكان يرجلها غباً «انتهى».

وفي الإصابة: كان يقال له: فارس رسول الله ﷺ ثبت ذلك في صحيح مسلم، ثم روى بسنده عن عبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن أبي قتادة، حدثني أبو عبد الرحمن عن أبيه مصعب، عن أبيه ثابت، عن أبيه عبد الله، عن أبيه أبي قتادة أنه حرس النبي ﷺ ليلة بدر فقال: اللهم احفظ أبا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة.

قال الطبراني: لم يروه عن أبي قتادة إلا ولده، وكانت عبدة امرأة عاقلة فصيحة متدينة، قال: وقوله في رواية عبدة ليلة بدر غلط فإنه لم يشهد بدراً.

وبإسناده عن أبي قتادة قال: انحاز المشركون على لقاء رسول الله ﷺ فأدركتهم فقتلت مسعدة.

في أسد الغابة: هو مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، فقال رسول الله ﷺ حين رآني: أفلح الوجه.

وقال خليفة: ولاه علي عليه السلام على مكة ثم ولاها قثم بن العباس «انتهى».

أقول: وأبو قتادة هو الذي روى أن رسول الله ﷺ كان يحمل إمامة ابنة بنته زينب من أبي العاص بن الربيع على عاتقه في الصلاة فإذا أراد أن يركع أو يسجد وضعها فإذا قام أخذها، رواه الإمام أحمد في مسنده، بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: بؤس ابن سمية تقتلك الفئة الباغية.

وبسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة: أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية.

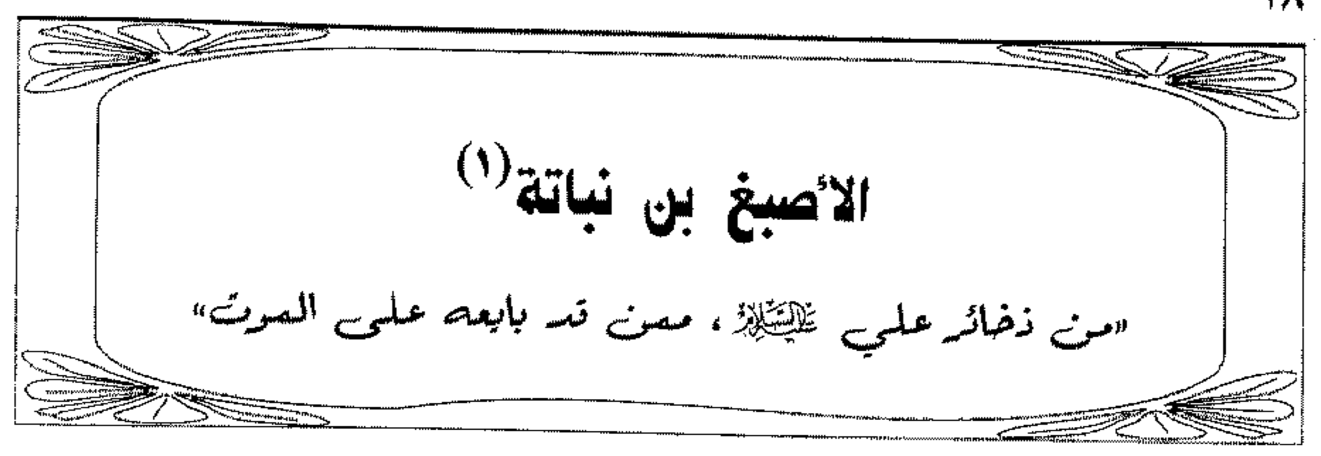
ومن مسند أحمد بسنده: قدم معاوية المدينة فتلقاه أبو قتادة فقال: أما أن رسول الله ﷺ قد قال: إنكم ستلقون بعدي أثرة.

قال: فيم أمركم.

قال: أمرنا أن نصبر، قال: فاصبروا إذاً «انتهى».

مصادره:

إتقان المقال/ ١٦٩. الاستيعاب ١/ ٢٩٤ وج ٤/ ١٦١. أسد الغابة ١/ ٣٢٧ وج ٥/ ٢٧٤. الاشتقاق/ ٤٦٥. الإصابة ١/ ٢٧٨ وج ٤/ ١٥٨. الإمامة والسياسة١/ ١٢٨. تاريخ بغداد ١/ ١٥٩. تنقيح المقال ١/ ٢٤٤. جامع الرواة ١/ ١٧٣. الجرح والتعديل ٣/ ٧٤. جمهرة أنساب العرب/ ٣٢٠. الدرجات الرفيعة / ٣٥١. رجال الشيخ الطوسي/ ٣٨. سفينة البحار ٢/ ٤٠٦. شذرات الذهب ١/ ٦٠. ابن أبي الحديد ١٧/ ٢٠٥. الطبقات الكبرى ٦/ ١٥. الغدير ٧/ ١٥٨، ١٦٤ و٨/ ١٥٧، ١٩٢ و١٠/ ٢٨٢. الغارات ١/ ٣٤٣، ١/ ٣٤٣، ٤٤٨. قاموس الرجال ٣/ ٢٠. الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٦، ١٩٠، ٢٣٣، ٢٦٥، ٣٥٨ و٣/ ٢٢١. الكنى والألقاب ١/ ١٤٦. مجمع الرجال ٢/ ٧١. مرآة الجنان ١/ ١٢٨. مروج الذهب ٢/ ٣٦٨. معجم رجال الحديث ٤/ ١٩٤. المناقب لابن شهرآشوب ٣/ ١٥٤. منتهى المقال/ ٨٦. النجوم الزاهرة ١/ ١٤٦. نقد الرجال/ ٧٩.



الأصبغ بن نباتة(١)

«من ذخائر علي عليه السلام، ممن قد بايعه على الموت»

الأصبغ بن نباتة بن الحارث، بن عمرو، بن فاتك، بن عامر بن مجاشع، بن دارم التميمي الحنظلي المجاشعي.

(اصبغ) بفتح الهمزة وسكون المهملة وفتح الموحدة، (ونباتة) بنون مضمومة فباء موحدة مخففة فمثناة فوقية فهاء، (والمجاشعي) بضم الميم نسبة إلى مجاشع قبيلة من تميم.

أقوال العلماء فيه

كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد معه صفين، وكان على شرطة الخميس، وكان شاعراً، وعده البرقي في رجاله في أصحاب علي عليه السلام من اليمن.

وقال الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي، وفي أصحاب ولده الحسن عليه السلام أصبغ بن نباتة.

وفي الخلاصة: الأصبغ بن نباتة كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده وهو مشكور.

وقال النجاشي: أصبغ بن نباتة المجاشعي كان خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده.

روى عنه عهد الأشتر ووصيته إلى ابنه محمد، أخبرنا ابن الجندي، عن علي بن همام، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة بالعهد وأخبرنا عبد السلام بن

(١) أعيان الشيعة ج٥ ص٣٠٦، ح٢٥٨٠.

الحسين الأديب، عن أبي بكر الدوري، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن جعفر بن محمد الحسيني، عن علي بن عبدك، عن الحسن بن طريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بالوصية.

وفي الفهرست: أصبغ بن نباتة كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده.

وروى عهد مالك الأشتر الذي عهده إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر ووصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية، أخبرنا بالعهد ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، والحسن بن طريف جميعاً عن الحسين بن علوان الكلبي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما الوصية فأخبرنا بها الحسين بن عبيد الله، عن الدوري، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن جعفر بن محمد الحسني، عن علي بن عبدك الصوفي، عن الحسن بن طريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية، وروى عنه الدوري أيضاً مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن أحمد ابن يوسف الجعفي، عن محمد بن يزيد النخعي، عن أحمد بن الحسين، عن أبي الجارود، عن الأصبغ، وذكر الحديث بطوله (انتهى).

وقال الكشي «الأصبغ بن نباتة» طاهر بن عيسى الوراق قال: حدثني جعفر بن أحمد التاجر، حدثني أبو الخير صالح بن أبي حماد، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن الأصبغ بن نباتة، قال: قلت للأصبغ ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟.

فقال: ما أدري ما تقول إلا أن سيوفنا على عواتقنا فمن أومأ إليه ضربناه بها.

محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن الحسن، عن مروان بن عبيد، حدثني إبراهيم بن أبي البلاد، عن رجل، عن الأصبغ قلت له: كيف سميتم شرطة الخميس يا أصبغ؟ قال: أنا ضمنا له الذبح وضمن لنا الفتح يعني أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال في أوائل الكتاب: نصر بن الصباح البلخي، حدثنا أحمد ابن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن إسماعيل بن بزيع، عن أبي مارد، قلت للأصبغ ابن نباتة: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟

فقال: ما أدري ما تقول إلا أن سيوفنا كانت على عواتقنا فمن أومأ إليه ضربناه بها إلى آخر ما قال (انتهى)[١]..

وقال العلامة وهو مشكور، وعن البحار: كان الأصبغ بن نباتة من شرطة الخميس وكان فاضلاً (انتهى).

---

(١) أصبغ بن نبات التّيمي الحنظلي المُجاشِعي، كان من خاصّة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومن الوجوه البارزة بين أصحابه، وأحد ثقاته عليه السلام، وهو مشهور بثباته واستقامته على حبّه عليه السلام. وصفته النصوص التاريخية القديمة بأنّه شيعيّ، وأنّه مشهور بحبّ عليّ عليه السلام. وكان من «شرطة الخميس»، ومن أُمرائهم. عاهد الإمام عليه السلام على التضحية والفداء والاستشهاد.

وشهد معه الجمل، وصفّين. وكان معدوداً في أنصاره الأوفياء المخلصين وهو الذي روى عهده إلى مالك الأشتر؛ ذلك العهد العظيم الخالد!.

وكان من القلائل الذين أُذن لهم بالحضور عند الإمام عليه السلام بعد ضربته. وعُدّ الأصبغ في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام أيضاً.

وقعة صفّين عن عمر بن سعد الأسدي - في ذكر وقعة صفين حرّض عليّ بن أبي طالب أصحابه، فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين! قدّمني في البقيّة من الناس؛ فإنّك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً. أمّا أهل الشام فقد أصبنا منهم. وأمّا نحن ففينا بعض البقيّة، إئذن لي فأتقدّم؟ فقال عليّ: تقدّم باسم الله والبركة، فتقدّم وأخذ رايته، فمضى وهو يقول: (البحر الرجز المجزوء)

حتّى متى ترجو البقايا أصبغُ   إنّ الرجاء بالقنوط يُدمغُ

أما ترى أحداث دهر تنبغُ   فادبُغْ هواك، والأديمُ يُدبَغُ

الرفق فيما قد تريد أبلغُ   اليوم شغل وغداً لا تفرغُ

فرجع الأصبغ وقد خضَبَ سيفه دماً ورمحه، وكان شيخاً ناسكاً عابداً، وكان إذا لقي القوم بعضهم بعضاً يغمد سيفه، وكان من ذخائر عليّ عليه السلام ممّن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان أهل العراق، وكان عليّ عليه السلام يضنّ به على الحرب والقتال.

من ثقاة الإمام علي عليه السلام

وفي تكملة الرجال: قال عن معادن الحكمة، عن الكليني في الرسائل، عن علي بن إبراهيم، بإسناده في حديث طويل: أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا كاتبه عبيد بن أبي رافع فقال له: أدخل علي عشرة من ثقاتي.

فقال: سمهم لي يا أمير المؤمنين.

فقال له: ادخل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزر بن حبيش الأسدي، وجويرية بن مسهر العبدي، وخندف بن زهير الأسدي، وحارثة ابن مصرف الهمداني، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ومصابح النخعي علقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمر بن زرارة فدخلوا عليه (الحديث).

ورواه محمد بن الحسن بن الحر في الوسائل، عن كتاب المحجة لابن طاوس، عن كتاب الرسائل للكليني (انتهى).

أقول: وللأصبغ كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام، رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن الوليد، عن محمد بن الفرات، عن أصبغ بن نباتة، عندنا منه نسخة كتبت في أوائل المائة الخامسة.

لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة

وروى الشيخ الطوسي، في الأمالي بسنده إلى الأصبغ بن نباتة قال: لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا والحارث وسويد ابن غفلة وجماعة منا، فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء من الدار فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم فانصرف القوم غيري، واشتد البكاء في منزله فبكيت، وخرج الحسن فقال: ألم أقل لكم انصرفوا، فقلت: لا والله يا بن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين، وبكيت فدخل الدار ولم يلبث أن خرج فقال لي: أدخل فدخلت على

أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه واصفر وجهه، فما أدري وجهه أشد صفرة أم العمامة فأكببت عليه فقبلته وبكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة.

فقلت له: جعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين (انتهى).

من ذخائر الإمام علي عليه السلام

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: كان الأصبغ شيخاً ناسكاً عابداً، وكان إذا لقي القوم بعضهم بعضاً بصفين يغمد سيفه، وكان من ذخائر علي عليه السلام، ممن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان أهل العراق، وكان علي يضن به على الحرب والقتال.

خضب سيفه ورمحه دماً

وقال نصر أيضاً في الكتاب المذكور، إن معاوية لما أسرع أهل العراق في أهل الشام قال: هذا يوم تمحيص إن القوم قد أسرع فيهم كما أسرع فيكم أصبروا يومكم هذا وخلاكم ذم وحضض عليٌّ أصحابه، فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين إنك جعلتني به على شرطة الخميس وقدمتني في الثقة دون الناس (أو قدمتني في البقية من الناس)، وإنك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً، أما أهل الشام فقد هدهم ما أصابنا منهم، وأما نحن ففينا بعض البقية فاطلب بنا أمرك وأئذن لي فأتقدم، فقال له علي: تقدم باسم الله والبركة فتقدم وأخذ رايته ومضى بها وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

إن الرجاء بالقنوط يدمغ   حتى متى ترجو البقايا أصبغ
أما ترى أحداث دهر تنبغ   فادبغ هواك والأديم يدبغ
والرفق فيما قد تريد أبلغ   اليوم شغل وغداً لا تفرغ

فرجع الأصبغ وقد خضب سيفه دماً ورمحه (انتهى).

وفي مناقب ابن شهرآشوب: أن الأصبغ بن نباتة برز يوم صفين قائلاً:

حتى متى ترجو البقايا أصبغ إن الرجاء للقنوط يدمغ

وقاتل حتى حرك معاوية من مقامه.

وفي طبقات ابن سعد الكبير: الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم، من بني تميم، روى عن علي عليه السلام، وكان من أصحابه.

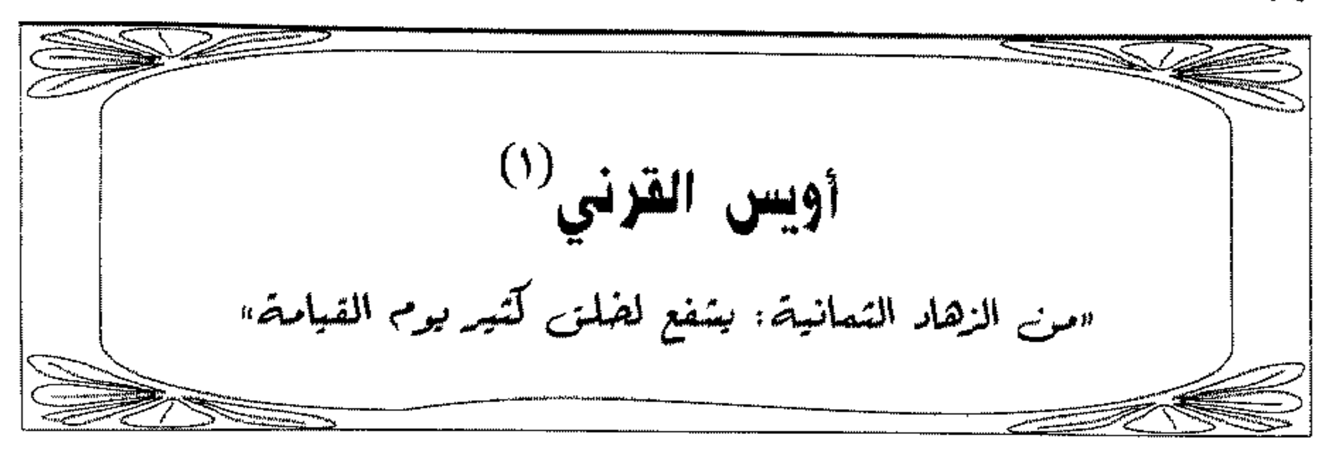
أخبرنا شبابة بن سوار، عن محمد بن الفرات: سمعت الأصبغ بن بناتة بن الحارث بن عمرو، وكان صاحب شرطة علي عليه السلام.

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا فطر قال: رأيت الأصبغ يصفر لحيته وكان شيعياً وكان يضعف في روايته (انتهى).

مصادره:

إتقان المقال/ ٢٧. الاشتقاق/ ٢٤٣. الإصابة ١/ ١٠٨. أعيان الشيعة ٣/ ٤٦٤. أخبار أصبهان ٢/ ٦٠. بهجة الآمال ٢/ ٣٤٨. تأسيس الشيعة/ ٢٨١، ٣٥٨. تحفة الأحباب/ ٢٤. تقريب التهذيب ١/ ٨١. تنقيح المقال ١/ ١٥٠. تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٣. تهذيب المقال ١/ ١٩١. جامع الرواة ١/ ١٠٦. الجرح والتعديل ٢/ ٣١٩. جمهرة أنساب العرب/ ٢٣١. خلاصة الأقوال/ ٢٤. رجال ابن داود/ ٥٢. رجال الطوسي/ ٣٤، رجال الكشي/ ١٠٣. رجال النجاشي/ ٦. رجال البرقي/ ٥. سفينة البحار ١/ ٦٩٥ و٢/ ٧. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٤٨ و٣/ ١٩٥ و٥/ ١٧٦ و٨/ ٨٢ و١٨/ ٢٢٧. العقد الفريد ٣/ ٢٦٨. الغدير ١/ ١٥، ٢٨ ٧٢٥، ٤٥، ٤٩، ٦٢، ٨٥، ١٦٧، ٢٠٢. الغارات ١/ ٢٢، ١٨٣، ١٨٩ و٢/ ٥٠١، ٧١٦، ٧٤٠. الفوائد الرجالية ١/ ٢٦٦ و٢/ ٧٧. فهرست الطوسي/ ٦٢، ٦٣. قاموس الرجال ٢/ ١٠٣. لسان الميزان ٧/ ١٨٠. مجمع الرجال ١/ ٢٣٣. معجم الثقات/ ١٩، ٢٤٢. معجم رجال الحديث ٣/ ٢١٨. المناقب ٣/ ١٧٣. منتهى المقال/ ٦١. ميزان الاعتدال ١/ ٢٧١. مجالس المؤمنين ١/ ٣٠٣. نقد الرجال/ ٤٩. وقعة صفّين/ ٥، ١٢٦، ١٤٦، ١٥٨، ٢٣١، ٣٢٢، ٤٠٦، ٤٢٢، ٤٢٣.





«من الزهاد الثمانية: يشفع لخلق كثير يوم القيامة» أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد، ابن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وهو يحابر بن مالك بن أدد بن مذحج المرادي المعروف بأويس القرني.

من الزهاد الثمانية

قتل مع علي عليه السلام بصفين سنة ٣٧ وقبره بها معروف إلى اليوم.

هكذا نسبه ابن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبير. وفي أسد الغابة، عن ابن الكلبي أنه قال: بعد ابن مالك ين عمرو بن مسعدة بن عمرو بن سعد الخ المرادي ثم القرني، ويمكن أن يكون مسعدة بن عمرو سقط من النساخ في الطبقات.

وفي **المستدرك للحاكم**، وحلية الأولياء، والإصابة، ولسان الميزان وغيرها: أويس بن عامر، وقيل: عمرو.

وفي تاريخ ابن عساكر، ذكر ابن عياش في أسماء أهل الكوفة: أويس بن عروة المرادي، وهو أويس القرني.

قال وفي تاريخ الهيثم: أويس هو ابن عمرو وهو الصواب (انتهى).

(والقرني) بفتح القاف والراء بعدهما نون، نسبة إلى قرن أبو قبيلة.

وفي تاريخ دمشق قال الدارقطني: قرن بفتحتين (انتهى).

وفيه قال عبد الغني بن سعيد: قرن بطن من مراد (انتهى).

---

(١) أعيان الشيعة ج٥ ص٣٧٤، ح٢٧٥٤.

وفي الإصابة، قال عبد الغني بن سعيد: القرني بفتح القاف والراء هو أويس (انتهى) وما في الصحاح من أنه بسكون الراء اشتباه.

موضع وفاته

المشهور وهو الأصح أنه قتل بصفين مع علي عليه السلام ودفن بها كما مر.

قال الكشي: قتل بصفين في الرجالة مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وروى بسنده من طريق العامة، عن شريك: قتل أويس مع علي عليه السلام في الرجالة بصفين.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: في مقال لسعيد بن المسيب: أن أويساً قاتل بين يدي علي عليه السلام يوم صفين حتى استشهد أمامه، فنظروا فإذا به نيف وأربعون جراحة من طعنة وضربة ورمية.

وفي المستدرك للحاكم: ذكرته في جملة من استشهد بصفين بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب.

سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: قتل أويس القرني بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم صفين.

وبسنده عن شريك قال: وذكروا في مجلسه أويس القرني، فقال: قتل مع علي بن أبي طالب عليه السلام في الرجالة (انتهى).

ويأتي عند ذكر شهوده صفين رواية الكشي أنه لم يزل يقاتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام حتى قتل، فوجد في الرجالة، ورواية الحاكم أنه ما زال يحارب بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفين حتى قتل، وروايته الأخرى أنه استشهد أويس في الرجالة بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى نصر ابن مزاحم في كتاب صفين، عن حفص بن عمران البرجمي، عن عطاء بن السائب، عن أبي البحتري قال: أصيب أويس القرني مع علي عليه السلام بصفين.

وفي ميزان الاعتدال: بسنده عن زيد بن علي: قتل أويس يوم صفين.

وفيه بسنده عن سعيد بن المسيب في حديث: أنه لما شهر هام على وجهه فلم يوقف له على أثر دهراً، ثم عاد في أيام علي فقاتل بين يديه فاستشهد بصفين، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة.

وفي خلاصة تذهيب الكمال: شهد صفين مع علي عليه السلام، وقتل يومئذٍ (انتهى).

وفي الإصابة في ذيل حديث أسير الآتي: أن أويساً قال: «**اللهم ارزقني شهادة توجب لي الجنة والرزق**».

قال أسير: فلم يلبث إلا يسيراً حتى ضرب على الناس، بعث علي عليه السلام فخرج صاحب القطيفة أويس وخرجنا معه حتى نزلنا بحضرة العدو.

قال ابن المبارك، فحدثني حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أسير قال: فنادى منادي علي: يا خيل الله أركبي وابشري، فصف الناس لهم فانتضى أويس سيفه حتى كسر جفنه فألقاه، ثم جعل يقول: يا أيها الناس تموا تموا لتتمن وجوه ثم لا تنصرف حتى ترى الجنة، فجعل يقول ذلك ويمشي، إذ جاءته رمية فأصابت فؤاده فتردى مكانه كأنما مات منذ زمن، وهو صحيح السند (انتهى).

وفي الإصابة أيضاً: قال ابن عمار الموصلي، ذكر عند المعافى بن عمران: أن أويساً قتل في الرجالة مع علي بصفين.

فقال معافى: ما حدث بهذا إلا الأعرج، فقال له عبد ربه الواسطي: حدثني به شريك، عن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فسكت.

وفي مناقب ابن شهرآشوب عند ذكر حرب صفين: وأتى أويس القرني متقلداً بسيفين، ويقال: كان معه مرماة ومخلاة من الحصى، فسلم على أمير المؤمنين وودعه، وبرز مع رجالة ربيعة، فقتل من يومه فصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه (انتهى).

حليته

روى الحاكم في المستدرك بسنده، عن هرم بن حيان العبدي قال: قدمت

الكوفة فلم يكن لي بها هم إلا أويس القرني حتى سقطت عليه فعرفته بالنعت، فإذا رجل لحم آدم شديد الأدمة أشعر، محلوق الرأس، يعني ليس له جمة، كث اللحية، عليه إزار من صوف، ورداء صوف بغير حذاء، كبير الوجه، مهيب المنظر جداً «الحديث».

✍ الأصفياء الأخفياء الأبرياء

وفي حلية الأولياء بسنده عن أبي هريرة، في حديث يصف فيه الأصفياء الأخفياء الأبرياء قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال: ذاك أويس القرني.

قالوا: وما أويس القرني.

قال: أشهل ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام بذقنه إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين، لا يؤبه له، متزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض، معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وأن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وأنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة، ويقال لأويس: قف فاشفع فيشفعه الله عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر «الحديث».

✍ أقوال العلماء فيه

قال الكشي في رجاله: كان أويس من خيار التابعين ولم ير النبي ﷺ ولم يصحبه.

وقال أيضاً: **(الزهاد الثمانية)**.

علي بن محمد بن قتيبة: سئل أبو الفضل بن شاذان، عن الزهاد الثمانية، فقال: الربيع بن خثيم، وهرم بن حيان، وأويس القرني، وعامر بن عبد قيس، فكانوا مع علي عليه السلام ومن أصحابه، وكانوا زهاداً أتقياء.

وأما أبو مسلم فإنه كان فاجراً مرائياً، وكان صاحب معاوية، وهوالذي كان

يحث الناس على قتال علي عليه السلام، وقال لعلي عليه السلام: ادفع إلينا الأنصار والمهاجرين حتى نقتلهم بعثمان فأبى علي عليه السلام ذلك، فقال أبو مسلم: الآن طاب الضراب إنما كان وضع فخاً ومصيدة.

أما مسروق فإنه كان عشاراً لمعاوية ومات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له: الرصافة وقبره هناك.

والحسن كان يلقى أهل كل فرقة بما يهوون ويتصنع للرياسة، وكان رئيس القدرية وأويس القرني مفضل عليهم كلهم (انتهى).

قال أبو محمد الفضل: ثم تحرف (تحور) الناس بعد أويس القرني رحمه الله، ولا يخفى أن الكشي ذكر أن الزهاد ثمانية وذكر منهم سبعة فقط وكأن الثامن سقط من قلمه، أو من النساخ.

وعن المحقق الشيخ محمد حفيد الشهيد الثاني، والشيخ عبد النبي الجزائري وغيرهما: أنه الأسود بن يزيد وهو مذموم، وهو المطابق لما يأتي عن تاريخ دمشق.

وفي النقد سمعنا من بعض الفضلاء أنه جرير بن عبد الله البجلي والله العالم (انتهى).

والصواب أنه الأسود كما مر.

وفي ميزان الاعتدال قال: يحيى بن سعيد القطان الحمصي، حدثنا يزيد بن عطاء الواسطي، عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: عامر بن عبد القيسي، وأويس، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، وأبو مسلم الخولاني، والحسن، ومسروق «الحديث بطوله» وهو باطل من هذا السياق (انتهى).

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر قال علقمة بن مرثد الحضرمي: انتهى الزهد إلى ثمانية نفر من التابعين: عامر بن عبد القيس، وأويس القرني، وهرم بن حيان العبدي، والربيع بن خثيم الثوري، وأبي مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن البصري «الحديث».

ومن هذا يظهر أن المراد بأبي مسلم في رواية الكشي السابقة هو أبو مسلم الخولاني، واسمه عبد الله بن ثوب وقيل غير ذلك. واستظهار أن المراد بأبي مسلم أهبان بن صيفي كما وقع في النقد ليس بصواب كما مر في ترجمة أهبان، ويدل عليه أيضاً: ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء قال: ثنا أبي ثنا إبراهيم بن الحسن، ثنا أبو حميد أحمد بن محمد بن سيار الحمصي، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا عطاء بن يزيد، عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولاني (انتهى).

أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام؟

ومن غريب الاتفاق **قول صاحب الميزان**، أنهم ثمانية وعدهم سبعة فترك الأسود ولعله سقط من الناسخ، كما أن الكشي وقع له مثل ذلك كما مر آنفاً فترك الأسود أيضاً، وقال الكشي أيضاً. في أوائل الكتاب في ترجمة سلمان ومقداد وأبو ذر: محمد بن قولويه، حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف، حدثني علي بن سليمان بن داود الرازي، حدثنا علي بن أسباط، عن أبيه أسباط بن سالم قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه، فيقف سلمان، ومقداد وأبو ذر، ثم ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم: عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد، وأويس القرني (الحديث).

ثم قال: فهؤلاء المتحورة، وأول السابقين، وأول المقربين، وأول المتحورين من التابعين (انتهى).

وذكره ابن سعد في الطبقات الكبير فيمن نزل الكوفة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم فقال: أويس بن عامر القرني، كان ثقة ولي له حديث عن أحد (انتهى).

وفي حلية الأولياء: أويس بن عامر القرني سيد العباد، وعلم الأصفياء، من الزهاد، بشر النبي صلى الله عليه وآله به وأوصى به أصحابه.

وفي المستدرك للحاكم: ذكر مناقب أويس بن عامر القرني أويس راهب هذه الأمة، ولم يصحب رسول الله صلى الله عليه وآله، إنما ذكره رسول الله ودل على فضله.

وفي أسد الغابة: أويس بن عامر المرادي ثم القرني: الزاهد المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يره، وسكن الكوفة وهو من كبار تابعيها (انتهى).

وفي الإصابة: أويس بن عامر وقيل: عمرو المرادي القرني الزاهد المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وآله.

في مهج الدعوات، عن موسى بن زيد، عن أويس القرني، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر دعاء، وبسند آخر أن أمير المؤمنين عليه السلام علم أويساً دعاء (انتهى).

وفي الإصابة قال عبد الغني بن سعيد: أويس أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وشهد صفين مع علي، وكان من خيار المسلمين.

وروى ضمرة، عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس على عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولكن منعه من القدوم بره بأمه.

✍ خير التابعين

وروى مسلم في صحيحه، من حديث أبي نضرة، عن أسير بن جابر، عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن خير التابعين رجل يقال له: أويس بن عامر.

وفي روية: فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم (انتهى).

وفي ميزان الاعتدال: أويس بن عامر ويقال: ابن عمرو القرني اليمني العابد نزيل الكوفة.

وفي لسان الميزان قال ابن حبان: في ثقات التابعين أويس بن عامر القرني من اليمن، من مراد سكن الكوفة، وكان زاهداً عابداً.

في خلاصة تذهيب الكمال: أويس بن عامر القرني بفتح القاف المهملة. ثم نون، من مذحج مخضرم أرسل، روى له مسلم أشياء من كلامه، وهو سيد التابعين كما رواه مسلم في صحيحة، وله مناقب مشهورة.

عنه يسير بن عمرو، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وموسى بن يزيد، وأبو عبد رب الدمشقي، وسكن الكوفة، وأسند ابن عساكر أويس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال رسول الله ﷺ: أن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد، أنه وتر يحب الوتر، ما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة.

قال: وقال في تتمة حديث علقمة بن مرثد السابق: فأما أويس القرني فإن أهله ظنوا أنه مجنون فبنوا له بيتاً على باب دارهم، وكان يأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجهاً، وكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، وإن أصاب حشفة خبأها لإفطاره (انتهى).

بعض ما روي في حقه

روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن رجل قال رسول الله ﷺ: خليلي من هذه الأمة أويس القرني.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: روي عن النبي ﷺ أنه قال: من خير التابعين أويس وهو حديث مشهور (انتهى).

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن أبي بكر بن عياش، عن هشام عن الحسن، قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة بشفاعة من أمتي أكثر من ربيعة ومضر.

قال هشام: فأخبرني حوشب عن الحسن: أنه أويس القرني أبو بكر بن عياش، فقلت لرجل من قومه: أويس بأي شيء بلغ هذا قال: فضل الله يؤتيه من يشاء.

وفيه بسنده عن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم.

وفي الإصابة: عن الدلائل للبيهقي، عن عبد الله بن أبي الجدعاء رفعه قال: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قال هشام بن حسان: كان الحسن يقول: هو أويس القرني (انتهى).

وفي ميزان الاعتدال، بسنده عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ليشفعن رجل من أمتي في أكثر من مضر.

قال أبو بكر: يا رسول الله أن تميماً من مضر، قال: ليشفعن من أمتي لأكثر من تميم ومن مضر وأنه أويس القرني.

وفيه عن يونس وهشام، عن الحسن قال: يخرج من النار بشفاعة رجل ليس بنبي أكثر من ربيعة ومضر، قال هشام عن الحسن: هو أويس (انتهى)[1].

---

(١) هو أُويس بن عامر بن جَزْء المرادي القرني. كان طاهر الفطرة، سليم الفكرة، ووجهاً متألّقاً في التاريخ الإسلامي. أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وآله، لكنّه ما رآه. لذا عُدَّ في التابعين.

وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه أفضل التابعين وأعلاهم شأناً، وصرّح بأنّه يشفع لخلق كثيرين يوم القيامة. وكان في عداد الزهّاد المشهورين، وأحد ثمانيتهم المعروفين. لم يكن له حضور مشهور في القضايا الاجتماعية، وكان نَصِباً[1] في العبادة، ونُقل أنّه ربما أمضى الليل كلّه ساجداً. شهد مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وصفّين، وعاهده على الشهادة في صفّين. وفيها نال ذلك الوسام بوجهٍ مُدمى، ودُفن هناك.

وقد وصف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أويساً وصفاً يبيّن منزلته الرفيعة، حين قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ... أين حواريّو عليّ بن أبي طالب.. فيقوم عمرو بن الحمق... وأُويس القرني.

رسول الله صلى الله عليه وآله: خليلي من هذه الأُمّة أُويس القرني.

صحيح مسلم عن أُسير بن جابر: كان عمر بن الخطّاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أُويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أُويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد، ثمّ من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلاّ موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يأتي عليكم أُويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد، ثمّ من قَرَن، كان به برص فبرأ منه إلاّ موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبرّه؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفرْ لي، فاستغفرَ له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء[2] الناس أحبّ إليّ. =

---

(١) نَصِبَ الرجل: أعيا وتعب (لسان العرب: ١/٧٥٨).

(٢) غَبْراء الناس: أي فقراؤهم، ومنه قيل للمحاويج: بنو غبراء، كأنهم نسبوا إلى الأرض والتراب (النهاية: ٣/٣٣٨).

جملة مما روي من أخباره

قال محمد بن سعد في الطبقات الكبير: أخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثني سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أسير بن جابر

= قال: فلمّا كان من العام المقبل حجّ رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رثّ البيت، قليل المتاع.

المستدرك على الصحيحين، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لمّا كان يوم صفّين نادى منادٍ من أصحاب معاوية أصحابَ عليّ: أفيكم أُويس القرني؟ قالوا: نعم، فضرب دابّته حتى دخل معهم، ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير التابعين أُويس القرني».

حلية الأولياء عن أصبغ بن زيد: إنّما منعَ أُويساً أن يقدم على رسول الله ﷺ برُّه بأُمّه.

خصائص الأئمّة عليهم السلام، عن الأصبغ بن نباتة: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثمّ قال: أين تمام المائة؟ فقد عهد إليَّ رسول الله ﷺ أنّه يبايعني في هذا اليوم مائة رجل. فقال: فجاء رجل عليه قباء صوف متقلّد سيفين، فقال: هلمّ يدك أُبايعك، فقال علامَ تبايعني؟ قال: على بذل مهجة نفسي دونك. قال: ومن أنت، قال: أُويس القرني، فبايعه فلم يزل يُقاتل بين يديه حتى قُتل، فوُجد في الرجّالة مقتولاً.

الإمام الكاظم عليه السلام: إذا كان يوم القيامة... ينادي منادٍ: أين حواري عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّ محمّد بن عبد الله رسول الله ﷺ؟

فيقوم عمرو بن الحق الخزاعي، ومحمّد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمّار مولى بني أسد، وأُويس القرني.

الأمالي للطوسي: قيل لأُويس بن عامر القرني: كيف أصبحت يا أبا عامر؟ قال: ما ظنّكم بمن يرحل إلى الآخرة كلّ يوم مرحلة لا يدري إذا انقضى سفره أعَلَى جنّة يرد أم على نار؟.

حلية الأولياء عن أصبغ بن زيد: كان أُويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يُصبح.

وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يُصبح.

وكان إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثمّ يقول: اللهمّ من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

وإيّاه يعني دعبل بن عليّ الخزاعي في قصيدته التي يفخر فيها على نزار وينقض على الكميت بن زيد قصيدته التي يقول فيها: **[البحر الوافر]**

ألا حييت عنّا يا مدينا   أويس ذو الشفاعة كان منّا

فيوم البعث نحن الشافعون

أُويس ذو الشفاعة كان منّا   فيوم البعث نحن الشافعونا

قال: كان محدث بالكوفة يحدثنا فإذا فرغ من حديثه تفرقوا ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم كلامه فأحببته ففقدته، فقلت لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا.

فقال رجل منهم: أنا أعرفه ذاك أويس القرني، فانطلقت معه حتى ضربت حجرته فخرج إلي، قلت: يا أخي ما حبسك عنا؟.

قال: العري وكان أصحابه يسخرون به ويؤذونه.

قلت: خذ هذا البرد فألبسه.

قال: لا تفعل فإنهم إذا يؤذونني إن رأوه علي، فلم أزل به حتى لبسه، فخرج عليهم فقالوا: من ترون خدع عن برده هذا؟ فجاء فوضعه، وقال: أترى؟.

فقلت: ما تريدون من هذا الرجل قد آذيتموه؟! الرجل يعرى مرة ويكسى مرة فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً. فقضي أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر به، فقال عمر: هل هنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له: أويس لا يدع باليمن غير أم له، وقد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا مثل موضع الدرهم، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم.

قال: فقدم علينا قلت: من أين.

قال: من اليمن.

قلت: ما اسمك.

قال: أويس.

قلت: فمن تركت باليمن.

قال: أماً لي.

قال: أكان بك بياض فدعوت الله فأذهبه عنك، قال: نعم.

قال: استغفر لي.

قال: أو يستغفر مثلي لمثلك يا أمير المؤمنين فاستغفر له.

قلت له: أنت أخي لا تفارقني.

قال: فاملس[1] مني فأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة فجعل ذلك الذي كان يسخر به ويحتقره يقول: ما هذا فينا يا أمير المؤمنين وما نعرفه.

فقال عمر: بلى إنه رجل كذا كأنه يضع من شأنه.

قال: فينا يا أمير المؤمنين رجل يقال له: أويس نسخر به قال: أدرك ولا أراك تدرك فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يأتي.

أهله، فقال له أويس: ما هذه بعادتك فما بدا لك.

قال: سمعت عمر يقول فيك: كذا كذا، فاستغفر لي يا أويس.

قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي فيما بعد، ولا تذكر الذي سمعته من عمر إلى أحد، فاستغفر له قال: أسير فما لبث أن فشا أمره في الكوفة فأتيته فدخلت عليه، فقلت: يا أخي لا أراك العجب ونحن لا نشعر.

قال: ما كان في هذا ما أتبلغ به في الناس[2]، وما يجزي كل عبد إلا بعمله ثم أملس منهم فذهب. (وروى) هذا المضمون أو قريباً منه الحاكم في المستدرك مع بعض الاختلاف.

وفي الطبقات: بسنده عن قيس بن يسير بن عمرو، عن أبيه أنه كسا أويساً القرني ثوبين من العري، قال: فأي شيء لقي من ابن عم له.

وبسنده عن هرم بن حيان العبدي: قدمت من البصرة فلقيت أويساً القرني على شط الفرات بغير حذاء فقلت: كيف أنت يا أخي، كيف أنت يا أويس، فقال لي: كيف أنت أخي، قلت: حدثني، قال: إني أكره أن أفتح هذا الباب يعني على نفسي أن أكون محدثاً، أو قاصاً، أو مفتياً، ثم أخذ بيدي فبكى قلت: فاقرأ علي، قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3] فغشي عليه ثم أفاق ثم قال: الوحدة أحب إلي (انتهى).

---

(١) أملس بتشديد الميم أصله امتلس قلبت التاء وأدغمت ومعناه: أفلت «المؤلف».

(٢) هكذا في الأصل من قوله: ألا أراك العجب إلى هنا، وكأن فيه تحريفاً «المؤلف».

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

ورواه الحاكم في المستدرك، بسنده عن هرم بن حيان العبدي بأطول من ذلك بكثير مع بعض الاختلاف، ونحن ننقله من المستدرك بأخصر مما ذكره، وبأطول مما في الطبقات، قال هرم بن حيان العبدي: قدمت الكوفة فلم يكن لي بها هم إلا أويس القرني، حتى سقطت عليه جالساً وحده على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت، فسلمت عليه فرد علي، فمددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس كيف أنت ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي له لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى ثم قال: وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي من دلك علي، قلت: الله.

قال لا إله إلا الله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾[1] حين سماني والله ما كنت رأيته قط ولا رآني، ثم قلت: من أين عرفتني وعرفت اسمي وأبي فوالله ما كنت رأيتك قط قبل هذا اليوم ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2] عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك أن الأرواح لها أنفس كأنفس الأحياء أن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ويتحدثون بروح الله وإن لم يلتقوا وإن لم يتكلموا ويتعارفوا وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل!

قلت: حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث احفظه عنك! قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث احفظه عنك!.

قال: إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بلغني من حديثه كما بلغكم ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثاً أو قاضيا ومفتياً في النفس شغل يا هرم بن حيان!.

فقلت: يا أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله اسمعهن منك فأني أحبك في الله حباً شديداً وادعُ بدعوات وأوصِ بوصية أحفظها عنك! فأخذ بيدي على شاطىء الفرات وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم فشهق شهقة ثم بكى مكانه ثم قال: قال ربي تعالى ذكره وأحق

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٣.

القول قوله وأصدق الحديث حديثه وأحسن الكلام كلامه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾[1] ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[2]. حتى بلغ: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾[3] ثم شهق شهقة، ثم سكت وأنا أحسبه قد غشي عليه، ثم ذكر له موعظة ووصية ودعاء لهرم، ثم قال: استودعتك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثم قال لي: لا أراك بعد اليوم فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي ولا تسأل عني ولا تطلبني. فحرصت على أن أسير معه ساعة فأبى علي حتى دخل في بعض السكك فكم طلبته بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء (انتهى).

وهذا الحديث مما استدركه الحاكم على الشيخين مسلم والبخاري وصححه ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك فدل على أنه صحيح عنده. وقد تضمنت أخبار أويس بالمغيبات ومعرفته هرم بن حيان وتسميته باسمه ونسبته إلى أبيه، وهو لم يره قط، ويقول له كما قال رسول الله ﷺ لبعض نسائه: نبأني العليم الخبير!! وإذا روى راوٍ ما يشبه ذلك عن أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام وراث علوم جدهم استعظم ذلك واستكبر وكذب راويه ونسب إلى المغالاة ودعوى علم الغيب للبشر! ما هذا بإنصاف.

وروى فيه بسنده عن سفيان الثوري كان لأويس القرني رداء إذا جلس مس الأرض وكان يقول: اللهم إني أعتذر إليك من كبد جائعة وجسد عارٍ، وليس لي إلا ما على ظهري وفي بطني.

وبسنده عن عطاء الخراساني: ذكروا الحج فقالوا لأويس القرني: أما حججت.

قال: لا.

قالوا: ولم.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.
(٢) سورة الدخان، الآية: ٣٩
(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٢.

فسكت.

فقال رجل منهم:

عندي راحلة.

وقال آخر: عندي نفقة.

وقال آخر: عندي جهاز فقبله منهم وحج به.

✍ شهوده صفين وشهادته وأنه من خير التابعين

قال الكشي: روى يحيى بن آدم عن شريك، عن ابن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: خرج بصفين رجل من أهل الشام فقال: فيكم أويس القرني.

قلنا: نعم.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين أو من خير التابعين أويس القرني ثم تحول إلينا (انتهى).

ويذكرنا هذا الخبر ما جرى لعمار يوم صفين حين روى عمرو بن العاص لأهل الشام: عمار تقتله الفئة الباغية وسؤال جماعة من أهل الشام أهل العراق أفيكم عمار بن ياسر.

وقول ابن أبي الحديد: عجباً لقوم يرتابون لمكان عمار ولا يرتابون لمكان علي بن أبي طالب عليه السلام. ونحن نقول أيضاً: عجباً لقوم يرتابون لمكان أويس لأن روي فيه أنه خير التابعين ولا يرتابون لمكان علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ورد فيه: «حربك حربي وسلمك سلمي»، «علي مع الحق والحق مع علي»، وأمثال ذلك مما شاع وذاع وملأ الأسماع. إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. قال ورثاه دعبل بن علي الكميت بن زيد قصيدته التي يقول فيها (ألا حييت عنا يا ردينا) فقال دعبل:

[البحر الوافر]

أويس ذو الشفاعة كان منا   فيوم البعث نحن الشافعونا

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي مكين، رأيت امرأة في مسجد أويس القرني قال: كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجدهم هذا يصلون ويقرأون في مصاحفهم فآتي غداءهم وعشاءهم ها هنا حتى يصلوا الصلوات قالت: وكان ذلك دأبهم ما شهدوا حتى غزوا فاستشهد أويس وجماعة من أصحابه في الرجالة بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

✍ ما جاء عنه من المواعظ والحكم

في الإصابة: أخرج الحاكم في المستدرك، بسنده عن أسير بن جابر في تتمة الحديث السابق بعد قول أويس من كانت له إليّ حاجة فليلقني بعشاء، ثم قال أويس: إن هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر: مؤمن فقيه، ومؤمن لم يفقه، ومنافق، وذلك في الدنيا مثل الغيث يصيب الشجرة المونقة المثمرة فتزداد حسناً وإيناعاً وطيباً، ويصيب الشجرة غير المثمرة فيزداد ورقها حسناً، ويكون لها ثمرة ويصيب الهشيم من الشجر فيحطمه ثم قرأ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾(1) (انتهى) قلت لم أجده في المستدرك.

وفي الطبقات بسنده جاء رجل من مراد إلى أويس القرني فقال: السلام عليكم.

قال: وعليكم.

قال: كيف أنت يا أويس.

قال: بخير نحمد الله.

قال: الحمد لله.

قال: كيف الزمان عليكم.

قال: ما تسأل رجلاً إذا أمسى لم ير أنه يصبح، وإذا أصبح لم ير أنه يمسي.

يا أخا مراد أن الموت لم يبق لمؤمن فرحاً.

يا أخا مراد إن معرفة المؤمن بحقوق الله لم تبق له فضة ولا ذهباً.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٣.

يا أخا مراد إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً، والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذونا أعداء، ويجدون على ذلك من الفساق أعواناً حتى والله لقد رموني بالعظائم، وأيم الله لا يمنعني ذلك أن أقوم لله بالحق (أن أقول بالحق)، ورواه الحاكم في المستدرك بسنده مثله.

وفي تاريخ ابن عساكر قال أويس لهرم بن حيان: احذر ليلة صبيحتها القيامة ولا تفارق الجماعة فتراق دينك.

يا هرم: توسد الموت إذا نمت واجعله أمامك إذا قمت، ولا تنظر إلى صغر ذنبك ولكن انظر إلى من عصيت، فإن صغرت ذنبك فقد صغرت الله.

وقال له هرم يوماً: صلنا يا أويس بالزيارة.

فقال له: قد وصلتك بما هو خير من الزيارة واللقاء وهو الدعاء بظهر الغيب، إن الزيارة واللقاء ينقطعان والدعاء يبقى ثوابه.

وقال له رجل: أريد أن أصحبك لأستأنس بك.

فقال: سبحان الله ما كنت أرى أحداً يعرف الله يستوحش مع الله.

فقال له: مرني بمكان أنزل به فأومأ بيده نحو الشام.

فقال له: فكيف بالمعيشة.

فقال: قد خالط الشك هذه القلوب فما تنفع معها موعظة.

وكان يقول لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً (انتهى).

وقال ابن عساكر أيضاً، قال أويس: كن في أمر الله كأنك الناس كلهم (انتهى).

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن يزيد بن يزيد البكري قال أويس: كن في أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم (انتهى).

ومعناه على رواية ابن عساكر: ظاهر أي اجتهد في امتثال أمر الله اجتهاداً يقابل اجتهاد جميع الناس.

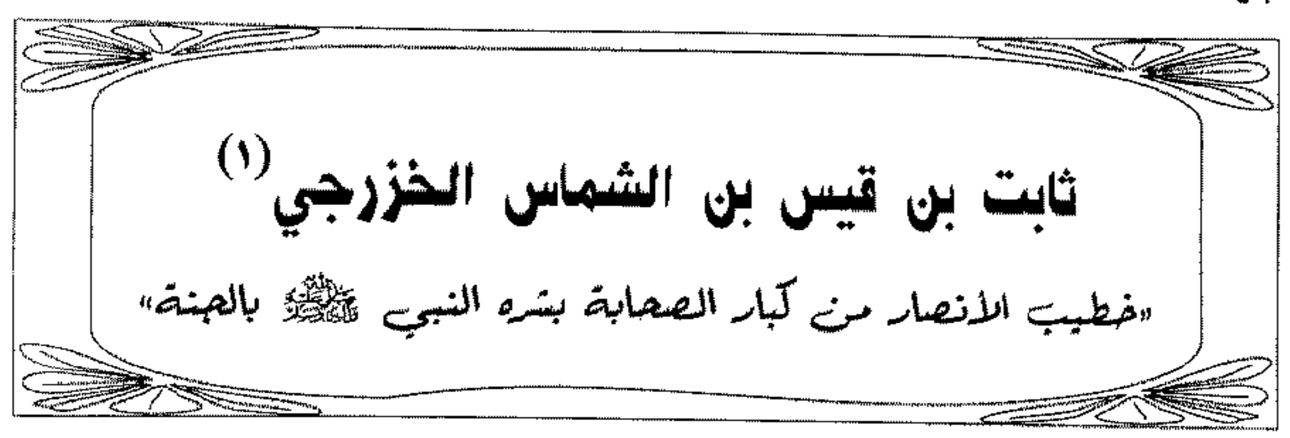
أما على رواية الحاكم: فيمكن أن يكون معناه والله أعلم خف من الله

مخافة من قتل الناس كلهم، ويحتمل أنه سقط من تاريخ ابن عساكر لفظ قتلت ولعله من الناسخ (انتهى).

مصادره:

اتقان المقال/ ٢٨. أسد الغابة ١/ ١٥١. الاشتقاق/ ٤١١ وفيه: أويس بن عمرو. الإصابة ١/ ١١٥. أنساب الأشراف ٢/ ٣٢٠. بهجة الآمال ٢/ ٣٦٣. تأسيس الشيعة/ ٣٥٧. تاريخ الطبري ١٣/ ٨٧. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تاريخ الخميس ٢/ ٢٧٧. تحفة الأحباب/ ٢٦. تقريب التهذيب ١/ ٨٦. تنقيح المقال ١/ ١٥٦ تهذيب التهذيب ١/ ٣٨٦. جامع الرواة ١/ ١١٠. الجرح والتعديل ٢/ ٣٢٦. جمهرة أنساب العرب/ ٤٠٧. حلية الأولياء ٢/ ٧٩. خلاصة الأقوال/ ٢٤. رجال ابن داود/ ٥٣. رجال الشيخ الطوسي/ ٣٥. رجال الكشي/ ٩٨. سفينة البحار ١/ ٥٣. شذرات الذهب١/ ٤٦. شرح ابن أبي الحديد ٣/ ١٦٢ و٨/ ٩ و١٠/ ٤٣ و١٨/ ٥٦ و٢٠/ ٢٢٦. العقد الفريد ٣/ ١٠٥، ٣١٢. قاموس الرجال ٢/ ١٣٠. الكامل في التاريخ ٣/ ٣٢٥. الكنى والألقاب ٢/ ٣٠٠. لسان الميزان ١/ ٤٧١. مجمع رجال الحديث ٣/ ٢٤٤. المناقب ٣/ ١٧٧. منتهى المقال/ ٣٢. ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٨. مجالس المؤمنين ١/ ٢٧٩. النجوم الزاهرة ١/ ١١٢. نقد لرجال/ ٥١. النهاية في غريب الحديث ١/ ٤١٠. وقعة صفّين/ ٣٢٤.





ثابت بن قيس بن الشماس الخزرجي[1]

«خطيب الأنصار من كبار الصحابة بشره النبي ﷺ بالجنة»

استشهد سنة ١١، وفي تهذيب التهذيب سنة ١٢.

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ، وقال: سكن المدينة قتل يوم اليمامة.

وذكره العلامة في الخلاصة في القسم الأول، وابن داود في القسمين.

وقال الشهيد الثاني في حواشي الخلاصة: كان خطيب النبي وشهد له النبي ﷺ بالجنة، استشهد سنة ١١ باليمامة «اهـ».

وعن تقريب ابن حجر: من كبار الصحابة بشره النبي ﷺ بالجنة «اهـ».

وفي الاستيعاب: ثابت بن قيس بن شماس (ابن زهير) بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر، بن ثعلبة بن كعب، بن الخزرج، بن الحارث، بن الخزرج، وأمه امرأة من طي، يكنى أبا محمد بابنه محمد.

وقيل أبا عبد الرحمن، وقتل بنوه محمد ويحيى وعبد الله بنو ثابت بن قيس بن شماس يوم الحرة، وكان ثابت بن قيسر خطيب الأنصار، ويقال له خطيب رسول الله ﷺ كما يقال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيداً[2].

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٢٢، ح٣٢٦٤.

(٢) ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري. أحد الصحابة كان مع النبيّ ﷺ في أحد ويقال: إنه جُرح فيها اثني عشر جرحاً، وسمّاه رسول الله ﷺ «الحاسر». واشترك في الغزوات التي تلتها أيضاً، وكان ثابت الخُطى، شديد النفس.
عندما ثار الناس على عثمان، واستدعى ولاته على الأمصار إلى المدينة للمشورة، استخلف سعيد بن العاص والي الكوفة يومئذٍ ثابتاً عليها. وذكر المؤرّخون أنّ الإمام عليّاً عليه السلام =

قال أنس بن مالك: لما انكشف الناس يوم اليمامة، قلت لثابت بن قيس بن شماس: ألا ترى يا عم - ووجدته قد حسر عن فخذيه يتحنط - فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ بئس ما عودتم أقرانكم ولبئسما عودتم أنفسكم! اللهم أني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء.

وفي أسد الغابة: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني الكفار - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم قاتل حتى قتل.

ورآه بعض الصحابة في النوم فأوصاه أن يأخذ درعه ممن كانت عنده وتباع ويفرق ثمنها في المساكين، فقص الرجل تلك الرؤيا على أبي بكر فبعث في الرجل فاعترف بالدرع فأمر بها فبيعت وأنفذت وصيته، ولا يعلم أحد أنفذت وصيته بعد موته سواه.

ثم روى بسنده عن ثابت بن قيس بن شماس، أن رسول الله ﷺ قال له: يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟ فقتل يوم اليمامة شهيداً.

وأن ابنته قالت لما نزلت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾[1] الآية، دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه وقال: أنا رجل شديد الصوت، أخاف أن يكون قد حبط عملي.

فقال له رسول الله ﷺ: لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير.

=ولاّه على المدائن. وكان معاوية يهابه. وظلّ على المدائن إلى أن استعمل معاوية المغيرة على الكوفة، فعزله.

كان ثابت مع الإمام عليه السلام في حروبه الثلاث.

تاريخ بغداد - في ذِكر ثابت بن قيس بن الخطيم -: شهد مع رسول الله ﷺ أُحداً والمشاهد بعدها. ويقال: إنّه جُرح يوم أُحد اثنتي عشرة جراحة، وعاش إلى خلافة معاوية، واستعمله عليّ بن أبي طالب على المدائن.

أسد الغابة: شهد ثابت مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام الجمل وصفّين والنهروان.

تاريخ بغداد عن عبد الله بن عمارة بن القداح: كان ثابت بن قيس بن الخطيم شديد النفس، وكان له بلاء مع عليّ بن أبي طالب، واستعمله عليّ بن أبي طالب على المدائن، فلم يزل عليها حتى قدم المغيرة بن شعبة الكوفة، وكان معاوية يتّقي مكانه.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

ولما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1] أغلق عليه بابه، وطفق يبكي وقال: إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي.

فقال: لست منهم، بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً.

وفي **الإصابة** بسنده: خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا؟

قال: الجنة!

قالوا: رضينا.

لم يذكره أصحاب المغازي في البدريين، وقالوا: أول مشاهده أحد وشهد ما بعده «اهـ».

وفي **تهذيب التهذيب**؛ ثابت بن قيس بن شماس، بن مالك، بن امرىء القيس الخزرجي، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد.

روى عن النبي صلى الله عليه وآله، وعنه أولاد محمد، وقيس، وإسماعيل، وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، قلت: وشهد بدراً والمشاهد كلها.

دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وهو عليل فقال: اذهب الباس رب الناس، عن ثابت بن قيس بن شماس «اهـ».

وقوله: **شهد بدراً** ينافي ما ذكره في **الإصابة**، من أنه لم يشهدها، وأول مشاهده أحد كما مر.

ومما يدل على أنه من شرط كتابنا ما **ذكره اليعقوبي**، أنه لما استخلف أمير المؤمنين علي عليه السلام كان أول من تكلم من الأنصار ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم، وقد كانوا وكنت، لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت لأحد مع علمك «اهـ».

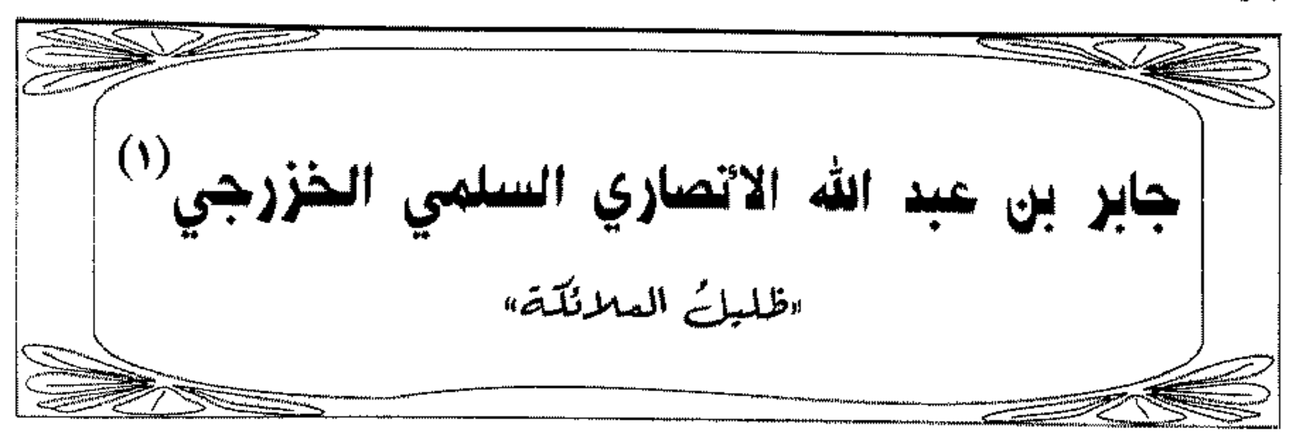
---

(١) سورة ،لقمان الآية: ١٩.

مصادره

إتقان المقال/ ٣١. الاستيعاب ١/ ١٩٨. أسد الغابة ١/ ٢٢٨. الإصابة ١/ ١٩٤. تاريخ بغداد ١/ ١٧٥. تحفة الأحباب/ ٣٧. تقريب التهذيب. ١/ ١١٧. تنقيح المقال ١/ ١٩٣. الجرح والتعديل ٢/ ٤٥٦. جمهرة أنساب العرب/ ٣٤٢. رجال ابن داود/ ٦٠. رجال الشيخ الطوسي/ ١١. سفينة البحار ١/ ١٢٩. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٥٠. ١٣٤ و ١٤/ ٢٦٩. الغدير ٥/ ٦١ و٨/ ٩٩، ٢٧٠ و٩/ ٣١، ٣٦، ١٦٥، ٣٦٤. قاموس الرجال ٢/ ٢٨٤. الكامل في التاريخ ١/ ٦٨١ و٢/ ١٩٢، ١٩٩، ٢١٧، ٣٦٣. ٣٦٥. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٣. لسان الميزان ٢/ ٧٨. مجمع الرجال ١/ ٢٩٨. معجم الثقات/ ٢٤٨. معجم رجال الحديث ٣/ ٣٩٧. نقد الرجال/ ٦٣. النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٥٠.





نسبه

في الاستيعاب، هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمر بن سواد بن سلمة الأنصاري السلمي من بني سلمة، ويقال: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة.

وفي أسد الغابة: يجتمع هو و الذي قبله - يعني جابر بن عبد الله بن رياب - في غنم بن كعب وكلاهما أنصاريان سلميان، وقال: إن الأشهر في نسبه هو الثاني.

(وحرام) في تاج العروس في مادة حرم بالحاء والراء المهملتين قال: وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي والد جابر «اهـ» وكذلك رسم في الكتاب التي رأيناها بالهملتين وهو من أسماء العرب الشائعة ولكن في منهج المقال عن تقريب ابن حجر أنه بمهملة وزاي «اهـ» لعله تحريف من الناسخ فأبدل راء بزاي (والسلمي) بفتحتين.

وفاته ومدة عمره

في الإستيعاب: توفي سنة ٧٤، وقيل: سنة ٧٨، وقيل: سنة ٧٧ وصلى عليه أبان بن عثمان وهو أميرها، وقيل: توفي وهو ابن ٩٤ سنة «اهـ» وزاد في الإصابة نقل القول بأنه مات سنة ٧٣ وفي المستدرك للحاكم بسنده عن أبي نعيم أنه مات سنة ٧٩.

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٦٤، ح٣٣٠٧.

وحكي في الإصابة عن علي بن المديني أنه أوصى أن لا يصلي عليه الحجاج.

وقال: إنه موافق للقول بأنه توفي سنة ٧٤.

قال: وفي الطبري وتاريخ البخاري ما يشهد له وهو أن الحجاج شهد جنازته «اهـ».

ويأتي في رواية الكشي أنه كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال ابن عساكر: كان آخر من مات من الصحابة بالمدينة «اهـ» ومثله في تهذيب التهذيب وفي الإصابة روى البغوي: وهو وهم وآخرهم سهل بن سعد «اهـ». وسيأتي عن أسد الغابة أنه آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، وهذا هو الصواب.

أمه

في الاستيعاب: أمه نسيبة بنت عقبة بن عبدي بن سنان بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم. وفي أسد الغابة: تجتمع هي وأبوه في حرام.

كنيته

في الاستيعاب: اختلف في كنيته فقيل: أبو عبد الرحمن وأصح ما قيل: أبو عبد الله.

وفي الإصابة: يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد «اهـ».

حليته

في أسد الغابة: عن الكلبي أنه عمي في آخر عمره، وكان يحفي شاربه وكان يخضب بالصفرة «اهـ».

وفي الإصابة: روى البغوي من طريق عاصم بن عمرو بن قتادة قال: جاءنا جابر بن عبد الله وقد أصيب بصره وقد مس رأسه ولحيته بشيء من صفرة.

أقوال العلماء فيه

كان من أجلاء المفسرين كما عن أبي الخبر في طبقات المفسرين والسيوطي، وشهد صفين مع علي عليه السلام، وكان منقطعاً إلى أهل البيت كما يأتي.

وعده ابن عبد البر في الاستيعاب ممن فضل علياً على غيره، ونص على تشيعه ابن شاذان، وابن عقدة والكشي، هو أول زائر للحسين عليه السلام.

وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جابر بن عبد الله بن حرام، نزل المدينة، شهد بدراً وثماني عشرة غزوة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مات سنة ٧٨.

وذكره في أصحاب علي عليه السلام فقال: جابر بن عبد الله الأنصاري المدني العربي الخزرجي.

وذكره في أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام فقال: جابر بن عبد الله الأنصاري.

وذكره في أصحاب علي بن الحسين عليه السلام فقال: جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكره في أصحاب الباقر عليه السلام فقال: جابر بن عبد الله بن حرام أبو عبد الله الأنصاري صحابي.

وفي الخلاصة: جابر بن عبد الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جابر بن عبد الله بن حرام أبو عبد الله الأنصاري صحابي.

وفي الخلاصة: جابر بن عبد الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهد بدراً.

وأورد الكشي في مدحه روايات كثيرة من غير أن يورد ما يخالفها، وقد ذكرناها في الكتاب الكبير.

قال الفضل بن شاذان: إنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام. قال ابن عقدة: إن جابر بن عبد الله منقطع إلى أهل البيت، وروى مدحه عن محمد بن مفضل، عن محمد بن سنان، عن حريز، عن الصادق عليه السلام (اهـ).

وفي آخر الباب الأول من الخلاصة عن البرقي أنه كان من الأصفياء «اهـ»[1].

---

(١) صحابي ذائع الصيت، عمّر طويلاً. وكان مع أبيه في تلك الليلة التاريخيّة المصيريّة التي عاهد فيها أهل يثرب رسول الله ﷺ على الدفاع عنه ودعمه ونصره، وبيعتهم وهي البيعة المشهورة في التاريخ الإسلامي بـ- «بيعة العقبة الثانية».
ولمّا دخل النبيّ ﷺ المدينة، صحبه وشهد معه حروبه ولم يتنازل عن حراسة الحقّ وحمايته بعده ﷺ، كما لم يدّخر وسعاً في تبيان منزلة عليٍّ عليه السلام والتنويه بها. أثنى الأئمّة عليهم السلام على رفيع مكانته في معرفة مقامهم عليهم السلام، وعلى وعيه العميق للتيّارات المختلفة بعد رسول الله ﷺ، ومعارف التشيّع الخاصّة، وفهمه النافذ لعمق القرآن. وأشادوا به واحداً من القلّة الذين لم تتفرّق بهم السبل بعد النبيّ ﷺ، ولم يستبِقوا الصراط بعده، بل ظلّوا معتصمين متمسّكين به.
قلنا إنه عمّر طويلاً، لذا ورد اسمه الكريم في صحابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، والإمام السجّاد عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام، وهو الذي بلّغ الإمام الباقر عليه السلام سلامَ رسول الله ﷺ له. وكان قد شهد صفّين مع الإمام عليه السلام. وهو أوّل من زار قبر الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء في اليوم الأربعين من استشهادهم، وبكى على أبي عبد الله كثيراً.
والروايات المنقولة عنه بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وما أُثر عنه من أخبار تفسيريّة، ومناظراته، تدلّ كلّها على ثبات خُطاه، وسلامة فكره، وإيمانه العميق، وعقيدته الراسخة. وصحيفة جابر مشهورة أيضاً ولأنّه لم ينصر عثمان في فتنته، فقد ختم الحجّاج بن يوسف على يده يريد إذلاله بذلك. فارق جابر الحياة سنة ٧٨ هـ.
علل الشرائع عن أبي الزبير المكّي: رأيت جابراً متوكّئاً على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم، وهو يقول: «عليّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر. يا معشر الأنصار! أدّبوا أولادكم على حبّ عليّ، فمن أبى فانظروا في شأن أمّه».
الإمام الصادق عليه السلام: إنّ جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت.
عن أبان بن تغلب، قال حدّثني أبو عبد الله عليه السلام قال: إنّ جابر بن عبد الله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله ﷺ وهو معتمّ بعمامة سوداء وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون جابر يهجر فكان يقول لا والله ما أهجر ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول. =

وقال الكشي في رجاله عن الفضل بن شاذان أنه قال: من السابقين الذين رجوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

= قال، فبينا جابر يتردّد ذات يوم في بعض طرق المدينة: إذ هو بطريق في ذلك الطريق كتّاب فيه محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، فلمّا نظر إليه قال: يا غلام أقبل! فأقبل ثمّ قال: أدبر! فأدبر، فقال: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفس جابر بيده، يا غلام ما اسمك؟ فقال: اسمي محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فأقبل عليه يقبّل رأسه وقال: بأبي أنت وأمّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام ويقول لك ويقول لك.

قال: فرجع محمّد بن عليّ عليه السلام إلى أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام وهو ذعر، فأخبره الخبر، فقال له: يا بنيّ قد فعلها جابر؟ قال: نعم، قال: يا بنيّ الزم بيتك.

قال، فكان جابر يأتيه طرفي النهار فكان أهل المدينة يقولون: واعجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلم يلبث أن مضى عليّ بن الحسين عليه السلام فكان محمّد بن عليّ يأتيه على وجه الكرامة لصحبته برسول الله صلى الله عليه وآله قال، فجلس فحدّثهم عن أبيه، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قطّ أجرأ من ذا.

قال: فلمّا رأى ما يقولون حدّثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قطّ أكذب من هذا يحدّث عمّن لم يره، قال: فلمّا رأى ما يقولون حدّثهم عن جابر بن عبدالله فصدّقوه، وكان جابر والله يأتيه يتعلّم منه.

حدّثني أبو محمّد جعفر بن معروف، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن النعمان، عن أبيه، عن عاصم الحنّاط، عن محمّد بن مسلم، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إنّ لأبي مناقب ما هنّ لآبائي، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: إنّ تدرك محمّد بن عليّ فاقرأه منّي السلام، قال: فأتى جابر منزل عليّ بن الحسين عليه السلام فطلب محمّد بن عليّ عليه السلام، فقال له علي عليه السلام، هو في الكتاب أرسل لك إليه، قال: لا ولكنّي أذهب إليه، فذهب في طلبه، فقال للمعلّم: أين محمّد بن عليّ؟ قال: هو في تلك الرفقة[1] أُرسل لك إليه، قال: لا ولكنّي أذهب إليه، قال: فجاءه فالتزمه وقبّل رأسه، وقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلني إليك برسالة أن أقرئك السلام! قال: عليه وعليك السلام، ثمّ قال له جابر: بأبي أنت وأمّي اضمن لي أنت الشفاعة يوم القيامة! قال: فقد فعلت ذلك يا جابر.

(١) الرفقة بضم الراء وإسكان الفاء الجماعة المترافقون، والجمع وفاق بالكسر.

وقال أيضاً: جابر بن عبد الله الأنصاري حمدوية وإبراهيم ابنا نصير قالا: حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن معاوية بن عمار، عن أبي الزبير المكي قال: سألت جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب؟.

قال: فرفع حاجبيه عن عينيه وقد كانا سقطا على عينيه قال: فقال ذلك خير البشر! أما والله إن كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم إياه.

محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن محمد بن يزيد القمي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى القمي عن ابن فضال، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عبد الله أبو جابر بن عبد الله من السبعين ومن الإثني عشر، وجابر من السبعين وليس من الاثني عشر[1].

أحمد بن علي القمي السلولي قال: حدثني إدريس بن أيوب القمي، عن الحسين بن سعيد، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جابر وأثنى عليه خيراً، قال: فقلت له وكان من أصحاب علي عليه السلام! قال: كان جابر يعلم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2].

أحمد بن علي قال: حدثني إدريس، عن الحسين بن بشير قال: حدثني هشام بن سالم عن محمد بن مسلم وزرارة قالا: سألنا أبا جعفر عليه السلام عن أحاديث فرواها عن جابر، فقلنا ما لنا ولجابر؟.

فقال: بلغ من إيمان جابر أنه كان يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

أحمد بن علي القمي شقران السلولي قال: حدثني إدريس، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن إسماعيل، عن منصور بن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: ما لنا ولجابر تروي عنه؟.

---

(١) السبعون: هم الذين بايعوا النبي ﷺ في بيعة العقبة، والاثنا عشر: هم الذين بايعوه أول ليلة البيعة «المؤلف».

(٢) سورة القصص الآية: ٨٥.

فقال: يا زرارة إن جابر قد كان يعلم تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾.

محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن محمد قال: حدثني محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن المنقري (ابن التغلبي)، عن علي بن الحكم، عن فضيل بن عثمان، عن أبي الزبير قال: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم ويقول: «**علي خير البشر فمن أبى فلينظر في شأن أمه**».

وفي مجالس المؤمنين، نقلاً عن أفضل المحققين الخواجة نصير الدين محمد بن الحسين الطوسي في رسالته المسماة أوصاف الأشراف ما تعريبه: إن جابر بن عبد الله لما ابتلي في آخر عمره بالضعف والكبر ذهب الإمام محمد الباقر إلى زيارته وسأله عن حاله، فقال: أنا في حال الكبر أحب إلي من الشباب، والمرض أحب إلي من الصحة، والموت أحب إلي من الحياة.

فقال الباقر عليه السلام: أما أنا فأحب إلي الحالة التي يختارها الله لي من الشباب، والكبر، والمرض، والعافية، والحياة، والموت.

فلما سمع جابر ذلك أخذ يد الباقر عليه السلام وقبلها وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الخبر».

وفي الاستيعاب: شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ولم يشهد الأولى ذكره بعضهم في البدريين ولا يصح لأنه قد روي عنه أنه قال: لم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي.

وذكر البخاري أنه شهد بدراً وكان ينقل لأصحابه الماء يومئذٍ، ثم شهد بعدها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثماني عشرة غزوة، ذكر ذلك الحاكم أبو أحمد.

وقال ابن الكلبي: شهد أحداً وشهد صفين مع علي.

وروى أبو الزبير عن جابر قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه إحدى وعشرين غزوة. شهدت منها معه تسع عشرة غزوة.

وكان من المكثرين الحفاظ للسنن وكف بصره في آخر عمره «اهـ».

وفي أسد الغابة بسنده قال جابر: لم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي، فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط.

وقال الكلبي: شهد جابر أحداً.

وقيل شهد مع النبي ﷺ ثماني عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

قال وذكره ابن منده في اسمه إن رسول الله ﷺ حضر الموسم وخرج نفر من الأنصار منهم أسعد بن زرارة وجابر بن عبد الله السلمي وغيرهما، فأتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، فظن أن جابر بن عبد الله السلمي هو المترجم وليس كذلك، وإنما هو جابر بن عبد الله بن رباب وقد كان المترجم أصغر من شهد العقبة الثانية مع أبيه، فيكون في أول الأمر رأساً فيهم هذا بعيد، على أن النقل الصحيح عن الأئمة أنه جابر بن عبد الله وكان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن.

ثم روى بسنده عن جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.

فقيل لجابر: إن البراء يقول: اهتز السرير؟.

فقال جابر: كان بين هذين الحيين الأوس والخزرج ضغائن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن. قلت: وجابر أيضاً من الخزرج حمله دينه على قول الحق والإنكار على من كتمه «اهـ».

قال المؤلف: توضيح ذلك أن سعد بن معاذ أوسي والبراء خزرجي، فلما سمع البراء رواية جابر أن عرش الرحمن اهتز لموت سعد بن معاذ، أنكر هذه الرواية وقال: اهتز السرير، أي الذي حمل عليه سعد أو نحوه تكذيباً للرواية، فأشار جابر إلى أن الذي حمل البراء على ذلك أنه خزرجي وسعد أوسي وبين الأوس والخزرج ضغائن وأعاد رواية الحديث مؤكداً أن الذي سمعه: اهتز عرش الرحمن.

فقال ابن الأثير: إن جابراً مع أنه خزرجي أيضاً كالبراء حمله دينه على قول الحق والإنكار على البراء الذي كتمه.

ثم روى في أسد الغابة بسنده إلى جابر قال: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة - يعني بقوله: «ليلة البعير» أنه باع من رسول الله ﷺ بعيراً واشترط ظهره إلى المدينة، وكان في غزوة لهم «اهـ».

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن جابر قال: استغفر لي رسول الله ﷺ خمساً وعشرين استغفارة كل ذلك أعدها بيدي يقول: أديت عن أبيك دينه، فأقول: نعم، فيقول: يغفر الله لك.

وفي الإصابة: جابر أحد المكثرين عن النبي ﷺ، روى عنه جماعة من الصحابة، وله ولأبيه صحبه.

وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة، وروى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح، عن أبي سفيان عن جابر قال: كنت أميح[1] أصحابي الماء ببدر، وأنكر الواقدي رواية أبي سفيان، عن جابر المذكور. وفي مصنف وكيع عن هشام بن عروة قال: كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد يعني النبوي يؤخذ عنه العلم «اهـ».

وفي المستدرك للحاكم، بسنده عن محمد بن عمر (الواقدي) قال: شهد جابر بن عبد الله العقبة في السبعين من الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ عندها، وكان من أصغرهم يومئذٍ، وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته وكن تسعاً، وخلفه أيضاً حين خرج إلى أحد وشهد ما بعد ذلك من المشاهد «اهـ».

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: كان جابر يقول: كنت أميح لأبي الماء يوم بدر.

قال محمد بن سعد: ذكرت لمحمد بن عمر - الواقدي - هذا الحديث، فقال: هذا وهم من أهل العراق، وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً، وكان جابر يقول: لم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي، ثم لم أتخلف عن غزوة قط «اهـ».

---

(١) المايح بالمثناة التحتية الذي يكون في البئر يملأ الدلو والماتح بالمثناة الفوقية الذي يكون على فم البئر فيخرج الدلو منها. «المؤلف».

شيء من سيرته

قال ابن طاووس في كتاب الملهوف: ولما رجعت نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابراً بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع عليهم نساء ذلك السواد وأقاموا على ذلك أياماً «اهـ».

وعن كتاب بشارة المصطفى وغيره، بسنده عن الأعمش، عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه زائراً قبر الحسين عليه السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطىء الفرات فاغتسل ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال: المسنيه فألمسته إياه، فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فلما أفاق قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: أنى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفرق بين بدنك ورأسك، أشهد أنك ابن خير النبيين وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكسا، وابن سيد النقاب وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية، فقلت لجابر: فكيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب

بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟.

فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه.

قال عطية: فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع من ناحية الشام.

فقلت: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام.

فقال جابر لعبده: انطلق إلى هذا السواد وائتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حر لوجه الله تعالى.

قال: فمضى العبد فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته.

فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من زين العابدين عليه السلام.

فقال الإمام: أنت جابر.

فقال: نعم يا بن رسول الله.

فقال: يا جابر هاهنا والله قتلت رجالنا وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا «اهـ».

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠ في هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة إلى أن قال: فأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فقال لها ماذا ترين إن هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل، قالت: أرى أن تبايع، فأتاه جابر فبايعه «اهـ».

وفي تاريخ اليعقوبي أنه قال لأم سلمة: إني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة، فقالت: إذاً فبايع فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم «اهـ».

وفي **شرح النهج لابن أبي الحديد**، عن إبراهيم بن هلال قال: روى عوانة عن الكلبي ولوط بن يحيى في خبر إرسال معاوية بسرا إلى الحجاز واليمن أن بسرا فقد جابر بن عبد الله فقال: ما لي لا أرى جابراً يا بني سلمة لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر، فعاذ جابر بأم سلمة فأرسلت إلى بسر بن أرطأة فقال: لا أؤمنه حتى يبايع.

فقالت له أم سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: إذهب فبايع فذهبا وبايعا.

قال إبراهيم: وروى الوليد بن كثير، عن وهب بن كيسان قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما خفت بسرا وتواريت عنه قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر فأتوني، وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا، وسبيت ذرارينا، فاستظهرتهم إلى الليل، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت. يا بني انطلق فبايع احقن دمك ودماء قومك، فإني قد أمرت ابن أخي أن يذهب فيبايع، وإني لأعلم أنها بيعة ضلالة.

وفي **تاريخ دمشق لابن عساكر** قدم جابر مصر أيام مسلمة بن مخلد.

وقال ابن منده: قدم جابر الشام، وأخرج ابن عساكر عن جابر أنه قال: انطلقنا من غزوة تبوك فمر بي النبي ﷺ بالليل وجملي قد قام وأنا أحط عنه فقال: من هذا؟.

قلت: جابر.

قال: مالك؟.

قلت: جملي قد قام وأنا أحط عنه.

فقال: أردد عليه متاعك، واركبه فدنا منه فمسه فقام بي الجمل فجعلت لا أضبطه في السير، ثم قال لي: يا جابر تبيعني جملك.

قلت: نعم.

فقال: بكم.

قلت: بدرهم.

قال: لا يكون جمل بدرهم.

قلت: بدرهمين.

فقال: لا أخذته منك إلا بأربعين درهماً وحملناك عليه في سبيل الله، ثم قال: يا جابر يوشك أن تأتي المدينة فتنام على فراشك.

فقلت: يا رسول الله لا والذي بعثك بالحق ما لنا فراش ننام عليه إلا أن أرضنا رملة فنرشها بالماء فننام عليها.

وروى ابن عساكر، بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما انصرفنا راجعين - يعني من غزوة ذات الرقاع - فكنا بالسفرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر ما فعل دين أبيك.

قلت: يا رسول الله هو عليه انتظر أن نجد نخله.

فقال: إذا جذذت فأحضرني واعزل العجوة على حدتها وألوان التمر على حدتها.

وقال: من صاحب دين أبيك.

قلت: أبو الشحم اليهودي له على أبي تبعة (بقية ظ) من تمر فجعلت الصيحاني على حدة وأمهات الحداديق على حدة والعجوة على حدة ثم عمدت إلى جماع من التمر على اختلاف أنواعه، وهو أقل التمر فجعلته جبلاً واحداً، فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى التمر مصنفاً قال: اللهم بارك له ثم انتهى إلى العجوة فمسها ومس أصناف التمر ثم قال: ادع غريمك فجاء أبو الشحم فاكتال حقه كله جبل واحد وهو العجوة.

فقال: يا جابر هل بقي على أبيك شيء.

قلت: لا وبقي سائر التمر فأكلنا منه دهراً وبعنا منه حتى أدركت الثمرة من قابل، ولقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما على أبي من الدين، فلقد رأيتني والنبي صلى الله عليه وآله يقول لي: ما فعلت في دين أبيك.

فقلت: قد قضاه الله.

فقال: اللهم اغفر لجابر فاستغفر لي في ليلة خمساً وعشرين مرة.

وقال: قال جابر: دخلت على الحجاج فما سلمت عليه.

وقال زيد بن أسلم: إن جابراً كف بصره وذكر أمامه يوماً ما يلبسه السلطان من الخز والوشي وما يصنع فقال: ليت سمعه قد ذهب كما ذهب بصره حتى لا يسمع من أحاديث السلطان شيئاً ولا يبصره.

ودخل على عبد الملك بن مروان فرحب به وقربه فقال له جابر: يا أمير المؤمنين هذه طيبة إن رأيت أن تصل أرحام أهلها وتعرف حقهم، فكره عبد الملك ذلك منه وأعرض عنه، وجعل جابر يلح عليه فأومأوه إليه فسكت، فلما خرج قال له قبيصة: إن هؤلاء القوم صاروا ملوكاً.

فقال له جابر: أبلاك الله بلاء حسناً، فإنه لا عذر لك وصاحبك يسمع.

فقال: إنه لا يسمع إلا ما يوافقه، وقد أمر لك أمير المؤمنين بخمسة آلاف درهم فاستعن بها على زمانك، فقبلها جابر.

وأخرج ابن عساكر، عن جابر قال: عادني رسول الله ﷺ فوجدني مريضاً لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ ثم رش علي منه فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله، فأنزل الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين، وفي لفظ فقلت يا رسول الله إنه لا يرثني إلا كلالة فنزلت آية الفرائض (اهـ).

وقوله: لا يرثني إلا كلالة ينافي ما رواه ابن عساكر في آخر ترجمة جابر أن أبان بن عثمان أرسل إلى أولاد جابر يقول: إذا مات أبوكم فلا تقبروه حتى أصلي عليه الحديث.

بعض ما روي من طريق جابر

عن مسند أحمد أنه روى عن جابر، عن النبي ﷺ: هلاك بالرجل يدخل عليه الرجل من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدمه له، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قرب إليهم «اهـ».

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق، بسنده عن جابر أنه قال: كانت الصلاة مع رسول الله ﷺ حين كان الظل مثل الشراك، ثم صلى العصر حين كان الظل (للشيء) مثله، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى بنا الفجر ثم صلى الظهر حين كان ظل كل شيء مثله، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه قدر ما يسير الراكب إلى ذي الحليفة العنق، ثم صلى المغرب حين غاب الشفق، ثم صلى العشاء حين ذهب ثلث الليل، ثم صلى بنا الفجر فأسفر، فقيل له: كيف نصلي مع الحجاج وهو يؤخر.

فقال: ما صلاها للوقت فصلوا معه فإذا أخر فصلوها لوقتها واجعلوها معه نافلة «اهـ».

بعض ما روي عن جابر من الحكم

في تاريخ دمشق لابن عساكر كان جابر يقول: تعلموا العلم ثم تعلموا الحلم، ثم تعلموا العلم، ثم تعلموا العمل بالعلم ثم أبشروا.

التمييز

وفي مروج الذهب، مات جابر بن عبد الله الأنصاري في أيام عبد الملك بالمدينة سنة ٧٨ وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة، وقد كان قدم إلى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياماً فلما أذن له قال: يا معاوية أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته.

فغضب معاوية وقال: لقد سمعته يقول لكم: ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا علي الحوض أفلا صبرت.

قال: ذكرتني ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه إليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب إليه:

[البحر الكامل]

إني لأختار القنوع على الغنى وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضي

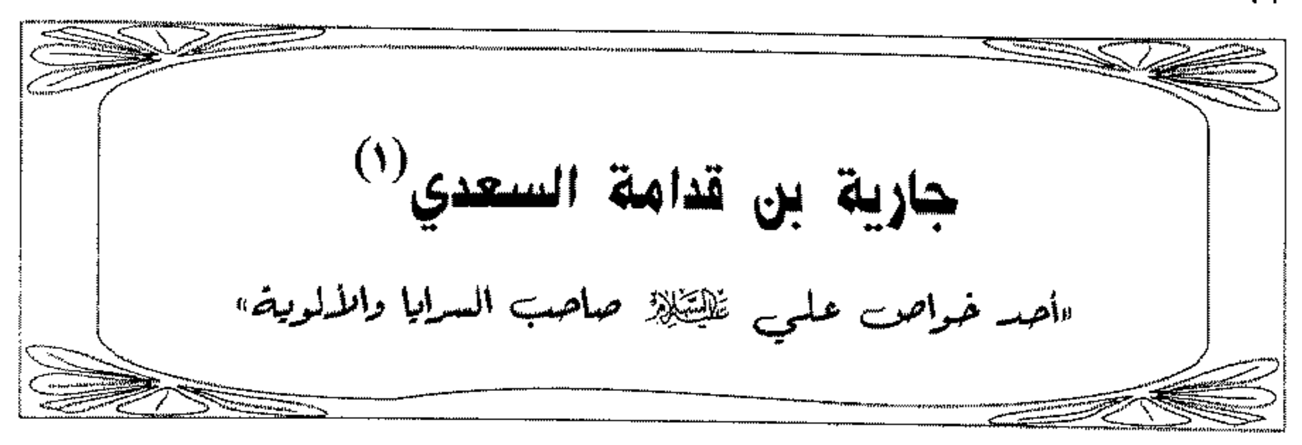
وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لا أهين له عرضي

وقال لرسوله قل له: والله يا بن آكلة الأكباد لا يوجد في صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً «اهـ».

✍ مصادره:

إتقان المقال/ ١٦٨. الأخبار الطوال/ ٣١٦، ٣٧٨. الاستيعاب ١/ ٢٢١. أسد الغابة ١/ ٢٥٦. و٣/ ٢٣١. الاشتقاق/ ٤٦٢. الإصابة ١/ ٢١٣. أعلام نهج البلاغة/ ١٦. الأمالي/ ٨٣. أنساب الأشراف ٣/ ٢٦. الإمامة والسياسة ١/ ١٨٣. الأعلام ٢/ ٩٢. البداية والنهاية ٨/ ٢١٣. بهجة الآمال ٢/ ٤٨٠. تأسيس الشيعة/ ٣٢٣. تاريخ الطبري ١٣/ ٩٠. تاريخ الخلفاء/ ١٦٨، ٢٢٢. تاريخ الخميس ٢/ ٣١٠. تحفة الأحباب/ ٣٩. تقريب التهذيب ١/ ١٢٢. تنقيح المقال ١/ ١٩٩. تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٣. جامع الرواة ١/ ١٤٣. الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٢. جلاء العيون ٢/ ٢٧٢. جمهرة أنساب العرب / ٣٥٩. خلاصة الأقوال/ ٣٤٠. رجال ابن داود/ ٦٠. رجال الطوسي/ ٣٧. رجال البرقي/ ٢. سفينة البحار ١/ ١٤٠. شذرات الذهب ١/ ٨٤. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٣٢٢ و٢/ ١٠ و٩/ ٦٠ و١٢/ ٩٤ و١٣/ ٢٢٨ و٢٠/ ٢٢١. الطبقات الكبرى ٣/ ٥٦١. طبقات الحفاظ/ ١١. العقد الفريد ٢/ ٢٤١ و٣/ ٢٩٦ و٥/ ١٤٢، ٢٨٢ و٧/ ٢١٦. العبرا/ ٨٩. الغدير ١/ ١٠٤، الفهارس/ ١٠١. الغارات ١/ ١٠٢، ٣٥٥، ٣٦٠، و٢/ ٦٠٤، ٦٠٦، ٩١٤. الفوائد الرجالية ١/ ٢٧١، ٢٩٥. قاموس الرجال ٢/ ٣١٠. الكامل في التاريخ ٢/ ٤٩ و٣/ ٣٨٣ و٤/ ٦٢، و١٠/ ٥٤٥. اللباب ٢/ ١٢٩. مجمع الرجال ٢/ ٢. مرآة الجنان ١/ ١٥٨. مروج الذهب ٣/ ١٢٢. المشتبه ١/ ٣٠١. المعارف/ ١٠٣٣. معجم الثقات/ ٢٥، ٢٥٠. معجم رجال الحديث ٤/ ٩، ١١. منتهى المقال/ ٧٣. مجالس المؤمنين ١/ ٢٧٠. النجوم الزاهرة ١/ ١٩٦. نقد الرجال/ ٦٥. نكت الهميان/ ١٣٢. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٧٢. وقعة صفين/ ٢١٧.





جارية بن قدامة السعدي[1]

«أحد خواص علي عليه السلام صاحب السرايا والألوية»

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وقال: عم الأحنف وقيل ابن عمه، نزل البصرة، ثم ذكره في أصحاب علي عليه السلام فقال: جارية بن قدامة السعدي عم الأحنف هذا على بعض النسخ.

وفي بعضها في أصحاب علي عليه السلام حارثة بالحاء المهملة والراء والثاء المثلثة وهو تصحيف قطعاً.

ووجد على كتاب رجال الشيخ بخط ابن إدريس هكذا.

قال محمد بن إدريس هذا إغفال واقع في التصنيف وإنما هو جارية بن قدامة السعدي التميمي أحد خواص علي عليه السلام، صاحب السرايا والألوية والخيل يوم صفين، وكان ينبغي أن يكون في باب الجيم بغير شك «اهـ» والأمر كما قال.

وذكره الكشي في رجاله في ترجمة الأحنف بن قيس وفي جون بن قتادة باسم حارثة بالحاء المهملة والراء والثاء المثلثة وهو تصحيف قطعاً كما مر، والصواب جارية، فإن أهل التاريخ لا يشكون في أنه جارية لا حارثة.

قال ابن الأثير: جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان «اهـ».

قال الكشي: جون بن قتادة وحارثة بن قدامة السعدي طاهر بن عيسى الوراق وغيره قالوا: حدثنا أبو سعيد جعفر بن أحمد بن أيوب التاجر السمرقندي

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٨٢، ح٣٣٣٠.

ونسخت من خط جعفر قال: حدثني أبو جعفر محمد بن يحيى بن الحسن قال جعفر ورأيته خيراً فاضلاً قال: أخبرني أبو بكر محمد بن علي بن وهب قال: حدثني عدي بن حجر قال: قال الجون، وقيل: الحارث بن قتادة العبسي في حارثة بن قدامة السعدي حين وجهه أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل نجران عند ارتدادهم عن الإسلام:

[البحر الطويل]

تهود أقوام بنجران بعدما أقروا بآيات الكتاب وأسلموا

فصرنا إليهم - في الحديد - يقودنا أخو ثقة ماضي الجنان مصمصم

خددنا لهم في الأرض من سوء فعلهم أخاديد فيها للمسيئين منقم

وقال الكشي أيضاً في ترجمة الأحنف: وروي أن الأحنف بن قيس وفد إلى معاوية وحارثة بن قدامة «اهـ»، والصواب: جارية كما عرفت. وفي الاستيعاب جارية بن قدامة التميمي السعدي يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا أيوب، وقيل: أبا يزيد نسبه بعضهم فقال: جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن، ويقال: حصين بن رزاح (وقيل: رباح) بن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدي التميمي، يعد في البصريين.

روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة، وكان مع علي في حروبه، وهو الذي حاصر عبد الله بن الحضرمي في دار سنبيل[1] ثم حرق عليه، وكان معاوية بعث أبا الحضرمي ليأخذ البصرة وبها زياد خليفة لابن عباس فنزل عبد الله بن الحضرمي في بني تميم، وتحول زياد إلى الأزد وكتب إلى علي، فوجه إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي فقتل، فبعث جارية بن قدامة روى عنه الأحنف بن قيس. ويقال: إن جارية بن قدامة عم الأحنف، وعسى أن يكون عمه لأمه وإلا فما يجتمعان إلا في سعد بن زيد مناة.

روى هشام بن عروة عن أبيه عن الأحنف بن قيس أنه أخبره ابن عم

---

(١) كذا في النسخة، وفي أسد الغابة: ابن شبيل، وفي أكثر الكتب: ابن سنبيل، وفي بعضها سنبيل وكأنه الصواب. «المؤلف».

له وهو جارية بن قدامة أنه قال: يا رسول الله قل لي قولاً ينفعني وأقلل لعلي أعقله!.

قال: لا تغضب، فعاد له مراراً، فرجع إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تغضب «اهـ».

وفي أسد الغابة: جارية بن قدامة التميمي السعدي عم الأحنف بن قيس، وقيل: ابن عم الأحنف، قاله ابن مندة وأبو نعيم، إلا أن أبا نعيم قال: وقيل: ليس بعمه ولا ابن عمه أخي أبيه وإنما سماه عمه توقيراً، وهذا أصح فإنهما لا يجتمعان إلا إلى كعب بن سعد بن زيد مناة، فإن أراد بقوله ابن عمه إنهما من قبيلة واحدة، فربما يصح ذلك «اهـ».

وفي الطبقات الكبير لابن سعد ذكره فيمن نزل البصرة من الصحابة فقال: جارية بن قدامة السعدي، ثم روى بسنده عن الأحنف بن قيس عن ابن عم له يقال له: جارية بن قدامة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله قلي لي قولاً ينفعني وأقلل لي لعلي أعيه!.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تغضب! ثم أعاده عليه فقال: لا تغضب حتى أعاده عليه مراراً، كل ذلك يقول له: لا تغضب.

(أقول): ومن هذه الرواية يفهم أن الصواب أنه ابن عم الأحنف لا عمه - أي من عشيرته، فإن العرب تسمي عشيرة الأب أعماماً وأبناء أعمام، وعشيرة الأم أخوالاً وأبناء أخوال. ثم قال ابن سعد: وجارية بن قدامة فيمن شهد قتل عمر بن الخطاب قال: وكنا من آخر من دخل عليه فسألناه وصية ولم يألها إياه أحد قبلنا.

ولجارية بن قدامة أخبار ومشاهد، كان علي بن أبي طالب عليه السلام بعثه إلى البصرة وفيها عبد الله بن عامر بن الحضرمي خليفة عبد الله بن عامر بن كريز، فحاصره في دار سنيب رجل من بني تميم، وكان معاوية بعثه إلى البصرة يبايع له «اهـ».

وفي المستدرك للحاكم ذكر جارية بن قدامة التميمي، ثم روى بسنده أنه

جارية بن قدامة بن زهير بن حصين بن رباح بن سعد بن يحيى بن ربيعة بن كعب يكنى أبا الوليد وأبا يزيد، له دار بالبصرة في سكة البحارية«اهـ»(١).

---

(١) جارية بن قدامة التميمي السعدي. كان من صحابة النبيّ ﷺ، ومن أنصار عليّ عليه السلام الأبرار الشجعان. ، وكان فتيّ القلب، عميق الرؤية، ذا شخصيّة رفيعة جعلته ودوداً محبوباً. وكان ثابت القدم في حبّ عليّ عليه السلام، شديداً على أعدائه.
ولما تقلّد الإمام الخلافة، أخذ له البيعة في البصرة. وكان من جملة الهائمين بحبّه، الذين عُرفوا باسم «شرطة الخميس». وقد شهد مشاهده كلّها بجدٍّ وتفانٍ.
وتولّى قيادة قبيلة «سعد» و «رباب» في صفين.
وكان خطيباً مفوّهاً، ويشهد على لباقته وبلاغة لسانه محاوراته في صفّين، وكلماته الجريئة، وعباراته القويّة الدامغة في قصر معاوية دفاعاً عن إمامه عليه السلام.
وجّهه عليّ بن أبي طالب إلى أهل نجران عند ارتدادهم عن الإسلام.
بدأت غارات معاوية الظالمة على أطراف العراق بعد معركة النهروان، وأشخص عبد الله بن عامر الحضرمي إلى البصرة ليأخذ له البيعة من أهلها، ففعل ذلك واستولى على المدينة، فوجّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في البداية أعين بن ضبيعة لإخماد فتنة ابن الحضرمي لكنّه استشهد ليلاً في فراشه، فأرسل جاريةً، فاستعادها بتدبير دقيق وشجاعة محمودة، فأثنى عليه الإمام عليه السلام.
وتبثه عليه السلام في الأيّام الأخيرة من حياته لإطفاء فتنة بسر بن أرطاة الذي كان مثالاً لا نظير له في الخبث واللؤم، وبينا كان جارية في مهمّته هذه استُشهد الإمام عليه السلام. وأخذ جارية البيعة للإمام الحسن عليه السلام من أهل مكّة والمدينة بُخطىً ثابتة، ووعي عميق للحقّ.
وكان جارية ذا سريرة وضيئة، وروح كبيرة. ولم يخشَ أحداً في إعلان الحقّ قطّ. وهكذا كان، فقد دافع عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام بحضور معاوية، وأكّد ثباته على موقفه. وتوفّي هذا الرجل الجليل بعد حكومة يزيد.
تهذيب الكمال عن الفضل بن سويد: وَفَد الأحنف بن قيس، وجارية بن قُدامة، والحباب بن يزيد المجاشعي على معاوية، فقال لجارية: يا جارية! أنت الساعي مع عليّ بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك، تجوس قرى عربية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية! دعْ عنك عليّاً؛ فما أبغضْنا عليّاً مذ أحببناه، ولا غششناه مذ نصحناه.
قال: ويحك يا جارية!. ما كان أهون على أهلك، إذ سموك جارية!
قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية.
قال: لا أُمّ لك.
قال: أُمّ ما ولدتني. إنّ قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفّين في أيدينا. =

وفي تهذيب التهذيب: جارية بن قدامة بن زهير ويقال: ابن مالك بن زهير بن الحصين بن قدامة بن زهير ويقال: ابن مالك بن زهير بن الحصين بن رزاح التميمي السعدي أبو أيوب، وقيل: أبو قدامة، وقيل؛ أبو يزيد البصري، روى عن النبي صلى الله عليه وآله حديث: «لا تغضب»، وعن علي بن أبي طالب، شهد معه صفين، روى عنه الأحنف بن قيس والحسن البصري.

قال العسكري: تميمي شريف لحق النبي صلى الله عليه وآله وروى عنه، ثم صحب علياً، وكان يقال له: محرق لأنه أحرق ابن الحضرمي بالبصرة وكان شجاعاً فاتكاً.

وقال ابن حبان في الثقات هو ابن عم الأحنف مات في ولاية يزيد بن معاوية.

وقال العجلي: تابعي ثقة، قلت: قد بينت في معرفة الصحابة أنه صحابي ثابت الصحبة، وقال: سيجيء في ترجمة جويرية بن قدامة ذكر الخلاف هل هو هذا أو غيره ويقويه ما رواه ابن عساكر في تاريخه من طريق سعيد بن عمرو الأموي: قال معاوية لاذنه: ائذن لجارية بن قدامة، فقال له: إيهاً يا جويرية «اهـ» ولم أجده في تاريخ ابن عساكر المطبوع وكأنه سقط من النسخة فإنه قدم دمشق قطعاً فكان يجب أن يترجمه.

= قال: إنّك لتهدّدني!.

قال: إنّك لم تملكنا قسرة، ولم تفتحنا عَنْوَة، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق؛ فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن نزعت إلى غير ذلك، فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً[1]، وأذرعاً شداداً، وأسنّةً حداداً، فإن بسطت إلينا فِتْراً من غدر[2]، دلفنا إليك بباع من خَتْرٍ[3].

قال معاوية: لا كثّر الله في الناس أمثالك!.

قال: قل معروفاً يا أمير المؤمنين! فقد بلونا قريشاً، فوجدناك أوراها زَنْداً، وأكثرها رفداً، فارعنا رويداً؛ فإنّ شرّ الرِّعاء الحُطَمة[4].

---

(١) المداد: هو ما يكثر به ويزاد (النهاية: ٤/ ٣٠٧).

(٢) الفتر: ما بين الإبهام والسبابة.

(٣) الدلف: التقدم، والباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما، والختر: أسوأ الغدر وأقبحه.

(٤) الحطمة: العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار.

وفي الإصابة جارية بن قدامة، وقيل: أنه جويرية بن قدامة الذي روى عن عمه في البخاري «اهـ».

وفي خلاصة تذهيب الكمال: جارية بن قدامة السعدي التميمي عن النبي ﷺ وعن علي عليه السلام، وشهد معه صفين أميراً على بني تميم وعنه الأحنف والحسن، وكان شجاعاً مقداماً فاتكاً فصيحاً «اهـ».

أخباره

في مروج الذهب أنه هو الذي أخذ البيعة لعلي عليه السلام بالبصرة قال عند ذكر حرب الجمل وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس جارية بن قدامة السعدي.

وقال المسعودي عند ذكر حرب النهروان: إن علياً عليه السلام كان قد انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً يريد الرجوع لقتال أهل الشام وأتاه من البصرة من قبل ابن عباس - وكان عامله عليها - عشرة آلاف فيهم الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعدي وذلك في سنة ٣٨ فنزل الأنبار والتأمت إليه العساكر فخطب الناس وحرضهم وندبهم إلى المسير للشام فأبوا إلا أن يبدأوا بالخوارج.

وقال المسعودي أيضاً عند ذكر إرسال معاوية بسر بن أرطأة سنة ٤٠ في ثلاثة آلاف إلى الحجاز واليمن وبلغ الخبر علياً فأنفذ جارية بن قدامة السعدي في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين ونما إلى بسر خبر جارية بن قدامة السعدي فهرب، وظفر جارية بابن أخي بسر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم «اهـ». لأنهم كانوا مشاركين لبسر في الفساد في الأرض.

حضر جارية بن قدامة حرب الجمل وصفين مع علي عليه السلام، قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦ عند ذكره لحرب الجمل ما لفظه: وأقبل جارية بن قدامة السعدي، وقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك يرى قتلك؛ لئن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس «اهـ».

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن علياً عليه السلام جعل على سعد البصرة وربابها جارية بن قدامة السعدي، وقال نصر أيضاً: ولما كان يوم صفين برز عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الأعظم ويقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أنا ابن سيف الله ذاكم خالد أضرب كل قدم وساعد

بصارم مثل الشهاب الواقد انصر عمي إن عمي والدي

فبالجهد لا بل فوق جهد الجاهد ما أنا فيما نابني براقد

فاستقبله جارية بن قدامة السعدي وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أثبت لصدر الرمح يا بن خالد أثبت لليث ذي فلول حارد

من أسد خفان شديد الساعد ينصر خير راكع وساجد

من حقه عندي كحق الوالد ذاكم علي كاشف الأوابد

وأطعنا ملياً ومضى عبد الرحمن وانصرف جارية «اهـ». ولكن في مناقب ابن شهرآشوب: وخرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فبرز إليه جارية بن قدامة السعدي فقتله «اهـ».

والذي في النسخة حارثة وهو تصحيف كما مر. ولما عزم أمير المؤمنين علي عليه السلام على الرجوع إلى حرب أهل الشام بعد وقعة صفين وأمر الحكمين، كتب إلى ابن عباس أن يشخص إليه الناس من البصرة فندبهم مع الأحنف بن قيس فشخص معه ألف وخمسمائة ثم قال: ألا انفروا إليه مع جارية بن قدامة السعدي فخرج جارية فاجتمع إليه ألف وسبعمائة فوافوا علياً وهم ثلاثة آلاف ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٣٧.

وجارية بن قدامة هذا أرسله علي عليه السلام إلى البصرة حين قدمها عبد الله الحضرمي الذي أرسله معاوية إليها فأوقع بها فتنة قتل فيها أعين بن ضبيعة المجاشعي غيلة، وكتب زياد خليفة ابن عباس على البصرة إلى علي عليه السلام يخبره بذلك ومر الكتاب في ترجمة أعين بن ضبيعة منقولاً عن كتاب الغارات

لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي وفي آخره: وقد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة فإنه نافذ البصيرة، ومطاع في العشيرة، شديد على عدو أمير المؤمنين، فإن يقدم يفرق بينهم بإذن الله والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلما جاء الكتاب دعا جارية بن قدامة فقال له: يا بن قدامة تمنع الأزد عاملي وبيت مالي وتشاقني مضر وتنابذني وبنا ابتدأها الله تعالى بالكرامة وعرفها الهدى وتدعو إلى المعشر الذي حادوا الله ورسوله وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه، حتى علت كلمة الله وهلك الكافرون.

فقال: يا أمير المؤمنين ابعثني إليهم واستعن بالله عليهم.

قال: قد بعثتك إليهم واستعنت بالله عليهم، «اهـ».

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨ إنه لما قتل أعين بن ضبيعة أرسل علي إلى البصرة جارية بن قدامة السعدي وهو من بني سعد بن تميم، وبعث معه خمسين رجلاً، وقيل: خمسمائة من تميم وكتب إلى زياد يأمره بمعونة جارية والإشارة عليه، فقدم جارية البصرة «اهـ».

قال إبراهيم بن هلال الثقفي، فحدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثني ابن أبي السيف، عن سليمان ابن أبي راشد، عن كعب ابن أبي قعين قال: خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة في خمسين رجلاً من بني تميم ما كان فيهم يماني غيري وكنت شديد التشيع، فقلت لجارية: إن شئت كنت معك وإن شئت ملت إلى قومي؟.

فقال: بل معي! فوالله لوددت أن الطير والبهائم تنصرني عليهم فضلاً عن الإنس.

كتابه عليه السلام لأهل البصرة

قال: وروى كعب بن قعين أن علياً عليه السلام كتب مع جارية كتاباً وقال: اقرأه على أصحابك!.

قال: فمضينا معه فلما دخلنا البصرة بدأ بزياد فرحب به وأجلسه إلى جانبه وناجاه ساعة وساءله ثم خرج، فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسك واتق أن تلقى ما لقي صاحبك القادم قبلك! وخرج جارية من عنده، فقام في الأزد فقال: جزاكم الله من حي خيراً! ما أعظم غناءكم وأحسن بلاءكم وأطوعكم لأميركم، لقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره ودعوتم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه! ثم قرأ عليهم وعلى من كان معه من شيعة علي عليه السلام وغيرهم كتاب علي عليه السلام فإذا فيه: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرىء عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين! سلام عليكم.

أما بعد: فإن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البينة، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة، ولكنه يقبل التوبة ويستديم الأناة ويرضى بالإنابة، ليكون أعظم للحجة وأبلغ في المعذرة، وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس، ما استحققتم أن تعاقبوا عليه فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم وأخذت بيعتكم، فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب والسنة وقصد الحق وأقيم فيكم سبيل الهدى.

فوالله ما أعلم أن والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني ولا أعمل بقوله. أقول قولي هذا صادقاً غير ذام لمن مضى ولا منتقصاً لأعمالهم، وإن خطت بكم الأهواء المردية - وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي تريدون خلافي، فها أنذا قربت جيادي ورحلت ركابي وأيم الله لئن الجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها. إلا كلعقة لاعق، وإني لظان أن لا تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلاً، وقد قدمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً إن أنتم استغششتم نصيحتي ونابذتم رسولي حتى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء الله تعالى والسلام.

قال: فلما قرىء الكتاب على الناس قام صبرة بن شيمان فقال: سمعنا وأطعنا ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ولمن سالم سلم، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك، وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ونحوه، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه.

ومضى نحو بني تميم فقام زياد في الأزد، فمدحهم وشكرهم وحرضهم، ثم قال في أثناء كلامه: وقد قدم عليكم جارية بن قدامة وإنما أرسله علي ليصدع أمر قومه، والله ما هو بالأمير المطاع، ولو أدرك أمله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين، ولكان لي تبعاً.

قال إبراهيم: فأما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه وأسمعوه، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه، فسارت الأزد بزياد.

وقال ابن الأثير: وسار جارية إلى قومه وقرأ عليهم كتاب علي وواعدهم فأجابه أكثرهم، فسار إلى ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي، فاقتتلوا ساعة، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي - وكان من شيعة علي عليه السلام وصديقاً لجارية بن قدامة - فقال: ألا أقاتل معك عدوك؟.

فقال: بلى! فما لبث بنو تميم أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبيل السعدي.

وقال ابن الأثير: فانهزم ابن الحضرمي فتحصن بقصر سنبيل «سنيبل» ومعه ابن حازم (خازم) وكان قصر سنبيل الفارس قديماً وصار لسنبيل السعدي وحوله خندق «اهـ».

قال إبراهيم: فحصروا ابن الحضرمي وحدود مائتي رجل من بني تميم ومعهم عبد الله بن حازم السلمي، فجاءت أمه - وهي سوداء حبشية اسمها عجلى - فنادته فأشرف عليها، فقالت: يا بني انزل إلي! فأبى، فكشفت رأسها وأبدت قناعها وسألته النزول فأبى، فقالت: والله لتنزلن أو لأتعرين، وأهوت بيدها إلى ساقها، فلما رأى ذلك نزل، فذهبت به، وأحاط جارية وزياد بالدار وقال جارية. علي بالنار فقالت الأزد: لسنا من الحريق بالنار في شيء وهم قومك وأنت أعلم، فحرق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي ثم التميمي، وسمي جارية منذ ذلك اليوم محرقاً.

كتاب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام

وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

أما بعد: فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره وأعانه من الأزد، ففضه واضطره إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه، منهم من أحرق بالنار، ومنهم من ألقي عليه جدار، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه، ومنهم من قتل بالسيف. وسلم منهم نفر أنابوا وتابوا فصفح عنهم، وبعداً لمن عصى وغوى، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلما وصل كتاب زياد قرأه علي عليه السلام على الناس، وكان زياد قد أنفذه مع ظبيان بن عمارة، فسر علي عليه السلام بذلك وسر أصحابه وأثنى على جارية وعلى زياد وعلى أزد البصرة «اهـ».

خروج الأشهب بن بشر

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨: إنه لما خرج الأشهب بن بشر وقيل الأشعث وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلاً بعد وقعة النهروان وجه إليهم علي جارية بن قدامة السعدي، وقيل: حجر بن عدي فاقتتلوا بجرجريا من أرض جوخي فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ٣٨ ثم خرج أبو مريم السعدي التميم فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالي، وقيل: لم يكن معه من العرب غير ستة هو أحدهم، واجتمع معه مائة رجل وقيل: أربعمائة وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل إليه علي يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال: ليس بيننا غير الحرب فبعث إليه علي شريح بن هاني في سبعمائة فحمل عليهم الخوارج فانكشفوا وبقي شريح في مائتين فانحاز إلى قرية وتراجع إليه بعض أصحابه، ودخل الباقون الكوفة فخرج علي بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي فدعاهم جارية إلى طاعة علي وحذرهم القتل فلم يجيبوا، ولحقهم علي أيضاً فدعاهم فأبوا عليه، فقتلهم أصحاب علي ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فأمنهم، وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى فأمر علي بإدخالهم الكوفة ومداواتهم «اهـ».

وجارية هو الذي أشار على أمير المؤمنين علي عليه السلام بتولية زياد ابن أبيه بلاد فارس حين اضطربت عليه ذكره ابن الأثير في حوادث سنة **٣٩** وقال: قيل أشار به ابن عباس «اهـ».

بسر بن أبي أرطأة

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠ أن معاوية بعث بسر بن أبي أرطأة إلى الحجاز واليمن في ثلاثة آلاف فأتى المدينة وتهدد أهلها وهدم بها دوراً، وأتى مكة فأكره أهلها عن البيعة، وأتى اليمن فقتل بها خليفة عبيد الله بن العباس وابنه، وقتل طفلين صغيرين لعبيد الله، وقتل في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن، وبلغ علياً بالخبر فأرسل جارية بن قدامة السعدي في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان - والصحيح: أن الذي قتلهم كانوا قد ارتدوا، كما يأتي - وهرب بسر وأصحابه، واتبعه جارية حتى أتى مكة، فقال: بايعوا أمير المؤمنين، فقالوا: قد هلك فلمن نبايع؟.

قال لمن بايع له أصحاب علي، فبايعوا الحسن خوفاً منه، وسار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بالناس فهرب منه فقال جارية: لو وجدت أبا سنور لقتلته، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي فبايعوه، وأقام يومه ثم عاد إلى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلي بهم، وقيل: أن مسير بسر إلى الحجاز كان سنة **٤٢**«اهـ» وأبو هريرة كان قد استخلفه بسر على المدينة لما خرج منها إلى اليمن.

وآخر الحديث يدل على أن ذلك كان بعد مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد قال الكلبي وأبو مخنف: فندب عليه السلام أصحابه لبعث سرية في أثر بسر فتثاقلوا وأجابه جارية بن قدامة السعدي فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن وسأل عن بسر فقيل: أخذ في بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم، وبلغ بسر مسير جارية فانحدر إلى اليمامة، وأخذ جارية بن قدامة السير ما يلتفت إلى مدينة مر بها ولا أهل حصن ولا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل أو

تحفى دابته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن فهرب شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال، واتبعهم شيعة علي وتداعت عليهم من كل جانب وأصابوا منهم وصمد جارية نحو بسر وبسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها، فلما فعل به ذلك أقام جارية بحرس نحواً من شهر حتى استراح وأراح أصحابه، ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية لسوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه «اهـ».

كان من المخلصين في ولائه لعلي عليه السلام

ومما مر يعلم أن جارية بن قدامة كان من المخلصين في ولاء علي عليه السلام وكان من أعاظم الرجال المعدودين، وإن علياً عليه السلام كان يعده لكل مهم، فهو الذي أبلى معه في حروب الجمل وصفين والنهروان، وبعثه علي عليه السلام إلى الخوارج بعد وقعة النهروان وهو الذي أطفأ فتنة ابن الحضرمي بعدما استعرت نارها في البصرة وكادت تفسد أهلها على أمير المؤمنين عليه السلام، فحاصر ابن الحضرمي وأصحابه حتى قتلهم حرقاً بالنار، وهو الذي لحق بسراً إلى اليمن فهرب منه واتبعه حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها بعدما هرب منه عبيد الله بن العباس وأتى إلى الكوفة وتحمل بذلك العار والشنار وبئس العمل الفرار، ولم يكن مع بسر إلا ثلاثة آلاف، وعبيد الله معه أهل اليمن وهو الوالي عليه فأسلم عمله وولايته وأهله وأولاده ولاذ بالفرار غير مبال بما يلحقه بذلك من العار حتى ذبح بسر ولديه الصغيرين على درج صنعاء، وما كان أجدره بأن يثبت لبسر ويحاربه وهل هو إلا الموت ورب حياة شر من الموت، والناس يتفاوتون كالتفاوت بين التراب والذهب.

ثم انظر إلى سيرة جارية بن قدامة ومن معه في مسيره ذلك، فقد كان - كما سمعت - إذا أرمل بعض أصحابه من الزاد يأمر أصحابه بمواساته، أو سقط بعير رجل أو حفيت دابته يأمر أصحابه بأن يعقبوه، أما بسر وأصحابه فكانوا على ما ذكره المؤرخون كلما جاؤوا إلى ماء من مياه العرب ركبوا جمال أهله وقادوا خيلهم إلى المنهل الآخر، فيفعلون كذلك، فلم يكفهم أنهم سائرون ليفسدوا في الأرض حتى اغتصبوا جمال الأعراب، وكيدها وتركوا خيولهم.

وروى المجلسي في البحار، عن كتاب الغارات، بإسناده عن الكلبي ولوط بن يحيى، أن ابن قيس قدم على علي عليه السلام فأخبره بخروج بسر بن أرطأة من قبل معاوية، فندب الناس فتثاقلوا عنه، إلى أن قال: فقام جارية بن قدامة السعدي وقال: أنا أكفيكهم يا أمير المؤمنين!.

فقال: إنك لعمري لميمون النقيبة حسن النية صالح العشيرة، وندب معه ألفين وأمره أن يأتي البصرة ويضم إليها مثلهم، فشخص جارية وخرج عليه السلام فلما ودعه أوصاه بما أوصاه، إلى أن قال: فقدم البصرة وضم إليه مثل الذي معه، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن لم يغصب أحداً ولم يقتل أحداً إلا قوماً ارتدوا فقتلهم وحرقهم «اهـ».

وفي خبر آخر أنه لما رجع من سيره بعد قتل علي عليه السلام دخل على الحسن عليه السلام فضرب على يده فبايعه وعزاه وقال: ما يحبسك - يرحمك الله - سر إلى عدوك قبل أن يسار إليك!! فقال: لو كان الناس كلهم مثلك سرت بهم «اهـ».

قصته مع معاوية

وفي الإصابة: ولجارية هذا قصة مع معاوية يقول فيها: فقال له معاوية: سل حاجتك يا أبا قندس!.

قال: تقر الناس في بيوتهم فلا توفدهم إليك فإنما يوفدون إليك الأغنياء ويذرون الفقراء «اهـ».

ووفد جارية بن قدامة على معاوية مع الأحنف بن قيس حين وفد عليه، ذكره الكشي في ترجمة الأحنف وفي العقد الفريد في مجاوبة الأمراء والرد عليهم.

قال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية وهي الأنثى من الكلاب!.

قال: لا أم لك!.

قال: أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا!.

قال: إنك لتهددني؟.

قال: إنك لم تفتتحنا قسراً ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً، وأعطيناك سمعاً وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك، فإنا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وألسنة حداداً.

قال له معاوية: لا كثر الله في الناس من أمثالك!.

قال جارية: قل معروفاً وراعنا فإن شر الدعاء المحتطب.

قدوم جارية على علي عليه السلام

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: إنه قدم على علي عليه السلام بعد قدومه الكوفة الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، وزيد بن جبلة وأعين بن ضبيعة، فقام الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة وحارثة بن زيد، فتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إن تكن سعد لم تنصرك يوم الجمل، فإنها لم تنصر عليك، وقد عجبوا أمس ممن نصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك لأنهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في معاوية، وعشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا إليهم، فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس!.

فقال علي لجارية بن قدامة - وكان رجل تميم بعد الأحنف -: ما تقول يا جارية؟.

فقال: أقول إن هذه جمع حشره الله بالتقوى ولم تستكره فيه شاخصاً ولم تشخص فيه مقيماً، والله لولا ما حضرك فيه من الله، لغمك سياسته، وليس كل من كان معك كان معك، ورب مقيم خير من شاخص، ومصرك خير لك وأنت أعلم. فكأنه كره إشخاص قومه عن البصرة «اهـ».

وذكر **السيوطي في تاريخ الخلفاء**: نقلاً عن تاريخ ابن عساكر، ولكنها غير موجودة في تاريخ ابن عساكر المطبوع إذ لم يذكر فيه جارية بن قدامة أصلاً في النسخة المطبوعة، مع أنه قدم دمشق على معاوية قطعاً. ومن عادة ابن عساكر أن يذكر كل من قدم دمشق وإن لم يكن من أهلها. فدل ذلك على أن نسخة تاريخ ابن عساكر المطبوعة ناقصة كما أشرنا إليه فيما تقدم.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء عند ذكر معاوية ما لفظه: أخرج ابن عساكر

عن عبد الملك بن عمير قال: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية فقال: هل أنت إلا نحلة قال: لا تقل فقد شبهتني بها حامية اللسعة حلوة البصاق، والله ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب وما أمية إلا تصغير أمة.

وأخرج عن الفضل بن سويد قال: وفد جارية بن قدامة على معاوية فقال له معاوية: أنت الساعي مع علي بن أبي طالب والموقد النار في شعلك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم.

قال جارية: يا معاوية دع عنك علياً فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ولا غششناه منذ صحبناه قال: ويحك يا جارية ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية.

قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية.

قال: لا أم لك.

قال: أمي ولدتني لقوائم السيوف التي لقيناها لك بصفين في أيدينا قال: إنك لتهددني.

قال: إنك لم تملكنا قسرة ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق فإن وفيت وفينا، وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً وأدرعاً شداداً واسنة حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر دلفنا إليك بباع من ختر.

قال معاوية: لا أكثر الله في الناس أمثالك «اهـ».

أشعاره

مر له رجز يجيب به عبد الرحمن بن خالد، ونسب إليه ابن شهرآشوب في المناقب هذا الرجز في أمير المؤمنين عليه السلام، وكأنه مقتطع من السابق، وهو قوله:

[البحر الرجز المجزوء]

من حقه عندي كحق الوالد   ذاك علي كاشف الأوابد
خير إمام راكع وساجد

وفي المناقب أيضاً نسبة هذه الأبيات إلى قدامة السعدي هكذا في النسخة المطبوعة، والظاهر أنه كان أصله ابن قدامة فسقط لفظ ابن من النساخ،

ووجدناها أيضاً في بعض المجاميع العاملية المخطوطة منسوبة إلى قدامة السعدي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والصواب ابن قدامة فهو الذي كان من أصحابه عليه السلام قال:

[البحر البسيط التام]

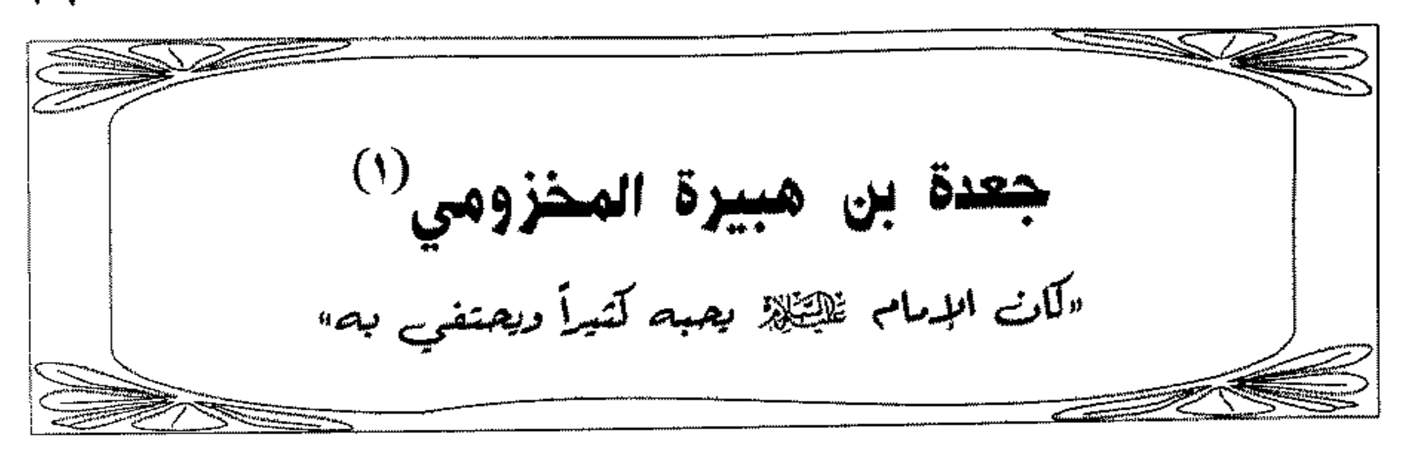
رد الوصي علينا الشمس إذ غربت[1] حتى قضينا صلاة العصر في مهل
فتلك آيته فينا وحجته فهل له في جميع الناس من مثل
أقسمت لا أبتغي يوماً به بدلاً وهل يكون لنور الله من بدل
حسبي أبو حسن مولى أدين به ومن به دان رسل الله في الأزل

مصادره:

إتقان المقال/ ٣٢. الاستيعاب ١/ ٢٤٥. أسد الغابة ١/ ٢٦٣. الأشتقاق/ ٦٥٣. الإصابة ١/ ٢١٨. أنساب الأشراف ٢/ ٣٣٦، ٤٨٣. البداية والنهاية ٧/ ٣١٧. تاريخ الطبري ٥/ ١٧٦ وج ٦/ ٦٥. تقريب التهذيب ١/ ١٢٤. تنقيح المقال ١/ ٢٠٦. تهذيب التهذيب ٢/ ٥٤. جامع الرواة ١/ ١٤٦. الجرح والتعديل ٢/ ٥٢٠. جمهرة أنساب العرب/ ٢٢١. الجمل أو النصرة في حرب البصرة/ ١٧٢. رجال ابن داود/ ٦١. رجال الشيخ الطوسي/ ٣٧. رجال الكشي/ ١٠٥. سفينة البحار ١/ ١٥٤. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٦ و٤/ ٢٧ و٨/ ٥٥ و١٥/ ١٣٣. العقد الفريد ٤/ ٩٦. الغدير ٩/ ١٠٠، ٣٦٤ و١٠/ ١٧١، ٣٧٣. الغارات ١/ ١٩١ و٢/ ٣٩٦، ٤٠١ - ٤١٢، ٦٢١، ٦٢٣. قاموس الرجال ٢/ ٣٣٩. الكامل في التاريخ ٣/ ٢١٣، ٣٤٠، ٣٦٢، ٣٧٣، ٣٨١. مجمع الرجال ٢/ ١٥. المشتبه ١/ ١٢٦. معجم الثقات/ ٢٤٩. معجم رجال الحديث ٤/ ٣١. منتهى المقال/ ٧٤. المناقب ٢/ ٣١٩ وفيه قوامة والصحيح ابن قدامة. نقد الرجال/ ٦٦. وقعة صفين/ ٢٤، ٢٥، ٢٠٥، ٢٩٥، ٢٩٦. هدي الساري/ ٢١١.



(١) لنا الشمس التي غربت خ ل.



جعدة بن هبيرة المخزومي(١)

«كان الإمام عليه السلام يحبه كثيراً ويحتفي به»

جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب المخزومي، هو ابن أخت أمير المؤمنين علي عليه السلام أمه أم هانىء بنت أبي طالب واسمها فاختة.

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فقال: جعدة بن هبيرة المخزومي يقال إنه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وليست له صحبة نزل الكوفة.

وقال في أصحاب علي عليه السلام جعدة بن هبيرة المخزومي ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام أمه أم هانىء بنت أبي طالب «اهـ».

وروى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر، بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كان مع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة نفر وكانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية وعد من الخمسة: جعدة بن هبيرة المخزومي، قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك.

فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك «اهـ».

من أحب الناس إلى علي عليه السلام

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: كان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحب الناس إلى علي عليه السلام «اهـ».

وفي الاستيعاب: جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص١١١، ح٣٣٩٤.

مخزوم القرشي المخزومي، أمه أم هانىء بنت أبي طالب، ولاه خاله علي بن أبي طالب على خراسان، قالوا: كان فقيهاً.

قال أبو عبيدة: ولدت أم هانىء بنت أبي طالب من هبيرة ثلاثة بنين أحدهم: يسمى جعدة، والثاني: هانئاً، والثالث: يوسف.

وقال الزبير والعدوي: ولدت أم هاني لهبيرة أربعة بنين: جعدة وعمراً وهانئاً ويوسف وهو أصح إن شاء الله.

قال الزبير وجعدة بن هبيرة هو الذي يقول:

[البحر الطويل]

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى علي بخاله كخالي عليٍّ ذي الندى وعقيل

روى عنه مجاهد بن جبر يأبى يفخر - وفي أسد الغابة: قال هشام الكلبي: جعدة بن هبيرة ولي خرسان لعلي، وهو ابن أخته، أمه أم هانيء، ثم قال قول ابن مندة وأبي نعيم: أن جعدة هو ابن بنت أم هانيء وهم منهما وليس بابن بنتها إنما هو ابنها لا غير على أن أبا نعيم تبع ابن مندة كثيراً في أوهامه.

وقال: روى عنه مجاهد ويزيد عن عبد الرحمان الأودي وسعيد بن علاقة، وسكن الكوفة، وقد اختلف في صحبته، ثم روى عنه حديث خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذي يلونهم ثم الآخر أردأ - الذي يدل الوجدان على أنه حديث موضوع - على أن بعضهم رواه عن جعدة بن هبيرة الأشجعي كما في تهذيب التهذيب وغيره.

وفي الإصابة: ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله له رؤية بلا نزاع فإن أباه قتل كافراً بعد الفتح واختلف في صحبته وصحة سماعه.

وقال ابن مندة: مختلف في صحبته.

وقال البخاري: له صحبة وذكره الأزدي وغيره فيمن لم يرو عنه غير واحد من الصحابة.

وقال الحاكم في تاريخه يقال: إن له رؤية.

وقال ابن حبان: لا أعلم لصحبته شيئاً صحيحاً اعتمد عليه.

وقال البغوي: ولد على عهد النبي ﷺ وليست له صحبة.

وقال ابن السكن نحوه.

وقال الآجري: قلت لأبي داود وجعدة بن هبيرة له رؤية، قال: لم يسمع من النبي ﷺ شيئاً - قلت - أما كونه له رؤية فحق لأنه ولد في عهد النبي ﷺ وهو ابن بنت عمه وخصوصية أم هانىء بالنبي ﷺ شهيرة، وروى الطبراني من طريق ابن جريح عن أبي الزبير أنه حدثه عن مجاهد أنه حدثه عن جعدة بن هبيرة قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم بالذهب - (الحديث).

أخرجه الحافظ الضياء في المختارة من طريق الطبراني، لأن الباوردي قد رواه عن شيخ الطبراني بإسناده عن جعدة فقال: نهاني خالي علي، فذكر، والحديث معروف برواية علي في الصحيح من وجه آخر. قال البخاري: مات جعدة في خلافة معاوية «اهـ»[1].

---

(١) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي المخزومي، وأمّه أمّ هانىء بنت أبي طالب. وُلِد على عهد النبي ﷺ، لكنّه لم يصحبه، ورآه. أثنى المؤرّخون على استبساله في القتال، وفقاهته، وقدرته الخطابيّة. وهو ابن أُخت الإمام عليه السلام، وصهره، وكان الإمام عليه السلام يحبّه كثيراً ويحتفي به. وحين دخل الكوفة كان معه في داره. وفي حرب صفّين قابل عتبة بن أبي سفيان وتحدّث معه باقتدار كبير؛ وأثنى على منزلة الإمام عليه السلام الرفيعة، وطعن في أبي سفيان بكلّ صلابة، وجَبُن عتبة في مواجهته إيّاه، ففرّ منه. وحواره معه آية على وعيه لموقف الإمام الحقّ، وسفاهة العدوّ ورِجسه. استعمله الإمام عليه السلام على خراسان. وكان بالكوفة عند استشهاد الإمام وعندما ضُرب الإمام صلّى مكانه.

توفّي جعدة في أيّام معاوية.

وقعة صفّين عن الأصبغ بن نباتة: إنّ عليّاً لمّا دخل الكوفة، قيل له: أيّ القصرَين نُنزلك؟ قال: قصر الخبال لا تُنزِلونيه! فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي.

المستدرك على الصحيحين عن مصعب بن عبد الله الزبير: قال جعدة:

[البحر الطويل]

ومن ذا الذي يأبى عليّ بخالهِ وخالي عليٌّ ذو الندى وعقيلِ

وفي تهذيب التهذيب جعدة بن هبيرة له صحبة: قلت في جزم المؤلف أن له صحبة نظر فقد ذكره في التابعين البخاري وأبو حاتم وابن حبان، وذكره البغوي في الصحابة لكن قال: يقال أنه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليست له صحبة، وعن أبي داود لم يسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً.

وقال العجلي: مدني تابعي ثقة. وذكره العسكري فيمن روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسلاً ولم يلقه.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: جعدة أمه أم هانيء بنت أبي طالب ولها يقول هبيرة حين أسلمت:

[البحر الطويل]

أشاقتك هند أن أتاك سؤالها ... كذاك النوى أسبابها وانفتالها

فإن كنت قد تابعت دين محمد ... وقطعت الأرحام منك حبالها

وقد أرقت في رأس حصن ممرد ... بنجران كسرى عبد نوم خيالها

فكوني على أعلى سحيق بهضبة ... ممنعة لا يستطاع تلالها

قال مصعب: ومات هبيرة بنجران مشركاً، وأما جعدة فإنه تزوج ابنة خاله أم الحسن بنت علي وولدت له عبد الله بن جعدة بن هبيرة الذي قيل فيه بخراسان:

[البحر البسيط التام]

لولا ابن جعدة لم يفتح هنبركم ... ولا خراسان حتى ينفخ الصور

قال مصعب: واستعمل علي على خراسان جعدة بن هبيرة المخزومي وانصرف إلى العراق ثم حج وتوفي بالمدينة، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً بصحة ما ذكر مصعب «اهـ».

ثم روى بسنده عن جعدة بن هبيرة، قلت لعلي: يا خال قتلت عثمان.

قال: لا والله ما قتلته ولا أمرت به ولكني غلبت «اهـ».

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان جعدة فارساً شجاعاً فقيهاً، ولي خراسان لأمير المؤمنين علي عليه السلام وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح مع أمه أم هانيء بنت أبي طالب، وهرب هبيرة ابن

أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزبعرى إلى نجران، وأقام هبيرة ابن أبي وهب بنجران حتى مات بها كافراً «اهـ».

أخباره

لمّا دخل علي عليه السلام الكوفة بعد رجوعه من حرب الجمل نزل على جعدة بن هبيرة، وفي بعض خطب نهج البلاغة: خطبنا علي عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها جعدة بن هبيرة المخزومي وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٧ في هذه السنة بعث علي جعدة بن هبيرة المخزومي. إلى خراسان بعد عوده من صفين فانتهى إلى نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع إلى علي فبعث خليد بن قرة اليربوعي فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو «اهـ».

وقال أيضاً أنه لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام تأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانيء يصلي بالناس الغداة. وفي مجالس المؤمنين أن علياً عليه السلام في أول خلافته ولاه إمارة خراسان وأمره بفتح ما بقي منها «اهـ».

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج عند شرح الخطبة التي يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام ألا وإن اللسان بضعة من الإنسان فلا يسعده القول إذا امتنع ولا يمهله النطق إذا اتسع، وإنا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه.

قال: اعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة اقتضت أن يقوله، وذلك أنه أمر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنم ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة منها هذه الكلمات «اهـ».

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال: حدثنا عمر بن سعد عن الأجلح بن عبد الله الكندي عن أبي جحيفة قال: جمع معاوية كل قرشي بالشام يوم صفين ثم ذكر أنه عاتبهم وأنبهم على عدم مبارزة أقرانهم من قريش، فقال عتبة ابن أبي سفيان: إني ملاقٍ بالغداة جعدة بن هبيرة.

قال معاوية: بخ بخ قومه بنو مخزوم وأمه أم هانيء بنت أبي طالب وأبو

هبيرة ابن أبي وهب كفؤ كريم - إلى أن قال - وبعث معاوية إلى عتبة فقال: ما أنت صانع في جعدة قال: ألقاه اليوم وأقاتله غداً فغدا عليه عتبة فنادى: أيا جعدة فاستأذن علياً عليه السلام في الخروج فأذن له واجتمع الناس لكلامهما.

فقال عتبة: يا جعدة إنه والله ما أخرجك علينا إلا حب خالك وعمك ابن أبي سلمة عامل البحرين وإنا والله ما نزعم أن معاوية أحق بالخلافة من علي لولا أمره في عثمان ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرف إلا وهو أجد من معاوية في القتال، وما بالعراق من له مثل جد علي في الحرب ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعلي أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.

فقال جعدة: **أما حبي لخالي**: فوالله لو كان لك خال مثله لنسيت أباك.

وأما **ابن أبي سلمة**: فلم يصب أعظم من قدره والجهاد أحب إليّ من العمل.

وأما **فضل علي على معاوية**: فهذا ما لا يختلف فيه.

وأما **رضاكم اليوم بالشام**: فقد رضيتم بها أمس فلم يقبل.

وأما **قولك أنه ليس بالشام رجل إلا وهو أجد من معاوية**: وليس بالعراق لرجل مثل جد علي فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعلي يقينه وقصر بمعاوية شكه، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل.

وأما **قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي**: فوالله ما نسأله إن سكت ولا نرد عليه إن قال.

وأما **قتل العرب**: فإن الله كتب القتل والقتال فمن قتله الحق فإلى الله.

فغضب عتبة وفحش على جعدة فلم يجبه وأعرض عنه، وانصرفا جميعاً مغضبين. فجمع عتبة خيله فلم يستبق منها وجل أصحابه السكون والأزد والصدف وتهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا وصبر القوم جميعاً وباشر جعدة يومئذٍ القتال بنفسه وجزع عتبة فأسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية فقال له: فضحك جعدة وهزمك لا تغسل رأسك منها أبداً.

قال عتبة: لا والله لا أعود إلى مثلها أبداً، ولقد أعذرت وما كان على أصحابي من عتب، ولكن الله أبى أن يديلنا منهم فما أصنع فحظي بها جعدة عند علي.

فقال النجاشي: فيما كان من شتم عتبة لجعدة:

[البحر الخفيف]

إن شتم الكريم يا عتب خطب ... فاعلمنه من الخطوب عظيم
أمه أم هانىء وأبوه ... من معد ومن لؤي صميم
ذاك منها هبيرة ابن أبي وهـ ... ـب أقرت بفضله مخزوم
كان في حربكم يعد بألف ... حين تلقى بها القروم القروم
وابنه جعدة الخليفة منه ... هكذا تنبت الفروع الأروم
كل شيء تريده فهو فيه ... حسب ثاقب ودين قويم
وخطيب إذا تمغرت الأو ... جه يشجى به الألد الخصيم
وحليم إذا الحبى حلها الجهل وخفت ... من الرجال الحلوم
وشكيم الحروب قد علم النـ ... ـاس إذا حل في الحروب الشكيم
وصحيح الأديم من نغل العيب ... إذا كان لا يصح الأديم
حامل للعظيم في طلب الحمد ... إذا أعظم الصغير اللئيم
ما عسى أن تقول للذهب الأحمر ... عيباً هيهات منك النجوم
كل هذا بحمد ربك فيه ... وسوى ذاك كان وهو فطيم

وقال الأعور الشني في ذلك لعتيبة:

[البحر البسيط التام]

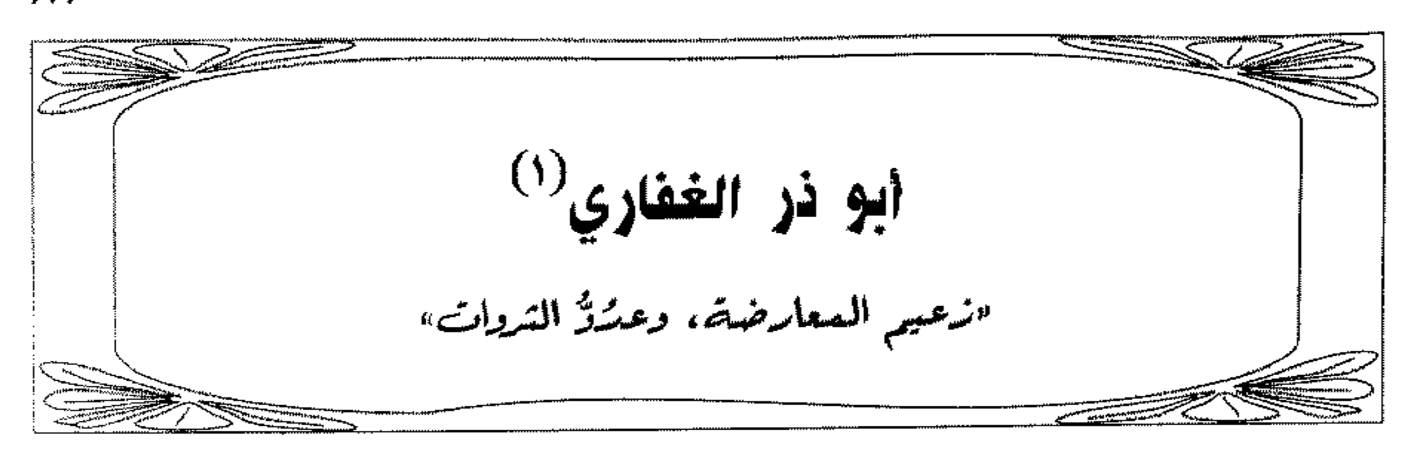
وظلت تنظر في عطفيك أبهة ... لا يرفع الطرف منك التيه والصلف
لا تحسب القوم إلا فقع قرقرة ... أو شحمة بزها شاوٍ لها نطف
حتى لقيت ابن مخزوم وأي فتى ... أحيا مآثر آباء له سلفوا
إن كان رهط أبي وهب جحاجحة ... في الأولين فهذا منهم خلف
أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه ... حاموا على الدين والدنيا فما وقفوا
حتى رموك بخيل غير راجعة ... إلا وسمر العوالي منكم تكف

قد عاهدوا الله أن يثنوا اعنتها عند الطعان ولا في قولهم خلف
لما رأيتهم صبحاً حسبتهم أسد العرين حمى أشبالها العرف
ناديت خيلك إذ غض النقاف بهم خيلي إلي فما عاجوا ولا عطفوا
هلا عطفت على قتلي مصرعة منها السكون ومنها الأزد والصدف
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع يا عتب لولا سفاه الرأي والسرف
فاليوم يقرع منك السن من ندم ما للمبارز إلا العجز والنصف

مصادره:

إتقان المقال/ ٣٢. الأخبار الطوال/ ١٧٣، ٢٢١. الاستيعاب ١/ ٢٤٠. أسد الغابة ١/ ٢٨٥. الإصابة ١/ ٢٣٦. أنساب الأشراف ٣/ ١٥١. بلاغات النساء/ ٧٥. تاريخ الطبري ٦/ ٣٥. تحفة الأحباب/ ٤١. تقريب التهذيب ١/ ١٢٩. تنقيح المقال ١/ ٢١١. تهذيب التهذيب ٢/ ٨١. جامع الرواة ١/ ١٤٨. الجرح والتعديل ٢/ ٥٢٦. جمهرة أنساب العرب/ ٣٧، ١٤١. الدرجات الرفيعة/ ٤١٢. رجال الطوسي/ ٣٧. سفينة البحار ١/ ١٥٦. شرح ابن أبي الحديد ٣/ ١٠٤ و٧/ ١٣٧ و٨/ ٩٨ و١٠/ ٧٦ و١٣/ ١٣ و١٨/ ٣٠٨. الغدير ١/ ٣٣١. الغارات ٢/ ٥١٩، ٨٤٦. فاطمة بنت أسد/ ٩٥. قاموس الرجال ٢/ ٣٦٢. الكامل في التاريخ ٣/ ٣٢٦ و٤/ ٢٥٨. اللباب ١/ ٢٨٢. لسان الميزان ٧/ ١٨٩. مجمع الرجال ٢/ ٢١. معجم الثقات/ ٢٥٠. معجم رجال الحديث ٤/ ٤٣. المناقب ٣/ ٣٠٤. منتهى المقال/ ٧٥. ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٩. المراسيل في الحديث/ ٢٢. مجالس المؤمنين ١/ ٢٩٥. نقد الرجال/ ٦٧. وقعة صفّين/ ٥، ٤٦٣ - ٤٦٦.





أبو ذر الغفاري[1]

«زعيم المعارضة، وعدوّ الثروات»

هو جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، وفي الاستيعاب ويقال أبو الذر، والأول أكثر، توفي بالربذة سنة ٣١ أو ٣٢د وقيل: سنة ٢٤ والأول أصح، صلّى عليه ابن مسعود ومات بعده في ذلك العام وقيل: صلى عليه مالك بن الحارث الأشتر.

(والربذة) بفتح الراء المهملة والباء الموحدة والذال المعجمة على وزن قصبة في القاموس هي مدفن أبي ذر الغفاري قرب المدينة.

وفي المصباح المنير: هي قرية كانت عامرة في صدر الإسلام وبها قبر أبي ذر الغفاري وهي في وقتنا هذا دارسة لا يعرف لها رسم، وهي من المدينة في جهة الشرق على طريق الحاج نحو ثلاثة أيام، هكذا أخبرني به جماعة من أهل المدينة سنة ٧٢٣«اهـ».

وفي الخلاصة: (جندب) بالجيم المضمومة والنون الساكنة والدال المهملة المفتوحة والباء الموحدة، (وجنادة) بالجيم المضمومة والنون والدال المهملة بعد الألف «اهـ»، (والغفاري) بكسر الغين وتخفيف الفاء نسبة إلى غفار قبيلة.

الخلاف في اسمه

في الاستيعاب: اختلف في اسمه اختلافٌ كثيرٌ، فقيل: جندب بن جنادة وهو أكثر وأصح ما قيل فيه إن شاء الله تعالى، وقيل: بدر بن جندب، ويقال: برير بن عشرقة وبرير بن جنادة، ويقال: برير بن جنادة كذا قال ابن إسحاق،

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٣١١، ح ٣٧٦٢.

وقيل: بر بن جندب أيضاً عن ابن إسحاق، ويقال جندب بن عبد الله (أو جندب بن عبد)، ويقال: جندب بن سكن والمشهور المحفوظ جندب بن جنادة «اهـ».

وزاد في باب الكنى وقيل: برير بن عبد الله، وفي الطبقات الكبير لابن سعد بسنده عن عبد الله المجمر قال: اسم أبي ذر جندب بن جنادة، قال: وكذلك قال محمد بن عمر (الواقدي) وهشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيرهما من أهل العلم.

قال محمد بن عمر: سمعت أبا معشر نجيحاً يقول اسم أبي ذر برير بن جنادة «اهـ».

وفي رجال ابن داود قيل: اسمه برير الباء المفردة المفتوحة والراءالمكسورة والياء المثناة تحت والراء أخيراً «اهـ».

وفي أسد الغابة المشهور أنه جندب بن جنادة، وقيل: اسمه بر، وقيل: بالتصغير، وقيل: اسمه السكن بن جنادة «اهـ»، وفي المستدرك للحاكم بإسناده عن أبي عبيدة معمر بن المثنى: أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة إلخ قال ابن سلام، ويقال: اسمه يزيد وبسنده عن محمد بن عبد الله بن نمير قال: أبو ذر جندب بن جنادة إلخ، وأما ما ذكر من أن اسمه يزيد فقد روي إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماه به «اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة: أبو ذر الغفاري اسمه جندب بن جنادة على الأصح «اهـ»[1].

---

(١) جُنْدَب بن جُناد، وهو مشهور بكنيته. صوت الحقّ المدوّي، وصيحة الفضيلة والعدالة المتعالية، أحد أجلاّء الصحابة، والسابقين إلى الإيمان، والثابتين على الصراط المستقيم. كان موحّداً قبل الإسلام، وترفّع عن عبادة الأصنام. جاء إلى مكّة قادماً من البادية، واعتنق دين الحقّ بكلّ وجوده، وسمع القرآن.
عُدَّ رابعَ من أسلم أو خامسهم. واشتهر بإعلانه إسلامَه، واعتقاده بالدين الجديد، وتقصّيه الحقّ منذ يومه الأوّل.
وكان فريداً فذّاً في صدقه وصراحة لهجته، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمته الخالدة فيه تكريماً لهذه الصفة المحمودة العالية: «ما أظلّت الخضراء، وما أقلّت الغبراء أصدق لهجة=

. . . .

=من أبي ذرّ» وكان من الثلّة المعدودة التي رعت حرمة الحقّ في خضمّ التغيّرات التي طرأت بعد وفاة النبيّ ﷺ، وتفانى في الدفاع عن موقع الولاية العلويّة الرفيعة، وجعل نفسه مِجَنّاً للذبّ عنه، وكان أحد الثلاثة الذين لم يفارقوا عليّاً عليه السلام قطّ.
ولنا أن نعدّ من فضائله ومناقبه صلاته على الجثمان الطاهر لسيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، فقد كان في عداد من صلّى عليها في تلك الليلة المشوبة بالألم والغمّ والمحنة.
وصرخاته بوجه الظلم ملأت الآفاق، واشتهرت في التاريخ؛ فهو لم يصبر على إسراف الخليفة الثالث وتبذيره وعطاياه الشاذّة، وانتفض ثائراً صارخاً ضدّها، ولم يتحمّل التحريف الذي افتعلوه لدعم تلك المكرمات المصطنعة، وقدح في الخليفة وتوجيه كعب الأحبار لأعماله وممارساته. فقام الخليفة بنفي صوت العدالة هذا إلى الشام التي كانت حديثة عهدٍ بالإسلام، غيرَ مُلمّةٍ بثقافته.
ولم يُطِقه معاوية أيضاً؛ إذ كان يعيش في الشام كالملوك، ويفعل ما يفعله القياصرة، ضارباً بأحكام الإسلام عرض الجدار، فأقضّت صيحات أبي ذرّ مضجعه. فكتب إلى عثمان يخبره باضطراب الشام عليه إذا بقي فيها أبو ذرّ، فأمر بردّه إلى المدينة، وأرجعوه إليها على أسوأ حال.
وقدم أبو ذرّ المدينة، لكن لا سياسة عثمان تغيّرت، ولا موقف أبي ذرّ منه، فالاحتجاج كان قائماً، والصيحات مستمرّة، وقول الحقّ متواصلاً، وكشف المساوىء لم يتوقّف. ولمّا لم يُجْدِ الترغيب والترهيب معه، غيّرت الحكومة أُسلوبها منه، وما هو إلاّ الإبعاد، لكنّه هذه المرّة إلى الرَّبذة، وهي صحراء قاحلة حارقة، وأصدر عثمان تعاليمه بمنع مشايعته.
ولم يتحمّل أمير المؤمنين عليه السلام هذه التعاليم الجائرة، فخرج مع أبنائه وعدد من الصحابة لتوديعه.
وله كلام عظيم خاطبه به وبيّن فيه ظُلامته. وتكلّم من كان معه أيضاً ليعلم الناس أنّ الذي أبعد هذا الصحابي الجليل إلى الربذة هو قول الحقّ ومقارعة الظلم لا غيرها.
وكان إبعاد أبي ذرّ أحد ممهّدات الثورة على عثمان. وذهب هذا الرجل العظيم إلى الربذة رضيّ الضمير؛ لأنّه لم يتنصّل عن مسؤوليّته في قول الحقّ، لكنّ قلبه كان مليئاً بالألم؛ إذ تُرك وحده، وفُصل عن مرقد حبيبه رسول الله ﷺ.
يقول عبدالله بن حواش الكعبي: رأيتُ أبا ذرّ في الربذة وهو جالس وحده في ظلّ سقيفةٍ، فقلت: يا أبا ذرّ! وحدك!.
فقال: كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعاري، وقول الحقّ سيرتي، وهذا ما ترك لي رفيقاً. =

. . . .

=توفّي أبو ذرّ سنة ٣٢هـ. وتحقّق ما كان يراه النبيّ ﷺ في مرآة الزمان، وما كان يقوله فيه، وكان قد قال ﷺ: «يرحم الله أبا ذرّ، يعيش وحده، ويموت وحده، ويُحْشَر يوم القيامة وحده».

ووصل جماعة من المؤمنين فيهم مالك الأشتر بعد وفاة ذلك الصحابي الكبير القائل الحقّ في زمانه، ووسّدوا جسده النحيف الثرى باحترام وتبجيل.

وعنه ﷺ: من سرّه أن ينظر إلى شبيه عيسى بن مريم خَلقاً وخُلقاً؛ فلينظر إلى أبي ذرّ.

تاريخ اليعقوبي: بلغ عثمان أيضاً أنّ أبا ذرّ يقع فيه، ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول الله، وسنن أبي بكر وعمر، فسيّره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس، حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه.

وكان يقف على باب دمشق، إذا صلّى صلاة الصبح، فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنّك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذرّ، فكتب إليه أن احمله على قَتب[1] بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة، وقد ذهب لحم فخذيه، فلمّا دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنّك تقول: سمعت رسول الله يقول: «إذا كملت بنو أُمية ثلاثين رجلاً اتّخذوا بلاد الله دُوَلاً[2]، وعباد الله خولاً[3]، ودين الله دَغَلاً[4]» فقال: نعم، سمعت رسول الله يقول ذلك.

فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟.

فبعث إلى عليّ بن أبي طالب، فأتاه، فقال: يا أبا الحسن! أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذرّ؟ وقصّ عليه الخبر. فقال عليّ: نعم! قال: وكيف تشهد؟ قال: لقول رسول الله ﷺ: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذرّ».

فلم يقم بالمدينة إلاّ أيّاماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجنّ عنها! قال: أتُخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم، وأنفك راغم. قال: فإلى مكّة؟ قال: لا، قال: فإلى البصرة؟ قال: لا، قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا، ولكن إلى الرَّبَذة التي خرجتَ منها حتى تموت بها! يا مروان، أخرِجه، ولا تدع أحداً يكلّمه، حتى يخرج.=

---

(١) القتب: رَحل البعير، صغير على قدر السنام.

(٢) جمع دولة، وهو ما يتداول من المال، فيكون لقوم دون قوم.

(٣) خولاً: أي خدماً وعبيداً، يعني أنهم يستخدمونهم ويستعبدونهم.

(٤) دغلاً: أي يخدعون به الناس، وأصل الدغل: الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه.

. . . .

=فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج وعليّ والحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وعمّار بن ياسر ينظرون، فلمّا رأى أبو ذرّ عليّاً قام إليه فقبّل يده ثمّ بكى، وقال: إنّي إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله، فلم أصبر حتى أبكي! فذهب عليّ يكلّمه، فقال له مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد، فرفع عليّ السوط فضرب وجه ناقة مروان، وقال: تنحَّ، نحّاك الله إلى النار!.
ثمّ شيّعه، فكلّمه بكلام يطول شرحه، وتكلّم كلّ رجل من القوم وانصرفوا، وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين عليّ في هذا بعض الوحشة، وتلاحيا كلاماً، فلم يزل أبو ذرّ بالربذة حتى توفي.
الأمالي للطوسي عن عبيد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري: لمّا قدم أبو ذرّ على عثمان، قال: أخبرني أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: مُهاجَري، فقال: لستَ بمجاوري. قال: فألحق بحرم الله، فأكون فيه؟ قال: لا، قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله ﷺ قال لي: «اسمَع وأطِع، وانفذْ حيث قادوك، ولو لعبدٍ حبشيّ مجدّع». فخرج إلى الربذة، وأقام مدّة، ثمّ أتى إلى المدينة، فدخل على عثمان والناس عنده سماطان، فقال: يا أمير المؤمنين! إنّك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلاّ شُوَيهات، وليس لي خادم إلاّ محرّرة[1]، ولا ظلّ يظلّني إلاّ ظلّ شجرة، فأعطِني خادماً وغُنَيمات أعِش فيها، فحوّل وجهه عنه، فتحوّل عنه إلى السماط الآخر، فقال مثل ذلك.
فقال له حبيب بن سلمة: لك عندي يا أبا ذرّ ألفُ درهم وخادم وخمسمائة شاة، قال أبو ذرّ: أعطِ خادمك وألفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك منّي؛ فإنّي إنّما أسأل حقّي في كتاب الله.
فجاء عليّ عليه السلام فقال له عثمان: ألا تُغني عنّا سفيهك هذا؟ قال: أيّ سفيه؟.
قال: أبو ذرّ! قال عليّ عليه السلام ليس بسفيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذرّ» أنزِلهُ بمنزلة مؤمن آل فرعون، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[2] قال عثمان: التراب في فيك! قال عليّ عليه السلام: بل التراب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك لأبي ذرّ، فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك، فولّى عليّ.
الكافي عن أبي جعفر الخثعمي: لمّا سيّر عثمان أبا ذرّ إلى الرّبذة شيّعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن والحسين عليهما السلام، وعمّار بن ياسر، فلمّا كان عند الوداع، قال أمير=

(١) المحررة: الذي جعل من العبيد حراً فأعتق.
(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

نسبته

في الاستيعاب: اختلف فيما بعد جنادة أيضاً، فقيل: جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صغير بن حرام بن غفار، وقيل: جندب بن جنادة بن صغير بن عبيد بن حرام بن غفار، وقيل: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرم بن غفار «اه».

وزاد في الكنى: وقيل: جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد بن الواقفة بن

=المؤمنين عليه السلام: يا أبا ذرّ، إنّك إنّما غضبت لله عزّ وجلّ، فارجُ من غضبت له. إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فأرحلوك عن الفناء وامتحنوك بالبلاء. ووالله لو كانت السماوات والأرض على عبد رَتْقاً، ثمّ اتّقى الله عزّ وجلّ؛ جعل له منها مخرجاً، فلا يؤنسك إلاّ الحقّ، ولا يوحشنّك إلاّ الباطل.

الإمام الصادق عليه السلام: لمّا شيّع أمير المؤمنين عليه السلام أبا ذرّ، وشيّعه الحسن والحسين عليهما السلام، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعمّار بن ياسر عليهم سلام الله؛ قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: ودِّعوا أخاكم؛ فإنّه لا بدّ للشاخص من أن يمضي، وللمشيّع من أن يرجع.

قال: فتكلّم كلّ رجل منهم على حياله، فقال الحسين بن عليّ عليهما السلام: رحمك الله يا أبا ذرّ! إنّ القوم إنّما امتهنوك بالبلاء؛ لأنّك منعتهم دينك، فمنعوك دنياهم؛ فما أحوجك غداً إلى ما منعتهم، وأغناك عمّا منعوك.

فقال أبو ذرّ: رحمكم الله من أهل بيت! فما لي في الدينا من شَجَن غيركم، إنّي إذا ذكرتكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله.

الأمالي للمفيد عن أبي جهضم الأزدي عن أبيه - بعد معاملة عثمان السيئة مع أبي ذرّ -: بلغ ذلك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبكى حتى بل لحيته بدموعه، ثمّ قال: أهكذا يُصنع بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله؟! إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثمّ نهض ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، وعبد الله بن العبّاس والفضل وقُثَم وعبيدالله، حتى لحقوا أبا ذرّ، فشيّعوه، فلمّا بصر بهم أبو ذرّ حنّ إليهم، وبكى عليهم، وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وشملتني البركة برؤيتها.

ثمّ رفع يديه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي أُحبّهم، ولو قُطّعت إرباً إرباً في محبّتهم، ما زلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فارجعوا رحمكم الله، والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة، فودّعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه.

حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار الغفاري «اهـ».

وفي طبقات ابن سعد الكبير: أبو ذر واسمه جندب بن جنادة بن كعيب بن صعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر «اهـ».

وفي أسد الغابة المشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن وقيل: ابن عبد الله، والاختلاف في أبيه كالاختلاف في اسمه إلا في السكان، وقيل: يزيد بن عرفة (عشرقة)، وقيل: اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن بياض بن عمرو بن مليل بلامين مصغراً ابن صعير بمهملتين مصغراً ابن حرام بمهملتين ابن غفار، وقيل: اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، قال: ووقع في رواية لابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر: يا جنيدب بالتصغير، وهذا الاختلاف في اسمه واسم أبيه أسنده كله ابن عساكر إلى قائليه وقال: هو إن بريراً تصحيف بريق وكذا زيد ويزيد وعرفة «اهـ».

وفي المستدرك بسنده، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة ابن سفيان بن عبيد بن حرام.

(وبسنده) عن محمد بن عبد الله بن نمير قال: أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة ابن سفيان بن عبيد بن حرام.

(وبسنده) عن محمد بن عبد الله بن نمير قال: أبو ذر جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن صعير بن حرام بن غفار «اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة: اسمه جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن ربيعة بن حرام بن غفار، وقيل: اسم أبيه برير بموحدة مصغراً وبكسر، أو عشرقة، أو عبد الله، أو السكن.

أمه

في الاستيعاب: أمه رملة بنت الرفيعة - أو الوقيعة - من بني غفار بن مليل أيضاً «اهـ».

وفي الإصابة يقال: إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه «اهـ» وأسلمت أمه معه لما أسلم وأخوه أنيس.

وفي المستدرك للحاكم أمه رملة بنت الوقيعة من بني غفار «اهـ».

صفته

في أسد الغابة في الأسماء: كان أبو ذر آدم طويلاً أبيض الرأس واللحية.

وفي باب الكنى كان أبو ذر طويلاً عظيماً أخرجه أبو عمر «اهـ» ولم أجده في الاستيعاب.

وفي الطبقات الكبير بسنده عن الأحنف بن قيس رأيت أبا ذر رجلاً طويلاً آدم أبيض الرأس واللحية.

وفي الإصابة: كان طويلاً أسمر اللون نحيفاً.

وفيها عن رجل من بني عامر دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم عليه حلة قطري فعرفت أنه أبو ذر بالنعت.

خبر إسلامه

في الاستيعاب في باب الكنى: له في إسلامه خبر حسن يروى من حديث ابن عباس عنه، ومن حديث عبد الله بن الصامت عنه، ثم ذكر سنده من حديث ابن عباس أنه قال: لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قال لأخيه أنيس: اركب إلى هذا الوادي واعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل فاضطجع فرآه علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» فقال: كأن الرجل غريب.

قال: نعم.

قال: انطلق إلى المنزل فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله.

قال: فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد فبقيت يومي حتى أمسيت وسرت إلى مضجعي فمر بي علي فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله فأقامه وذهب به معه وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك فأقامه علي معه، ثم قال له: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟.

قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، ففعل فأخبره «علي رضي الله عنه» أنه نبي وأن ما جاء به حق وأنه رسول الله ﷺ، فإذا أصبحنا فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل معي مدخلي.

قال: فانطلقت ودخلت معه وحييت رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله فكنت أول من حياه بتحية الإسلام.

فقال: وعليك السلام من أنت.

قلت: رجل من بني غفار، فعرض علي الإسلام فأسلمت وشهدت أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فقال لي رسول الله ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم واكتم أمرك عن أهل مكة فإني أخشاهم عليك.

فقلت: والذي نفسي بيده لأصوتن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته:

أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فثار القوم إليه وضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من بني غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم وأنقذه منهم، ثم عاد من الغد إلى مثلها وثاروا عليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه ثم لحق بقومه، فكان هذا أول إسلام أبي ذر ورواه الحاكم في المستدرك بسنده نحوه.

ثم روى في الاستيعاب بسنده من يزيد ابن حبيب قال: قدم أبو ذر على النبي ﷺ وهو بمكة فأسلم ثم رجع إلى قومه فكان يسخر بآلهتهم، ثم إنه قدم على رسول الله ﷺ المدينة «الحديث».

وفي المستدرك للحاكم بسنده عن أبي ذر قال: كنت ربع الإسلام أسلم قبلي ثلاثة نفر، وأنا الرابع أتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله «اهـ».

مؤاخاته

في الطبقات الكبير لابن سعد قال محمد بن إسحاق: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمرو أحد بني ساعدة، وأنكر محمد بن عمر الواقدي - هذه المؤاخاة بين أبي ذر والمنذر بن عمرو وقال: لم تكن المؤاخاة، إلا قبل بدر، فلما نزلت آية المواريث انقطعت المؤاخاة، وأبو ذر حين أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة بعد ذلك «اهـ».

وفي رجال بحر العلوم: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين المنذر بن عمرو في المؤاخاة الثانية، وهي مؤاخاة الأنصار مع المهاجرين وكانت بعد الهجرة بثمانية أشهر «اهـ».

وروى الكشي في ترجمة سلمان الفارسي بسنده عن جعفر، عن أبيه في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين أبي ذر وسلمان.

وروى الكليني في روضة الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان «اهـ».

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فقال: جندب بن جنادة الغفاري أبو ذر رحمه الله، وقيل: جندب بن السكن، وقيل: اسمه برير بن جنادة مهاجري مات في زمن عثمان بالربذة وذكره في أصحاب علي عليه السلام فقال: جندب بن جنادة، ويقال: جندب بن السكن يكنى أبا ذر أحد الأركان الأربعة.

وفي الفهرست جندب بن جنادة، ويقال: أبو ذر الغفاري رحمه الله أحد الأركان الأربعة له خطبة يشرح فيها الأمور بعد النبي ﷺ أخبرنا بها الحسين بن عبيد الله، عن الدرري، عن الحسن بن علي البصري، عن العباس بن بكار، عن الأشهب، عن أبي رجاء العطاردي قال: خطب أبو ذر وذكرها بطولها «اه».

وفي الخلاصة جندب بن جنادة الغفاري أبو ذر، وقيل: جندب بن السكن، وقيل: اسمه يزيد بن جنادة مهاجري أحد الأركان الأربعة.

روي عن الباقر عليه السلام أنه لم يتغير مات في زمن عثمان بالربذة، له خطبة يشرح فها الأمور بعد النبي ﷺ «اه».

وقال الشهيد الثاني في حواشي الخلاصة قوله: مات في زمن عثمان توفي أبو ذر سنة ٣٢ وصلى عليه ابن مسعود وقدم المدينة فأقام عشرة أيام فمات عاشرها، قوله: أحد الأركان الأربعة وهم: سلمان، والمقداد، وأبو ذر، وحذيفة «اه».

وقال ابن داود في رجاله: جندب بضم الدال وفتحها ابن جنادة أبو ذر الغفاري، وقيل: جندب بن السكن بالفتحتين، وقيل: اسمه برير بالباء المفردة المفتوحة والراء المكسورة والياء المثناة تحت والراء أخيراً «اه».

ومراده بذلك الرد على العلامة في قوله: إن جندب بفتح الدال وفي قوله وقيل اسمه يزيد فإن أحداً لم يقل إن اسمه يزيد، وإنما قيل: اسمه برير.

وفي الاستيعاب في باب الأسماء: كان إسلام أبي ذر قديماً يقال: بعد ثلاثة، ويقال: بعد أربعة، وقد روي عنه أنه قال: أنا ربع الإسلام وقيل: كان خامساً ثم رجع إلى بلاد قومه بعدما أسلم فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم على النبي ﷺ فصحبه إلى أن مات ثم خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام فلم يزل بها حتى ولي عثمان، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية فنفاه وأسكنه الربذة فمات بها.

روى عنه جماعة من الصحابة وكانوا أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق.

وفي باب الكنى: كان من كبار الصحابة قديم الإسلام يقال: أسلم بعد

أربعة فكان خامساً ثم انصرف إلى بلاد قومه، وأقام بها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة «اهـ».

وفي أسد الغابة: هو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحية الإسلام وكان يعبد الله قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث سنين، وبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا تأخذه في الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق وإن كان مراً «اهـ».

وفي الإصابة: أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة كان من السابقين إلى الإسلام، ثم ذكر خبر إسلامه عند مسلم من طريق عبد الله بن الصامت عن أبي ذر، وفي أوله صليت قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث وجهني الله «اهـ».

وهذا معنى ما مر عن أسد الغابة أنه صلى قبل البعثة بثلاث سنين.

وفي الطبقات الكبير لابن سعد، بسنده عن عبد الله بن الصامت الغفاري، عن أبي ذر في حديث أنه قال: وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث سنين.

فقلت: لمن؟.

قال: لله.

فقلت: أين تتوجه.

قال: أتوجه حيث يوجهني الله أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر السحر ألفيت كأني خفاء[1] حتى تعلوني الشمس «الحديث».

ورواه في حلية الأولياء بسنده عن أبي ذر مثله، وروى في حلية الأولياء أيضاً بسنده عن أبي ذر: صليت قبل الإسلام بأربع سنين، قيل له: من كنت تعبد، قال: إله السماء، قيل: فأين كانت قبلتك، قال: حيث وجهني الله عز وجل..

وروى ابن سعد في الطبقات - بسنده كان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق وكان شجاعاً يتفرد وحده بقطع الطريق ويغير على الصرم في عماية الصبح على ظهر

---

(١) الخفاء الكساء وزناً ومعنى «المؤلف».

فرسه أو على قدميه كأنه السبع، فيطرق الحي ويأخذ ما أخذ ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام «الحديث».

(أقول) هذا ينافي ما ذكره ابن سعد في طبقاته أيضاً قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني نجي أبو معشر قال: كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ويقول: لا إله إلا الله ولا يعبد الأصنام (الحديث)، فمن يكون متألهاً لا يكون من قطاع الطريق.

نعم روى ابن سعد بإسناده في حديث أن أبا ذر بعدما أسلم قال: يا رسول الله إني منصرف إلى أهلي وناظر متى يؤمر بالقتال فألحق بك، فإني أرى قومك عليك جميعاً.

فقال رسول الله ﷺ: أصبت! فانصرف فكان يكون بأسفل ثنية غزال فكان يعترض لعيرات قريش فيقتطعها فيقول: لا أرد إليكم منها شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن فعلوا رد عليهم ما أخذ منهم وإن أبوا لم يرد عليهم شيئاً، فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ ومضى بدر وأحد ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي ﷺ.

وروى أيضاً بسنده في آخر الحديث الذي فيه أنه كان يتأله: إنه بعدما أسلم رأى امرأة تطوف بالبيت وتدعو بأحسن دعاء في الأرض وتقول: أعطني كذا وكذا، ثم قالت في آخر ذلك: يا أساف ويا نائلة!.

فقال أبو ذر: أنكحي أحدهما صاحبه فتعلقت به وقالت: أنت صابيء، فجاء فتية من قريش فضربوه وجاء ناس من بني بكر فنصروه، فجاء إلى النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله أما قريش فلا أدعهم حتى أثأر منهم ضربوني، فخرج حتى أقام بعسفان، وكلما أقبلت عير لقريش يحملون الطعام ينفر بهم على ثنية غزال فتلقي أحمالها فجمعوا الحنط قال يقول أبو ذر لقومه: لا يمس أحد حبة حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فيقولون: لا إله إلا الله ويأخذون الغرائر.

وروى في الطبقات أيضاً بإسناده عن أبي ذر: كنت في الإسلام خامساً.

وبإسناده عن حكام ابن أبي الوضاح البصري: كان إسلام أبي ذر رابعاً وخامساً.

وبسنده عن أبي ذر في حديث أنه قال: ما زال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ما ترك لي الحق صديقاً.

وفي المستدرك للحاكم: ذكر مناقب أبي ذر الغفاري ثم روى بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال أبو ذر جندب بن جنادة، وقيل: يزيد بن جنادة، توفي بالربذة سنة ٣٢ واختلفوا فيمن صلى عليه فقيل: عبد الله بن مسعود، وقيل: جرير بن عبد الله البجلي «اهـ».

وعن ابن حجر في التقريب: تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً «اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة: وقال غير ابن حجر أسلم خامس خمسة ثم رجع إلى أرض قومه وقدم بعد الهجرة، وكان من أكابر العلماء والزهاد كبير الشأن، كان عطاؤه في السنة أربعمائة دينار، وكان لا يدخر شيئاً «اهـ».

ثم قال: كان أبو ذر من أعاظم الصحابة وكبرائهم الذين أوفوا بما عاهدوا عليه الله وهو أحد الأركان الأربعة وكفاه شرفاً ما رواه في وصيته المشهورة التي أوصاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي أنت وأمي أوصني بوصية ينفعني الله بها!.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم وأكرم بك يا أبا ذر! إنك منا أهل البيت، وإني موصيك بوصية فاحفظها.

وفي حلية الأولياء: ومنهم العابد الزهيد، القانت الوحيد، رابع الإسلام، ورافض الأزلام قبل نزول الشرع والأحكام، تعبد قبل الدعوة بالشهور والأعوام، وأول من حيا الرسول بتحية الإسلام، لم تكن تأخذه في الحق لائمة اللوام، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام، أول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا! واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حل بساحة المنايا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، خدم الرسول، وتعلم الأصول، ونبذ الفضول. وقد قيل: إن التصوف التأله والتدله، عن غلبات التوله. ثم قال وكان أبو ذر رضي الله تعالى عنه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملازماً

وجليساً، وعلى مسألته والاقتباس منه حريصاً، وللقيام على ما استفاد منه أنيساً، سأله عن الأصول والفروع، وسأله عن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤية ربه تعالى، وسأله عن أحب الكلام إلى الله تعالى، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء أم تبقى، وسأله عن كل شيء حتى عن مس الحصى في الصلاة، تخلى من الدنيا وتشمر للعقبى وعانق البلوى إلى أن لحق بالمولى «اهـ».

وأراد بمس الحصى ما رواه هو بسنده عن أبي ذر: سألت رسول الله ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن مس الحصى فقال: مسه أودع «اهـ».

ثم روى بسنده عن أبي ذر كنت رابع الإسلام أسلم قبلي ثلاثة وأنا الرابع «اهـ».

وفي رجال بحر العلوم: جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري رابع الإسلام، وخادم رسول الله ﷺ، وأحد الحواريين الذين مضوا على منهاج سيد المرسلين، ثم ذكر بدء إسلامه وذهابه إلى بلاد قومه ثم هجرته إلى المدينة ومؤاخاته، وقال: ثم شهد مشاهد رسول الله ﷺ ولزم بعده أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من المهاجرين بمناقب أهل البيت عليهم السلام، ومثالب أعدائهم لم تأخذه في الله لومة لائم عند ظهور المنكر وانتهاك المحارم، ثم ذكر ما قاله فيه النبي والوصي عليهما السلام ثم قال: وكان بينه وبين عثمان مشاجرة في مسألة من مسائل الزكاة فتحاكما عند رسول الله ﷺ فحكم لأبي ذر على عثمان. قال: وذكر ابن شهرآشوب أنه ثاني اثنين صنفا في الإسلام.

قال: وروي أنه لما اشتد إنكار أبي ذر على عثمان نفاه إلى الشام وأخذ في النكير عليه وعلى معاوية، وكان يقول: والله إني لأرى حقاً يطفى وباطلاً يحيى، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه، فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد صرف قلوب أهل الشام عنك وبغضك إليهم، فلا يستفتون غيره ولا يقضي بينهم إلا هو. فكتب إلى معاوية أن أحمل أبا ذر على ناب صعبة وقتب ثم ابعث به مع من ينخش به نخشاً عنيفاً حتى يقدم به علي. فلما قدم به على عثمان كان مما أنبه به أن قال: إنه يقول إنه خير من الشيخين!.

فقال أبو ذر: أجل والله لقد رأيتني رابع أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما أسلم غيرنا ولا أسلما!.

فقال علي: والله لقد رأيته وهو رابع الإسلام، ثم أن عثمان نفاه إلى الربذة فلم يزل بها حتى مات سنة ٣٢ من الهجرة، وقبره بالربذة معروف «اهـ».

✍ ما ورد فيه من الروايات

قال الكشي في رجاله: أبو ذر أبو الحسن محمد بن سعد بن مزيد ومحمد بن أبي عوف قالا: حدثنا محمد بن أحمد بن حماد أبو علي المحمودي المروزي رفعه، قال أبو ذر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنه: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويدخل الجنة وحده، وهو الهاتف بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله واستخلافه إياه، فنفاه القوم عن حرم الله وحرم رسوله بعد حملهم إياه من الشام على قتب بلا وطاء (إلى أن قال): فقتلوه فقراً وجوعاً، وذلاً وضمراً (وضراً) وصبراً.

وفي الاستيعاب في باب الأسماء: سئل علي عليه السلام عن أبي ذر فقال: ذاك رجل وعى علماً عجز عنه الناس ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه «اهـ».

أقول: معنى قوله: «**عجز عنه الناس**» - والله أعلم -: أنه وعى علماً كثيراً عجز غيره عن أن يعي مثله لكثرته، وحاصله أنه كان شديد الطلب للعلم ولم يقدر غيره أن يطلب من العلم ويحفظ منه بقدر ما طلب هو وحفظ من العلم لشدة رغبته في أخذ العلم ووعيه.

وقوله «**ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه**»: دال على أن ذلك العلم كان مما لا تطيق عقول الناس حمله ولا تقبل نفوسهم التصديق به، فلذلك كتمه عنهم، وأوكأ عليه كالذي يوكيء على مال أو غيره، وإلا فليس يخفى على أبي ذر ما جاء من الذم في حق كاتم العلم، ويحتمل أن يراد بعجز الناس عنه عجز عقولهم عن حمله وقبوله ونفوسهم عن التصديق به، وما في الحديث يفسر ما في الحديث الذي رواه **ابن سعد في الطبقات** بسنده عن زاذان قال: سئل علي عن أبي ذر فقال: وعى علما عجز فيه، وكان شحيحاً حريصاً شحيحاً على دينه حريصاً على

العلم، وكان يكثر السؤال فيعطى ويمنع، أما إنه قد مليء له في وعائه حتى امتلأ، فلم يدروا ما يريد بقوله: «**وعى علماً عجز فيه**»: أعجز عن كشف ما عنده من العلم؟ أم عن طلب ما طلب من العلم إلى النبي ﷺ «اهـ».

فإن الحديث المروي في الاستيعاب صريح في أن الناس عجزوا عن هذا العلم لا هو، وحينئذٍ فالظاهر أن يقرأ عجز فيه بالبناء للمجهول أي عجز الناس فيه، ويمكن أن يكون أصله عجز عنه فصحف من النساخ، وقوله: «**فلم يدروا إلخ...**» غير بعيد أن يكون المراد به أن من تأخر عن ذلك العصر لم يدر ما يريد به ولو كان الذي سمعوه لم يدروا ما أراد لسألوه عن مراده، والله أعلم.

ولا يخفى ما في هذه الأحاديث من المدح العظيم لأبي ذر بالعلم من أنه وعى من العلم ما عجز عنه الناس، وأنه مليء له في وعائه حتى امتلأ، وأي فضل أفضل من العلم وأي درجة أعلى من درجة العلم..

وفي الاستيعاب في الأسماء: روي عن النبي ﷺ أنه قال: في أمتي أبو ذر شبيه عيسى بن مريم في زهده.

وبعضهم يرويه: «**من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر**».

ومن حديث ورقاء وغيره، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ومن سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر «اهـ».

وفي أسد الغابة: روي أن النبي ﷺ قال: أبو ذر يمشي على الأرض في زهد عيسى بن مريم.

وفي الاستيعاب في الأسماء: وروى الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت عند أبي الدرداء إذ دخل رجل من أهل المدينة فسأله فقال: أين تركت أبا ذر.

قال: بالربذة.

فقال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون لو أن أبا ذر قطع مني عضواً ما هجته، لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه.

(وفيه) في باب الكنى بسنده، عن أبي الدرداء أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر.

قال: وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله ما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً «اهـ».

وفي **الإصابة** أخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبتدىء أبا ذر إذا حضر ويتفقده إذا غاب «اهـ».

وروى **ابن سعد في الطبقات**، بسنده عن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر.

وبسنده عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر.

وبسنده عن مالك بن دينار أن النبي صلى الله عليه وآله: قال: أيكم يلقاني على الحال التي أفارقه عليها.

فقال أبو ذر: أنا.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: صدقت، ثم قال: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، من سره أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر.

وبسنده عن أبي الدرداء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وبسنده عن محمد بن سيرين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وبسنده عن علي أنه قال: لم يبق اليوم أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر ولا نفسي ثم ضرب بيده إلى صدره.

(قوله) : «**ولا نفسي**» إن صح حمل على التواضع وهضم النفس وإلا فمن الذي لا يخشى في الله لومة لائم مثل علي عليه السلام.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن مالك بن مرثد، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تقل الغبراء وما تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر، شبيه عيسى بن مريم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله فنعرف ذلك له.

قال: نعم فاعرفوه له.

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وبسنده عن عبد الله بن عمر سمعت عن أبي الدرداء قال: قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وفي الدرجات الرفيعة، روي عن النبي صلى الله عليه وآله :من أراد أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى زهد أبي ذر.

قال: وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء، عن زيد بن وهب وأبو علي المحمودي المروزي في أماليه أنه قال صلوات الله عليه: ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وفي رواية الترمذي: أصدق وأوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم، ثم قال، عمر بن الخطاب: يا رسول الله أفنعرف ذلك له.

فقال: نعم فاعرفوه.

وفي رواية المحمودي: يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويدخل الجنة وحده.

وروى الصدوق في العيون، بإسناده عن الرضا، عن آبائه، عن علي

صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبو ذر صديق هذه الأمة «اهـ».

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قد جاء في الأخبار الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الجنة لتشتاق إلى أربعة: علي، وعمار، وأبي ذر، والمقداد «اهـ».

زهده

قال الكشي في رجاله: حدثني علي بن محمد القتيبي، حدثنا الفضل بن شاذان، حدثني أبي، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكير قال: قال أبو الحسن عليه السلام، قال أبو ذر: من جزى الله عنه الدنيا خيراً فجزاها الله عني مذمة بعد رغيفيْ شعير أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر، وبعد شملتيْ صوف أتزر بإحداهما وأرتدي بالأخرى.

قال: وقال: إن أبا ذر بكى من خشية الله حتى اشتكى عينيه فخافوا عليهما.

فقيل له: يا أبا ذر لو دعوت الله في عينيك.

فقال: إني عنهما لمشغول وما عناني أكثر.

فقيل له: وما شغلك عنهما.

قال: العظيمتان الجنة والنار.

قال: وقيل له عند الموت: يا أبا ذر ما مالك.

قال: عملي.

قالوا: إنا نسألك عن الذهب والفضة.

قال: ماأصبح فلا أمسى وما أمسى فلا أصبح لنا كندوج[1] ندع فيه خير (حر) متاعنا، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كندوج المرء قبره.

وفي الطبقات الكبير لابن سعد، بسنده عن عبد الله بن خراش: رأيت أبا ذر في مظلة، وفي وراية: في مظلة شعراء وتحت امرأة سحماء.

(١) الكندوح بفتح الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعد الواو جيم شبه المخزن لفظ معرب. «المؤلف».

وبسنده عن محمد سألت ابن أخت لأبي ذر ما ترك أبو ذر فقال: ترك تانين وعفاً وأعنزا وركائب، فقال: العفو الحمار الذكر.

وبسنده عن جعفر بن برقان، عن غالب بن عبد الرحمن: لقيت رجلاً قال: كنت أصلي مع أبي ذر في بيت المقدس ،فكان إذا دخل خلع خفيه فإذا بزق أو تنخع تنخع عليهما، ولو جمع ما في بيته لكان رداء هذا الرجل أفضل من جميع ما في بيته.

قال جعفر: فذكرت هذا الحديث لمهران بن ميمون فقال: ما أراه كان ما في بيته يسوى درهمين.

وفي الإستيعاب، روى إبراهيم التميمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً من تمر، فلست بزائد عليه حتى ألقى الله.

وفي الطبقات بسنده عن عطاء ابن أبي مروان، أنه رأى أبا ذر في نمرة مؤتزراً بها قائماً يصلي قال: فقلت: يا أبا ذر أمالك ثوب غير هذه النمرة.

قال: لو كان لي لرأيته علي.

قال: فإني رأيت عليك منذ أيام ثوبين.

فقال: يا بن أخي أعطيتهما من هو أحوج إليهما مني.

قلت: والله إنك لمحتاج إليهما.

قال: اللهم غفراً إنك لمعظم الدنيا أليس ترى علي هذه البردة ولي أخرى للمسجد، ولي أعنز نحلبها، ولي أحمرة نحتمل عليها ميرتنا، وعندنا من يخدمنا ويكفينا مهنة طعامنا، فأي نعمة أفضل مما نحن فيه.

(وبسنده) **عن أبي شعبة قال**: جاء رجل من قومنا أبا ذر يعرض عليه نفقة، فأبى أبو ذر أن يأخذ.

وقال: لنا أحمرة نحتمل عليها وأعنز نحلبها، ومحررة تخدمنا، وفضل عباءة من كسوتنا، وإني لأخاف أن أحاسب بالفضل.

وبسنده عن عيسى بن عميلة الفزاري قال: أخبرني من رأى أبا ذر يحلب غنيمة له فيبدأ بجيرانه وأضيافه قبل نفسه، ولقد رأيته ليلة حلب حتى ما بقي في

ضروع غنمه شيء إلا مصره، وقرب إليهم تمراً وهو يسير ثم تعذر إليهم وقال: لو كان عندنا ما هو أفضل من هذا لجئنا به.

قال: وما رأيته ذاق تلك الليلة شيئاً.

وبسنده عن خالد بن حيان قال: كان أبو ذر وأبو الدرداء في مظلتين من شعر بدمشق.

وبسنده عن عبد الله بن خراش الكعبي قال: وجدت أبا ذر في مظلة شعر بالربذة تحته امرأة سحماء فقلت: يا أبا ذر تزوج سحماء؟.

قال: أتزوج من تضعني أحب إلي ممن ترفعني (الحديث).

وبسنده: كسي أبو ذر بردتين فائتزر بإحداهما وارتدى بشملة، وكسا إحداهما غلامه ثم خرج على القوم فقالوا له: لو كنت لبستهما جميعاً كان أجمل!.

قال: أجل، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تكسون.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن عبد الله بن الصامت ابن أخي أبي ذر قال: دخلت مع عمي على عثمان! إلى أن قال: ثم قام - يعني أبا ذر - فقال: أعزموا دنياكم ودعونا وربنا وديننا، وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف، وكان عنده كعب، فقال عثمان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي في السبل ويفعل ويفعل؟.

قال: إني لأرجو له خيراً، فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: وما يدريك يا بن اليهودية! ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه «اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة: روي أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك!.

فقال كعب: وما تخافون عليه؟ كسب طيباً وأنفق طيباً، فبلغ ذلك أبا ذر رحمة الله عليه، فخرج مغضباً يريد كعباً، فمر فلحق عظم بعير فأخذه بيده ثم

انطلق يطلب كعباً، فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك، فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، فأقبل أبو ذر يقتص الخبر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبي ذر رحمه الله.

فقال أبو ذر: ههنه يا بن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن، لقد خرج رسول الله ﷺ نحو أحد وأنا معه فقال: يا أبا ذر، فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وفوقه وخلفه وقدامه وقليل ما هم ثم قال: يا أبا ذر.

قلت: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال: ما سرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت ثم أموت ولا أترك منه قيراطين ثم قال: يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل، فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول: يا بن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج.

(**وفي حلية الأولياء**) بسنده عن عبد الله بن خراش: رأيت أبا ذر بالربذة في ظلة له سوداء، له امرأة سحماء، وهو جالس على قطعة جوالق، فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد.

فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء.

قالوا: يا أبا ذر لو اتخذت امرأة غير هذه؟.

قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إلي من امرأة ترفعني.

فقالوا له: لو اتخذت بساطاً ألين من هذا.

قال: اللهم غفراً، خذ مما خولت ما بدا لك.

وبسنده عن أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر وهو بالربذة، وعنده امرأة له سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق.

قال: فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم، وإن خليلي عهد إلي أن دون جسر

جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة، وأنا إن نأتِ عليه وفي أحمالنا اقتدار، أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

وبسنده من أبي بكر بن المنكدر قال: بعث حبيب بن مسلمة - وهو أمير الشام - إلى أبي ذر بثلاث مئة دينار وقال: استعن بها حاجتك.

فقال أبو ذر: ارجع بها إليه، أما وجد أحداً أغر بالله منا، ما لنا إلا ظل نتوارى به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إني لأتخوف الفضل.

(وبسنده) **عن محمد بن سيرين** قال: بلغ الحارث - رجلاً كان بالشام - من قريش - أن أبا ذر به عوز، فبعث إليه بثلاث مئة دينار.

فقال: ما وجد عبداً لله تعالى هو أهون عليه مني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سأل وله أربعون فقد ألحف» ولآل أبي ذر أربعون درهماً وأربعون شاة.

(وبسنده) **عن أبي ذر قال**: كان قوتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاعاً، فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عز وجل.

(وبسنده) **عن أبي ذر قيل له**: ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان؟.

قال: وما أصنع بأن أكون أميراً، وإنما يكفيني كل يوم شربة ماء - أو لبن - وفي الجمعة قفيز من قمح.

(وبسنده) **عن ثابت** أن أبا ذر مر بأبي الدرداء وهو يبني بيتاً له فقال: لقد حملت الصخر على عواتق الرجال؟.

فقال: إنما هو بيت أبنيه.

فقال له أبو ذر رضي الله تعالى عنه: مثل ذلك.

فقال: يا أخي لعلك وجدت علي في نفسك من ذلك.

قال: لو مررت بك وأنت في عذرة أهلك كان أحب إلي مما رأيتك فيه.

(وبسنده) **عن أبي ذر أنه قال**: يولدون للموت، ويعمرون للخراب ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر.

وبسنده عن أبي ذر أنه قال: في المال ثلاثة شركاء:

١ - القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت.

٢ - والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم. فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن، فإن الله عز يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] ألا وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي، فأحببت أن أقدمه لنفسي.

وبسنده عن أبي السليل قال: جاءت ابنة أبي ذر وعليها مجنبتا صوف سفعاء الخدين ومعها قفة لها، فمثلث بين يديه وعنده أصحابه، فقالت: يا أبتاه زعم الحراثون والزراعون أن أفلسك هذه بهرجة!.

فقال: يا بنية ضعيها فإن أباك أصبح بحمد الله ما يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه.

وبسنده عن أبي ذر قال: ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي الدرهم.

وروى ابن سعد في الطبقات، بسنده عن أبي ذر أنه قال: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعته يقول: أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيأة ما تركته فيها، وأنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث منها بشيء غيري.

وفي البحار، عن كتاب الحسين بن سعيد، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى أبا ذر رجل يبشره بغنم له قد ولدت فقال: يا أبا ذر أبشر فقد ولدت غنمك وكثرت!.

فقال: ما يسرني كثرتها وما أحب ذلك، فما قل وكفى أحب إلي مما كثر وألهى! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: على حافتي الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مر عليه الوصول للرحم المؤدي للأمانة لم يتكفأ به في النار «اهـ».

عبادته: التفكر:

روى ابن سعد في الطبقات، بسنده عن أبي عثمان النهدي قال: رأيت أبا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

ذر يميد على راحلته وهو مستقبل مطلع الشمس فظننته نائماً فدنوت منه فقلت: أنائم أنت يا أبا ذر.

قال: لا بل كنت أصلي.

(**وفي حلية الأولياء**) بسنده عن محمد بن واسع أن رجلاً من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة أبي ذر يسألها عن عبادة أبي ذر فقال: جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر.

قالت: كان النهار أجمع خالياً يتفكر.

وروى الصدوق في الخصال، بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كان أكثر عبادة أبي ذر التفكر.

شدة خوفه من الله

في حلية الأولياء، بسنده عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها.

وروى الصدوق في الخصال، بسنده عن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال: بكى أبو ذر من خشية الله عز وجل حتى اشتكى بصره.

فقيل له: يا أبا ذر لو دعوت الله أن يشفي بصرك!.

فقال: إني عنه لمشغول وما هو من أكبر همي!.

قالوا: وما يشغلك عنه؟

قال: العظيمان الجنة والنار «اهـ».

وفي البحار، عن كتاب الحسين بن سعيد، عن ابن محبوب، عن الثمالي، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال: إن أبا ذر عير رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمه فقال له: يا بن السوداء - وكانت أمه سوداء - فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تعيره بأمه يا أبا ذر! فلم يزل أبو ذر يمرغ وجهه في التراب ورأسه حتى رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه «اهـ».

بعض فتاواه

في **حلية الأولياء**، بسنده عن أبي ذر أن رجلاً أتاه فقال: إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا أنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟.

فقال: لا قف مالك، وقل: ما كان لكم من حق فخذوه، وما كان باطلاً فذروه، فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة وعلى رأسه فتى من قريش.

فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟.

فقال: أرقيب أنت علي، فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة ههنا، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تحتزوا لأنفذتها «اهـ».

موالاته لعلي (ع)

في **كشف الغمة**، عن أحمد بن مردويه، في كتاب المناقب، عن محمد بن علي بن رحيم، عن الحسن بن الحكم الخيري، عن سعد بن عثمان الخزاز، عن أبي مريم، عن داود بن أبي عوف، عن معاوية بن ثعلبة الليثي قال: ألا أحدثك بحديث لم يختلط؟.

قلت: بلى!.

قال: مرض أبو ذر فأوصى إلى علي عليه السلام فقال بعض من يعوده: لو أوصيت إلى أمير المؤمنين عثمان كان أجمل لوصيتك من علي!.

قال: والله لقد أوصيت إلى أمير المؤمنين حق أمير المؤمنين! والله إنه للربيع الذي يسكن إليه ولو قد فارقكم، لقد أنكرتم الناس وأنكرتم الأرض.

قال: قلت: يا أبا ذر إنا لنعلم أن أحبهم إلى رسول الله ﷺ أحبهم إليك!.

قال: أجل!

قلنا: فأيهم أحب إليك؟.

قال: هذا الشيخ المظلوم المضطهد حقه، يعني علي بن أبي طالب.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد، عن أبي جعفر الأسكافي قال: روى محمد بن عبد الله ابن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما أردت الانصراف قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ: علي بن أبي طالب فاتبعوه.

بعض أخباره

روى الكليني في روضة الكافي، عن شعيب العقرقوفي، قلت لأبي عبد الله عليه السلام شيء يروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول ثلاث يبغضها الناس وأنا أحبها: أحب الموت، وأحب الفقر، وأحب البلاء.

فقال: إن هذا ليس على ما ترون إنما عنى بالموت في طاعة الله أحب إلي من الحياة في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحب إلي من الصحة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحب إلي من الغنى في معصية الله «اهـ».

وروى الكليني في روضة الكافي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل بالمدينة يدخل مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقال: اللهم آنس وحشتي وصل وحدتي وارزقني جليساً صالحاً، فإذا هو برجل في أقصى المسجد فسلم عليه وقال له: من أنت يا عبد الله.

فقال: أنا أبو ذر.

فقال الرجل: الله أكبر الله أكبر.

فقال أبو ذر: ولم تكبر يا عبد الله.

فقال: إني دخلت المسجد فدعوت الله عز وجل أن يؤنس وحشتي وأن يصل وحدتي، وأن يرزقني جليساً صالحاً.

فقال له أبو ذر: أنا أحق بالتكبير منك، إذا كنت ذلك الجليس فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وأنتم على ترعة يوم القيامة حتى يفرغ الناس من الحساب ثم يا عبد الله فقد نهى السلطان عن مجالستي «اهـ».

وفي لباب الآداب: أورد الإمام أبو الحسين يحيى بن نجاح في كتاب سبل

الخيرات: أن عثمان بن عفان أرسل إلى أبي ذر الغفاري بصرة فيها نفقة على يد عبد له وقال: إن قبلها فأنت حر فأتاه بها فلم يقبلها.

فقال: إقبلها يرحمك الله فإن فيها عتقي.

فقال: إن كان فيها عتقك فإن فيها رقي وأبى أن يقبلها «اهـ».

وروى الحميري في المحاسن، بسنده عن الصادق ﷷ قال: رؤي أبو ذر يسقي حماراً له بالربذة، فقال له بعض الناس: أما لك يا أبا ذر من يسقي لك هذا الحمار.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من دابة إلا وهي تسأل كل صباح: اللهم ارزقني مليكاً صالحاً يشبعني من العلف ويرويني من الماء، ولا يكلفني فوق طاقتي، فأنا أحب أن أسقيه بنفسي «اهـ».

✍ خبره في غزوة تبوك

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره.

فقال رسول الله ﷺ: دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه فتلوم أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، فخرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله هذا رجل يمشي على الطريق.

فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر.

فقال رسول الله ﷺ: رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: كان أبو ذر تخلف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، وذلك أن جمله كان أعجف فلحق بعد ثلاثة أيام، ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه، وحمل ثيابه على ظهره، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر.

فقالوا: هو أبو ذر.

فقال رسول الله ﷺ: أدركوه بالماء فإنه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذر فقال رسول الله ﷺ ومعه أداوة فيها ماء.

فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر معك ماء وعطشت.

فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي، انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك يسعد بك قوم يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك (الحديث).

✍ ما روي عنه من الأخبار

في **حلية الأولياء**، بسنده عن أبي ذر قال: ليأتين عليكم زمان يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة «اهـ».

الحاذ: الظهر كنى به عن قلة المال والولد.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن المنتصر بن عمارة بن أبي ذر الغفاري، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ قال: إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة، وكثرت التجارة، وكثر المال، وعظم رب المال بماله، وكثرت الفاحشة، وكانت إمارة الصبيان، وكثر النساء، وجار السلطان، وطفف في المكيال والميزان، ويربي الرجل جرو كلب خير له من أن يربي ولداً له، ولا يوقر كبير، ولا يرحم صغير، ويكثر أولاد الزنا حتى أن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق فيقول: أمثلهم في ذلك الزمان: لو اعتزلتما عن الطريق، ويلبسون جلود الضان على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك الزمان المداهن.

✍ ما رواه من المواعظ والحكم عن رسول الله ﷺ

في أسد الغابة، بسنده عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى أنه قال:.

يا عبادي: إني قد حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا.

يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي: كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة.

يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه «اهـ».

(وروى) **الحاكم في المستدرك**، بسنده عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ: خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم.

(وبسنده) **عن صدقة ابن أبي عمران بن حطان قال**: أتيت أبا ذر فوجدته في المسجد محتبئاً بكساء أسود وحده فقلت: يا أبا ذر ما هذه الوحدة.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر.

وفي الطبقات الكبير، بسنده عن أبي ذر: أوصاني خليلي بسبع:

١ - أمرني بحب المساكين والدنو منهم.

٢ - وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي.

٣ - وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً.

٤ - وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت.

٥ - وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً.

٦ - وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم.

٧ - وأمرني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش.

وبسنده عن أبي ذر قال: إن خليلي عهد إلي أن أي مال ذهب أو فضة أوكي عليه فهو جمرعلى صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله.

وبسنده عن أبي ذر أنه قال: ليس من وعى ذهباً أو فضة يوكي عليه إلا وهو يتلظى على صاحبه.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن أبي ذر: إن خليلي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلي أنه أيما ذهب أو فضة أوكيء عليه فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه في سبيل الله عز وجل.

وبسنده عن أبي ذر: نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو على هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(١).

عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا ذر إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فما زال يقولها ويعيدها علي.

وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر

روى **الصدوق في الخصال**، ومعاني الأخبار، بسنده عن عتبة بن عمير الليثي، عن أبي ذر، ورواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، بأسانيده عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، واللفظ بحلية الأولياء، قال أبو ذر: دخلت

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

المسجد وإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه فقال: «يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما».

فقال: فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست إليه فقلت: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟.

قال: «خير موضوع استكثر أو استقل».

قلت: يا رسول الله فأي الأعمال أفضل؟.

قال: «إيمان بالله عز وجل، وجهاد في سبيله».

قال: قلت: يا رسول الله فأي المؤمنين أكملهم إيماناً؟.

قال: «أحسنهم خلقاً».

قال: قلت: يا رسول الله فأي المؤمنين أسلم؟.

قال: «من سلم الناس من لسانه ويده».

قال: قلت: يا رسول الله فأي الهجرة أفضل؟.

قال: «من هجر السيئات».

قال: قلت: يا رسول الله فأي الصلاة أفضل؟.

قال: «طول القنوت».

قال: قلت: يا رسول الله فما الصيام؟.

قال: «فرض مجزٍ وعند الله أضعاف كثيرة».

قال: قلت: يا رسول الله فأي الجهاد أفضل؟.

قال: «من عقر جواده وأهريق دمه».

قال: قلت: يا رسول الله فأي الرقاب أفضل؟.

قال: «أغلاها ثمناً وأنفسها عند ربها».

قال: قلت: يا رسول الله فأي الصدقة أفضل؟.

قال: «جهد من مقل يسر إلى فقير».

قلت: يا رسول الله أوصني!.

قال: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله».

قلت: يا رسول الله زدني!.

قال: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء».

قلت: يا رسول الله زدني!

قال: «إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه».

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي».

قلت: يا رسول الله زدني!

قال: «أحب المساكين وجالسهم».

قلت: يا رسول الله زدني!.

قال: «انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك».

قلت: زدني يا رسول الله!.

قال: «صل قرابتك وإن قطعوك».

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «لا تخف في الله تعالى لومة لائم».

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «قل الحق وإن كان مراً».

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «يردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى به عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تأتي».

ثم ضرب بيده على صدري فقال: «يا أبا ذر!: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق».

وروى الحميري في قرب الإسناد، بسنده عن أبي ذر قال: أوصاني رسول الله ﷺ بسبع:

١ - أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي.

٢ - وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم.

٣ - وأوصاني أن لا أسأل أحداً شيئاً.

٤ - وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً.

٥ - وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت.

٦ - وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم.

٧ - وأوصاني أن أستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنها من كنوز الجنة.

مكارم الأخلاق: يقول مولاي أبي طوّل الله عمره الفضل بن الحسن: هذه الأوراق من وصيّة رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه التي أخبرني بها الشيخ المفيد أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله المقريء الرازي، والشيخ الأجل الحسن بن الحسين بن الحسن أبي جعفر محمد بن بابويه رضي الله عنهما إجازة قالا: أملى علينا الشيخ الأجل أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي - قدّس سره -: وأخبرني بذلك الشيخ العالم الحسين بن الفتح الواعظ الجرجاني في مشهد الرضا عليه السلام، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن محمد الطوسي، قال: حدّثني أبي الشيخ أبو جعفر - قدّس سره -، قال: أخبرنا جماعة عن أبو الحسين رجاء بن يحيى العبرتائي الكاتب سنة أربع عشرة وثلاثمائة - وفيها مات -، قال: حدّثنا محمد بن الحسين بن ميمون، قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن الفضيل بن يسار، عن وهب بن عبد الله الهناء، قال: حدّثني أبو حرب بن الأسود الدؤلي، عن أبي الأسود قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه فحدّثني أبو ذر قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أرَ في المسجد أحداً من الناس إلاّ رسول الله ﷺ

وعلي عليه السلام إلى جانبه جالس، فإغتنمت خلوة المسجد فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أوصني بوصية ينفعني الله بها.

فقال: نعم، وأكرِمْ بك يا أبا ذر، إنك منّا أهل البيت، وإني موصيك بوصية فاحفظها، فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان.

يا أبا ذر: اعبدِ الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك. واعلمْ أن أوّل عبادة الله المعرفة به، فهو الأوّل قبل كل شيء فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء وهو الله اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير، ثم الإيمان بي، والإقران بأن الله تعالى أرسلني إلى كافّة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

واعلم **يا أبا ذر**: إن الله عزّ وجلّ جعل أهل بيتي في أمّتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخلها كان آمناً.

يا أبا ذر: إحفظْ ما أوصيك به تكنْ سعيداً في الدنيا والآخرة.

با أبا ذر: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ.

يا أبا ذر: إغتنمْ خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

يا أبا ذر: إيَّاك والتسويفَ بأملك، فإنّك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غداً لم تندم على ما فرّطت في اليوم.

يا أبا ذر: كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنظر غداً لا يبلغه.

يا أبا ذر: لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.

يا أبا ذر: كنْ كأنك في الدينا غريب أو كعابر سبيل. وعدَّ نفسك من أصحاب القبور.

يا أبا ذر: إذا أصبحت فلا تحدّثْ نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدّثْ نفسك بالصباح، وخذْ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري ما اسمك غداً.

يا أبا ذر: إيّاك أن تدركك الصرعة عند العثرة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلَّفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به.

يا أبا ذر: كنْ على عمرك أشحَّ منك على درهمك وديناركَ.

با أبا ذر: هل ينتظر أحدكم إلاّ غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مقعداً، أو موتاً مهجزاً، أو الدجال، فإنه شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمرّ.

يا أبا ذر: إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، ومن طلب علماً ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر: من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر: إذا سُئلت عن علم لا تعلمه فقلْ: لا أعلمه، تنجُ من تبعته، ولا تفتِ بما لا علم لك به، تنجُ من عذاب الله يوم القيامة.

يا أبا ذر: يطَّلِع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وقد دخلنا الجنة لفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنّا كنا نأمر بالخير ولا نفعله.

يا أبا ذر: إن حقوق الله جلَّ ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين.

يا أبا ذر: إنّك في ممر الليل والنهار في آجال منقوصى، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتى، ومن يزرعْ خيراً يوشكْ أن يحصدَ خيراً، ومن يزرعْ شراً يوشك أن يحصدَ ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع.

يا أبا ذر: لا يسبق بطيء لحظة، ولا يدرك حريص ما لم يُقدَّر له، ومن أعطى خيراً فالله أعطاه، ومن وُقي شراً فالله وقاه.

يا أبا ذر: المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم الزيادة.

يا أبا ذر: إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه، وإن الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مرَّ على أنفه.

يا أبا ذر: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة، والإثم عليه ثقيلاً وبيلاً. وإذا أراد بعبد شراً أنساه ذنوبه.

يا أبا ذر: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن أنظر إلى من عصيت.

يا أبا ذر: إن المؤمن أشدّ إرتكاضاً من الخطيئة من العصفور حين يقذف به في شركه.

يا أبا ذر: من وافق قوله فعله فذاك الذي أصابه حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه.

يا أبا ذر: إن الرجل ليحرم رزقه بالذنب يصيبه.

يا أبا ذر: دع ما لست منه في شيء، فلا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن ورقك.

يا أبا ذر: إن الله جلَّ ثناؤه ليدخل قوماً الجنة فيعطيهم حتى يملُّوا وفوقهم قوم في الدرجات العلى، فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون: ربنا إخواننا كنا معهم في الدينا فبمَ فضّلتهم علينا؟ فيقال: هيهات هيهات، إنّهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويظمأون حين تروون، ويقومون حين تنامون ويشخصون حين تخفضون.

يا أبا ذر: جعل الله جلَّ ثناؤه قرّة عيني في الصلاة، وحبّب إليَّ الصلاة كما حبّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء. وإنّ الجائع إذا أكل شبع، وإنّ الظمآن إذا شرب روي، وأنا لا أشبع من الصلاة.

يا أبا ذر: أيما رجل تطوّع في يوم وليلة إثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة كان له حقاً واجباً بيت في الجنة.

يا أبا ذر: إنّك ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الجبار، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له.

يا أبا ذر: ما من مؤمن يقوم مصلّياً إلاّ تناثر عليه البر ما بينه وبين العرش، ووكّل به ملك ينادي: يا بن آدم لو تعلم ما لك في الصلاة ومن تناجي ما إنفتلت.

يا أبا ذر: طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة، يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنة، ألا هم السابقون إلى المساجد بالأسحار وغير الأسحار.

يا أبا ذر: الصلاة عماد الدين واللسان أكبر، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر، والصوم جنّة من النار واللسان أكبر، والجهاد نباهة واللسان أكبر.

يا أبا ذر: الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك، فيقول: أخي فلان! كنا نعمل جميعاً في الدنيا وقد فضّل عليَّ هكذا؟ فيقال له: إنّه كان أفضل منك عملاً. ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى.

يا أبا ذر: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وما أصبح فيها مؤمن إلاّ حزيناً، فكيف لا يحزن المؤمن وقد أوعده الله جلَّ ثناؤه إنّه وارد جهنم ولم يعده أنّه صادر عنها وليلقّين أعراضاً ومصيبات، وأموراً تغيظه، وليظلمنّ فلا ينتصر، يبتغي ثواباً من الله تعالى، فلا يزال حزيناً حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

يا أبا ذر: ما عُبد الله عزّ وجلّ على مثل طول الحزن.

يا أبا ذر: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد أوتي علماً لا ينفعه، لأنّ الله نعت العلماء فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾(١).

يا أبا ذر: من إستطاع أن يبكي فليبكِ، ومن لم يستطعْ فليشعِرْ قلبه الحزن وليتباكَ، إن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا يشعرون.

يا أبا ذر: يقول الله تعالى: «لا أجمع على عبد خوفين ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة».

يا أبا ذر: لو أنّ رجلاً كان له كعمل سبعين نبياً لاحتقره وخشي أن لا ينجو

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧ - ١٠٩.

من شر يوم القيامة.

يا أبا ذر: إنّ العبد لتعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيمن ذنب ذنوبه فيقول: أما إنّي كنت مشفقاً، فيغفر له.

يا أبا ذر: إنّ لارجل ليعمل الحسنة فيّتكل عليها، ويعمل المحقّرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان. وإنّ الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها يأتي آمناً يوم القيامة.

يا أبا ذر: إنّ العبد ليذهب الذنب فيدخل به الجنة.

فقلت: وكيف ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟

قال: يكون ذلك الذنب نصب عينيه تائباً منه فارّاً إلى الله عزّ وجلّ حتى يدخل الجنة.

يا أبا ذر: الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه وهواها وتمنى على الله عزّ وجلّ الأماني.

يا أبا ذر: إنّ أول شيء يرفع من هذه الأمة: الأمانة والخشوع، حتى لا تكاد ترى خاشعاً.

يا أبا ذر: والذي نفس محمد بيده، لو أُ الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة ماء.

يا أبا ذر: إنّ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما ابتغي به وجه الله. وما من شيء أبغض إلى الله تعالى من الدنيا خلقها ثم (اعرض عنها)[1] فلم ينظر إليها ولا ينظر إليها حتى تقوم الساعة. وما من شيء أحب إلى الله من الإيمان به وترك ما أمر بتركه.

يا أبا ذر: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام: «لا تحب الدنيا فإني لست أحبها، وأحب الآخرة فإنما هي دار المعاد».

يا أبا ذر: إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال لي: يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا تنقصك من حظك عند ربك، فقلت: حبيبي جبرئيل لا حاجة لي بها، إذا شبعت شكرت ربي، وإذا جُعت سألته.

---

(١) في نسخة «م»: عرضها.

يا أبا ذر: إذا أرد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فقّهه في الدين، وزهّده في الدينا، وبصَّره بعيوب نفسه.

يا أبا ذر: ما زهد عبد في الدنيا إلاّ أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصَّره بعيوب الدنيا وداثها ودوائها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام.

يا أبا ذر: إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقي الحكمة.

فقلت: يا رسول الله: من أزهد الناس؟

فقال: من لم ينسَ المقابر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما ينفى، ولم يعدّ غداً من أيامه، وعدَّ نفسه في الموتى.

يا أبا ذر: إنّ الله تبارك وتعالى لم يوح إليَ أن أجمع المال، ولكن أوحى إليَّ أن ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1].

يا أبا ذر: إنّي ألبس الغليظ، وأجلس على الأرض، وألعق أصابعي، وأركب الحمار بغير سرج، وأردف خلفي، فمن رغب عن سنّتي فليس مني.

يا أبا ذر: حب المال والشرف أذهب لدين الرجل من ذئبين ضاريين في زرب الغنم فأغارا فيها حتى أصبحا، فماذا أبقيا منها.

قال: قلت: يا رسول الله الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيراً، أهم يسبقون الناس إلى الجنة؟

فقال: لا، ولكن فقراء المسلمين، فإنّهم يأتون يتخطون رقاب الناس، فيقول لهم خزنة الجنة: كما أنتم حتى تحاسبوا، فيقولون: بِمَ نحاسب؟ فوالله ما ملكنا فنجور ونعدل، ولا أفيض علينا فنقبض ونبسط، ولكن عَبدْنا ربنا حتى دعانا فأجبنا.

يا أبا ذر: إنّ الدنيا مشغلة للقلوب والأبدان، وإنّ الله تبارك وتعالى سائلنا عما نعمنا في حلاله فكيف بما أنعمنا في حرامه؟

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٨ – ٩٩.

يا أبا ذر: إنّي قد دعوت الله جلّ ثناؤه أن يجعل رزق من يحبني كفافاً، وأن يعطي من يبغضني كثرة المال والولد.

يا أبا ذر: طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، الذين اتخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، واتخذوا كتاب الله شعاراً، ودعاءه دثاراً، يقرضون الدنيا قرضاً.

يا أبا ذر: حرث الآخرة العمل الصالح، وحرث الدنيا المال والبنون.

يا أبا ذر: إنّ ربي أخبرني فقال: «وعزّتي وجلالي، ما أدرك العابدون درك البكاء، وإنّي لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصراً لا يشركهم فيه أحد».

قال: قلت: يا رسول الله: أي المؤمنين أكيس؟

قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له إستعداداً.

يا أبا ذر: إذا دخل النور القلب إنفسح القلب واستوسع.

قلت: فما علامة ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والإستعداد للموت قبل نزوله.

يا أبا ذر: اتّقِ الله، ولا ترِ الناس إنك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر.

يا أبا ذر: ليكن لك في كل شيء نيَّة صالحة حتى في النوم والأكل.

يا أبا ذر: ليعظم جلال الله في صدرك، فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب: «اللهمّ اخزه» وعند الخنزير: «اللهمّ اخزه».

يا أبا ذر: إنّ لله ملائكة قياماً من خيفة الله ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تُعبَد.

يا أبا ذر: لو كان لرجل عمل سبعين نبياً لاستقلّ عمله من شدّة ما يرى يومئذٍ، ولو أن دلواً من غسلين صبّ في مطلع الشمس لغلَتْ منه جماجم من في مغربها، ولو زفرت جهنم زفرة لم يبقَ ملك مقرَّب ولا نبي مُرسَل إلاّ خرَّ جاثياً

على ركبتيه يقول: ربِّ نفسي، حتى ينسى إبراهيم إسحاق ويقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم فلا تنسني.

يا أبا ذر: لو أنّ إمرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت الأرض أفضل مما يضيئها القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض.

ولو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم.

يا أبا ذر: أخفضْ صوتك عند الجنائز، وعند القتال، وعند القرآن.

يا أبا ذر: إذا تبعت جنازة فليكن عقلك فيها مشغولاً بالتفكر والخشوع، واعلم أنك لاحق به.

يا أبا ذر: اعلمْ أنّ كل شيء إذا فسد فالملح دواؤه، فإذا فسد الملح فليس له دواء. واعلم أن فيكم خلقين: الضحك من غير عجب، والكسل من غير سهو.

يا أبا ذر: ركعتان مقتصدتان في التفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.

يا أبا ذر: الحق ثقيل مرٌّ، والباطل خفيف حلوٌ. ورب شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً.

يا أبا ذر: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون هو أحقر حاقر لها.

يا أبا ذر: لا تصيب حقيقة الإيمان حتى ترى الناس كلهم حمقى في دينهم، وعقلاء في دنياهم.

يا أبا ذر: حاسبْ نفسكق بل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى منك على الله خافية.

يا أبا ذر: اسْتَحِ من الله، فإني والذي نفسي بيده لأظل حين أذهب إلى الغائط متقنعاً بثوبي أستحي من الملكين اللذين معي.

يا أبا ذر: أتحب أن تدخل الجنة؟

قلت: نعم، فداك أبي.

قال ﷺ: فأقصرْ من الأمل، واجعلِ الموت نصب عينيك، واستحِ من الله حق الحياء.

قال: قلت: يا رسول الله، كلنا نستحي من الله؟

قال: ليس ذلك الحياء، ولكن الحياء من الله أن لا تنسى المقابر والبلى، والجوف وما رعى، والرأس وما حوى، ومن أراد كرامة الآخرة فليدع زينة الدنيا، فإذا كنت كذلك أصبت ولاية الله.

يا أبا ذر: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح.

يا أبا ذر: مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر.

يا أبا ذر: إنّ الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته والدور حوله ما دام فيهم.

يا أبا ذر: إنّ ربك عزّ وجلّ يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل في أرض قفر فيؤذن ثم يقيم ثم يصلّي، فيقول: ربك للملائكة: «أنظروا إلى عبدي يصلّي ولا يراه أحد غيري»، فينزل سبعون ألف ملك يصلّون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم.

ورجل قام من الليل فصلّى وحده فسجد ونام وهو ساجد، فيقول الله تعالى: أنظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد».

ورجل في زحف فرّ أصحابه وثبت هو يقاتل حتى يقتل.

يا أبا ذر: ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلاّ شهدت له بها يوم القيامة، وما من منزل ينزله قوم إلاّ واصبح ذلك المنزل يصلّي عليهم أو يلعنهم.

يا أبا ذر: ما من صباح ولا رواح إلاّ وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضاً، يا جارة هل مرّ بك من ذكر الله تعالى أو عبد وضع جبهته عليك ساجداً لله؟ فمن قائلة: لا، ومن قائلة: نعم، فإذا قالت: نعم، اهتزّت وانشرحت وترى أنّ لها الفضل على جارتها.

يا أبا ذر: إنّ الله جلّ ثناؤه لمّا خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلاّ أصابوا منها منفعة، فلم تزل الأرض والشجر كذلك حتى تكلّم فجرة آدم بالكلمة العظيمة، قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[1]، فلما قالوها إقشعرت الأرض وذهبت منفعة الأشجار.

يا أبا ذر: إنّ الأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً.

يا أبا ذر: إذا كان العبد في أرض قفر فتوضأ أو تيمم ثم أذّن وأقام وصلّى، أمر الله عزّ وجلّ الملائكة فصفوا خلفه صفاً لا يرى طرفاه، يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، ويؤمنون على دعائه.

يا أبا ذر: من أقم ولم يؤذن لم يصلِّ معه إلاّ ملكاه اللذان معه.

يا أبا ذر: ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في طاعة الله، إلاّ أعطاه أجر إثنين وسبعين صدّيقاً.

يا أبا ذر: الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين.

يا أبا ذر: الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر.

يا أبا ذر: لا تصاحبْ إلاّ مؤمناً، ولا يأكلْ طعامك إلاّ تقي، ولا تأكلْ طعام الفاسقين.

يا أبا ذر: أطعمْ طعامك من تحبه في الله، وكلْ طعام من يحبك في الله عزّ وجلّ.

يا أبا ذر: إنّ الله عزّ وجلّ عند لسان كل قائل، فليتقِ الله امرؤ وليعلم ما يقول.

يا أبا ذر: اتركْ فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك.

يا أبا ذر: كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما يسمع.

يا أبا ذر: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٦، سورة يونس، الآية: ٦٨، سورة الكهف، الآية: ٤.

يا أبا ذر: إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وإكرام حملة القرآن العاملين، وإكرام السلطان المقسط.

يا أبا ذر: ما من عمل لم يحفظ لسانه.

يا أبا ذر: لا تكنْ عيّاباً، ولا مدّاحاً، ولا طعّاناً، ولا مماريًا.

يا أبا ذر: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما ساء خلقه.

يا أبا ذر: الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة.

يا أبا ذر: من أجاب داعي الله، وأحسن عمارة مساجد الله، كان ثوابه من الله الجنة.

فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كيف تعمر مساجد الله؟

قال: لا ترفعُ فيها الأصوات، ولا يخاضُ فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يباع، واترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعلْ فلا تلومنّ يوم القيامة إلاّ نفسك.

يا أبا ذر: إنّ الله تعالى يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تنفست فيه درجة في الجنة، وتصلّي عليك الملائكة، ويكتب لك بكل نفس تنفّست فيه عشر حسنات، ويمحى عنك عشر سيئات.

يا أبا ذر: أتعلم في أي شيء أنزلت هذه الآية: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]؟

قلت: لا، فداك أبي وأمي.

قال: في إنتظار الصلاة خلف الصلاة.

يا أبا ذر: إسباغ الوضوء في المكاره من الكفّارات، وكثرة الإختلاف إلى المساجد فذلكم الرباط.

يا أبا ذر: يقول الله تبارك وتعالى: «إنّ أحب العباد إليّ المتحابون من أجلي، المتعلّقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم».

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

يا أبا ذر: كل جلوس في المسجد لغو إلاّ ثلاث: قراءة مصلّ، أو ذكر الله، أو سائل عن علم.

يا أبا ذر: كن بالعمل بالتقوى أشدّ إهتماماً منك بالعمل، فإنّه لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقل عمل يتقبل، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١].

يا أبا ذر: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حلّ أم من حرام؟

يا أبا ذر: من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عزّ وجلّ من أين أدخله النار.

يا أبا ذر: من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتقِ الله عزَّ وجلّ.

يا أبا ذر: إنّ أحبكم إلى الله جلّ ثناؤه أكثركم ذكراً له، وأكرمكم عند الله عزّ وجلّ أتقاكم له، وأنجاكم من عذاب الله أشدّكم له خوفاً.

يا أبا ذر: إنّ المتقين الذين يتقون الله عزّ وجلّ من الشيء الذي لا يتقى منه، خوفاً من الدخول في الشبهة.

يا أبا ذر: من أطاع الله عزّ وجلّ فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن.

يا أبا ذر: أصل الدين الورع، ورأسه الطاعة.

يا أبا ذر: كن ورعاً تكن أعبد الناس، وخير دينكم الورع.

يا أبا ذر: فضل العلم خير من فضل العبادة، واعلم أنكم لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، ما ينفعكم ذلك إلاّ بورع.

يا أبا ذر: إنّ أهل الورع والزهد في الدنيا هم أولياء الله تعالى حقاً.

يا أبا ذر: من لم يأتِ يوم القيامة بثلاثٍ فقد خسر.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

قلت: وما الثلاث فداك أبي وأمي؟ قال: ورع يحجزه عما حرّم الله عزّ وجلّ عليه، وحلم يردّ به جهل السفهاء، وخلق يداري به الناس.

يا أبا ذر: إن سرّك أن تكون أقوى الناس فتوكّل على الله عزّ وجلّ. وإنّ سرك أن تكون أكرم الناس فاتقِ الله. وإن سرّك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله عزّ وجلّ أوثق منك بما في يدك.

يا أبا ذر: لو أنّ الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[1].

يا أبا ذر: يقول الله جلّ ثناؤه: «وعزّتي وجلالي، لا يؤثر عبدي هواي على هواه إلاّ جعلت غناه في نفسه، وهمومه في آخرته، وضمَّنتُ السموات والأرض رزقه، وكففت عليه ضيقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر».

يا أبا ذر: لو أنّ ابن آدم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه كما يدركه الموت.

يا أبا ذر: ألا أُعلّمك كلمات ينفعك الله عزّ وجلّ بهنّ؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: احفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، وإذا سألت فاسأل الله عزّ وجلّ، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلو أن الخلق كلّهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتب لك ما قدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله عزّ وجلّ بالرضا في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وإنّ النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإنّ مع العسر يسراً.

يا أبا ذر: استغنِ بغنى الله يغنك الله.

فقلت: وما هو يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: غداء يوم وعشاء ليلة، فمن قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

يا أبا ذر: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «إنّي لست كلام الحكيم أتقبّل ولكن همّه وهواه، فإن كان همّه وهواه فيما أحب وأرضى جعلت صمته حمداً لي وذكراً ووقاراً وإن لم يتكلّم».

يا أبا ذر: إنّ الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وأقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

يا أبا ذر: التقوى ههنا التقوى ههنا - وأشار إلى صدره -.

يا أبا ذر: أربع لا يصيبهن إلاّ مؤمن: الصمت وهو أول العبادة، والتواضع لله سبحانه، وذكر الله تعالى في كل حال، وقلة الشيء - يعني قلة المال -.

يا أبا ذر: همّ بالحسنة وإن لم تعملها لكيلا تكتب من الغافلين.

يا أبا ذر: من ملك ما بين فخذيه وبين لحييه دخل الجنة.

قلت: يا رسول الله وإنّا لنؤاخذ بما تنطق به ألسنتنا؟

قال: يا أبا ذر وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم، إنّك لا تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلّمت كتب الله لك أو عليك.

يا أبا ذر: إنّ الرجل يتكلّم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فهوى في جهنم ما بين السماء والأرض.

يا أبا ذر: ويل للذي يُحدِّث ويكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له، ويل له.

يا أبا ذر: من صمت نجا، فعليك بلاصدق، ولا تخرجنّ من فيك كذباً أبداً.

قلت: يا رسول الله فما توبة الرجل الذي كذب متعمداً؟

قال: الإستغفار والصلوات الخمس تغسل ذلك.

يا أبا ذر: إياك والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا.

قلت: يا رسول الله ولِمَ ذلك بأبي أنت وأمي؟

قال: لأنّ الرجل يزني ويتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تُغفر حتى يغفرها صاحبها.

يا أبا ذر: سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه.

قلت: يا رسول الله وما الغيبة؟

قال: ذكرك أخاك بما يكره.

قلت: يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به؟

قال: إعلم إنّك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بمال يس فيه فقد بهته.

يا أبا ذر: من ذب عن أخيه المسلم الغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار.

يا أبا ذر: من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة، فإن خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر: لا يدخل الجنة قتّات.

قلت: وما القتّات؟

قال: النمّام.

يا أبا ذر: صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله عزّ وجلّ في الآخرة.

يا أبا ذر: من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو لسانين في النار.

يا أبا ذر: المجالس بالأمانة، وإفشاء سر أخيك خيانة، فاجتنب ذلك، واجتنب مجلس العشيرة.

يا أبا ذر: تعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى الجمعة في يوم الإثنين والخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلاّ عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: إتركوا عمل هذين حتى يصطلحا.

يا أبا ذر: إياك وهجران أخيك، فإنّ العمل لا يتقبل مع الهجران.

يا أبا ذر: أنهاك عن الهجران، وإن كنت لا بد فاعلاً فلا تهجره فوق ثلاثة أيام كملاً، فمن مات فيها مهاجراً لأخيه كانت النار أولى به.

يا أبا ذر: من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار.

يا أبا ذر: من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة إلاّ أن يتوب قبل ذلك.

فقال رجل: يا رسول الله إنّي ليعجبني الجمال حتى ودتت أنّ علاّقة سوطي وقبال نعلي حسن، فهل يرهب عليّ ذلك؟

قال: كيف تجد قلبك؟

قال: أجده عارفاً للحق مطمئناً إليه.

قال: ليس ذلك بالكبر، ولكن الكبر أن تترك الحق، وتتجاوزه إلى غيره، وتنظر إلى الناس ولا ترى أنّ أحداً عرضه كعرضك، ولا دمه كدمك.

يا أبا ذر: أكثر من يدخل النار المستكبرون.

فقال رجل: وله ينجو من الكبر أحد يا رسول الله؟

قال: نعم، من لبس الصوف، وركب الحمار، وحلب الشاة، وجالس المساكين.

يا أبا ذر: من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر - يعني ما يشتري من السوق -.

يا أبا ذر: من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله عزّ وجلّ إليه يوم القيامة.

يا أبا ذر: أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين كعبيه.

يا أبا ذر: من رفع ذيله، وخصف نعله، وعفّر وجهه، فقد برئ من الكبر.

يا أبا ذر: من كان له قميصان فليلبس أحدهما وليُلبس الآخر أخاه.

يا أبا ذر: سيكون ناس من أمّتي يولدون في النعيم ويغذون به، همتهم ألوان الطعام والشراب، ويمدحون بالقول، أولئك شرار أمّتي.

يا أبا ذر: من ترك لبس الجمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله عزّ وجلّ في غير منقصة، وأذل نفسه في غير مسكنة، وأنفق ما جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن صلحت سريرته،

وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعمله، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله.

يا أبا ذر: إلبس الخشن من اللباس، والصفيق من الثياب، لئلا يجد الفخر فيك مسلكاً.

يا أبا ذر: يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون أنّ لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك تلعنهم ملائكة السموات والأرض.

يا أبا ذر: ألا أخبرك بأهل الجنة؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه.

قال أبو ذر رضي الله عنه: ودخلت يوماً على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس وحده فاغتنمت خلوته، فقال ﷺ: يا أبا ذر: إنّ للمسجد تحيةً.

قلت: وما تحيته يا رسول الله؟

قال: ركعتان تركعهما.

ثم إلتفت إليه فقلت: يا رسول الله أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟

قال ﷺ: الصلاة خير موضوع، فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر.

قلت: يا رسول الله أيّ الأعمال أحب إلى الله عزّ وجلّ؟

قال ﷺ: الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيله.

قلت: يا رسول الله أيّ المؤمنين أكمل إيماناً؟

قا ﷺ: أحسنهم خلقاً.

قلت: وأيّ المؤمنين أفضل؟

قال ﷺ: من سلم المسلمون من لسانه ويده.

قلت: وأيّ الهجرة أفضل؟

قال ﷺ: من هجر السوء.

قلت: وأيّ الليل أفضل؟

قال ﷺ: جوف الليل الغابر.

قلت: فأيّ الصلاة أفضل؟

قال ﷺ: طول القنوت.

قلت: فأيّ الصدقة أفضل؟

قال ﷺ: جهد من مقلّ إلى فقير في سرٍّ.

قلت: فأيّ الصوم أفضل؟

قال ﷺ: فرض مجزئ، وعند الله أضعاف ذلك.

قلت: وأيّ الزكاة أفضل؟

قال ﷺ: أغلاها ثمناً، وأنفسها عند أهلها.

قلت: وأيّ الجهاد أفضل؟

قال ﷺ: ما عقر فيه جواده وأهريق دمه.

قلت: وأيّ آية أنزلها الله عليك أعظم؟

قال ﷺ: آية الكرسي.

قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟

قال: كانت أمثالٌ كلها: «أيها الملك المسلّط المبتلى إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه».

وكان فيها أمثال: «وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدّم وأخّر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب.

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلاّ في ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة في غير محرّم.

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومن حسب كلامه من عمله قلَّ كلامه إلاّ فيما يعنيه».

قلت: يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟

قال صلى الله عليه وآله: كانت عبراً كلها: «عجب لمن أيقن النار ثم ضحك، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أبصر الدنيا وتقلّبها بأهلها حالاً بعد حال ثم هو يطمئنُّ إليها، عجب لمن أيقن بالحساب غداً ثم لم يعمل».

قلت: يا رسول الله فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام مما أنزله الله عليك؟

قال صلى الله عليه وآله: إقرأ يا أبا ذر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾(١).

قلت: يا رسول الله أوصني.

قال: أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس أمرك كله.

فقلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله عزّ وجلّ، فإنه ذكر لك في السماء ونور في الأرض.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمّتي.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: عليك بالصمت إلاّ من خير، فإنّه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمور دينك.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه.

---

(١) سورة الأعلى، الآيات: ١٤ - ١٩.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال ﷺ: أنظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال ﷺ: صِلْ قرابتك وإن قطعوك، وأحب المساكين وأكثِرْ مجالستهم.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال ﷺ: قلِ الحق وإن كان مُرّاً.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال ﷺ: لا تخفْ في الله لومة لائم.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال ﷺ: يا أبا ذر: ليردُّك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، فكفى بالرجل عيباً أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ويجد عليهم فيما يأتي.

قال: ثم ضرب على صدري وقال: يا أبا ذر: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفّ عن المحارم، ولا حسب كحسن الخلق.

ثم قال ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه:

يا سلمان: إن لك في علّتك إذا اعتللت ثلاث خصال: أنت من الله تعالى بذكر، ودعاؤك فيها مستجاب، ولا تدع العلة عليك ذنباً إلا حطّته عنك، متّعك الله بالعافية إلى إنقضاء أجلك.

ثم قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:

يا أبا ذر: إيّاك والسؤال، فإنه ذلّ حاضر، وفقر تتعجله، وفيه حساب طويل يوم القيامة.

يا أبا ذر: تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك.

يا أبا ذر: لا تسأل بكفك شيئاً، وإن أتاك شيء فاقبله[1].

مواعظه وحكمه

في **حلية الأولياء**، بسنده عن أبي ذر أنه قال: من أراد الجنة فليصمد صمدها.

وبسنده عن أبي ذر: هل ترى الناس ما أكثرهم ما فيهم خير إلا تقي أو تائب.

وبسنده أن رجلاً رأى أبا ذر وهو يتبوأ مكاناً فقال له: ما تريد يا أبا ذر.

فقال: أطلب موضعاً أنام فيه نفسي هذه مطيتي إن لم أرفق بها لم تبلغني.

ومن مواعظه ما في **حلية الأولياء** والدرجات الرفيعة وبينهما شيء من التفاوت، ونحن نجمع بين لفظي الروايتين لنذكر ما في **الحلية**، ونزيد عليه ما في الدرجات، وما لا يمكن جمعه نذكره في الحاشية. ففي **الحلية، بسنده المتصل إلى سفيان الثوري** قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال (وفي الدرجات الرفيعة)، **روي عن أبي جعفر** عليه السلام **قال**: قام أبو ذر بباب الكعبة فقال: أيها الناس أنا جندب بن جنادة الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق فاكتنفه الناس (فقالوا: دعوتنا فانصح لنا).

فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه.

قالوا: بلى.

قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فما بالكم لا تتزودون له ما يصلحكم فيه.

قالوا: وما يصلحنا[2].

---

(١) الخصال: ١٣/٥٢٣، معاني الأخبار: ١/٣٣٢٠، أمالي الطوسي: ٢/ ١٣٨٠، مجموعة ورام: ٢/ ٥١، مكارم الأخلاق: ٢/ ٣٦٣ - ٣٨٤.

(٢) قالوا وكيف نتزود لذلك (د).

قال: حجوا حجة[١] لعظام الأمور، صوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور[٢]، صلوا[٣] ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور[٤]، كلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بما لك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين:

١ - مجلساً في طلب الآخر.

٢ - ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده[٥].

واجعل الكلام كلمتين:

١ - كلمة للآخرة.

٢ - وكلمة في التماس الحلال والثالثة تضرك.

اجعل المال درهمين:

١ - درهماً تنفقه على عيالك من حله.

٢ - ودرهماً تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده.

واجعل الدنيا ساعة من ساعتين:

١ - ساعة مضت بما فيها فلست قادراً على ردها.

٢ - وساعة آتية لست على ثقة من إدراكها، والساعة التي أنت فيها ساعة عملك، فاجتهد فيها لنفسك، واصبر فيها من معاصي ربك فإن لم تفعل فقد هلكت، ثم نادى بأعلى صوت: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه.

(**وفي رواية الدرجات**): قتلني هم يوم لا أدركه «اهـ».

---

(١) يحج الرجل منكم حجة.
(٢) ويصوم يوماً شديد الحر للنشور (د).
(٣) ويصلي (د).
(٤) ويتصدق بصدقة على مسكين للنجاة من يوم عسر ويتكلم بكلمة حق فيجيره الله بها يوم يستجير ويسكت عن كلمة باطل ينجو بذلك من عذاب السعير (د).
(٥) مجلساً في طلب الحلال ومجلساً للآخرة، ولا ترد الثالث فإنه لا ينفعك (د). «المؤلف».

وفي **الدرجات الرفيعة**: (روي أنه قال: قتلني هم يوم لا أدركه.

قيل: وكيف ذلك يا أبا ذر قال: إن أملي جاوز أجلي).

قال: وعن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام أنه قال في خطبة أبي ذر رضي الله عنه: يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ومال عن نفسك أنت، يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت إلى غيرهم. ، الدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره، وما بين البعث والموت إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها.

يا جاهل العلم، تعلم العلم، فإن قلباً ليس فيه شرف العلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له.

(قال): وعن أبي جعفر عليه السلام، عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال:

يا باغي العلم: قدم لمقامك بين يدي الله فإنك مرتهن بعملك كما تدين تدان.

يا باغي العلم: صل قبل أن لا تقدر على ليل ولا نهار تصلي فيه، إنما مثل الصلاة لصاحبها كمثل رجل دخل على ذي سلطان فأنصت له حتى فرغ من حاجته، وكذلك المرء المسلم بإذن الله عز وجل ما دام في الصلاة لم يزل الله عز وجل ينظر إليه حتى يفرغ من صلاته.

يا باغي العلم: تصدق من قبل أن لا تعطى شيئاً ولا جمعه، إنما مثل الصدقة وصاحبها مثل رجل طلبه قوم بدم فقال لهم: لا تقتلوني اضربوا لي أجلاً أسعى في رجالكم، كذلك المرء المسلم بإذن الله تعالى كلما تصدق بصدقة حل بها عقدة من رقبته، حتى يتوفى الله عز وجل أقواماً وهو عنهم راضٍ، ومن رضي الله عز وجل عنه فقد أمن من النار.

يا باغي العلم: إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على فمك كما تختم على ذهبك وعلى ورقك.

يا باغي العلم: إن هذه الأمثال ضربها الله عز وجل للناس وما يعقلها إلا العالمون «اهـ».

(وفي حلية الأولياء) بسنده كان أبو ذر يقول: يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، صوموا في الدنيا لحر يوم النشور، تصدقوا مخافة يوم عسير.

يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق.

(وفي الدرجات) من كلام أبي ذر: الدنيا ثلاث ساعات: ساعة مضت، وساعة أنت فيها، وساعة لا تدري أتدركها أم لا، فلست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة إذ الموت من ساعة إلى ساعة.

وروى الكليني في الكافي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو ذر يقول في خطبته:

يا مبتغي العلم: كأن شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً إلا ما ينفع خيره ويضر شره إلا من رحم الله.

يا مبتغي العلم: لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم، والدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره، وما بين الموت والبعث إلاّ كنومة نمتها ثم استيقظت منها.

يا مبتغي العلم: قدم لمقامك بين يدي الله عز وجل، فإنك مثاب بعملك كما تدين تدان يا مبتغي العلم.

(وبسنده) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟.

فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب!.

فقال له: كيف ترى قدومنا على الله؟.

فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يرد على مولاه!.

قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟.

قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

قال: فقال الرجل: فأين رحمة الله؟.

قال: رحمة الله قريب من المحسنين.

قال أبو عبد الله عليه السلام: وكتب رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه: يا أبا ذر أطرفني بشيء من العلم.

فكتب إليه: إن العلم كثير ولكن إن قدرت على أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل!.

فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبه؟.

فقال: نعم نفسك أحب الأنفس إليك فإن أنت عصيت الله فقد أسأت إليها.

وروى الشيخ في الأمالي، بإسناده أنه قيل لأبي ذر: كيف أصبحت يا صاحب رسول الله؟.

قال: أصبحت بين نعمتين: بين ذنب مستور وثناء من اغتر به فهو مغرور.

وفي كتاب البخلاء: قال أبو ذر لمن بذل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يخضمون ونقضم والموعد الله، إن الله قد فضلك فجعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعاً، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة «اهـ».

كلامه لمّا مات ابنه

روى الكليني في الكافي، بسنده عن علي بن إبراهيم رفعه قال: لما مات ذر ابن أبي ذر مسح أبو ذر القبر بيده ثم قال: رحمك الله يا ذر والله إن كنت بي باراً ولقد قبضت وإني عنك لراض، أما والله ما بي فقدك وما علي من غضاضة، وما لي إلى سوى الله من حاجة، ولولا هول المطلع لسرني أن أكون مكانك، ولقد شغلني الحذر لك عن الحذر عليك، والله ما بكيت لك، ولكن بكيت عليك، فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك.

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

ثم قال: اللهم إني قد وهبت له ما افترضت عليه من حقي فهب له ما افترضت عليه من حقك، فأنت أحق بالحق مني.

ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره نحوه فقال: لما سير أبو ذر إلى الربذة مات بها ابنه ذر، فوقف على قبره فقال: رحمك الله يا ذر لقد كنت كريم الخلق باراً بالوالدين وما عليَّ في موتك من غضاضة، وما بي إلى غير الله من حاجة، وقد شغلني الاهتمام لك عن الاغتمام بك، ولولا هول المطلع لأحببت أن أكون مكانك، فليت شعري ما قالوا لك وما قلت لهم. ثم قال: اللهم إنك فرضت لك عليه حقوقاً وفرضت لي عليه حقوقاً، فإني قد وهبت له ما فرضت عليه من حقوقي فهب له ما فرضت عليه من حقوقك فإنك أولى بالحق وأكرم (والكرم) مني «اهـ».

نفيه إلى الشام

قال الحاكم في المستدرك: محنة أبي ذر، قد صحت الرواية من أوجه، عن مصعب بن سعد ابن أبي وقاص، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه قال: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم العلماء، ثم الأمثل فالأمثل.

ثم روى الحاكم بسنده، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة وشبك بين أصابعه؟.

قلت: يا رسول الله فما تأمرني؟.

قال: اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم - هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه «اهـ».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء، بسنده عن أبي ذر قال: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ فقال لي: يا أبا ذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي.

فقلت: في الله؟.

قال: في الله.

فقلت: مرحباً بأمر الله.

وبسنده عمن سمع أبا ذر يقول: إن بني أمية تهددني بالفقر والقتل، ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها وللفقر أحب إلي من الغنى.

فقال له رجل: يا أبا ذر مالك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك؟.

قال: لأني أنهاهم عن الكنوز «اهـ».

وقد مضى في بعض الكلمات أن أبا ذر خرج إلى الشام بعد وفاة أبي بكر، وليس ذلك بصواب، وما كان أبو ذر ليترك المدينة مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسجده ومجاورة قبره اختياراً ويذهب إلى الشام فيجاور بني أمية، وإنما خرج إلى الشام منفياً.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: اعلم أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل: أن عثمان نفى أبا ذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام «اهـ».

سبب نفيه إلى الشام

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وأصل هذه الواقعة أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال، واختص زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه أن انته عما بلغني عنك!.

فقال أبو ذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك أمر الله تعالى، فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أسخط الله

(١) سورة الإنشقاق، الآية: ٢٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

برضى عثمان، فأغضب عثمان ذلك واحفظه فتصابر وتماسك، إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسر قضى؟.

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يا بن اليهوديين أتعلمنا ديننا!.

فقال عثمان: قد كثر أذاك وتولعك بأصحابي إلحق بالشام، فأخرجه إليها فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاث مئة دينار.

فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردها عليه.

ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ، إني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.

قال: وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية، عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت عاملاً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

فازبأر معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصالح من هو؟.

فقلت: اللهم لا!.

قال: من عذيري من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت، ثم قال أدخلوه علي، فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه.

فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله أتأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك، ولكني استأذن فيك.

قال جلام: وكنت أحب أن أرى أبا ذر لأنه رجل في قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء، فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا عليك مرات أن لا تشبع.

فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل.

فقال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعته يقول: وقد مررت به: اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب، فأمر معاوية بحبسه.

وروى المفيد في المجالس، عن علي بن بلال، عن علي بن عبد الله الأصفهاني، عن الثقفي، عن محمد بن علي، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن أبي جهضم الأزدي، عن أبيه - وكان من أهل الشام - قال: لما سير عثمان أبا ذر من المدينة إلى الشام كان يقص علينا فيحمد الله ويشهد شهادة الحق ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول:

أما بعد: فإنا كنا في جاهليتنا قبل أن ينزل علينا الكتاب ويبعث فينا الرسول، ونحن نوفي بالعهد، ونصدق الحديث، ونحسن الجوار، ونقري الضيف، ونواسي الفقير، فلما بعث الله تعالى فينا رسول الله وأنزل علينا كتابه، كانت تلك الأخلاق يرضاها الله ورسوله، وكان أحق بها أهل الإسلام وأولى أن يحفظوها، فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا، ثم إن الولاة قد أحدثوا أعمالاً قباحاً لا نعرفها: من سنة تطفى وبدعة تحيى، وقائل بحق مكذب، وأثرة لغير تقى وأمين مستأثر عليه من الصالحين، اللهم إن كان ما عندك خيراً لي فاقبضني إليك غير مبدل ولا مغير.

وكان يعيد هذا الكلام ويبديه، فأتى حبيب بن مسلمة معاوية بن أبي سفيان فقال: إن أبا ذر يفسد عليك الناس بقوله كيت وكيت.

فكتب معاوية إلى عثمان بذلك، فكتب عثمان أخرجه إلي، فلما صار إلى المدينة نفاه إلى الربذة «اهـ».

وعن المجالس أيضاً بهذا الإسناد، عن أبي جهضم، عن أبيه قال: لما أخرج عثمان أبا ذر الغفاري من المدينة إلى الشام كان يقوم في كل يوم فيعظ الناس ويأمرهم بالتمسك بطاعة الله ويحذرهم من ارتكاب معاصيه.

ويروي عن رسول الله ﷺ ما سمعته منه في فضائل أهل بيته عليه وعليهم السلام ويحضهم على التمسك بعترته، فكتب معاوية إلى عثمان:

أما بعد: فإن أبا ذر يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى، وجماعة من الناس كثيرة عنده فيقول: كيت وكيت، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي فأقدم أبا ذر إليك، فإني أخاف أن يفسد الناس عليك والسلام.

فكتب إليه عثمان:

أما بعد: فأشخص إلي أبا ذر حين تنظر في كتابي هذا والسلام.

فبعث معاوية إلى أبي ذر فدعاه وأقرأه كتاب عثمان وقال له: النجاء الساعة.

فخرج أبو ذر إلى راحلته فشدها بكورها وانساعها، فاجتمع إليه الناس فقالوا: يا أبا ذر رحمك الله أين تريد؟.

قال: أخرجوني إليكم غضباً عليَّ، وأخرجوني منكم إليهم الآن عبثاً بي ولا يزال هذا الأمر فيما أرى شأنهم فيما بيني وبينهم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، ومضى وسمع الناس بمخرجه فاتبعوه حتى خرج من دمشق، فساروا معه حتى انتهى إلى دير المران، فنزل ونزل معه الناس فاستقدم فصلى بهم، ثم قال: أيها الناس إني موصيكم بما ينفعكم وتارك الخطب والتشقيق احمدوا الله عز وجل.

قالوا: الحمد لله.

قال: أشهد أن البعث حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأقر بما جاء من عند الله، واشهدوا علي بذلك.

قالوا: نحن على ذلك من الشاهدين.

قال: ليبشر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته ما لم يكن للمجرمين ظهيراً، أو لأعمال الظلمة مصلحاً، أو لهم معيناً، أيها الناس أجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله عز وجل، إذا عصي في الأرض ولا ترضوا أئمتكم بسخط الله، وإن أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم وازروا عليهم، وإن عذبتم وحرمتم وسيرتم حتى يرضى الله عز وجل، فإن الله أعلى وأجل لا ينبغي أن يسخط برضى المخلوقين، غفر الله لي ولكم أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

فناداه الناس: أن سلم الله عليك ورحمك يا أبا ذر يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ألا نردك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك ألا نمنعك؟.

فقال لهم: ارجعوا رحمكم الله فإني أصبر منكم على البلوى وإياكم والفرقة والاختلاف. فمضى حتى دخل على عثمان فلما دخل عليه قال له: لا قرَّ الله بعمرو عيناً!

فقال أبو ذر: والله ما سماني أبواي عمراً، ولكن لا قرب الله من عصاه وخالف أمره وارتكب هواه!.

فقام إليه كعب الأحبار فقال له: ألا تتقي الله يا شيخ تجبه أمير المؤمنين بهذا الكلام!

فرفع أبو ذر عصا كانت في يده فضرب بها رأس كعب ثم قال له: يا بن اليهوديين ما كلامك مع المسلمين، فوالله ما خرجت اليهودية من قبلك بعد.

فقال عثمان: والله لا جمعتني وإياك دار قد خرفت وذهب عقلك، أخرجوه من بين يدي حتى تركبوه قتب ناقة بغير وطاء ثم أنجوا به وتعتعوه حتى توصلوه الربذة فتنزلوه بها من غير أنيس حتى يقضي الله فيه ما هو قاضٍ. فأخرجوه متعتعاً ملهوزاً بالعصا، وتقدم أن لا يشيعه أحد من الناس، فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبكى حتى بل لحيته بدموعه ثم قال: أهكذا يصنع بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم نهض ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن عباس والفضل وقثم وعبيد الله حتى لحقوا أبا ذر

فشيعوه، فلما بصر بهم أبو ذر رحمه الله حن إليهم وبكى عليهم وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله ﷺ وشملتني البركة برؤيتها ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أحبهم ولو قطعت إرباً إرباً في محبتهم ما زلت عنهما ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فارجعوا رحمكم الله والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة، فودعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه «اهـ».

وفي **الطبقات الكبير** لمحمد بن سعد بسنده، عن الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة ثم أتيت الشام فجمعت، فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلا خر أهلها[1]. يصلي ويخف صلاته، فجلست إليه فقلت له: يا عبد الله من أنت؟.

قال: أنا أبو ذر فأنت من أنت؟.

قلت: أنا الأحنف بن قيس!.

قال: قم عني لا أعدك بشر!

فقلت له: كيف تعدني بشر؟.

قال: إن هذا - يعني معاوية - نادى مناديه أن لا يجالسني أحد «اهـ».

ومن المشهور أن تشيع أهل جبل عامل كان على يد أبي ذر، وأنه لما نفي إلى الشام، وكان يقول، في دمشق ما يقول أخرجه معاوية إلى قرى الشام فجعل ينشر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام، فشيع أهل تلك الجبال على يده، فلما علم معاوية بذلك أعاده إلى دمشق ثم نفي إلى المدينة، وهذا وإن لم يرد به خبر مستد، لكنه قريب غير مستبعد، ويؤيده وجود مسجدين في جبل عامل يسمى كل منهما: مسجد أبي ذر، أحدهما: في ميس، والآخر: في الصرفند، والله أعلم.

نفيه من الشام إلى المدينة

قال **الطبري في تاريخه** في حوادث سنة ٣٠ فيها كان ما ذكر في خبر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه أموراً كثيرة كرهت ذكر أكثرها «اهـ».

---

(١) لعل المراد أنهم يصلون خلفه. «المؤلف».

وقال ابن أبي الحديد في تتمة كلامه السابق المحكي عن الجاحظ وأمر معاوية بحبسه: وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن أحمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد، فلما قدم بعث إليه عثمان: إلحق بأي أرض شئت.

قال: بمكة.

قال: لا!

قال: ببيت المقدس!

قال: لا!.

قال: بأحد المصرين.

قال: لا، ولكني مسيرك إلى ربذة. فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات.

قال: وفي رواية الواقدي: أن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له:

[البحر الرجز المجزوء]

لا أنعم الله بقين عينا نعم ولا لقاه يوماً زينا
تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي قيناً قط.

قال وفي رواية أخرى: لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب!.

فقال أبو ذر: أنا جندب وسماني رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله، فاخترت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سماني به على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: «يد الله مغلولة وأن الله فقير ونحن أغنياء».

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، ولكني أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً.

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله؟.

قالوا: لا!.

قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟.

فقال أبو ذر لمن حضر: أما تدرون أني صدقت؟.

قالوا: لا والله ما ندري!.

فقال عثمان: أدعوا لي علياً فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فأعاده، فقال عثمان لعلي عليه السلام: أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: لا، وقد صدق أبو ذر!.

فقال: كيف عرفت صدقه؟.

قال: لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر!.

فقال من حضر: أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله.

فقال أبو ذر: أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فتتهموني ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله.

قال: وروى الواقدي في خبر آخر، بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟.

فقال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني!.

قال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد أنغلت الشام علينا.

فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟.

فقال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغضب عليه عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه، أو أحبسه، أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الإسلام؟.

فتلكم علي عليه السلام - وكان حاضراً - فقال أشير عليك بما قال مؤمن آل

فرعون: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1] فأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه علي عليه السلام بمثله، ولم نذكر الجوابين تذمماً منهما «اهـ».

نفيه من المدينة إلى الربذة

قال ابن أبي الحديد: قال الواقدي: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه، فمكث كذلك أياماً ثم أتى فوقف بين يديه فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم، أما أنك لتبطش بي بطش جبار.

فقال عثمان: أخرج عنا من بلادنا.

فقال أبو ذر: ما أبغض إليَّ جوارك فإلى أين أخرج؟.

قال: حيث شئت.

قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد؟.

قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفأردك إليها.

قال: أفأخرج إلى العراق؟.

قال: لا، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولي شقة وطعن على الأئمة والولاة.

قال: أفأخرج إلى مصر؟.

قال: لا.

قال: فإلى أين أخرج؟.

قال: إلى البادية.

قال أبو ذر: أصير بعد الهجرة أعرابياً؟.

قال: نعم.

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

قال أبو ذر: فأخرج إلى بادية نجد؟.

قال عثمان: بل إلى الشرق الأبعد أقصى فأقصى، إمض على وجهك هذا فلا تعدون الربذة، فخرج إليها.

قال ابن أبي الحديد: روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة، عن عبد الرزاق، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً عليهما السلام وعماراً، فإنهم خرجوا معه يشيعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر.

فقال مروان بن الحكم: أيها يا حسن ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.

فحمل علي عليه السلام على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته وقال: تنح لحاك الله إلى النار، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر فتلظى على علي عليه السلام، ووقف أبو ذر فودعه القوم، ومعه ذكوان مولى أم هانىء بنت أبي طالب، قال ذكوان: فحفظت كلام القوم - وكان حافظاً - فقال علي عليه السلام: يا أبا ذر إنك غضبت لله إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلى ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجا، يا أبا ذر لا يؤنسنَّك إلا الحق ولا يوحشنَّك إلا الباطل.

ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم، وقال لعقيل: ودع أخاك.

فتكلم عقيل فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم، واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع.

ثم تكلم الحسن فقال: يا عماه لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى فضع عنك

الدنيا بتذكر فراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض.

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عماه إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى والله كل يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر واستغذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم وإن الجشع لا يقدم رزقاً والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثم تكلم عمار رحمه الله مغضباً فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين، فبكى أبو ذر وكان شيخاً كبيراً وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين فأفسد الناس عليهما، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة ورجع القوم إلى المدينة «الخبر».

وقال المرتضى في كتاب «الفصول»: قال الشيخ رحمه الله، قال أبو مخنف، وأخبرني عبد الملك بن نوفل، عن أبي سعيد المقبري قال: لما انصرف علي من تشييع أبي ذر استقبله الناس فقالوا: يا أبا الحسن غضب عليك عثمان لتشييعك أبا ذر!.

فقال علي عليه السلام: «غضب الخيل على صم اللجم» «اهـ».

وروى الواقدي، عن مالك ابن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة فجئته فقلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أخرجت كرهاً؟.

قال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم، فأخرجت إلى المدينة فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأخرجت من المدينة إلى ما ترى.

ثم تكلم ابن أبي الحديد على الأخبار المروية في أنه خرج إلى الربذة باختياره وقال: إنها وأن كانت قد رويت لكنها ليست في الاشتهار والكثرة كتلك الأخبار «اهـ».

المرتضى في الشافي، قال قاضي القضاة عبد الجبار الباقلاني في الجواب عن الطعن على عثمان في نفيه أبا ذر إلى الربذة: إن شيخنا أبا علي - الجبائي - قال: إن الناس اختلفوا في أمر أبي ذر رحمه الله تعالى.

وروي أنه قيل لأبي ذر: أعثمان أنزلك الربذة.

فقال: لا بل اخترت لنفسي ذلك.

روي أن معاوية كتب يشكوه وهو بالشام، فكتب عثمان إليه: أن صر إلى المدينة فلما صار إليها، قال: ما أخرجك إلى الشام؟.

قال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغت عمارة المدينة موضع كذا فاخرج عنها فلذلك خرجت.

فقال: فأي البلاد أحب إليك بعد الشام؟.

قال: الربذة.

فقال: سر إليها.

وقد روي عن زيد بن وهب قال: قلت لأبي ذر رحمه الله تعالى وهو بالربذة: ما أنزلك هذا المنزل؟.

قال: أخبرك أني كنت بالشام في أيام معاوية وقد ذكرت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

فقال معاوية: هذه في أهل الكتاب.

فقلت: هي فيهم وفينا وكتب معاوية إلى عثمان في ذلك، فكتب إليّ: أن

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

أقدم عليّ فقدمت عليه، فانثال الناس إليّ كأنهم لم يعرفوني، فشكوت ذلك إلى عثمان، فخيرني وقال: إنزل حيث شئت، فنزلت الربذة.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الخياط قريباً مما تقدم من أن إخراج أبي ذر إلى الربذة كان باختياره.

وروى في ذلك خبراً قال: وأقل ما في ذلك أن تختلف الأخبار فتطرح، ونرجع إلى الأمر الأول في صحة إمامة عثمان وسلامة أحواله.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى على هذا الكلام فقال: أما قول أبي علي إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلى الربذة متكافئة فمعاذ الله أن تتكافأ في ذلك، بل المعروف والظاهر أن نفاه أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة، وقد روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم: أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ماأعطاه وأعطى الحرث بن الحكم ابن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: «بشر الكافرين بعذاب أليم» ويتلو قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فرفع ذلك مروان إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر نائلاً مولاه أن انته عما يبلغني عنك!.

فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وذكر ما مرَّ سابقاً إلى قوله: فقال حبيب بن مسلمة: إن كانت لكم حاجة فيه، ثم قال: فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد فاحمل جندباً إلي، وذكر ما مرَّ سابقاً إلى قوله: فلم يزل بها حتى مات «اهـ».

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت مع أبي الدرداء فجاء رجل من قبل المدينة فسأله فأخبره أنا أبا ذر مسير إلى الربذة.

فقال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون لو أن أبا ذر قطع لي عضواً أو يداً ما هجته بعدما سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر «اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة: روي أن عبد الله بن مسعود لما بلغه نفي أبي ذر إلى الربذة وهو إذ ذاك بالكوفة، قال في خطبة له بمحفل من أهل الكوفة: فهل سمعتم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾(١) يعرض بمن نفاه، فكتب الوليد بذلك لعثمان، فأشخصه من الكوفة، فلما دخل مسجد النبي ﷺ أمر عثمان غلاماً له أسود فدفع ابن مسعود وأخرجه من المسجد ورمى به إلى الأرض وجعل منزله حبسه، وحبس عنه عطاءه أربع سنين إلى أن مات.

وروى الشيخ في الأمالي، بسنده عن أسد بن زرارة، عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة الأنصاري قال: لما قدم أبو ذر على عثمان قال: أخبرني أي البلاد أحب إليك؟.

قال: مهاجري.

قال: لست بمجاوري.

قال: فألحق بحرم الله فأكون فيه؟.

قال: لا.

قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله ﷺ؟.

قال: لا.

قال: فلست بمختار غيرهن، فأمره بالمسير إلى الربذة، فقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: اسمع وأطع وانقد حيث قادوك ولو لعبد حبشي مجدع، فخرج إلى الربذة وأقام مدة، ثم أتى المدينة فدخل على عثمان و الناس عنده سماطان، فقال: يا أمير المؤمنين إنك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلا شويهات، وليس لي خادم إلا محررة، ولا ظل يظلني إلا ظل شجرة، فأعطني خادماً وغنيمات أعيش فيها، فحول وجهه عنه، فتحول إلى السماط الآخر فقال مثل ذلك.

فقال له حبيب بن مسلمة: لك عندي يا أبا ذر ألف درهم وخادم وخمسمائة شاة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

قال أبو ذر: أعط خادمك وألفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك مني فإني إنما أسأل حقي في كتاب الله، فجاء علي عليه السلام فقال له عثمان: ألا تغني عنها سفيهك هذا؟.

قال: أي سفيه؟.

قال: أبو ذر.

قال علي عليه السلام: ليس بسفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ﴾[1] «اهـ».

وذكر صاحب الدرجات الرفيعة هذا الخبر نقلاً عن بعض المؤرخين وزاد به، قال: أنشد بالله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لأبي ذر؟.

فقام أبو هريرة وغيره فشهدوا بذلك، فولى علي ولم يجلس «اهـ».

وفي تفسر علي بن إبراهيم أن أبا ذر رحمه الله دخل على عثمان وكان عليلاً متوكئاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم، قد حملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم.

فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟.

فقال عثمان: مائة ألف درهم حملت إليَّ من بعض النواحي أريد أن أضم إليها مثله ثم أرى فيها رأيي.

فقال أبو ذر: يا عثمان أيما أكثر: مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟.

فقال: بل مائة ألف درهم.

فقال: أما تذكر أني أنا وأنت دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله عشاء فرأيناه كئيباً حزيناً فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام[2] فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً

---

(١) سورة غافر الآية: ٢٨.

(٢) في البحار: لعل المعنى أنه لم يرد علينا كما كان يرد قبل ذلك على جهة البشاشة والبشر. «المؤلف».

مستبشراً فقلنا له بآبائنا وأمهاتنا: دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً؟.

فقال: نعم كان بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي، وقد قسمتها اليوم فاسترحت، فنظر عثمان إلى كعب الأخبار فقال: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟.

فقال: لا لو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب ثم قال له: يا بن اليهودية الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ﴾(١) الآية.

فقال عثمان: يا أبا ذر إنك شيخ خرفت وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك.

فقال: يا عثمان أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ فقال: لا يفتونك يا أبا ذر ولا يقتلونك، وأما عقلي فقد بقي منه ما أحفظ حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: وما سمعت من رسول الله؟.

قال: سمعته يقول: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً صيروا مال الله دولاً، وكتاب الله دخلاً، وعباده خولاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً!.

فقال عثمان: يا معشر أصحاب محمد هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله ﷺ؟.

فقالوا: لا!.

فقال عثمان: ادعُ علياً، فجاء أمير المؤمنين فقال له عثمان: يا أبا الحسن انظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب.

---

(١) سورة التوبة الآية: ٣٤.

فقال أمير المؤمنين: يا عثمان لا تقل كذاب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء - الحديث -.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: صدق أبو ذر فقد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ فبكى أبو ذر عند ذلك.

فقال عثمان: يا أبا ذر بحق رسول الله إلا أخبرتني عن شيء أسألك عنه!.

فقال أبو ذر: والله لو لم تسألني بحق رسول الله ﷺ لأخبرتك!.

فقال: أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟.

فقال: مكة حرم الله وحرم رسوله، أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت.

فقال: لا ولا كرامة لك.

فقال: المدينة؟.

قال: لا ولا كرامة لك.

قال: فسكت أبو ذر.

فقال عثمان: أي البلاد أبغض إليك تكون فيها؟.

فقال: الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام.

فقال عثمان: سر إليها.

فقال أبو ذر: صدق الله ورسوله «اهـ».

كتابه إلى حذيفة بن اليمان يشكو إليه ما فعل به

حكى السيد المرتضى في كتاب الفصول، عن أبي مخنف قال: حدثني الصلت، عن زيد بن كثير، عن أبي أمامة، قال: كتب أبو ذر إلى حذيفة بن اليمان يشكو إليه ما صنع به عثمان:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أما بعد: يا أخي فخف الله مخافة يكثر منها بكاء عينيك، وحرر قلبك واسهر ليلك، وانصب بدنك في طاعة الله، فحق لمن علم أن النار مثوى من سخط الله عليه أن يطول بكاؤه ونصبه وسهر ليله، حتى يعلم أنه قد رضي الله عنه، وحق لمن علم أن الجنة مثوى من رضي الله عنه

أن يستقبل الحق كي يفوز بها ويستصغر في ذات الله الخروج من أهله وماله، وقيام ليله وصيام نهاره، وجهاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه، حتى يعلم أن الله أوجبها له، وليس بعالم ذلك دون لقاء ربه، وكذلك ينبغي لكل من رغب في جوار الله ومرافقة أنبيائه أن يكون يا أخي أنت ممن استريح إلى التصريح إليه ببثي وحزني، وأشكو إليه تظاهر الظالمين عليّ، إني رأيت الجور يعمل به بعيني وسمعته يقال، فرددته فحرمت العطاء وسيرت إلى البلاد وغربت عن العشيرة والإخوان وحرم الرسول ﷺ، وأعوذ بربي العظيم أن يكون مني هذا شكوى أن ركب مني ما ركب، بل أنبأتك أني قد رضيت ما أحب لي ربي وقضاه عليّ، وأفضيت ذلك إليك لتدعو الله لي ولعامة المسلمين بالروح والفرج وبما هو أعم نفعاً وخير مغبة وعقبى والسلام.

✍ جواب حذيفة له:

فكتب إليه حذيفة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾

أما بعد: يا أخي فقد بلغني كتابك تخوفني به وتحذرني فيه منقلبي، وتحثني فيه على حظ نفسي، فقديماً يا أخي ما كنت بي وبالمؤمنين حفياً لطيفاً، وعليهم حدباً شفيقاً، ولهم بالمعروف آمراً، وعن المنكرات ناهياً، وليس يهدي إلى رضوان الله إلا هو، ولا يتناهى من سخطه إلا بفضل رحمته وعظيم منه، فنسأل الله ربنا لأنفسنا وخاصتنا وعامتنا وجماعة أمتنا، مغفرة عامة ورحمة واسعة، وقد فهمت ما ذكرت من تسييرك يا أخي وتغريبك وتطريدك، فعز والله عليّ يا أخي ما وصل إليك من مكروه، ولو كان يفتدى ذلك بمال لأعطيت فيه مالي طيبة بذلك نفسي ليصرف الله عنك بذلك المكروه، والله لو سألت لك المواساة ثم أعطيتها لأحببت احتمال شطر ما نزل بك ومواساتك في الفقر والأذى والضرر، لكنه ليس لأنفسنا إلا ما شاء ربنا، يا أخي فافزع بنا إلى ربنا ولنجعل إليه رغبتنا، فإنا قد استحصدنا واقترب الصرام، فكأني وإياك قد دعينا فأجبنا وعرضنا على أعمالنا فاحتجنا إلى ما أسلفنا، يا أخي.

ولا تأس على ما فاتك ولا تحزن على ما أصابك، واحتسب فيه الخير وارتقب فيه من الله أسنى الثواب، يا أخي لا أرى الموت لي ولك إلا خيراً من

البقاء، فإنه قد أظلتنا فتن يتلو بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم، قد انبعثت من مركبها ووطئت في خطامها، تشهر فيها السيوف، وتنزل فيها الحتوف، يقتل فيها من اطلع لها والتبس بها وركض فيها، ولا يبقى قبيلة من قبائل العرب من الوبر والمدر إلا دخلت عليهم فأعز أهل ذلك الزمان أشدهم عتواً وأذلهم أتقاهم، فأعاذنا الله وإياك من زمان هذه حال أهله.

لن أدع الدعاء لك في القيام والقعود والليل والنهار وقد قال الله ولا خلف لموعده: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] فنستجير بالله من التكبر عن عبادته، والاستنكاف عن طاعته، جعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً عاجلاً برحمته والسلام عليك.

كيفية وفاته

في الاستيعاب في باب الأسماء: نفاه عثمان وأسكنه الربذة، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود، صادفه وهو مقبل من الكوفة في نفر فضلاء من أصحابه، منهم حجر بن الأدبر - وهو حجر بن عدي الكندي قتيل مرج عذرا - ومالك بن الحارث الأشتر، وفتى من الأنصار دعتهم امرأته إليه فشهدوا موته، وغمضوا عينيه، وغسلوه، وكفنوه في ثياب للأنصاري في خبر عجيب حسن فيه طول.

وفي خبر غيره أن ابن مسعود لما دعي إليه وذكر له بكى بكاء طويلاً، وقدقيل إن ابن مسعود كان يومئذٍ مقبلاً من المدينة إلى الكوفة، فدعي إلى الصلاة عليه، فقال ابن مسعود: من هذا؟.

قيل: أبو ذر، فبكى بكاء طويلاً، فقال: أخي وخليلي عاش وحده ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له.

وكانت وفاته بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود.

ذكر علي ابن المديني قال: حدثنا يحيى بن سليم قال: حدثني عبد الله بن

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن إبراهيم ابن الأشتر، عن أبيه، عن أم ذر زوجة أبي ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت.

فقال: ما يبكيك؟.

فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً لي ولا لك، ولا بد لي من القيام بجهازك!.

قال: فأبشري ولا تبكي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً، وقد مات لنا ثلاثة من الولد.

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهد عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية وجماعة (ولم يبق غيري وقد أصبحت بالفلاة أموت) فأنا ذلك الرجل، فوالله ما كذبت ولا كذبت فأبصري الطريق، قلت: أنَّى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطريق.

قال: اذهبي فتبصري.

قالت: فكنت اشتد إلى الكثيب فانظر ثم ارجع إليه فأمرضه، فبينما أنا وهو كذلك، إذا أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تخب بهم رواحلهم، فأسرعوا إليَّ حتى وقفوا عليَّ، فقالوا: يا أمة الله مالك؟.

قلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه (وتؤجرون فيه)، قالوا: ومن هو؟.

قلت: أبو ذر.

قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟.

قلت: نعم، قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم (ثم وضعوا سياطهم في نحورها) وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فقال لهم: أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلاَّ وقد هلك في قرية وجماعة،

والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوبي يسعني كفناً لي ولامرأتي لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله أن يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قال إلا فتى من الأنصار.

فقال: أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي.

قال: أنت تكفنني.

قال: فكفنه الأنصاري وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلهم إيمان «اهـ».

ورواه ابن سعد في الطبقات بطريقين إلى إبراهيم ابن الأشتر أحدهما يوافق ما في الاستيعاب، والآخر يخالفه قليلاً. وفي أحدى روايتي الحاكم في المستدرك: كان حجر المدري ومالك الأشتر وأن الأنصاري قال: أنا أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي حاكتهما لي حتى أحرم فيهما، فقال أبو ذر: كفاني.

وفي روايته الأخرى قال علي بن عبد الله المديني - ليحيى بن سليم الطائفي - الذي روى عنه علي هذا الحديث - تجد بهم رواحلهم أو تخب؟

قال: تجد بالدال.

وفي الاستيعاب في باب الكنى بسنده عن الحلحال بن ذر الضبي قال: خرجنا حجاجاً مع ابن مسعود سنة أربع وعشرين ونحن أربعة عشر راكباً حتى أتينا عل الربذة، فشهدنا أبا ذر فغسلناه وكفناه ودفناه هناك رضي الله عنه «اهـ».

وفي الطبقات بسنده عن عبد الله بن مسعود، لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني وضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمر فقولوا له: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عماراً فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل أن تطأها، فقام إليه الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فأعينونا على دفنه، فاستهل عبد الله

يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك «اهـ».

ورواه الحاكم في المستدرك من جملة حديث نحوه.

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٢: فيها مات أبو ذر وكان قد قال لابنته: استشرفي يا بنية هل ترين أحداً؟.

قالت: لا.

قال: فما جاءت ساعتي بعد، ثم أمرها ذبحت شاة ثم طبختها ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنوني - فإنه سيشهدني قوم صالحون - فقولي لهم: يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا، فلما نضجت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحداً؟.

قالت: نعم هؤلاء ركب!.

قال: استقبلي بي الكعبة ففعلت.

فقال: باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ ثم مات، فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت: رحمكم الله اشهدوا أبا ذر!.

قالوا: وأين هو؟ فأشارت إليه.

قالوا: نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك، وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال: صدق رسول الله ﷺ يموت وحده، ويبعث وحده، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، وقالت لهم ابنته: إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا وحملوا أهله معهم حتى أقدموهم مكة، ولما حضروا شموا من الخباء ريح مسك فسألوها عنه، فقالت: إنه لما حضر قال: إن الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون، فدوفي لهم مسكاً بماء ورشي به الخباء.

وكان النفر الذين شهدوه: ابن مسعود، وأبا مفرز، وبكر بن عبد الله التميميين، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، ومالك الأشتر النخعيين، والحلحال الضبي، والحرث بن سويد التميمي، وعمرو بن عتبة السلمي، وابن

ربيعة السلمي، وأبا رافع المزني، وسويد بن شعبة التميمي، ويزيد بن معاوية النخعي، وأخا القرثع الضبي، وأخا معضد الشيباني، وقيل: كان موته سنة إحدى وثلاثين «اهـ».

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن خليفة بن خياط قال: مات أبو ذر بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود، وفيها أيضاً مات عبد الله بن مسعود، قال: وصلاة عبد الله بن مسعود عليه لا تبعد فقد روي بإسناد آخر أنه كان في الرهط من أهل الكوفة الذين وقفوا للصلاة عليه.

وروى الحاكم أنه في المستدرك، بسنده عن عبد الله بن مسعود في حديث تقدم في خبره في غزاة تبوك قال: وضرب الدهر من ضربته، وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك، فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقالوا: ما هذا؟.

فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود رضي الله عنه يبكي فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه «اهـ».

وروى الكشي في رجاله في ترجمة مالك الأشتر قال: حدثني عبيد بن محمد النخعي الشافعي السمرقندي، عن أبي أحمد الطرسوسي، حدثني خالد بن طفيل الغفاري، عن أبيه، عن حلام[1] بن ركين[2] الغفاري وكانت له صحبة.

---

(١) اختلفت النسخ في حلام ففي بعضها بالحاء المهملة وفي بعضها بالجيم، ومن الغريب أننا لم نجده في كتاب أسماء الصحابة لا في باب الجيم ولا في باء الحاء.

(٢) وهذا أيضاً أختلفت فيه النسخ ففي بعضها ركين، وفي بعضها دل، وفي بعضها جندل، وفي بعضها ذر ولم يتيسر لنا معرفة الصواب منها. «المؤلف».

وفي الدرجات الرفيعة، أخرج الكشي عن جلام بن ذر الغفاري، وكانت له صحبة - قال: مكث أبو ذر بالربذة حتى مات فلما حضرته الوفاة قال لامرأته: اذبحي شاة من غنمك واصنعيها، فإذا نضجت اقعدي على قارعة الطريق فأول ركب ترينهم قولي: يا عباد الله المسلمين هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قد قضى نحبه ولقي ربه، فأعينوني عليه وأجنوه، فإن رسول الله ﷺ أخبرني أني أموت في أرض غربة، وأنه يلي غسلي ودفني والصلاة عليَّ رجال من أمته صالحون.

عن محمد بن علقمة بن الأسود النخعي قال: خرجت في رهط أريد الحج منهم: مالك بن الحارث الأشتر، وعبد الله بن فضل التيمي، ورفاعة بن شداد البجلي، حتى قدمنا الربذة فإذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قد هلك غريباً ليس أحد يعينني عليه، فنظر بعضنا إلى بعض، وحمدنا الله على ما ساق إلينا واسترجعنا على عظيم المصيبة، ثم أقبلنا معها فجهزناه وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء، ثم تعاونا على غسله حتى فرغنا منه، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلى عليه، ثم دفناه فقام الأشتر على قبره، ثم قال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكراً فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر، ثم مات وحيداً غريباً، اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسول الله ﷺ فرفعنا أيدينا جميعاً وقلنا آمين، فقدمت الشاة التي صنعت فقالت: إنه أقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تتغدوا، فتغدينا وارتحلنا «اهـ».

وفي تفسير علي بن إبراهيم في تتمة الخبر السابق في غزوة تبوك: فلما سيره عثمان إلى الربذة كان له غنيمات يعيش هو وعياله منها فأصابها داء يقال له: النقاب فماتت كلها، فأصاب أبا ذر وابنته الجوع وماتت أهله، فقالت ابنته: أصابنا الجوع وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً، فقال لي أبي: يا بنية قومي بنا إلى الرمل نطلب العيب - وهو نبت له حب - فصرنا إلى الرمل فلم نجد شيئاً، فجمع أبي رملاً ووضع رأسه عليه ورأيت عينيه قد انقلبتا فبكيت فقلت له: يا أبة كيف أصنع بك وأنا وحيدة؟.

فقال: يا بنيتي لا تخافي فإني إذا مت جاءك من أهل العراق من يكفيك أمري، فإني أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك فقال لي: يا أبا ذر تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك يسعد بك أقوام من أهل العراق، يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك، فإذا أنا مت فمدي الكساء على وجهي ثم اقعدي على طريق العراق فإذا أقبل ركب فقومي إليهم وقولي: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفي.

قالت: فدخل إليه قوم من أهل الربذة فقالوا: يا أبا ذر ما تشتكي؟.

قال: ذنوبي!.

قالوا: فما تشتهي؟.

قال: رحمة ربي!.

قالوا: هل لك بطبيب؟.

قال: الطبيب امرضني.

قالت ابنته: فلما عاين سمعته يقول: مرحباً بحبيب أتى على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم خنقني خناقك، فوحقك إنك لتعلم أني أحب لقاءك.

قالت ابنته: فلما مات مددت الكساء على وجهه ثم قعدت على طر يق العراق، فجاء نفر فقلت لهم: يا معشر المسلمين هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفي! فنزلوا ومشوا يبكون فجاؤوا فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وكان فيهم الأشتر فروي أنه قال: دفنته في حلة كانت معي قيمتها أربعة آلاف درهم.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لم يبقَ اليوم أحدٌ لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر»!!.

عاش يناهض استغلال الحكم، واحتكار الثروة.

عاش يدحض الخطأ، ويبني الصواب.

عاش متبتلاً لمسؤولية النصح والتحذير.

يمنعونه من الفتوى، فيزداد صوته بها ارتفاعاً، ويقول لما نعيه:

والذي نفسي بيده، لو وضعتم السيف فوق عنقي، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تحتزوا لأنفذتها»!!

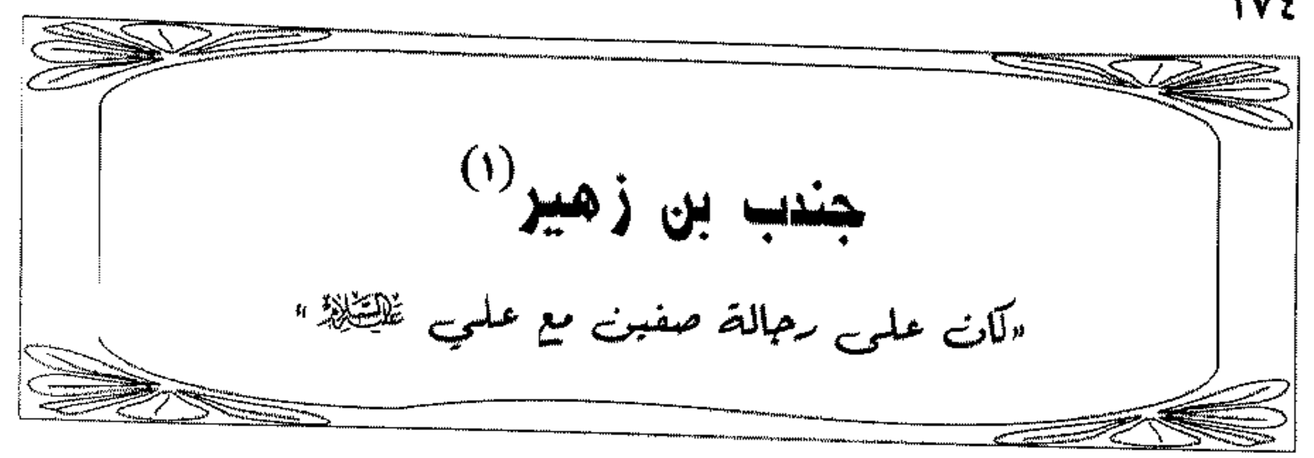
ويا ليت المسلمين استمعوا يومئذٍ لقوله ونصحه.

إذن لماتت في مهدها تلك الفتن التي تفاقم فيما بعد أمرها واستفحل خطرها، وعرضت الدولة والمجتمع والإسلام لأخطار، ما كان أقساها من أخطار.

مصادره:

إتقان المقال/ ٣٥. الأخبار الطوال/ ١٦٦، ٢٠٥. الاستيعاب ١/ ٢١٣ وج ٤/ ٦١. أسد الغابة ١/ ٣٠١. الإصابة ١/ ٢٤٧ وج ٤/ ٦٢، ٤٤٨. أعلام نهج البلاغة/ ١٣. الأعلام ٢/ ١٣٦. بهجة الآمال ٢/ ٥٩٠. تأسيس الشيعة/ ٣٣٤. تاريخ الطبري ٥/ ٥٦٦. ٨ وج ١٣/ ٢٧. تاريخ الخميس ٢/ ٢٥٨. تحفة الأحباب/ ٤٥. تنقيح المقال ١/ ٢٣٤. تهذيب التهذيب ١٢/ ٩٠. تذكرة الحفاظ ١/ ١٧. جامع الرواة ا/ ١٦٨. الجرح والتعديل ٢/ ٥١٠. جمهرة أنساب العرب/ ١٨٦. حلية الأولياء ١/ ١٥٦. خلاصة الأقوال/ ٣٦. الدرجات الرفيعة/ ٢٢٥. رجال ابن داود/ ٦٧. رجال الطوسي/ ٣٦. رجال الكشي/ ٢٤. رجال البرقي/ ١. سفينة البحار ١/ ٤٨٢. شذرات الذهب ١/ ٣٩. ابن أبي الحديد ٣/ ٥٥ و٨/ ٢٥٧ و١٢/ ٢٦٦. الطبقات الكبرى ١/ ٢٥٤ و٤/ ٢١٩. طبقات الحفاظ/ ٦. العقد الفريد ١/ ١٥٥ و٢/ ١١٧ و٣/ ٨، ٢٥٩ و٤/ ٢١١ و٥/ ٣٣ و٧/ ٢٥٨. العبرا/ ٣٣. الغدير ١/ ٤١، ١٥١، ١٦٥، ٢٠٠ الفهارس/ ٤٥. الغارات ١/ ٣٠، ١٧٧. ١٩١، ٢٥٥، و٢/ ٥٢١، ٥٥٦، ٥٦٣، ٧٥٢. الفوائد الرجالية ٢/ ١٤٣، ١٤٩، ١٥٢، ١٦٨، ٣٣٢، ٣٤٠. فهرست الطوسي/ ٨٠. قاموس الرجال ٢/ ٤٤٥. الكامل في التاريخ ٣/ ١١٣. ١١٦ و ٨/ ٤٥٣. الكنى والألقاب ١/ ٧٤. مجمع الرجال ٢/ ٥٤. مرآة الجنان ١/ ٨٨. مروج الذهب ٢/ ٣٤٨. المعارف/ ١١٠. معجم البلدان ٣/ ٢٤. معجم الثقات/ ٢٩. معجم رجال الحديث ٤/ ١٦٤. منتهى المقال/ ٨٤. مجالس المؤمنين ١/ ٢١٦. النجوم الزاهرة ١/ ٢١، ٨٩. نقد الرجال/ ٧٦. النهاية في غرب الحديث ٥/ ٣٨٤. وفيات الأعيان ٦/ ١٦٤.





جندب بن زهير(١)

«كان على رجالة صفين مع علي عليه السلام»

جندب بن زهير، بن الحارث، بن كثير، بن جشم، بن سبيع بن مالك، بن ذهل ابن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدئل، بن سعد مناة، بن غامد الأزدي الغامدي الكوفي.

هكذا نسبه في أسد الغابة.

قتل بصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، سنة **٣٧** وقال ابن عساكر: ذكر العسكري أنه مات في خلافة معاوية.

كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، حضر معه حرب الجمل وحرب صفين.

وقتل يوم صفين. وفي أحد الأقوال المتقدمة أنه يلقب جندب الخير ويأتي ذلك أيضاً عن ابن شاذان.

جنادب الأزد أربعة

في أسد الغابة: جندب بن زهير أحد جنادب الأزد وهم أربعة: **جندب الخير بن عبد الله**، **وجندب بن كعب** قاتل الساحر، **وجندب بن عفيف**، **وجندب بن زهير**.

وفي أسد الغابة في ترجمة جندب بن كعب: قيل لابن عمر: إن المختار قد اتخذ كرسياً يطيف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون فقال: أين بعض جنادبة الأزد عنه وهم جندب بن زهير من بني ذبيان، وجندب الخير بن عبد الله، وجندب بن كعب، وجندب بن عفيف «انتهى».

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٣٣٨، ح٣٧٦٦.

وقال ابن عساكر: قال علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد: جندب الخير هو جندب بن عبد الله بن ضبة، وجندب بن كعب قاتل الساحر، وجندب بن عفيف، وجندب بن زهير كان على رجالة علي بصفين، وقتل معه بصفين هؤلاء الأربعة من الأزد.

أهو صحابي أم تابعي

عن الفضل بن شاذان أنه تابعي، وعن ابن حبان: أنه ذكره في ثقات التابعين.

وعن التقريب: أن جندب الخير الأزدي أبو عبد الله قاتل الساحر مختلف في صحبته، وأحد الأقوال أنه ابن زهير ومقتضى ما يأتي من أن آية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾[1] «الآية»، نزلت فيه، وأن عمير بن الحارث الأزدي أتى النبي ﷺ في نفر من قومه منهم: جندب بن زهير وأنه قام رجل من الأزد يقال له: جندب بن زهير إلى النبي ﷺ أنه صحابي، ويأتي قول الاستيعاب، وقد اختلف في صحبة جندب بن زهير وذكره رواية جندب، عن النبي ﷺ في حد الساحر، وأن أحد الأقوال أنه جندب بن زهير لكنه ضعف الرواية، ويأتي قول ابن عساكر يقال: إن له صحبة، وأنه أتى النبي ﷺ فكتب له ولقومه كتاباً وهو صريح في صحبته.

وقال ابن عساكر، قال البغوي: يشك في صحبته.

وقال الطبراني: اختلف في صحبته، أخرج له الترمذي حديثه وصحح أن وقفه أصح، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين «انتهى».

من هو قاتل الساحر

مر في جندب الخير نقل صاحب تهذيب التهذيب الخلاف في قاتل الساحر أنه جندب بن زهير، أو جندب بن عبد الله، أو جندب بن كعب.

في الاستيعاب في ترجمة جندب بن كعب الذي قال: إن قاتل الساحر جندب بن زهير هو الزبير بن بكار في خبر ذكره في قتله الساحر بين يدي الوليد، والصحيح عندنا أنه جندب بن كعب، ثم ذكر حديث قتل جندب بن كعب للساحر.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

قال ابن عساكر: قال البخاري وابن مندة: جندب بن كعب قاتل الساحر. وقال علي بن المديني: هو جندب بن زهير.

أقوال العلماء

قال الكشي في رجاله، قال الفضل بن شاذان: من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم جندب بن زهير، قاتل الساحر وعد جماعة أخرى.

وعن تقريب ابن حجر: جندب الخير الأزدي، أبو عبد الله قاتل الساحر مختلف في صحبته.

يقال: ابن كعب، ويقال: ابن زهير، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال أبو عبيد: قتل بصفين «انتهى».

وفي أسد الغابة: جندب بن زهير كان على رجالة صفين مع علي وقتل في تلك الحرب بصفين.

قال أبو نعيم: ذكره البغوي وقال هو أزدي.

وروى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]. وكان فيمن سيره عثمان من الكوفة إلى الشام، وقتل مع علي بصفين، أخرجه ابن مندة وأبو نعيم «انتهى».

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب، في ترجمة جندب بن كعب فقال: إن جندب بن كعب هو الذي قتل الساحر بين يدي الوليد بن عقبة.

روى الحسن البصري، عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حد الساحر ضربة بالسيف، فقيل: إنه جندب بن كعب، وقيل: إنه جندب بن زهير قال: وقد اختلف في صحبة جندب بن زهير، وقيل: حديثه هذا مرسل وتكلموا فيه من أجل السري بن إسماعيل.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠

وفي الإصابة: فرق الزبير عن عمد في كتاب الموفقيات بين جندب بن زهير وبين جندب بن كعب قاتل الساحر بن كبشة، وكذا فرق بينهما ابن الكلبي.

وفي الإصابة أيضاً: جندب بن زهير بن الحارث بن كثير بن سبع بن مالك الأزدي الغامدي، ويقال: جندب بن عبد الله بن زهير الغامدي.

ذكر ابن الكلبي في التفسير، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير الغامدي إذا صلى - إلى آخر ما تقدم.

ثم ذكر من طريق مقاتل، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قام رجل من الأزد يقال له: جندب بن زهير الغامدي إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي إني لأرجع من عندك فلم تقر عيني بمال ولا ولد حتى أرجع فأنظر إليك فأنّى لي بك في غمار القيامة، فذكر حديثاً طويلاً في أهوال يوم القيامة.

وروى ابن سعد بسند له أنه كان مع علي يوم الجمل، وروى خليفة، من طريق علي بن زيد، عن الحسن: أن جندب بن زهير كان مع علي بصفين، وكذا ذكره المفضل الغلابي في تاريخه وقال أبو عبيد: كان على الرجالة يومئذٍ.

وذكر ابن دريد في أماليه، بسنده عن أبي عبيدة، عن يونس قال: كان عبد الله بن الزبير اصطفنا يوم الجمل، فخرج علينا صائح كالمنتصح من أصحاب علي فقال: يا معشر فتيان قريش أحذركم رجلين جندب بن زهير الغامدي، والأشتر فلا تقوموا لسيوفهما، أما جندب فرجل ربعة يجر درعه حتى يعفى أثره «انتهى.

وفي تاريخ ابن عساكر: جندب بن زهير بن الحارث بن كبير بن جشم الأزدي يقال: إن له صحبة، وهو من أهل الكوفة، وكان ممن سيره عثمان من الكوفة إلى دمشق، وشهد مع علي صفين أميراً على الأزد وقتل يومئذٍ، ثم ذكر خبره المتقدم: إذا صام أو صلى، ثم قال: وأتى النبي ﷺ في رهط من الأزد، فكتب لهم النبي ﷺ: أما بعد فمن أسلم من عائذ فله ما للمسلمين من حرمة ماله ودمه ولا تحشروا ولا تعشروا وله ما أسلم عليه من أرض.

وقال جندب: لقيني عبد الله بن الزبير وعليه وجه من حديد فطعنته في

وجهه فزل السنان عنه، ثم لقيه بعد ذلك عبد الرحمن بن عتاب فطعنه فأرداه كالنخلة السحوق «انتهى».

وفي تهذيب التهذيب: جندب الخير الأزدي الغامدي قاتل الساحر، يكنى أبا عبد الله، له صحبة، ويقال: إنه جندب بن زهير، ويقال: جندب بن عبد الله، ويقال: جندب بن كعب بن عبدالله. روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حد الساحر ضربة بالسيف.

وعن سلمان الفارسي وعلي، وعنه حارثة بن وهب الصحابي، والحسن البصري، وعثمان النهدي، وعبد الله بن شريك العامري وعدة.

وفي مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي قال نوف البكالي: عرضت لي حاجة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فاستتبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابن أخيه همام بن عبادة بن خثيم، فألفيناه حين خرج يؤم المسجد فأفضى ونحن معه إلى نفر قد أفاضوا في الأحدوثات تفكهاً، وهم يلهي بعضهم بعضاً، فأسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه فرد التحية ثم قال: من القوم؟.

فقالوا: أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين.

فقال لهم: خيراً ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فأمسك القوم حياء فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له: ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين؟.

فسكت فقال همام (الحديث).

وقال ابن قتيبة في المعارف: روي في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: زيد الخير الأجذم وجندب ما جندب فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتذكر رجلين فقال: أما الأول فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً، وأما الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحق والباطل، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده وقتل مع علي يوم الجمل، وأما الآخر فهو جندب بن ز هير الغامدي ضرب ساحراً كان يلعب بين يدي الوليد بن عقبة فقتله «انتهى».

✍ خبر تسييره وأصحابه إلى الشام

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٣: في هذه السنة، سير عثمان نفراً من أهل الكوفة إلى الشام، وكان السبب في ذلك أن سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شهد على الوليد بشرب الخمر أمره أن يسير الوليد إليه، فقدم سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر، فنهاه رجال من بني أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك، فلم يجبهم، فبينما سعيد يتحدث مع جلسائه قال حبيش (خنيس) ابن فلان الأسدي: ما أجود طلحة بن عبيد الله!.

فقال سعيد: إن من له مثل النشاستج[1] لحقيق أن يكون جواداً والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله به عيشاً رغداً.

فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث: والله لوددت هذا الملطاط لك - يعني لسعيد - وهو ما كان للأكاسرة على جانب الفوات الذي يلي الكوفة.

فقالوا: فض الله فاك، والله لقد هممنا بك.

فقال أبوه: غلام فلا تجاوزه.

فقالوا: يتمنى له سوادنا؟.

قال: ويتمنى لكم أضعافه فقاربه الأشتر وجندب وذكر معهما جماعة، ولا يدري من هو جندب هذا، أهو جندب بن كعب الأزدي أو جندب بن زهير الغامدي، فكلاهما كانا حاضرين في تلك الواقعة بدليل أنهما كانا ممن سيرهم سعيد كما سيأتي - فأخذوه، فثار أبوه ليمنع عنه فضربوهما حتى غشي عليهما وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطراً.

فسمع بذلك بنو أسد فجاؤوا وفيهم طلحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعادوا بسعيد، فخرج سعيد إلى الناس فقال: أيها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية فردهم فتراجعوا وأفاق الرجلان فقالا: قاتلنا غاشيتك.

---

(١) في معجم البلدان: النشاستج ضيعة أو نهر بالكوفة كانت لطلحة بن عبيدالله كانت عظيمة كثيرة الدخل. (المؤلف).

يشمتون بنا، ولكن ميلوا إلى الجزيرة، فسمع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان على حمص - فدعاهم ووبخهم وأهانهم.

وفي رواية: أن معاوية لما عاد إليهم من القائلة[١] جرى بينه وبينهم كلام أغضبهم فيه وأغضبوه فوثبوا عليه وأخذوا رأسه ولحيته فقال: مه إن هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، ثم قام من عندهم وكتب إلى عثمان نحو الكتاب المتقدم، فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم فأطلقوا ألسنتهم، فضج سعيد منهم إلى عثمان، فكتب إليه عثمان أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بحمص فسيرهم إليها فأنزلهم عبد الرحمن وأجرى عليهم رزقاً، وكانوا الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني، وكميل بن زياد، وزيد، وصعصعة ابني صوحان، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وابن الكوا «انتهى».

أخباره بصفين

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين، بسنده عن عبد الله بن شريك أن الناس لما أتوا النخيلة قام رجال ممن كان سيره عثمان فتكلموا، فقام جندب بن زهير، والحارث الأعور، ويزيد بن قيس الأرحبي، فقال جندب: قد آن للذين أخرجوا من ديارهم[٢]، وجعله أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين على الأزد واليمن.

وقال نصر في موضع آخر من كتاب صفين: حمل جندب بن زهير يوم صفين وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

هذا علي والهدى حقاً معهْ ... يا رب فاحفظه ولا تضيعهْ

---

(١) الذي في النسخة من القابلة بالباء والظاهر أنه غلط والصواب من القائلة أي من بعد القيلولة والله أعلم.

(٢) يشير إلى تسيير عثمان لهم إلى الشام، والآية التي لمح إليها هي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] «المؤلف».

فإنه يخشاك رب فارفعهْ نحن نصرناه على من نازعهْ
صهر النبي المصطفى قد طاوعهْ أول من بايعه وتابعهْ

ومن أخباره في صفين التي تدل على عظيم شجاعته، ما ذكره نصر أيضاً، قال: تقدم جندب بن زهير برايته وراية قومه وهو يقول: والله لا أنتهي حتى أخضبها فخضبها مراراً، إذ اعترضه رجل من أهل الشام فطعنه فمشى إلى صاحبه في الرمح حتى ضربه بالسيف فقتله «انتهى».

ومن أخباره يوم صفين التي تدل على شدة إخلاصه في حب أمير المؤمنين عليه السلام وقوة إيمانه، أنه لما ندبت أزد العراق إلى قتال أزد الشام، بصفين خطب مخنف بن سليم خطبة توجب توهين عزم أزد العراق في قتال قومهم من أزد الشام فرد عليه جندب بن زهير بخطبة توجب تقوية عزمهم وتشد قلوبهم قال نصر، قال عمر، عن الحارث بن حصيرة، عن أشياخ النمر، أن مخنف بن سليم لما ندبت أزد العراق إلى قتال أزد الشام خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن من الخطب الجليل والبلاء العظيم أنا صرفنا إلى قومنا وصرفوا إلينا، فوالله ما هي إلا أيدينا نقطعها بأيدينا، وما هي إلا أجنحتنا نحذفها بأسيافنا، فإن نحن لم نفعل لم نناصح صاحبنا ولم نواس جماعتنا، وإن نحن فعلنا فعزنا أبحنا ونارنا أخمدنا.

فقال جندب بن زهير: والله لو كنا آباءهم ولدناهم، أو كنا أبناءهم ولدونا ثم خرجوا من جماعتنا وطعنوا على إمامنا، ووازروا الظالمين الحاكمين بغير الحق على أهل ملتنا وذمتنا، ما افترقنا بعد إذ اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه ويدخلوا فيما ندعوهم إليه، أو تكثر القتلى فيما بيننا وبينهم.

فقال مخنف: والله ما علمتك صغيراً وكبيراً إلا مشؤوماً، والله ما ميلنا الرأي في أمرين قط أيهما نأتي وأيهما ندع في الجاهلية، ولا بعد ما أسلمنا إلا اخترت أعسرهما وأنكدهما، اللهم فإن نعافى أحب إلينا من أن نبتلى، اللهم أعط كل رجل منا ما سألك، فتقدم جندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام فقتله الشامي «انتهى».

فكانت عاقبته الشهادة نال شرفها وسعادتها. ومخنف بن سليم كان رئيس أزد العراق فلذلك لما رد عليه جندب مقالته برد أفحمه فيه قابله مخنف بهذا الجواب الخشن، فكان جواب جندب بالفعل خرج فقاتل ولم يبارز إلا رأس أزد الشام حتى قتل.

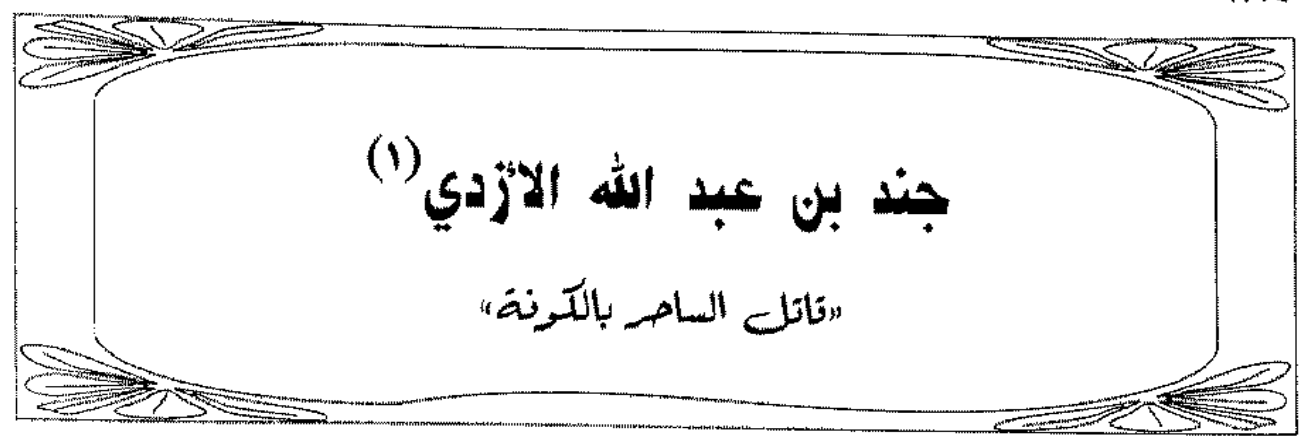
وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٧ - عند ذكر حرب صفين -: وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام فقتله الشامي.

وقال أيضاً: فيها قتل جندب بن زهير الأزدي وهو من الصحابة مع علي بصفين «انتهى».

مصادره:

إتقان المقال/ ٣٧. الاستيعاب ١/ ١/ ٢١٨. أسد الغابة ١/ ٣٠٣ وفيه: جندب بن زهير. الاشتقاق/ ٤٩٤، ٤٩٥، وجاء فيه: جندب بن زهير. الإصابة ١/ ٢٤٨. أنساب الأشراف ٣/ ٣٢ وج٢/ ٣٨٠. بهجة الآمال ٢/ ٦٠١. تاريخ الطبري ٦/ ١٥. تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٩. تحفة الأحباب/ ٤٧. تقريب التهذيب ١/ ١٣٥. تنقيح المقال ١/ ٢٣٧. الجمل أو النصرة في حرب البصرة/ ١٧١. رجال الطوسي/ ٣٧. رجال الكشي/ ٦٩ وفيه: جندب بن زهير. سفينة البحار/ ١٨٢. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٦٤ و٣/ ٢٠ و٤/ ٨٠ و٥/ ٢٥٢ و٩/ ٥٦ و١٦/ ٢٥. الطبقات الكبرى ٤/ ٤٥، ٦. و٥/ ٢١ و٧/ ١٥٧. الغدير ٣/ ٢١، ٢٣٢ و٨/ ١٢٠، ٢٧١ و٩/ ٣١، ١٦٥، ٣٦٤، الغارات ١/ ٢٢٤ و٢/ ٤٦٩. قاموس الرجال ٢/ ٤٥٨. الكامل في التاريخ ٣/ ١٠٨، ٧١٣٨ ٣٩١. اللباب ١/ ٣١٢. مجمع الرجال ٢/ ٦٣. مرآة الجنان ١/ ١٠٢. المشتبه ٢/ ٤٦٨. معجم الثقات/ ٢٥٤. معجم رجال الحديث ٢/ ٦٣. مقتل الخوارزمي ٢/ ٥٥. المناقب ٣/ ١٥٤. منتهى المقال/ ٨٤. نقد الرجال/ ٧٧. النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٥٢، ١٩٩. وقعة صفين/ ١٢١، ٢٠٥، ٢٦٢، ٣٩٨، ٤٠٨.





جند بن عبد الله الأزدي[1]

"قاتل الساحر بالكوفة"

مر عن الإصابة ما يدل على أن جندب بن عبد الله الأزدي هو جندب بن زهير المتقدم حيث قال: جندب بن زهير بن الحارث الأزدي الغامدي ويقال: جندب بن عبد الله بن زهير الغامدي..

وابن عساكر في تاريخ دمشق: ذكر ترجمتين إحداهما: جندب بن زهير بن الحارث الأزدي، والثانية: جندب بن عبد الله.

ويقال: ابن كعب بن عبد الله بن الحارث الأزدي، وهو يدل على أن جندب بن عبد الله بن الحارث الأزدي، وهو يدل على أن جندب بن عبد الله غير جندب بن زهير، ولكنه يدل على أن جندب بن عبد الله هو جندب بن كعب.

وما مر في تهذيب التهذيب، عن أبي عبيد: يدل على أن هناك جندب بن عبد الله آخر وهو جندب بن عبد الله بن ضبة، وأن جندب بن كعب غير جندب بن زهير، حيث جعل الجنادبة من الأزد أربعة.

١ - جندب بن عبد الله بن ضبة وهو الملقب جندب الخير.

٢ - وجندب بن كعب قاتل الساحر.

٣ - وجندب بن عفيف.

٤ - وجندب بن زهير الذي كان على رجالة علي بصفين وقتل معه بصفين.

وصريح الاستيعاب: أن جندب بن كعب غير جندب بن زهير كما مر في جندب بن زهير.

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٣٤٢، ح٣٧٦٨.

وقال جندب بن عبد الله الأزدي عن الحارث بن زهير الأزدي، أنه ابن عمه وهو يقتضي أن يكون زهير أخا عبد الله والد جندب لا أباه، وأن يكون جندب بن زهير المتقدم هو أخا الحارث بن زهير، وابن عم جندب بن عبد الله أيضاً.

ويأتي عن ابن نما ما يدل على أن جندب بن عبد الله الأزدي كان حياً بعد قتل الحسين عليه السلام، مع أن جندب بن زهير قتل مع علي عليه السلام بصفين فهما اثنان والله أعلم(١).

---

(١) هو جندب بن كعب بن عبد الله الأزدي الغامدي، وربّما يُنسَب إلى جدّه ويقال: جندب بن عبدالله، وهو جندب الخير، وأحد جنادب الأزد. وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام. وهو قاتل الساحر بالكوفة أيام عثمان عند إمارة الوليد بن عقبة عليها، بعدما أخذ يمارس الشعوذة والسحر في مسجد الكوفة، بحضور الوليد، فسجنه الوليد ثمّ نفاه إلى المدينة.

وقد نُفي إلى الشام أيضاً ومعه مالك الأشتر ورجال آخرون؛ لأنّهم كانوا يذكرون مساوىء عثمان ومثالبه، وحضر جُندَب حروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلها.

الإرشاد عن جندب بن عبدالله: دخلت على عليّ بن أبي طالب بالمدينة بعد بيعة الناس لعثمان، فوجدته مُطرقاً كئيباً، فقلت له: ما أصاب قومك؟ قال: صبرٌ جميلٌ. فقلت له: سبحان الله! والله إنّك لصبور! قال: فأصنع ماذا؟ فقلت: تقوم في الناس وتدعوهم إلى نفسك، وتُخبرهم أنّك أولى الناس بالنبيّ صلى الله عليه وآله بالفضل والسابقة، وتسألهم النصر على هؤلاء المتمالئين عليك؛ فإن أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة على المائة، فإن دانوا لك كان ذلك على ما أحببت، وإن أبوا قاتلتهم؛ فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي آتاه نبيّه صلى الله عليه وآله، وكنت أولى به منهم، وإن قُتلت في طلبه قُتلت شهيداً، وكنت أولى بالعذر عند الله، وأحقّ بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: أتراه - يا جندب - يبايعني عشرة من مائة؟.

قلت: أرجو ذلك.

قال: لكنّني لا أرجو ولا من كلّ مائة اثنين، وسأُخبرك من أين ذلك؛ إنّما ينظر الناس إلى قريش، وإنّ قريشاً تقول: إنّ آل محمّد يرون لهم فضلاً على سائر الناس، وإنّهم أولياءُ الأمر دون قريش، وإنّهم إن وَلُوه لم يخرج منهم هذا السلطان إلى أحد أبداً، ومتى كان في غيرهم تداولتموه بينكم، لا - والله - لا تدفع قريش إلينا هذا السلطان طائعين أبداً.

قال: فقلت له: أفلا أرجع فأُخبر الناس بمقالتك هذه، وأدعوهم إليك؟ فقال لي: يا جندب، ليس هذا زمان ذاك. =

أقوال العلماء فيه

قال الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام: جندب بن عبد الله الأزدي.

أقول: كان جندب هذا من أصحاب علي كما قال الشيخ، وحضر معه وقعة الجمل، وكان له ابن عم يسمى: الحارث بن زهير الأزدي، وكان من أصحاب علي عليه السلام أيضاً، قال أبو مخنف فانتهى الحارث إلى الجمل ورجل آخذ بخطامه، لا يدنو منه أحد إلا قتله فمشى إليه الحارث بالسيف وارتجز فقال لعائشة:

[البحر الرجز المجزوء]

يا أمنا أعق أم تعلم والأم تعدو ولدها وترحم

أما ترين كم شجاع يكلم وتختلي هامته والمعصم

فاختلف هو والرجل ضربتين فكلاهما أثخن صاحبه.

قال جندب بن عبد الله الأزدي: فجئت حتى وقفت عليهما وهما يفحصان بأرجلهما حتى ماتا.

قال: فأتيت عائشة بعد ذلك أسلم عليها بالمدينة، فقالت: من أنت.

قلت: رجل من أهل الكوفة.

قالت: هل شهدتنا يوم البصرة.

قلت: نعم.

قالت: مع أي الفريقين.

قلت: مع علي.

قالت: هل سمعت مقالة الذي قال: يا أمنا أعق أم تعلم.

قلت: نعم وأعرفه.

=قال: فرجعت بعد ذلك إلى العراق، فكنت كلّما ذكرت للناس شيئاً من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومناقبه وحقوقه زَبَرُوني ونَهَرُوني، حتى رُفِع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة ليالي وَلِيَنا، فبعث إليّ فحبسني حتى كُلّم فيّ، فخلّى سبيلي.

قالت: ومن؟

قلت: ابن عم لي.

قالت: وما فعل.

قلت: قتل عند الجمل وقتل قاتله.

قال: فبكت حتى ظننت والله أنها لا تسكت ثم قالت: لوددت والله أنني كنت مت قبل ذلك اليوم بعشرين سنة «انتهى».

وقال ابن نما في كتاب المقتل، إن ابن زياد دعا بعد قتل الحسين عليه السلام جندب بن عبد الله الأزدي وكان شيخاً فقال: يا عدو الله ألست صاحب أبي تراب.

قال: بلى لا أعتذر منه.

قال: ما أراني إلا متقرباً إلى الله بدمك.

قال: إذا لا يقربك الله بل يباعدك.

قال: شيخ قد ذهب عقله وخلى سبيله «انتهى».

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: جندب بن عبد الله، ويقال: ابن كعب بن عبد الله بن الحارث الأزدي، له صحبة، حدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن علي، وعن سلمان، وقدم دمشق في خلافة عثمان.

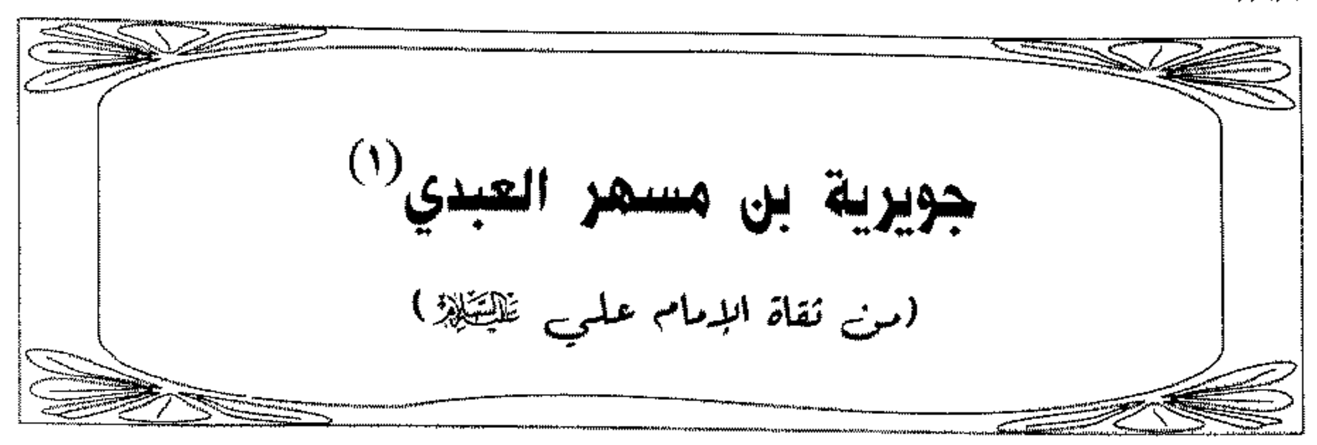
وروى ابن مندة، عن أبي عثمان النهدي: أن ساحراً كان يلعب عند الوليد بن عقبة فكان يأخذ السيف فيذبح نفسه ولا يضره، فقام جندب إلى السيف فأخذه فضرب عنقه ثم قرأ: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[1].

وروى ابن مندة، عن الحسن، عن جندب: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: حد الساحر ضربة بالسيف.

قال: ابن مندة: جندب بن كعب قاتل الساحر، عداده في أهل الكوفة، وأخرج محمد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى ابن ظبيان الأزدي يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام، فأجابه في نفر من قومه في مكة، وقدم عليه المدينة جماعة من الأزد منهم: جندب، وشك البغوي في صحبة جندب.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣.



جويرية بن مسهر العبدي[1]

(من ثقاة الإمام علي عليه السلام)

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام فقال: جويرية بن مسهر عربي كوفي «انتهى».

وذكره البرقي في رجاله فيما حكاه عنه العلامة في الخلاصة في أصحاب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام «انتهى».

وقال الكشي: جويرية بن مسهر العبدي حدثنا معروف: أخبرني الحسن بن علي بن النعمان، حدثني أبي علي بن النعمان، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن جويرية بن مسهر العبدي، سمعت علياً عليه السلام يقول: أحب محب آل محمد ما أحبهم، فإذا أبغضهم فأبغضه، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، فإذا أحبهم فأحبه، وأنا أبشرك وأنا أبشرك وأنا أبشرك ثلاث مرات «انتهى».

وفي لسان الميزان: جويرية بن مسهر العبدي، ويقال: ابن بشر بن مسهر كوفي.

روى عن علي، وعنه الحسن بن محبوب، وجابر بن الحر، ذكره الكشي في رجاله الشيعة وقال: كان من خيار التابعين «انتهى».

وكونه من خيار التابعين ليس في كلام الكشي كما سمعت.

وفي التعليقة أن في ترجمة هشام بن محمد بن السائب أن له كتاباً في مقتل رشيد وميثم وجويرية، وفيه إيماء إلى مشكوريته وجلالته.

---

(١) أعيان الشيعة ج٦ ص٤٢٠، ح٣٨٥٢.

وفي تكملة الرجال ما نصه: عن معادن الحكمة، عن الكليني في الرسائل، عن علي بن إبراهيم، بإسناده في حديث طويل: أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا كاتبه عبيد الله ابن أبي رافع فقال: ادخل عليَّ عشرة من ثقاتي فقال: سمهم لي يا أمير المؤمنين، فسماهم وذكر فيهم جويرية بن مسهر العبدي.

ثم قال في التكملة، ورواه الحر في الوسائل، عن كتاب كشف المحجة لابن طاووس عن كتاب الرسائل للكليني «انتهى».

ولما ولي زياد بن أبيه الكوفة أيام معاوية طلب جويرية فقطع يده ورجله ثم صلبه[1].

---

(١) جويرية بن مسهر العبدي. من أصحاب الإمام عليه السلام السابقين المقرّبين ومن ثقاته.
كان عبداً صالحاً، وصديقاً للإمام عليه السلام، وكان الإمام يحبّه.
استشهد جويرية في أيّام خلافة معاوية، حيث قطع زياد يده ورجله ثمّ صلبه.
الإرشاد: إنّ جويرية بن مسهر وقف على باب القصر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقيل له: نائم، فنادى: أيّها النائم! استيقظ، فوالذي نفسي بيده، لتُضربنّ ضربةً على رأسك تُخضب منها لحيتك، كما أخبرتنا بذلك من قبل. فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فنادى: أقبِل يا جويرية حتى أُحدّثك بحديثك.
فأقبل، فقال: وأنت - والذي نفسي بيده - لَتُعْتلنَّ إلى العُتُلّ الزنيم[1]، وليقطعنّ يدك ورجلك، ثمّ ليصلبنّك تحت جذع كافر.
فمضى على ذلك الدهر حتى وليّ زياد في أيّام معاوية، فقطع يده ورجله، ثمّ صلبه إلى جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلاً، فكان تحته.
شرح نهج البلاغة عن حبّة العرني: سرنا مع عليّ عليه السلام يوماً، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه: يا جويرية! الحق بي لا أباً لك! ألا تعلم أنّي أهواك وأُحبّك؟ قال: فركض نحوه، فقال له: إنّي محدّثك بأُمور فاحفظها، ثمّ اشتركا في الحديث سرّاً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين، إنّي رجل نسيّ، فقال له: إنّي أُعيد عليك الحديث لتحفظه.
ثمّ قال له في آخر ما حدّثه إيّاه: يا جويرية، أحبب حبيبنا ما أحبّنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا، فإذا أحبّنا فأحبّه.

---

(١) عتلَهُ فانعتل: جره جراً عنيفاً وجذبه فحمله. والعتل: الشديد الجافي والفظ الغليظ من الناس. والزنيم: الدعي الملصق بالقوم وليس منهم. وقيل: الذي يعرف بالشر واللؤم.

✍ **مصادره:**

إتقان المقال/ ١٧٣ . بهجة الآمال ٢/ ٦٠٥. تاريخ الخلفاء/ ٢٠٥. تحفة الأحباب/ ٤٨. تنقيح المقال ١/ ٢٣٨. جامع الرواة ١/ ١٦٩. خلاصة الأقوال / ١٩٣. رجال ابن داود/ ٦٧. رجال الشيخ الطوسي/ ٣٧. رجال الكشي/ ١٠٦. رجال البرقي/ ٥. سفينة البحار ١/ ١٩١. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٢٩٠. الغارات ٢/ ٨٤٣. قاموس الرجال ٢/ ٤٦٩. مجمع الرجال ٢/ ٦٥. معجم الثقات/ ٢٩، ٢٥٤. معجم رجال الحديث ٤/ ١٧٧. المناقب ٣/ ٣٠٧. منتهى المقال/ ٨٤. نقد الرجال/ ٧٧.



الحارث الأعور الهمداني(١)

«كان من خواص الإمام علي عليه السلام وأوليائه ومحل عنايته»

وفاته وكيفية دفنه:

الحارث بن عبد الله، أبو زهير الأعور الهمداني الخارفي الحوتي الكوفي، صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام، المعروف بالحارث الأعور، ويقال الحارث بن عبيد.

في ميزان الاعتدال: مات الحارث سنة ٦٥، وفي ذيل المذيل: زعم يحيى بن معين أن الحارث توفي سنة ٦٥ قال: ولا خلاف بين الجميع من أهل الأخبار: أن وفاة الحارث كانت أيام ولاية عبد الله بن يزيد الأنصاري الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير، وعبد الله بين يزيد الذي صلى على الحارث في أيامه تلك بالكوفة (اهـ).

وحكاه **في تهذيب التهذيب**، عن ابن حبان، وإسحاق القراب في تاريخه، وفي النجوم الزاهرة أنه توفي سنة ٧٠ وقيل سنة ٦٣.

وفي الطبقات الكبير لابن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي وغيره: كانت وفاة الحارث الأعور بالكوفة أيام عبد الله بن الزبير، وصلى عليه عبد الله بن يزيد الأنصاري الخطيمي، وكان عاملاً يومئذٍ لعبد الله بن الزبير على الكوفة.

نسبته

(الهمداني): في أنساب السمعاني بفتح الهاء وسكون الميم والدال المهملة نسبة إلى همدان، وهي قبيلة من اليمن نزلت الكوفة (إلى أن قال): وفي همدان بطون كثيرة منها: سبع وشبام وموهبة وأرحب (اهـ).

---

(١) أعيان الشيعة ج٧ ص٦، ح٣٨٩٧.

وهمدان معروفة بالتشيع لعلي وأهل بيته، وفيهم يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام كما في أنساب السمعاني وغيره:

[البحر الطويل]

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

أما المدينة المعروفة في إيران فهي همذان بهاء وميم مفتوحتين وذال معجمة.

(والخارفي) في أنساب السمعاني: بفتح الخاء والراء بعد الألف وفي آخرها فاء، وهذه النسبة إلى خارف، وهي بطن من همدان، نزل الكوفة وعد من المشهورين بها المترجم فما يوجد من رسمه الحارث تصحيف[1].

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الأعور الهَمْداني الكوفي، أبو زهير. كان من أصحاب الإمام عليّ والإمام الحسن عليهما السلام ومن الشيعة الأُوَل، كثير العلم، من أفقه الناس وأفرضهم، تعلّم الفرائض من الإمام عليّ عليه السلام.
كان من وجوه الناس بالكوفة، ومن الذين ثاروا على عثمان وطالبوا بعزل سعيد بن العاص وممّن سيّرهم عثمان.
توفّي سنة ٦٥ هـ بالكوفة.
شرح الأخبار عن أبي الجحاف: بلغني أنّ الحارث أتى عليًّا بن أبي طالب عليه السلام ليلاً، فقال له: يا حارث ما جاء بك هذه الساعة؟ فقال: حبّك يا أمير المؤمنين.
قال: والله ما جاء بك إلاّ حبّي؟ قال: والله ما جاء بي إلاّ حبّك.
قال عليه السلام: فأبشر يا حارث، لن تموت نفس تُحبّني إلاّ رأتني حيث تحبّ، والله لا تموت نفس تبغضني إلاّ رأتني حيث تبغضني.
جعفر بن معروف، قال: حدّثني محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن عليّ عليه السلام قال، قال لي الحارث: تدخل منزلي يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: على شرط أن لا تدّخر لي شيئاً ممّا في بيتك ولا تكلّف لي شيئاً ممّا وراء بابك، قال: نعم، فدخل يتحرّق[1] ويحبّ أن يشتري له وهو يظنّ أنّه لا يجوز له، حتّى قال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا حارث! قال: هذه دراهم معي ولست أقدر على أن أشتري لك ما أُريد، قال عليه السلام: أو ليس قلت لك لا تكلّف ما وراء بابك فهذه ممّا في بيتك.

---

(١) يتحرق - خ. أي يتحيل للاشراء. ويتحرق - أي يتألّم. (م).

(والحوتي) بضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم المثناة الفوقانية، نسبة إلى الحوت بطن من همدان كما عن لب اللباب.

وفي القاموس في باب الحاء المهملة وفضل التاء المثناة الفوقية: الحوت بن سبع بن صعب (اهـ).

فما في طبقات ابن سعد المطبوع من رسمه بالثاء المثلثة وما في رجال أبي علي من الحكاية، عن تهذيب الكمال أنه بمثلثة ليس بصواب ولم يذكره في القاموس.

✍ نسبه

في الطبقات الكبير لابن سعد: الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب بن أسد بن خالد بن حوت، واسمه عبد الله بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان، وحوت هو أخو السبيع رهط أبي إسحاق السبيعي (اهـ).

ومثله في ذيل المذيل سوى أنه قال: يخلد بدل خالد، وقال حاسد بن جشم وخيوان بدل خيران.

وفي أنساب السمعاني: همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وقال أبو طي الغساني: همدان اسمه.. ابن كهلان بن سبا (اهـ).

وفي شرح النهج عند شرح كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني فيه وصايا جليلة، قال ابن أبي الحديد: هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حارث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني المعروف: بالحارث الأعور، صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام «اهـ».

وفيه اختلاف عما في الطبقات بإبدال خالد بنخلة وحوت بحارث ويمكن أن يكون من تحريف النساخ.

وفي تاج العروس: الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب بن أسد بن

مخلد بن حوت بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن همدان «اهـ». فأبدل خالد الذي في الطبقات بمخلد.

أقوال العلماء فيه

يظهر من مجموع أحواله وما قاله الرجاليون فيه، أنه كان من خواص أمير المؤمنين علي عليه السلام وأوليائه ومحل عنايته والتفاته، وقد صرح أنه من الأولياء البرقي في رجاله كما يأتي، وأمر علي به بالمناداة بالناس في الكوفة وفي المدائن بالخروج حينما أراد الخروج إلى صفين كما يأتي، يدل على نوع اختصاص وإدخاله إياه منزله وتبسط علي عليه السلام معه، وامتناع الحارث من أن يجيء بشيء من خارج داره، وإرشاد علي له إلى حيلة في التخلص من ذلك، كل هذا يدل على اختصاصه به وكتابته له صحفاً فيها علم كثير ائتمنه عليه، وتفرد الحارث بإجابته من بين أهل الكوفة لما قال: من يشتري علماً بدرهم؟.

وكتابه إليه الكتاب الذي في نهج البلاغة المشتمل على وصايا جليلة. كل ذلك يدل على مزيد اختصاص مضافاً إلى كونه من همدان المعروفة بولاية علي عليه السلام حتى قال فيها:

[البحر الطويل]

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وأنه كان من أوعية العلم ومن كبار علماء التابعين، ومن أفقه علماء عصره، وتعلم من باب مدينة العلم علماً جماً، ولا سيما علم الفرائض والحساب وإنه كان من القراء، قرأ على علي وابن مسعود.

من خواص أمير المؤمنين عليه السلام:

وذكره البرقي في رجاله في الأولياء، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر الشيخ في رجاله في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الحارث الهمداني كما يأتي، وفي أصحاب الحسن عليه السلام الحارث الأعور.

وعن خط التقي المجلسي: هو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، روى الكشي خبرين في مدحه، وفي قرب الإسناد ما يدل على مدحه في أخبار البزنطي «اهـ».

وفي الخلاصة: الحارث بن الأعور، قال الكشي في طريق فيه الشعبي قال لعلي عليه السلام: إني أحبك ولا تثبت بها عندي عدالته بل ترجيح ما «اهـ».

والصواب حذف لفظة ابن. وحكى غير واحد من أهل الرجال عن الخلاصة أنه قال: الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني عده البرقي في رجاله في الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن لا وجود لذلك في نسخ الخلاصة التي بأيدينا كما في نسختين مصححتين مخطوطة ومطبوعة والمخطوطة قوبلت على نسخة ولد المصنف لا فيما نقله في آخر القسم الأول عن رجال البرقي ولا في الأسماء.

حب علي عليه السلام:

وقال الكشي في رجاله: الحارث الأعور، حمدويه وإبراهيم قالا: حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسان، عن أبي عمرو (عمر) البزاز قال: سمعت الشعبي وهو يقول: وكان إذا غدا إلى القضاء جلس في دكاني فقال لي ذات يوم: يا أبا عمرو (عمر) إن لك عندي حديثاً أحدثك به.

فقلت له: ما زال لي ضالة عندك.

فقال لي: لا أم لك فأي ضالة تقع لك عندي؟.

فأبى أن يحدثني يومئذٍ ثم سألته بعد ذلك فقلت: يا أبا عمرو (عمر) حدثني بالحديث الذي قلت لي: قال سمعت الحارث الأعور وهو يقول: أتيت أمير المؤمنين علياً عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور ما جاء بك.

فقلت: يا أمير المؤمنين جاء بي والله حبك فقال: إني سأحدثك لتشكرها أما أنه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره، ثم قال لي الشعبي بعد: أما أن حبه لا ينفعك وبغضه لا يضرك «اهـ».

أقول: وهذا يدل على انحراف شديد من الشعبي، عن علي عليه السلام، ولا غرو فهو صنيعة بني أمية، ونديم عبد الملك بن مروان، ولذلك ولوه القضاء

بالكوفة، وكيف لا ينفعه حبه ولا يضره بغضه وهو الذي قال الرسول ﷺ في حقه: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، ومن كان بغضه، علامة النفاق في عصر الرسول ﷺ، ومن قال له الرسول ﷺ: من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني.

منزلته عند الإمام علي عليه السلام

ثم قال الكشي جعفر بن معروف: حدثني محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن إبان بن عثمان، عن محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن علي عليه السلام قال لي الحارث: أتدخل منزلي يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: على شرط أن لا تدخرني شيئاً مما في بيتك ولا تكلف لي شيئاً مما وراء بابك.

قال: نعم فدخل يتحرف ويحب أن يشتري له، وهو يظن أنه لا يجوز له حتى قال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما لك يا حارث.

قال: هذه دراهم معي ولست أقدر على أن أشتري لك ما أريد قال: أوليس قلت لك: لا تكلف لي مما وراء بابك فهذه مما في بيتك «اهـ».

وعن كتاب معادن الحكمة، وكشف المحجة لابن طاووس كلاهما عن كتاب الرسائل للكليني، عن علي بن إبراهيم، بإسناده في حديث طويل: أن أمير المؤمنين. دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال: ادخل علي عشرة من ثقاتي فقال: سمهم لي يا أمير المؤمنين فسماهم، فكان من بينهم الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني «اهـ».

هذه أقوال أصحابنا فيه، وأما غيرنا فمنهم من مدحه ووثقه، ومنهم من ذمه وفسقه.

وفي طبقات القراء للجزري: الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي الأعور، قرأ على عليّ، وابن مسعود، وقرأ عليه أبو إسحاق السبيعي.

قال ابن أبي داود: كان أفقه الناس، وأفرض الناس وأحسب الناس. قلت: وقد تكلموا فيه وكان شيعياً مات سنة ٦٥.

وفي ذيل المذيل للطبري: كان الحارث بن مقدمي أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام في الفقه والعلم بالفرائض والحساب.

ثم قال: وكان الحارث من ساكني الكوفة وبها كانت وفاته، وكان من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وروى بسنده أن الحارث قال: تعلمت القرآن في سنة والوحي في ثلاث سنين.

وقال الذهبي: قال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث: تعلمت القرآن في ثلاث سنين والوحي في سنتين.

عن علقمة: قرأت القرآن في سنتين، فقال الحارث الأعور: القرآن هين، الوحي أشد من ذلك (وكأنه يريد بالوحي الحديث).

وفي ذيل المذيل بسنده أن الحسن بن علي كتب إلى الحارث: إنك كنت تسمع من علي عليه السلام شيئاً لم أسمعه فبعث إليه بوقر بعير. هكذا جاء هذا الحديث.

وعندنا أن الحسن كان عنده جميع علم أبيه لا يحتاج إلى أن يبعث إليه الحارث بشيء منه إلا أن يكون في ذلك حكمة أخرى، أو إن الكاتب الحسن البصري. وبسنده عن الشعبي: تعلمت من الحارث الأعور الفرائض والحساب وكان أحسب الناس «اهـ».

وقيل للشعبي: كنت تختلف إلى الحارث فقال: نعم أختلف إليه أتعلم منه الحساب كان أحسب الناس «اهـ».

أخباره

في طبقات ابن سعد، بسنده عن غلباء بن أحمر، أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب الناس فقال: من يشتري علماً بدرهم، فاشترى الحارث صحفاً بدرهم ثم جاء بها علياً فكتب له علماً كثيراً، ثم إن علياً خطب الناس بعد فقال: يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل - مشيراً إلى أنه أعور.

وبسنده عن عامر لقد رأيت الحسن والحسين يسألان الحارث الأعور عن حديث علي.

وعن أبي إسحاق أنه كان يصلي خلف الحارث الأعور وكان إمام قومه، وكان يصلي على جنائزهم، فكان يسلم إذا صلى على الجنازة عن يمينه مرة واحدة «اهـ».

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال: أمر علي عليه السلام - لما أراد الخروج إلى صفين - الحارث الأعور أن ينادي في الناس: أخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة فنادى الحارث في الناس بذلك (الخبر).

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين أيضاً، بسنده عن حبة العرني قال: أمر علي عليه السلام الحارث الأعور - وهو سائر إلى صفين - فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليوافِ أمير المؤمنين صلاة العصر فوافوه في تلك الساعة (الحديث).

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن إبراهيم بن محمد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات، أنه لما أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري، أمر علي عليه السلام الحارث الأعور الهمداني، فنادى في الناس: أين من يشري نفسه لربه ويبيع دنياه بآخرته، أصبحوا غداً بالرحبة إن شاء الله، ولا يحضر إلا صادق النية في السير معنا والجهاد لعدونا (الخبر).

(ومن أخباره) ما رواه الشيخ في الأمالي في مجلس يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة سنة ٤٥٧ قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل، حدثنا محمد بن علي بن مهدي الكندي العطار بالكوفة وغيره، حدثنا محمد بن علي بن طريف الحجري، حدثني أبي جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابلي، عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأود في مشيته، ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت له منه منزلة، فقال: كيف تجدك يا حارث.

قال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك.

قال: وفيم خصومتهم؟.

قال: في شأنك، والبلية من قبلك، فمن مفرط غالٍ ومقصر، ومن متردد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم.

قال: فحسبك يا أخا همدان، ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق القالي قال: لو كشفت فداك أبي وأمي الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا، قال: قدك فإنك امرؤ ملبوس عليك أن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق فاعرف الحق تعرف أهله.

يا حار: إن الحق أحسن الحديث والصادع به مجاهد وبالحق أخبرك ثم خبر به من كانت له حصانة من أصحابك إلا أني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول.

(إلى أن قال): خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة: أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت. أو قال: ما اكتسبت، قالها ثلاثاً.

فقال الحارث وقام يجر رداءه جذلاً: ما أبالي وربي بعد هذا متى لقيت الموت أو لقيني.

قال جميل بن صالح. فأنشدني السيد بن محمد في كتابه:

[البحر المنسرح]

قول علي لحارث عجب ... كم ثم أعجوبة له حملا

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

فيعرفني طرفه[1] وأعرفه ... بنعته[2] واسمه وما فعلا

وأنت عند الصراط تعرفني ... فلا تخف عثرة ولا زللا

أسقيك من بارد على ظمأ ... تخاله في الحلاوة العسلا

---

(١) شخصه خ ل.

(٢) في نسخة بعينه بدل بنعته ويروي (باسمه والكنى وما فعلا).

أقول للنار حين تعرض[١] للعرض دعيه لا تقتلي[٢] الرجلا
فدعيه[٣] لا تقربيه إن له حبلاً بحبل الوصي متصلا

(انتهى الأمالي) وأورد ابن شهرآشوب هذه الأبيات في المناقب، ناسباً لها إلى السيد الحميري وزاد بعد البيت الأخير:

[ابحر المنسرح]

هذا لنا شيعة وشيعتنا أعطاني الله فيهم الأملا

وتوهم ابن أبي الحديد أن هذا الشعر منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا التوهم نشأ من النظر إلى قوله: يا حار همدان الخ، فظن أن المروي عنه أنه قال ذلك: هو أمير المؤمنين لأنه لم يطلع على البيت.

وفي الديوان المنسوب إليه عليه السلام ذكر هذه الأبيات وذكر البيت الأول في آخرها، ولم يتقطن جامعه إلى أن هذا البيت يدل على أن كل الأبيات ليست له عليه السلام، سواء أذكر في أولها أم آخرها.

ونقل صاحب مجالس المؤمنين هذه الأبيات عن الديوان ناسباً لها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يتفطن إلى أن البيت الأخير يدل على أنها ليست له.

وفي مروج الذهب: في أيام عبد الملك بن مروان توفي الحارث الأعور صاحب علي عليه السلام، وهو الذي دخل على علي، فقال: يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على هذه الأحاديث وتركوا كتاب الله.

قال: وقد فعلوها.

قال: نعم.

قال: أما إني سمعت رسول الله يقول: ستكون فتنة.

قلت: فما المخرج منها يا رسول الله.

قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو

---

(١) معترضي خ ل.
(٢) توقف خ ل.
(٣) ذرية لا تقربي خ ل.

الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن أراد الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ عنه العقول، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يعلم علم مثله، هو الذي لما سمعته الجن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾[1] من قال به صدق ومن زال عنه عدا، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور.

✍ بعض ما روي من طريقه

ومما روي من الأخبار من طريقه، ما في خصال الصدوق قال: حدثنا أبي: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله حدثنا المعلى بن محمد البصري، عن محمد بن جمهور العمي، عن جعفر بن بشير البجلي، عن أبي بحر، عن شريح الهمداني، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ثلاث بهن يكمل المسلم:

١ - التفقه في الدين.

٢ - والتقدير في المعيشة.

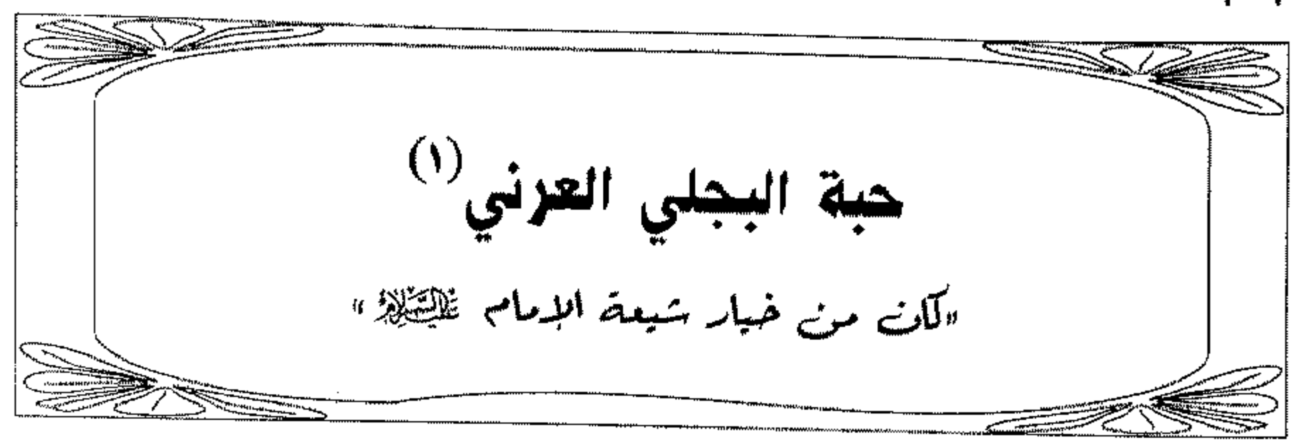
٣ - والصبر على النوائب.

✍ مصادره:

الاستيعاب ١/ ٣٤٤. أسد الغابة ٢/ ٧. الإصابة ١/ ٣٢٧. الكامل في التاريخ ٢/ ٤٥٦ و٣/ ٣٣، ٢٥٢.



(١) سورة الجن، الآيتان: ١ - ٢.



حبة البجلي العرني[1]

«كان من خيار شيعة الإمام عليه السلام»

حبة بن جوين البجلي العرني، أبو قدامة الكوفي التابعي: توفي سنة ٧٦ أو ٧٧ أو ٧٥ أو ٧٩ أو ٧١، والأكثر على القولين الأولين، (حبة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة، (وجوين) بضم الجيم مصغراً، (والعرني) بالعين المهملة المضمومة والراء المفتوحة بعدها نون نسبة إلى عرينة كجهينة قبيلة، وما في النجوم الزاهرة أنه نسبة إلى عرنة الظاهر أنه اشتباه.

نسبه

في أسد الغابة: هو حبة بن جوين بن علي بن عبد بهم (نهم) بن مالك بن غانم بن مالك بن هوازن بن عرينة بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بن أراش البجلي ثم العرني «اهـ».

وفي تاريخ بغداد للخطيب، عن خليفة بن خياطة مثله، إلا أنه قال: ابن علي بن فهم، وقال بعد قسر، وهو ابن مالك بن زيد بن كهلان وهو ابن عمرو بن الغوث بن نبت سبا «اهـ».

أقوال العلماء فيه

حكى العلامة في الخلاصة، عن رجال البرقي أنه ذكر في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن حبة بن جوين العرني.

وقال الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام: حبة بن جوين العرني كوفي، وكنية حبة أبو واقد.

---

(١) أعيان الشيعة ج٧ ص٣٨، ح٣٩٦٩.

وقيل: ابن جوين العرني، وذكره في أصحاب الحسن عليه السلام فقال: حبة بن جوين العرني.

وفي رجال ابن داود: حبة بالحاء المهملة والباء المفردة ابن جوين بضم الجيم، وقيل: ابن جوية العرني بالعين المهملة المضمومة والراء المفتوحة والنون، منسوب إلى عرينة بن عرين بن بدير بن قسر، وكنية حبة أبو قدامة (ي ن جخ) كش ممدوح، يعني أن الشيخ في رجاله ذكره في أصحاب علي والحسن عليه السلام، وذكر الكشي ما يدل على مدحه، مع أنه ليس له ذكر في كتاب الكشي.

وعده ابن رستة في الأعلاق النفيسة من الشيعة.

وعن تقريب ابن حجر حبة بفتح أوله ثم باء موحدة ثقيلة ابن جوين بضم الجيم مصغراً العرني بضم العين المهملة وفتح الراء بعدها نون، أبو قدامة الكوفي صدوق وله أغلاط، وكان غالياً في التشيع من الثانية مات سنة ٧٦، وقيل ٧٧.

وفي طبقات ابن سعد: حبة بن جوين العرني من بجيلة وتوفي سنة ٧٦ في أول خلافة عبد الملك بن مروان، وله أحاديث وهو ضعيف.

وفي تاريخ بغداد: حبة بن جوين بن علي بن فهم بن مالك أبو قدامة العرني الكوفي، تابعي ورد المدائن في حياة حذيفة بن اليمان، وشهد بعد ذلك مع علي يوم النهروان، ثم روى بسنده عن سلمة بن كهيل: ما رأيت حبة العرني قط إلا يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر إلا أن يكون يصلي، أو بحدث ثم روى بسنده عن أبي مسلم صالح بن أحمد عن أبيه قال: حبة العرني كوفي تابعي ثقة.

وبسنده عن يحيى بن معين: قد رأى الشعبي رشيد الهجري، وحبة العرني، والأصبغ بن نباتة وليس يساوون كلهم شيئاً.

وقد مر في ترجمة الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني أن الشعبي من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فلا يقبل قوله في هؤلاء الثلاثة الذين هم من خيار الشيعة.

وبسنده عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: حبة بن جوين غير ثقة والجوزجاني معلوم حاله في نصبه وتحامله كما ذكروه في ترجمته.

وبسنده عن صالح بن محمد - وهو صالح جزرة -: حبة العرني من أصحاب علي شيخ وهو حبة بن جوين، كوفي، وكان يتشيع ليس هو بالمتروك ولا ثبت وسط.

وفي ميزان الذهبي حبة بن جوين العرني الكوفي عن علي، من غلاة الشيعة، وهو الذي حدث أن علياً كان معه بصفين ثمانون بدرياً وهذا محال.

وعن يحيى بن معين كان غير ثقة، وعن النسائي: ليس بالقوي.

وقال ابن معين وابن خراش: ليس بشيء.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كوفي تابعي ثقة.

قال ابن عدي: ما رأيت له منكراً قد جاوز الحد «اهـ».

وعن الذهبي في تلخيص المستدرك أنه قال شيعي جبل قد قال: ما يعلم بطلانه من أن علياً شهد معه صفين ثمانون بدرياً «اهـ».

وقوله: جبل أي رأس في التشيع.

وفي **تهذيب التهذيب**: حبة بن جوين بن علي بن عبد نهم(بهم) العرني البجلي أبو قدامة الكوفي.

قال ابن سعد مات سنة ٧٦ ويقال سنة ٧٩.

وقال ابن حبان: كان غالياً في التشيع واهياً في الحديث.

وقال ابن الجوزي: روى أن علياً شهد معه صفين ثمانون بدرياً وهذا كذب، قلت: أي والله إن صح السند إلى حبة.

وفي **الإصابة**: حبة اتفقوا على ضعفه إلا العجلي فوثقه ومشاه أحمد وقال: صالح جزرة وسط، وقال الساجي: يكفي في ضعفه قوله: إنه شهد صفين مع علي ثمانون بدرياً، وأثنى سلمة بن كهيل على دينه وعبادته جداً، ومات حبة بعد ستة وسبعين قيل بسنة وقيل بأكثر «اهـ».

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة حارثة بن مضرب، قال أبو

جعفر محمد بن الحسين البغدادي، سألت أبا عبد الله عن الثبت عن علي فذكر جماعة، وعد منهم حبة بن جوين «اهـ».

والرجل لا ذنب له إلا تشيعه، وعلي لا يرتفع قدره بأن يكون معه يوم صفين ثمانون بدرياً، بل يرتفع قدر من كان معه بكونه معه أني وهو مع الحق والحق معه يدور معه كيفما دار وليس فقيراً في فضله ومناقبه حتى يضاف إليها كثيرة البدريين معه بصفين وهل كانت بدر إلا له وبه.

هل هو تابعي أم صحابي

قد سمعت قول جماعة بأنه تابعي.

وفي الإصابة، قال الطبراني: يقال أنه رأى النبي ﷺ.

وروى ابن عقدة في كتاب الموالاة بإسناد ضعيف جداً عن حبة بن جوين قال: لما كان يوم غدير خم دعا النبي ﷺ الصلاة جامعة فذكر حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، قال: فأخذ بيد علي حتى نظرت إلى آباطهما وأنا يومئذٍ مشرك.

قال ابن الأثير: هذا الحديث، قاله النبي ﷺ لعلي في حجة الوداع ولم يحج يومئذٍ أحد من المشركين، فلو صح لكان صحابياً وليس هو بصحابي اتفاقاً، قلت: إن صح احتمل أن يكون حبة رآه اتفاقاً ولم يكن قصد الحج حينئذٍ، ولكن السند ضعيف، ثم وجدت له حديثاً آخر من جنس الأول فأخرج ابن مردويه في التفسير من طريق أبان بن ثعلبة، عن نفيع بن الحارث، عن أبي الحمراء، وعن أبي مسلم الملائي، عن حبة العرني قالا: لما أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد شق عليهم.

قال حبة: إني لأنظر إلى حمزة بن عبد المطلب وهو تحت قطيفة حمراء وعيناه تذرفان وهو يقول: أخرجت عمك (الحديث).

والإسناد إلى أبان ضعيف ومسلم الملائي ضعيف، ولو صح لكان حبة صحابياً، ويحتمل أن يكون حضر ذلك وهو يومئذٍ مشرك كما في الخبر الأول والله أعلم «اهـ».

الإصابة. وفي تهذيب التهذيب: قال الطبراني: يقال إن له رؤية.

وذكره أبو موسى المديني في الصحابة متعلقاً بحديث أخرجه ابن عقدة في جمعه طرق من كنت مولاه فعلي مولاه لكن إسناد حبة واه «اهـ».

وعن تقريب ابن حجر: أخطأ من زعم أن له صحبة «اهـ». . .

قال المؤلف: ليت ولادته تقدمت أياماً لينزل عليه القدس والعدالة كما نزلت على مروان بن الحكم وأمثاله ولكن حظه أخره فحق له أن يقول:

[البحر الطويل]

وأخرني دهري وقدم معشراً وأنهم لا يعلمون وأعلم

✍ مما روي من طريقه

روى الكليني، في الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن حماد، عن بعض أصحابه، رفعه قال: صعد أمير المؤمنين بالكوفة المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الذنوب ثلاثة، ثم أمسك.

فقال: له حبة العرني يا أمير المؤمنين قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت فقال: ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها، ولكن عرض لي بهر، حال بيني وبين الكلام، نعم الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه.

قال يا أمير المؤمنين: فبينها لنا.

قال: نعم.

أما الذنب المغفور: فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدينا فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين.

وأما الذنب الذي لا يغفره الله: فمظالم العباد بعضهم لبعض إن الله تبارك وتعالى أقسم على نفسه فقال: وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ولو كف بكف ولو مسحة بكف، ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء، فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد على أحد مظلمة، ثم يبعثهم للحساب.

وأما الذنب الثالث: فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب «اهـ».

وفي معجم البلدان عند ذكر الكوفة قال: وأما مسجدها فقد رويت فيه فضائل كثيرة روى حبة العرني قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين هذه راحلتي وزادي أريد هذا البيت أعني بيت المقدس.

فقال عليه السلام: كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) فإنه أحد المساجد الأربعة «الحديث».

وروى الخطيب في تاريخ بغداد، بسنده عن مسلم الأعور، عن حبة بن جوين العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن فدخلنا عليه فقلنا: يا أبا عبد الله حدثنا فإنا نخاف الفتن.

فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وأن آخر رزقه ضياح لبن «اهـ».

وذكره ابن الأثير في تاريخه عند ذكره وقعة صفين مثله إلا أنه قال: ضياح من لبن وهو الممزوج بالماء من اللبن.

قال حبة: فشهدته يوم قتل وهو يقول: ائتوني بآخر رزق لي في الدنيا، فأتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إننا على الحق وإنهم على الباطل ثم قتل «اهـ».

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، حدثني مسلم الأعور عن حبة العرني رجل من عرينة قال: أمر علي بن أبي طالب الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن، من كان من المقاتلة فليوافِ أمير المؤمنين صلاة العصر فوافاه في تلك الساعة (الحديث).

وروى الخطيب في تاريخ بغداد، بسنده عن أبي السابغة النهدي عن حبة العرني قال: لما فرغنا من النهروان قال: رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً.

فقال علي: مه لا تقل هذا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، ولا يزالون يخرجون (الحديث).

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن الشيخ أبي القاسم البلخي - من شيوخ المعتزلة - أنه قال: روى حبة العرني، عن علي عليه السلام أنه قال: إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي، وميثاق كل منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني.

قال: وروى جعفر بن الأحمر، عن مسلم الأعور، عن حبة العرني: قال علي عليه السلام: من أحبني كان معي، أما أنك لو صمت الدهر كله وقمت الليل كله ثم قتلت بين الصفا والمروة أو قال بين الركن والمقام، لما بعثك الله إلا مع هواك بالغاً ما بلغ، أن في جنة ففي جنة، وإن في نار ففي نار.

وعن كتاب فلاح السائل للسيد علي بن طاووس، عن كتاب زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن مهزبار، عن أخيه علي، عن محمد بن سنان، عن صالح بن عقبة، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن حبة العرني قال: بينما أنا ونوف نائمين في رحبة القصر إذا نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبه الواله[1] وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾[2] قال: ثمّ جعل يقرأ هذه الآيات ويمرّ شبه الطائر عقله، فقال: «أراقد يا حبّة أم رامق؟» قال: قلت: رامق، هذا أنت تعمل هذا العمل! فكيف نحن؟ قال: فأرخى عينيه فبكى ثمّ قال لي: «يا حبّة، إنّ لله موقفاً ولنا بين يديه موقف لا يخفى عليه شيء من أعمالنا. يا حبّة، إنّ الله أقرب إليّ وإليك من حبل الوريد. يا حبّة، إنّه لن يحجبني ولا إيّاك عن الله شيء».

قال: ثمّ قال: «أراقد أنت يا نوف؟» قال: قال: لا يا أمير المؤمنين، ما أنا

(١) الواله: ذهاب العقل حزناً والحيرة والخوف.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

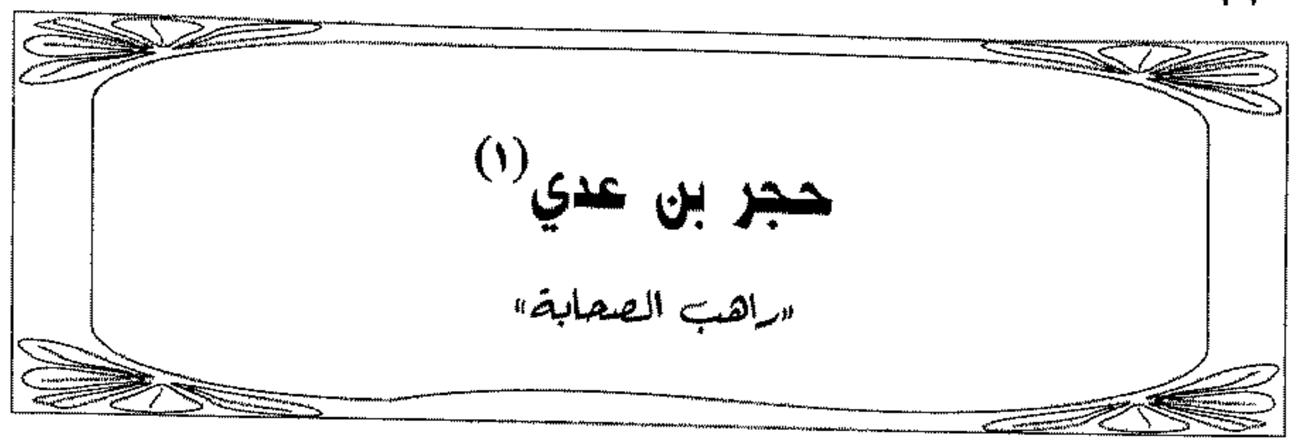
براقد، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة، فقال: يا نوف، إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله عزّوجلّ قرّت عيناك غداً بين يدي الله عزّوجلّ . يا نوف، إنّه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله إلاّ أطفأت بحاراً من النيران. يا نوف، إنّه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله وأحبّ في الله وأبغض في الله. يا نوف، إنّه من أحبّ في الله لم يستأثر على محبّيه، ومن أبعض في الله لم ينل مبغضيه خيراً، عند ذلك استكملتم حقائق الإيمان».

ثمّ وعظهما وذكّرهما وقال في أواخره: «فكونوا من الله على حذر فقد أنذرتكما»، ثمّ جعل يمرّ وهو يقول: «ليت شعري في غفلاتي أمعرض أنت عنّي أم ناظر إليّ، وليت شعري في طول منامي وقلّة شكري في نعمك عليّ ما حالي». قال: فوالله ما زال في هذا الحال حتّى طلع الفجر.

مصادره:

إتقان المقال/ ١٧٥. أسد الغابة ١/ ٣٦٧. الاشتقاق/٥١٨. الإصاب ١/ ٣٧٢. أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٩٢. أصول الكافي (الفروع) ٣/ ٢٤٣. بهجة الآمال ٣/ ٢٢. تأسيس الشيعة/ ٤٠٨. تاريخ بغداد ٨/ ٢٧٤. تحفة الأحباب/ ٥٢. تقريب التهذيب ١/ ١٤٨. تنقيح المقال ١/ ٢٥٠. تهذيب التهذيب ٢/ ١٧٦. تهذيب المقال ٢/ ٨٩. جامع الرواة ١/ ١٧٧. الجرح والتعديل ٣/ ٢٥٣. جمهرة أنساب العرب/ ٣٨٨. الجمل/ ٢٠٣. خلاصة الأقوال/ ١٩٤. رجال ابن داود/ ٦٩. رجال الطوسي/ ٣٨. رجال البرقي/ ٦. سفينة البحار ٢٠٤١. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٥٠ و٢/ ٢٦٥ و٣/ ٢٠٢ و٤/ ٨٣ و٦/ ٣٧٢ و١٣/ ٢٢٨. الطبقات الكبرى ٦/ ١٧٧. الغدير ١/ ١٦، ٧٥، ١٨٤، الغارات ١/ ٣٠٢ و٢/ ٤١٣، ٤١٥، ٥٢٠، ٥٨٨، ٧١٦، ٧٩٤، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠١. ٨٠٤، ٩١٢، قاموس الرجال ٣/ ٤٩. قاموس المحيط ١/ ٥٢. الكامل في التاريخ ٣/ ٣١٠ و٤/ ٤١٨. الكنى والألقاب ٢/ ٩١. لسان الميزان ٧/ ١٩٣. مجمع الرجال ٢/ ٧٧. المشتبه ١/ ٢١١. معجم الثقات/ ٢٥٥. معجم رجال الحديث ٤/ ٢١٤. منتهى المقال/ ٨٧. ميزان الاعتدال ١/ ٤٥٠. مجالس المؤمنين ١/ ٣٠٩. نقد الرجال/ ٨١. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٦٥. وقعة صفّين/ ١٤٣ ، ١٤٧.





حجر بن عدي(1)

«راهب الصحابة»

حجر بن عدي الملقب بالأدبر بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كنده الكندي الكوفي، أبو عبد الرحمن المعروف بحجر الخير وبحجر بن الأدبر، هكذا نسبه في أسد الغابة وغيره.

وفي طبقات ابن سعد وذيل المذيل: حجر بن عدي بن جبلة، ولم يذكر معاوية. وفي الطبقات أيضاً ابن كندي بدل ابن كندة.

قتل في ولاء علي عليه السلام بمرج عذرى أو عذراء في شعبان سنة ٥١ كما في الاستيعاب وإحدى روايتي المستدرك وتاريخ دمشق: أو ٥٣ كما في مروج الذهب، ورواية المستدرك وتاريخ دمشق: أو ٥٣ كما في مروج الذهب.

ورواية المستدرك وتاريخ دمشق الثانية، وقيل سنة ٥٠ حكاه في مروج الذهب.

ودفن بقرية عذرى التي ينسب المرج إليها من قرى دمشق على أميال منها إلى جهة الشرق، وقبره بها معروف.

وفي الاستيعاب الموضع الذي قتل فيه حجر وأصحابه يعرف: بمرج عذراء.

(وحجر): بضم الحاء وسكون الجيم، وعن ابن ماكولا: ويجوز ضمها، والأدبر لقب أبيه عدي ولقب به إما لأنه على اليته مولياً كما في أسد الغابة.

وفي الطبقات وذيل المذيل: أبوه عدي الأدبر طعن مولياً فسمي: الأدبر «اهـ».

---

(1) أعيان الشيعة ج٧ ص٣٠٢، ح٤٠٤٤.

أو لأنه ضرب بالسيف على أليته كما في الاستيعاب.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: سمي أبوه الأدبر لأنه طعن رجلاً وهو هارب مولٍ فسمي بالأدبر «اهـ».

هكذا في النسخة المطبوعة، وهي كثيرة الغلط، ولعل الصواب، لأنه طعنه رجل وهو هارب والله أعلم. وحينئذٍ فما في الاستيعاب والنبذة المختارة للمرزباني من أنه حجر بن عدي بن الأدبر أما سهو، أو يراد أنه يقال له: ابن عدي وابن الأدبر. وكذا قول الاستيعاب أنه هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن الأدبر يراد به أنه يقال له: ابن الأدبر(1).

---

(١) حُجْرُ بن عديّ بن معاوية الكندي، أبو عبد الرحمن، وهو المعروف بحجر الخير، وابن الأدبر كان جاهلياً إسلامياً، وفد على النبيّ، وله صحبة من الوجوه المتألّقة في التاريخ الإسلامي، ومن القمم الشاهقة الساطعة في التاريخ الشيعي. جاء إلى النبيّ ﷺ وأسلم وهو لم يزل شاباً. وكان من صفاته: تجافيه عن الدنيا، وزهده، وكثرة صلاته وصيامه، واستبساله وشجاعته، وشرفه ونُبله وكرامته، وصلاحه وعبادته. وكان معروفاً بالزهد، مستجاب الدعوة لِما كان يحمله من روح طاهرة، وقلب سليم، ونقيبة محمودة، وسيرة حميدة.
ولم يسكت حجر قطّ أمام قتل الحقّ وإحياء الباطل والركون إليه. من هنا ثار على عثمان مع سائر المؤمنين المجاهدين. ولم يألُ جهداً في تحقيق حاكميّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
وكان في الجمل قائداً على خيّالة كِنْدة، وفي صفّين أميراً على قبيلته، وفي النهروان قاد ميسرة الجيش أو ميمنته.
وكان فصيح اللسان، نافذ الكلام، يتحدّث ببلاغة، ويكشف الحقائق بفصاحة، وآية ذلك كلامه الجميل المتبصّر في تبيان منزلة الإمام عليه السلام.
وكان نصير الإمام الوفيّ المخلص، والمدافع المجدّ عنه، ولمّا أغار الضحّاك بن قيس على العراق، أمره الإمام عليه السلام بصدّه، فهزمه حجر ببطولته وشجاعته، وأجبره على الفرار.
اطّلع حجر على مؤامرة قتل الإمام عليه السلام قبل تنفيذها بلحظات، فحاول بكلّ جهده أن يتدارك الأمر فلم يُفلح. واغتمّ لمقتله كثيراً.
وكان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام الغيارى الثابتين.
وقد جاش دم غيرته في عروقه حين سمع خبر الصلح، فاعترض، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: لو كان غيرُك مثلَك لَما أمضيتُه.
وكان قلبه يتفطّر ألماً من معاوية. وطالما كان يبرأ من هذه الوجه القبيح لحزب الطلقاء=

. . . .

=الذي تأمّر على المسلمين، ويدعو عليه مع جمع من الشيعة. وهو الحزب الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وصفه بأنّه معلون. وكان حجر يقف للدفاع عن العقيدة وأهل البيت عليهم السلام بلا وجل، ويُعنّف المغيرة الذي كان فرداً في رجسه وقبحه ورذالته، وقد تسلّط على الكوفة في أثناء حكوم الطلقاء، وكان يطعن في عليٍّ عليه السلام وشيعته. وضاق معاوية ذرعاً بحجر وبمواقفه وكشفه الحقائق، وصلابته، وثباته، فأمر بقتله وتمّ تنفيذ أمره، فاستشهد ذلك الرجل الصالح في «مَرْج عذراء» سنة ٥١ هـ، مع ثلّة من رفاقه.

وكان حجر وجيهاً عند الناس، وذا شخصيّة محبوبة نافذة، ومنزلة حسنة، فكَبُر عليهم استشهاده، واحتجّوا على معاوية، وقرّعوه على فعله القبيه هذا. وكان الإمام الحسين عليه السلام ممّن تألّم كثيراً لاستشهاده، واعترض على معاوية في رسالة بليغة له أثنى فيها ثناءً بالغاً على حجر، وذكر استفظاعه للظلم، وذكّر معاوية بنكثه للعهد، وإراقته دم حجر الطاهر ظلماً وعدواناً. واعترضت عائشة أيضاً على معاوية من خلال ذكرها حديثاً حول شهداء: «مرج عذراء».

وكان معاوية - على ما اتّصف به من فساد الضمير - يرى قتل حجر من أخطائه، ويعبّر عن ندمه على ذلك، وقال عند دنوّ أجله: لو كان ناصحٌ لَمَنعنا من قتله!.

وقتل مصعب بن الزبير ولدَي حجر: عبيد الله، وعبد الرحمن صبراً.

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر باستشهاده من قبل، وشبّه استشهاده، وصحبه باستشهاد «أصحاب الأُخدود».

الأمالي للطوسي عن ربيعة بن ناجذ - بعد غارة سفيان بن عوف الغامدي واستنفار الإمام علي عليه السلام الناس وتقاعد أصحابه -: قام حجر بن عديّ وسعد بن قيس فقالا: لا يسؤوك الله يا أمير المؤمنين! مُرْنا بأمرك نتّبعْه، فوالله العظيم، ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تَفرّقَ، ولا على عشائرنا أن تُقتل في طاعتك.

تاريخ اليعقوبي - في ذكر غارة الضحّاك على القطقطانة[1] ودعوته عليه السلام الناس للخروج إلى قتاله -: قام إليه حجر بن عديّ الكندي فقال: يا أمير المؤمنين! لا قرّب الله منّي إلى الجنّة من لا يحبّ قربك، عليك بعادة الله عندك؛ فإنّ الحقّ منصور والشهادة أفضل الرياحين، اندب معي الناس المناصحين، وكن لي فئة بكفايتك، والله فئة الإنسان وأهله، إنّ الشيطان لا يفارق قلوب أكثر الناس حتى تفارق أرواحهم أبدانهم.

---

(١) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة الرية بالطف، كان بها سجن النعمان بن المنذر [معجم البلدان/ ٤/ ٣٧٤].

. . . .

فتهلّل وأثنى على حجر جميلاً، وقال: لا حرمك الله الشهادة؛ فإنّي أعلم أنّك من رجالها.
وقعة صفّين عن عبد الله بن شريك: قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين! نحن بنو الحرب وأهلها، الذين نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها[1] ولنا أعوان ذوو صلاح، وعشيرة ذات عدد، ورأي مجرّب، وبأس محمود، وأزمّتنا منقاد لك بالسمع والطاعة؛ فإن شرّقت شرّقنا، وإن غرّبت غرّبنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه.
فقال عليّ: أكلُّ قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلاّ حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة، وبحسن الإجابة، فقال له عليّ خيراً.
الإمام عليّ عليه السلام: يا أهل الكوفة! سيُقتل فيكم سبعة نفر خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الأُخدود، منهم حجر بن الأدبر وأصحابه.
الأغاني عن المجالد بن سعيد الهمداني، والصقعب بن زهير، وفُضيل بن خديج، والحسن بن عقبة المرادي. . .: إنّ المغيرة بن شعبة لمّا ولي الكوفة كان يقوم على المنبر، فيذمّ عليّ بن أبي طالب وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان، ويستغفر لعثمان ويزكّيه، فيقوم حجر بن عديّ فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[2] وإنّي أشهد أنّ من تذمّون أحقّ بالفضل ممّن تُطرُون، ومن تزكّون أحقّ بالذمّ ممّن تعيبون.
فيقول له المغيرة: يا حجر! ويحك! اكفف من هذا، واتّق غضبة السلطان وسطوته؛ فإنّها كثيراً ما تقتل مثلك، ثمّ يكفّ عنه.
فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيّامه يخطب على المنبر، فنال من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولعنه، ولعن شيعته، فوثب حجر فنعر نعرةً أسمعت كلّ من كان في المسجد وخارجه. فقال له: إنّك لا تدري أيّها الإنسان بمن تولع، أوَ هرمت! مر لنا بأعطياتنا وأرازقنا؛ فإنّك قد حبستها عنّا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين.
فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق والله حجر! مر لنا بأعطياتنا؛ فإنّا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يُجدي علينا، وأكثروا في ذلك.
فنزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه، ودخلوا ولاموه في احتماله حجراً، فقال لهم: إنّي قد قتلته. قال: وكيف ذلك؟! قال: إنّه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه، فيأخذه عند أوّل وهلة، فيقتله شرّ قتلة. إنّه قد اقترب أجلي، وضعف=

(١) ضارست الأمور: جربتها وعرفتها.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

. . . .

=عملي، وما أُحبّ أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ معاوية في الدنيا، ويذلّ المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد جرّبوا العمّال.

تاريخ الطبري عن أبي إسحاق: بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع أثني عشر رجلاً في السجن. ثمّ إنّه دعا رؤوس الأرباع، فقال: اشهدوا على حجر بما رأيتم منه...

فشهد هؤلاء الأربعة: أنّ حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب= =أمير المؤمنين، وزعم أنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ في آل أبي طالب.

الأغاني: كتب أبو بردة بن أبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله ربّ العالمين؛ شهد أنّ حجر بن عديّ خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفرةً صلعاء.

الأغاني: قال لهم [أي لحجْر وأصحابه الستّة] رسولُ معاوية: إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراء من عليّ واللعن له؛ فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنّه قد عفا عن ذلك، فابرؤوا من هذا الرجل يُخْلِ سبيلكم.

قالوا: لسنا فاعلين، فأمر بقيودهم فحُلّت، وأُتي بأكفانهم فقاموا الليل كلّه يُصلّون، فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم، وعمل بغير الحقّ. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثمّ قاموا إليهم وقالوا: تبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاّه.

الأغاني: قالوا لهم حجر: دعوني أُصلّي ركعتين؛ فإنّي والله ما توضّأت قطّ إلاّ صلّيت، فقالوا له: صلّ ثمّ انصرف، فقال: والله ما صلّيت صلاةً قطّ أقصر منها، ولولا أن يروا أنّ ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها.

ثمّ قال: اللهمّ إنّا نستعديك على أُمّتنا؛ فإنّ أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإنّ أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا؛ فإنّي أوّل فارس من المسلمين سلك في واديها، وأوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها.

فمشى إليه هدبة بن الفيّاض الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلاّ، زعمت أنّك لا تجزع من الموت؛ فإنّا ندعك، فابرأ من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً، وإنّي والله إن جزعت لا أقول ما يُسخط الربّ، فقتله. =

وفي تاج العروس: قال أبو عمر والأدبر بن عدي وقد وهم «اهـ».

(والأكرمين) كأنه مضاف إليه أو صفة لما قبله.

(وعذرى) بالقصر كما يجري على ألسن الناس، ورسمت كذلك في مواضع من طبقات ابن سعد وغيره.

وفي بعض الكتب: عذرا بالألف بدون مد. وفي مواضع أخرى من طبقات ابن سعد: رسمت عذراء بالمد، وكذلك في المد في معجم البلدان وغيره، ووقعت بالمد أيضاً في شعر عبد الله بن خليفة الطائي الذي ر ثى به حجراً ويأتي.

في معجم البلدان: عذراء بالفتح والسكون والمد، قرية بغوطة دمشق من أقليم خولان معروفة، وإليها ينسب مرج عذراء، وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك أول قرية تلي الجبل، وبها منارة، وبها قتل حجر بن عدي الكندي، وبها قبره، وقيل: إنه هو الذي فتحها، وبالقرب منها راهط الذي كانت فيه الوقعة بين الزبيرية والمروانية «اهـ».

ويأتي عن الطبري: أنها على اثني عشر ميلاً من دمشق.

وعن روضة الصفا: أنها على أربعة فراسخ منها، والأربعة الفراسخ تبلغ اثني عشر ميلاً، فإن كل فرسخ ثلاثة أميال.

وما في مجالس المؤمنين: من أنها على فرسخين من دمشق اشتباه.

=تاريخ اليعقوبي: قالت عائشة لمعاوية حين حجّ، ودخل إليها: يا معاوي، أقتلت حجراً وأصحبه! فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات، قال: لم يحضرني رجل رشيد، يا أمّ المؤمنين.
الأغاني عن عبد الملك بن نوفل: كانت عائشة تقول: لولا أنّا لم نُغيّر شيئاً قط إلاّ آلت بنا الأمور إلى أشدّ ممّا كنّا فيه، لغيّرنا قتل حجر، أما والله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً.
تاريخ اليعقوبي: روي أنّ معاوي كان يقول: ما أعدّ نفسي حليماً بعد قتلي حجراً وأصحاب حجر.
تاريخ الطبري عن ابن سيرين . في معاوية .: بلغنا أنّه لمّا حضرته الوفاة جعل يُغرغِر بالصوت ويقول: يومي منك يا حُجر يوم طويل.

صفته

أسند الأغاني، عن الجاحظ: كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحجر بن عدي وكلهم كان أعور «اهـ».

أقوال العلماء فيه

قال الشيخ في رجاله، في أصحاب علي عليه السلام حجر بن عدي الكندي، كان من الأبدال «اهـ».

وفي القاموس: رجل بدل الكسر ويحرك، شريف كريم والجمع أبدال.

وذكر الشيخ في رجاله في أصحاب الحسن عليه السلام: حجر بن عدي.

وقال الكشي في رجاله، قال الفضل بن شاذان: ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم: جندب بن زهير قاتل الساحر، وعبد الله بن بديل، وحجر بن عدي الخ.

وجعله من التابعين سهو كما ستعرف. وقال الكشي في رجاله أيضاً: (حجر بن عدي الكندي). يعقوب: حدثنا ابن عيينة، حدثنا طاووس، عن أبيه، أنبأنا حجر بن عدي قال: قال لي علي عليه السلام: كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعني؟.

قلت: كيف أصنع؟.

قال: العني ولا تتبرأ مني فإني على دين الله.

قال: ولقد ضربه محمد بن يوسف وأمره أن يلعن علياً عليه السلام وأقامه على باب مسجد صنعاء.

فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه: لعنه الله. فرأيت مجوازاً من الناس إلا رجلاً واحداً فهمها وسلم (مجوازاً) أي جازت عليهم (وسلم) راجع إلى حجر أي قالها وروى وسلم.

وفي الدرجات الرفيعة: عندي في هذا الخبر نظر، فإن محمداً بن يوسف، إنما ولي اليمن في زمن عبد الملك بن مروان وهو أخو الحجاج بن يوسف،

استعمله أخوه الحجاج على صنعاء اليمن، وحجر بن عدي قتله معاوية بن أبي سفيان، فكيف يصح أن يكون محمد بن يوسف ضرب حجراً ليلعن أمير المؤمنين عليه السلام، وليس في عمال معاوية على اليمن من اسمه محمد بن يوسف كما تنطق به التواريخ، فإن معاوية لما استقل بالخلافة استعمل على اليمن عثمان الثقفي فأقام به مدة، ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان، فأقام سنتين، ثم لحق بأخيه معاوية، واستخلف على اليمن فيروزاً الديلمي فأقام ثماني سنين، ثم عاد إليها عتبة بن أبي سفيان، فلما توفى عتبة استعمل معاوية مكان النعمان بن بشير الأنصاري فأقام باليمن سنة ثم عزله ببشر بن سعيد الأعرج - فيما قاله الجندي - وقيل: استعمل سعيد بن دادويه الفارسي فأقام تسعة أشهر ثم مات، فاستعمل معاوية على اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي، فلم يزل على اليمن حتى هلك معاوية في رجب سنة ٦٠ للهجرة. هؤلاء جميع عمال معاوية جمع عمال معاوية على اليمن، وليس فيهم مسمى بمحمد بن يوسف والله أعلم اهـ.

ويوشك أن تكون هذه الواقعة مع المغيرة بن شعبة، وهو يومئذٍ أمير الكوفة من قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في الناس فيلعن علياً، فأبى ذلك فتوعده، فقام فقال: أيها الناس! إن أميركم أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه، فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد «اهـ».

وذكر الكشي في رجاله في ترجمة عمرو بن الحمق، والطبرسي في الاحتجاج فيما كتبه الحسين عليه السلام إلى معاوية جواباً: وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني فإنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله أني لخائف الله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار إليه فيك وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين، ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه الصالحين المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما كنت أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا باحنة تجدها في نفسك عليهم الحديث.

وفي مرآة الجنان في حوادث سنة ٥١: فيها قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه يقال بأمر معاوية، وله صحبة ووفادة وجهاد وعبادة «اهـ».

ولا أعجب من قوله: يقال الدال على نوع من الشك، فهذه الواقعة لم يبق مؤرخ ولا أحد ينسب إلى علم وتصنيف إلا ذكرها، والشك فيها كالشك في وجود حجر ومعاوية والكوفة ودمشق ومرج عذرا.

وفي الاستيعاب كان حجر من فضلاء الصحابة وصغر سنه عن كبارهم، وكان على كندة يوم صفين، وكان على الميسرة يوم النهروان.

وقال أحمد: قلت ليحيى بن سليمان: أبلغك أن حجراً كان مستجاب الدعوة. قال: نعم وكان من أفاضل أصحاب النبي ﷺ «اهـ».

وفي أسد الغابة: هو المعروف بحجر الخير وهو ابن الأدبر، وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هانىء وشهد القادسية، وكان من فضلاء الصحابة، وكان على كندة بصفين وعلى الميسرة يوم النهروان، وشهد الجمل أيضاً مع علي وكان أعيان الصحابة وكان في ٢٥٠[1] من العطاء، وكان قتله سنة ٥١ وقبره مشهور بعذراء، وكان مجاب الدعوة «اهـ».

وفي طبقات ابن سعد الكبير: كان حجر بن عدي جاهلياً إسلامياً، وذكر بعض رواة العلم أنه وفد إلى النبي ﷺ مع أخيه هانىء بن عدي، وشهد حجر القادسية، وهو الذي افتتح عذرى، وكان في ٢٥٠٠ من العطاء، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب، وشهد معه الجمل وصفين، وكان ثقة معروفاً، ولم يروِ عن غير علي شيئاً «اهـ».

وفي الإصابة: حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي المعروف ابن حجر الأدبر حجر الخير، ذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي ﷺ، وشهد القادسية، وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين، وصحب علياً فكان من شيعته،

(١) سيأتي عن ابن سعد وغيره أنه كان في ٢٥٠٠ «المؤلف».

وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية، وكان حجر هو الذي افتتحها فقدر أن قتل بها. وقد ذكر ابن الكلبي جميع ذلك.

وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين.

وروى ابن السكن وغيره من طريق إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه أنه شهد هو وحجر بن الأدبر موت أبي ذر بالربذة «اهـ».

وقال الحاكم في المستدرك: ذكر مناقب حجر بن عدي وهو راهب أصحاب محمد ﷺ وذكر عام قتله.

ثم روى بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه قال: حجر بن عدي الكندي يكنى أبا عبد الرحمن، كان قد وفد إلى النبي ﷺ، وشهد القادسية، وشهد الجمل وصفين مع علي، قتله معاوية بن أبي سفيان بمرج عذراء، وكان له ابنان: عبد الله وعبد الرحمن قتلهما مصعب بن الزبير صبرا، وقتل حجر سنة ٥٣.

وأسند الحاكم أيضاً عن إبراهيم بن يعقوب قال: قد أدرك حجر بن عدي الجاهلية وأكل الدم فيها، ثم صحب رسول الله ﷺ وسمع منه، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين، وقتل في موالاة علي «اهـ.

قال المرزباني: حجر بن عدي بن الأدب الكندي. وفد على النبي ﷺ، وشهد القادسية وهو الذي فتح مرج عذرا، وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، وهو من العباد الثقات المعروفين، روى عن النبي ﷺ «اهـ».

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: حجر بن عدي الأدبر بن معاوية بن جبلة بن عدي يتصل نسبه بكهلان بن سبأ. وحجر هذا هو الكندي من أهل الكوفة، وفد على النبي ﷺ، وكان مع الجيش الذي فتح الشام، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب وقتل بعذرا من قرى دمشق ومسجد قبره بها معروف - ولا يزال معروفاً إلى اليوم.

وقال ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة حجر الكندي قتله معاوية.

وقال في الطبقة الرابعة: هو جاهلي إسلامي، وفد على النبي صلى الله عليه وآله، وشهد القادسية والجمل مع علي، وكان له ٢٥٠ من العطاء، وقتل مصعب بن الزبير ابنيه عبيد الله وعبد الرحمن صبراً، وكانا يتشيعان. وكان حجر ثقة معروفاً، ولم يروِ عن علي شيئاً، كذا قال (والذي في الطبقات - كما مر - أنه لم يروِ عن غير علي شيئاً. فكأن لفظة غير سقطت من الناسخ).

قال: وقال البخاري في تاريخه: إنه سمع علياً وعماراً، وهو معدود في الكوفيين.

وقال ابن ماكولا: أكثر أصحاب الحديث لا يصححون لحجر رواية، وكان مع علي حجران: حجر الخير وهو الكندي، وحجر الشر وهو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة (والصواب أن حجر الشر كان مع معاوية وحجر الخير مع علي - كما يأتي في أخباره بصفين).

قال: وقال أبو معشر: كان حجر عابداً، وما أحدث إلا توضأ وما توضأ إلاّ صلى، وكان يلمس فراش أمه بيده فيتهم غليظ يده فينقلب على ظهره فإذا أمن أن يكون عليه شيء نامت أمه «اهـ».

وفي مروج الذهب: في سنة ٥٣ قتل معاوية حجر بن عدي الكندي، وهو أول من قتل صبراً في الإسلام، وقيل: إن قتله وأصحابه كان في سنة ٥٠«اهـ».

وفي ذيل المذيل: حجر بن عدي وهو حجر الخير، وكان حجر بن عدي جاهلياً إسلامياً، وقد ذكر بعض رواة العلم أنه وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله مع أخيه هانىء بن عدي، وهو الذي افتتح مرج عذراء، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء، وكان من أصحاب علي عليه السلام، شهد معه الجمل وصفين «اهـ».

مجمل أحواله المستفادة مما تقدم

هو من خيار الصحابة: رئيس قائد شجاع أبي النفس عابد زاهد، مستجاب الدعوة عارف بالله تعالى، مسلم لأمره مطيع له، مجاهر بالحق مقاوم للظلم لا يبالي بالموت في سبيل ذلك، باذل في سبيل الله كل ما يملك حتى نفسه التي هي عزيزة عليه فرضى ربه أعز منها عليه، خالص الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام، بالغ في ذلك الغاية (أما كونه من خيار الصحابة) فقد شهد له بذلك كبار العلماء.

✍ رئاسته وشجاعته

أما رئاسته وشجاعته: الموجبة لاستحقاقه تولي قيادة الجيوش، فيدل عليها تولية أمير المؤمنين عليه السلام له الإمارة على الجيوش في حروب الجمل وصفين وغير ذلك، وظهرت شجاعته في لحوقه الضحاك بن قيس الجبار العنيد الشجاع المطرق، من العراق إلى غربي تدمر بعدة لا تزيد عن عدته حتى قتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً في عشية واحدة وفَّر هارباً ليلاً وتحمل العار والشنار وعير بذلك.

✍ إباء نفسه

وأما إباء نفسه: فقد حمله على تمني الموت قبل الرغم والذل.

✍ عبادته

وأما عبادته: فكفى فيها وصف الحاكم له في المستدرك بأنه راهب الصحابة وأنه ما أحدث إلا توضأ، وما توضأ إلا صلى فرضاً أو نفلاً.

✍ زهده

وأما زهده: في هذه الدنيا الفانية فلا أدل عليه من اختياره الآخرة عليها حتى استشهد في طلب الدار الآخرة.

✍ معرفته بالله تعالى

وأما معرفته بالله تعالى: وتسليمه لأمره ووصوله في المعرفة والتسليم إلى درجة تقارب درجات الأنبياء والمرسلين فإن أصحابه يطلبون منه، كما ستعرف، أن يدعو الله بخلاصه وخلاصهم فلا يزيد على قوله ثلاثاً: (اللهم خر لنا).

✍ تسليمه لأمر الله تعالى

وأما تسليمه لأمر الله تعالى: فلا مقام أجل وأعظم من مقامه في تسليم نفسه للقتل واختياره ذلك على البر اءة من علي بن أبي طالب، وهو لو فعل ذلك دفعاً عن نفسه لكان معذوراً لا إثم عليه، فقد رخص الله تعالى في إظهار كلمة الكفر

وشتم النبي صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ﴾[1]، ولكن كان عدم البراءة الصبر على القتل أفضل وأعلى درجة، وكان حجر في ذلك قدوة لأصحابه الذين صبروا معه على القتل ولم يبرأوا، ولا مقام أعلى وأرفع من طلبه تقديم قتل ابنه إن كان أمر بقتله خوفاً من أن يرى هول السيف على عنق أبيه فيرجع عن ولاية علي بن أبي طالب، والبلاء للنفوس كالمحك للمعادن، ويأتي أنه لما قال الخثعمي: يقتل نصفنا ويسلم النصف.

قال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممن تكرم بهوانهم، وكلاهما مصيب في قوله، إلا أن مقام العنزي أعلى.

طاعته لله تعالى

وأمّا إطاعته الله تعالى: فهي في أعلى درجات الإطاعة، فقد ثبت في مقام تزل فيه الأقدام وتذهب فيه العقول واختار القتل على البراءة ولا مقام أعلى من هذا في الإطاعة، وأين هذا من الصلاة والصيام والحج وإيتاء الزكاة وبر الوالدين وغيرهما من جميع الطاعات التي تهون عند تسليم النفس للقتل اختياراً للآخرة على الدنيا؟ وبره بأمه في عدم اكتفائه بوضع يده على فراشها خوفاً أن يكون عليه شيء حتى يمسه بظهره لأن يديه خشنتان قد لا يحسان بما على الفراش، وإن كان له مقام عالٍ في الطاعة، لكن أين هو من الأعلى منه من تسليم النفس للقتل.

مقاومته للظلم

وأما مجاهرته بالحق ومقاومته الظلم ومجابهته الفراعنة في ذلك: فهو أيضاً مقام تزل فيه الأقدام وتزيغ الأحلام، وقد ثبت فيه ثبوتاً لا مزيد عليه غير هياب ولا وجل ورد عليهم في الملأ وعلى رؤوس الأشهاد، ولم يغره زخرف الدنيا الفانية، وقد بذل له زياد ما يحب إن كف عما هو فيه فلم يفعل. ومع ذلك فقد احتاط لنفسه في بعض المواضع ولجأ إلى المداراة فلم يخلع معاوية. وأعلن بأنه على بيعته، وإخلاصه الشديد في ولاء أمير المؤمنين البالغ أقصى الغايات قد ظهر مما مرَّ.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

هو صحابي لا تابعي

مرَّ قول صاحبي الاستيعاب وأسد الغابة أنه كان من فضلاء الصحابة، وقول يحيى بن سليمان: كان من أفاضل الصحابة، وقول ابن سعد: كان جاهلياً إسلامياً، وحكايته عن بعض رواة العلم وفوده على النبي ﷺ، وقول صاحب أسد الغابة: أنه وفد على النبي ﷺ، وحكاية صاحب الإصابة، عن ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عن مصعب بن عبد الله الزبيري، فيما رواه الحاكم عن مصعب بن عبد الله الزبيري، أن حجر بن عدي كان وفد إلى النبي ﷺ.

ورواية الحاكم، عن إبراهيم بن يعقوب، أن حجراً أدرك الجاهلية ثم صحب رسول الله وسمع منه، وقول المرزباني في النبذة المختارة أنه وفد على النبي ﷺ وروى عنه.

وقول ابن عساكر أنه وفد على النبي ﷺ. وعن المرزباني قول حجر: لقد أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ بيومي هذا.

ويأتي عند تعداد أسماء المقتولين بعذرا قول الشهيد الأول أنه صاحب راية النبي ﷺ إلى غير ذلك مما هو نص في أنه صحابي، هذا ولكن بعض العلماء ذكر أنه تابعي، فقد مر عن الفضل بن شاذان عده من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم.

وفي الإصابة، عن البخاري وابن أبي حاتم، عن أبيه، وخليفة بن خياط بن حبان أنهم ذكروه في التابعين. قال: وكذا ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة فإما أن يكون ظنه آخر وإما أن ذهل «اهـ».

وفي تاريخ دمشق: قال ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة حجر الكندي، وقال في الطبقة الرابعة: هو جاهلي إسلامي، وفد على النبي ﷺ «اهـ».

(أقول): ذكر ابن سعد أولاً من نزل الكوفة من الصحابة، ومن كان من التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم، وعد جماعة من الصحابة.

ثم قال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بعد الصحابة، ممن روى عن أبي بكر

وعمر عثمان وعلي بن أبي طالب، وعبد الله مسعود وغيرهم، ثم ذكر جماعة أولهم طارق بن شهاب وقال: إنه روى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن الخلفاء الأربعة، وغيرهم ثم ذكر جماعة ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى عن الخلفاء وغيرهم، وجماعة ممن روى عن الخلفاء وبعض الصحابة، ثم قال: ومن هذه الطبقة ممن روى عن فلان وفلان من الصحابة ولم يروِ واحد منهم عن عمر وعلي وابن مسعود شيئاً، وعد جماعة ثم قال: ومن هذه الطبقة، ممن روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام حجر بن عدي الخ. وحينئذٍ فالجمع بين عده في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وعده في الصحابة أنه لم يقتصر في هذه الطبقة على التابعين فقط بدليل أنه عد فيها طارق بن شهاب، وصرح بروايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والجمع بين قوله السابق أنه لم يرو عن غير علي شيئاً، وبين قوله الدال على أنه صحابي: أن له إدراكاً وليس له رواية، مع أنه ثبت أن له رواية أمكن أن يريد أنه لم يروِ عن غير علي من الصحابة، لا أنه لم يروِ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدليل عد طارق بن شهاب من هذه الطبقة مع التصريح بروايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أخباره يوم الجمل

قال ابن الأثير من الكامل: أنه لما أرسل علي عليه السلام إلى أهل الكوفة يستنجدهم يوم الجمل، قام حجر بن عدي فيمن قام، فقال: أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً مروا وأنا أولكم.

وقال أيضاً: إنه لما نفر الناس إلى علي عليه السلام حين بعث يستنفرهم من الكوفة يوم الجمل كان على مذحج والأشعريين حجر بن عدي.

وقال أيضاً: كان رؤساء الجماعة من الكوفيين فلان وفلان وأمثال لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمروا منهم حجر بن عدي.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج مما رويناه من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كون علي عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول حجر بن عدي يوم الجمل من رواية أبي مخنف في كتاب الجمل:

[البحر الرجز المجزوء]

يا ربنا سلم لنا عليّا   سلم لنا المبارك المضيّا
المؤمن الموحد التقيّا   لا خطل الرأي ولا غويّا
بل هادياً موفقاً مهديّا   واحفظه ربي واحفظ النبيّا
فيه فقد كان له وليّا   ثم ارتضاه بعده وصيّا

ويأتي له رجز يشبه هذا الرجز عند ذكر أخباره بصفين من رواية نصر بن مزاحم وبينهما بعض التفاوت، ولعله قال الرجزين في يومي الجمل وصفين مع تفاوت بينهما والله أعلم.

✍ أخباره بصفين

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين أنه لما أراد علي المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنكم ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم، فجعلوا يقومون واحداً بعد واحد ويبذلون الطاعة والنصر.

ثم روى بسنده - في كتاب صفين -: أنه خرج حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما علي أن كفا عما بلغني عنكما.

فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟.

قال: بلى!.

قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟.

قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون وتتبرأون، ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: «اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به» كان هذا أحب إلي وخيراً لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك.

وتكلم عمرو فقال كلاماً دل على بلوغه الغاية في ولاء أمير المؤمنين ونصحه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ليت أن في جندي مئة مثلك!.

فقال حجر: إذن والله يا أمير المؤمنين صح جندك وقل فيهم من يغشك! ثم قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين! نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها قد ضارستنا ولنا أعوان ذوو صلاح وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب وبأس محمود وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال علي عليه السلام: أكل قومك يرى مثل رأيك؟.

قال: ما رأيت منهم إلا حسناً وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وبحسن الإجابة.

فقال له علي: خيراً.

وقال: إن علياً عليه السلام أمر حجر بن عدي على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة.

وقال نصر: إن علياً عليه السلام عقد ألوية القبائل فأعطاها قوماً منهم بأعيانهم جعلهم رؤساءهم وأمراءهم: فجعل على كندة حجر بن عدي الكندي.

وقال أيضاً: كان علي عليه السلام قد قسم عسكره أسباعاً. إلى أن قال: وحجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقضاعة، فجعل علي يأمر هذا الرجل الشريف فيخرج معه جماعة فيقاتل ويخرج إليه من أصحاب معاوية رجل معه جمع فيقتتلان وأخذوا يكرهون أن يتزاحفوا بجميع الفيلق من أهل العراق وأهل الشام مخافة الاستئصال، ثم ذكر من كان يخرجهم علي عليه السلام فعد منهم حجر بن عدي.

حجر الخير وحجر الشر

وكان لحجر بن عدي ابن عم يسمى حجر بن يزيد، وكان مع معاوية بصفين، روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين، عن عمرو بن شمر، عن جابر،

عن الشعبي: إن أول فارسين التقيا بصفين في اليوم السابع من صفر سنة ٣٩[1]، وكان من الأيام العظيمة في صفين ذا أهوال شديدة، حجر الخير وحجر الشر:

أما حجر الخير: فهو حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وحجر الشر: ابن عمه حجر بن يزيد الكندي، وذلك أن حجر الشر دعا حجر بن عدي إلى المبارزة وكلاهما من كندة، فأجابه فأطعنا برمحيهما ثم حجز بينهما خزيمة بن ثابت الأسدي وكان مع معاوية فضرب حجر بن عدي ضربة كسر بها رمحه، وحمل أصحاب علي فقتلوا الأسدي، وأفلتهم حجر بن يزيد هارباً والتحق بصف معاوية.

ثم إن حجر الشر حمل على الحكم بن أزهر فقتله، فقال علي: الحمد لله الذي قتل حجراً بالحكم بن أزهر «اهـ».

هذا ولكن ابن عساكر في تاريخ دمشق قال - كما مر - كان مع علي حجران حجر الخير وحجر الشر، ثم ترجم حجر الشر بعد فراغه من ترجمته حجر بن عدي فقال: حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة بن حجر بن عدي بن ربيعة الكندي المعروف بحجر وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعاد إلى اليمن، ثم نزل الكوفة، وشهد الحكمين بدومة الجندل، وكان شريفاً وسمي حجر الشر لأن حجر بن عدي كان حجر الخير، فأرادوا أن يفصلوا بينهما، وكان شريراً، وكان أحد شهود الحكمين مع علي، وولاه معاوية بعد ذلك أرمينية، وبقي حياً إلى سنة ٥١.

وذكره في الإصابة بنحو ذلك. وحكي عن ابن سعد أنه ذكره في الطبقة الرابعة وقال: إنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، وكان مع علي بصفين، وكان أحد شهود الحكمين، ثم اتصل بمعاوية. وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم الجمل «اهـ».

وذكره في أسد الغابة بنحو ذلك، وهو يخالف ما مر عن نصر في كتاب

(١) هكذا في النسخة والصواب ٣٧.

صفين: فنصر جعله من أصحاب معاوية وقال: إنه قتل بصفين وابن عساكر جعله من أصحاب علي.

وقال: إنه بقي إلى سنة (٥١). ويوشك أن يكون حجر بن يزيد اثنين والله أعلم. وقال حجر في صفين - وأورده نصر:

[البحر الرجز المجزوء]

يا ربنا سلم لنا عليّا سلم لنا المهذب التقيّا
المؤمن المسترشد الرضيّا واجعله هادي أمة مهديّا
لا خطل الرأي ولا بغيّا واحفظه ربي حفظك النبيّا
فإنه كان له وليّا ثم ارتضاه بعده وصيّا

وأورد هذا الرجز صاحب الدرجات الرفيعة، كما أورده ابن أبي الحديد، لكنه قال: إنه قال يوم الجمل. ومن مواقف حجر يوم صفين ما ذكره ابن شهرآشوب في المناقب قال: خرج أدهم بن لام القضاعي يوم صفين، وقال مرتجزاً مخاطباً سعيد بن قيس:

[البحر الرجز المجزوء]

أثبت لوقع الصارم الصقيل فأنت لا شك أخو قتيل

فقتله حجر بن عدي، فخرج الحكم بن أزهر قائلاً:

[البحر الكامل]

يا حجر حجر بني عدي الكندي أثبت فإني ليس مثلي بعدي

فقتله حجر، فخرج إليه مالك بن مسهر القضاعي يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

إني أنا مالك ابن مسهرِ أنا ابن عم الحكم بن الأزهرِ

فأجابه حجر:

[البحر الرجز المجزوء]

إني حجر وأنا ابن مسعرِ أقدم إذا شئت ولا تؤخرِ

فقتله حجر.

✍ كلامه يوم غارة الغامدي على الأنبار

حكى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد بن هلال الثقفي، أنه لما أغار سفيان بن عوف على الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري وندب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الجهاد تباطأوا، قام حجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: لا يسؤك الله يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت ولا على عشائرنا إن قتلت في طاعتك (الحديث).

✍ خبره مع الضحاك بن قيس

قال ابن الأثير في حوادث سنة **٣٩**: فيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يمر بأسفل واقصة ويغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب، فسار وأخذ الأموال، ومضى إلى الثعلبية وقتل وأغار على مسلحة علي، وانتهى إلى القطقطانة، فلما بلغ ذلك علياً أرسل إليه حجر بن عدي في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين درهماً، فلحق الضحاك بتدمر فقتل حجر منهم تسعة عشر رجلاً وقتل من أصحابه رجلان وحجز بينهم الليل، فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه «اهـ».

✍ هرب الضحاك

وروى ابن أبي الحديد، عن إبراهيم بن هلال الثقفي أن معاوية دعا الضحاك بن قيس الفهري فوجهه فيما بين ثلاث آلاف إلى أربعة آلاف ليغير على أعمال علي عليه السلام، فأقبل الضحاك فنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب حتى مر بالثعلبية فأغار على الحجاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي فقتله في طريق الحاج. فدعا أمير المؤمنين عليه السلام حجر بن عدي الكندي فعقد له على أربعة آلاف، فخرج حجر حتى مر بالسماوة وهي أرض كلب، فلقي بها امرأ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي وهم أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فكانوا أدلاءه على الطريق وعلى المياه.

فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً وقتل من أصحاب حجر رجلان وحجز الليل بينهم، فمضى الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً.

الضحاك على منبر الكوفة

قال إبراهيم بن هلال الثقفي: وذكر محمد بن مخنف أنه سمع الضحاك بن قيس بعد ذلك بزمان يخطب على منبر الكوفة وقد كان بلغه أن قوماً من أهلها يشتمون عثمان ويبرأون منه، قال فسمعته يقول: بلغني أن رجالاً منكم ضلالاً يشتمون أئمة الهدى ويعيبون أسلافنا الصالحين، أما والذي ليس له ند ولا شريك لئن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم لا تجدونني ضعيف السورة ولا كليل الشفرة! أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم فكنت أول من غزاها في الإسلام وشرب من ماء الثعلبية ومن شاطىء الفرات، أعاقب من شئت وأعفو عمن شئت، لقد ذعرت المخدرات في خدورهن، وإن كانت المرأة ليبكي ابنها فلا ترهبه ولا تسكته إلا بذكر اسمي فاتقوا الله يا أهل العراق، أنا الضحاك بن قيس أنا أبو أنيس أنا قاتل عمرو بن عميس.

فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد فقال: صدق الأمير وأحسن القول! ما أعرفنا والله بما ذكرت لقد لقيناك بغربي تدمر فوجدناك شجاعاً مجرباً صبوراً، ثم جلس وقال: أيفخر علينا بما صنع علينا ببلادنا أول ما قدم، أما والله لأذكرنه أبغض مواطنه إليه.

قال: فسكت الضحاك قليلاً وكأنه خزي واستحيا ثم قال: نعم كان ذلك اليوم، بآخرة بكلام ثقيل، ثم نزل.

قال محمد بن مخنف: قلت لعبد الرحمن بن عبيد: أو قيل له لقد اجترأت حين تذكره هذا اليوم وتخبره أنك كنت فيمن لقيه؟.

فقال: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

✍ أخباره عند حرب الخوارج

قال ابن الأثير: إن علياً عليه السلام لما استنفر الناس بالكوفة إلى حرب أهل الشام بعد الحكمين، وطلب من الرؤساء أن يكتب له كل رئيس ما في عشيرته من المقاتلة، قام إليه جماعة من الرؤساء وقالوا: سمعاً وطاعة، وكتبوا له ما طلب، فكان من جملة الذين قاموا حجر بن عدي. ثم قال ابن الأثير: إن علياً عليه السلام عبأ أصحابه يوم النهروان، فكان على ميمنته حجر بن عدي.

✍ كلامه بعد وقعة النهروان

في الدرجات الرفيعة: ومن كلامه لأمير المؤمنين عليه السلام حين استنفر أهل الكوفة للقتال بعد وقعة النهروان فلم يجيبوه بما يرضاه وأكثروا اللغط في حضرته فساءه ذلك منهم، فقام حجر فقال: لا يسؤك يا أمير المؤمنين! مرنا بأمرك نتبعه فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفذت وعلى عشائرنا إن قتلت في طاعتك «اهـ».

✍ خبره ليلة قتل أمير المؤمنين عليه السلام

روى الشيخ المفيد وغيره أن ابن ملجم وصاحبيه وردان التيمي وشبيب بن بجرة الأشجعي لما عزموا على قتل أمير المؤمنين عليه السلام ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم فواطأهم عليه، وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه وكان حجر بن عدي في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء بحاجتك، فقد فضحك الصبح!. فأحس حجر بما أراد الأشعث وقال له: قتلته يا أعور، وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين ليخبره بالخبر ويحذره من القوم، فخالفه أمير المؤمنين عليه السلام في الطريق فدخل المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف، فأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين «اهـ».

وفي مروج الذهب: قد كان ابن ملجم مر بالأشعث وهو بالمسجد فقال له: فضحك الصبح! فسمعها حجر بن عدي، فقال: قتلته يا أعور قتلك الله «اهـ».

أخباره مع الحسن عليه السلام

في شرح النهج الحديدي، عن أبي الفرج أن الحسن عليه السلام لما بلغه مسير معاوية بالعساكر قاصداً العراق وأنه عبر جسر منبج تحرك وبعث حجر بن عدي فأمر العمال والناس بالتهيؤ الخ..

ومن أخباره مع الحسن عليه السلام ما ذكره المدائني وغيره، أنه لما كان من صلح الحسن عليه السلام لمعاوية ما كان دخل عبيدة بن عمرو الكندي، وهو من قوم حجر بن عدي، على الحسن عليه السلام وكان على وجهه ضربة أصابته وهو مع قيس بن سعد بن عبادة، فقال الحسن عليه السلام: ما الذي أرى بوجهك؟.

فقال: جرح أصابني مع قيس.

فالتفت حجر إلى الحسن فقال: لوددت أنك مت قبل هذا اليوم ومتنا معك ولم يكن ما كان! أنا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا!. فتغير وجه الحسن عليه السلام وغمز الحسين عليه السلام حجراً فسكت.

فقال الحسن: يا حجر! ليس كل الناس يحب ما تحب، ولا رأيه رأيك، وما فعلت ما فعلت إلا إبقاء عليكم والله كل يوم في شأن «اهـ».

ولا شك أن هذا الكلام فيه سوء أدب من حجر مع الحسن، ولكنه دعاه إليه شدة الحب وزيادة الغيظ مما كان.

من أخباره مع معاوية

ما ذكره ابن الأثير قال: كتب معاوية إلى المغيرة ليلزم زياداً وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وجماعة بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه الصلاة. وإنما ألزمهم ذلك لأنهم كانوا من شيعة علي «اهـ».

مقتله والسبب فيه

نتقل ذلك من عدة كتب معتمدة مشهورة نذكر أسماءها، ونشير إلى مواقع الاختلاف والزيادة والنقصان فيها. وقد يمكن للناظر أن يستنتج الصواب أو القريب منه من مجموع ذلك.

✍ خبره مع المغيرة بن شعبة

روى الطبري في تاريخه، عن هشام بن محمد بأسانيده، وذكره ابن الأثير في تاريخه أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى الأولى سنة ٤١، قال: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان والأدناء لهم.

فقال: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذممني، وستبلو فتحمد أو تذم، وأقام المغيرة عاملاً لمعاوية على الكوفة سبع سنين وأشهراً.

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: إني قد احتجت إلى مال فأمدني بالمال، فجهز المغيرة إليه عيراً تحمل مالاً، فلما فصلت العير بلغ حجراً وأصحابه. فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير وقال: والله لا تذهب حتى تعطي كل ذي حق حقه، فبلغ المغيرة ذلك، فقال شباب ثقيف: ائذن لنا حتى نأتيك برأسه الساعة. فقال: لا والله ما كنت لأقتل حجراً أبداً. فبلغ ذلك معاوية فعزله واستعمل زياداً «اهـ».

والذي ذكره المؤرخون أن معاوية لم يستعمل زياداً على الكوفة إلا بعد موت المغيرة كما يأتي.

وذكر الطبري في تتمة حديثه السابق، وابن الأثير، وأبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني بأسانيده، وذلك منتزع من جميع كلامهم أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة، كان لا يدع ما وصاه به معاوية من شتم علي والوقوع فيه، والدعاء لعثمان والاستغفار له والتزكية لأصحابه فكان يقوم على المنبر فيذم علي بن أبي طالب وشيعته وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان ويستغفر لعثمان ويزكيه وأصحابه.

فيقوم حجر بن عدي فيقول: بل إياكم قد ذم الله ولعن، إن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1] وإني أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ممن تطرون ومن تزكون أحق بالذم ممن تعيبون!.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

فيقول له المغيرة: يا حجر ويحك اكفف عن هذا واتق غضبة السلطان وسطوته فإنها كثيراً ما تقتل مثلك، ثم يكف عنه.

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيام إمارته يخطب على المنبر فنال من علي بن أبي طالب عليه السلام ولعنه ولعن شيعته - كما كان يفعل -، فوثب حجر فصاح بالمغيرة صيحة أسمعت كل من في المسجد وخارجه، فقال له: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع أو هرمت؟ مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فإنك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين. فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً. هكذا في الأغاني، وفي الدرجات الرفيعة: فقام معه نحو ثلاثين ألفاً.

وفي **تاريخ الطبري وابن الأثير**: أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حجر وبر! مر لنا بأعطياتنا فإنا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا وأكثروا في ذلك، فنزل المغيرة ودخل القصر فاستأذن عليه قومه ودخلوه ولاموه في احتماله حجراً.

فقال لهم: إني قد قتلته.

قالوا: وكيف ذلك؟.

قال: إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، أنه قد اقترب أجلي وضعف عملي وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك وأشقى ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد جربوا العمال. ثم هلك المغيرة سنة ٥٠، وقال الطبري عن عوانة سنة ٥١ فجمعت الكوفة والبصرة لزياد.

خبره مع زياد بن سمية وسبب قتله

كلام المؤرخين في سبب قتله لا يخلو من بعض اختلاف مع اتفاقهم، على أن السبب فيه إنكاره المنكر على زياد، ونحن نورد كل ما عثرنا عليه من كلامهم في هذا الباب ومنه لعلم الاختلاف في سبب قتله فنقول: روى الطبري في

تاريخه، بإسناده عن هشام، عن محمد بن سيرين قال: خطب يوماً زياد في الجمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة.

فقال له حجر بن عدي: الصلاة، فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة، فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى وثار إلى الصلاة وثار الناس معه. فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في إمره، وكثر عليه، فكتب إليه معاوية: أن شده في الحديد ثم احمله إلي.

فلما جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه، فقال: لا، ولكن سمعاً وطاعة، فشد في الحديد ثم حمل إلى معاوية.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن هشام بن حسام، عن ابن سيرين أن زياداً أطال الخطبة.

فقال حجر بن عدي: الصلاة، فمضى في خطبته، فقال له: الصلاة، وضرب بيده إلى الحصى وضرب الناس بأيديهم إلى الحصى فنزل فصلى ثم كتب فيه إلى معاوية، فكتب معاوية أن سرح به إلي فسرحه إليه (الحديث).

وفي الاستيعاب وأسد الغابة: لما ولى معاوية زياداً العراق وما وراءها وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر، خلعه حجر ولم يخلع معاوية، وتابعه جماعة من أصحاب علي وشيعته وحصبه يوماً في تأخير الصلاة هو وأصحابه. فكتب فيه زياد إلى معاوية فأمره أن يبعث به إليه وبأصحابه فبعث بهم إليه «اهـ».

وفي الإصابة: روى أحمد في الزهد، والحاكم في المستدرك من طريق ابن سيرين قال: أطال زياد الخطبة.

فقال حجر: الصلاة فمضى في خطبته، فحصبه حجر والناس، فنزل زياد فكتب إلى معاوية فكتب إليه أن سرح به إليَّ«اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة: لما ولى معاوية زياد بن أبيه الكوفة خطب زياد فقال: أما بعد فإن غب البغي وخيم! وأيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ولست لشيء إن لم أحمِ ناحية الكوفة من حجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده «اهـ».

وفي مروج الذهب: في سنة ٥٣ قتل معاوية حجر بن عدي الكندي، وهو أول من قتل صبراً في الإسلام حمله زياد من الكوفة، ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها، ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية فبعث برجل أعور، فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم: أن صدق الزجر فإنه سيقتل منا النصف وينجو الباقون، أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه؟.

فلما وصل إليهم قال لحجر: إن أمير المؤمنين أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي أبي تراب وقتل أصحابك إلا أن تراجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتبرأوا منه.

فقال حجر وجماعة ممن كان معه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار! وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من علي.

وقال المرزباني في النبذة المختارة المتقدم إليها الإشارة: كان السبب في قتله أنه تكلم زياد يوماً على المنبر فقال: إن من حق أمير المؤمنين، أعادها مراراً.

فقال حجر: كذبت ليس كذلك.

فسكت زياد ساعة ثم أخذ في كلامه حتى غاب عنه ما جرى فقال: إن من حق أمير المؤمنين، فأخذ حجر كفا من حصى فحصبه وقال: كذبت.

فانحدر زياد عن المنبر ودخل دار الإمارة، وانصرف حجر فبعث إليه زياد الخيل والرجال فقالوا: أجب الأمير.

فقال: إني والله ما أنا بالذي يخاف ولا آتيه أخافه على نفسي.

وقال ابن سيرين: لو مال لمال أهل الكوفة معه، غير أنه كان رجلاً ورعاً. وأبى زياد أن يرفع عنه الخيل والرجل حتى سلسله وأنفذه في أناس من أصحابه - وكانوا ثلاثة عشر رجلاً - إلى معاوية «اهـ».

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبير: كان السبب في قتله أنه لما قدم زياد بن أبي سفيان (كذا يقول ابن سعد، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر) والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي، فقال: تعلم أني أعرفك، وقد كنت وإياك على ما قد علمت - يعني من حب علي بن أبي طالب - وأنه قد جاء غير ذلك، وإني أنشدك الله أن تقطرني من دمك قطرة فأستفرغه كله! أملك عليك لسانك، وليسعك منزلك وهذا سريري فهو مجلسك وحوائجك مقضية لدي، فاكفني نفسك، فإني أعرف عجلتك، فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك، وإياك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك، فإنك لو هنت علي أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي.

فقال حجر: قد فهمت ثم انصرف إلى منزله، فإذا أخوانه من الشيعة فقالوا: ما قال لك الأمير قال: قال لي كذا وكذا.

قالوا: ما نصح لك.

فأقام وفيه بعض الاعتراض وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون: إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر.

وكان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حريث - وهو يومئذٍ خليفة زياد على الكوفة وزياد بالبصرة -: أبا عبد الرحمن ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت؟.

فقال للرسول: تنكرون ما أنتم فيه؟ إليك وراءك أوسع لك!.

فكتب عمرو بن حريث بذلك إلى زياد وكتب إليه: أن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل - وعمرو بن حريث هذا من بني مخزوم، قيل: إن له صحبة سكن الكوفة وكان يجالس زياداً وابنه عبيد الله ويأكل من دنياهم.

وقال **ابن سعد**: ولي الكوفة لزياد وابنه عبيد الله - فأغذ زياد السير حتى قدم الكوفة فأرسل إلى عدي بن حاتم وعدة من أشراف أهل الكوفة ليعذر إليه وينهاه عن هذه الجماعة وأن يكف لسانه عما يتكلم به فأتوه فلم يجبهم إلى شيء ولم يكلم أحداً منهم وجعل يقول: يا غلام اعلف البكر - وبكر في ناحية الدار - فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت أكلمك وأنت تقول: يا غلام اعلف البكر!...

فقال عدي لأصحابه: ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى، فنهض القوم عنه وأتوا زياداً فأخبروه ببعض وخزنوا بعضاً وحسنوا أمره، وسألوا زياداً الرفق به..

فقال: ليست أذن لأبي سفيان!. فأرسل إليه الشرط والبخارية فقاتلهم بمن معه ثم انفضوا عنه وأتى به زياد وبأصحابه «اهـ».

والذي ذكره من رد حجر لى رسول ان حريث ومن أنه لم يكلم أحداً من رسل ابن زياد وما جرى من الحوار بينه وبين عدي بن حاتم لم يذكره غيره.

وفي الأغاني: أنه لما جمعت الكوفة والبصرة لزياد بعد هلاك المغيرة دخل الكوفة ووجه إلى حجر فجاءه - وكان له قبل ذلك صديقاً - فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك، وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرأيتني ما كنت تعرفني به من حب علي ووده، فإن الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته، فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حباً ومودة - وكذب! فما سلخ ذاك فصيره بغضاً وعداوة وهذا فصيره حباً ومودة إلا الشيطان - وإني أخوك الذي تعهد إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي محل مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غدوة وحاجة عشية. إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك وتشط عندي دمك، إني لا أحب التنكيل قبل التقدمة ولا آخذ بغير حجة اللهم اشهد!..

فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلا ما يحب وقد نصح وأنا قابل نصيحته، ثم خرج من عنده فكان يتقيه ويهابه وكان زياد يدنيه ويكرمه ويفضله، والشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه..

وقال الطبري وابن الأثير: لما جمعت الكوفة والبصرة لزياد أقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثم صعد المنبر فذكر عثمان وأصحابه فقرظهم ولعن قتلته، فقام حجر وفعل كما كان يفعل بالمغيرة، ورجع زياد إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث.

وقال أبو الفرج في الأغاني والطبري وابن الأثير في تاريخهما واللفظ مقتبس من المجموع: كان زياد يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفة يقيم في هذه ستة أشهر وفي هذه ستة أشهر، ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب وعلى الكوفة عمرو بن حريث.

فقال له عمارة بن عقبة[١]: إن الشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه ولا أراه عند خروجك إلا ثائراً، فدعاه زياد فحذره ووعظه وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حريث. فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه وتطيف بهم النظارة ثم يمتلىء المسجد، ثم كثروا وكثر لغطهم وارتفعت أصواتهم بذم معاوية وشتمه ونقص زياد، وبلغ ذلك عمرو بن حريث، فصعد المنبر واجتمع إليه أشراف أهل المصر فحثهم على الطاعة والجماعة وحذرهم الخلاف فوثب إليه عنق من أصحاب حجر يكبرون ويشتمون حتى دنوا منه فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليه بابه، وكتب إلى زياد بالخبر، فلما أتاه أنشد يتمثل بقول كعب بن مالك:

[البحر الطويل]

فلما غدوا بالعرض قال سراتنا ... علام إذا لم نمنع العرض نزرع

ما أنا بشيء إذا لم أمنع الكوفة من حجر وأدعه نكالاً لمن بعده ويل أمك حجر لقد سقط بك العشاء على سرحان[٢].

وقال الطبري وابن الأثير: إن هذا الكلام قاله زياد على المنبر بالكوفة. ثم أقبل زياد حتى أتى الكوفة، فدخل القصر، ثم خرج، وعليه قباء سندس ومطرف خز أخضر وقد فرق شعره، وحجر جالس في المسجد وحوله أصحابه أكثر ما كانوا. فصعد المنبر فخطب وحذر الناس.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن مولى زياد قال: أرسلني زياد إلى

(١) هو عمارة بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد بن عقبة.
(٢) مثل يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف، والسرحان: الذئب.

حجر بن عدي - ويقال: ابن الأدبر - فأبى أن يأتيه ثم أعادني الثانية فأبى أن يأتيه، فأرسل إليه: إني أحذرك أن تركب أعجاز أمور هلك من ركب صدورها.

وقال ابن الأثير: وأرسل زياد إلى حجر يدعوه وهو بالمسجد، وأسند الطبري في تاريخه عن حسين بن عبد الله الهمداني قال: كنت في شرط زياد فقال زياد: لينطلق بعضكم إلى حجر فليدعه.

فقال لي شداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرطة: اذهب إليه فادعه، فأتيته فقلت: أجب الأمير.

فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة!. فرجعت فأخبرته، فأمر صاحب الشرطة أن يبعث معي رجالاً، بعث نفراً، فأتيناه فقلنا: أجب الأمير فسبونا وشتمونا. وفي الأغاني في تتمة الخبر السالف بعد طوله: وحذر الناس..

ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط: اذهب فأتني بحجر. فذهب إليه فدعاه فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة، فسبوا الشرط، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فجمع أهل الكوفة فقال: يا أشراف أهل الكوفة أو يا أهل الكوفة تشجون بيد وتأسون بأخرى أبدانكم عندي وأهواؤكم مع هذا الهجهاجة الأحمق المذبوب أنتم معي وإخوانكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر؟.

فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به.

قال: ليقم كل امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كل من استطعتم، ففعلوا وجعلوا يقيمون عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم - وهكذا يفعل الكبراء في التخذيل عن أهل الحق إرضاء للظلمة كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾[1] فكما خذل أشراف الكوفة الناس عن حجر إرضاء لزياد بن سمية حتى قبض عليه وقتل، خذلوا الناس عن مسلم بن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

عقيل إرضاء لنغله عبيد الله بن مرجانة حتى أسر وقتل - فلما رأى زياد خفة أصحابه قال لصاحب شرطته شداد بن الهيثم بن شداد: اذهب فأتني بحجر فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا عمد السوق[1] ثم يشدوا به عليهم حتى يأتوا به ويضربوا من حال دونه. فلما أتاه شداد قال له: أجب الأمير.

فقال أصحاب حجر: لا والله ولا نعمة عين لا يجيبه.

فقال لأصحابه: عليّ بعمد السوق، فاشتدوا إليها فأقبلوا بها قد انتزعوها.

فقال عمير بن يزيد الكندي من بني هند وهو أبو العمرطة أنه ليس معك رجل معه سيف غيري فما يغني سيفي. قال: فما ترى؟.

قال: قم من هذا المكان فألحق بأهلك يمنعك قومك.

فقام وزياد ينظر على المنبر إليهم فغشوا حجراً بالعمد.

قال الطبري وابن الأثير: وانحاز أصحاب حجر إلى أبواب كندة وانتزع عائذ بن حملة التميمي عموداً من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجراً وأصحابه حتى خرجوا من تلقاء أبواب كندة، وبغلة حجر موقوفة فأتى بها أبو العمرطة إليه ثم قال: اركب لا أب لغيرك! فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك وقتلتنا معك.

فوضع حجر رجله في الركاب فلم يستطع أن ينهض فحمله أبو العمرطة على بغلته ووثب أبو العمرطة على فرسه، فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المسلي فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخذه، واخترط أبوالعمرطة سيفه فضرب به رأس يزيد فخر لوجهه، ومضى حجر وأبو العمرطة إلى دار حجر، واجتمع إلى حجر ناس كثير من أصحابه، وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له يسير في مجالس كندة يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

يا قوم دافعوا وصاولوا ... وعن أخيكم ساعة فقاتلوا

لا يلفين منكم لحجر خاذل ... أليس فيكم رامح ونابل

---

(١) في نسخة الأغاني المطبوعة: عمد السيوف والظاهر أنه تصحيف، وفي تاريخ ابن الأثير: وإلا فشدوا عليهم بالسيوف «المؤلف».

وفارس مستلئم وراجل وضارب السيف لا يزايل

فلم يأته من كندة كثير أحد.

فقال زياد وهو على المنبر: لتقم همدان وتميم وهوازن وأبناء بغيض ومذحج وأسد وغطفان، فليأتوا جبانة كندة وليمضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به.

فلما رأى حجر قلة من معه قال لأصحابه: انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم وما أحب أن أعرضكم للهلاك فذهبوا لينصرفوا، فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان فعطف عليهم عمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو وجماعة فتقاتلوا معهم فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: تفرقوا لا تقتلوا فإني آخذ في بعض الطرق، ثم أخذ نحو طريق بني حوت من كندة حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان أو سليم بن يزيد فدخل داره، وجاء القوم في طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب ليخرج إليهم فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟.

قال: أريد والله أن ينصرفوا عنك فإن فعلوا وإلا ضربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك!.

فقال له حجر: لا أباً لغيرك بئس إذن والله ما دخلت به على بناتك قال: إني والله ما أمونهن ولا أرزقهن وما رزقهن إلا على الحي الذي لا يموت ولا أشتري العار بشيء ولا تؤخذ من داري أسيراً ولا قتيلاً وأنا حي أملك قائم سيفي، فإن قتلت دونك فاصنع ما بدا لك!.

فقال حجر: أما في دارك هذه حائط اقتحمه أو خوخة أخرج منها عسى الله أن يسلمني منهم ويسلمك، فإن القوم إن لم يقدروا عليّ في دارك لم يضرك أمرهم.

قال: بلى هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة، فخرج حتى مر ببني ذهب فخرج معه فتية يقصون له الطريق ويسلكون به الأزقة حتى أفضى إلى النخع، فقال عند ذلك: انصرفوا يرحمكم الله، فانصرفوا عنه وأقبل إلى دار

عبد الله بن الحارث أخي الأشتر فدخلها فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش ويسط له البسط وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر إذ أتى فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع، وذلك إن أمة سوداء يقال لها: إدماء لقيتهم فقالت لهم: من تطلبون؟.

قالوا: نطلب حجراً.

فقالت: هوذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع، فخرج متنكراً، وركب معه عبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجد الأزدي فنزل بها فمكث يوماً وليلة، فلما أعجزهم دعا زياد محمد بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها، ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إرباً إرباً فقال له: أمهلني أطلبه.

قال: قد أمهلتك ثلاثاً فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى، واخرج محمد نحو السجن ممتقع اللون يتل تلا عنيفاً فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد: ضمنيه مخلى سربه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً.

قال: أتضمنه لي؟.

قال: نعم.

قال: أما والله لئن حاص عنك لأوردنك شعوباً وإن كنت الآن علي كريماً.

قال: إنه لا يفعل فخلى سبيله. ثم إن حجراً بعث إلى محمد بن الأشعث أنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولنك شيء من أمره فإني خارج إليك فاجمع نفراً من قومك وأدخل عليه وأسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية فيرى في رأيه - وحجر وابن الأشعث كلاهما. كندي فما أحب حجر أن يصيب ابن عمه بسببه سوء، ولكن شتان ما بينهما: فحجر من أصدق الناس ولاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام، ومحمد بن الأشعث من أعدى أعدائه ورث العداوة من أبيه لا عن كلالة، وهو الذي شرك في دم مسلم وهانيء - فخرج محمد إلى حجر بن يزيد وجرير بن عبد الله وعبد الله أخي الأشتر فدخلوا على زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر فأجاب، فبعثوا فأعلموه بذلك فأقبل حتى دخل على زياد.

وفي كتاب **روضة الصفا**، وهو بالفارسية ما تعريبه: إن زياداً لما جاء إلى

الكوفة بعدما كتب إليه عمرو بن حريث بما تقدم أمر بسريره فوضع في المسجد وجلس عليه فكان أول داخل عليه من أشراف الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس الكندي فسلم عليه فقال زياد: لا سلم الله عليك ائتني الساعة بابن عمك حجر بن عدي.

فقال محمد: أيها الأمير أنا لا خلطة لي بحجر ولا مجالسة لي معه، تعلم أن ما بيني وبينه من العداوة إلى أي حد!.

فقال جرير بن عبد الله: أنا آتي به بشرط أن تبعثه إلى معاوية فيرى فيه رأيه، فأجابه زياد إلى ذلك وجاء به جرير فأمر به زياد إلى الحبس إلى أن يتم القبض على أصحابه.

ما جرى لحجر بعد مجيئه إلى زياد

في روضة الصفا كما سمعت أنه أمر به إلى الحبس إلى أن يتم القبض على أصحابه.

وفي الأغاني وتاريخي الطبري وابن الأثير: فقال له: مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن حرب في أيام الحرب وحرب، وقد سالم الناس على نفسها تجني براقش.

فقال حجر: ما خلعت يداً عن طاعة ولا فارقت جماعة وإني لعلى بيعتي.

فقال: هيهات يا حجر! أتشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكننا الله منك أن نرضى؟ هيهات والله فقال: ألم تؤمني حتى آتي معاوية فيرى في رأيه؟.

قال: بلى انطلقوا به إلى السجن، فلما مضى به قال زياد: أما والله لولا أمانه منا برح حتى يلفظ عصبه[1] أو حتى يلفظ مهجة نفسه.

وقال ابن الأثير: فلما ولى قال زياد: والله لأحرصن على قطع خيط رقبته، فحبس عشر ليال «اهـ».

---

(١) في القاموس: العب محركة أطناب المفاصل، ولا يخفى عدم مناسبته للفظ إلا أن يراد به استرخاء المفاصل ولعله محرف «المؤلف».

وفي الطبقات: إنه لما أتي به إلى زياد وبأصحابه قال له: ويلك ما لك؟.

فقال: إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها.

وروى الحكم في المستدرك، بسنده عن أبي إسحاق: رأيت حجر بن عدي وهو يقول: ألا إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها سماع الله والناس.

وروى الطبري، بسنده عن أبي إسحاق أن حجراً لما قفي به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها سماع الله والناس.

قال أبو الفرج في الأغاني والطبري: وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر، فجد في طلبهم وهم يهربون منه، ويأخذ من قدر عليه منهم حتى جمع منهم اثني عشر رجلاً في السجن.

الشهادة على حجر من وجوه الكوفة

في الطبقات الكبير لابن سعد: أنه لما أتى زياد بحجر وأصحابه جمع زياد سبعين رجلاً من وجوه أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ففعلوا، ثم وفَّدهم على معاوية وبعث بحجر وأصحابه إليه..

ويدل كلامه الآتي على أنه أرسل الشهود معهم.

وفي الأغاني وتاريخي الطبري وابن الأثير: بعث زياد إلى رؤوس الأرباع يومئذٍ فأحضرهم وقال: اشهدوا على حجر بما رأيتموه وهم الأربعة والأولون الآتية أسماؤهم فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وعيب زياد، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ووثب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه وعلى مثل رأيه.

فنظر زياد في الشهادة فقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة.

قال الطبري وأبو الفرج: فكتب أبو بردة بن أبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفرة صلعاء.

فأعجبت زياداً هذه الشهادة فقال: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، والله لأجهدن في قطع عنق الخائن الأحمق، فشهد رؤوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك، ثم دعا الناس فقال: اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الأرباع، فقام عناق بن شرحبيل التيمي تيم الله بن ثعلبة أول الناس فقال: اكتبوا اسمي.

فقال زياد: ابدأوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة.

وكان من جملة الشهود شداد بن المنذر أخو الخصين بن المنذر وكان يدعى ابن بزيعة.

فقال زياد: أما لهذا أب ينسب إليه ألغوا هذا من الشهود.

فقيل له: إنه أخو الحضين بن المنذر.

فقال: انسبوه إلى أبيه فنسب، فبلغ ذلك شداداً فقال: والهفاه على ابن الزانية! أوليست أمه أعرف من أبيه! فوالله ما ينسب إلا إلى أمه سمية، ودعا المختار بن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغاً.

وفي مجالس المؤمنين، عن تاريخ أبي حنيفة الدينوري: أن زياد بن أبيه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وشريح بن هانيء، وشريح بن الحارث، وأبا عبيدة القعيني إلى معاوية ليشهدوا عنده بما صدر من حجر وأصحابه فشهدوا فقتلهم معاوية.

أسماء الشهود

على ما ذكره الطبري وغيره: أولهم رؤوس الأرباع الأربعة:

١ - عمرو بن حرث على ربع أهل المدينة.

٢ - خالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان.

٣ - قيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة.

٤ - أبو بردة بن أبي موسى الأشعري على ربع مذحج وأسد.

٥ - و٦ - و٧ - إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عبيد الله.

٨ - المنذر بن الزبير.

٩ - عمارة بن عقبة بن أبي معيط.

١٠ - عبد الرحمن بن هبار أو هناد.

١١ - عمر بن سعد بن أبي وقاص.

١٢ - عامر بن جارية بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس.

١٤ - عبيد الله بن شعبة الحضرمي.

١٥ - عناق بن شرحبيل التيمي.

١٦ - وائل بن حجر الحضرمي.

١٧ - كثير بن شهاب بن حصين الحارثي.

١٨ - قطن بن عبد الله بن حصين.

١٩ - السري بن وقاص الحارثي، قال الطبري: كتبت شهادته وهو غائب في عمله.

٢٠ - السائب بن الأقرع الثقفي.

٢١ - عبد الله بن أبي عقيل الثقفي.

٢٢ - مصقلة بن هبيرة الشيباني.

٢٣ - القعقاع بن شور الذهلي.

٢٤ - ضرار بن هبيرة.

٢٥ - شداد بن المنذر بن الحارث.

٢٦ - حجار بن أبجر العجلي.

٢٧ - عمرو بن الحجاج الزبيدي.

٢٨ - لبيد بن عطارد التميمي.

٢٩ - محمد بن عمير بن عطارد التميمي.

٣٠ - سويد بن عبد الرحمن التميمي.

٣١ - أسماء بن خارجة الفزاري كان يعتذر من أمره.

٣٢ - شمر بن ذي الجوشن العامري.

٣٣ - زحر بن قيس الجعفي.

٣٤ - شبث بن ر بعي.

٣٥ - سماك بن مخرمة الأسدي صاحب مسجد سماك.

٣٦ - و٣٧ - شداد ومروان ابنا الهيثم الهلاليان.

٣٨ - محصن بن ثعلبة من عائذة قريش.

٣٩ - الهيثم بن الأسود النخعي، وكان يعتذر إليهم.

٤٠ - عبد الرحمن بن قيس الأسدي.

٤١ - ٤٢ - الحارث وشداد ابنا الأرفع الهمدانيان.

٤٣ - كريب بن سلمة بن يزيد الجعفي.

٤٤ - عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي.

٤٥ - قدامة بن العجلان الأزدي.

٤٦ - عزرة بن عزرة الأحمسي.

٤٧ - عمر بن قيس ذو اللحية.

٤٨ - هانيء بن حية الوداعي، وشهد معهم آخرون حتى بلغوا سبعين رجلاً، فقال زياد: ألقوهم إلا من عرف بحسب وصلاح في دينه فألقوا حتى صيروا إلى هذه العدة وكتب في الشهود شريح بن الحارث القاضي، وشريح بن هانيء، فأما شريح بن الحارث فقال: سألني عنه فقلت: إما أنه كان صوّاماً قوّاماً، أما شريح بن هانيء فقال: ما شهدت وبلغني أن شهادتي كتبت فأكذبته ولمته «اهـ».

ومن النظر في حال هؤلاء الشهود وما شاع من قبيح سيرتهم وخبث سريرتهم لا تعجب من شهادتهم.

كتاب زياد إلى معاوية في حجر وأصحابه

وكتب زياد إلى معاوية مع وائل وكثير - على ما في الأغاني وتاريخ الطبري: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين من زياد ابن أبي سفيان أما بعد:

فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه وكفاه مؤونة من بغى عليه أن طواغيت الترابية السابة السبائية رأسهم حجر بن عدي خلعوا (خالفوا) أمير المؤمنين وفارقوا (فأظهرنا) الله عليهم وأمكننا منهم وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي النهى (السن) والدين منهم فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا.

ودفع زياد الكتاب إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب وبعثهما عليهم وأمرهما أن يخرجوهم، وبلغ زياداً أن قوماً يريدون أن يعرضوا لهم إذا أخرجوا فبعث إلى الكناسة فابتاع إبلاً صعاباً فشد عليها المحامل ثم حملهم عليها في الرحبة أول النهار حتى إذا كان العشاء قال من شاء ليعرض فلم يتحرك من الناس أحد فأخرجهم وائل وكثير عشية.

وفي روضة الصفا: إن زياداً أرسل معهم مائة رجل ممن يعتمد عليه «اهـ».

قال الطبري: وسار معهم أصحاب الشرط حتى أخرجوهم من الكوفة ومروا بهم على عبيدالله بن الحر الجعفي فقال: ألا عشرة رهط استنفذ بهم هؤلاء؟ ألا خمسة؟ فجعل يتلهف، فلم يجبه أحد فمضوا فلحقهم شريح بن هانىء بكتاب فقال: بلغوا هذا عني أمير المؤمنين فلم يرض كثير أن يأخذه حتى يعلم ما فيه فتحمله وائل بن حجر «اهـ».

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن زياد بن علاقة قال: رأيت حجر بن الأدبر حين أخرج به زياد إلى معاوية ورجلاه من جانب وهو على بعير «اهـ».

قال الطبري: ثم مضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء وبينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً، وفي روضة الصفا: أربعة فراسخ، وقال أيضاً: فمضوا بهم حتى نزلوا مرج عذراء فحبسوا بها.

وفي أسد الغابة: فأنزل وأصحابه عذراء وهي قرية عند دمشق.

وفي الأغاني في تتمة الخبر السابق: ومضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء فحبسوا به فبعث معاوية إلى وائل وكثير فأدخلهما وفض كتابهما.

وقال الطبري: فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما وفض كتابهما فقرأه على أهل الشام، ويظهر من كلامهما أن أول وصولهم كان إلى مرج عذراء فحبسوه به ولا يظهر منهم أنهم أدخلوا دمشق ولا أنهم أدخلوا على معاوية.

أما ابن سعد في الطبقات فيدل كلامه على أنهم أدخلوا دمشق ولم يدخلوهم على معاوية حيث قال بعد قوله: وبعث بحجر وأصحابه إلى معاوية فقال معاوية: لا أحب أن أراهم ولكن أعرضوا علي كتاب زياد فقرىء عليه الكتاب وجاء الشهود فشهدوا.

فقال معاوية: أخرجوهم إلى عذرا فاقتلوهم هناك فحملو إليها.

وأما المرزباني في النبذة المختارة المقدم إليها الإشارة والحاكم في المستدرك، وابن عبد البر في الاستيعاب، والطبري في تاريخه، وابن حجر في الإصابة فإنهم صرحوا بدخولهم على معاوية.

والاعتبار يقضي بأنه لا بد أن يكون أتى بهم أولاً إلى دمشق، والمظنون أنهم أدخلوا على معاوية كما هي العادة في مثل هذا المقام، ويحتمل أنهم لم يدخلوا عليه وأنه قال: لا أحب أن أراهم كما مر عن ابن سعد، إما أنه أتي بهم أولاً إلى مرج عذرا ولم يدخلوا عليه فكالمقطوع بعدمه.

رأي معاوية في ذلك

وفي الأغاني أن معاوية لما قرأ كتاب زياد قال: ما ترون في هؤلاء؟.

فقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام فتكفيكهم طواغيتها.

✍ كتاب شريح إلى معاوية

وقال الطبري: لما قرأ معاوية الكتاب وشهادة الشهود عليهم قال: ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تسمعون؟.

فقال له يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام فيكفيكهم طواغيتها.

ودفع وائل كتاب شريح إلى معاوية فقرأه فإذا فيه بعد البسملة: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانىء أما بعد:

فقد بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام المال والدم، فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه، فقرأ كتابه على وائل وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم (وشريح هذا: هو شريح بن هانىء وهو غير شريح القاضي).

✍ كتاب معاوية إلى زياد

وقال أبو الفرج والطبري: كتب معاوية إلى زياد فهمت ما اقتصصت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم فأحياناً أرى أن قتلهم أفضل وأحياناً أرى أن العفو عنهم أفضل من قتلهم. فكتب زياد إليه مع يزيد بن حجية التيمي: قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم وهم أعلم بهم فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إليه.

فمر يزيد بحجر وأصحابه بعذراء فأخبرهم بما كتب به زياد وقال: مروني بما أحببتم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به.

فقال له حجر: أبلغ معاوية أنا على بيعته لا نقيلها ولا نستقيلها وإنه إنما شهد علينا الأعداء والأظناء، فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب وأخبره بقول حجر، فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن عمروبن بشير الحضرمي قال: لما بعث زياد بحجر بن عدي إلى معاوية أمر معاوية بحبسه بمكان يقال له: مرج عذراء.

ثم استشار الناس فيه فجعلوا يقولون: القتل القتل.

أقوال في حجر

فقام عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي فقال: يا أمير المؤمنين أنت راعينا ونحن رعيتك وأنت ركننا ونحن عمادك إن عاقبت قلنا: أصبت وإن عفوت قلنا: أحسنت والعفو أقرب للتقوى وكل راعٍ مسؤول عن رعيته فتفرق الناس عن قوله.

وفي طبقات ابن سعد: فقال عبد الرحمن بن عثمان الثقفي: يا أمير المؤمنين جدادها جدادها لا تعن بعد العام أبرا «اهـ».

وقال الطبري: فقال عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، ويقال عثمان بن عمير الثقفي جذاذها جذاذها، فقال له معاوية: لا تعن أبراً.

فخرج أهل الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن، فأتوا النعمان بن بشير، فقالوا له مقالة ابن أم الحكم فقال النعمان: قتل القوم «اهـ».

وبين الروايتين ما ترى من التفاوت فابن سعد جعل الكلام كله لعبد الرحمن، والطبري جعله خطاباً وجواباً وحذف منه بعد العام. والذي في الطبقات: جدادها جدادها بالدال المهملة، والذي في تاريخ الطبري بالذال المعجمة، وكلاهما له مناسبة.

فالجداد بفتح الجيم وكسرها وبالدال المهملة: قطع ثمرة النخل، والأبر تلقيح النخل كأنه يقول: اقطع ثمرة هذه النخلة ولا تتعب نفسك في تأبيرها بعد العام أشار عليه بقتلهم.

والجذاذ بالذال المعجمة من الجذ وهو القطع المستأصل كما في القاموس. ومنهم من قيده بالوحي حكاه في تاج العروس. وفي القاموس: والاسم الجذاذ مثلثة «اهـ».

وأشار عليه ابن أم الحكم بجذهم واستئصالهم فأجابه معاوية بأنه سيقطع هذه النخل، وأنه سوف لا يتعب بتأبيرها وتلقيحها، ولذلك قال النعمان: قتل القوم.

قال ابن الأثير والطبري: فوصل إليهم، وهم بمرج عذراء، الرجلان اللذان ألحقهما زياد بحجر وأصحابه وهما عتبة بن الأخنس السعدي وسعيد أو سعد بن نمران الهمداني الناعطي كما يأتي - فلما وصلا سار عامر بن الأسود العجلي من عذراء إلى معاوية ليعلمه بهما فقام إليه حجر بن عدي يرسف في القيود، فقال: يا عامر اسمع مني أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام، وأخبره أنا قد أومنا وصالحناه وصالحنا، وأنا لم نقتل أحداً من أهل القبلة فتحل له دماؤنا، فليتقِ الله ولينظر في أمرنا.

وزاد الطبري هنا شيئاً لم يذكره ابن الأثير وهو مغلوط في نسخة الطبري المطبوعة، والمفهوم منه أن حجراً أعاد إليه الكلام مراراً.

فقال له: قد فهمت وإنك قد أكثرت.

فقال له حجر: إنك والله تحبى وتعطى، وإن حجراً يقدم ويقتل فلا ألومك أن تستثقل كلامي، أذهب عنك، فكأنه استحيا.

فقال: والله ما ذلك بي ولأبلغن ولأجهدن - وكان يزعم أنه فعل ولكن معاوية أبى - هذا ما فهمناه من ذلك الكلام، وبقي فيه ما لم نستطع فهمه لشدة تحريفه، فمن وجد له نسخة صحيحة فليلحقه بهذا المكان فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرجلين «اهـ».

✍ ما قاله حجر حين حمل إلى عذراء

في الطبقات، قال معاوية: أخرجوهم إلى عذرا فاقتلوهم هناك، فحملوا إليها فقال حجر: ما هذه القرية؟.

قالوا: عذراء.

قال: الحمد لله، أما والله إني لأول مسلم نبّح كلابها في سبيل الله ثم أتي بي اليوم إليها مصفوداً.

وفي أسد الغابة: لما أشرف حجر على مرج عذراء قال: إني لأول المسلمين كبر في نواحيها.

وقال المرزباني: لما قدم حجر عذرا.

قال: ما هذه القرية؟.

فقيل: عذرا.

فقال: الحمد لله! أما والله إني لأول مسلم ذكر الله فيها وسبحه، وأول مسلم نبح عليه كلابها في سبيل الله، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصفداً في الحديد «اهـ».

قال أبو الفرج والطبري وابن الأثير: وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي، قال الطبري: من بني سلامان بن سعد، والحصين بن عبد الله الكلابي، وأبا شريف البدي إلى حجر وأصحابه ليقتلوا من أمروا بقتله منهم، فأتوهم عند المساء.

فقال الخثعمي حين رأى الأعور مقبلاً: يقتل نصفنا وينجو نصفنا.

وفي طبقات ابن سعد: وكان معاوية قد بعث رجلاً من بني سلامان بن سعد يقال له: هدبة بن فياض فقتلهم، وكان أعور فنظر إليه رجل منهم من خثعم فقال: إن صدقت الطير قتل نصفنا ونجا نصفنا، فلما قتل سبعة أردف معاوية برسول بعافيتهم جميعاً، فقتل سبعة ونجا ستة، أو قتل ستة ونجا سبعة، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً.

وقال ابن الأثير: فتركوا ستة وقتلوا ثمانية.

قال أبو الفرج والطبري وابن الأثير: فقال سعيد (سعد) بن نمران: اللهم اجعلني ممن ينجو أنت عني راضٍ.

فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي: اللهم اجعلني ممن تكرم بهوانهم وأنت عني راضٍ، فطالما عرضت نفسي للقتل فأبى الله إلا ما أراد.

وجاء رسل معاوية الذين أرسلهم لقتلهم فإنهم لمعهم، إذ جاء رسول معاوية بتخلية ستة منهم وقتل ثمانية.

فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليك البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليهم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرأوا من هذا الرجل يخلُ سبيلكم.

قالوا: لسنا فاعلين فأمر بقبورهم فحفرت، وأتي بأكفانهم فقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟.

قالوا: هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق.

فقالوا: أمير المؤمنين قد كان أعرف بكم، ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرأوا من هذه الرجل؟.

قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يد أبي شريف (صريف) البدي فقال له قبيصة: إن الشر بين قومي وقومك آمن أي آمن فليقتلني غيرك، فقال: برتك رحم فأخذ أبو صريف شريك بن شداد الحضرمي فقتله، وقتل هدبة القضاعي قبيصة بن ضبيعة.

✍ كيفية قتل حجر رضوان الله عليه وولده

في طبقات ابن سعد: ودفع كل رجل منهم إلى رجل من أهل الشام ليقتله، ودفع حجر إلى رجل من حمير فقدمه ليقتله فقال: يا هؤلاء دعوني أصل ركعتين فتركوه، فتوضأ وصلى ركعتين فطول فيهما، فقيل له: طولت أجزعت؟.

فانصرف فقال: ما توضأت قط إلا صليت وما صليت صلاة قط أخف من هذه، ولئن جزعت: لقد رأيت سيفاً مشهوراً، وكنفاً منشوراً، وقبراً محفوراً.

وكانت عشائرهم جاؤوا بالأكفان وحفروا لهم القبور، ويقال: بل معاوية الذي حفر لهم القبور وبعث إليهم الأكفان.

وروى الحاكم بسنده، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين في تمة الحديث السابق قال: فلما انطلقوا به طلب منهم أن يأذنوا له فيصلي ركعتين فأذنوا له فصلى ركعتين.

وقال أبو الفرج وغيره: ثم قال لهم حجر: دعوني أتوضأ.

قالوا له: توضأ، فلما أن توضأ قال لهم: دعوني أصلي ركعتين فإني والله ما توضأت قط إلا صليت.

فقالوا له: صلِّ فصلى ثم انصرف فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر (أخف) منها، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها.

وفي الاستيعاب: لما قدم للقتل قال: دعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين. ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما والله لئن كانت صلاتي لم تنفعني فيما مضى ما هما بنافعتي.

وفي النبذة المختارة: ثم قال حجر للذي أمر بقتلهم: دعني أصلي ركعتين فصلى ركعتين خفيفتين، لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببت أن يكونا أنفس مما كانتا، وأيم الله إن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعتي شيئاً.

وفي أسد الغابة: ولما أرادوا قتله صلى ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما.

وفي تاريخ الطبري وابن الأثير: فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين فقالوا: صلِّ فصلى ركعتين خفف فيهما ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه لأحببت أن تكونا أطول مما كانتا، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خير فما في هاتين خير.

وفي مروج الذهب، فلما قدم حجر ليقتل قال: دعوني أصلي ركعتين فجعل يطول في صلاته.

فقيل له: أجزعاً من الموت؟..

فقال: لا! ولكنني ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت وما صليت قط أخف من هذه! وكيف لا أجزع وإني لأرى قبراً محفوراً، وسيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً؟.. ثم قدم فنحر وألحق به من وافقه على قوله.

ثم إن المسعودي صرح بأنه طول الركعتين، وابن عبد البر، والمرزباني، والطبري صرحوا بأنه خففهما، وأبو الفرج ليس في كلامه تصريح بأحد الأمرين، والمظنون: أنه طولهما بالنسبة إلى متعارف الناس، وقصرهما بالنسبة إلى عادته وأنه لما قيل له في تطويلهما أجزعاً من الموت؟..

قال: ما صليت أقصر منهما، فظن بعض الرواة أن خففهما عن المتعارف فرووا أنه صلاهما خفيفتين، والصواب أنه خففهما عن عادته لا عن المتعارف، فما ذكره المسعودي هو الأصح.

وفي الاستيعاب، بسنده عن محمد بن سيرين أنه كان إذا سئل عن الركعتين عند القتل قال: صلاهما حبيب وحجر وهما فاضلان.

وقال الطبري عن مخلد، عن هشام: كان محمد إذا سئل عن الشهيد يغسل حدثهم حديث حجر.

وفي الأغاني، وتاريخي الطبري، وابن الأثير: ثم قال اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا وإن أهل الشام يقتلوننا! أما والله لئن قتلتموني بها فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها.

وفي الطبقات: فإن أهل العراق شهدوا علينا وأن أهل الشام قتلونا.

قال المرزباني: ثم أخذ ثوبه فتحزم به، ثم قال لمن حوله من أصحابه: لا تحلوا قيودي فإني أجتمع أنا ومعاوية على هذه المحجة.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن حسان بن هشام، عن ابن سيرين في تتمة الحديث السابق: ثم قال: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، وادفنوني في ثيابي، فإني مخاصم، فقتل..

قال هشام: كان محمد بن سيرين إذا سئل عن الشهيد ذكر حديث حجر.

وروى الحاكم في المستدرك أيضاً بسنده عن محمد بن سيرين، قال حجر بن عدي: لا تغسلوا عني دماً ولا تطلقوا عني قيداً، وادفنوني في ثيابي فإنا نلتقي غداً بالجادة..

وفي **الاستيعاب**: ثم قال لمن حضر من أهله: لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً، فإني ملاق معاوية على الجادة.

وروى **ابن سعد في الطبقات**، بسنده عن محمد قال: لما أتي بحجر فأمر بقتله قال: ادفنوني في ثيابي فإني أبعث مخاصماً.

وفي **الإصابة في تتمة** رواية أحمد في الزهد، والحاكم في المستدرك، من طريق ابن سيرين فقال: لا تطلقوا عني حديداً ولا، تغسلوا عني دماً، فإني ملاقٍ معاوية بالجادة وإني مخاصم.

وفي **أسد الغابة قال**: لا تنزعوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ملاقٍ معاوية على الجادة.

وفي **تاريخ دمشق**: فقال حجر لأصحابه: إن قتلني معاوية لا تفكوا قيودي وادفنوني بها، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألقى معاوية بذلك غداً، وقال الطبري ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة.

وروى **الحاكم في المستدرك**، بسنده عن أبي مخنف: أن هدبة بن فياض الأعور أمر بقتل حجر بن عدي فمشى إليه بالسيف فارتعدت فرائصه، فقال: يا حجر! أليس زعمت إنك لا تجزع من الموت، فإنا ندعك وأبرأ من صاحبك.

فقال: وما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله لا أقول ما يسخط الرب فقتله، وذلك في شعبان سنة ٥١.

وقال **أبو الفرج، والطبري**، وابن الأثير: فمشى إليه هدبة بن الفياض الأعور بالسيف فارتعدت فصائله (فأرعدت خصائله) فقالوا: زعمت إنك لا تجزع من الموت، فإنا ندعك فأبرأ من صاحبك.

فقال: ما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله.

وقال **المرزباني**: ثم مشى إليه هدبة الأعور بالسيف فشخص إليه حجر، فقال: ألم تقل إنك لا تجزع من الموت؟

فقال: أرى كفناً منشوراً، وقبراً محفوراً، وسيفاً منشوراً، فما لي لا أجزع وأما والله لئن جزعت لا أقول ما يسخط الرب.

فقال له: فابرأ من علي وقد أعد لك معاوية جميع ما تريد إن فعلت.

فقال: ألم أقل لك إني لا أقول ما يسخط الرب، ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه فضربت عنقه.

فقيل له: تعجلت الثكل.

فقال: خفت أن يرى ولدي هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية أمير المؤمنين علي. ولم يذكر قتل ولده غير المرزباني.

قال ابن سعد: فقيل لحجر مد عنقك.

فقال: إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه فقدم فضربت عنقه.

وقال المرزباني: قيل لما قدم ليقتل قيل له: مد عنقك.

فقال: ما كنت لأعين الظالمين.

قال أبو الفرج والطبري: وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر.

وقال ابن الأثير: فقتلوه (أي حجر) وقتلوا ستة.

فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي، وكريم بن عفيف الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه فقال: ائتوني بهما.

قال الطبري: ولما حمل العنزي والخثعمي إلى معاوية قال العنزي لحجر: يا حجر لا يبعدنك الله فنعم أخو الإسلام كنت.

وقال الخثعمي: لا تبعد ولا تفقد فقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم ذهب بهما وأتبعهما حجر بصره وقال: كفى بالموت قطاعاً لحبل القرائن.

وقال المرزباني: فلما حمل عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي وكانا من أصحاب حجر.

قال العنزي: يا حجر لا تبعد ولا يبعد ثوابك (مثواك) فنعم أخو الإسلام كنت.

وقال الخثعمي: يا حجر لا تبعد ولا تفقد فلقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم ذهب بهما إلى القتل فأتبعهما حجر بصره وقال:

[البحر الطويل]

كفى بشفاه[1] القبر بعداً لهالك وبالموت قطاعاً لحبل القرائن

وفي هذا المقام أمور تستدعي النظر:

أولاً: إن قول صاحب الأغاني والطبري: فأقبلوا يقتلونهم حتى قتلوا ستة، فقال عبد الرحم الخ.

يدل على أن الستة غير حجر لقوله بعد ذلك: فالتفتنا إلى حجر، فيكون المقتولون سبعة، حجر والستة الذين معهم ومنهم ولده همام، وإذا أضيف إليهم عبد الرحمن بن حسان الذي دفنه زياد حياً كانوا ثمانية.

ثانياً: قول ابن الأثير: فقتلوه وقتلوا ستة فقال عبد الرحمن الخ..

يدل على أن قتل حجر قبل قول عبد الرحمن، والحال أنه بعده كما يدل عليه خطابهما لحجر.

ثالثاً: قول المرزباني: ثم ذهب فإنه إنما ذهب بهما إلى معاوية كما قال أبو الفرج والطبري، وكما يدل عليه قوله: فأتبعهما حجر بصره، فإنه يدل على أنه ذهب بهما إلى بعيد، وقتلهم إنما كان في مكان واحد.

---

(١) الذي في الأغاني بشفاة بالشين المعجمة والهاء المنقوطة، وفي نسخة مخطوطة من كتاب المرزباني بسفاه بالسين المهلمة والهاء المنقوطة وكلاهما تصحيف، والصواب بشفاه بشين معجمة وهاء غير منقوطة مصدر من مشافهة وشفاها إذا دنى إليه فقد جعل دنو القبر بعداً «المؤلف».

رابعاً: المرزباني يقول: إن المتمثل بالبيت هو حجر وأبو الفرج والطبري يقولان: إن المتمثل به هو العنزي.

قال أبو الفرج، والطبري، وابن الأثير فلما دخلا على معاوية قال الخثعمي: الله الله يا معاوية فإنك من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا وفيم سفكت دماءنا.

فقال له معاوية: ما تقول في علي؟.

قال: أقول فيه قولك قال: أتتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به؟ فسكت - وهذا تصريح من معاوية بأنه هو يتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به، والذي يظهر لي إنه إنما طلب منه هذه البراءة بهذ اللفظ الفظيع لاعتقاده أنه لا يتبرأ فيقول: لا، فيجد سبيلاً إلى قتله، وقد علم هو ذلك فسكت.

أما قول الطبري بعد قوله: فسكت وكره معاوية أن يجيبه خلاف الظاهر، فإنه لو كان يريد العفو عنه ويكره أن يجيبه خلاف الظاهر، فإنه لوكان يريد العفو عنه، ويكره أن يجيبه بلا الموجبة لقتله عنده لما شدد عليه بهذه العبارة السيئة التي هي كفر صريح - قال: وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك غير أني حابسه شهراً فحبسه ثم أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان، فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر.

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان العنزي فقال له: يا أخا ربيعة ما تقول في علي؟.

قال: دعني ولا تسألني فهو خير لك!.

قال: والله لا أدعك حتى تخبرني عنه.

قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف (بالحق والقائمين بالقسط) والناهين عن المنكر والعافين عن الناس.

قال: فما تقول في عثمان؟.

قال: هو أول من فتح أبواب الظلم وأرتج أبواب الحق.

قال: قتلت نفسك.

قال: بل إياك قتلت ولا ربيعة بالوادي - يعني أنه ليس ثمة أحد من قومه فيتكلم فيه - فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها وأقتله شر قتلة، فبعث به زياد إلى قس الناطف فدفنه به حياً - وقس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي - قال المرزباني: لما اجتمع إلى حجر أصحابه لتوديعه قال:

[البحر الطويل]

فمن لكمُ مثلي لدى كل غارة ... ومن لكمُ مثلي إذا البأس أصحرا

ومن لكمُ مثلي إذا الحرب قلصت ... وأوضع فيها المستميت وشمرا

- هكذا أورد المرزباني هذين البيتين ونسبهما لحجر بن عدي، وقد وجدتهما من جملة قصيدة لعبد الله بن خليفة الطائي بعدما هرب إلى جبلي طيء، يرثي بها حجراً، ويخاطب عدي بن حاتم ليسعى في رجوعه، وستأتي الأبيات المختصة منها برثاء حجر وأصحابه عند ذكر مراثيه.

وفي الدرجات الرفيعة: وفي رواية أن معاوية كتب إلى الموكل بهم[1] أعرض على حجر وأصحابه، وكانوا ثمانية، ليتبرأوا من علي فقالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن بريء منه، فحفرت لهم قبورهم ونشرت أكفانهم.

فقال حجر: يكفنوننا كأنا مسلمون ويقتلوننا كأنا كافرون. وعرض عليهم البراءة عدة دفعات فلم يفعلوا فقتلوا «اهـ».

عدد أصحاب حجر المأخوذين معه وأسماؤهم

في الأغاني: جمع زياد من أصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلاً في السجن وأتبعهم برجلين فكانوا أربعة عشر رجلاً.

(١) الذي في الأصل كتب إلى زياد، ولكن هذا الكلام يناسب أن يكون كتب به إلى الموكل بهم لا إلى زياد.

وقال ابن سعد في الطبقات: كانوا ثلاثة عشر رجلاً، فقتل سبعة ونجا ستة أو قتل ستة ونجا سبعه.

قال المرزباني كما مر: أنفذه في أناس من أصحابه وكانوا ثلاثة عشر رجلاً.

وفي الاستيعاب: بعث زياد إلى معاوية بحجر في اثني عشر رجلاً كلهم في الحديد فقتل معاوية منهم ستة واستحيا ستة، وكان حجر ممن قتل.

وفي أسد الغابة: فقتل حجر وستة معه وأطلق ستة.

وقال الطبري وابن الأثير: كانوا أربعة عشر رجلاً، وهذه أسماؤهم على ما في الأغاني، وتاريخ الطبري.

١ - حجر بن عدي الكندي.

٢ - الأرقم بن عبد الله الكندي.

٣ - شريك بن شداد الحضرمي.

٤ - صيفي بن فسيل الشيباني.

٥ - قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي.

٦ - كريم بن عفيف الخثعمي.

٧ - عاصم بن عوف البجلي.

٨ - ورقاء بن سمي البجلي.

٩ - كدام بن حيان العنزي.

١٠ - عبد الرحمن بن حسان العنزي.

١١ - محرز بن شهاب التميمي المنقري.

١٢ - عبد الله بن حوْيه السعدي التميم، قال أبو الفرج والطبري وابن الأثير: وأتبعهم زياد برجلين مع عامر بن الأسود العجلي وهما:

١٣ - عتبة بن الأخنس من سعد بن بكر.

١٤ - وسعيد (سعد) بن نمران الهمداني الناعطي. فهؤلاء ١٤ رجلاً،

ومن ذلك يظهر أن الصواب كونهم ١٤ رجلاً لا ١٣ رجلاً إلا أن يراد ١٣ رجلاً غير حجر. وإذا أضفنا إليهم همام بن حجر كانوا ١٥.

أسماء من قتل منهم

في الأغاني: قال أبو مخنف عن رجاله، فكان من قتل منهم سبعة نفر، وكذلك في تاريخي الطبري وابن الأثير.

١ – حجر بن عدي الكندي.

٢ – شريك بن شداد الحضرمي.

٣ – صيفي بن فسيل الشيباني.

٤ – قبيصة بن ضبيعة العبسي.

٥ – محرز بن شهاب التميم السعدي ثم المنقري.

٦ – كدام بن حيان العنزي.

٧ – عبد الرحمن بن حسان العنزي الذي بعثه معاوية إلى زياد فدفنه حياً.

قال ابن الأثير: فهؤلاء السبعة قتلوا ودفنوا وصلى عليهم، وإذا أضفنا إليهم ابن حجر كانوا ثمانية.

وقال الشهيد فيما يأتي عنه كان اسم ابن حجر الذي قتل معه همام.

في الدرجات الرفيعة: قال شيخنا الشيخ محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول قدس الله روحه: الشهداء الذين بعذراء دمشق الذين قتلهم معاوية بعد أن بايعوه وأعطاهم العهود والمواثيق، حجر بن عدي الكندي حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولده همام، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وصيفي بن فسيل، وشريك بن شداد الحضرمي، ومخرز بن شهاب السعدي، وكرام بن حيان العبدي كلهم في ضريح واحد في جامع عذراء.

قال الشيخ محمد بن مكي، أنشدني خادمهم هذه الأبيات:

[البحر البسيط التام]

جماعة بثرى عذراء قد دفنوا وهم صحاب لهم فضل وإعظام

حجر قبيصة صيفي شريكهم ومحرز ثم همام وكرام
عليهم ألف رضوان ومكرمة تترى تدوم عليهم كلما داموا

قال محمد بن مكي فزدت:

[البحر البسيط التام]

ومثلها لعنات للذي سفكوا دماءهم وعذاب بالذي ساموا

أقول: الذي في النسخة المنقول عنها من الدرجات كرام بالراء، ولا شك أنها كانت كذلك في نسخة الشهيد بدليل ما في الأبيات، وكأن الشهيد أخذ اسمه من الأبيات، والذي وجدناه في سائر الكتب كدام بالدال، ولعله هو الصواب وإن كان كل من كرام وكدام موجوداً في الأعلام العربية.

والذي في الدرجات الرفيعة: العبدي وفي غيره العنزي، وقول هذا الشاعر وهم صحاب إن أراد به أنهم صحابيون فليس بصواب إذ ليس فيهم من الصحابة غير حجر.

صفة مشهدهم بعذراء

وفي سنة ١٣٥١ ونحن بدمشق قصدنا عذراء لزيارة قبر حجر وأصحابه فوجدناهم مدفونين في ضريح، وعليهم قبة ببنيان محكم تظهر عليه آثار القدم في جانب مسجد واسع فيه منارة عظيمة قديمة، وقبتهم التي فيها ضريحهم الشريف مهملة مهجورة قد نسجت عليها العناكب، وتراكمت فيها الأتربة، وليس في أرضها إلا تراب، وزيارتها متروكة عند أهل هذه البلاد، ولو كانت منسوبة لأحد المتصوفين أو من تدعى لهم الولاية وخوارق العادات والجذبة، أو كانوا من المجانين لكانت معظمة مخدومة مزورة، ويظهر من كلام الشهيد المتقدم إنها كانت في عصره مزورة.

ورأينا مكان صخرة كانت على باب القبة وقلعت وبقي محلها ظاهراً، ولا شك أنه كانت عليها كتابة كما أخبرنا بذلك بعض أهل القرية، وأرونا صخرة غيرها صغيرة مطروحة في أرض القبة مكتوبة بخط قديم لا تاريخ فيها، وهذه صورة ما كتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، سكان هذا الضريح أصحاب رسول الله ﷺ حجر بن عدي حامل راية رسول الله ﷺ، وصيفي بن فسيل

الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكدام بن حيان، ومحرز بن شهاب السعدي، وشريك بن شداد الحضرمي «اهـ». والصواب كما عرفت أنه ليس فيهم من الصحابة غير حجر[1].

المشهد المنسوب إليهم بمحلة مسجد القصب

ويوجد في مدينة دمشق محلة تسمى: (مز القصب) والظاهر أن (مز) محرف مسجد وإن اسم المحلة (محلة مسجد القصب)، لما ستعرف من أن هذا المسجد يسمى: مسجد القصب، وفيها جامع يسمى جامع السادات، ومسجد الأقصاب في مدخله ضريح عليه صندوق معلق على أحد جوانبه لوحة حفر عليها ما صورته: هذا مرقد سبعة من أصحاب رسول الله ﷺ حجر بن عدي الكندي، وصيفي بن أبي شكر الشيباني، وكدام بن حيان العبدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وقبيصة العبسي، ومحرز بن شهاب التميمي وثمامة بن عبد الله الزبيدي رضي الله عنهم سنة ١٢٦٢، ولا يعلم أحد ما هو أصل هذا المسجد المسمى بمسجد السادات نسبة إليهم ولا أصل هذا الضريح، ولم يذكر مؤرخ من المؤرخين أنهم دفنوا بدمشق بل كلهم قالوا: إنهم دفنوا بمرج عذراء، وكيف الجمع بين وجود ضريح لهم بعذراء وآخر بدمشق. ويدور على ألسنة العوام حديث لا يصح التعويل عليه، وهو أن هذا مدفن أقصابهم والله أعلم.

وقد ذكر هذا المسجد ابن عساكر في تاريخ دمشق، لكنه لم يشر إلى هذا الضريح الذي في مدخله بشيء، فقال عند تعداد المساجد التي في خارج دمشق في أرباضها مما ليس في قرية مسكونة: مسجد عند رأس زقاق سطراً يعرف بمسجد القصب على بابه قناة وهو قديم «اهـ».

والمظنون أنه هو هذا المسجد - على أن كاتب هذه اللوحة قد أخطأ في جعلهم من الصحابة إذ ليس غير حجر كما تقدم وثمامة الذي عده معهم ليس من أصحاب حجر ولا يعلم من هو، وصيفي بن فسيل سماه صيفي بن أبي شكر.

---

(١) يبدو أن بناء الضريح والقبة والمنارة كان في عهد من العهود الشيعية التي سادت بلاد الشام حيناً من الزمن، ثم أهمل البناء بعد ذلك «خ».

ويغلب على الظن إن كاتبها قد كتبها ليدعو الزائرين إلى زيارة ضريح لم يعلم من فيه، فنسبه إلى قوم معروفين ليرغب في زيارتهم وأضاف إليهم ثمامة. وقد يكون هذا الضريح لجماعة أخيار سواهم والله أعلم.

✍ أسماء من سلم منهم

قال أبو مخنف: ونجا منهم سبعة وهم:

١ - كريم بن عفيف الخثعمي، شفع فيه عبد الله بن ثمر الخثعمي كما مر.

٢ - عبد الله بن حوية التميمي، طلب فيه حبيب بن مسلمة فخلى سبيله.

٣ - عاصم بن عوف البجلي.

٤ - ورقاء بن سمي البجلي، قام يزيد بن أسد البجلي، فشفع فيهما وكان جرير بن عبد الله البجلي، قد كتب فيهما إلى معاوية يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما فقال معاوية ليزيد: هما لك.

٥ - أرقم بن عبد الله الكندي، طلب فيه وائل بن حجر فتركه.

٦ - عتبة بن أخنس السعدي من هوازن، طلب فيه أبو الأعور السلمي فوهبه له.

٧ - سعيد (سعد) بن نمران الهمداني، طلب فيه حمزة بن مالك الهمداني فوهبه له.

قال الطبري: ذهب بعقبة بن الأخنس وسعد بن نمران بعد حجر بأيام فخلى سبيلهما.

ومن ذلك يظهر أن الصواب أنه قتل سبعة ونجا سبعة.

قال الطبري، وابن الأثير: وقام مالك بن هبيرة السكوني فقال لمعاوية: دع لي ابن عمي حجراً فقال: إن ابن عمك رأس القوم، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد علي مصره فيضطرني غداً إلى أن أشخصك وأصحابك إليه بالعراق.

فقال: والله ما أنصفتني يا معاوية قاتلت معك ابن عمك بصفين حتى ظفرت ولم تخف الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فسطوت وتخوفت فيما زعمت عاقبة الدوائر، ثم انصرف فجلس في بيته مغضباً، واجتمع إليه قومه من كندة والسكون

وناس من اليمن كثير فقال: والله لنحن أغنى عن معاوية من معاوية عنا، وإنا لنجد من قومنا منه بدلاً، ولا يجد منا في الناس خلفاً، سيروا إلى هذا الرجل فلنخله من أيديهم، فأقبلوا يسيرون ولم يشكوا أنهم بعذراء لم يقتلوا، فاستقبلهم قتلتهم فلما رأوه في جمع ظنوا أنه إنما جاء ليخلص حجراً منهم، فقال لهم: ما وراءكم؟.

قالوا: ثاب القوم وجئنا لنخبر معاوية.

فسكت ومضى نحو عذراء، فاستقبله بعض من جاء منها وأخبره بأنهم قتلوا.

فقال: علي بالقوم وتبعتهم الخيل وسبقوهم حتى دخلوا على معاوية وأخبروه خبر مالك ومن معه فقال لهم: اسكنوا فإنما هي حرارة يجدها نفسه وكأنها قد طفئت.

ورجع مالك إلى منزله ولم يأت معاوية، فأرسل إليه معاوية فأبى أن يأتيه، فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم وقال قل له: إنه لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك، وأن حجراً لو بقي خشيت أن يكلفك وقومك الشخوص إليه، فقبلها ورضي.

✍ ما قاله أصحاب حجر بعد شهادته

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: لما قتل حجر اجتمع شيعته فقال بعضهم: أسأل الله أن يجعل قتله (يعني معاوية) على أيدينا.

فقال بعضهم: مه إن القتل كفارة، ولكننا نسأله تعالى أن يميته على فراشه.

✍ ما جرى بين الحسين عليه السلام وبين معاوية بشأن قتل حجر

في احتجاج الطبرسي، عن صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه، حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي عليهما السلام فقال: يا أبا عبد الله! هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟.

فقال: وما صنعت بهم؟.

قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم.

فضحك الحسين عليه السلام وقال: خصمك القوم يا معاوية، ولكنا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم - الحديث -.

ومر في أقوال العلماء فيه المكاتبة بين الحسين عليه السلام ومعاوية فيما يتعلق بقتل حجر.

ندم معاوية على قتل حجر حيث لا ينفعه

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال: ما وفد جرير قط إلا وفدت معه، وما دخل على معاوية إلا دخلت معه، وما دخلنا معه عليه إلا ذكر قتل حجر بن عدي.

قال المرزباني: قيل إن معاوية قال عند موته: أي يوم لي من حجر وأصحاب حجر يردد ذلك ويقول:

[البحر الخفيف]

أن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذابِ
أو تجاوز فأنت رب رحيم عن مسيء ذنوبه كالترابِ

ثم يقول: يومي من حجر بن عدي يوم طويل ويردد قوله ثم مات.

قال ابن عساكر: قال معاوية: ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف فيم قتلته، ما خلا حجراً فإني لا أعرف بأي ذنب قتلته.

وفي تاريخ الطبري، وابن الأثير: قال ابن سيرين: بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل.

وفي تاريخ الطبري: قال أبو مخنف: زعموا أن معاوية قال عند موته: يوم لي من ابن الأدبر طويل، ثلاث مرات يعني حجراً.

وفي الدرجات الرفيعة: ذكر كثير من أهل الأخبار: إن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت ويقول: إن يومي منك يا حجر بن عدي لطويل.

وفي كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي أبي علي محسن بن القاسم، من نسخة مخطوطة قال: ذكر أبو الحسين المدايني في كتاب الفرج بعد الشدة

والضيقة، عن عبد الله بن عمير قال: كتب معاوية إلى زياد أنه قد ثلج في صدري شيء من أمر حجر بن عدي فابعث إلي رجلاً من أهل المصر له فضل ودين وعلم، فدعا عبد الرحمن بن أبي ليلى، فقال له: إن أمير المؤمنين كتب إلي يأمرني أن أوجه إليه برجل من أهل المصر له دين وفضل وعلم ليسأله عن حجر بن عدي فكنت عندي ذلك الرجل فإياك أن تقبح له رأيه في حجر فأقتلك، وأمر له بألفي درهم وكساه حلتين وحمله على راحلتين.

قال عبد الرحمن: فسرت وما في الأرض خطوة أشد عليَّ من خطوة تدنيني إلى معاوية، فقدمت بابه فاستأذنت فدخلت، فسألني عن سفري وما خلفت من أهل المصر وعن خبر العامة والخاصة، ثم قال لي: انطلق فضع ثياب سفرك والبس الثياب التي لحضرك وعد، فانصرفت إلى منزل أنزلته ثم رجعت إليه فذكر حجراً فقال: أما والله لقد تلجلج في صدري منه شيء ووددت أن لم أكن قتلته.

قلت: وأنا والله يا معاوية وددت أنك لم تقتله، فبكى ثم قلت: والله لوددت إنك حبسته.

فقال لي: وددت أني كنت فرقتهم في كور الشام فيكفينيهم الطواغيت. قلت: وددت ذلك.

فقال لي: كم أعطاك زياد؟.

قلت: ألفين وكساني حلتين وحملني على راحلتين.

قال: فلك مثل ما أعطاك، أخرج إلى بلدك فخرجت وما في الأرض شيء أشد علي من أمر يدنيني من زياد مخافة منه فقلت: آتي اليمن ثم فكرت فقلت: لا أخفى بها فأجمعت على أن آتي بعض عجائز الحي فأتوارى عندها إلى أن يأتي الله بالفرج قال: وقدمت الكوفة فأمر بجهينة حين طلع الفجر ومؤذنهم يؤذن فقلت: لو صليت، فنزلت فصرت في المسجد حتى أقام المؤذن ولما قضينا الصلاة إذا رجل في مؤخر الصف يقول: هل علمتم ما حدث البارحة؟.

قالوا: وما حدث؟.

قال: مات الأمير زياد فما سررت بشيء كسروري بذلك «اهـ».

✍ أول ذل دخل الكوفة

أسند **الطبري** من طريق أبي مخنف، عن أبي إسحاق: أدركت الناس وهم يقولون: أن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي، وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد، وأرسله ابن الأثير في تاريخه مثله.

✍ متى ذل الناس

روى **أبو الفرج** في مقاتل الطالبيين، بسنده عن عمرو بن بشير الهمداني، قلت لأبي إسحاق السبيعي متى ذل الناس؟.

قال: حين مات الحسن عليه السلام وادعي زياد، وقتل حجر بن عدي.

✍ ما فعلته وقالته أم المؤمنين بشأن حجر

في **طبقات ابن سعد الكبير** أنه بلغ عائشة الخبر - يعني بأخذ حجر وأصحابه - فبعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم.

فقدم عبد الرحمن على معاوية برسالة عائشة وقد قتلوا، فقال: يا أمير المؤمنين أين عزب عنك حلم أبي سفيان.

فقال: غيبة مثلك عني من قومي.

قال: والله لا بعد لك العرب حلماً بعد هذا أبداً ولا رأياً: قتلت قوماً بعث بهم إليك أسارى من المسلمين.

قال: فما أصنع كتب إلي فيهم زياد يشدد أمرهم ويذكر أنهم سيفتقون عليَّ فتقاً لا يرقع، ثم قدم معاوية المدينة فدخل على عائشة فكان أول ما بدأته به قتل حجر في كلام طويل جرى بينهما ثم قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا «اهـ».

وفي رواية أن عائشة قالت له: أين كان حلمك عن حجر بن عدي؟.

فقال: يا أم المؤمنين لم يكن يحضرني رشيد.

وفي الاستيعاب، روينا عن أبي سعيد المقبري قال: لما حج معاوية جاء

المدينة زائراً فاستأذن على عائشة فأذنت له، فلما قعد قالت له: يا معاوية! أأمنت أن أخبىء لك من يقتلك بأخي محمد؟.

فقال: بيت الأمان دخلت.

قالت: يا معاوية! أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟.

قال: إنما قتلهم من شهد عليهم.

ورواه الطبري مثله، عن أبي سعيد المقبري، من طريق أبي مخنف.

قال: وعن مسروق بن الأجدع: سمعت عائشة أم المؤمنين تقول: أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس، أما والله إن كانوا لجمجمة العرب عزاً ومنعة وفقها! لله در لبيد:

[البحر الطويل]

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خلَفٍ كجلد الأجربِ

لا ينفعون ولا يُرَجّى خيرُهم ويُعاب قائلُهم وإنْ لم يشغُبِ

وأسند الطبري في تاريخه من طريق أبي مخنف، وذكره ابن الأثير قال: كانت عائشة تقول: لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر؟ أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً - وحجر كان في حرب الجمل، فهل كانت أم المؤمنين لو ظفرت به فاعلة به دون فعل معاوية؟ وهل كان ذنبه إلى معاوية؟ الله أعلم.

ثم إن عبد الرحمن رسول أم المؤمنين غاية ما كان عنده في عتاب معاوية أن قال له: أين عزب عنك حلم أبي سفيان، وأن العرب لا تعدله حلماً بعد هذا ولا رأياً، ولو كان نافذ البصيرة صادق اليقين لقال له: بماذا استحللت دماء حجر وأصحابه أبأنهم لم يبرأوا من علي بن أبي طالب ودينه الذي يدين الله به وهل هذا يحل لك دماءهم.

ولكن ذلك يدل على فساد الزمان وأهله وإذا فسد الرأس فسد الجسد، ولا أعجب من قوله لأم المؤمنين: «فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا» أفتراه يظن أن له حجة أو عذراً عند ربه، وكان على أم المؤمنين أن لا تأذن له في الدخول

ليكون أروع في إنكار المنكر، وهي قادرة على ذلك، وهو لا يستطيع أن ينالها بسوء، وكلامها معه المتقدم عن الاستيعاب، هو إلى المطايبة أقرب منه إلى التوبيخ والمعاتبة.

✍ بكاء ابن عمر على حجر

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن نافع قال: لما كان ليالي بعث حجر إلى معاوية جعل الناس يتخبرون ويقولون: ما فعل حجر، فأتى خبره ابن عمر وهو محتبٍ في السوق، فأطلق حبوته ووثب وانطلق فجعلت أسمع نحيبه وهو مولٍّ.

وفي الإصابة: روى ابن أبي الدنيا، والحاكم، وعمرو بن شبة، من طريق ابن عون، عن نافع قال: لما انطلق بحجر بن عدي كان ابن عمر يتخبر عنه، فأخبر بقتله وهو بالسوق، فأطلق حبوته وولى وهو يبكي.

وفي الاستيعاب، وأسد الغابة، بالإسناد عن نافع: كان ابن عمر في السوق فنعي إليه حجر، فأطلق حبوته وقام وقد غلبه النحيب.

✍ قول الحسن البصري في قتل حجر

أسند الطبري، عن أبي مخنف، عن الصعقب بن الزهير، عن الحسن، ورواه ابن أبي الحديد، عن الزبير بن بكار في الموفقيات، وحكاه في الدرجات الرفيعة، عن الزبير بن بكار، عن رجاله، عن الحسن البصري، وقال ابن بي الحديد: رواه الناس ممن عني بنقل الآثار والسير عن الحسن البصري.

أقول: وذكره ابن الأثير في تاريخه، عن الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كن في معاوية لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة:

١ - انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء (بالسيف) حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة.

٢ - واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير.

٣ - وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٤ - وقتله حجر بن عدي وأصحابه فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر، مرتين «اهـ».

ورواه المرزباني نحوه مع بعض التفاوت، قال المرزباني: قال الحسن البصري أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة كانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء وفيها بقايا الصحابة وذوو الفضل، وادعاؤه زياداً، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر، واستخلافه يزيد من بعده سكيراً خميراً يزوج بين الدب والذئب والكلب والضبع ينظر ما يخرج بينهما، وقتله حجر بن عدي وأصحابه فيا ويله ثم يا ويله.

وأسند في الاستيعاب، أن الحسن البصري قال، وقد ذكر معاوية: وقتله حجراً وأصحابه، ويل لمن قتل حجراً وأصحاب حجر.

وفي أسد الغابة: كان الحسن البصري يعظم قتل حجر وأصحابه.

وقال الطبري، وابن الأثير: حجر وأصحابه سبعة قتلوا وكفنوا وصلي عليهم.

قال: فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حجر وأصحابه، قال: صلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة؟.

قالوا: نعم.

قال: حجوهم ورب الكعبة.

دعاء الربيع عامل معاوية على نفسه بالموت لما بلغه قتل حجر

في الاستيعاب: لما بلغ الربيع بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب، وكان فاضلاً جليلاً، وكان الحسن بن أبي الحسن كاتبه، فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عدي دعا الله عز وجل فقال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات «اهـ».

ونحوه في أسد الغابة، وفي الدرجات الرفيعة: روى الشيخ في الأمالي قال: أخبرنا محمد بن محمد، أخبرني أبو الحسن علي بن مالك النحوي، حدثنا الحسين بن عطاء الصواف، حدثنا محمد بن سعيد البصري[1] قال: كنت غازياً زمن معاوية بخراسان وكان علينا رجل من التابعين فصلى بنا يوماً الظهر ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنه قد حدث في الإسلام حدث عظيم لم يكن منذ قبض الله نبيه ﷺ مثله، بلغني أن معاوية قتل حجراً وأصحابه، فإن يك عند المسلمين غير فسبيل ذلك، وإن لم يكن عندهم غير فاسأل الله أن يقبضني إليه وأن يعجل ذلك.

قال الحسن بن أبي الحسن: فلا والله ما صلى بنا صلاة غيرها حتى سمعنا عليه الصياح «اهـ» والظاهر أنه هو الربيع بن زياد الحارثي المتقدم.

وكان حجر بن عدي فيما رواه أبو مخنف من جملة الذين كتبوا إلى عثمان من رجال أهل الكوفة ونساكهم وذوي بأسهم، ينقمون عليه أمور وينصحونه وينهونه عنها، وكانوا اثني عشر رجلاً فيهم: عمرو بن الحمق الخزاعي، وسليمان بن صرد الخزاعي، ويزيد بن قيس الهمداني الأرحبي، ومالك بن حبيب اليربوعي، وزياد بن النضر الحارثي، وزياد بن خصفة التميمي، وعبد الله بن الطفيل العامري، ومعقل بن قيس اليربوعي، وذلك في إمارة سعيد بن العاص على الكوفة، وأرسلوا الكتاب مع أبي ربيعة العنزي.

✍ ما روي من طريق حجر

في الإصابة: روى ابن قانع في ترجمته - أي ترجمة حجر بن عدي الكندي، من طريق شعيب بن حرب، عن شعبة، عن أبي بكر بن حفص، عن حجر بن عدي رجل من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ، قال: إن قوماً يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها «اهـ».

---

(١) هكذا في نسخة الأمالي المطبوعة. وفي الدرجات الرفيعة: روى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده عن عطاء بن مسلم، عن أبي الحسن البصري قال: كنت غازياً الخ، ومن ذلك يظهر أن في نسخة الأمالي المطبوعة نقصاً.

وفي الطبقات بسنده عن غلام لحجر بن عدي الكندي قال: قلت لحجر إني رأيت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ.

قال: ناولني الصحيفة من الكوفة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما سمعت علي بن أبي طالب يذكر أن الطهور نصف الإيمان «اهـ».

وروى ابن عساكر في تاريخه عن حجر أنه قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: الوضوء نصف الإيمان.

ورواه العسكري بلفظ الطهور نصف الإيمان، وقال أبو عبيد شطر الإيمان.

وروى ابن عساكر في تاريخه أيضاً بإسناده إلى حجر بن عدي أنه قال: سمعت شراحيل بن مرة يقول: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: أبشر يا علي حياتك وموتك معي. وأسند الحاكم في المستدرك، عن مخشي بن حجر بن عدي، عن أبيه، أن نبي الله ﷺ خطبهم فقال: أي يوم هذا؟.

فقالوا: يوم حرام.

قال: فأي بلد هذا؟.

قالوا: بلد حرام.

قال: فأي شهر هذا؟.

قالوا: شهر حرام.

قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا كحرمة شهركم هذا كحرمة بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

ما رثي به حجر

قال المرزباني: قالت امرأة من كندة ترثيه، وفي طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري: قالت هند بنت زيد بن مخربة (مخرمة) الأنصارية، وكانت شيعية حين سير بحجر إلى معاوية ونحوه في تاريخ دمشق:

[البحر الوافر]

ترفع أيها القمر المنير ترفع[1] هل ترى حجراً يسير[2]

يسير إلى معاوية بن حرب[3] ليقتله كما زعم الخبير[4]

ألا يا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعير[5]

تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير[6]

وأصبحت البلاد له محولاً كأن لم يحيها يوماً مطير[7]

ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عديا وشيخنا في دمشق له زئير

يرى قتل الخيار عليه حتماً له من شر أمته وزير[8]

فإن تهلك فكل عميد[9] قوم إلى هلك من الدنيا يصير[10]

قال ابن عساكر: وتروى هذه الأبيات لأخت حجر بن عدي، رواه عبد الله بن الإمام أحمد، ولما رواه أبو بكر بن عياش قال: قاتلها الله ما أشعرها.

وفي مروج الذهب: لما صار حجر على أميال من الكوفة يراد به دمشق، أنشأت ابنته تقول: - ولا عقب له من غيرها:

[البحر الوافر]

ترفع أيها القمر المنير لعلك أن ترى حجرا يسير

---

(١) تبصر.
(٢) لعلك أن ترى حجراً يسير (مرزباني).
(٣) صخر (مرزباني والطبري).
(٤) الأمير (م ط).
(٥) هذا البيت ذكره المرزباني والطبري.
(٦) هذا آخر ما ذكره المرزباني.
(٧) مزن مطير (طبري).
(٨) هذا البيت ذكره الطبري وحده.
(٩) زعيم (ط).
(١٠) من الدنيا إلى هلك (ط) «المؤلف».

يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق وتأكل من محاسنه النسور
تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى علياً (عديا) وشيخاً في دمشق له زئير
لا يا ليت حجراً مات موتا ولم ينحر كما نحر البعير
فإن تهلك فكل عميد قوم إلى هلك من الدنيا يصير

وقال ابن عساكر: وقال قيس بن فهدان يرثيه - وهي في النسخة مغلوطة وأصلحناها بقدر الإمكان:

[البحر السريع]

يا حجر يا ذا الخير والحجر يا ذا الفضال (الفعال) ونابه الذكر
كنت المدافع عن ظلامتنا عند الظلوم ومانع الثغر
أما قتلت فأنت خيرهم في العسر ذي العصا وفي اليسر
يا عين بكي خير ذي يمن وزعيمها في العرف والنكر
فلأبكين عليك مكتئبا فلنعم ذو القربى وذو الصهر
يا حجر أمن المعتفين إذا رم الشتاء وقل من يقري
من لليتامى والأرامل إن حقن الربيع وضن بالوفر
أم من لنا بالحرب إن بعثت مستبسلاً يفري كما تفري
فسعدت ملتمس التقى وسقى قبرا أجنك مسبل القطر
كانت حياتك إذ حييت لنا عزاً وموتك قاسم الظهر
وتريشنا في كل نازلة نزلت بساحتنا ولا تبري
يا طول مكتأبي لقتلهم حجراً وطول حزازة الصدر
قد كدت أصعق جازعاً أسفاً وأموت من جزع على حجر
ولقد خذلت وقد قتلت ومن لم تشعبنه حوادث الدهر
فلذاك قلبي مسعر كمدا ولذاك دمعي ليس بالنزر
ولذاك نسوتنا حواسر يس تبكين بالإشراق والظهر

ولـذاك رهـطـي كـلـهـم أسـف ... جـم الـتـأوه دمـعـه يـذري

قال الطبري: وقالت الكندية ترثي حجراً، ويقال: بل قائلها الأنصارية المقدم ذكرها:

[البحر السريع]

دمـوع عـيـنـي ديـمـة تـقـطـر ... تـبـكـي عـلـى حـجـر ومـا تـفـتـر
لـو كـانـت الـقـوس عـلـى أسـره ... مـا حـمـل الـسـيـف لـه الأعـور

وقال عبد الله بن خليفة الطائي يرثي حجراً وأصحابه، من قصيدة ذكرها الطبري، وابن الأثير، وأورد ابن عساكر منها أبياتاً، وعبد الله هذا كان من أصحاب حجر وهرب إلى جبلي طيء:

[البحر الطويل]

تـذكـرت لـيـلـى والـشـبـيـبـة أعـصـرا ... وذكـر الـصـبـا يـرح عـلـى مـن تـذكـرا
وولـى الـشـبـاب فـافـتـقـدت غـضـونـه ... فـيـا لـك مـن وجـد بـه حـيـن أدبـرا
فـدع عـنـك تـذكـار الـشـبـاب وفـقـده ... وأسبابه إذ بان عنك فأقصرا (فأجمرا)
وابـكِ عـلـى الـخـلان لـمـا تـخـرمـوا ... ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعـتـهـم مـنـايـاهـم ومـن حـان يـومـه ... مـن الـنـاس فـاعـلـم أنـه لـن يـؤخـرا
أولـئـك كـانـوا شـيـعـة لـي ومـوئـلا ... إذا الـيـوم ألـفـى ذا احـتـدام مـذكـرا
ومـا كـنـت أهـوى بـعـدهـم مـتـعـلـلا ... بـشـيء مـن الـدنـيـا ولا إن أعـمـرا
أقول ولا أنسى أدكارهم (فعالهم) ... سـجـيـن الـلـيـالـي أو أموت فـأقـبـرا
عـلـى أهـل عـذراء الـسـلام مـضـاعـفـا ... من الله ولتسق الغمام الكنهورا[1]
ولاقـى بـهـا حـجـراً مـن الله رحـمـة ... قـد كـان أرضـى الله حـجـر وأعـذرا
ولا زال تـهـطـال مـلـث وديـمـة ... عـلـى قـبـر حـجـر أو يـنـادي فـيـحـشـرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها ... وللملك المعزى[2] إذا ما تغشمرا
ومـن صـادع بـالـحـق بـعـدك نـاطـق ... بـتـقـوى ومـن إن قـيـل بـالـجـور غـيـرا

---

(١) يسقيها الحساب الكنهورا.

(٢) أو الملك العادي.

فنعم أخو الإسلام كنت وإنني لأطمع أن تؤتى الخلود وتحبرا
فوقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه وتعرف معروفاً وتنكر منكرا
فيا أخوينا من هميم عصمتما ويسرتما للصالحات فأبشرا
ويا أخوتا من حضرموت وغالب وشيبان لقيتم حساباً ميسرا
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم حجاجاً لدى الموت الجليل واصبرا
سأبكيكم ما لاح نجم وغرد الـ حمام ببطن الواديين وقرقرا

قال الطبري: وقال عبيدة الكندي ثم البدي، وهو يعير محمد بن الأشعث بخذلانه حجرا:

[البحر الكامل]

أسلمت عمك لم تقاتل دونه فرقا ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا
لو كنت من أسد عرفت كرامتي ورأيت لي بيت الحباب شفيعا

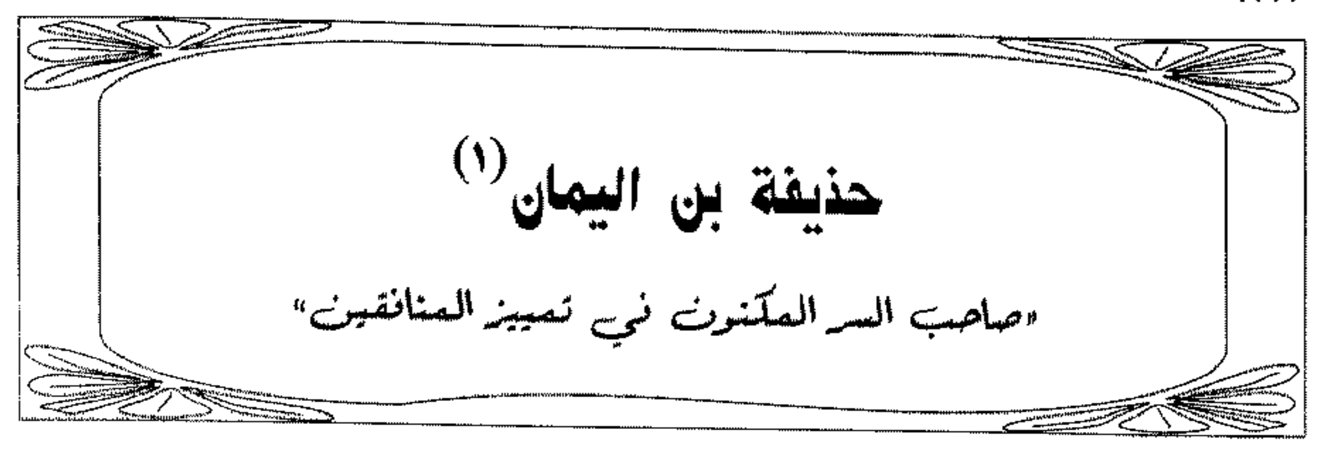
أقول: المراد بوافد آل بيت محمد: مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام.

مصادره:

إتقان المقال / ٣٧. أخبار شعراء الشيعة/ ٤٢ الأخبار الطوال/ ١٢٨، ١٤٥، الغاب ١/ ٣٨٥ وفيه: حجر بن عدي بن معاوية بن جبل. الاشتقاق/ ٣٦٤، ٤١٢، ٥٢٣. الإصابة ١/ ٣١٤. أعيان الشيعة ٤/ ٥٦٨. أنساب الأشراف ٣/ ٣٢. الأعلام ٢/ ١٧٦. الإمامة والسياس ١/ ١٢٥. البداي والنهاية ٧/ ٢٣٨ وج ٨/ ٤٩. بهجة الآمال ٣/ ٣٩. تاريخ الطبري ٥/ ٢٤٣ وج٦/ ١٤١. تحفة الأحباب/ ٥٣. تنقيح المقال ١/ ٢٥٦. جامع الرواة ١/ ١٨٠. الجرح والتعديل ٣/ ٢٦٦. جمهر أنساب العرب/ ٣٩٢، ٤٢٦. الجمل أو النصرة/ ٦٩، ١٣٨. خلاصة الأقوال/ ٥٩. الدرجات الرفيعة/ ٤٢٣. رجال ابن داود/ ٧٠. رجال الشيخ الطوسي/ ٣٨. رجال الكشي/ ١٠١. رجال البرقي/ ٦. سفينة البحار ١/ ٢٢٣. شاعرات العرب/ ٤٦٢ شذرات الذهب/ ٥٧. ابن أبي الحديد ١/ ١٤٥ و٢/ ٩٠ و٣/ ٨١ و٤/ ٢٧ و٥/ ١٣١ و٦/ ١٧ و٧/ ١٦٦ و٨/ ٥٢ و١٥/ ١٧٧ و١٦/ ١٥ و١٨/ ٣٠١. الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٧. العقد الفريد ٣/ ١٦٧ و٧/ ١٤٦. الغدير ١/ ١٤٩ و٥/ ٣٠٨ و٩/ ٤٥، ١١٧ . ١٢٠ و١٠/ ١٧٠ و١١/ ١٠ . ٨٦. الغارات ١/ ١٢٠، ١٢٤، ٣٠٢ و٢/ ٤١٦، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٠٠، ٤٨١، ٥٢٨، ٥٤٥، ٥٦٥، ٥٩٣، ٦٣٨، ٦٨٧، ٨٠٩، ٩٢٤. قاموس الرجال ٣/ ٨١. الكامل في التاريخ ٣/

٤٧٤ . ٤٨٨ و ٤/ ٦٣، ٢٢٧، ٢٤٤. اللباب ١/ ٢٥٧. مجمع الرجال ٢/ ٨٥. مرآة الجنان ١/ ١٢٥. مروج الذهب ٣/ ١٢. المعارف ٣/ ١٥١. منتهى المقال/ ٨٩. مجالس المؤمنين ١/ ٢٤٢. النجوم الزاهرة ١/ ١٤١. نقد الرجال/ ٨٣. وقعة صفين/ ١٠٣، ١١٧، ١١٩٥، ٢٠٥، ٢٤٣، ٣٨١، ٥٠٧.حذيفة بن اليمان «صاحب السر المحكنون في تمييز المنافقين».





حذيفة بن اليمان(١)

«صاحب السر المكنون في تمييز المنافقين»

وفاته ومدفنه:

حذيفة بن اليمان القطعي العبسي، أبو عبد الله حليف بني عبد الأشهل.

توفي بالمدائن في ٥ صفر سنة ٣٦، وذلك لما ستعرف من أنه توفي بعد بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام بأربعين يوماً، وكانت بيعته لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥.

وفي الاستيعاب: مات حذيفة سنة ٣٦، والأول أصح «اهـ».

وفي المستدرك للحاكم، بسنده عن عبد الله بن نمير قال: مات حذيفة سنة ٣٦، وقيل: إنه مات بعد عثمان بأربعين ليلة.

وبسنده عن محمد بن عمر - الواقدي - عاش حذيفة إلى أول خلافة علي سنة ٣٦، وزعم بعضهم أن وفاته كانت بالمدائن سنة ٣٥ بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة.

ثم روى بسنده عن محمد بن جرير قال: هذا القول - يعني وفاته سنة ٣٥ - خطأ وأظن لصاحبه، إما أن يكون لم يعرف الوقت الذي قتل فيه عثمان، وإما أن يكون لم يحسن أن يحسب، وذلك لأنه لا خلاف بين أهل السير كلهم، أن عثمان قتل في ذي الحجة من سنة ٣٥ من الهجرة، وقالت جماعة منهم: قتل لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه، فإذا كان مقتل عثمان في ذي الحجة وعاش حذيفة بعده أربعين ليلة، فذلك في السنة التي بعدها «اهـ».

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦: فيها مات حذيفة بن اليمان، بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل.

وفي تاريخ بغداد، بسنده عن محمد بن سعد: جاء نعي عثمان وحذيفة

---

(١) أعيان الشيعة ج٧ ص٣٣٥، ح٤٠٥٨.

بالمدائن ومات حذيفة بها سنة ٣٦ اجتمع على ذلك محمد بن عمر - يعني الواقدي - والهيثم بن عدي، ثم روى بسنده عن بلال بن يحيى: عاش حذيفة بعد قتل عثمان أربعين ليلة.

وبسنده عن عمرو بن علي، ومحمد بن المثنى أبي موسى قالا: مات حذيفة بن اليمان بالمدائن سنة ٣٦ قبل قتل عثمان بأربعين ليلة.

وقولهما قبل قتل عثمان خطأ، لأن عثمان قتل في آخر سنة ٣٥«اهـ».

وفي تاريخ دمشق، قال أبو نعيم: مات حذيفة بعد قتل عثمان بن عفان.

وروي أنه عاش بعده أربعين ليلة، وأكثر الروايات أنه مات سنة ٣٦ وقيل: سنة ٣٥ والله أعلم «اهـ»(١).

---

(١) حذيفة بن اليمان بن جابر، أبو عبدالله العبسي. كان من وجهاء الصحاب وأعيانهم. وقد أثنى عليه الرجاليّون وأصحاب التراجم بمزايا ذكروها في كتبهم كقولهم: «كان من نجباء وكبار أصحاب رسول الله ﷺ، وقولهم: «صاحب سرّ النبي ﷺ»، وقولهم: «وأعلم الناس بالمنافقين». وأسرّ إليه رسول الله ﷺ أسماء المنافقين وضبط عنه الفتن الكائنة في الأُمّة إلى قيام الساعة.

لم يشهد بدراً، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد. كان أحد الذين ثبتوا على العقيدة. لم يصبر على تغيير «حقّ الخلاف» و «خلافة الحقّ» بعد وفاة رسول الله، ووقف إلى جانب عليّ عليه السلام بخطىً ثابتة.

كان حذيفة ممّن شهد جنازة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وصلّى على جثمانها الطاهر.

وليَ المدائن في عهد عمر وعثمان. وكان مريضاً في ابتداء خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

مع هذا كلّه لم يُطِق السكوت عن مناقبه وفضائله صلوات الله عليه، فصعد المنبر بجسمه العليل، وأثنى عليه وأبلغ الثناء، وذكره بقوله: «فوالله إنّه لعلى الحقّ آخراً وأوّلاً»، وقوله: «إنّه لخير من مضى بعد نبيّكم» وأخذ له البيعة، وهو نفسه بايعه أيضاً.

وأوصى أولاده مؤكّداً ألاّ يقصّروا في اتّباعه والسير وراءه، وقال لهم: فإنّه والله على الحقّ، ومن خالفه على الباطل». ثمّ توفّي بعد سبعة أيّام مضت على ذلك. وقيل: توفّي بعد أربعين يوماً.

الأمالي للطوسي عن حذيفة: ألا من أراد - والذي لا إلّه غيره - أن ينظر إلى أمير المؤمنين حقّاً حقّاً، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب، فوازِروه واتّبعوه وانصروه.

مروج الذهب: كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ستّ وثلاثين، فبلغه قتل عثمان وبيعة=

وفي مروج الذهب: كان حذيفة عليلاً بالكوفة[1] في سنة ٣٦، فبلغه قتل عثمان وبيعة علي، إلى أن قال: ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل: بأربعين يوماً «اهـ».

وفي طبقات ابن سعد، قال محمد بن عمر (الواقدي): مات حذيفة بالمدائن بعد قتل عثمان بن عفان وجاء نعيه وهو يومئذٍ بالمدائن، ومات بعد ذلك بأشهر سنة ٣٦ «اهـ».

وقبره بالمدائن مزور معروف كان قريباً من الشط، فخيف طغيان الماء عليه فنقل ترابه إلى مشهد سلمان في زماننا هذا، وعمل له ضريح وزرناه مرتين ثانيتهما في سنة ١٣٥٢.

ونقل الكفعمي في حاشية كتابه المعروف بالمصباح عن (تلخيص الآثار): أن قبره بالمدائن، ونقل عن جمال الدين بن داوود: أن حذيفة توفي بالكوفة «اهـ».

=الناس لعليّ، فقال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة، فوُضِع على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ وعلى آله، ثمّ قال:.

أيها الناس! إنّ الناس قد بايعوا عليّاً؛ فعليكم بتقوى الله، وانصروا عليّاً ووازِروه، فوالله إنّه لعلى الحقّ آخراً وأوّلاً، وإنّه لخير من مضى بعد نبيّكم ومن بقي إلى يوم القيامة.

ثمّ أطبق يمينه على يساره ثمّ قال: اللهمّ اشهد، إنّي قد بايعت عليّاً. وقال: الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم، وقال لابنَيه صفوان وسعد: احملاني، وكونا معه؛ فستكون له حروب كثيرة، فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه؛ فإنّه والله على الحقّ، ومن خالفه على الباطل. ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيّام.

الأمالي للطوسي عن أبي راشد: لمّا أتى حذيفة بيعة عليّ عليه السلام ضرب بيده واحدة على الأخرى وبايع له، وقال: هذه بيعة أمير المؤمنين حقاً، فوالله لا يُبايع بعده لواحد من قريش إلاّ أصغر أو أبتر يولي الحقّ استه.

مجمع الزوائد عن سيّار أبي الحكم: قالت بنو عبس لحذيفة: إنّ أمير المؤمنين عثمان قد قُتل، فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمّاراً. قالوا: إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً! قال: إنّ الحسدَ هو أهلك الجسد، وإنّما ينفركم من عمّار قربه من عليّ! فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعدَ ما بين التراب والسحاب، وإنّ عمّاراً لمن الأخيار، وهو يعلم أنّهم إن لزموا عمّاراً كانوا مع عليّ.

(١) كذا في النسخة وصوابه بالمدائن.

وابن داؤد، كما يأتي، لم يقل أنه توفي بالكوفة وإنما قال: إنه سكن الكوفة وتوفي بالمدائن، وكأن نسخته من رجال ابن داود كانت مغلوطة، نعم يظهر من المسعودي كما مر وليس بصواب.

نسبه

في الاستيعاب وأسد الغابة: أنه حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن لحارث بن قطيعة[1] ابن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان.

وفي تاريخ بغداد: حذيفة بن اليمان، واليمان لقب واسمه حسل ويقال: حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مازن، وقيل: اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن ربيعة بن قطيعة الخ.

وفي الطبقات الكبير لابن سعد: حذيفة بن اليمان وهو ابن حسيل[2] بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة، وهو اليمان بن الحارث بن قطيعة بن عبس.

وفي المستدرك للحاكم، بسنده عن محمد بن عمر قال: حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة، وجروة هو اليمان الذي ولده حذيفة.

وفي الإصابة: حذيفة بن اليمان العبسي، هو حذيفة بن حسيل، أو حسل المعروف باليمان بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس، فصاحبا الاستيعاب وأسد الغابة: قدما عمرو على ربيعة، وصاحبا الطبقات والمستدرك عكسا، وصاحب الإصابة أسقط ابن عمرو، ولعل إسقاطه من النساخ، والأربعة قالوا: جروة وهو وحده جعل بدله فروة، والظاهر أنه تصحيف من النساخ.

---

(١) في القاموس: قطيعة كجهينة بن عبس، وفي تاج العروس: النسبة إليه قطعي كجهني.
(٢) لعل صوابه وهو حسيل «المؤلف».

✍ من هو الملقب باليمان وسبب تلقيبه بذلك

دل كلام الطبقات المتقدم أن اليمان لقب لأبيه حسل ولجده جروة كليهما، وكذلك كلام الاستيعاب الآتي، وصاحب الإصابة ليس في كلامه المتقدم أن اليمان يلقب به جده، بل الذي صرح به أنه لقب أبيه وصاحب المستدرك وصرح في كلامه السابق بأن اليمان لقب جروة ولم يقل إنه يلقب به أبوه، لكن قوله الذي ولده حذيفة بظاهره غير صحيح، فإن حذيفة ليس ولد جروة إلا أن يريد من الولد الحفيد وربما كان في عبارته سقط من النساخ، فإن كون اليمان لقب أبيه متفق عليه وربما كان صوابها وجروة هو اليمان وهو لقب حسيل الذي ولده حذيفة أو نحو ذلك. وابن الأثير، كما يأتي جعل اليمان لقب أبيه، ونقل عن ابن الكلبي أنه لقب جده جروة.

(واليمان) نسبة إلى اليمن، وقياس النسبة فيه يمني، ولكنهم قالوا: يماني، ويمان بحذف ياء النسبة على خلاف القياس وكأنهم في يمان جعلوا الألف عوضاً عن ياء النسبة المحذوفة وربما قالوا: يمني على القياس.

أما سبب تلقيبه باليمان ففي الاستيعاب: إنما قيل لأبيه حسيل اليمان، لأنه من ولد اليمان جروة بن الحارث وكان جروة أيضاً يقال له: اليمان لأنه أصاب في قومه دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه: اليمان لأنه حالف اليمانية.

وفي أسد الغابة: اليمان لقب حسل بن جابر.

وقال ابن الكلبي: هو لقب جروة بن الحارث، وإنما قيل له ذلك - أي لجروة بن لأنه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه. اليمان، لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن.

وفي **المستدرك** بسنده عن الواقدي: جروة هو اليمان الذي ولده حذيفة، وإنما قيل: له اليمان لأنه أصاب في قومه دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه: اليمان لأنه حالف اليمانية «اهـ».

وفي **الإصابة**: كان أبوه قد أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه: اليمان، لكونه حالف اليمانية وتزوج والدة حذيفة فولد له بالمدينة.

وفي شذرات الذهب: سمي حذيفة بن اليمان لأن جده حالف بني عبد الأشهل وهم من اليمن «اهـ».

وفي تهذيب التهذيب: اسم اليمان حسيل، ويقال: حسل بن جابر العبسي حليف بني عبد الأشهل هرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه: اليمان لأنه حالف اليمانية «اهـ».

والاختلاف بين هذه الأقوال ظاهر بين، فصاحب الاستيعاب جعل اليمان لقباً لحسل ولجروة معاً وقال: إن الذي أصاب دماً هو جروة لا حسل، وإن سبب تلقيب جروة باليمان محالفته بني عبد الأشهل وهم من اليمن، وسبب تلقيب حسل باليمان كونه من أولاد جروة.

ويبعده أنه كيف لقب باليمان حسل وحده ولم يلقب به باقي أولاد جروة، وصاحب أسد الغابة جعل اليمان لقباً لحسل وجعل تلقيب جروة به حكاية عن ابن الكلبي، وابن حجر في الإصابة وتهذيب التهذيب قال: إن الذي أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسمي اليمان هو حسيل أبو حذيفة لا جده جروة. والحاكم - إن لم يكن في عبارته سقط كما مر - يلوح من كلامه أن الذي يلقب باليمان هو جروة فقط لا حسل، وأن حذيفة يقال له: ابن اليمان لأنه من أولاد جروة، وصاحب الشذرات كلامه كالصريح في ذلك.

ولا يبعد أن يكون هذا الأخير هو الصواب وأن تكون نسبة حذيفة إلى اليمان نسبة إلى جده لا إلى أبيه، فحيث أن في أجداده من له نسبة غريبة وهي اليمان، قيل: حذيفة بن اليمان ونسب حذيفة إلى اليمان دون باقي آبائه لتكرر ذكره وذكر أحواله، فاحتيج إلى تمييزه بلقب لأحد أجداده مشهور، أما أن أباه حسل يلقب باليمان فتوهم نشأ من قولهم: حذيفة بن اليمان فتوهم أن اليمان، لقب أبيه حسل وكذلك كون أبيه حسل، أصاب دماً في الجاهلية فهرب إلى المدينة نشأ من ذلك، وإلا فالذي جرى له هذا هو جده جروة لا أبوه حسل نعم كون أبيه حسل تزوج بالمدينة من بني عبد الأشهل فولد له منها حذيفة هو صواب والله أعلم.

✍ **كنيته**

اتفق الكل على أنه يكنى أبا عبد الله، وروى الحاكم في المستدرك، بسنده إلى ربعي بن خراش قال: جاء رجل إلى حذيفة فقال: يا أبا عبد الله.

✍ **أبوه**

يسمى أبو حسل بحاء مهملة مكسورة وسين مهملة ساكنة، أو حسيل مصغراً ويلقب باليمان، كما مر.

وفي رجال بحر العلوم: شهد حذيفة أحداً هو وأبوه حسل أو حسيل بن جابر بن اليمان، وقتل أبوه يومئذٍ المسلمون خطأ يحسبونه العدو، وحذيفة يصيح بهم فلم يفقهوا قوله، حتى قتل فلما رأى حذيفة أن أباه قد قتل استغفر للمسلمين فقال: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزاده خيراً «اهـ».

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن عروة قال: قتل أبوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد أخطأ المسلمون به يومئذٍ فحسبوه من المشركين فطفق حذيفة يقول: أبي أبي فلم يفهموه حتى قتلوه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودي.

وفي تاريخ دمشق: قال البرقي قتل أبوه يوم أحد قتله المسلمون ولم يعرفوه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين.

وقال عروة بن الزبير: إن حذيفة وأباه لما كانا في غزوة أحد أخطأ المسلمون فجعل حذيفة يقول: إنه أبي إنه أبي فلم يفقهوا قوله حتى قتلوه.

فقال حذيفة عند ذلك: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً.

✍ **أمه**

في الاستيعاب أمه امرأة من الأنصار من الأوس من بني عبد الأشهل، اسمها الرباب كعب بن عدي بن عبد الأشهل ونحوه في الطبقات وتاريخ بغداد.

أولاده

كان له من الأولاد سعد أو سعيد وصفوان، وسيأتي عند ذكر خطبته وبيعته علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إن المسعودي حكى عنه أنه قال لابنيه صفوان وسعيد: احملاني وكونا مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل، واستشهد ولداه صفوان وسعد مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفين.

وقال **المسعودي** في أخبار صفين بعدما ذكر شهادة هاشم المرقال: واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان.

وفي الاستيعاب: قتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفين، وكانا قد بايعا علياً بوصية أبيهما بذلك إياهما.

وفي رجال بحر العلوم: أوصى حذيفة ابنيه سعيداً وصفوان بلزوم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه، فكانا معه بصفين وقتلا بين يديه رضي الله عنهما وعن أبيهما. ولكن المسعودي نفسه ذكر في أخبار التوابين: أنه أتاهم مدداً سعد بن حذيفة في أهل المدائن، وكذلك ابن الأثير ذكر في أخبار التوابين أنه جاءهم من أخبر بمسير سعد بن حذيفة في ١٧٠ من المدائن لإنجادهم.

وهذا يدل على أن سعداً لم يقتل بصفين وبقي بعدها زماناً طويلاً، ويمكن أن يكون له من الأولاد سعد وسعيد أحدهما قتل مع صفوان بصفين، والثاني بقي إلى أيام التوابين والله أعلم.

صفته

في مسند أحمد، بسنده عن خالد بن خالد اليشكري قال: قدمت الكوفة فدخلت المسجد فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال حسن الثغر.

الصدع: كجبل المتوسط في خلقه لا صغير ولا كبير، قاله الزمخشري في الفائق في تفسير الحديث.

مؤاخاته

في ذيل المذيل للطبري: ذكر ابن عمر، عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان «اهـ».

في السيرة الحلبية أن ذلك كان بعد الهجرة.

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فقال: حذيفة بن اليمان أبو عبد الله سكن الكوفة ومات بالمدائن بعد بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً.

وذكره أصحاب علي عليه السلام فقال: حذيفة بن اليمان العبسي عداده في الأنصار وقد عد من الأركان الأربعة «اهـ».

وعده الكفعمي في حواشي كتابه المعروف بالمصباح أحد الأركان الأربعة.

وفي رجال ابن داود: حذيفة بن اليمان العبسي أبو عبد الله ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وفي أصحاب علي عليه السلام، شهد بدراً واحداً، أحد الأركان الأربعة، سكن الكوفة ومات بالمدائن بعد بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً.

وفي الخلاصة: حذيفة بن اليمان عداده في الأنصار، أحد الأركان الأربعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام «اهـ».

الأركان الأربعة

في تكملة الرجال: تكرر من الشيخ أن أركان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة، فذكر في ترجمة جندب بن جنادة - أعني أبا ذر - أنه أحدها، وفي ترجمة سلمان الفارسي في أصحاب علي عليه السلام أنه أول الأركان الأربعة، وفي ترجمة عمار بن ياسر أنه رابع الأركان، وفي ترجمة المقداد أنه ثاني الأركان الأربعة، وفي ترجمة حذيفة أنه قد عد من الأركان الأربعة، والمصنف - صاحب نقد الرجال - لما عدهم في ترجمة جندب بن جنادة أسقط عماراً منهم، فيظهر من الشيخ وقوع الخلال في عد حذيفة من الأركان الأربعة، فلا بد أن يكون من يعده منهم مسقطاً لغيره، لأن الظاهر ولم يذكر الشيخ البدل المقابل، فيكون الخلاف واقعاً في اثنين، اللهم إلا أن يكون من يعد حذيفة منهم يعدهم خمسة، ولم أجد

فيما روي فيهم من الأخبار تسميتهم بالأركان ولعل هذا اصطلاح من المحدثين من حيث أنهم فاقوا جميع الصحابة بالفضل والتمسك بأهل البيت والمواساة لهم ظاهراً وباطناً «اهـ».

وقال الكفعمي في حواشي كتابه المعروف بالمصباح: الأركان الأربعة: هم حذيفة، وأبو ذر، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود «اهـ». فأسقط عماراً وجعل بدله حذيفة.

روايات الكشي في حقه

روى الكشي في ترجمة سلمان الفارسي، عن جرائيل بن أحمد الفاريابي البرناني، حدثني الحسين بن خرذاذ، حدثني ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون: منهم سلمان الفارسي والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة رحمة الله عليهم.

وكان علي عليه السلام يقول: وأنا إمامهم، وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السلام.

وقال في ترجمة حذيفة: حدثنا ابن مسعود، أخبرني أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن فضال، حدثني محمد بن الوليد البجلي، حدثني العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ذكر أن حذيفة لما حضرته الوفاة، وكان آخر الليل، قال لابنته: أي ساعة هذه.

قالت: آخر الليل.

قال: الحمد لله الذي بلغني هذا المبلغ ولم أوال ظالماً على صاحب حق، فبلغ زيد بن عبد الرحمن بن عبد يغوث فقال: كذب والله! لقد والى على عثمان، فأجابه بعض من حضره أن عثمان والاه (والله خ ل) يا أخا زهرة - والحديث منقطع.

وقال الكشي في ترجمة عبد الله بن مسعود: سئل الفضل بن شاذان، عن

ابن مسعود، وحذيفة، فقال: لم يكن حذيفة مثل ابن مسعود، لأن حذيفة كان زكياً، وابن مسعود خلط ووالى القوم ومال معهم وقال بهم.

وقال أيضاً: إن من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام حذيفة وعد معه جماعة.

وقال في ترجمة مسعود، حدثني علي بن الحسن بن علي بن فضال، حدثني العباس بن عامر، وجعفر بن محمد بن حكيم، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن فضيل الرسان، عن أبي داوود قال: حضرته عند الموت وجابر الجعفي عند رأسه فهم أن يحدث فلم يقدر قال: محمد بن جابر: اسأله.

فقلت: يا أبا داوود حدثنا الحديث الذي أردت.

قال: حدثني عمران بن حصين الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر فلاناً وفلاناً أن يسلما على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين.

فقالا: من الله أو من رسوله؟.

فقال: من الله ومن رسوله، ثم أمر حذيفة وسلمان يسلمان عليه، ثم أمر المقداد فسلم وأمر بريدة أخي وكان أخاه لأمه فقال: إنكم سألتموني من وليكم بعدي وقد أخبرتكم به وقد أخذت عليكم الميثاق كما أخذ تعالى على بني آدم: «ألست بربكم قالوا بلى!» وأيم الله لئن نقضتموها لتكفرن «اهـ».

الكشي: وفي رجال بحر العلوم الطباطبائي: حذيفة بن اليمان العبسي، أبو عبد الله حليف الأنصار صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، صحابي ابن صحابي، شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً هو وأبوه. وعد بعضهم حذيفة من الأركان الأربعة مكان أخيه عمار، الذي آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبينه في مؤاخاة المهاجرين للأنصار، ثم ذكر خبر ضاقت الأرض بسبعة المتقدم، ثم قال: وجلالة حذيفة وشجاعته وعلمه ونجدته وتمسكنه بأمير المؤمنين عليه السلام ظاهرة بينة وهو من كبار الصحابة.

وروي عن حذيفة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه «اهـ».

وذكره ابن سعد في الطبقات الكبير في موضعين:

أحدهما: فيمن نزل الكوفة من الصحابة.

وثانيهما: فيمن كان بالمدائن منهم، فقال: حذيفة بن اليمان وهو حسيل بن جابر من بني عبس حلفاء بني عبد الأشهل، ويكنى أبا عبد الله، ثم روى بسنده أنه كان يكنى أبا عبد الله شهد أحداً وما بعد ذلك من المشاهد وتوفي بالمدائن سنة ٣٦ وقد كان جاءه نعي عثمان بها، وقد كان نزل الكوفة والمدائن وله عقب بالمدائن.

ثم حكى عن محمد بن عمر الواقدي أنه قال: لم يشهد حذيفة بدراً وشهد أحداً هو وأبوه وأخوه صفوان بن اليمان وقتل أبوه يومئذٍ، وشهد حذيفة الخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وفي تاريخ بغداد: لم يشهد حذيفة بدراً وشهد أحداً، وقتل أبوه يومئذٍ مع رسول الله ﷺ وحضر ما بعد أحد من الوقائع، وكان صاحب رسول الله ﷺ لقربه منه وثقته به وعلو منزلته عنده. وولاه عمر المدائن فأقام بها إلى حين وفاته.

وفي الاستيعاب: حذيفة بن اليمان العبسي القطعي[1] حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار، شهد حذيفة وأبو حسيل وأخوه صفوان أحداً، وقتل أباه يومئذٍ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين، كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق ينظر إلى قريش فجاءه بخبر رحيلهم وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله وهو حليف للأنصار لبني عبد الأشهل، مات سنة ٣٦ بعد قتل عثمان في أول خلافة علي، وكان موته بعد أن نعي عثمان إلى الكوفة ولم يدرك الجمل «اهـ».

وفي أسد الغابة: حذيفة بن اليمان أبو عبد الله العبسي هاجر إلى النبي ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة، وشهد مع النبي أحداً وقتل أبوه بها «اهـ».

---

(١) في النسخة القطيعي بالياء بين الطاء والعين، والصواب القطعي بحذف الياء كما مر عن القاموس «المؤلف».

وكلامه هذا لا يخلو من غموض.

قال: وكان يسأل النبي صلى الله عليه وآله عن الشر ليتجنبه، وأرسله النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأحزاب سرية ليأتيه بخبر الكفار ولم يشهد بدراً لأن المشركين أخذوا عليه الميثاق لا يقاتلهم فسأل النبي صلى الله عليه وآله أيقاتل أم لا؟.

قال: بل تفي لهم ونستعين الله عليهم «اهـ».

وفي الإصابة: حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة، أسلم حذيفة وأبوه وأراد شهود بدر فصدهما المشركون وشهد أحداً فاستشهد اليمان بها، روى حديث شهودهما أحداً واستشهاده بهال البخاري، وشهد حذيفة الخندق وله بها ذكر حسن وما بعدها.

وفي الصحيحين: أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، وفي رواية: الذي لم يكن يعلمه غيره - يعني حذيفة وفيهما عن عمر أنه سأل حذيفة عن الفتنة.

وذكره الطبري في ذيل المذيل، في جملة من روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ممن آمن به واتبعه في حياته وعاش بعده من قبائل اليمن، فقال: ومنهم حذيفة بن اليمان أبو عبد الله أصله من عبس بن بغيض، وهو حليف لبني عبد الأشهل، روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً كثيراً «اهـ».

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: حذيفة بن اليمان أبو عبد الله العبسي حليف بني عبد الأشهل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب سره من المهاجرين وسكن الكوفة.

وقال علي بن المديني: هو رجل من عبس حليف الأنصار، ويكنى بأبي عبد الله. وترجمه ابن سعد في الطبقة الثانية، وقال أيضاً في الطبقة الثانية ممن لم يشهد بدراً حذيفة بن اليمان شهد أحداً، وجاءه نعي عثمان وهو بالمدائن ومات فيها سنة ٣٦، اجتمع على ذلك الواقدي والهيثم بن عدي، ولحذيفة رواية كثيرة «اهـ».

وقال الحاكم في المستدرك: ذكر مناقب حذيفة بن اليمان - وإنما هو حذيفة بن اليمان كان أحد بني عبس، وكان حليفاً في الأنصار.

وبسنده عن محمد بن عمر - الواقدي -: وأما حذيفة فشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده بعد بدر وعاش إلى أول خلافة علي سنة ٣٦«اهـ».

وفي حلية الأولياء: ومنهم العارف بالمحن وأحوال القلوب والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتقاه، وتحرى الخير فاقتناه، سكن عند الفاقة والعدم، وركن إلى الإنابة والندم، وسبق رنق الأيام والأزمان، أبو عبد الله حذيفة بن اليمان.

وقد قيل: إن التصوف مرامقه صنع الرحمن والموافقة مع المنع والحرمان «اهـ».

وعن تقريب ابن حجر: كان حذيفة جليلاً من السابقين، صح في مسلم عنه أن رسول الله ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة.

وعن الذهبي، في الكاشف: كان صاحب السر ومنعه وأباه شهود بدر استحلاف المشركين لهما.

وفي الدرجات الرفيعة: روي عن النبي ﷺ أنه قال: حذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن.

وفي مرآة الجنان: في أول سنة ٣٦ توفي حذيفة بن اليمان أحد الصحابة أهل النجدة والنجابة الذي كان يعرف المؤمنين من المنافقين بالسر، الذي خصه به سيد المرسلين قال: كان الناس يتعلمون الخير من رسول الله ﷺ وكنت أتعلم منه الشر مخافة أن أقع فيه «اهـ».

وفي شذرات الذهب في حوادث سنة ٣٦: وتوفي في تلك السنة حذيفة بن اليمان العبسي صاحب السر المكنون في تمييز المنافقين، ولذلك كان عمر لا يصلي على ميت حتى يصلي عليه حذيفة يخشى أن يكون من المنافقين «اهـ».

وفي تهذيب التهذيب: أسلم هو وأبوه وأراد حضور بدر فأخذهما المشركون فاستحلفوهما فحلفا لهم أن لا يشهدا فقال لهما النبي ﷺ: «**نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**»، وشهدا أحداً فقتل اليمان بها.

قال العجلي: استعمله عمر على المدائن، ومات بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً، سكن الكوفة، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ومناقبه كثيرة مشهورة «اهـ».

خلاصة أحواله

هو صحابي من أجلاء الصحابة وخيارهم وعلمائهم وفقهائهم، عالم بالكتاب والسنة، وشجعانهم ذوي نجدتهم، قديم الإسلام شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله - عدا بدر، لأن المشركين كانوا قد أخذوا عليه عهداً أن لا يقاتلهم، فأمره النبي صلى الله عليه وآله بالوفاء لهم - ولكونه من علماء الصحابة كان صاحب حلقة تجتمع عليه الناس بمسجد الكوفة فيحدثهم ويسألونه فيجيبهم ويفتيهم.

ولكونه من فقهائهم سأله سعيد بن العاص في غزوة طبرستان عن صلاة الخوف كيف صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله فعلمه فصلاها المسلمون، ووقع اختلاف في حياة النبي صلى الله عليه وآله بين قوم على خص، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله ليقضي بينهم فقضى أن الخص لمن إليه معاقد القمط فأمضى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله واستحسنه، وجرت به السنة في الإسلام..

وامتاز بمعرفة المنافقين حتى أن الخليفة كان يسأله عنهم فلا يخبره، وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بما كتمه عن غيره من أمثاله عن الأسرار وأحوال الناس. وكان زاهداً في الدنيا موالياً لعلي عليه السلام مقدماً له.

هو أنصاري أم مهاجري

قد سمعت قول الشيخ والعلامة عداده في الأنصار، وسمعت قول ابن عساكر: أنه من المهاجرين، وقول ابن الأثير: هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة، وقد عرفت وستعرف أن أباه كان من أهل المدينة هرب إليها هو أو جده لما أصاب دماً في الجاهلية وحالف بني عبد الأشهل، وتزوج أبوه منهم فولد له حذيفة بالمدينة وصار هو وأبوه من أهلها، وحينئذٍ فحذيفة مدني أنصاري لا مهاجري، وتم قول الشيخ والعلامة أن عداده في الأنصار، أما الجمع بين ذلك وبين كلام ابن عساكر وابن الأثير فيمكن أن يقال: إن أباه بعدما تزوج بأمه بالمدينة عاد إلى بلاد عبس ونقل وتصالح معهم على الدم الذي أصابه، فلما بعث النبي صلى الله عليه وآله جاء هو وأبوه إلى النبي وأسلما، وحينئذٍ يتضح معنى تخيير النبي صلى الله عليه وآله إياه بين الهجرة والنصرة، واختياره النصرة بأن يكون بين الهجرة إلى المدينة والبقاء في ديار قومه والنصرة للإسلام، وإلا

فالهجرة لا تنافي النصرة بل تؤكدها، ويكون هذا في أول الأمر، ثم هاجر بعد ذلك، وبهذا الاعتبار صح عده من المهاجرين والله أعلم.

أخباره

أصله من عرب البادية من بني عبس، أصاب أبوه حسيل أو جده جروة دماً في قومه في الجاهلية فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل من اليمن، وإلا فهو عبسي لا يماني، وتزوج أبوه امرأة منهم اسمها الرباب بنت كعب، فولد منها حذيفة هكذا ذكر المؤرخون، لكنهم لم يذكروا أن قومه بني عبس أين كانوا حين هرب منهم إلى المدينة، وقد عرفت في وجه الجمع بين كون عداده من الأنصار وقول بعضهم أنه من المهاجرين احتمال أن يكون أبوه تزوج بأمه في المدينة، ثم نقلها معه إلى بلاد عبس فولد حذيفة هناك أو ولد بالمدينة، ثم ذهب به أبوه إلى بلاد عبس، فلما بعث النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة جاء هو وأبوه قاصدين المدينة ليقاتلا مع النبي فظفر بهما مشركو قريش فقالوا: إنكم تريدون محمداً وأرادوا قتلهما فأظهرا أنهما إنما يريدان المدينة لحاجة لهما فيها فأخذوا عليهما العهد والميثاق أن لا يقاتلوهم مع النبي ﷺ فلما وصلا إلى المدينة أخبرا النبي بذلك ووقفا عند أمره فإن أمرهما بالقتال معه قاتلا وإن أمرهما بالوفاء بالعهد وفيا، فأمرهما بالوفاء بالعهد وإن كان مع جماعة مشركين فلم يحضر حذيفة وأبوه بدراً.

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن مصعب بن سعد قال: أخذ حذيفة وأباه المشركون قبل بدر وأرادوا أن يقتلوهما فأخذوا عليهما عهد الله وميثاقه أن لا يعينا عليهم فحلفا لهم فأرسلوهما فأتيا النبي ﷺ فأخبراه فقالا: إنا قد حلفنا لهم فإن شئت قاتلنا معك، قال: نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم.

ورواه أحمد في مسنده، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن اليمان قال: منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمداً.

قلنا: ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: انصرفوا نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم «اهـ».

فلما كانت وقعة أحد حضرها حذيفة وأبوه فقتل أبوه بها، قتله المسلمون خطأ وهم يظنونه من المشركين فلم يزد حذيفة على أن أستغفر لهم، وتصدق بديته على المسلمين، فزاده ذلك خيراً عند رسول الله ﷺ. كما سبق، ثم شهد حذيفة بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

استعماله على الصدقة وشدة ورعه

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن بريدة: أن النبي ﷺ استعمل حذيفة بن اليمان على بعض الصدقة فلما قدم قال: «**يا حذيفة هل بقي من الصدقة شيء؟**».

فقال: لا يا رسول الله أنفقنا بقدر، إلا أن ابنة لي أخذت جدياً من الصدقة.

فقال: كيف بك يا حذيفة إذا ألقيت في النار وقيل لك: ائتنا به؟.

فبكى حذيفة ثم بعث إليها فجيء به فألقي في الصدقة.

سكناه الكوفة والمدائن ونصيبين

وبعد وفاة النبي ﷺ انتقل من المدينة إلى الكوفة وسكنها، وكان ذلك بعد سنة ١٥ في خلافة عمر.

قال اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب واضح الكاتب في كتاب البلدان ص ٣١٠: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص لما افتتح العراق يأمره أن ينزل الكوفة ويأمر الناس أن يختطوها، فاختطوها كل قبيلة مع رئيسها، إلى أن قال: واقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري، وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين «اهـ».

وكان تمصير الكوفة سنة ١٥ من الهجرة، وكان حذيفة في الجيش الذي فتح العراق، فلما أقطعه سعد الآري ابتنى داراً وسكنه مع عشيرته، أما سكناه المدائن فلا يبعد أن تكون لما وليها من قبل عمر فانتقل بأهله وعياله إليها من الكوفة حسب مجرى العادة ولكن مبدأ تولية عمر إياه المدائن مجهول، إلا أنه كان والياً عليها سنة ٢١ كما يأتي.

ويحتمل أن يكون حين ولي المدائن حضر إليها بنفسه وأبقى أهله وعياله بالكوفة، فكان يتردد إليهم ويعود إلى المدائن، ولعله يرشد إليه ما يأتي، من أنه لما ولي المدائن لم يكلفهم إلا طعامه وعلف حماره الدال على أنه لم يكن عنده ما يحتاج إلى مؤونة غير نفسه وحماره وربما يرشد إليه أيضاً ما في **تاريخ دمشق لابن عساكر**: قال أبو بكر بن عياش سمعت إسحاق يقول: كان حذيفة يجيء كل جمعة من المدائن إلى الكوفة.

فقال أبو بكر: فقلت لإسحاق هل كان يستطيع ذلك؟.

قال: نعم كانت عنده بغلة فارهة «اهـ».

لكن الظاهر أن مجيئه وحده إلى المدائن كان في أول ولايته، وأنه أحضر عياله إليها بعد ذلك كما يدل قول ابن سعد المتقدم، وله بالمدائن عقب، وإن ذهابه إلى الكوفة كل جمعة لم يكن لزيارة أهله بل كان للصلاة في مسجدها أو لغير ذلك من المصالح وقد كان له بالكوفة أيام سكناه بها حلقة يحدث فيها كما دل عليه خبرا اليشكري الآتيان، ومر أنه نزل نصيبين وتزوج بها ولكنهم لم يذكروا تاريخ ذلك ولا أنه في أي زمان كان .

أخباره يوم الخندق

لما كانت وقعة الخندق وقتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ود وانكسرت شوكة المشركين بقتله، ووقع الرعب في قلوبهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وردهم الله بغيظهم، لم ينالوا خيراً، كان حذيفة رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الليلة القابلة من قتل عمرو، يتعرف له خبر المشركين فدخل بينهم وجاءه بخبرهم.

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة حذيفة، وأخرجه **أبو يعلى**، **ومسلم بن الحجاج**، **وابن شاهين**، **عن إبراهيم التيمي**، **عن أبيه** أنه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلت معه وأبليت معه.

فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك لقد رأينا معه ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديد وقر.

وفي رواية ابن شاهين: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل في ليلة باردة لم نرَ قبلها ولا بعدها برداً كان أشد منه.

فقال رسول الله ﷺ : **«ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة»** فسكتنا - وفي رواية: ثم الثانية ثم الثالثة مثله - فقال: قم: وسياق الحديث يدل على أن هذا كان بعد قتل عمرو بن عبد ود في الليلة القابلة من قتله.

وفي رواية ابن شاهين: ثم قال: قم يا أبا بكر.

فقال: استغفر الله ورسوله، ثم قال: إن شئت ذهبت.

فقال: يا عمر!.

فقال: أستغفر الله ورسوله.

ثم قال: يا حذيفة، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: اذهب واتنا بخبر القوم ولا تذعرهم.

قال حذيفة: فلما وليت من عنده جعلت أمشي كأني في حمام.

قال ابن عساكر: وفي رواية ابن شاهين: قمت حتى أتيت وإن جنبي ليضطربان من البرد فمسح رأسي ووجهي ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتينا بخبرهم ولا تحدثن حدثاً حتى ترجع ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته حتى يرجع!. فلان يكون ذلك أو مثله كان إليّ من الدنيا وما فيها - فانطلقت فوجدتهم قد أرسل الله عليهم ريحاً فقطعت أطنابهم وكسرت آنيتهم وذهبت بخيولهم، ولم تدع لهم شيئاً إلا أهلكته، ورأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي وأردت أن أرميه - وكان حذيفة رامياً - فذكرت قول رسول الله ﷺ : **(لا تحدث حدثاً حتى ترجع)** فرددت سهمي في كنانتي، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته وأخبرته خبر القوم وفرغت قررت - أي بردت - فألبسني رسول الله ﷺ فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح فلما أصبحت قال لي: قم يا نومان.

رواه ابن عساكر بطرق متعددة أخصر من هذا، وفيها يكمل القصة على لسان حذيفة: وتنادوا بالرحيل، قال حذيفة: فرأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يزجره للقيام فلا يستطيع، فجئت فأخبرت النبي ﷺ فضحك حتى رأيت أنيابه.

وروى ابن عساكر أيضاً في ترجمة أبي سفيان صخر بن حرب نحواً من هذا.

ولا شك أن الذهاب لمعرفة خبر القوم أهون من مبارزة عمرو، وقد جعل جزاء فاعله أن يجعله الله معه يوم القيامة، كما ضمن لمبارز عمرو الجنة، ولكنهم جبنوا عن الذهاب لمعرفة خبرهم كما جبنوا عن مبارزة عمرو، وزهدوا في هذا الجزء العظيم لما استولى عليهم من الخوف، وبرد الحجاز ليس برداً قارساً يصعب تحمله، ولم يشأ أن يدعو لمعرفة خبرهم علياً بعدما قتل عمراً، فإن هذا أمر تافه لا يدعى له مثل علي مع إمكان أن يقوم به غيره: (وللشدة الصماء تقنى الذخائر). ثم شهد حذيفة بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

خبره في غزوة تبوك

ومنها غزوة تبوك ولما عاد رسول الله ﷺ من غزوة تبوك وانحدر في العقبة، وكانت ليلة مظلمة وأراد جماعة من المنافقين اثنا عشر أو أربعة عشر رجلاً أن ينفروا الناقة برسول الله ﷺ، كان حذيفة قد أخذ بزمامها يقودها، وعمار يسوقها، فبرقت حتى رآهم رسول الله ﷺ وحذيفة وعرفهم حذيفة بأعيانهم، فعند ذلك هربوا ودخلوا في غمار الناس، ولذلك كان حذيفة أعلم الناس بالمنافقين.

وبعد وفاة النبي ﷺ كان حذيفة مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكان في جملة النفر الذين صلوا على فاطمة عليها السلام وحضروا دفنها، كما مر عن الكشي.

أخباره في الفتوح

شهد حذيفة فتح العراق والشام وبلاد الجزيرة وبلاد الفرس. وكانت وقعة اليرموك سنة ١٣.

وفي أسد الغابة: شهد حذيفة فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج بها «اهـ». وكان فتح الجزيرة سنة ١٧ وقيل ١٩.

وفي الاستيعاب: شهد حذيفة نهاوند فلما، قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وكان فتح همذان والري والدينور على يد حذيفة، وكانت فتوحه كلها سنة ٢٢.

ويظهر من كلام ابن الأثير إن ذلك كان أثناء ولايته المدائن.

وقال ابن الأثير: وقعة نهاوند كانت سنة ٢١ وقيل سنة ١٨ وقيل ١٩، قال: وكان النعمان بن مقرن يومئذٍ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جند نيسابور والسوس وقيل: بل كان بكسكر فكتب إليه عمر يأمره بنهاوند فسار، فكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان، فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان حتى قدموا على النعمان واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان، فرحل النعمان وعبّأ أصحابه وهم ثلاثون ألفاً على مقدمتهم نعيم بن مقرن، وعلى مجنبته حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، فانتهوا إلى أسبيذهان وضرب فسطاط النعمان، فابتدر أشراف الكوفة فضربوه منهم حذيفة بن اليمان، وعد معه جماعة من أشرافهم، ثم اقتتلوا والحرب بينهم سجال، فلما كان يوم الجمعة وقد خرج الفرس من خنادقهم قال النعمان: إني مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الثالثة، فإني حامل فاحملوا وإن قتلت فالأمير بعدي حذيفة، ثم كبر وحمل الناس معه وانهزم الأعاجم وقتل مقتلة عظيمة، وقتل النعمان وكتموا النعمان، ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها، فلما رأى ذلك أميرها استأمنهم، ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان، فقال لهم أخوه معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة، وأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال: أتؤمنني ومن شئت على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان، وقال: نعم، فأحضر جوهراً نفيساً في سفطين فنفل حذيفة منهما وأرسل الباقي إلى عمر، وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا.

قال ابن الأثير: وفيها بعث عمر عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى نهاوند، ورجع حذيفة إلى عمله على ما سقت دجلة وما وراءها.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر قال أبو عبيدة في سنة ٢٢: مضى حذيفة إلى نهاوند فصالحه صاحبه على ثمانمائة ألف درهم في كل سنة، وغزا الدينور فافتتحها عنوة - وكان سعد قد فتحها ثم نقضت العهد - ثم غزا ماه سبذان

فافتتحها عنوة - وكان سعد قد فتحها أيضاً ثم نقضت - ثم غزا همذان فافتتحها وافتتح البري كلاهما عنوة ولم تكونا فتحتا من قبل «اهـ».

ولكن ابن الأثير كما مر قال: إن فتح همذان كان سنة **٢١** وقال: إنها فتحت ثانياً سنة **٢٢** فإنه لما تراجع عنها نعيم بن مقرن وأصحابه كفر أهلها فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودع حذيفة وسار يريد همذان فافتتحها ثانياً وعاد حذيفة إلى الكوفة.

✍ أخباره في فتح بلاد خراسان

روى الطبري في تاريخه في حوادث سنة **٣٠** بسنده، أنه غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ٣٠ يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان، إلى أن قال: وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فنزل أبر شهر (وهي نيسابور) وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً، فنزل سعيد قومس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان وهي مدينة على ساحل البحر فقاتله أهلها حتى صلاة الخوف فقال لحذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ فأخبره فصلى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون.

ثم روى الطبري بسنده أنه صرف حذيفة عن غزو البري إلى غزو الباب (وهي المدينة المعروفة بباب شروان على بحر طبرستان وهو بحر الخزر) مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص فبلغ معه آذربيجان، وكذلك كانوا فأقام حتى قفل حذيفة، ثم رجعا.

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٠، **وقال الطبري وتبعه ابن الأثير** في حوادث سنة **٣٢**: في هذه السنة استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر، وأمد الجيش الذي كان به مقيماً مع حذيفة بأهل الشام.

ثم روى الطبري بسنده، أن سعيداً استعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان، وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة، وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة القرشي، فتأمر عليه سلمان وأبى عليه حتى قال أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان.

فقال الكوفيون: إذن والله نضرب حبيباً ونحبسه وإن أبيتم كثرت القتلى فينا وفيكم، فكان ذلك أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام، وأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات فقتل عثمان في الثالثة ولقيهم مقتل عثمان (الخبر).

خبره يوم الجرعة

وقال **ابن عساكر** في تاريخ دمشق، في ترجمة سعيد بن العاص حين ذكر اختلاف أهل الكوفة مع سعيد بن العاص، لما كان والياً على الكوفة من قبل عثمان وذهابه إلى عثمان إلى المدينة ذهاب جماعة من أهل الكوفة إليه فيهم الأشتر، وامتناع عثمان من عزل سعيد، أن الأشتر عاد إلى الكوفة واستولى عليها، وبعث من رد سعيد بن العاص إلى المدينة، وصعد المنبر فقال: وقد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم وثغركم وحذيفة بن اليمان على فيئكم «اهـ».

ويفهم من **تاريخ ابن الأثير** أن ذلك كان سنة ٣٤، ويعرف ذلك اليوم الجرعة، وهي موضع بين الكوفة والحيرة.

خبره في أمر المصاحف

قال ابن الأثير: لما عاد حذيفة من غزو الباب، قال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً لئن تركه الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً: رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرأوا على أبي موسى ويسمون مصحفه «لباب القلوب»؛ فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ، وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تنكر ألسنا نقرأ على قراءة ابن مسعود، فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ وقال حذيفة: والله - لئن عشت - لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن على أن يحول بين الناس وبين ذلك، فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة.

✍ مصحف عثمان

قال: وسار حذيفة إلى عثمان فأخبره بالذي رأى وقال: أنا النذير العريان فأدركوا الأمة!. فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها - وهي التي كتبت أيام أبي بكر فإن القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر: إني أخشى أن يستحر القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر، فلما توفي أخذتها حفصة فأخذها عثمان منها، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها من المصاحف وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف، وحرق ما سوى ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك، فكل الناس عرفوا فضل هذا الفعل إلا ما كان من أهل الكوفة، فإن أصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس (الخبر).

في الإتقان في مغازي موسى بن عقبة بن ابن شهاب: لما أصيب المسلمون باليمامة خاف أبو بكر أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع في الورق (إلى أن قال): **روى البخاري**، عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا، فأرسل إلى حفصة أن ارسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، فأمر زيد بن ثابت، وابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوها في المصاحف وقال: إن اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بهما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال زيد: ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدنا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾(١) في سورتها في المصحف.

قال ابن حجر: وكان ذلك سنة ٢٥، قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ٣٠ ولم يذكر له مستنداً «اهـ».

ويفهم من ذلك أن عثمان أمر بإحراق جميع المصاحف ما عدا المصحف الذي جمعه وفرق نسخته على الأقطار، سواء أكان فيها مخالفة لما في المصحف الذي جمعه أم لم يكن، قصداً لجمع الناس على مصحف واحد، وأن الداعي إلى جمعه القرآن هو اختلاف القراءات.

أول من جمع القرآن

وحيث أنجر الكلام إلى جمع القرآن الكريم فلا بأس باستيفاء الكلام على أول من جمعه، فإن الحديث شجون، قد عرفت مما مر أن مقتضى بعض الأخبار أن أول جمع القرآن كان في زمن أبي بكر جمعه زيد بن ثابت، ولكن الحاكم في المستدرك قال: إن القرآن الكريم جمع ثلاث مرات، أولها في زمن النبي ﷺ، واستدل بحديث أسنده عن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع (الحديث).

قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي **البيان الواضح**: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، والجمع الثالث هو في ترتيب السور كان في خلافة عثمان «اهـ».

وعد ابن النديم في الفهرست من الجمّاع للقرآن على عهد النبي ﷺ علي بن أبي طالب.

وحكى في الإتقان عن البخاري، أنه روى أنه جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ من غير واحد وذكر أسماءهم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

وروى في الإتقان أيضاً ما يدل على أن أول من جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب قال: اخرج ابن أبي داؤد في المصاحف من طريق ابن سيرين قال: قال علي: لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته.

قال ابن حجر: هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، وأجاب السيوطي عن ذلك في الإتقان بقوله: قد ورد من طريق أخرى أخرجه ابن الضريس في فضائله، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا هودة بن خليفة، حدثنا عون، عن محمد بن سيرين، عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: ما أقعدك عني؟.

قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه (الحديث).

قال: وأخرجه ابن أشتة في المصاحف من وجه آخر، عن ابن سيرين وفيه أنه - أي علي عليه السلام - كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه.

وأخرج ابن سعد وابن عبد البر في الاستيعاب عن ابن سيرين قال: نبئت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر فقال: أكرهت امارتي؟.

فقال: آليت يميني أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن قال: فزعموا أنه كتبه على تنزيله.

قال محمد - ابن سيرين -: فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم.

قال ابن عوف: فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه «اهـ».

وفي الإتقان أيضاً قال ابن حجر: وقد ورد عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ - أخرجه ابن أبي داؤد «اهـ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية، والخطيب في الأربعين، من طريق السدي، عن عبد خير، عن علي قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن «اهـ».

وفي **فهرست ابن النديم**، بسنده عن عبد خير، عن علي عليه السلام: أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله فأقسم أن لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر «اهـ».

وفي **مناقب ابن شهرآشوب**، في أخبار أهل البيت عليهم السلام: أن علياً عليه السلام آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه - الحديث -.

وقال ابن شهرآشوب في المناقب أيضاً: ذكر الشيرازي - إمام أهل السنة في الحديث والتفسير - في نزول القرآن وأبو يوسف يعقوب في تفسيره، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1] قال: ضمن الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي وجمعه علي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله بستة أشهر.

قال: وفي **أخبار أبي رافع**: أن النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي: يا علي هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه علي في ثوب فمضى به إلى منزله، فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله جلس علي فألفه كما أنزله الله وكان به عالماً.

قال: وحدثني **أبو العلاء العطار**، و**الموفق خطيب خوارزم** في كتابيهما، بالإسناد عن علي بن رياح: أن النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه «اهـ».

وقال ابن شهرآشوب في المعالم: الصحيح أن أول من صنف في الإسلام علي عليه السلام جمع كتاب الله جلّ جلاله.

وفي **عدة الرجال** بعد نقل هذا عن المعالم: كأنه إنما عد جمع القرآن المجيد في التصنيف لأنه أراد بالتصنيف مطلق التأليف، أو لأنه عليه السلام لم يقتصر فيما جمع وجاءهم به على التنزيل، بل ضم إليه البيان والتأويل فكان أعظم مصنف «اهـ».

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٧.

فظهر من مجموع ما تقدم أن أول جمع للقرآن كان في عهد النبي ﷺ، وإن أول من جمعه بعد وفاة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب، وإن هذا القرآن كان عند أهل البيت حتى انتهى إلى آل جعفر، **كما مر عن ابن النديم**، ولا يدري إنهم آل جعفر الطيار أو آل جعفر الصادق والظاهر الثاني، وهذا القرآن لم يحرق فيما أحرقه عثمان من المصاحف لأنه كان محفوظاً عند أهل البيت لم ينشر بين الناس.

المراسلة بينه وبين أبي ذر

في كتاب مخطوط من مؤلفات أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي عندنا منه قطعة ذهب منها أوله وآخره فلم نعرف اسمه، قال أبو مخنف، حدثني الصلت، عن زيد بن كثير، عن أبي أمامة قال: كتب أبو ذر إلى حذيفة بن اليمان يشكو إليه ما صنع به عثمان وذكر الكتاب، فكتب إليه حذيفة، وذكر الجواب، وقد مر الكتاب والجواب كلاهما في ترجمة أبي ذر.

ولاؤه وتشيعه لأمير المؤمنين علي وأهل البيت عليهم السلام

يدل عليه ما مر في **روايات الكشي** عند ذكر أقوال العلماء فيه المتضمنة عد علي عليه السلام إياه من السبعة الذين بهم ينصرفون وبهم يمطرون.

وإنه من جملة الذين صلوا على فاطمة عليها السلام، وأنه من الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى غير ذلك مما تضمنته تلك الأخبار، ويدل عليه أيضاً ما مر وما يأتي من أخباره عند ذكر توليته المدائن، وما يأتي من قوله علي عليه السلام، وقوله: لما حضره الموت.

وقال الحاكم في المستدرك، حدثنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب، حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا أبو محمد الزبيري، حدثنا العلاء بن صالح، عن عدي بن ثابت، عن أبي راشد قال: لما جاءت بيعة علي إلى حذيفة قال: لا أبايع بعده إلا أصعر أو أبتر - الأصعر والأبتر المعرض عن الحق والذاهب بنفسه والذليل. ومر إيصاؤه ابنيه بملازمة أمير المؤمنين عليه السلام وقتلهما معه بصفين.

وفي شرح النهج: قال حذيفة بن اليمان: «**لو قسمت فضيلة علي** عليه السلام **بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم**».

وقد روى **المفيد في الإرشاد**، وابن أبي الحديد في شرح النهج، خبراً عن حذيفة في شأن وقعة الأحزاب يدل على معرفته فضل أمير المؤمنين عليه السلام حق معرفتها، وعدم مخالطة قلبه بشيء من الشوائب، وبين الروايتين تفاوت، ونحن نجمع بينهما، فنذكر ما في شرح النهج، ثم التفاوت الذي في رواية المفيد.

قال المفيد وابن أبي الحديد: روى قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدي، عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه فنقول لهم (فيقول لنا) أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل (إنكم تفرطون في علي)، فهل أنت محدثي بحديث عنه (فيه) أذكره للناس؟.

فقال حذيفة: يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدثك عنه!؟ والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة (أصحاب) محمد صلى الله عليه وآله في كفة الميزان، منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها!!.

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، أني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله فقال حذيفة: يا لكع وكيف لا يحمل، وأين كان المسلمون يوم الخندق، وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة، فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

وفي رواية المفيد: فقال حذيفة: يا لكع كيف لا يحمل، وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ود، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فإنه برز إليه وقتله الله على يده الخ.

وفي الدرجات الرفيعة: روي أن علياً عليه السلام لما أدرك عمرو بن ود لم يضربه فوقع الناس في علي فرد عنه حذيفة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا حذيفة إن علياً سيذكر سبب وقفته**»، ثم إنه ضربه، فلما جاء سأله النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي وتفل في وجهي فخشيت أن أضربه لحظ نفسي فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله.

قال صاحب الدرجات الرفيعة: وإنما ذكرنا هذا الحديث ليعلم به من إخلاص حذيفة لأمير المؤمنين عليه السلام من زمن النبي صلى الله عليه وآله.

وفي الدرجات أيضاً: روى أبو مخنف، قال: لما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً عليه السلام قد قدم ذا قار واستنفر الناس دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا ورغبهم بأمير المؤمنين وسيد المسلمين، فإن من الحق أن تنصروه، وهذا ابنه الحسن وعمار قد قدما الكوفة يستنفران الناس فانفروا، فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة وتوفي «اهـ».

وقال المسعودي في مروج الذهب: كان حذيفة عليلاً بالمدائن في سنة ٣٦، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: أخرجوني وادعوا: الصلاة جامعة، فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال: أيها الناس إن الناس قد بايعوا علياً فعلكيم بتقوى الله وانصروا علياً ووازروه فوالله إنه لعلى الحق آخراً وأولاً، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم أطبق يمينه على يساره، ثم قال: اللهم أشهد إني قد بايعت علياً، وقال: الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم، وقال لابنيه صفوان وسعد: احملاني وكونا معه، فسيكون له حروب يهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تشهدا (تستشهدا) معه، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل!. ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل: بأربعين يوماً «اهـ».

وشهد ابناه المذكوران بعد ذلك صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، وقتلا بها شهيدين أو أحدهما كما مر، وسيأتي عند ذكر توليه المدائن خبر بيعته لعلي عليه السلام وما خطب به ما له تعلق بهذا المقام فراجع.

فقهه ومعرفته بالقضاء

روى ابن عبد البر في **الاستيعاب** في ترجمة جارية بن ظفر اليمامي بسنده عنه، أن داراً كانت بين أخوين فحظرا في وسطها حظراً ثم هلكا، فادعى عقب كل منهما أن الحظار له واختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأرسل حذيفة بن اليمان

ليقضي بينهما، فقضى بالحظار لمن وجد معاقد القمط تليه، ثم رجع فأخبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: أصبت أو أحسنت «اهـ».

(تفسير ذلك) إن الحظار هو الحاجز بين الملكين ممن قصب ونحوه شبه الحائط، والقمط: ما يربط به ذلك القصب من حبل ونحوه، فمن كانت أطراف تلك الحبال معقودة مما يليه فالحظار له.

علمه بالكتاب والسنة

في رجال بحر العلوم: أثبت أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري (البصري) في الإيضاح لحذيفة عند ذكر الدرجات درجة العلم بالسنة، ويستفاد من بعض الأخبار: أن له درج العلم بالسنة، ويستفاد من بعض الأخبار أن له درجة العلم بالكتاب أيضاً، وقد روي أن حذيفة كان يقول: اتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً. وأنه كان يقول للناس: خذوا عنا فإنا لكم ثقة، ثم خذوا عن الذين يأخذون عنا ولا تأخذوا عن الذين يلونهم، قالوا: لم.

قال: لأنهم يأخذون حلو الحديث ويدعون مره ولا يصلح حلوه إلا بمره.

تجويزه الكذب للضرورة

في حلية الأولياء، بسنده عن النزال بن سبرة قال: كنا مع حذيفة في البيت فقال له عثمان: يا أبا عبد الله ما هذا الذي يبلغني عنك؟ قال: ما قلته، فقال له عثمان: أنت أصدقهم وإبرهم.

فلما خرج قلت له: يا أبا عبد الله ألم تقل ما قلت!.

قال: بلى ولكن أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله.

وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق نحوه، وكان يقول: ما أدرك هذا الأمر أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلا قد اشترى بعض دينه ببعض، قالوا: وأنت؟.

قال: وأنا والله: إني لأدخل على أحدهم، وليس أحد إلا وفيه مساوىء ومحاسن، فأذكر من محاسنه وأعرض عن مساويه، وربما دخلت على أحدهم

وهو على الغداء فدعاني فأقول: إني صائم ولست بصائم، كأنه لا يريد أن يأكل من طعام لا يعلم بطيبه.

✍ كان حذيفة صاحب حلقة في المسجد

يدل - ما سيأتي - عند ذكر حديثه عن الفتن أنه كان صاحب حلقة بالكوفة يجلس في المسجد ويجتمع عليه الناس فيحدثهم، **روى ذلك الإمام أحمد بن حنبل** في حديثين له عن خالد بن خالد اليشكري، **ورواه الشيخ الطوسي** في الأمالي بسنده عن خالد بن خالد اليشكري كما سيأتي هناك.

✍ حديثه عن الفتن

في الاستيعاب وأسد الغابة: سئل حذيفة: أي الفتن أشد؟.

قال: أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تركب.

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، بسنده عن خالد بن اليشكري قال: خرجت زمان فتحت تستر حتى قدمت الكوفة فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال حسن الثغر يعرف فيه أنه من رجال أهل الحجاز.

فقلت: من الرجل؟.

فقال: القوم أو ما تعرفه.

قلت: لا.

فقالوا: هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، فقعدت وحدث القوم فقال: إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلك القوم عليه، فقال لهم: إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك: جاء الإسلام حين جاء، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية، وكنت قد أعطيت في القرآن فهما، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأله عن الشر.

فقلت: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟.

فقال: نعم.

قلت: فما العصمة يا رسول الله.

قال: السيف.

قلت: وهل بعد هذا السيف بقية.

قال: نعم تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن.

قلت: ثم ماذا؟.

قال: ثم تنشأ دعاة الضلالة، فإن كان لله يومئذٍ في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فألزمه، وإلا فمت عاضاً على جذل شجرة «اهـ»، الحديث، ورواه **الشيخ الطوسي في آماليه**، بإسناده عن خالد بن اليشكري مثله إلا إنه قال: فإذا أنا بحلقة فيها رجل جهم من الرجال، فقلت: من هذا الخ، وقال: أعطيت من القرآن فقهاً بدل فهماً، وقال: فإن رأيت يومئذٍ خليفة عدل فالزمه، وإلا فمت عاضاً على جذل شجرة اهـ.

(الجذل) بكسر الجيم وفتحها وسكون الذال المعجمة أصل الشجرة يقطع.

قاله في النهاية: وروى الإمام أحمد في المسند، بسنده عن نصر بن عاصم الليثي قال: أتيت اليشكري في رهط من بني ليث، عن حديث حذيفة (إلى أن قال): قدمنا الكوفة باكراً من النهار، فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم[1] يستمعون إلى حديث رجل، فقمت عليهم، فجاء رجل فقام إلى جنبي، فقلت: من هذا؟.

قال: أبصري أنت.

قلت: نعم.

قال: قد عرفت لو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا، هذا حذيفة بن اليمان، فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وأسأله عن الشر، وعرفت أن الخير تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاث مرات، قلت: يا رسول الله أبعد هذا الشر خير قال: هدنة على دخن وجماعة على أقذاء.

---

(١) لعله كناية عن السكون وعدم الحركة وشدة الإصغاء.

قلت: يا رسول الله الهدنة على دخن ما هي.

قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه.

قلت: يا رسول الله أبعد هذا الخير شر؟.

قال: فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار وأنت أن تموت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم.

وبسنده عن حذيفة بن اليمان أنه قال: يا رسول الله إنا كنا في شر فذهب الله بذلك الشر وجاء بالخير على يديك فهل بعد الخير من شر؟.

قال: نعم.

قال: ما هو؟

قال: فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً تأتيكم مشتبهة كوجوه البقر لا تدرون أياً من أي.

وبسنده عن حذيفة: قلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟.

قال: يا حذيفة اقرأ كتاب الله واعمل بما فيه فأعرض عني فأعدت عليه ثلاث مرات فقلت: هل بعد هذا الخير من شر.

قال: نعم فتنة عمياء (عماء أو غماء) صماء ودعاة ضلالة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

وفي **حلية الأولياء**، بسنده عن حذيفة أنه سئل عن قول رسول الله ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر.

فقال: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصيد فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تصير القلوب على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربداً كالكوز مجخياً[١] - وأمال كفه - لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه «الحديث».

(١) المجخي بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الخاء: المائل عن الاستقامة والاعتدال.

وفي الحلية أيضاً بسنده، عن حذيفة قال: إن الفتنة تعرض على القلوب فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر فإن كان يرى حراماً ما كان يراه حلالاً، أو يرى حلالاً، ما كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة.

وفي الحلية أيضاً، بسنده عن حذيفة قال: أتتكم الفتن ترمي بالنشف، ثم أتتكم ترمي بالرضف، ثم أتتكم سوداء مظلمة.

وفي الفائق للزمخشري، عن حذيفة أنه ذكر الفتنة فقال: أتتكم الدهيماء ترمي بالنشف، ثم التي تليها ترمي بالرضف، والذي نفسي بيده ما أعرف لي ولكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها.

قال الزمخشري: (الدهيماء) هي تصغير الدهماء، وهي الفتنة المظلمة وهو التصغير الذي يقصد به التعظيم.

(والنشف) جمع نشفة وهي الفهر السوداء كأنها محرقة.

(والرضف) الحجارة المحماة الواحدة رضفة.

ذكر تتابع الفتن وفظاعة شأنها، وضرب رميها بالحجارة مثلاً لما يصيب الناس من شرها ثم قال: ليس الرأي إلا أن تنجلي عنا ونحن في عدم التباسنا بالدنيا كما دخلنا فيها «اهـ».

(الفهر) الحجر قدر ما يملأ الكف. وفي الحلية أيضاً، بسنده عن حذيفة قال: ثلاث فتن، والرابعة تسوقهم إلى الدجال التي ترمي بالرضف والتي ترمي بالنشف والسوداء المظلمة التي تموج كموج البحر والرابعة تسوقهم إلى الدجال.

كان حذيفة يسأل عن الشر دون الخير

مر بعض ما يدل على ذلك، وروى أحمد بسنده قال حذيفة: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر.

قيل: لم فعلت ذلك؟.

قال: من اتقى الشر وقع في الخير.

وفي تاريخ دمشق: أخرج ابن مردويه، عن حذيفة أنه قال - وهو في مجلس كان ناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر، فنظر إليه الناس كأنهم ينكرون عليه فقال لهم: كأنكم أنكرتم ما أقول، كان الناس يسألونه عن القرآن، وكان الله قد أعطاني منه علماً.

فقلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير الذي أعطانا الله من شر (الحديث).

✍ تمنيه العزلة عن الناس

في حلية الأولياء، بسنده قال حذيفة: لوددت أن لي إنساناً يكون في مالي ثم أغلق عليَّ الباب، فلم أدخل على أحدٍ حتى ألقى الله عز وجل.

✍ صبره على البلاء

في تاريخ دمشق: قال: خرَّج البيهقي، عن حذيفة أنه قال: كنتم تسألونه عن الرخاء وكنت أسأله عن الشدة لأتقيها، ولقد رأيتني وما من يوم أحب إليَّ من يوم يشكو إليّ فيه أهلي الحاجة، إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه حتى يقول عظ عظك[1] وشد شدك إن قلبي يحبك.

وأخرج ابن عساكر، من طريق عبد الله بن وهب، عن حذيفة أنه قال: إن أقر أيامي يوم أرجع فيه إلى أهلي فيشكون لي فيه الحاجة، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير وإن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن حذيفة قال: أقر ما أكون عيناً حين يشكو إليَّ أهلي الحاجة، وإن الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا كما يحمي أهل المريض مريضهم الطعام.

وبسنده عن حذيفة أنه كان يقول: ما من يوم أقر لعيني ولا أحبب لنفسي من

---

(١) عن الزهر: تشترك الضاد والظاء في عظ الحرب والزمان «المؤلف».

يوم آتي أهلي فلا أجد عندهم طعاماً ويقولون ما نقدر على قليل ولا كثير، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى أشد حمية للمؤمن من الدنيا من المريض أهله الطعام والله تعالى أشد تعاهداً للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير**».

كلامه في النفاق والمنافقين في زمانه

في حلية الأولياء، بسنده عن أبي الشعثاء المحاربي: سمعت حذيفة يقول: ذهب النفاق فلا نفاق إنما هو الكفر بعد الإيمان. اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا يومئذٍ يكتمونه وهم اليوم يظهرونه.

أسند **الحاكم في المستدرك** في حديث: سئل علي عن حذيفة فقال: كان أعلم بالمنافقين.

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن حذيفة أنه قال: مر بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال: يا حذيفة إن فلاناً قد مات فأشهده، ثم مضى، حتى إذا كاد أن يخرج من المسجد التفت إليَّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليَّ فقال: يا حذيفة أمن القوم أنا؟.

فقلت: اللهم لا أبرىء أحداً بعدك.

وفي تاريخ دمشق أيضاً: روى ابن منده، عن أبي البختري الطائي أنه سئل عليه السلام، إلى أن قال: وسئل عن حذيفة فقال: عالم بالمنافقين وسر رسول الله ﷺ.

وسئل عن نفسه فقال: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت.

وفي رواية أخرى: سئل عن حذيفة فقال: أعلم الناس بالمنافقين.

قالوا: أخبرنا عن نفسك.

قال: إياها أردتم كنت إذا سكت ابتديت، وإذا سألت أعطيت، فإن بين دفتي علماً جماً.

قال أبو البختري - أحد رواة هذ الحديث: فقلت لإسماعيل بن خالد: ما معنى ما بين الدفتين؟.

قال: جنبيه.

وفي لفظ آخر: وسئل عن حذيفة فقال: ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصلات وعلم أسماء المنافقين إنْ تسألوه عنها تجدوه بها عالماً.

وفي الدرجات الرفيعة: سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عنه، فقال: كان عارفاً بالمنافقين، وسأل رسول الله ﷺ عن المعضلات فإن سألتموه وجدتموه بها خبيراً «اهـ».

قال: وكان حذيفة يسمى: صاحب السر، وان عمر لا يصلي على جنازة لا يحضرها حذيفة «اهـ».

وفي تاريخ دمشق: أخرج ابن سعد، عن جبير بن مطعم أنه قال: لم يخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الذين حضروا ليلة العقبة إلا حذيفة، وهم اثنا عشر رجلاً من الأنصار أو من حلفائهم «اهـ».

وروى الإمام أحمد في مسنده، بإسناده عن قيس: قلت لعمار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم فيما كان أمر علي رأياً رأيتموه أم شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ.

فقال: لم يعهد إلينا رسول الله شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة، أخبرني عن النبي ﷺ قال: في أصحابي اثنا عشر رجلاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

وبسنده عن الوليد بن جميع وأبي الطفيل قال: كان بين حذيفة وبين رجل من أهل العقبة ما يكون بين الناس.

فقال: أنشدك الله كم كان أصحاب العقبة؟.

فقال له القوم: أخبره إذ سألك، قال: إن كنا نخبر أنهم أربعة عشر قال: فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

قال أبو أحمد في حديثه: وقد كان - أي النبي ﷺ في حرة فمشى فقال للناس: إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذٍ «اهـ».

ولا يخفى أن هذه الروايات تدل على أن هؤلاء المنافقين قوم يحتشم من التصريح بأسمائهم، وإلا لم يخفِ حذيفة أسماءهم ولم يجهلهم الخليفة ولم يسأل هل هو منهم، وأنهم ليسوا من المعروفين بالنفاق الذين لا يؤبه لهم كابن أبي بن سلول وأضرابه.

وفي الدرجات الرفيعة: روى المفضل بن عمر، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: كان المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعرفون إلا ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان حذيفة يعرفهم لأنه كان ليلة العقبة يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمار يسوقها، وقد قعد المنافقون على العقبة ليلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله عند منصرفه من غزوة تبوك، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله خلف علياً بالمدينة على أهله ونسائه.

فقال المنافقون بعضهم لبعض: إن محمداً بغض نفسه إلى أصحابه بسبب علي، وعلي هو الذاب عنه والمجاهد دونه لا يعمل فيه الحر والبرد والسيف والسنان وقد استخلفه بالمدينة، فبادروا هذا الذي لولا علي لكان أهو من فقع بقرقر، ولولا أبو طالب بمكة لم يتبعه أحد، فإنه آواه ونصره وذبّ عنه وجاهد قريشاً فيه حتى استفحل أمره وعظم شأنه، فلما استقر قراره أعاد الملك والسلطان إلى بني أبيه من دون قريش، أفقريش لبني هاشم خول واتباع، وقد اجتمعت كلمتهم بالإسلام بعد أن كانوا مختلفين فتقدموا واخشوشنوا وأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم اطلبوا بثأركم ممن اختدعكم عن دينكم وأدخلكم في دينه، ثم جعلكم أتباعه وأتباع بني هاشم ومواليهم وعبيدهم إلى أن تقوم الساعة، وإلا فعيشوا أشقياء عباديد بعد الآلهة أذلة ما بقيتم.

وكان القائل رجل من المهاجرين من قريش يحرض أصحابه ليلة العقبة على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب الله وجوههم عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان ذلك الرجل يشكو حذيفة إلى أبي بكر فيقول: دعه فالسكوت خير من الخوض في أمره، فلما بويع عمر بعث إلى حذيفة (إلى أن قال): ثم أقبل على أصحابه فقال لهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلم أصحابه بالمنافقين، إنا كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ببغضهم علياً فكان حذيفة يقول: السكينة تنطق على لسانك، بقوله لحذيفة: إنك أعرف الناس بالمنافقين.

وفي الدرجات الرفيعة: ذكر مختار العراقيين يوم الحكمين عند حذيفة بالدين فقال: أما أنتم فتقولون ذلك، وأما أنا فأشهد أنه عدو لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

قال: وروي أن عماراً سئل عنه فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس الأسود ثم كلح كلوحاً، علمت أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط وكان حذيفة عارفاً بهم.

وروى البخاري في صحيحه في تفسير سورة النساء بسنده عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال: لقد أنزل الله النفاق على قوم خير منكم.

قال الأسود سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] فتبسم عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد فقام عبد الله فتفرق أصحابه، فرماني بالحصى فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكه وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم ثم تابوا تاب الله عليهم «اهـ».

وفي إرشاد الساري (عبد الله) أي ابن مسعود. (حذيفة) ابن اليمان (خير منكم)، باعتبار أنهم كانوا من طبقة الصحابة فارتدوا أو نافقوا (فتبسم عبد الله) متعجباً من كلام حذيفة وبما قام به من قول الحق وما حذر منه.

قال الأسود (فرماني) أي حذيفة (بالحصى) أي ليستدعيني (عجبت من ضحكه) مقتصراً على الضحك «اهـ».

والذي يلوح أن مراد حذيفة بقوله: لقد أنزل النفاق الخ. توبيخ ابن مسعود وأصحاب حلقته: أي لا تغتروا بأنفسكم فقد كان قوم يراهم الناس خيراً منكم وكانوا منافقين، لأن حذيفة كان أعلم الناس بالمنافقين، كما مر، واستعظم ذلك الأسود لدلالة الآية على أن المنافقين، من أهل النار بل في الدرك الأسفل منها، وتبسم ابن مسعود يحتمل وجوهاً:

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(منها): ما مر عن إرشاد الساري.

(ومنها): أن يكون سخرية وتعجباً من نسبة حذيفة لهم إلى النفاق، ونسبته إلى من هو خير منهم.

(ومنها): أن يكون استحساناً لجواب الأسود.

ويؤيد الوجه الثاني قول حذيفة: عجبت من ضحكه وقد عرف ما قلت، أي أن مرادي: نافقوا ثم تابوا فتاب الله عليهم، فإذا عرف إن هذا مرادي لا ينبغي له أن يضحك تعجباً من قولي، ولكن هذا الاعتذار بظاهره غير صواب، لأنه لا دليل على أن كل من نافق ممن هو خير منهم تاب، ولعله إنما قصد بهذ العذر المدافعة عن نفسه.

من هو المنافق

في حلية الأولياء بسنده: قيل لحذيفة من المنافق؟.

قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به.

الأمراء الكذابون الظالمون

روى الإمام أحمد في مسنده، بسنده عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنها ستكون أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منا ولست منهم ولا يرد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن حذيفة قال: ليكونن عليكم أمراء لا يزن أحدهم عند الله يوم القيامة قشر شعيرة.

رواياته في النمام

مر رجل قالوا: هذا مبلغ الأمراء قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يدخل قتات الجنة - القتات النمام -: وبسنده عن حذيفة أنه بلغه عن رجل ينم (الحديث)، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**».

وبسنده عن همام بن الحارث: كنا عند حذيفة فقيل له: إن فلاناً يرفع إلى عثمان الأحاديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قتات**».

وفي رواية أخرى، بالإسناد عن همام، عن حذيفة، كان رجل يرفع إلى عثمان الأحاديث عن حذيفة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قتات**» يعني نماماً. وبسنده قيل لحذيفة أن رجلاً ينم (الحديث)، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**»:

في النهي عن الحرير وآنية الذهب والفضة

روى أحمد في مسنده بإسناده، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن حذيفة قال: نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج وآنية الذهب والفضة وقال: هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.

وبسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تشربوا في الذهب ولا في الفضة ولا تلبسوا الحرير والديباج فإنها لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة**».

وبسنده عن ابن أبي ليلى، أن حذيفة كان بالمدائن فجاءه دهقان بقدح من فضة، فأخذه فرماه به وقال: إني لم أفعل هذا إلا أني قد نهيته فلم ينته، وأن رسول الله ﷺ نهاني عن الشرب في آنية الذهب والفضة والحرير والديباج وقال: هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة.

وبسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: خرجت مع حذيفة إلى بعض هذا السواد فاستسقى فأتاه دهقان بإناء من فضة فرماه به في وجهه، قلنا: اسكتوا اسكتوا فإنا إن سألنا لم يحدثنا، فسكتنا، فلمّا كان بعد ذلك، قال: أتدرون لم رميت به في وجهه؟.

قلنا: لا.

قال: إني كنت قد نهيته، قال النبي ﷺ: «**لا تشربوا في الذهب ولا في الفضة ولا تلبسوا الحرير والديباج فإنهما لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

وبسنده عن ابن أبي ليلى، أن حذيفة استسقى فأتاه إنسان بإناء من فضة فرماه به، وقال: إني كنت قد نهيته فأبى أن ينتهي، أن رسول الله ﷺ نهانا أن

نشرب في آنية الذهب والفضة وعن لبس الحرير والديباج وقال: هو لهم في الدنيا ولكم في الآخرة.

وبسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، استسقى حذيفة من دهقان أو علج، فأتاه بإناء فضة فحذفه به، ثم أقبل على القوم اعتذر اعتذاراً وقال: إني إنما فعلت ذلك به عمداً لأني كنت نهيته قبل هذه المرة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا عن لبس الديباج والحرير وآنية الذهب والفضة، وقال: هو لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة.

وبسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، كنت مع حذيفة بن اليمان بالمدائن فاستسقى فأتاه دهقان بإناء فرمى به ما يألوه أن يصيب به وجهه، ثم قال: لولا أني تقدمت إليه مرة أو مرتين لم أفعل به هذا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نلبس الحرير والديباج قال: هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.

كل معروف صدقة

روى **أحمد بن حنبل**، بسنده عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«كل معروف صدقة»**.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

روى **الإمام أحمد بن حنبل**، في مسنده، بسنده عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»**.

وفي رواية: أو ليبعثن عليكم قوماً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم. وبسنده عن حذيفة: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيصير (بها) منافقاً وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعاً بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم ورواه في حلية الأولياء بسنده عن حذيفة مثله.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن حذيفة قال: لعن الله من ليس منا والله لتأمرن بالمعروف ولتناهون عن المنكر أو لتقتتلن بينكم فليظهرن شراركم على خياركم فليقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ثم تدعون الله عز وجل فلا يجيبكم يمقتكم.

وبسنده عن حذيفة: ليأتين عليكم زمان خيركم من لم يأمر بمعروف وينه عن منكر يعني إن الناس في ذلك الزمان بين آمر بمنكر وناه عن معروف وساكت وهو خيرهم.

التكبير خمساً على الجنازة

في مسند أحمد بن حنبل، بسنده عن يحيى بن عبد الله الجابر قال: صليت خلف عيسى مولى لحذيفة بالمدائن على جنازة فكبر خمساً ثم التفت إلينا فقال: ما وهمت ولا نسيت ولكن كبرت كما كبر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان، صلى على جنازة وكبر خمساً ثم التفت إلينا فقال: ما نسيت ولا وهمت ولكن كبرت كما كبر رسول الله ﷺ على جنازة فكبر خمساً.

فضل الصوم والأطعام والكسوة

في تاريخ دمشق: أخرج أبو يعلى، عن حذيفة أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفاه الله فيه (إلى أن قال) فقال: يا حذيفة من ختم الله له بصوم يوم أراد به وجه الله تعالى أدخله الله الجنة، ومن أطعم جائعاً أراد به وجه الله تعالى أدخله الله الجنة، ومن كسا عارياً أراد به الله تعالى أدخله الله الجنة - الحديث.

في رجال من أصحاب النبي ﷺ

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده، عن ابن مسعود وحذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض أنظركم ليرفع لي رجال منكم حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول رب أصحابي أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وبسنده عن أبي وائل عن حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«ليردن عليّ الحوض أقوام فإذا رأيتهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي أصحابي!.**
فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

أخباره ببعض الأحداث

في شرح النهج لابن أبي الحديد: قال حذيفة بن اليمان: أول من تفقدون من دينكم الخشوع.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن عبد العزيز ابن أخ لحذيفة قال: سمعته منذ خمس وأربعين سنة قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة.

ما أثر عنه من المواعظ والحكم

في تاريخ دمشق لابن عساكر: قال حذيفة: تعودوا الصبر فإن الصبر خير، وتعودوا البلاء فإنه يوشك أن ينزل بكم البلاء مع أنه لا يصيبكم أشد مما أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ورواه في حلية الأولياء، بسنده عن صلة، عن حذيفة إلا أنه قال: تعودوا الصبر فأوشك أن ينزل بكم البلاء! أما أنه لا يصيبكم أشد الخ.

وفيه قال حذيفة: إن الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[1] ألا إن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا إن الساعة قد قربت، ألا إن المضمار اليوم والسبق غداً.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: انطلقت إلى الجمعة مع أبي بالمدائن وبيننا وبينها فرسخ وحذيفة بن اليمان على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ألا وأن القمر قد انشق، ألا وأن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وأن اليوم المضمار وغداً السباق.

---

(١) سورة القمر، الآية: ١.

فقلت لأبي: ما يعني بالسباق؟.

فقال: من سبق إلى الجنة «اهـ».

وأخرج ابن عساكر، من طريق البغوي، عن حذيفة، **ورواه أبو نعيم في الحلية**، بسنده عن حذيفة أنه قال: بحسب المرء من العلم أن يخشى الله عزَّ وجل وبحسبه من الكذب أن يقول: استغفر الله ثم يعود.

وقال فيما رواه ابن المبارك: إن الحق ثقيل وهو مع ثقله شاف، وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وبيء، وترك الخطيئة أيسر، وخير من طلب التوبة، ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، وأخرج البيهقي عنه أنه أنشد يوماً:

[البحر الخفيف]

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

فقيل له: ما ميت الأحياء؟.

قال: الذي لا يعرف المعروف بقلبه ولا ينكر المنكر بقلبه، وفي رواية: هو الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه.

وقال يوماً لرجل: أراك إذا دخلت الكنيف أبطأت في مشيتك وإذا خرجت أسرعت، فقال: أدخل وأنا على وضوء وأخرج وأنا غير وضوء، فأخاف أن يدركني الموت قبل أن أتوضأ.

فقال له حذيفة: إنك لطويل الأمل، لكني أرفع قدمي فأخاف أن لا أضع الأخرى حتى أموت.

وأخرج ابن عساكر وابن أبي شيبة، عن حذيفة أنه قال: لوددت لو أن لي من يصلح لي مالي فأغلق عليَّ بابي، فلا يدخل عليَّ أحد حتى ألحق الله عز وجل.

وقيل له: ما لك لا تتكلم؟.

فقال: إن لساني سبع أخاف إن تركته يأكلني.

وقال ليس خياركم من ترك الدنيا لآخرة، ولكن خياركم من أخذ من كل شيء أحسنه.

وقال: خياركم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم ومن آخرتهم لدنياهم.

وسئل يوماً عن مسألة فقال: إنما يفتي أحد ثلاثة: من عرف الناسخ والمنسوخ، أو رجل ولي سلطاناً فلا يجد من ذلك بداً أو متكلف.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن حذيفة أنه قال: إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يصير كالشاة الربداء.

وبسنده عن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن.

قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟.

قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه.

وبسنده عن الأعمش: بلغني أن حذيفة كان يقول: ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يتناولون من كل.

وبسنده عن كردوس قال: خطب حذيفة بالمدائن فقال: أيها الناس تعاهدوا ضرائب غلمانكم، فإن كانت من حلال فكلوها، وإن كانت من غير ذلك فارفضوها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إنه ليس من لحم ينبت من سحت فيدخل الجنة**».

وأخرج أبو نعيم أيضاً في الحلية، من طريق أحمد بن حنبل، عن حذيفة: إن بائع الخمر كشاربها، ألا إن مقتني الخنازير كآكلها، تعاهدوا أرقاءكم فانظروا من أين يجيئون بضرائبهم، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت.

وبسنده عن حذيفة قال: إن في القبر حساباً، وفي القيامة حساباً، فمن حوسب يوم القيامة عذب.

التنزه عن منازعة الأشرار والفجار

في كشكول البهائي: قال حذيفة بن اليمان لرجل: أتحب أن تغلب شر الناس؟.

قال: نعم.

فقال: إنك لن تغلبه حتى تكون شراً منه «اهـ».

وفي حلية الأولياء، بسنده قال حذيفة لرجل: أيسرك أنك قتلت أفجر الناس؟.

قال: نعم.

قال: إذاً تكون أفجر منه «اهـ». يريد بذلك أنه ينبغي التنزه عن منازعة الأشرار والفجار.

✍ ما أثر عنه من الدعاء

في تاريخ دمشق أن حذيفة قال يوماً: لأقومنَّ اليوم ولأمجدنَّ ربي عز وجل، قال الراوي: فسمعت صوتاً لم أسمع صوتاً قط أحسن منه فقال: اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله، وإليك يرجع الأمر كله علانية وسراً، اغفر لي ما سلف مني واعصمني فيما بقي.

✍ القلوب أربعة

في حلية الأولياء، بسنده عن حذيفة قال: القلوب أربعة:

١ - **قلب أغلف:** فذلك قلب الكافر.

٢ - **وقلب مصفح:** فذلك قلب المنافق.

٣ - **وقلب أجرد فيه سراج يزهر:** فذلك قلب المؤمن.

٤ - **وقلب فيه نفاق وإيمان:** فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القرحة يمدها قيح ودم فأيهما ما غلب عليه غلب.

✍ التلاعن

في حلية الأولياء، عن حذيفة: ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول.

✍ توليته على المدائن ووفاته بها

ذكر المؤرخون أن عمر ولاَّه المدائن، لكنهم لم يذكروا في أي سنة كان ذلك، ولكن الظاهر أن ذلك كان بعد خروج سعد من المدائن وبنائه الكوفة، وقد

اختلف في فتح المدائن فقيل: إنه كان سنة ١٦ وقيل: سنة ١٩، ذكر القولين ابن الأثير في الكامل، وقال ابن الأثير: قيل إن حذيفة كان مع سعد، فكتب حذيفة إلى عمر يشكو تغير أجسام العرب. فكتب عمر إلى سعد أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين، فخرج سلمان في غربي الفرات وحذيفة في شرقيه حتى أتيا الكوفة فأعجبتهما، فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة ١٧ وقيل سنة ٢٠.

فالظاهر أن عمر ولى حذيفة المدائن بعد خروج سعد منها سنة ١٧، بناء على أن فتح المدائن سنة ١٦ أو سنة ٢٠، بناء على أن فتح المدائن سنة ١٩.

وفي الطبقات الكبير لابن سعد، عن الواقدي قال: استعمل عمر بن الخطاب حذيفة على المدائن.

ثم روى بسنده عن طلحة قال: قدم حذيفة بالمدائن على حمار باكافه سادلاً رجليه ومعه عرق ورغيف وهو يأكل.

ورواه أبو نعيم في الحلية، وفي بعض رواياته: وهو يأكل على الحمار، وهو في سادل رجليه من جانب.

وفي الإصابة: قال العجلي: استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي عليه السلام بأربعين يوماً.

ومثله في تاريخ دمشق. وروى الخطيب في تاريخ بغداد، بسنده عن ابن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميراً كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا. فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه.

فقالوا: هذا رجل له شأن فركبوا ليلتقوه، فلقوه على بغل تحته أكاف وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد فلم يعرفوه فأجازوه فلقيهم الناس فقالوا لهم: أين الأمير؟.

قالوا: هو الذي لقيتم فركضوا في أثره فأدركوه وفي يده رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل، فسلموا عليه فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف، فلما غفل ألقاه أو قال: أعطاه خادمه.

وفي **أسد الغابة** قال محمد بن سيرين: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عهده: وقد بعثت فلاناً وأمرته بكذا.

فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم، فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين فلما قرأ عهده قالوا: سلنا ما شئت.

قال: أسألكم طعاماً آكله وعلف حماري ما دمت فيكم، فأقام فيهم..

ثم كتب إليه عمر ليقدم عليه، فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق، فلما رآه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها أتاه عمر فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك «اهـ».

وقد صرح المؤرخون بأنه بقي والياً على المدائن إلى أن قتل عثمان وبويع علي بن أبي طالب عليه السلام ومات بعد بيعته بأربعين يوماً، لكنهم لم يذكروا أن عثمان ولاه المدائن أو عزله ثم ولاه، إلا أن الديلمي في إرشاد القلوب، روى مرفوعاً قال:

لما استخلف آوى إليه عمه الحكم بن العاص، وولده مروان، والحارث بن الحكم، ووجه عماله في الأمصار، كان فيمن وجه الحارث بن الحكم إلى المدائن، فأقام بها مدة يتعسف أهلها ويسيء معاملتهم، فوفد منهم إلى عثمان وفد يشكونه، وأعلموه بسوء ما يعاملهم به وأغلظوا عليه في القول، فولى حذيفة بن اليمان عليهم وذلك في آخر أيامه، فلم ينصرف حذيفة عن المدائن، إلى أن قتل عثمان، واستخلف علي بن أبي طالب فأقام حذيفة عليها، وكتب إليه علي عليه السلام.

كتاب علي عليه السلام إلى حذيفة بتوليته المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى حذيفة بن اليمان: سلام عليك، أما بعد:

فإني قد وليتك ما كنت عليه لمن كان قبلي من جرف المدائن، وقد جعلت إليك أعمال الخراج والرستاق وجباية أهل الذمة، فاجمع إليك ثقاتك ومن

أحببت ممن ترضى دينه وإعانته، واستعن بهم على أعمالك، فإن ذلك أعز لك ولوليك وأكبت لعدوك.

وإني آمرك بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية، وأحذرك عقابه في المغيب والمشهد، وأتقدم إليك بالإحسان إلى المحسن والشدة على المعاند، وآمرك بالرفق في أمورك واللين والعدل في رعيتك، فإنك مسؤول عن ذلك، وإنصاف المظلوم، والعفو عن الناس، وحسن السيرة ما استطعت فالله يجزي المحسنين، وآمرك أن تجبي خراج الأرضين على الحق والنصفة، ولا تتجاوز ما تقدمت به إليك ولا تدع منه شيئاً ولا تبتدع فيه أمراً ثم أقسمه بين أهله بالسوية والعدل واخفض لرعيتك جناحك، وواس بينهم في مجلس وليكن القريب والبعيد عندك في الحق سواء واحكم بين الناس بالحق وأقم فيهم بالقسط ولا تتبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وقد وجهت إليك كتاباً لتقرأه على أهل مملكتك ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين فأحضرهم واقرأه عليهم، وخذ البيعة لنا على الصغير والكبير منهم إن شاء الله تعالى.

فلما وصل عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة جمع الناس فصلى بهم، ثم أمر بالكتاب فقرىء عليهم وهو:

كتاب علي عليه السلام إلى أهل المدائن حين ولى عليهم حذيفة

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين! سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد وآله.

فأما بعد: فإن الله تعالى اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله إحكاماً لصنعه وحسن تدبيره ونظراً منه لعباده، وخص به من أحب من خلقه، فبعث إليهم محمداً صلى الله عليه وآله فعلمهم الكتاب والحكمة إكراماً وتفضيلاً لهذه الأمة، وأدبهم لكي يهتدوا وجمعهم لئلا يتفرقوا ووقفهم لئلا يجوروا، فلما قضى ما كان عليه من ذلك مضى إلى رحمة الله به حميداً محموداً، ثم إن بعض المسلمين أقاموا بعده رجلين رضوا بهداهما وسيرتهما، فأقاما ما شاء الله، ثم توفاهما الله عز وجل، ثم

ولوا بعدهما الثالث فأحدث أحداثاً ووجدت الأمة عليه فعالاً، فاتفقوا عليه ثم نقموا منه فغيروا، ثم جاؤوني كتتابع الخيل فبايعوني فإني أستهدي الله بهداه وأستعينه على التقوى، إلا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والقيام عليكم بحقه وإحياء سنته والنصح لكم بالمغيب والمشهد وبالله نستعين على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل، وقد وليت أموركم حذيفة بن اليمان وهو ممن أرتضي بهداه وأرجو صلاحه، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بجميعكم، أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان ورحمة الله الواسعة في الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم إن حذيفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآل محمد ثم قال:

خطبة حذيفة بالمدائن لما وليها من قبل علي عليه السلام ودعوته الناس إلى البيعة

الحمد لله الذي أحيا الحق وأمات الباطل وجاء بالعدل ودحض الجور وكبت الظالمين، أيها الناس! إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً وخير من نعلمه بعد نبينا ﷺ وأولى الناس بالناس وأحقهم بالأمر وأقربهم إلى الصدق وأرشدهم إلى العدل وأهداهم سبيلاً وأدناهم إلى الله وسيلة وأمسهم برسول الله ﷺ رحماً.

أنيبوا إلى طاعة أول الناس سلماً وأكثرهم علماً وأقصدهم طريقة وأسبقهم إيماناً وأحسنهم يقيناً وأكثرهم معروفاً وأقدمهم جهاداً وأعزهم مقاماً أخي رسول الله ﷺ وابن عمه وأبي الحسن والحسين وزوج الزهراء البتول سيدة نساء العالمين، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب وسنة نبيه، فإن لله في ذلك رضاً ولكم مقنع وصلاح والسلام.

فقام الناس بأجمعهم فبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام بأحسن بيعة وأجمعها، فلما استتمت البيعة قام إليه فتى من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمد بن عمارة بن التيهان أخي أبي الهيثم بن التيهان يقال له: مسلم متقلداً سيفاً، فنادى من أقصى الناس: أيها الأمير وسأله عن أمر، وقال: فعرفنا ذلك أيها الأمير

رحمك الله ولا تكتمنا فإنك ممن شهد وغبنا ونحن مقلدون ذلك في أعناقكم والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمتكم وصدق الخبر عن نبيكم صلى الله عليه وآله.

فقال حذيفة: أيها الرجل أما إذا ما سألت وفحصت هكذا فأسمع وأفهم ما أخبرك به: إن من تسمى بإمرة المؤمنين قبل علي بن أبي طالب فإنهم تسموا بذلك وسماهم به الناس وعلي بن أبي طالب سماه بهذا الاسم جبرائيل عن الله تعالى، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله، عن سلام جبرائيل له بإمرة المؤمنين.

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعونه في حياة رسول الله بإمرة المؤمنين.

قال الفتى: كيف كان ذلك؟.

قال حذيفة: إن الناس كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وآله - قبل الحجاب - إذا شاؤوا فنهاهم أن يدخل أحد عليه وعنده دحية بن خليفة الكلبي لأن جبرائيل كان يهبط عليه في صورته.

قال حذيفة: وإني أقبلت يوماً لبعض أموري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مهجراً رجاء أن ألقاه خالياً، فإذا أنا بشملة قد سدلت على الباب، فرفعتها وهممت بالدخول فإذا أنا بدحية قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وآله والنبي نائم، ورأسه في حجر دحية، فلما رأيته انصرفت فلقيني علي بن أبي طالب، فقال: من أين أقبلت؟.

قلت: من عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: وماذا صنعت عنده؟.

قلت: أردت الدخول عليه في كذا وكذا فكان عنده دحية الكلبي، وسألت علياً معونتي في ذلك الأمر.

قال: ارجع فرجعت وجلست بالباب ورفع علي الشملة ودخل فسلم فسمعت دحية يقول: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته اجلس فخذ رأس أخيك وابن عمك من حجري فأنت أولى الناس به، فجلس وأخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وآله فجعله في حجره، وخرج دحية من البيت، فقال علي عليه السلام: ادخل يا حذيفة فدخلت وجلست، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وآله فضحك في وجه علي، ثم قال: «**يا أبا الحسن من حجر من أخذت رأسي؟**».

قال: من حجر دحية الكلبي.

فقال: **«ذلك جبرائيل يا علي إن جبرائيل سلم عليك بإمرة المؤمنين عن أمر الله عز وجل وقد أوحى إليَّ عن ربي أن أفرض ذلك على الناس»** فلما كان الغد بعثني رسول الله ﷺ إلى ناحية فدك في حاجة فلبثت أياماً ثم قدمت فوجدت الناس يتحدثون أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين (الحديث) اهـ ما أردنا نقله من إرشاد الديلمي.

خطبته وبيعته علياً عليه السلام في رواية المسعودي

قال المسعودي في مروج الذهب: كان حذيفة عليلاً بالكوفة[1] في سنة ٣٦ فبلغه عثمان وبيعة الناس لعلي، فقال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة فوضع عن المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وعلى آله ثم قال: أيها الناس إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازروه، فوالله إنه لعلى الحق آخراً وأولاً، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال: اللهم أشهد قد بايعت علياً وقال: الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم، وقال لابنيه صفوان وسعد: احملاني وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل.

ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام، وقيل: بأربعين يوماً واستشهد ولداه صفوان وسعد مع علي بصفين «اهـ».

وفي معجم البلدان عند ذكر السواد: مسح حذيفة بن اليمان سقي الفرات ومات بالمدائن والقناطر المعروفة بقناطر حذيفة منسوبة إليه، وذلك لأنه نزل عندها وكان ذراعه وذراع ابن حنيف ذراع اليد وقبضة وإبهاماً ممدودة.

وفيه أيضاً: قناطر حذيفة بسواد بغداد منسوبة إلى حذيفة بن اليمان الصحابي لأنه نزل عندها، وقيل: لأنه رمها وأعاد عمارتها وقيل: قناطر حذيفة بناحية الدينور «اهـ».

---

(١) لعب الصواب بالمدائن كما مر.

خطبته بالمدائن في أمر الساعة

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا من المدائن على فرسخ، فلما جاءت الجمعة حضر وحضرت فخطبنا حذيفة فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق.

فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟.

قال: يا بني إنك لجاهل؟.

إنما يعني العمل اليوم والجزاء غداً.

فلما جاءت الجمعة الأخرى حضرنا فخطبنا حذيفة فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أخباره لما حضرته الوفاة «وصيته»

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن بلال بن يحيى قال: لما حضر حذيفة الموت وكان قد عاش بعد عثمان أربعين يوماً قال لنا: «**أوصيكم بتقوى الله والطاعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب**».

وفي تاريخ دمشق، عن خالد بن ربيع العبسي في حديث: أن حذيفة أوصى أبا مسعود الأنصاري حين جاء إليه إلى المدائن لما سمع بوجعه فقال: عليك بما تعرف ولا تكن بأمر الله واهنا.

ما قاله في مرضه

في تاريخ دمشق: قيل له في مرضه: ما تشتهي؟.

فقال: أشتهي الجنة.

فقيل له: ما تشتكي؟.

فقال: أشتكي الذنوب.

قالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟.

فقال: الطبيب أمرضني، لقد عشت فيكم على خلال ثلاث:

١ - الفقر فيكم أحب إليَّ من الغنى.

٢ - والضعة فيكم أحب إليَّ من الشرف.

٣ - ومن حمدني فيكم ولامني في الحق سواء.

وقال: اللهم إنك تعلم لولا أني أرى هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياة، مرحباً بالموت وأهلاً بحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إني لم أحب الدنيا لحفر الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لسهر الليل وظماء الهواجر وكثرة الركوع والسجود والذكر والجهاد في سبيل الله ومزاحمة العلماء بالركب.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن زياد مولى ابن عباس قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أني أرى هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم إنني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات.

وبسنده عن الحسن قال: حضر حذيفة الموت فقال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها «اهـ».

قوله لما ثقل وجيء بأكفانه ووصيته فيها

في حلية الأولياء، بسنده عن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس، فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا: أي ساعة هذه؟.

قلنا: جوف الليل أو آخر الليل.

فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: أجئتم معكم بأكفان؟.

قلنا: نعم.

قال: فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خبر فإنه يبدل بكسوته كسوة خيراً منها وإلا يسلب سلباً.

وفي تاريخ دمشق، قال خالد بن ربيع العبسي: سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري في نفر إنا فيهم إلى المدائن - والظاهر أنهم جاؤوا من الكوفة - فأتيناه في بعض الليل فقال: أي ساعة من الليل الآن؟.

قلنا: جوف الليل.

فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار - وفي هذا دلالة على شدة خوفه من الله تعالى - ثم قال: هل جئتم بأكفاني؟.

قلنا: نعم.

قال: فلا تغالوا بكفني، فإن يكن لصاحبكم عند الله خير يبدله خيراً من كسوتكم وإلا يسلب سلباً سريعاً، وقال: لا يكفني إلا ريطتان بيضاوان ليس معهما قميص - هكذا وردت هذه الرواية، والثابت في الشرع وجوب ثلاثة أثواب: قميص وإزار ورداء -.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده إلى قيس بن أبي حازم قال: لما أتى حذيفة بكفنه وكان مسنداً إلى أبي مسعود فأتي بكفن جديد فقال: ما تصنعون بهذا وإن كان صاحبكم صالحاً ليبدلن الله له، وإن كان غير ذلك ليضربن الله به وجهه يوم القيامة.

ويسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: أغمي على حذيفة من أول الليل ثم أفاق فقال: أي الليل هذا؟.

قلت: السحر الأعلى.

قال: عائذ بالله من جهنم، مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: ابتاعوا لي ثوبين فكفنوني فيهما ولا تغلوا عليّ فإن صاحبكم إنْ يرضَ عنه لبس خيراً منهما وإلا سلبهما سلباً سريعاً.

وفي حلية الأولياء، بسنده عن قيس، عن أبي مسعود قال: لما أتي حذيفة بكفنه وكان مسنداً إلى أبي مسعود، فأتي بكفن جديد، فقال: ما تصنعون بهذا إن كان صاحبكم صالحاً ليبدلن الله تعالى به، وإن كان غير ذلك ليترامن (ليترامين ظ) به رجواها إلى يوم القيامة.

وفي الحلية، بسنده عن صلة بن زفر: إن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفناً حلة عصب بثلاثمائة درهم فقال: أرياني ما ابتعتما لي فأريناه فقال: ما هذا لي بكفن إنما يكفيني ريطتان بيضاوان ليس معهما قميص فإني لا أترك إلا قليلاً حتى أبدل خيراً منهما أو شراً منهما، فابتعنا له ريطتين بيضاوين.

وفي تاريخ دمشق: روى أبو سليمان أن حذيفة لما أتي بالكفن قال: إنْ يصب أخوكم خيراً فعسى وإلا فليترامين في رجواها.

قال الخطابي: يريد برجواها ناحيتي القبر وإنما أتت على نية الأرض أو إرادة الحفرة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾(١) ولم يتقدم للأرض ذكر، وكقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾(٢) ولم يتقدم للشمس ذكر، وقال حاتم:

[البحر الطويل]

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

يريد النفس، وأعمال الضمير في كلام العرب قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾(٣) وواحدة رجى مقصور والثنية رجوان قال الشاعر:

[البحر الطويل]

كأن لم تري قبلي أسيراً مكبلا ... ولا رجلاً يرمي به الرجوان

✍ ما جرى له عند الموت

في أسد الغابة: قال ليث بن أبي سليم، لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً فقيل: ما يبكيك؟.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦١.
(٢) سورة ص، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

فقال: ما أبكي أسفاً على الدنيا بل الموت أحب إليَّ، ولكني لا أدري على ما أقدم رضاً أم على سخط.

وقيل: لما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا اللهم إنك تعلم أني أحبك فبارك لي في لقائك ثم مات.

وفي تاريخ دمشق في تتمة خبر خالد بن ربيع العبسي السابق: ولما نزل بحذيفة الموت، وذكر مثله إلى قوله: أم على سخط ثم قال: فرب يوم أتاني به الموت فلم أشك، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري ما أنا فيها، ثم قال: وجهوني فوجهناه.

وفي حلية الأولياء بسنده: قال حذيفة عند الموت: رب يوم لو أتاني الموت لم أشك، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا فيها.

ومن كلام حذيفة في الأخبار عن المغيبات، **ما حكاه الطبرسي في جوامع الجامع**، قال عن حذيفة: أنتم أشبه الأمم سمتاً ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا، ولا شك أن ذلك مما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فائدة

ذكر ابن الشجري في أماليه، أن اليمان والد حذيفة أصله اليماني نسبة إلى اليمن، ثم خفف بحذف الياء فلم يقل فيه إلا اليمان.

لقد عاش «حذيفة بن اليمان» مفتوح البصر والبصيرة على مآتي الفتن. ومسالك الشرور ليتقيها، وليحذر الناس منها. ولقد أفاء عليه هذا بصراً بالدنيا، وخبرة بالناس، ومعرفة بالزمن. وكان يدير المسائل في فكره وعقله بأسلوب فيلسوف، وحصافة حكيم..

ويقول رضي الله عنه:

«إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب؛ فَحَيِيَ بالحق من كان ميتاً..

ومات بالباطل من كان حيًّا..

ثم ذهبت النبوة، وجاءت الخلافة على منهاجها...

ثم يكون ملكاً عضوضاً...!!

فمن الناس من ينكر بقلبه ويده، ولسانه... أولئك استجابوا للحق...

ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه، كافًّا يده، فهذا ترك شُعبة من الحق...

ومنهم من ينكر بقلبه، كافاً يده ولسانه، فهذا ترك شعبتين من الحق...

ومنهم من لا ينكر بقلبه، ولا بيده، ولا بلسانه، فذلك ميت الأحياء»!!

ويتحدث عن القلوب وعن حياة الهدى والضلال فيها فيقول:

«القلوب أربعة:

- قلبٌ أَغْلَقَ، فذلك قلب الكافر...

- وقلبٌ مصفح، فذلك قلبُ المنافق...

- وقلبٌ أجرد، فيه سِرَاج يُزْهِر، فذلك قلبُ المؤمن...

- وقلبٌ فيه نفاق وإيمان؛ فمثلُ الإيمان كمثَل شجرة يُمِدُّها ماءٌ طيب.. وَمَثَلُ النفاق كمثل القُرحة يُمِدُّها قَيح ودم: فأيهما غلَبَ، غَلَبَ»..!!

وخبرة حذيفة بالشر، وإصراره على مقاومته وتحدِّيه، أكسبا لِسَانه وكلماته شيئاً من الحِدَّة، ويُنبئنا هو بهذا في شجاعة نبيلة:

فيقول:

«جئتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن لي لساناً ذَرِباً على أهلي، وأخشى أن يُدْخِلني النار...

فيقال لي النبي ﷺ: فأين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرَّة»...

هذا هو حذيفة عدوُّ النفاق، صديقُ الوضوح..

ورجل من هذا الطراز، لا يكون إيمانه إلا وثيقاً.. ولا يكون ولاؤه إلا عميقاً.. وكذلكم كان حُذيفة في إيمانه وولائه...

لقد رأى أباه المسلم يُصْرَع يوم أُحُد.. وبأيدٍ مسلمة، قتلتهُ خطأً وهي تحسَبُهُ واحداً من المشركين..!!

وكان حذيفة يتلفَّت مصادفة، فرأى السيوف تَنوشهُ، فصاح في ضاربيه: أبي... أبي... إنه أبي...!!

لكن القضاء كان قد حُمَّ...

وحين عرف المسلمون، تولاهم الحزن والوُجوم... لكنه نظر إليهم في إشفاق ومغفرة، وقال:

«يغفُر الله لكم، وهو أرحم الراحمين»...

ثم انطلق بسيفه صوب المعركة المشبوبة يُبلي فيها بلاءه، ويُؤَدّي واجبه...

وتنتهي المعركة، ويبلغ الخبر رسول الله ﷺ فيأمر بالدِّيَةِ عن والد حذيفة «حُسيل بن جابر رضي الله عنه» فيعتذر ابنه حذيفة عنها، ويتصدَّق بها على المسلمين، فيزداد الرسول له حُبًّا وتقديراً...!!

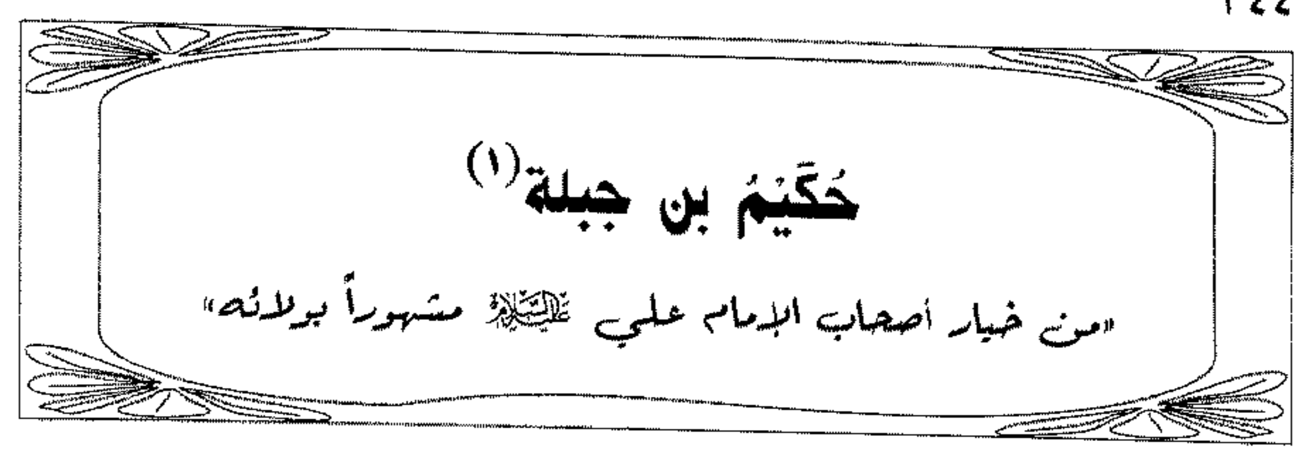
وإيمان حذيفة وولاؤه، لا يعترفان بالعجز، ولا بالضعف... بل، ولا بالمستحيل..

✍ مصادره:

إتقان المقال/ ٣٨. الاستيعاب ١/ ٢٧٧. أسد الغابة ١/ ٣٩٠. الاشتقاق/ ٢٧٩. الإصابة ١/ ٣١٧. الأعلام ٢/ ١٨٠. الأنساب/ ورقة ١٦٠. بهجة الآمال ٣/ ٤٦. تاريخ بغداد ١/ ١٦١. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تاريخ الخميس ٢/ ٢٥٨. تحفة الأحباب/ ٥٤. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٥. تقريب التهذيب ١/ ١٥٦. تنقيح المقال ١/ ٢٥٩. تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٩. جامع الرواة ١/ ١٨٢. الجرح والتعديل ٣/ ٢٥٦. حلية الأولياء ١/ ٢٧٠. خلاصة الأقوال/ ٦٠. الدرجات الرفيعة/ ٢٨٣. رجال ابن داود/ ٧١. رجال الطوسي/ ٣٧. رجال الكشي/ ٣٦. رجال البرقي/ ٢. سفينة البحار١/ ٢٣٤. شذرات الذهب١/ ٤٤. ابن أبي الحديد ٢/ ٥١، ٥٢، ١٨٧، ١٨٨، ٤/ ٧٨ و٨/ ٢٦ و٩/ ١٠١ و١٠/ ١٠٥ و١١/ ١٢١ و١٢/ ٢٣ و١٣/ ١٨٥ و١٥/ ١٦٢ و١٨/ ٣١٨ و١٩/ ٦٠ و٢٠/ ٣٢، ٢٤٣. الطبقات الكبرى ١/ ٢٨٧، ٣٥٢ و٢/ ٦٩ و٣/ ٢٥٠، ٤٤١ و٤/ ٨٤ و٥/ ٢٥، ٣٣ و٦/ ٨٥، ٢٩٧، ٣٥٤ و٧/ ١٠٠. العقد الفريد ٣/ ٣ و٤/ ٢١٦ و٥/ ١٢، ٥٤. الغارات ١/ ١١، ٢٨، ٥٥، ١٦٥، ١٧٧ و٢/ ٤٥٨، ٦٧٤، ٨٢٦،(. الغدير ١/

٢٧. الفوائد الرجالية ٢/ ١٦٢، ١٦٦. فهرست النديم/ ٢٧. قاموس الرجال ٣/ ٩٥. الكامل في التاريخ ٣/ ٩ . ١٤ و١٠٩ . ١١١، ١٣٣. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٢. اللباب ١/ ٣٥١. مجمع الرجال ٢/ ٨٨. مرآة الجنان ١/ ١٠٠. مروج الذهب ٢/ ٣٩٤. المعارف/ ١١٤. معجم الثقات/ ٣١. معجم رجال الحديث ٤/ ٢٤٥. منتهى المقال/ ٩٠. مجالس المؤمنين ١/ ٢٢٩. النجوم الزاهرة ١/ ١٠٢. نقد الرجال/ ٨٤. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٧٧. وقعة صفين/ ٣٤٣. وفيات الأعيان ٢/ ٣٠٠، ٤٧٦ و٥/ ٣٥١. هدى الساري/ ٢١٥.حكيم بن جبلة.





حُكَيمُ بن جبلة(١)

«من خيار أصحاب الإمام علي عليه السلام مشهوراً بولائه»

نسبه: حكيم بن جبلة بن حصن، أو حصين بن أسود بن كعب بن عامر بن الحارث بن الديل بن غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار العبدي الربعي.

استشهد بالبصرة سنة ٣٦.

(حكيم) في الاستيعاب، وأسد الغابة بضم الحاء وقيل: بفتحها والأول أكثر ابن جبلة وهو الأكثر ويقال: ابن جبل «اهـ».

(والعبدي) نسبة إلى عبد القيس وكانت تتشيع وهي من ربيعة.

أقوال العلماء فيه

عن الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام.

وعن مجالس الصدوق إنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه كان رجلاً صالحاً مطاعاً في قومه، وحارب طلحة والزبير قبل قدوم أمير المؤمنين عليه السلام واستشهد.

وقال المسعودي في مروج الذهب عند ذكر وقعة الجمل: إن أصحاب الجمل قتلوا حكيم بن جبلة العبدي، وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها «اهـ».

وقال أبو مخنف: كان حكيم شجاعاً مذكوراً «اهـ».

وفي الاستيعاب: أدرك حكيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أعلم له عنه رواية، ولا خبر

---

(١) أعيان الشيعة ج٩ ص ٤٨٢، ح٥٧٨٠.

يدل على سماعه منه ولا رؤية، وكان رجلاً صالحاً له دين، مطاعاً في قومه، بعثه عثمان إلى السند فنزلها، ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: ماؤها وشل، ولصها بطل، وسهلها جبل، إن كثر الجند بها جاعوا، وإن تلوا بها ضاعوا، فلم يوجه عثمان إليها أحداً حتى قتل «اهـ»[1].

وفي الدرجات الرفيعة: كان رجلاً صالحاً شجاعاً مذكوراً مطاعاً في قومه، وهو من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، مشهوراً بولائه والنصح له وفيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد:

[البحر الرجز المجزوء]

دعـا حـكـيـم دعـوة سـمـيـعـهْ   نـال بـهـا الـمـنـزلـة الـرفـيـعـهْ

أخباره ومقتله

روى الطبري في تاريخه، وذكر ابن الأثير في الكامل: أن طلحة والزبير لما قدما البصرة مع عائشة قبل قدوم علي، وتوافقوا مع عثمان بن حنيف وأصحابه، أقبل حكيم بن جبلة وقد خرج وهو على الخيل، فانشب القتال وأسرع أصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ويقول:

[البحر الرجز المجزوء]

ضـربـاً دراكـا إنـهـا قـريـش   لـيـرديـنـهـا جـبـنـهـا والـطـيـش

(١) حُكَيم بن جبلة بن حصين العبدي، ويقال ابن جبل. من أصحاب عليّ عليه السلام ومن الثابتين على طاعته، والعارفين بحقّه في الخلافة. أثنى عليه أصحاب التراجم بعبارات متنوّعة، منها: «كان مُطاعاً في قومه»، ومنها: «أحد أشراف الأبطال»، ومنها: «وما سُمع بأشجع منه». تولّى قيادة البصريّين في الثورة على عثمان.
وعندما نقض مساعير فتنة المال «طلحة والزبير» ومن معهما الهدنة مع عثمان بن حنيف، وحملوا على الناس، وهمّوا باحتلال البصرة، قاتلهم حكيم وأصحابه بشجاعة وبصيرة. وارتفاع كلمته الرائعة عند القتال: «إنّي لستُ في شكٍّ من قتال هؤلاء...» آية على معرفته الدقيق واعتقاده العميق بالحقّ. وقد رزقه الله الشهادة في ذلك القتال.
وذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ مقتل حكيم كان أحد الأسباب التي دفعته إلى مقاتلة أصحاب الجمل ومواجهة فتنتهم وفسادهم.

واقتتلوا على فم السكة، وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى، فرموا باقي الآخرين بالحجارة، وحجز بينهم الليل، وبات أصحاب عائشة يتأهبون، وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم وغدا حكيم بن جبلة وهو يبربر وفي يده الرمح فقال له رجل من عبد القيس: على من تتكلم.

قال: على عائشة.

قال: يا بن الخبيثة ألأم المؤمنين تقول هذا، فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله، ثم مر بامرأة فجرى له معها ما جرى مع الرجل فطعنها بين ثدييها فقتلها، ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق ومن بزوغ الشمس إلى الزوال، ثم تهادنوا على أن يصلي عثمان بالناس حتى يكتب إلى علي فلم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا وأخذوا عثمان وأرادوا قتله، ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا كل شعرة في وجهه وضربوه، وأصبح طلحة والزبير وبيت المال في أيديهما، وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره، فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة، وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام أراد عبد الله بن الزبير أن يرزقه أصحابه فقال له عبد الله: ما لك يا حكيم.

قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام، وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على مال كتبتم بينكم حتى يقدم علي، وأيم الله لو أجد أعواناً ما رضيت بهذا منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا الحلال بمن قتلتم، أما تخافون الله بم تستحلون الدم الحرام قال: بدم عثمان.

قال: فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان، أما تخافون مقت الله.

فقال له عبد الله: لا نرزقكم من هذ الطعام ولا نخلي سبيل عثمان حتى يخلع علياً.

فقال حكيم: اللهم إنك حكم عدل فاشهد، وقال لأصحابه: لست في شك من قتال هؤلاء القوم، وتقدم فقاتلهم ونادي أصحاب عائشة من لم يكن من قتله عثمان: فليكفف فإنا لا نريد قتاله، فانشب حكيم القتال ولم يرع للمنادي،

فاقتتلوا أشد قتال ومع حكيم أربعة قواد هو أحدهم، فكان حكيم بحيال طلحة فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمائة رجل وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول:

[البحر الرجز المشطور]

أضربهم باليابس ضرب غلام عابس
من الحياة آيس في الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها، فأخذ حكيم رجله فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه، ووقذه ثم حبا إليه فقتله واتكأ عليه وقال:

[البحر الرجز المشطور]

يا فخذ لا تراعي إن معي ذراعي
أحمي بها كراعي

وقال:

[البحر الرجز المجزوء]

أقول لما جدني زماعي للرجل يا رجلي لن تراعي
إن معي من نجدة ذراعي

وقال وهو يرتجز:

[البحر الرجز المجزوء]

ليس علي أن أموت عار والعار في الناس هو الفرار
والمجد لا يفضحه الدمار

فأتى إليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال: ما لك يا حكيم.

قال: قتلت.

قال: من قتلك.

قال: وسادتي فاحتمله فضمه في سبعين من أصحابه فتكلم يومئذٍ حكيم وإنه لقائم على رجل واحد وإن السيوف لتأخذهم فما يتعتع ويقول: إنا خلفنا هذين، وقد بايعا خلفنا هذين وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة، ثم أقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم أنهما لم يردا عثمان.

وهذا منتهى الشجاعة والصبر والجلد، قال ابن الأثير. وقتلوا وقتل معهم قتله يزيد ابن الأسحم الحداني فوجد حكيم قتيلاً بين يديه وأخيه كعب وقيل: قتله رجل يقال له: ضخيم وقتل معه ابنه الأشرف وأخوه الرعل ابن جبلة «اهـ».

وفي الاستيعاب: كان حكيم بن جبلة ممن يعيب عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله، ولما قدم الزبير وطلحة وعائشة البصرة وعليها عثمان بن حنيف والياً لعلي بن أبي طالب، بعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل، فلقي طلحة والزبير بالزابوقة قرب البصرة، فقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل رحمه الله قتله رجل من بني حدان، هذه رواية الاستيعاب في قتل حكيم بن جبلة.

قال: وقد روي أنه لما غدر ابن الزبير بعثمان بن حنيف بعد الصلح الذي كان عقده عثمان مع طلحة والزبير، أتاه ابن الزبير ليلاً في القصر فقتل نحواً من أربعين رجلاً من الحرس على باب القصر، وفتح بيت المال وأخذ عثمان بن حنيف فصنع به ما يأتي وذلك قبل قدوم علي البصرة، فبلغ ما صنع ابن الزبير بعثمان بن حنيف حكيم بن جبلة، فخرج في سبعمائة من ربيعة فقاتلهم حتى أخرجهم من القصر، ثم كروا عليه فقاتل حتى قطعت رجله ثم قاتل ورجله مقطوعة حتى ضربه سحيم الحداني فقطع عنقه، واستدار رأسه في جلدة عنقه حتى سقط وجهه على قفاه.

وقال أبو عبيدة: قطعت رجل حكيم بن جبلة يوم الجمل، فأخذها ثم زحف إلى الذي قطعها فلم يزل يضربه حتى قتله.

وقال:

[البحر الرجز المشطور]

يا نفس لن تراعي دعاك خير داعي
إن قطعت كراعي إن م ع ي ذراع ي

قال أبو عبيدة (معمر بن المثني): وليس يعرف في جاهلية ولا إسلام أحد فعل مثل فعله.

قال أبو عمر، هكذا قال أبو عبيدة: قطعت رجله يوم الجمل، وهذا منه على المقاربة لأنه قتل قبل الجمل بأيام، وقد عرض لمعاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر في قطع يده من الساعد قريب من هذا.

قال: وذكر المدائني، عن شيوخه بعدة أسانيد: أنه لما أخذ عثمان بن حنيف استشاروا عائشة فيه فقالت: اقتلوه.

فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان بن حنيف وصحبته لرسول الله ﷺ.

فقالت: احبسوه ولا تقتلوه.

فقال لهم مجاشع ابن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، فلما كا نت الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حنيف غدا عبدالله بن الزابوقة ومدينة الرزق وفيها طعام يرزقونه الناس، فأراد أن يرزقه أصحابه وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاه إن لمن أنصره، فجاءه في سبعمائة من عبد القيس، وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس فأتى ابن الزبير في مدينة الرزق فقال: ما لك يا حكيم.

قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام، وإن تخلوا عثمان بن حنيف فيقيم في دارة الإمارة على ما كنتم كتبتم بينكم حتى يقدم علي، وأيم الله لو أجد أعواناً عليكم ما رضيت بهذا منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله بم تستحلون الدماء قالوا: بدم عثمان.

قال: والذين قتلتموهم قتلوا عثمان أو حضروا قتله؟

فقال ابن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام، ولا نخلي عثمان حتى يخلع علياً.

فقال حكيم: اللهم اشهد اللهم اشهد وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فلينصرف فقاتلهم فاقتتلوا قتالاً شديداً وضرب رجل ساق حكيم فقطعها، فأخذ حكيم الساق فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه ثم حجل إليه فقتله وقتل يومئذٍ سبعون رجلاً من عبد القيس «اهـ».

قال ابن الأثير: فلما انتهى علي عليه السلام إلى الآساد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة فقال:

دعا حكيم دعوة الزماع   حل بها منزلة النزاع

وأتاه وهو بذي قار الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس، فقال عبد القيس: خير ربيعة وفي كل ربيعة خير قال:

[البحر الرجز المجزوء]

يا لهف ما نفسي على ربيعهْ   ربيعة السامعة المطيعهْ
قد سبقتني فيهم الوقيعهْ   دعا حكيم دعوة سميعهْ
حلوا بها المنزلة الرفيعهْ

وروى أبو مخنف، بسنده عن ابن عباس: أن طلحة والزبير أغذا السير بعائشة حتى وصلا حفر أبي موسى الأشعري، وهو قريب من البصرة، وكتبا إلى عثمان بن حنيف عامل علي على البصرة أن أخل لنا دار الإمارة فأرسل إلى الأحنف فأخبره فقال: إنهم جاؤوك بزوجة رسول الله للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس وسفكوا دمه وأراهم والله لا يزايلون حتى يلقوا العداوة بيننا، ويسفكوا دماءنا، وأراهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به إن لم تتأهب بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنك اليوم الوالي عليهم وأنت فيهم مطاع فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة فيكون الناس لهم أطوع منهم لك.

فقال له عثمان: الرأي ما رأيت لكنني أكره الشر وأن أبدأهم وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به، ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي من بني عمرو بن وديعة فأقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له مثل قول الأحنف، فأجابه بمثل جوابه للأحنف فقال له حكيم: فائذن لي حتى أسير إليهم بالناس فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين وإلا نابذتهم على سواء.

فقال عثمان: لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم بنفسي.

قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لينقلن قلوب كثير من الناس إليهم، وليزيلنك عن مجلسك هذا، وأنت أعلم، فأبى عليه عثمان.

وقال أبو مخنف أيضاً بعدما ذكر اختلاف الناس بالبصرة فرقة مع ابن حنيف، وفرقة مع عائشة وطلحة والزبير، أقبل طلحة والزبير يريدان عثمان بن حنيف فوجدا أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وإن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة ثم إن طلحة والزبير خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما إلى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير، فجاء جماعة فأخروا الزبير وقدموا عثمان، فغلبهم الآخرون فقدموا الزبير وأخروا عثمان، حتى كادت الشمس تطلع فغلب الزبير فصلى بالناس، فلما فرغ صاح بأصحابه: خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه وضربوه ضرب الموت، ونتفوا حاجبيه وأشفار عينيه، وكل شعرة في رأسه ووجهه.

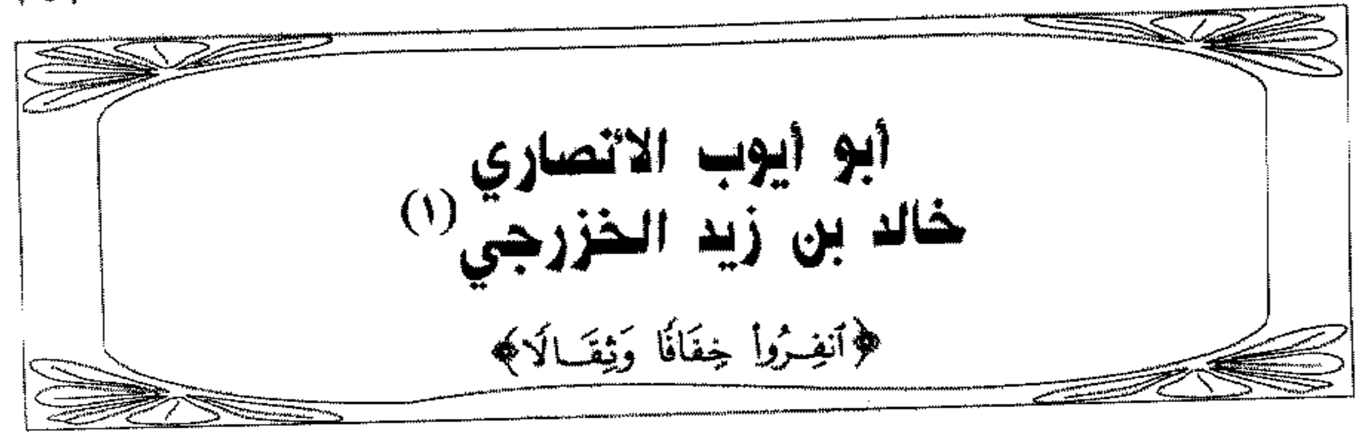
فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنعوا بعثمان بن حنيف، خرج في ثلاثمائة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنابذاً فخرجوا إليه، وحملوا عائشة على جمل فسمي ذلك اليوم: يوم الجمل الأصغر، ويوم علي يوم الجمل الأكبر، وتجالد الفريقان بالسيوف، فشد رجل من الأزد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزدي عن فرسه فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه ثم دب إليه فقتله متكئاً عليه خانقاً له حتى زهقت نفسه، فمر بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه فقال: من فعل بك هذا قال: وسادتي، فنظر فإذا الأزدي تحته وقتل مع حكيم أخوة له ثلاثة وقتل أصحابه كلهم، وهم ثلاثمائة من عبد القيس والقليل منهم من بكر بن وائل.

وفي مروج الذهب: إن الناس لما نقموا على عثمان ما نقموا، سار فيمن سار إلى المدينة حكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة.

مصادره

إتقان المقال/ ١٥٢. الاستيعاب ١/ ٣٢٤. أسد الغابة ٢/ ٣٩. الاشتقاق/ ٣٢٢. الإصابة ١/ ٣٧٩. الأعلام ٢/ ٢٩٨. أنساب الأشراف ٢/ ٢٢٨. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٣. ٢٣٤. تاريخ الطبري ٥/ ١٧٦، ١٨٢. تاريخ الخميس ٢/ ٢٦٠. تحفة الأحباب/ ٧٥. تنقيح المقال ١/ ٣٦١. جامع الرواة ١/ ٢٦٨. جمهرة أنساب العرب/ ٢٩٨. الجمل أو النصر في حرب البصر/ ٦٩. الدرجات الرفيعة/ ٣٩١. رجال الطوسي/ ٣٩. سفينة البحار ١/ ٢٩٣. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٤٠ و٣/ ٢٧ و٩/ ١٠٠ و١١/ ١٦ و١٨/ ٥٦ و٢٠/ ١٦. الطبقات الكبرى ٣/ ٧١. العقد الفريد ٣/ ٢٧٥، ٢٨٣ و٥/ ٣٦، ٤١، ٤٢. الغدير ٩/ ١٤٨، ١٦٤، ١٨٦، ٢٢٤، ٣٦٩. الغارات ٢/ ٣١١. قاموس الرجال ٣/ ٣٨٥. الكامل في التاريخ ٣/ ١٤٤، ١٥٨، ١٦١، ١٩٣، ٢١٤، ٢١٧ . ٢٦٠. مجمع الرجال ٢/ ٢٢٢. مروج الذهب ٢/ ٣٦٧ معجم الثقات/ ٢٦٥. معجم رجال الحديث ٣/ ٢١٤ و٦/ ١٨٤. منتهى المقال/ ١٢٠. مجالس المؤمنين ١/ ٢٢٨. نقد الرجال/ ١١٥. وقعة صفين/ ٥٤، ٦٥. وفيات الأعيان ٧/ ٥٣، ٥٩ . ٦٠.





أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الخزرجي[1]

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾

وفاته ومدفنه

أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الخزرجي النجاري.

توفي غازياً في بلاد الروم في ملك معاوية سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢ وهو الأكثر كذا في الاستيعاب.

وفي تهذيب التهذيب، عن أبي زرعة الدمشقي سنة ٥٥، وفي مروج الذهب سنة ٤٥ ولم يقله غيره.

وفي الاستيعاف: دفن قرب سور القسطنطينية وقبره معلوم إلى اليوم معظم، يستسقون به فيسقون فيه.

في الكنى، روي عن مجاهد: أن خيل المسلمين جعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عفي أثره (خافوا من نبشه).

وقال البغوي: قبر ليلاً، وعن مجاهد أن الروم قالت للمسلمين صبيحة دفنهم أبا أيوب. لقد كان لكم الليلة شأن.

فقالوا: هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا محمد ﷺ وأقدمهم إسلاماً وقد دفناه حيث رأيتم، والله لئن نبش لأضرب لكم ناقوساً في أرض العرب ما كانت لنا مملكة.

قال مجاهد: كانوا إذا امحلوا كشفوا عن قبره فمطروا.

وقال أبو القاسم، عن مالك: بلغني عن قبر أبي أيوب أن الروم يستصبحون به ويستسقون.

---

(١) أعيان الشيعة ج١٠ ص٤٥، ح٦٠٧٤.

وقال: ابن حبان قال: إذا أنا مت فقدموني في بلاد العدو ما استطعتم ثم ادفنوني فمات، وكان المسلمون على حصار القسطنطينية فقدموه حتى دفن إلى جنب حائط.

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩ فيها أو في سنة ٥٠ وجه معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم، وكان فيه أبو أيوب الأنصاري، وتوفي أبو أيوب عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها فأهلها يستسقون به.

وروى الحاكم في المستدرك: أنه مات في الغزو، وكان أوصى أن يدفن في أصل سور القسطنطينة بأرض الروم والروم فيما ذكر يتعاهدون قبره ويزورونه.

وروى الحاكم أيضاً: أنه أوصى فقال: إذا أنا مت فاسعوا بي في أرض العدو ما وجدتم مساغاً، فإذا لم تجدوا مساغاً فادفنوني ثم ارجعوا[١].

---

(١) هو خالد بن زيد بن كُلَيب، أبو أيّوب الأنصاري الخزرجي، وهو مشهور بكنيته.
من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله: نزل النبيّ صلى الله عليه وآله في داره عند هجرته إلى المدينة. شهد أبو أيّوب حروب النبيّ جميعها. وكان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من السابقين إلى الولاية، والثابتين في حماية حقّ الخلافة ولم يتراجع عن موقفه هذا قطّ. وعُدَّ من الاثني عشر الذين قاموا في المسجد النبوي بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ودافعوا عن حقّ عليّ عليه السلام.
لم يَدَعْ أبو أيّوب ملازمة الإمام عليه السلام وصحبته، واشترك معه في كافّة حروبه التي خاضها ضدّ مثيري الفتنة. وكان على خيّالته في النهروان، وبيده لواء الأمان.
ولاّه الإمام على المدينة، لكنّه فرّ منها حين غارة بُسر بن أرطاة عليها. عَقَد له الإمام عليه السلام في الأيّام الأخيرة من حياته الشريفة لواءً على عشرة آلاف ليتوجّه إلى الشام مع لواء الإمام الحسين عليه السلام، ولواء قيس بن سعد لحرب معاوية، ولكنّ استشهاد الإمام عليه السلام حال دون تنفيذ هذه المهمّة، فتفرّق الجيش، ولم يتحقّق ما أراده الإمام عليه السلام.
وكان أبو أيّوب من الصحابة المكثرين في نقل الحديث. وروى في فضائل الإمام عليه السلام أحاديث جمّة. وهو أحد رواة حديث الغدير، وحديث الثقلين، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام حين أمره بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، ودعوتِهِ صلى الله عليه وآله أبا أيّوب أن يكون مع الإمام عليه السلام.
توفّي أبو أيّوب بالقسطنطينيّة سنة ٥٢هـ، عندما خرج لحرب الروم، ودُفن هناك.

انقطاع نسله

في تاريخ ابن عساكر: انقطع نسل أبي أيوب فلا نعلم له نسلاً.

أمه

في الاستيعاب وغيره: أمه هند بنت سعد (سعيد) بن قيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر.

أقوال العلماء فيه

الناقة أناخت بباب أبي أيوب:

كان أبو أيوب صحابياً من السابقين إلى الإسلام، أنصارياً خزرجياً، مخلصاً في ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مختصاً به، شهد معه جميع حروبه، بعدما شهد مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جميع حروبه وقضى عمره في الجهاد في سبيل الله، وغزا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام حتى مات غازياً في بلاد الروم، وكان شاعراً مجيداً، وامتاز بأنه صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الهجرة، فلم ينزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند أحد، وقد عرضت عليه القبائل النزول كلما مر بواحدة منها حتى أخواله فلم يقبل، وقال: دعوا الناقة فإنها مأمورة حتى أناخت بباب أبي أيوب.

من شيعة علي عليه السلام:

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: كان أبو أيوب سيداً معظماً من سادات الأنصار، وكان من شيعة الإمام علي عليه السلام.

وقال الكشي أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي الخلاصة: خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري مشكور، وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال خالد بن زيد: أبو أيوب الأنصاري، وفي أصحاب علي عليه السلام فقال: خالد بن زيد عربي مدني خزرجي، يكنى أبا أيوب الأنصاري من الخزرج.

وفي المستدرك للحاكم (ذكر مناقب أبي أيوب الأنصاري)، ثم روى بسنده عن عروة: أن من تسمية أصحاب العقبة الذين بايعوا النبي محمد صلى الله عليه وآله من بني غنم بن مالك بن النجار أبو أيوب، وهو خالد بن زيد بن ثعلبة.

وروى أيضاً أنه شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لم يتخلف عن غزاة فلم تكن غزاة للمسلمين إلا وهو فيها إلا عاماً واحداً استعمل على الجيش رجل شاب، فقعد ذلك العام فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول: ما علي من استعمل ثم غزا فمرض فمات، وكان يقول: قال الله عز وجل: انفروا خفافاً وثقالاً فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً «اهـ».

وفي الاستيعاب: شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في خروجه من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة وبنى مساكنه ثم انتقل إلى مسكنه وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين مصعب بن عمير، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها.

وروى في أسد الغابة: شهد أبو أيوب العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قاله ابن عقبة وابن إسحاق وعروة وغيرهم، وشهد مع علي حروبه كلها، ولزم الجهاد ولم يتخلف عن الجهاد إلا عاماً واحداً، فإنه استعمل على الجيش رجل شاب، فقعد ذلك العام وجعل يتلهف ويقول: وما علي من أن استعمل علي.

وروى في الإصابة: أن الشاب يزيد بن معاوية، وروى فيه أيضاً أنه عبد الملك بن مروان، وقال ابن عساكر هو عبد الملك.

ويمكن أن يكون أمير الجيش الذي تخلف عنه، هو عبد الملك، ثم غزا مع يزيد وفيه في الكنى شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان مع علي بن أبي طالب عليه السلام ومن خاصته.

قال ابن الكلبي، وابن إسحاق وغيرهما: شهد أبو أيوب مع علي الجمل وصفين، وكان على مقدمته يوم النهروان وقال شعبة: سألت الحكم أشهد أبو أيوب صفين؟.

قال: لا، ولكن شهد النهروان «اه».

وهو مردود بما مر من شهوده الثلاثة، وما كان ليتخلف عن علي وهو من خاصته وبما يأتي من أخباره يوم صفين وغيره.

وفي الإصابة: من السابقين شهد العقبة وبدراً وما بعدها وشهد الفتوح ودوام الغزو واستخلفه علي على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد، وشهد معه قتال الخوارج قال ذلك الحكم بن عتيبة.

وفي تهذيب التهذيب: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ونزل عنده حين قدم المدينة شهراً حتى بنى المسجد.

وقال الخطيب: حضر العقبة وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها وكان مسكنه المدينة، وحضر مع علي حرب الخوارج وورد المدائن في صحبته.

وذكر الواقدي وأبو القاسم البغوي أنه شهد مع علي صفين.

وقال ابن الأثير في تاريخه: شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وشهد صفين مع علي وغيرها من حروبه.

وفي ذيل المذيل: هو أحد السبعين الذين بايعوا لرسول الله ﷺ ليلة العقبة من الأنصار في قول جميعهم، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وروى عن رسول الله ﷺ حديثاً كثيراً.

وفي تاريخ بغداد: بسنده عن الأجلح بن عبد الله الكندي، سمعت زيد بن علي، وعبد الله بن الحسن، وجعفر بن محمد، ومحمد بن عبد الله بن الحسن، يذكرون تسمية من شهد مع علي بن أبي طالب من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم ذكره، عن آبائه وعمن أدرك من أهله وسمعته أيضاً من غيرهم، فذكر أسماء جماعة من الصحابة ثم قال: وخالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري.

وفي الدرجات الرفيعة: كان من الصحابة شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد وكان سيداً معظماً من سادات الأنصار وكان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وممن أنكر على الخليفة الأول تقدمه عليه.

وفيما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام الولاية لأولياء أمير المؤمنين عليه السلام الذين مضوا على منهاج الرسول صلى الله عليه وآله ولم يبدلوا ولم يغيروا بعد نبيهم وهم: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وسهل بن حنيف، وحذيفة بن اليمان، وأبو الهيثم بن التيهان، وخالد بن سعيد، وعباد بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت، وأبو سعيد الخدري وأمثالهم «اهـ».

وقال في رجاله: سئل الفضل بن شاذان عن بعض قتاله، فقال: كان ذلك قلة فقه منه وغفلة «اهـ».

أخباره

خبره في نزول الرسول صلى الله عليه وآله عنده لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة، نزل أولاً في بني عمرو بن عوف بقبا، وبقي هناك خمساً أو أكثر ينتظر قدوم علي بن أبي طالب عليه السلام بالفواطم فلما قدم عليه دخل المدينة.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: فيما رواه بسنده عن إسحاق في جملة حديث: فاعترضه بنو سالم بن عوف فقالوا: يا رسول الله هلم إلى العدد والعدة والقوة انزل بين أظهرنا، فقال: خلوا سبيلها (أي الناقة) فإنها مأمورة، ثم مر ببني بياضة فاعترضوه فقال: مثل ذلك، ثم مر ببني ساعدة فقالوا: مثل ذلك، فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، ثم مر بأخواله بني عدي بن النجار فقالوا: هلم إلينا أخوالك، فقال: مثل ذلك، فمر ببني مالك بن النجار فبركت على باب مسجده، ثم التفتت ثم انبعثت ثم كرت إلى مبركها الذي انبعثت منه، فبركت فيه ثم تحلحلت في مناخها ورزمت، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله عنها فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فأدخله بيته.

وعن مناقب ابن شهرآشوب، مرفوعاً عن **سلمان الفارسي** قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة تعلق الناس بزمام الناقة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة فعلى باب من بركت فأنا عنده، فأطلقوا زمامها وهي تهف في المسير، حتى دخلت المدينة فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي صلى الله عليه وآله «الخبر».

وظهر من هذه الرواية حكمة نزوله ﷺ عند أبي أيوب دون غيره وهو كونه أفقر رجل في المدينة وفي ذلك حكم كثيرة:

أولاً: قطع طمع الأغنياء في الميل إليهم دون الفقراء.

ثانياً: بيان أن المال لا قيمة له عند الله.

ثالثاً: جبر قلوب الفقراء.

رابعاً: الحث على الزهد في الدنيا.

خامساً: تعليم الناس التواضع وعدم احتقار الفقير لفقره وعدم احترام الغني لغناه.

سادساً: كسر النفس وحملها على التواضع إلى غير ذلك.

اهتمام أبي أيوب براحته ﷺ

في الاستيعاب بسنده، أن أبا أيوب قال: نزل رسول الله ﷺ في بيتنا الأسفل وكنت في الغرفة فأهريق ماء في الغرفة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتبع الماء شفقة أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فنزلت إلى النبي وأنا مشفق، فقلت: يا رسول الله إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة فأمر النبي ﷺ بمتاعه أن ينقل ومتاعه قليل (الحديث).

وفي رواية الحاكم في المستدرك، بسنده عن أبي إمامة الباهلي، عن أبي أيوب لما نزل علي رسول الله ﷺ قلت: بأبي وأمي إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني، فقال: إنه رفق بي أن أكون في السفلى لما ينتابنا من الناس، فلقد رأيت جرة لنا انكست فأهريق ماؤها فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء فرقا أن يصل إلى رسول الله ﷺ شيء يؤذيه.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

زهده ومعرفته

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق، بسنده عن سلم بن عبد الله: أعرست في عهد أبي فدعا الناس وفيهم أبو أيوب وقد ستروا بيتي بستر أخضر، فقال: يا عبد الله تسترون الجدر؟.

فقال أبي: واستحيا غلبنا النساء فقال: من خشيت أن يغلبه النساء فلم أَخْشَ أن يغلبني لا أدخل لكم بيتاً ولا أطعم لكم طعاماً.

قال: ودخل نوف البكالي ورجل آخر على أبي أيوب، وقد اشتكى فقال نوف: اللهم عافه واشفه قال: لا تقولوا هذا، وقولوا: اللهم إن كان أجله عاجلاً فاغفر له وارحمه، وإن كان آجلاً فعافه واشفه وآجره.

صلاته بالناس بعد مقتل عثمان

قال ابن الأثير في اليوم الذي منع فيه عثمان، جاء سعد القرظ وهو المؤذن إلى علي بن أبي طالب فقال: من يصلي بالناس، فقال: ادعُ خالد بن زيد فدعاه فصلى بالناس فهو أول يوم عرف أن اسم أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد.

خبره في دخول علي عليه السلام البصرة يوم الجمل

في **مروج الذهب**، بسنده عن المنذر بن الجارود، في وصف دخول علي عليه السلام البصرة يوم الجمل قال: فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس، أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض، متقلد سيفاً معه راية.

فقلت: من هذا.

فقيل: أبو أيوب الأنصاري، وهؤلاء الأنصار وغيرهم.

خبره في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين

في **رجال الكشي**، روى الحارث بن نصير الأزدي، عن أبي صادق، عن محمد بن سليمان، قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له، فأتيناه فأهدينا له وقعدنا عنده، وقلنا: أيا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك هذا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين.

فقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرني بقتال القاسطين والمارقين والناكثين، فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين وإنا نقاتل إن شاء الله بالسعفات بالطرفات بالنهروانات، وما أدري أنى هي.

وقد روى إبراهيم بن ديزيل في كتاب صفين، وابن عساكر في تاريخ دمشق

ما يقارب مضمون هذه الرواية، التي مرت عن الكشي فرواها ابن ديزيل كما في الدرجات الرفيعة، بسند يخالف سند الكشي في شيء، ويوافقه في شيء، ولعل الاختلاف وقع من تحريف النساخ، فروى ابن ديزيل، عن محمد بن سليمان، عن ابن فضيل، عن إبراهيم الهجري، عن أبي صادق، واقتصر ابن عساكر على قوله: أبو صادق قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فأهدت له الأزد جزرا فبعثوها معي، فدخلت إليه فسلمت عليه وقلت له: يا أبا أيوب قد أكرمك الله عز وجل بصحبة نبيه ونزوله عليك، فمالي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتل هؤلاء مرة وهؤلاء مرة.

قال: إن رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه، وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ولم أرهم بعد «اه».

وفي الدرجات أيضاً: روى الخطيب في تاريخه: أن علقمة والأسود أتيا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفة من صفين، فقالا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله تعالى وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس جميعاً، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب أهل لا إله إلا الله فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي عليه السلام: بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

فأما الناكثون: فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل.

وأما القاسطون: فهذا منصرفنا عنهم يعني معاوية وعمرو بن العاص.

وأما المارقون: فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بد لنا من قتالهم إن شاء الله تعالى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك يا عمار، إن رأيت علياً سلك وادياً، وسلك الناس كلهم وادياً فاسلك مع علي فإنه لمن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى «الخبر».

وهذه الروايات وغيرها تنفي قول من زعم أنه لم يشهد إلا النهروان.

وفي الدرجات الرفيعة، ثم شهد أبو أيوب وقعة النهروان مع أمير المؤمنين عليه السلام وهو على مقدمته يقاتل المارقين أيضاً كما أمره النبي صلى الله عليه وآله بذلك.

وفيه أيضاً: روى أبو بكر محمد بن الحسن الآجري، تلميذ أبي بكر بن داود السجستاني في الجزء الثاني من كتاب الشريعة، بإسناده أن علقمة بن قيس والأسود بن يزيد قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: إن الله تعالى أكرمك بمحمد صلى الله عليه وآله إذا أوحى إلى راحلته فبركت على بابك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ضيفك فضيلة فضلك الله تعالى بها ثم خرجت تقاتل مع علي بن أبي طالب فقال: مرحباً بكما وأهلا إنني أقسم لكما بالله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا البيت الذي أنتما فيه وما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي جالس يمينه وأنا قائم بين يديه وأنس إذ حرك الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس انظر من بالباب فخرج فنظر ورجع، فقال: هذا عمار بن ياسر.

قال أبو أيوب فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا أنس افتح لعمار الطيب المطيب، ففتح أنس الباب فدخل عمار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله فرد عليه السلام ورحب به وقال: يا عمار سيكون في أمتي بعدي هناة واختلاف حتى يختلف السيف بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض، فإن رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني يعني علياً عليه السلام، وإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً، فاسلك وادي علي وخلِّ الناس طراً يا عمار إن علياً لا يزل عن هدى، يا عمار إن طاعة علي من طاعتي وطاعتي من طاعة الله تعالى.

أخباره مع معاوية

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين، عن عمر بن سعد، عن الأعمش، قال: كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد[1] الأنصاري صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً، وكان سطراً واحداً: حاجيتك لا تنسى شيباء أبا عذرها «عذرتها» ولا قاتل بكرها، فلم يدر أبو أيوب ما هو، فأتى به علياً عليه السلام

---

(١) في النسخة المطبوعة خالد بن أيوب في الموضعين وهو غلط.

وقال: يا أمير المؤمنين إن معاوية ابن آكلة الأكباد وكهف المنافقين كتب إلي بكتاب لا أدري ما هو.

فقال له علي عليه السلام: وأين الكتاب فدفعه إليه فقرأه، وقال: نعم هذا مثل ضربه لك يقول: ما أنسى الذي لا تنسى الشيباء لا تنسى أبا عذرها (عذرتها)، والشيباء المرأة البكر ليلة افتضاضها لا تنسى بعلها الذي افترعها أبداً، ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها، كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان والشيباء الشمطاء وكتب معاوية في أسفل كتاب أبي أيوب:

[البحر البسيط التام]

أبلغ لديك أبا أيوب مأكلة ... أنا وقومك مثل الذئب والنقدِ[1]

أما قتلتم أمير المؤمنين فلا ... ترجو الهوادة عندي آخر الأبدِ

إن الذي لمتموه (نلتموه) ظالمين له ... أبقت حزازته صدعاً على كبدي

إني حلفت يميناً غير كاذبة ... لقد قتلتم إماماً غير ذي أودِ

لا تحسبوا أنني أنسى مصيبته ... وفي البلاد من الأنصار من أحدِ

اعزز عليَّ بأمر لست نائله ... واجهد علينا فلسنا بيضة البلدِ

قد أبدل الله منكم خير ذي كلع ... واليحصبيين أهل الحق في الجندِ[2]

إن العراق لنا فقع بقرقرة ... أو شخبة بزّها شاوٍ ولم يكدِ

والشام ينزلها الأبرار بلدتها ... أمن وحرمتها عريسة الأسدِ

فلما قرأ الكتاب على علي، قال لشد ما شحذكم معاوية يا معشر الأنصار، أجيبوا الرجل.

فقال أبو أيوب: يا أمير المؤمنين ما أشاء أن أقول من الشعر شيئاً يعبأ به الرجال إلا قلته.

قال: أنت إذا أنت.

فكتب أبو أيوب إلى معاوية: أنت كما لا تنسى الشيباء ثكل ولدها ولا أبا

---

(١) النقد: نوع من الغنم.

(٢) أهل الخوف والجند (خ) «المؤلف».

عذرتها فضربتها مثلاً بقتل عثمان، وما أنا وقتل عثمان، إن الذي تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لانت، وأن الذين قتلوه لغير الأنصار وكتب في آخر كتاب:

[البحر البسيط التام]

لا توعدنا ابن حرب أننا بشر ... لا نبتغي ود ذي البغضاء من أحدِ
فاسعوا جميعاً بني الأحزاب كلكم ... لسنا نريد ولاكم آخر الأبدِ
نحن الذين ضربنا الناس كلهم حتى ... استقاموا وكانوا عرضة (بيني) الأودِ
والعام قصرك منا إن أقمت (ثبت) لنا ... ضرب بزايل بين الروح والجسدِ
أما عليٌّ فإنا لا نفراقه ... مارقرق الآل في الدوية الجردِ
أما تبدلت منا بعد نصرتنا ... دين الرسول أناساً ساكني الجندِ
لا يعرفون أضل الله سعيهم ... إلا أتباعكم يا راعي النقدِ
لقد بغى الحق هضماً شر ذي كلع ... واليحصبيون طراً بيضة البلدِ

فلما أتى معاوية كتاب أبي أيوب كسره «اهـ».

وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر أخرج الحافظ بن عساكر، والخطيب، عن عمارة بن غزية: دخل أبو أيوب على معاوية فقال: صدق رسول الله ﷺ أنكم سترون بعدي أثرة فعليكم بالصبر فبلغت معاوية، فقال: صدق رسول الله أنا أول من صدقه.

فقال أبو أيوب: أجرأة على الله وعلى رسوله لا أكلمه أبداً ولا يؤويني وإياه سقف بيت، ثم خرج من فوره ذلك إلى الصائفة فمرض، فأتاه يزيد بن معاوية يعوده وهو على الجيش فقال: هل لك من حاجة أتوصي بشيء.

فقال: ما ازددت عنك وعن أبيك بعد إلا غنى (الحديث).

وقول معاوية: هذا استهزاء بالشرع وصاحبه، ولذلك قال أبو أيوب: أجرأة على الله وعلى رسوله.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر له حاجة قال: ألست صاحب عثمان.

قال: أما أن رسول الله ﷺ وقد أخبرنا أنه سيصيبنا بعده أثرة.

قال: وما أمركم.

قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض.

قال: فاصبروا فغضب أبو أيوب وحلف أن لا يكلمه أبداً، ثم أن أبا أيوب أتى عبد الله بن عباس فذكر له فخرج عن بيته كما خرج أبو أيوب لرسول الله ﷺ عن بيته وقال: أيش تريد.

قال: أربعة غلمة يكونون في محلي.

قال: لك عندي عشرون غلاماً.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وبسنده عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب الأنصاري قدم على ابن عباس البصرة ففرغ له بيته وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ، وقال: كم عليك من الدين.

قال: عشرون ألفاً، فأعطاه أربعين ألفاً وعشرين مملوكاً وقال لك ما في البيت.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن حبيب بن أبي ثابت مثله.

وفي تاريخ دمشق: قدم يوماً على معاوية فأجلسه على السرير معه، فجعل معاوية يتحدث ويقول: فعلنا وفعلنا وأهل الشام حوله، ثم التفت إلى أبي أيوب وقال له: من قتل صاحب الفرس البلقاء التي جعلت تجول يوم كذا وكذا.

فقال أبو أيوب: أنا قتلته إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر معكما لواء الكفر، فنكس معاوية وتنمر أهل الشام لأبي أيوب، فرفع معاوية رأسه وقال: مه مه وإلا فلعمري ما عن هذا سألناك ولا هذا أردنا منك.

ثم أن لقاءه معاوية لا بد أن يكون بعد وفاة علي عليه السلام، إما في حياته فلم يكن ليفارقه ولا ليأتي معاوية وبعد وفاته، لم يكن ابن عباس أميراً على البصرة، فلا بد أن يكون وفوده على ابن عباس بالبصرة في حياة علي ومروره بمعاوية بعد وفاته، وحصل اشتباه من الرواة فذكروا الواقعتين في واقعة واحدة، وقدموا

المتأخرة وأخروا المتقدمة، ولكن رواية المستدرك الأولى لا يرد عليها ذلك، لأنه لم يقل فأتى ابن عباس بالبصرة فيجوز أن يكون أتاه بعد وفاة علي عليه السلام.

أخباره مع الخوارج

قال ابن الأثير عند ذكر الخوارج الذين خرجوا في عهد علي عليه السلام، وخطبهم أبو أيوب الأنصاري فقال: عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا.

فقالوا: إنا لو تابعناكم اليوم حكمتم غداً.

قال: فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل.

وفي مروج الذهب عند ذكر حرب الخوارج: وحمل أبو أيوب الأنصاري على زيد بن حصن فقتله، وقتل عبد الله بن وهب الذي قتل هانيء بن حاطب الأزدي، وزياد بن خصفة، وقتل حرقوص بن زهير السعدي.

وفيه بسنده عن رجل من الأزد نظرت إلى أبي أيوب الأنصاري في يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال: بؤ بها إلى النار يا مارق.

فقال عبد الله: ستعلم أينا أولى بها صليا.

قال: وأبيك إني لا علم إذ أقبل صعصعة بن صوحان وشرك أبا أيوب في قتله ضربة ضربة بالسيف أبان بها رجله وأدركه بأخرى في بطنه، ثم احتزا رأسه وأتيا به علياً ثم قال لهما: اطلبا لي ذا الثدية «الحديث».

روايته حديث الغدير

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج في كتاب صفين، بإسناد ذكره عن رباح ج١ ص ٢٨٩، روى إبراهيم بن ديزيل ابن الحارث النخعي: كنت جالساً عند علي عليه السلام إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا.

فقال لهم: أولستم قوماً عرباً.

قالوا: بلى، ولكنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: من كنت

مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فلقد رأيت علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا ثم أن القوم مضوا إلى رحالهم فتبعتهم. فقلت لرجل منهم: من القوم؟.

قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك يعنون رجلاً منهم أبا أيوب صاحب منزل رسول الله ﷺ فأتيته فصافحته.

ما رواه عن النبي ﷺ من الدعاء

روى **الحاكم في المستدرك**، بسنده عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: ما صليت وراء نبيكم ﷺ إلا وسمعته حين ينصرف من صلاته يقول:

اللهم اغفر لي أخطائي وذنوبي كلها، اللهم أنعمني وأحيني وأرزقني وأهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت ولا يصرف عن سيئها إلا أنت.

سؤال ابن عباس والمسور إياه عن بعض الأحكام

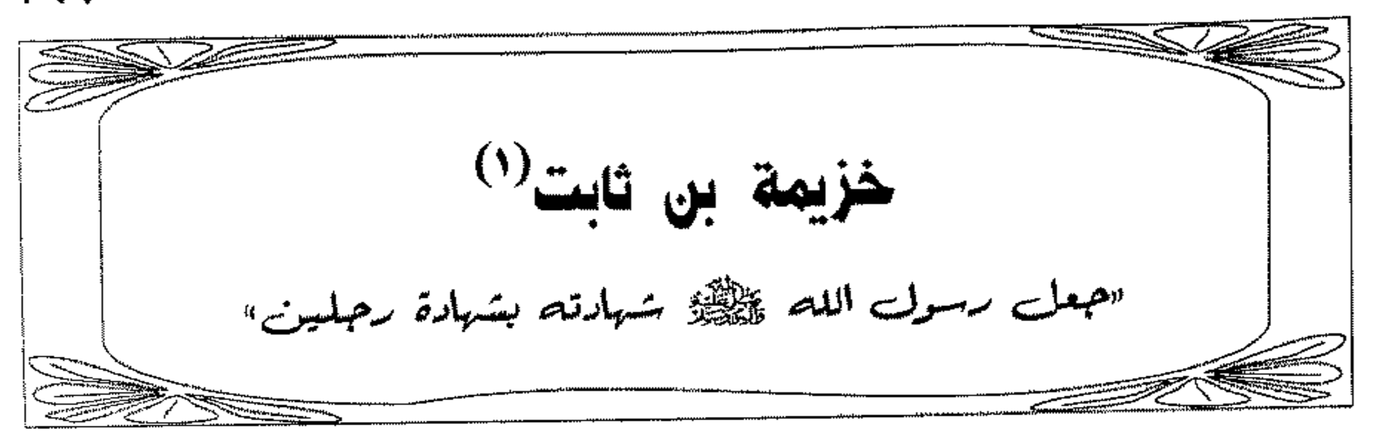
روى **الحاكم في المستدرك** بسنده، أن عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة اختلفا في المحرم يغسل رأسه بالماء من غير جنابة، فأرسلا إلى أبي أيوب الأنصاري وهو في بعض مياه مكة يسألانه عن ذلك، فذكر الحديث بطوله ثم قال: هذه فضيلة لأبي أيوب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة رجعا إليه في السؤال.

مصادره:

إتقان المقال/ ٥٣. الاستيعاب ١/ ٤٠٣ وج ٤/ ٥. أسد الغابة ٢/ ٨٠. الاشتقاق/ ٤٣٩. الإصابة ١/ ٤٠٥. أنساب الأشراف ٢/ ٤٥٤. الأعلام ٢/ ٣٣٦. البداية والنهاية ٨/ ٣٢، ٥٨. بهجة الآمال ٣/ ٤. تاريخ الطبري ١٣/ ١٥. تاريخ بغداد ١/ ١٥٣. تحفة الأحباب/ ٨٠. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٥. تقريب التهذيب ١/ ٢١٣. تنقيح المقال ١/ ٣٩٠. تهذيب التهذيب ٣/ ٩٠. جامع الرواة ١/ ٢٩١. الجرح والتعديل ٣/ ٣٣١. جمهر أنساب العرب/ ٤٣٨. حلية الأولياء ١/ ٣٦١. خلاصة الأقوال/ ٦٥. الدرجات الرفيعة/ ٣١٤. رجال ابن داود/ ٨٧. رجال الطوسي/ ٤٠. رجال البرقي/ ٢. سفينة البحار ١/ ٥١. شذرات الذهب ١/ ٥٧. ابن أبي الحديد ٨/ ٤٣. ٤٥. الطبقات الكبرى ٣/ ٤٨٤ و٥/ ٨٦، ١٧٣، ٢٠٠، ٢٩٨، ٣٠٥. العقد الفريد ٥/

١٠٩. الغدير ١/ ٢٨، ١٤٦، ١٥١. الفهارس/ ٣٦. الغارات ١/ ١٨٤ و ٢/ ٤٩٦، ٥٨١، ٦٠٢، ٦٠٤، ٩١٤. الفوائد الرجالية ٢/ ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤. قاموس الرجال ٣/ ٤٧١. الكامل في التاريخ ٢/ ١٠٩ و٣/ ٧٧، ١٨٦، ١٩١، ٢١٥، ٣٤٣، ٣٤٥. مجمع الرجال ٢/ ٢٥٩. مرآة الجنان ١/ ١٢٤. مروج الذهب ٣/ ٣٣. المعارف/ ١١٩. معجم رجال الحديث ٧/ ٢٣. منتهى المقال/ ١٢٧. النجوم الزاهرة ١/ ٢١، ١٤٢. نقد الرجال/ ١٢٣. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٦٨. وقعة صفين/ ٩٣، ٣٦٦، ٣٦٨. وفيات الأعيان ٣/ ١٢٦.





خزيمة بن ثابت(١)

«جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين»

قال ابن أبي الحديد: من غريب ما وقفت عليه من العصبية القبيحة، أن أبا **حيان التوحيدي** قال في **كتاب البصائر**: أن **خزيمة بن ثابت** المقتول مع علي عليه السلام بصفين ليس هو **خزيمة بن ثابت**، ذا الشهادتين، بل آخر من الأنصار صحابي اسمه خزيمة بن ثابت وهذا خطأ لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الأنصار ولا من غير الأنصار من اسمه خزيمة بن ثابت إلا ذو الشهادتين، وإنما الهوى لا دواء له على أن **الطبري صاحب التاريخ** قد سبق أبا حيان بهذا القول.

ومن كتابه نقل أبو حيان والكتب الموضوعة لأسماء الصحابة تشهد بخلاف ما ذكراه، ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة وأبي الهيثم وعمار وغيرهم، ولو أنصف الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا أنه لو كان وحده وحاربه الناس كلهم أجمعون لكان على الحق وكانوا على الباطل «اهـ».

وصاحب الإصابة بعدما ذكر خزيمة بن ثابت بن الفاكه المترجم ذكر ترجمة ثانية، فقال: خزيمة بن ثابت الأنصاري آخر.

وروى ابن عساكر في تاريخه، من طريق الحكم بن عيينة أنه قيل له: اشهد خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الجمل؟.

فقال: لا ذاك خزيمة بن ثابت آخر ومات ذو الشهادتين في زمن عثمان هكذا أورده من طريق سيف صاحب الفتوح.

---

(١) أعيان الشيعة ج١٠ ص٩٥، ح٦١٤٢.

وقال الخطيب في الموضح: أجمع علماء السير أن ذا الشهادتين قتل بصفين مع علي وليس سيف بحجة إذا خالف وجزم الخطيب بأنه ليس في الصحابة من يسمى خزيمة واسم أبيه ثابت سوى ذي الشهادتين «اهـ»[1].

أقوال العلماء فيه

في الخلاصة: خزيمة بن ثابت من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام قاله الفضل بن شاذان.

وقال الشهيد الثاني في الحاشية، نقلاً عن الإكمال: خزيمة شهد بدراً مع

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي يُكنّى أبا عمارة. ويلقّب بذي الشهادتين. من الشخصيّات المتألّقة بين صحابة النبي صلى الله عليه وآله.

شهد أحداً وبقيّة المشاهد. وإنّما اشتهر بذي الشهادتين؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل شهادته شهادة رجلين. وكان خزيمة أحد الأفراد القلائل الذين ثبتوا على «حقّ الخلافة» و«خلافة الحقّ» بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ قام في المسجد رافعاً صوته بالدفاع عن خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. واحتجّ بالمنزلة التي خصّه بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل أهل بيته عليهم السلام معياراً لمعرفة الحقّ من الباطل، ونصبهم أئمّة على العباد. وشهد خزيمة حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان ثابت الخُطى فيها. رُزق الشهاد بعد استشهاد عمّار بن ياسر[1]

رجال الكشّي عن أبي إسحاق: لمّا قُتل عمّار، دخل خزيمة بن ثابت فسطاطه، وطرحه عنه سلاحه، ثمّ شنّ عليه الماء فاغتسل، ثمّ قاتل حتى قُتل.

أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: كنت بصفّين فرأيت رجلاً أبيض اللحية، معتمّاً متلثماً، ما يُرى منه إلاّ أطراف لحيته، يقاتل أشدّ قتال، فقلت: يا شيخ! تقاتل المسلمين؟ فحسر لثامه، وقال: أنا خزيمة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «قاتِلْ مع عليّ جميع من يقاتل».

(١) تحدّثت بعض النصوص التاريخيّة عن عدم اشتراك خُزيمة في حرب الجمل، وجاء فيها: «كان كافّاً بسلاحه يوم الجمل ويوم صفّين». وقاتل في صفين بعد استشهاد عمّار بن ياسر (راجع: مسند ابن حنبل: ٨/ ٢٠٢/ ٢١٩٣٢ والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ٤٤٩/ ٥٦٩٧ وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٨٧/ ١٠٠ ورجال الكشّي: ١/ ٢٦٨/ ١٠١). ووردت هذه العبارات في كتب الشيعة والسنّة. وراويها هو حفيد خزيمة؛ وهو مجهول، وهذا الكلام لا ينسجم مع شأن خزيمة وجلالته (راجع: قاموس الرجال: ٤/ ١٦٩ . ١٧٤/ ٢٦١٥).

رسول الله ﷺ، وجعل ﷺ شهادته بشهادة رجلين، وكان يسمى: ذا الشهادتين، شهد صفين مع علي عليه السلام وقتل يومئذٍ سنة ٣٧هـ.

وقال الشيخ في رجاله: أصحاب الرسول ﷺ خزيمة بن ثابت، وفي أصحاب علي عليه السلام: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

وروى الصدوق، في العيون، بسنده عن الرضا عليه السلام فيما كتبه في جواب سؤال المأمون: أن من الذين مضوا على منهاج نبيهم لم يغيروا ولم يبدلوا: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

وروى الكشي في ترجمة عمار بن ياسر، بسنده عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أنه قال: إن أقواماً يزعمون أن علياً عليه السلام لم يكن إماماً حتى شهر سيفه خاب إذا عمار وخزيمة بن ثابت وصاحبك أبو عمرة (الحديث).

(أقول): الظاهر أن القائلين بذلك هم الزيدية وقوله: خاب إذا عمار الخ، فإنهم اعتقدوا إمامته شهر سيفه أو لم يشهره، وفي ترجمة أبي أيوب الأنصاري عن الفضل بن شاذان عد من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي ترجمة البراء بن عازب أنه من جملة الصحابة الذين استشهدهم أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فشهدوا جميعاً أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**.

وفي رجال الكشي أيضاً ما صورته (خزيمة بن ثابت).

روي عن الفضل بن دكين، حدثنا عبد الجبار بن العباس الشامي، عن أبي إسحاق قال: لما قتل عمار دخل خزيمة بن ثابت فسطاطه وطرح عنه سلاحه ثم شن عليه الماء فاغتسل، ثم قاتل حتى قتل..

وروى أبو معشر، عن محمد بن عمار بن خزيمة بن ثابت قال: ما زال جدي بسلاحه يوم الجمل ويوم صفين، حتى قتل عمار، فلما قتل سل سيفه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمار تقتله الفئة الباغية فقاتل حتى قتل.

(أقول): ربما ظهر من هاتين الروايتين ومن بعض الروايات الآتية من طرق غيرنا، أنه كان كافاً عن القتال حتى قتل عمار وسيأتي ما ينافي ذلك.

ويمكن أن يكون المراد أنه قبل قتل عمار كان يقاتل قتالاً عادياً، فلما قتل عمار استقتل فاغتسل وخرج طالباً للشهادة فاستشهد والله أعلم.

وفي **المجلس الثاني من مجالس الصدوق**، أن ممن شهد لعلي بالولاء والاخاء والوصية خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

وفي **الاستيعاب** شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح، وكان مع علي عليه السلام بصفين، فلما قتل عمار جرد سيفه فقاتل حتى قتل، وكانت صفين سنة ٣٧.

وروي عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت من وجوه، في طرق حديث عمار: ما زال جدي خزيمة بن ثابت مع عليٍ بصفين كافاً سلاحه، وكذلك فعل يوم الجمل، فلما قتل عمار بصفين قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتل عماراً الفئة الباغية ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل «اهـ».

ولنعم ما **قال ابن أبي الحديد** أو نقله عن غيره: عجباً لقوم تأخذهم الريبة لمكان عمار، ولا تأخذهم لمكان علي بن أبي طالب «اهـ».

ولكن ما يأتي من أشعاره يوم الجمل وصفين، وما رواه المرزباني، عن ابن أبي ليلى وجملة من أخبار ينافي ذلك.

وقال ابن سعد: كان هو وعمير بن عدي بن خرشة يكسران أصنام بني خطمة.

وفي **أسد الغابة**، عن أبي أحمد الحاكم: أنه حكى عن ابن القداح أنه شهد أحداً قال: وأهل المغازي لا يثبتون أنه شهد أحداً وشهد المشاهد بعدها، روى عنه ابنه عمارة «اهـ».

وفي **الإصابة**: من السابقين الأولين شهد بدراً وما بعدها، وقيل: أول مشاهده أحد «اهـ».

وفي **تهذيب التهذيب**: ذكر ابن عبد البر، والترمذي قبله، واللالكائي أنه شهد بدراً.

وأما أصحاب المغازي فلم يذكروه في البدريين، وعده ابن البرقي فيمن لم يشهد بدراً.

وقال العسكري: وأهل المغازي لا يثبتون أنه شهد أحداً وشهد المشاهد بعدها «اهـ».

وفي الدرجات الرفيعة، كان من كبار الصحابة.

قال الفضل بن شاذان: أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام - وكان خزيمة ممن أنكر على الخليفة الأول تقدمه على علي عليه السلام.

روي عن الصادق عليه السلام **أنه قام ذلك اليوم فقال**: أيها الناس ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي ولم يرد معي غيري قالوا: بلى.

قال: فاشهدوا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم**» وقد قلت ما علمت وما على الرسول إلا البلاغ.

وقال ابن عساكر: شهد مع النبي صلى الله عليه وآله أحداً وما بعدها، وشهد غزوة الفتح، وغزوة مؤتة.

وفي ذيل المذيل: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث، ثم روى بسنده عن خزيمة بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام» لقول الله عز وجل: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

وقال: شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفين وقتل يومئذٍ سنة ٣٧.

وفي شرح النهج الحديدي: كان خزيمة بدرياً ومما رويناه من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كون علي عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، قول خزيمة يوم الجمل وأورد الأبيات المتقدمة عن كتاب صفين التي فيها:

[البحر الخفيف]

يا وصي النبي قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الأظعان

قال: وقال خزيمة أيضاً في يوم الجمل وأورد الأبيات المتقدمة التي فيها:

[البحر الطويل]

وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذلك شاهده

أخباره يوم الجمل

في مروج الذهب عند ذكر حرب الجمل: ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين «اهـ».

فهل لحقه ليشيم سيفه ويكون من المتفرجين كما يقول من قال إنه لم يقاتل حتى قتل عمار بصفين، ثم قال في صفة دخول علي عليه السلام البصرة، بسنده عن المنذر بن الجارود بعدما ذكر جماعة: ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً، متنكب قوساً، معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس فقلت: من هذا.

فقيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثم قال عند ذكر أخذ علي عليه السلام الراية من ابنه محمد بن الحنفية: وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين لا تنكس اليوم رأس محمد واردد إليه الراية فدعا به وردها عليه.

أخباره بصفين

من أخباره يوم صفين: أن معاوية أرسل إلى رجال من الأنصار فعاتبهم منهم خزيمة بن ثابت.

رواه نصر في كتاب صفين، وفي **النبذة المختارة** المتقدم إليها الإشارة، روي أن ابن أبي ليلى قال: كنت بصفين فرأيت رجلاً أبيض اللحية معتماً متلثماً ما يرى منه إلا أطراف لحيته يقاتل أشد قتال فقلت: يا شيخ تقاتل المسلمين فحسر لثامه وقال: نعم أنا خزيمة بن ثابت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قاتل مع علي جميع من يقاتله.

أشعاره

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: حمل خزيمة بن ثابت يوم صفين وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

قد مر يومان وهذا الثالثُ هذا الذي يلهث فيه اللاهثُ

هـذا الـذي يـبـحـث فـيـه الـبـاحـثُ كـم ذا يـرجـي أن يـعـيـش الـمـاكـثُ
الـنـاس مـوروث ومـنـهـم وارثُ هـذا عـلـي مـن عـصـاه نـاكـثُ

فقاتل حتى قتل وقال خزيمة يوم الجمل:

[البحر الخفيف]

ليس بين الأنصار في زحمة الحر ب وبين العداة إلا الطعانُ
وقراع الكماة بالقضب البيـ ض إذا ما تحطم المرانُ
فأدعها تستجب فليس من الخز رج والأوس يا علي جبانُ
يا وصيّ النبيّ قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الأظعانُ
واستقامت لك الأمور سوى الشا م وفي الشام تظهر الأضغانُ
حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا

وقال خزيمة أيضاً في يوم الجمل:

[البحر الطويل]

أعائش خلي عن علي وعيبه بما ليس فيه إنما أنت والدهْ
وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهدهْ
وحسبك منه بعض ما تعلمينه ويكفيك لو لم تعلمي غير واحدهْ
إذا قيل ماذا عبت منه رميته بقتل ابن عفان وما تلك آبدهْ
وليس سماء الله قاطرة دما لذاك وما الأرض الفضاء بمائدهْ

وروى **الحاكم في المستدرك**، بسنده عن الأسود بن يزيد النخعي قال: لما بويع علي بن أبي طالب على منبر رسول الله ﷺ، قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

[البحر الطويل]

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتنْ
وجدناه أولى الناس بالناس إنه أطب قريش بالكتاب وبالسننْ
وإن قريشاً ما تشق غباره إذا ما جرى يوماً على الضمر البدنْ
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسنْ

ورواها **المرزباني** عدا الثالث كما في **النبذة المختارة**، وزاد ابن **شهرآشوب** في المناقب في هذه الأبيات:

[البحر الطويل]

وصـي رسـول الله مـن دون أهـلـه وفارسه قد كان في سالف الزمنْ
وأول من صلى من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منَنْ
وصاحب كبش القوم في كل وقعة تكون لها نفس الشجاع لدى الذقنْ
فذاك الذي تثنى الخناصر باسمه أمامهم حتى أغيب في الكفنْ

وفي **المحاسن والمساوي للبيهقي**: قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين يصف محاسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومن حضره في قصيدة له:

[البحر الطويل]

رأوا نعمة لله ليست عليهم عليك وفضلاً بارعاً لا تنازعهْ
فعضوا من الغيظ الطويل أكفهم عليك ومن لم يرضَ فالله خادعهْ
من الدين والدنيا جميعاً لك المنى وفوق المنى أخلاقه وطبائعهْ

وقال يوم السقيفة كما في المجموع الرائق:

[البحر البسيط التام]

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسنِ
أليس أول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسننِ
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفنِ
ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه ها إن بعيتكم من أغبن الغبنِ

وقال: قد نسبت هذه الأبيات إلى عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب.

ولما ذم عمرو بن العاص الأنصار، ورد عليه النعمان بن العجلان، ثم عاد عمرو إلى ذلك بتحريض بعض سفهاء قريش، فرد عليه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال خزيمة يخاطب قريشاً، رواه الزبير بن بكار:

[البحر الطويل]

يـال قريش أصلحوا ذات بيننا وبينكم قد طال حبل التماحكِ

فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا ولا خير فينا بعد فهر بن مالكِ
كلانا على الأعداء كف طويلة إذا كان يوم فيه جب الحواركِ
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم ففي ذكر ما قد كان مشي التشاوكِ

وفي مناقب ابن شهرآشوب، قال خزيمة بن ثابت يوم الجمل:

[البحر الرجز المجزوء]

لم يغضبوا لله إلا للجمل والموت خير من مقام في خملْ
والموت أحرى من فرار وفشلْ

وفيه أيضاً عند ذكر التصدق بالخاتم، قال خزيمة بن ثابت:

[البحر المتقارب]

فديت علياً إمام الورى سراج البرية مأوى التقى
وصيّ الرسول وزوج البتول إمام البرية شمس الضحى
تصدق خاتمه راكعا فأحسن بفعل إمام الورى
ففضّله الله رب العباد وأنزل في شأنه هل أتى

وله في ذلك:

[البحر الطويل]

أبا حسن تفديك نفسي وأسرتي وكل بطيء في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدح من محبك ضائعا وما المدح في جنب الإله بضائعِ
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا علي فدتك النفس يا خير راكعِ
فأنزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرائعِ

رثاؤه

لما قتل قالت ابنته ضبيعة ترثيه، كما في كتاب نصر بن مزاحم:

[البحر الخفيف]

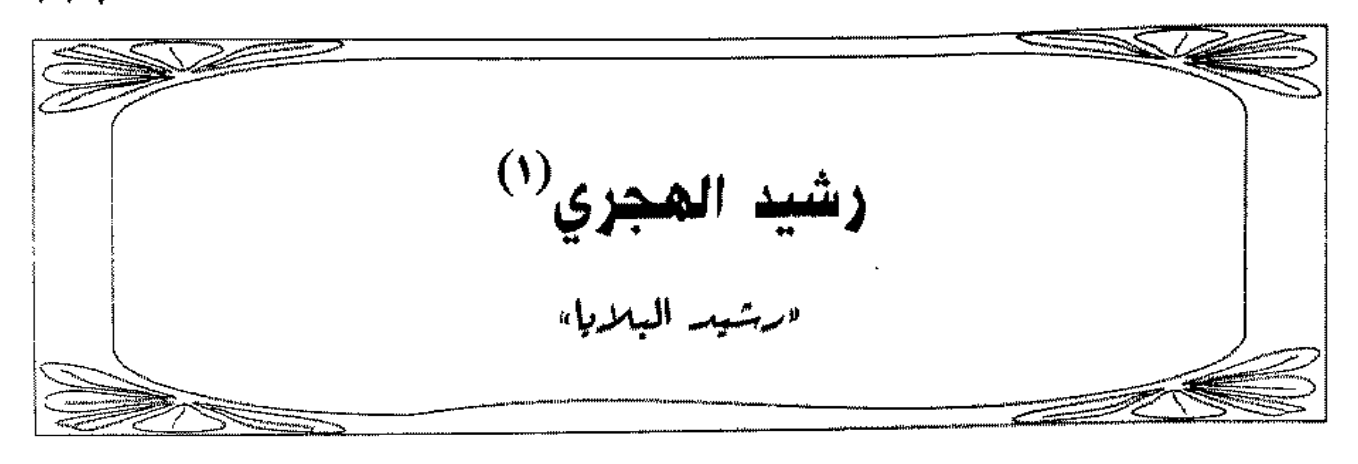
عين جودي على خزيمة بالدمـ ـع قتيل الأحزاب يوم الفراتِ
قتلوا ذا الشهادتين عتوا أدرك الله منهم بالتراثِ
قتلوه في فتية غير عزل يسرعون الركوب في الدعواتِ

نصروا السيد الموفق ذا العد ل ودانوا بذاك حتى المماتِ
لعن الله معشراً قتلوه ورماهم بالخزي والآفاتِ

مصادره:

اتقان المقال/ ١٨٦. أخبار شعراء الشيعة/ ٣٦. الاستيعاب ١/ ٤١٧. أسد الغابة ٢/ ١١٤. الاشتقاق/ ٤٤٧. الإصابة ١/ ٤٢٥. أعلام النساء ٢/ ٣٥٦. أعلام نهج البلاغة/ ٢٢. أنساب الأشراف ٢/ ٣١٣. الأعلام ٢/ ٣٥١. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٤، ٣١١. بهجة الآمال ٤/ ٢٩. تأسيس الشيعة/ ٣٥٥. تاريخ الطبري ١٣/ ١٣. تاريخ الخميس ٢/ ٢٧٧. تحفة الأحباب/ ٨٥. تقريب التهذيب ١/ ٢٢٣. تنقيح المقال/ ٣٩٧. تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٠. جامع الرواة ١/ ٢٩٥. الجرح والتعديل ٣/ ٣٨١. جمهر أنساب العرب/ ٣٣٤. خلاصة الأقوال/ ٦٦. الدرجات الرفيعة/ ٣١٠. رجال ابن داود/ ٨٨. رجال الطوسي/ ٤٠. رجال الكشي/ ٥٢. شذرات الذهب ١/ ٤٥. ابن أبي الحديد ١/ ١٤٥ و٣/ ١٧٣ و٦/ ٢٠ و٨/ ٤٢ و١٠/ ١٠٨ و١٣/ ٢٣١ و١٦/ ٢٧٣ و٢٠/ ١٩، ٢٢١. الطبقات الكبرى ٤/ ٣٧٨. العقد الفريد ٣/ ٢٥٢ و٥/ ٨٤ و٧/ ١٤٦. الغارات ١/ ٨٩. الفوائد الرجالية ٣/ ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤٦. قاموس الرجال ٤/ ١٢. الكامل في التاريخ ٢/ ٣١٤ و٣/ ٢٢١، ٣٢٥. الكنى والألقاب ٢/ ٢٥٥. مجالس المؤمنين ١/ ٢٣١. مجمع الرجال ٢/ ٢٦٧. مرآة= =الجنان ١/ ١٠١. مروج الذهب ٢/ ٣٦٧. المشتبه ١/ ٢٣٠. معجم الثقات/ ٢٦٩. معجم رجال الحديث ٧/ ٤٧. المناقب ٣/ ١٨٠. منتهى المقال/ ١٢٩. نقد الرجال/ ١٢٥. وقعة صفين/ ٢٤٣. ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٩٨، ٤٤٨.





رشيد الهجري(١)

«رشيد البلايا»

رشيد في تكملة نقد الرجال: قال الخليل (والظاهر أن المراد به الخليل: الغازي القزويني بضم المهملة وفتح المعجمة وسكون الخاتمة (والهجري) قال الخليل: بفتح الجيم «اهـ».

في الخلاصة: رشيد بضم الراء، وفي رجال ابن داود: رشيد بضم الراء، وفتح الشين المعجمة (الهجري بفتحتين) ورأيت بعض أصحابنا قد ضبطوا الهجري بضم الجيم وهو اشتباه عليه «اهـ».

وعادته أن يتعقب بمثل ذلك كلام العلامة في الخلاصة، لكن ذلك لا أثر له في الخلاصة، والهجري نسبة إلى هجر اسم لثلاثة مواضع بلدة بأقصى اليمن، واسم لجميع أرض البحرين، ومنه المثل: «كمبضع التمر إلى هجر» وقرية كانت قرب المدينة تنسب إليها القلال الهجرية أو أنها منسوبة إلى هجر اليمن(٢).

---

(١) أعيان الشيعة ج١٠ ص٣٢٤، ح٦٥٨٢.

(٢) رُشيد الهَجَري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الواعين الراسخين. وعدّ من أصحاب الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام أيضاً، كان أمير المؤمنين عليه السلام يعظّمه ويُسمّيه «رشيد البلايا». واخترقت نظرته الثاقبة النافذة ما وراء عالم الشهاد، فعُرف بعالِم «البلايا والمنايا». قال له الإمام عليه السلام يوماً: كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيُّ بني أُميّة، فقطع يديك ورجليك ولسانك؟.
قال: أيكون آخر ذلك إلى الجنّة؟.
وهكذا ترجم عظمة الصبر، ودلّ على صلابته في محبّته أمير المؤمنين صلوات الله عليه. ولمّا آن ذلك الأوان فعل زياد بن أبيه فعلته، ولم يتنازل رشيد عن الحقّ إلى أن استشهد وصلب.
الأمالي للطوسي عن بنت رُشيد الهَجَري عن رُشيد الهَجَري: قال لي حبيبي أمير المؤمنين عليه السلام: يا رُشيد، كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيُّ بني أُميّة فقطع يديك=

فقال: لا يغشوني أبداً فكفا ألسنتكما ولا تحزبا الناس ففعلا، وقعد أولئك النفر في بيوتهم وأقبلوا يقعون في عثمان.

وقيل: بل كان السبب في ذلك أنه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة.

فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان قريش.

فقال الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم معه.

فقال عبد الرحمن الأسدي - وكان على شرطة سعيد - أتردون على مقالته وأغلظ لهم.

فقال الأشتر: لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطئوه وطْئاً شديداً حتى غشي عليه، ثم جروا برجله فنضح بماء فأفاق.

فقال قتلني من انتخبت.

فقال: والله لا يسمر عندي أحد أبداً فجعلوا يجلسون في مجالسهم يشتمون عثمان وسعيداً واجتمع إليهم الناس حتى كثروا.

فكتب سعيد وأشراف أهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم. فكتب إليهم أن يلحقوهم بمعاوية، وكتب إلى معاوية أن نفراً قد خلقوا للفتنة فأقم عليهم وأنهضهم فإن آنست رشداً فاقبل، وإن أعيوك فارددهم عليّ، فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان، وكان يتغدى ويتعشى عندهم.

فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً ولو لم تكن قريش كنتم أذلة إن أئمتكم لكم جنة فلا تتفرقوا عن جنتكم، وجرى بينه وبينهم كلام.

فكتب إلى عثمان: أنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أضجرهم العدل، إلى أن قال: فخرجوا من دمشق فقالوا: لا ترجعوا بنا إلى الكوفة فإنهم

حيان البجلي، عن قنواء بنت رشيد الهجري سمعت أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا رشيد كيف صبرك متى أرسل إليك دعيٌّ بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك.

قلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك إلى الجنة.

فقال: يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يبرأ منه.

فقال له الدعيُّ: فبأي ميتة.

قال: لك تموت.

قال له: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني.

فقال: والله لأكذِّبَنَّ قوله، فقدموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملت أطراف يديه ورجليه، فلما احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى يوم الساعة، فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات في ليلته.

قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام. يسميه رشيد البلايا، وكان ألقي إليه علم البلايا والمنايا، وكان في حياته إذا لقي الرجل يخبره بميتته وبقتلته، فيكون كما قال، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنت رشيد البلايا، أي تقتل بهذه القتلة، فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن أمالي الشيخ، عن **المفيد محمد** بن عمر الجعابي، عن ابن عقدة محمد بن يوسف بن إبراهيم الورداني، عن أبيه، عن وهب بن حفص، عن أبي حسان العجلي: لقيت أمة الله بنت راشد الهجري فقلت لها: أخبريني بما سمعت أباك.

قالت سمعته يقول:

قال حبيب أمير المؤمنين عليه السلام: يا راشد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك.

فقلت: يا أمير المؤمنين أيكون آخر ذلك إلى الجنة.

قال: نعم يا راشد وأنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه الدعيُّ عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يبرأ منه.

فقال له ابن زياد: فبأي ميتة أخبرك صاحبك أنك تموت.

قال: أخبرني خليلي إنك تدعوني إلى البراءة فلا أبرأ، فتعذبني فتقطع يدي ورجلي ولساني.

فقال: والله لأكذبن صاحبك قوموا فاقطعوا يديه، ورجليه، واتركوه فقطعوه وحملوه إلى منزلنا، ثم دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجعون له.

فقال: أئتوني بدواة وصحيفة أذكر لكم ما يكون مما علمنيه مولاي أمير المؤمنين، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات من ليلته تلك، وكان أمير المؤمنين عليه السلام. يسميه راشد المبتلى، وكان قد ألقى إليه علم المنايا والبلايا، وكان يلقى الرجل فيقول له: تقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كذا قال رشاد «اهـ».

وهنا أمور: **أولاً: جعل الكشي، والشيخ في الأمالي** هذه الواقعة مع عبيد الله بن زياد، وجعلها إبراهيم بن إسحاق والمفيد فيما يأتي مع أبيه زياد، والظاهر أنه هو الصواب وغيره اشتباه.

ثانياً: ما في الكشي والأمالي الظاهر أنه لواقعة واحدة، بدليل اتحاد المتن، لكن الكشي حكاه عن قنواء بنت رشيد، وصاحب الأمالي حكاه عن أمة الله بنت رشيد، فهل هما اسمان لبنت واحدة، أو هما اثنتان كلتاهما شهدتا ذلك وحكته عن أبيه، وفي كلتا الروايتين أنها قالت له: يا أبت هل تجد لذلك ألماً.

ثالثاً: في رواية الكشي سماه رشيداً كما هو المشهور، وفي رواية الأمالي سماه راشداً فهل اسمه الأصلي راشد، وصغر فسمي رشيد، لكن تصغير راشد رويشد لا رشيد، ولعله كان له اسمان راشد ورشيد.

الكشي: جبرئيل بن أحمد، حدثني محمد بن عبد الله بن مهران، حدثني أحمد بن النضر، عن عبد الله بن يزيد الأسدي، عن فضيل بن الزبير: خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً إلى بستان البرني ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة ثم أمر بنخلة فقطعت، فأنزل منها رُطَباً فوضع بين أيديهم.

فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين ما أطيب هذا الرطب.

فقال: يا رشيد، أما إنك تصلب على جذعها.

قال رشيد: فكنت أختلف إليها طرفي النهار أسقيها، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام فجئتها يوماً وقد قطع سعفها.

قلت: اقترب أجلي، ثم جئت يوماً فجاء العريف فقال: أجب الأمير فأتيته، فلما دخلت القصر إذا خشب ملقى، ثم جئت يوماً آخر فإذا النصف قد جعل زرنوقاً يستقى عليه الماء.

فقلت: ما كذبني خليلي فأتاني العريف فقال: أجب الأمير فأتيته، فلما دخلت القصر إذا الخشب ملقى، وإذا فيه الزرنوق فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي ثم قلت: لك غذيت ولي أنبت، ثم أدخلت على عبيد الله بن زياد قال: هاتِ من كذب صاحبك.

فقلت: والله ما أنا بكذاب ولا هو، وقد أخبرني إنك تقطع يديَّ ورجليَّ ولساني.

فقال: إذاً والله نكذبه، اقطعوا يده ورجله وأخرجوه، فلما حمله أهله أقبل يحدث الناس بالعظائم وهو: أيها الناس فإن للقوم عندي طلبة لما يقضوها، فدخل رجل على ابن زياد فقال له: ما صنعت قطعت يده ورجله يقضوها، فدخل رجل على ابن زياد فقال له: ما صنعت قطعت يده ورجله وهو يحدث الناس بالعظائم، ثم قال: ردوه وقد انتهى إلى بابه فرده، فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه وأمر بصلبه وقد سبق له مع حبيب بن مظاهر مدح.

وفي الروايات الواردة في إسحاق بن عمار: أن رشيد الهجري كان مستضعفاً، وكان عنده علم المنايا.

وفي منهج المقال: لعل معناه لا ينافي ما مدح به هاهنا «اهـ».

بأن يراد به المستضعف في قومه في علمه، لأن علمه، مقصور على بعض الأشياء والله أعلم.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد، قال إبراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات، حدثني إبراهيم بن العباس النهدي، حدثني مبارك البجلي، عن أبي بكر بن عياش، حدثني المجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد وقد أتى برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنا فاعلون بك.

قال: تقطعون يديَّ ورجليَّ وتصلبونني.

قال زياد: أما والله لأكذبن حديثه خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبك، إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلم.

فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه.

فقال زياد: اقطعوا لسانه فلما أخرجوا لسانه ليقطع.

قال: نفسوا عني أتكلم كلمة واحدة فنفسوا عنه.

فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني فقطعوا لسانه وصلبوه.

قال: وروى محمد بن موسى العنزي قال: كان مالك بن ضمرة الرؤاسي من أصحاب علي عليه السلام، وممن استبطن من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذر فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بني أمية: اللهم لا تجعلني أشقى الثلاثة.

فيقال له: وما الثلاثة.

فيقول: رجل يرمى من فوق طمار، ورجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه، ورجل يصلب، ورجل يموت على فراشه، فكان من الناس من يهزأ به ويقول: هذا من أكاذيب أبي تراب.

وكان الذي رمي به من فوق طمار: هاني بن عروة، والذي قطع وصلب رشيد الهجري، ومات مالك على فراشه «اهـ».

وقال المفيد في الإرشاد عند ذكر الأخبار عن الغيوب المحفوظة، عن أمير المؤمنين عليه السلام وذكره شائع الرواية بين العلماء، مستفيضة فمن ذلك ما رواه ابن عباس، عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي كنت عند زياد إذ أتي برشيد الهجري فقال له زياد: قال لك صاحبك - يعني علياً - إنا فاعلون بك.

قال: تقطعون يديَّ ورجليَّ وتصلبونني.

فقال زياد: أما والله لأكذبن حديثه، خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شراً مما قال له صاحبه، اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه.

فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال زياد: اقطعوا لسانه.

فقال رشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام.

قال المفيد: وهذا الخبر قد نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم عمن سمينا واشتهر أمره عند علماء الجميع «اهـ».

أقول: ما روي في حقه هو فوق التوثيق، والذين وثقوا الرجال هل كان توثيقهم مستفاداً إلا من الظنون والإمارات، فأنهم غالباً لم يعاشروا من وثقوهم ولم يخالطوهم، وهل كانت تلك الإمارات أقوى في إفادة الظن مما ورد في حقه كلا والمتأخرون الذين وثقوا الرجال ما اعتمدوا إلا على توثيق من تقدمهم، ولذلك كان من السخافة بمكان عد توثيقهم إلى جنب توثيق المتقدمين ليتم بذلك التوثيق بعدلين، بناء على الأصل الواهي من أن التوثيق من باب الشهادة لا يتم إلا بعدلين، إذ مع تسليم أنه من باب الشهادة فالشهادة يجب أن تستند إلى الحس لا الحدس المجرد، ومعلوم أن توثيق المتأخر مأخوذ من توثيق المتقدم والفرع لا يزيد على أصله. لكن ذلك موقوف على صحة هذه الأخبار وقد سمعت قول صاحب الحاوي أن سند روايتي الكشي غير واضح.

وفي أحدهما قنواء بنت رشيد وحالها مجهول، إلا أن يقال: إن هذه الروايات معتضد بعضها ببعض وأنها مشهورة مستفيضة، ولذلك **قال المفيد** فيما مر: أن هذا الخبر قد نقله المؤالف والمخالف عن الثقات واشتهر أمره عند علماء الجميع.

أقوال غيرنا

عن حبيب بن صهبان، ما يدل على أن رشيد الهجري كان يعتقد أن دابة الأرض المذكورة في القرآن هي علي بن أبي طالب.

عن زكريا بن أبي زائدة، قلت للشعبي: ما لك تعيب أصحاب علي وإنما علمك عنهم.

قال: عمن قلت عن الحارث وصعصعة، قال: أما صعصعة فكان خطيباً تعلمت منه الخطب.

وأما الحارث فكان حاسباً تعلمت منه الحساب.

وأما رشيد الهجري فقال لي رجل: اذهب بنا إليه فذهبنا، فلما رآني قال للرجل: هكذا وعقد ثلاثين يقول: كأنه منا، ثم ذكر ما يدل على أنه يعتقد بأن علياً عليه السلام حي يعرف من تحت الدثار.

قال الشعبي: فما الذي أتعلم من هذا، ثم حكى عن الشعبي أنه دخل على رشيد الهجري وذكر ما يدل على أن رشيداً يعتقد بحياة علي عليه السلام وأنه لم يمت وأنه قال لرجل: استأذن لي على أمير المؤمنين.

فقال: أوليس قد مات.

قال: قد مات فيكم، وأنه ليتنفس الآن بنفس الحي.

قال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل، فدخلت على أمير المؤمنين وأنبأني بأشياء تكون.

فقال له الشعبي: إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله وبلغ الخبر زياداً فبعث إلي رشيد الهجري فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث «اهـ».

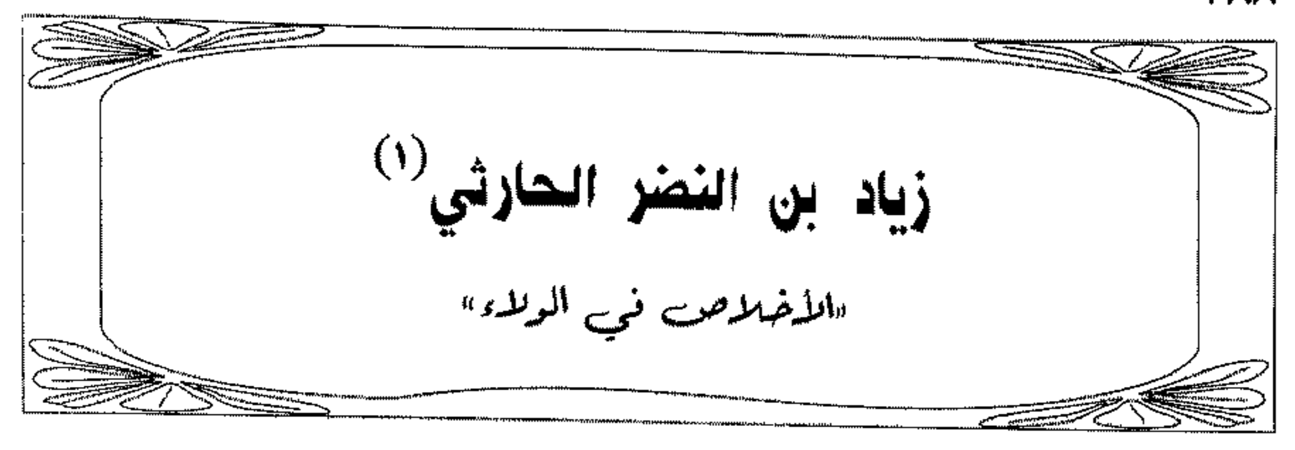
ومن ذلك يعلم أن تكذيبهم له وقدحهم فيه إنما هو لتشيعه، وزعم أنه يؤمن بالرجعة، وأخباره عن أمير المؤمنين عليه السلام ببعض المغيبات الذي يعدونه مغالاة وأنى يكون كذلك، وهو إخبار عن الصادق الأمين، عن جبرائيل، عن الله تعالى ولا يعدون خبر: يا سارية الجبل مغالاة ولا يستنكرونه والدعي نغل سمية، إنما فعل به ما فعل لروايته فضائل علي ومعجزاته وعدم براءته منه لا لما زعمه الشعبي

الذي هو مصدر هذه النسبة الباطلة، فقد كان من أولياء بني أمية أعداء الرسول وآله وعماله وقضاتهم ومن المنحرفين عن علي وآله وشيعته، وهو الذي قال للحارث: أما أن حب علي لا ينفعك وبغضه لا يضرك كما مر في ترجمة الحارث رداً على قول الرسول ﷺ: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، فأراد أن يختلق عذراً لدعي بني أمية في تمثيله بشيعة أهل البيت الطاهر ويدافع عنه، وقوله فيه وفي حبة العرني وأصبغ بن نباتة أنهم لا يساوون شيئاً إنما دعاه إليه ما ذكرناه.

مصادره

الاستيعاب ١/ ٥٢٣. أسد الغابة ٢/ ١٧٦. الإصابة ١/ ٥١٦. بهجة الآمال ٤/ ١٤٧. تحفة الأحباب/ ١٠٠. تنقيح المقال ١/ ٤٣١. تعجيل المنفعة/ ١٣٠، ١٧٤. جامع الرواة ١/ ٣١٩. الجرح والتعديل ٣/ ٥٠٧. خلاصة الأقوال/ ٧٢. رجال ابن داود/ ٩٥. رجال الشيخ الطوسي/ ٤١. رجال الكشي/ ٧٥. رجال البرقي/ ٤. سفينة البحار ١/ ٥٢٢. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٢٩٤. الغارات ٢/ ٧١٥، ٧٩٩، ٨٤٣. الفوائد الرجالي ١/ ٢٦٧ و٤/ ٤٥. قاموس الرجال ٤/ ١٢٧. اللباب ٣/ ٣٨١. لسان الميزان ٢/ ٤٦٠. مجمع الرجال ٣/ ١٥. معجم الثقات/ ٢٧٢. معجم رجال الحديث ٧/ ١٩٠. منتهى المقال/ ١٣٦. ميزان الاعتدال ٢/ ٥١. مجالس المؤمنين ١/ ٣٠٩. نقد الرجال/ ١٣٤.





زياد بن النضر الحارثي[١]

«الإخلاص في الولاء»

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام، وكان زياد هذا من أخلص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام له وللإسلام، وحضر معه وقعة صفين وأبلى فيها بلاءً حسناً، وجاهد جهاداً عظيماً، وكان فارساً شجاعاً مطاعاً شريفاً في قومه، وكان في جملة من أرسلهم أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخوارج ليحتجوا عليهم.

وعن الواقدي: أنه كان في جملة من خرج من الكوفة إلى المدينة لما أجلب الناس على عثمان وكثرت القالة فيه[٢].

أخباره بصفين

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أنه لما أراد علي عليه السلام الخروج إلى صفين دخل عليه يزيد بن قيس الأرحبي فقال له في جملة كلام: مر مناديك

---

(١) أعيان الشيعة ج١٠ ص٤٣٩، ح٦٨٧٧.

(٢) زياد بن النضر الحارثي، كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الأجلاّء، ومن أعوانه المخلصين، وأحد أُمراء الجيش، وتدلّ أقواله ومواقفه في صفّين وغيرها من المشاهد على أنّه كان ذا وعي عميق ومعرفة رفيعة بشخصيّة المولى أمير المؤمنين عليه السلام.
أشار في موقف من مواقفه إلى سبق الإمام عليه السلام في الإيمان، ومنزلته العالية عند رسول الله صلى الله عليه وآله. وأكّد على القتال في صفّين من خلال تصوير دقيق.
كان من رُؤساء الكوفيّين الذين قدموا المدينة للاحتجاج على عثمان.
وكان من أُمراء جيش الإمام عليّ عليه السلام، وتولّى في صفّين قيادة «مقدّمة الجيش» مع شُريح بن هاني، ولمّا صاروا في مقابل العدوّ، أمّر عليهما الإمام مالك الأشتر. كان زياد صاحب لواء قبيلة مذحج في المعركة، وكانت له صولات عظيمة في معارك ذي الحجّة. وأوفده الإمام عليه السلام لمفاوضة أصحاب النهروان قبل الحرب.
أجل، لقد كان طاهر القلب، شجاعاً، خيّراً كريماً، مطيعاً مخلصاً لأمير المؤمنين عليه السلام.

فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإن أخا الحرب ليس بالشؤوم ولا النؤوم إلى آخر كلامه.

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس وقال: ما يعرف فتوكل على الله ثق به واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً، فإن يرد الله بهم خيراً لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبي ﷺ، والقدم في الإسلام، والقرابة من محمد ﷺ، وألا ينيبوا أو يقبلوا ويأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هيناً ورجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

وروى نصر أيضاً، عن عمر بن سعد، عن يزيد بن خالد بن قطن: أن علياً عليه السلام لما أراد المسير إلى النخيلة دعا زياد بن النضر، وشريح بن هانىء وكانا على مذحج والأشعريين.

فقال: يا زياد اتقِ الله في كل ممسى ومصبح وخفف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال من البلاء، واعلم أنك إن لم تزع نفسك عن كثير ما تحب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضر، فكن لنفسك مانعاً وازعاً من البغي والظلم والعدوان، فإني قد وليتك هذا الجند فلا تستطيلن عليهم، وإن خيركم عند الله أتقاكم، وتعلم من عالمهم، وعلم جاهلهم، واحلم عن سفيههم، فإنك إنما تدرك الخير بالحلم وكف الأذى والجهد.

فقال زياد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيتك، مؤدباً بأدبك، يرى الرشد في نفاذ أمرك والغي في تضييع عهدك، فأمرهما أن يأخذوا في طريق واحد ولا يختلفا، وبعثهما في اثني عشر ألفاً على مقدمته شريح بن هانىء على طائفة من الجند وزياد على جماعة وزياد على الجميع، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة ولا يقرب من زياد، فكتب مع غلام له أو مولى له يقال له شوذب لعبد الله على أمير المؤمنين من زياد بن النضر: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلا هو أما بعد، فإنك وليتني أمر الناس وأن شريحاً لا يرى لي عليه طاعة ولا حقاً وذلك من فعله بي استخفافاً بأمرك وتركاً لعهدك، وكتب شريح بن هانىء: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلا هو أما بعد فإن زياد بن النضر حين أشركته في أمرك ووليته جنداً من جنودك تنكر واستكبر ومال

به العجب والخيلاء والزهو إلى ما لا يرضاه الرب تبارك وتعالى من القول والفعل، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعزله عنا ويبعث مكانه من يحب فإنا له كارهون والسلام.

فكتب إليهما علي عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانىء، سلام عليكما فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وأمرته عليها وشريح على طائفة منها أمير، فإن أنتما جمعكما بأس فزياد بن النضر على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير على الطائفة التي وليناه أمرها.

ثم أوصاهما بوصايا قيمة جليلة من أجل وصايا أمراء الجيوش.

قال المؤلف: كان أمير المؤمنين عليه السلام مبتلى بأمثال شريح الذي كان سيء الباطن في حق أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يرد عليه أوامره ويجابهه بالكلام الخشن، وكلما أراد عزله عن القضاء صاح أهل الكوفة واسنة فلان، وهو الذي كان السبب في تفرق مذحج لما أحاطوا بقصر ابن زياد حتى مكن له من قتل هانىء، ثم سلط الله على شريح الحجاج وقتله، وأراد إفساد أمر زياد بن النضر عند علي عليه السلام فلم يغتر بقوله ودبر الأمر أحسن تدبير[١].

قال نصر في كتاب صفين، وذكر نحوه ابن الأثير في الكامل، واللفظ للأول: أن علياً عليه السلام بعث زياد بن النضر وشريح بن هانىء من الكوفة في اثني عشر ألفاً مقدمة له، وطليعة زياد في ثمانية آلاف، وشريح في أربعة فأخذا على شاطىء الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهم أخذ معاوية على طريق الجزيرة، وبلغهما أن معاوية أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقبال علي فقالا: والله ما هذا لنا برأي أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر ما لنا خير أن نلقى جموع أهل الشام بقلة من عددنا منقطعين من العدد والمدد، فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها وحبسوا عنهم السفن، فرجعوا فعبروا من هيت ثم لحقوا علياً قرية دون قرقيسيا، وقد أرادوا أهل عانات فتحصنوا منهم،

(١) الواقع أن شريحاً هذا غير شريح القاضي الذي عناه المؤلف.

فلما لحقت المقدمة علياً قال: مقدمتي تأتي ورائي فأخبراه بما كان فقال: أصبتما رشدكما أو قال: سددتما، فلما عبر الفرات سيرهما أمامه على الحالة التي خرجا عليها من الكوفة، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهم أبو الأعور في جند من أهل الشام، فأرسلا إلى علي فأخبراه بذلك، فأرسل إلى الأشتر أن زياداً وشريحاً أرسلا إلي يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين، فالنجاء إلى أصحابك النجاء، فإذا أتيتهم فأنت عليهم واجعل على ميمنتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً، وكتب إليهما إني أمرّت عليكما مالكاً فاسمعا له وأطيعاه «الخبر».

وروى نصر عن عمر بن سعد، عن أبي روف، قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بديل بن ورقاء يوم صفين: أن يومنا ويومهم ليوم عصيب ما يصبر عليه إلاّ كل مشيع القلب صادق النية، رابط الجأش، وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منا ومنهم إلا الرذال.

فقال عبد الله بن بديل: وأنا والله أظن ذلك.

فقال علي عليه السلام: ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكل آتية منيته كما كتب الله والمقتولين في طاعته.

وروى نصر أن علياً عليه السلام أمر زياد بن النضر يوم صفين على مذحج والأشعريين، وعدي بن حاتم على طيء، وتجمعهم الدعوة مع مذحج وتختلف الرايتان راية مذحج مع زياد بن النضر، وراية طيء مع عدي بن حاتم.

وروى نصر أيضاً أن علياً عليه السلام لما كان يخرج الرجل الشريف فيقاتل، فيخرج معاوية مثل ذلك، ولا يتزاحفون بجميع الفيلق ومخافة الاستئصال وفي جملة من أخرجهم علي زياد بن النضر الحارثي.

وروى نصر في كتاب صفين، عن عمر بن شمر، عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، وكان على مقدمة علي عليه السلام قال: شهدت مع علي بصفين فاقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام، ثم صارت إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نحن وأهل الشام في

اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً، وقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح فلم يبق شيء من السلاح إلا قاتلت به، حتى تحاثينا بالتراب وتكادمنا بالأفواه حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين أن ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل، فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب علي عليه السلام على القتلى تلك الليلة.

وروى نصر قال: خرج زياد بن النضر الحارثي يسأل المبارزة، فخرج إليه رجل من أهل الشام من بني عقيل، فلما عرفه انصرف عنه أي لما عرف العقيلي زياداً انصرف عنه خوفاً منه.

وروى نصر: أن الأشتر مر بزياد بن النضر يوم صفين يحمل في العسكر فقال: ما هذا؟

قيل: زياد بن النضر استلحم هو وأصحابه في الميمنة، فتقدم زياد فرفع رايته لأهل الميمنة فصبروا، وقاتل حتى صرع ثم لم يمكثوا إلا كلا شيء حتى مروا بيزيد بن قيس محمولاً إلى العسكر.

فقال الأشتر: من هذا؟

قالوا: يزيد بن قيس، لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع.

فقال الأشتر: هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم.

قال نصر: كان مع عمار بن ياسر زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل فحمل وصبروا له وبارز يومئذٍ زياد بن النضر أخاً له من بني عامر يعرف بمعاوية بن عمرو العقيلي أمهما هند الزبيرية فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه بعد المبارزة سالماً.

خبره مع الخوارج

قال ابن الأثير في الكامل: لما اجتمع الخوارج بحرورا، قالوا: البيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلما سمع علي وأصحابه ذلك قامت الشيعة فقالت له: في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت.

فقالت الخوارج لأهل العراق: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسَيْ رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم أنتم علياً على أنكم أولياء من والى، وأعداء من عادى.

فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بسط علي يده فبايعناه قط إلا على كتاب الله وسنة نبيه، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل.

وفي المنتقى من أخبار الأصمعي حديث مسند عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي حاصله، أن زياد بن النضر قال: كنا على غدير لنا في الجاهلية ومعنا رجل يقال له: عمرو بن مالك معه بنية له شابة وأنه أرسلها لتأتي لهم بماء من الغدير فاختطفها جان ومضت على ذلك السنون، فإذا هي قد جاءت.

فقال لها أبوها: أين كنت؟

فقالت: اختطفني جان، فذهب بي حتى إذا كان الآن غزا قوماً مشركين أو غزاهم قوم مشركون فجعل لله عليه نذراً إن هم ظفروا بعدوهم أن يعتقني، فظفروا فحملني فأصبحت عندكم وجعل بيني وبينه علامة إن احتجت إليه أن أولول، فزوجها أبوها رجلاً من أهله فوقع بينهما يوماً ما يقع بين المرأة وبعلها، فعيرها بأنها نشأت في الجن فولولت، فإذا هاتف يهتف: يا معشر بني الحارث اجتمعوا فاجتمعنا.

فقلنا: ما أنت؟

فقال: أنا من الجن وأب فلانة ربيتها في الجاهلية بحسبي وصنتها في الإسلام بديني واستغاثت بي الآن وزعمت أن زوجها عيرها بأن كانت فينا، والله لن كنت تقدمت إليه لفقأت عينيه، فقامت إليه عجوز من الحي فقالت: إن لي بنية عريساً أصابتها حصبة وأخذتها حمى الربع فهل لها من دواء.

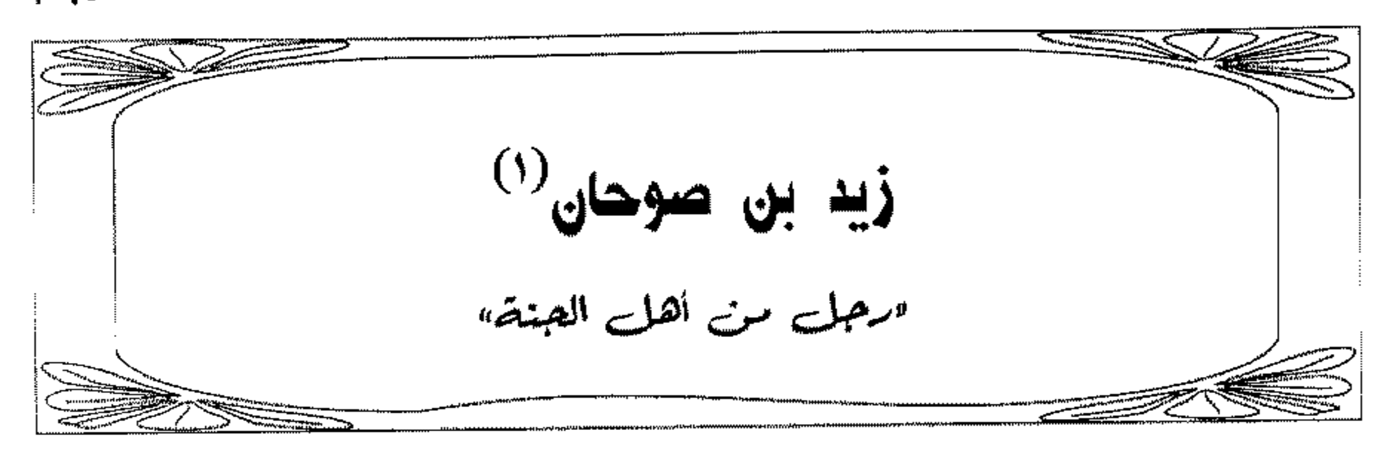
فقال: خذي واحدة من ذباب الماء الطويل القوائم الذي يكون في أفواه الأنهار فاجعليها في سبعة ألوان عهن من أصفرها وأحمرها وأخضرها وأسودها وأبيضها وأكحلها وأزرقها ثم اقتلي تلك الألوان الصوف بأطراف أصابعك ثم

اعقديه على عضدك (عضدها ظ) ففعلت أمها ذلك فكأنها نشطت من عقال «اهـ». هذا حاصل ما جاء في المنتقى نقلناه كما وجدناه والله أعلم بصحته.

مصادره

الأخبار الطوال/١٤٦، ٧١٦٦ ١٦٧. الاشتقاق/٣٩٩. الإصابة ١/ ٥٨١. أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٥، ٢٩٤، ٢٩٨. البداية والنهاية ٧/ ٢٥٧. تاريخ الطبري ٦/ ٣٦. تنقيح المقال ١/ ٤٦٠. جامع الرواة ١/ ٣٤٠ وفيه: زياد بن النصر. الجرح والتعديل ٣/ ٥٤٧.= =رجال الطوسي/ ٤٢. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٤٠ و٣/ ١٨٠ و٨/ ٤٥. العقد الفريد ٣/ ٣١٠. الغدير ٩/ ٤٧، ١٦٥، ١٦٨، ١٨٦، ٢٢٤. الغارات ٢/ ٧٩٩. قاموس الرجال ٤/ ٢٣٢. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨٠ - ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٢٧، ٣٢٨. مجمع الرجال ٣/ ٧٦. معجم الثقات/ ٢٧٥. معجم رجال الحديث ٧/ ٣٢٧. منتهى المقال/ ١٤٢. نقد الرجال/ ١٤٢. وقعة صفين/ ١٠١. ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٢١ - ١٢٣، ١٥٢، ١٩٥، ٢١٤، ٢٥٣، ٢٧٠، ٢٦٩، ٥٣٣.





زيد بن صوحان(١)

«رجل من أهل الجنة»

زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث، ابن الهجر، ابن صبرة بن حدرجان بن عباس، ابن ليث بن حداد، ابن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمر بن وديعة، ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس الربعي العبدي، أخو صعصعة وسيحان

استشهد مع علي عليه السلام يوم الجمل سنة **٣٦** قتله عمرو بن يثري الضبي، وفي مروج الذهب قتله عمرو بن سبرة.

(صوحان) في الخلاصة بضم الصاد المهملة واسكان الواو قبل الحاء المهملة والنون بعد الألف «اهـ».

وفي الإصابة: الهجاس يدل الهجرس وكأنه تحريف من النساخ (والربعي) نسبة إلى ربيعة قبيلة (والعبدي) نسبة إلى عبد القيس قبيلة من ربيعة.

✍ ربيعة وعبد القيس وآل صوحان

كانت ربيعة من أخلص الناس في ولاء أمير المؤمنين علي عليه السلام ومثلها عبد القيس فقد كانت متهالكة في ولائه كذلك آل صوحان جميعهم.

وفي مروج الذهب: اشتد حزن علي على من قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة قبل وروده البصرة، وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان، قتله يوم الجمل عمرو بن سبرة، ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضاً وكان علي يكثر من قوله:

---

(١) أعيان الشيعة ج١١ ص٦، ح٦٩٤٣.

[البحر الرجز المجزوء]

يا لهف ما نفسي على ربيعهْ   ربيعة السامعة المطيعهْ

قال:

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف القتلى فوجدت ابنين لها قد قتلا، وقد كان قد قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي إلى البصرة فانشأت تقول:

[البحر المتقارب]

شهدت الحروب فشيبنني   فلم أر يوماً كيوم الجملْ
أضرَّ على مؤمن فتنة   وأقتله لشجاع بطلْ
فليت الظعينة في بيتها   وليتك عسكر لم ترتحلْ

وكان لصوحان أبي زيد بن صوحان أربعة أولاد: صعصعة، وزيد، وسيحان، وعبد الله، فقتل زيد وسيحان مع علي عليه السلام يوم الجمل وارتث صعصعة.

وفي **مروج الذهب**: سأل ابن عباس صعصعة بن صوحان عن مسائل فأجابه عنها فأعجب بكلامه وقال: أحسنت والله يا ابن صوحان إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلالة.

وفي **مروج الذهب**، قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ميز لي أصحاب علي وابدأ بآل صوحان فإنهم مخاريق الكلام، فوصف له صعصعة ثم قال: وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان يصب فيها الخلجان ويغاث بهما اللهفان رجلا جد لا لعب معه، وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر:

[البحر الوافر]

إذا نزل العدو فإن عندي   اسوداً تخلس الأسد النفوسا

كنيته

في **الاستيعاب** يكنى أبا سلمان ويقال: أبو سليمان، ويقال: أبو عائشة، وزاد ابن عساكر، ويقال: أبو عبد الله.

وفي الإصابة بسند كان يحب سلمان، فمن شدة حبه له اكتنى أبا سلمان، وكان يكنى بغيره «اهـ»[(١)].

---

(١) زيد بن صوحان بن حُجْر العبدي أخو صعصعة وسيحان. كان خطيباً مصقعاً وشجاعاً ثابت الخُطى، وكان من العظماء، والزهّاد، والأبدال، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الأوفياء.

أسلم في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله فعُدَّ من الصحابة. وله وفاد على النبيّ صلى الله عليه وآله، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكره بخير، ويقول:

«من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد بن صوحان».

وتحقّق هذا الكلام النبوي الذي كان فضيلة عظيمة لزيد في حرب جلولاء.

وكان لزيد لسان ناطق بالحقّ مبيّن للحقائق، فلم يُطق عثمان وجوده بالكوفة فنفاه إلى الشام. وعندما بلور الثوّار تحرّكهم المناهض لعثمان، التحق بهم أهل الكوفة في أربع مجاميع؛ كان زيدٌ على رأس أحدها. واشترك في حرب الجمل، وأخبر بشهادته. كتبت إليه عائشة تدعوه إلى نُصرتها، فلمّا قرأ كتابها نطق بكلام رائع نابه، فقال: «أُمرَتْ بأمرٍ وأُمرنا بغيره، فركبت ما أُمرنا به، وأمرتنا أن نركب ما أُمرت هي به! أُمرَت أن تقرّ في بيتها، وأُمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، والسلام.

كان لساناً ناطقاً معبّراً في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان له باعٌ في دعمه وحمايته.

وخاطبه الإمام عليه السلام عندما جلس عند رأسه قائلاً: «رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة، عظيم المعونة».

تاريخ دمشق عن أبي سليمان: لمّا ورد علينا سلمان الفارسي أتيناه نستقرئه القرآن، فقال: إنّ القرآن عربي فاستقرئوه رجلاً عربياً. وكان يقرئنا زيد بن صوحان، ويأخذ عليه سلمان، فإذا أخطأ ردَّ عليه سلمان.

تاريخ دمشق عن أبي قدامة: كان سلمان علينا بالمدائن، وهو أميرنا، فقال: إنّا أُمرنا أن لا نؤمّكم، تقدّم يا زيد، فكان زيد بن صوحان يؤمّنا ويخطبنا.

تاريخ بغداد عن حميد بن هلال: كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، فإن كان ليكرهها إذا جاءت ممّا كان يلقى فيها، فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت امرأته: ليس هاهنا، قال: فإنّي أُقسم عليك لما صنعت طعاماً، ولبست محاسن ثيابك، ثمّ بعثت إلى زيد.

قال: فجاء زيد، فقرّب الطعام، فقال سلمان: كُل يا زُيَيْد، قال: إنّي صائم، قال: كُل=

هو صحابي أم تابعي

في **الاستيعاب** كان مسلماً على عهد النبي صلى الله عليه وآله لا نعلم له عن النبي صلى الله عليه وآله، رواية، وإنما يروي عن عمر وعلي (وزاد ابن عساكر وأبي بن كعب وسلمان الفارسي) روى عنه أبو وائل (شقيق بن سلمة الأسدي). وزاد ابن عساكر وسالم ابن أبي الجعد وزاد الخطيب البغدادي والغيزار بن حريث) ذكره محمد بن السائب الكلبي، عن أشياخه، عن تسمية من شهد الجمل فقال: وزيد بن صوحان العبدي وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وصحبه هكذا قال: ولا أعلم له صحبة ولكنه ممن أدرك النبي عليه الصلاة والسلام بسنة مسلماً.

=يا زُييد لا ينقص - أو تنقص - دينك، إن شرّ السير الحقحقة[1]، إنّ لعينك عليك حقّاً، وإن لبدنك عليك حقّاً، وإنّ لزوجتك عليك حقّاً، كُل يا زُيَيد، فأكل وترك ما كان يصنع.

البرصان والعرجان: زيد بن صوحان العبدي، الخطيب الفارس القائد، وفي الحديث المرفوع: «يسبقه عضو منه إلى الجنّة»، وزيد هو الذي قال لعليّ بن أبي طالب رحمة الله عليهما: إنّي مقتول غداً.

قال: وَلِمَ؟.

قال: رأيت يدي في المنام حتى نزلت من السماء، فاستشلت يدي.

فلمّا قتله عمير بن يثربي مبارزة، ومرّ به عليّ بن أبي طالب وهو مقتول فوقف وقال: أما والله ما علمتك إلاّ حاضر المعونة، خفيف المؤونة.

الإمام الصادق عليه السلام: لمّا صُرع زيد بن صوحان رحمة الله عليه يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتى جلس عند رأسه، فقال: يرحمك الله يا زيد، قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة.

قال: فرفع زيد رأسه إليه وقال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمتك إلاّ بالله عليماً وفي أُمّ الكتاب عليّاً حكيماً، وأنّ الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكنّي سمعت أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. وكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله.

---

(١) الحقحقة: شدة السير، وشر السير الحقحقة هو إشارة إلى الرفق في العبادة، يعني عليك بالقصد في العبادة ولا تحمل على نفسك فتسأم (لسان العرب ١٠/٥٧).

وفي الإصابة، قال ابن مندة: عداده في أهل الحجاز والمعروف أنه مخضرم، ثم قال في القسم الثالث بعدما حكى عن ابن الكلبي: أن له وفادة، ورد صاحب الاستيعاب عليه بأنه حكى الرشاطي، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن له وفادة، شاعر عبد القيس فيمن وفد على النبي ﷺ منهم فروى محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه، عن المنجاب بن الحارث، عن إبراهيم بن يوسف، حدثني رجل من عبد القيس قال: قال رجل منا شعراً يذكر دعاء رسول الله ﷺ لعبد القيس، وقد ذكر ابن عساكر هذه الأبيات في ترجمة زيد بن صوحان وعلى هذا فهو صحابي لا محالة «اهـ».

وقال ابن عساكر، روى ابن أبي شيبة، عن رجل من عبد القيس قال: وقد قال رجل منا شعراً يذكر فيه دعوة رسول الله ﷺ لعبد القيس ويعد الوفد ويسميهم فقال:

[البحر الكامل]

منا صحار والأشج كلاهما ... حقاً بصدق قالة المتكلمِ

سبقا الوفود إلى النبي فهلّلا ... بالخير فوق الناجيات الرسمِ

في عصبة من عبد قيس أوجفوا ... طوعاً إليه وحدهم لم يكلمِ

واذكر بني الجارود إن محلهم ... من عبد قيس في المكان الأعظمِ

ثم ابن سيار على أعدائه (علاته) ... بذ الملوك بسؤدد وتكرمِ

وكفى بزيد حين يذكر فعله ... طوبى لذلك من صريع مكرمِ

ذاك الذي سبقت لطاعة ربه ... منه اليمين[1] إلى جنان الأنعمِ

فدعا النبي لهم هنالك دعوة ... مقبولة بين المقام وزمزمِ

هذا ما أورده صاحب الإصابة منها، وزاد عليها ابن عساكر ثلاثة أبيات وهي:

[البحر الكامل]

فمحمد يوم الحساب شهيدنا ... ولنا البراءة من عذاب جهنمِ

---

(١) يأتي أن التي قطعت هي يده الشمال لا اليمين «المؤلف».

فأولاك قومي إن سألت مخبري   في الناس طرا مثلهم لم يعلمِ
إلا قريشاً لا أحاشي غيرهم   لهم الفضائل في الكتاب المحكمِ

قال ابن عساكر يعني بزيد زيد بن صوحان.

ويأتي عن ابن سعد: أنه من تابعي الكوفة، ويأتي في رواية الحارث الأعور أنه من التابعين.

وعن ابن إسحاق أنه أدرك النبي صلى الله عليه وآله وعن أبي عبيدة أنه له وفادة.

أقوال العلماء فيه

قال البرقي فيما حكاه عنه العلامة في **آخر الخلاصة**. إن من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من ربيعة: زيد وصعصعة أبناء صوحان.

وقال الشيخ في رجاله، في أصحاب علي عليه السلام زيد بن صوحان من الابدال، قتل يوم الجمل، وقيل: إن عائشة استرجعت حين قتل «اهـ».

وعده ابن أبي الحديد من التابعين الذين قالوا بتفضيل علي عليه السلام على الناس.

وفي الاستيعاب: كان فاضلاً ديناً سيداً في قومه هو وإخوته.

وحكى ابن عساكر، عن ابن سعد في الطبقات: كان زيد قليل الحديث وهو من تابعي أهل الكوفة «اهـ».

وفي مرآة الزمان لليافعي وممن قتل يوم الجمل: زيد بن صوحان وكان من سادة التابعين صواماً وقواماً.

وفي المعارف لابن قتيبة: كان زيد بن صوحان من خيار الناس.

وفي شذرات الذهب في حوادث سنة ٣٦ قتل يومئذٍ زيد بن صوحان من خواص علي من الصلحاء الأتقياء.

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦ قيل: إن عدد من سار من الكوفة (لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل) اثنا عشر ألف رجل ورجل، ثم ذكر رؤساء الجماعة من الكوفيين ورؤساء النفار وعدد من رؤساء النفار زيد بن

صوحان وذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين في جملة من أصيب في المبارزة من أصحاب علي يوم الجمل.

ومر أن عقيل بن أبي طالب وصفه لمعاوية لما سأله وصف آل صوحان وجمع معه أخاه عبد الله فقال: وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه، ووصف زيداً أخوه صعصعة لما قال له ابن عباس: فأين أخواك منك - زيد وعبد الله - صفهما لأعرف ورثكم قال أما زيد فكما قال: أخو غني:

[البحر الطويل]

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه ... إذا نال خلان الكرام شحوبُ
إذا ما تراآه الرجال تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراء وهو قريبُ
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه ... إليه ويدعوه الندى فيجيبُ
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه ... إذا لم يكن في المنقيات حلوبُ
كأن بيوت الحي ما لم يكن بها ... بسائس ما يلفى بهن غريبُ

في أبيات: كان والله يا بن عباس عظيم المروة شريف الأخوة جليل الخطر بعيد الأثر كميش العروة أليف البدوة سليم، جوانح الصدر قليل، وساوس الدهر ذاكراً لله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا، وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار ويألفه الأحرار الأخيار.

فقال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا.

ما روي في حقه

في الاستيعاب، روي من وجوه أن النبي ﷺ كان في مسير له فبينا هو يسير إذ هوم فجعل يقول زيد وما زيد جندب وما جندب.

وفي الإصابة والأقطع الخير زيد، فسئل عن ذلك فقال: رجلان من أمتي.

أما أحدهما: فتسبقه يده، أو قال: يعض جسده إلى الجنة ثم يتبعه سائر جسده.

وأما الآخر: فيضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل أصيبت يد زيد يوم جلولاء (**وفي الاصابة**: يوم القادسية. **وفي أسد الغابة** وقيل: بالقادسية) ثم قتل يوم الجمل مع علي وجندب قاتل الساحر (عند الوليد بن عقبة) قد ذكرناه في بابه «اهـ».

ونحن قد ذكرناه في ترجمة جندب، وفي المعارف لابن قتيبة، روي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: زيد الخير الأجذم، وجندب ما جندب.

فقيل: يا رسول الله أتذكر رجلين.

فقال: أما أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً.

وأما الآخر: فيضرب ضربة يفصل بها بين الحق والباطل، فكان أحد الرجلين زيد ابن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده وشهد مع علي يوم الجمل فقتله عمرو بن يثري وقتل أخاه سيحان يوم الجمل.

وفي الإصابة: روى أبو يعلى، وابن مندة، من طريق حسين ابن رماحس، عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي: سمعت علياً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من سره أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة، فلينظر إلى زيد بن صوحان»**.

وفي تاريخ بغداد، بسنده عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة، فلينظر إلى زيد بن صوحان.

قال الخطيب: قطعت يد زيد في جهاده المشركين، وعاش بعد ذلك دهراً حتى قتل يوم الجمل «اهـ».

وأخرج ابن عساكر عن الحارث الأعور، كان ممن ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد الخير، وهو زيد بن صوحان فقال: سيكون بعدي رجل من التابعين وهو زيد لخير يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة بعشرين سنة، فقطعت يده اليسرى، ثم عاش بعد ذلك عشرين سنة وقتل يوم الجمل بين يدي علي.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: قالوا كان مع علي في حربه سبعون رجلاً من أصحاب بدر، وسبعمائة رجل ممن بايع تحت الشجرة، فيما لا يحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشهد معه من التابعين ثلاثة، يقال: إن

رسول الله ﷺ شهد لهم بالجنة: أويس القرني وزيد بن صوحان. وجندب الخير. فأما أويس فقتل في الرجال يوم صفين. وأما زيد فقتل يوم الجمل.

وروى الكشي بعد ذكر الحديث الآتي، عن الصادق عليه السلام في أخباره يوم الجمل لما صرع، عن علي بن محمد القتيبي، قال: الفضل بن شاذان: ثم عرف الناس بعده[1] فمن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم زيد بن صوحان.

وروى الكشي في ترجمة أخيه صعصعة بن صوحان بسنده، عن الصادق عليه السلام: من يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه «اهـ».

ويأتي له مزيد في صعصعة «انش».

أخباره

قال ابن عساكر: لما قدم وفد أهل الكوفة على عمر إلى أن قال: ثم جعل عمر يرحل لزيد بيده ويبطأ على ذراع راحلته ويقول: يا أهل الكوفة هكذا فاصنعوا بزيد.

قال أبو الهذيل، وقال الحكم بن عتيبة: لما أراد زيد أن يركب دابته أمسك عمر بركابه، ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه.

وروي في الاصابة: أن عمر وطأ لزيد راحلته وقال: هكذا فاصنعوا بزيد.

وفي الإصابة: ذكر البلاذري أن عثمان كان سيره فيمن سير من أهل الكوفة إلى الشام.

وفي تاريخ بغداد بسنده: كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها فإن كان ليكرهها إذا جاءت مما يلقى فيها، فبلغ سلمان ما كان يصنع فأتاه فقال: أين زيد.

قالت امرأته: ليس هاهنا.

قال: فإني أقسم عليك لما صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك، ثم بعثت إلى زيد فجاء زيد فقرب الطعام.

---

(١) هذا الكلام غير واضح المراد ولعل فيه نقصاً أو تحريفاً وكأنه تتمة لكلام سابق.

فقال سلمان: كل يا زيد.

قال: إني صائم.

قال: كل يا زيد لا ينقص أو لا تنقص دينك إن شر السير الحقحقة - وهي المتعب من السير أو أن تحمل الدابة ما لا تطيقه - إن لعينيك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجتك عليك حقاً، كل يا زيد فأكل وترك ما كان يصنع، وخاطبه يا زييد بالتصغير تجهيلاً له فيما فعله.

قال ابن عساكر: وروى ابن أبي الدنيا، عن هشام بن محمد (الكلبي): أن زيداً أصيبت يده في بعض فتوح العراق فتبسم والدماء تشخب، فقال له رجل من قومه: ما هذا موضع تبسم.

فقال له: إن ما حل بي أرجو ثواب الله عليه أفأدفعه بألم الجزع الذي لا جدوى فيه ولا دريكة لفائت معه، وفي تبسمي تعزية لبعض المؤمنين عن المؤمنين، فقال الرجل: أنت أعلم بالله.

وقال إبراهيم النخعي: كان زيد يحدثنا.

فقال له أعرابي: إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني (أن يكون قطعها في سرقة) فقال: أو ما تراها الشمال (وإنما تقطع في السرقة اليمين).

فقال: والله ما أدري اليمين تقطعون أم الشمال.

فقال زيد: صدق الله ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[1]، فذكر الأعمش أن يد زيد قطعت يوم نهاوند.

وروى المحاملي، عن أبي سليمان قال: لما ورد علينا سلمان الفارسي المدائن أتيناه نستقريه يعني نقرأ عليه، فقال:

إن القرآن عربي فاستقروه رجلاً عربياً، فكان يقرينا زيد ويأخذ عليه سلمان فإذا أخطأ رد عليه، وكان سلمان أميرنا بالمدائن، فقال: إنا أمرنا أن لا نؤمكم، تقدم يا زيد فكان هو يؤمنا ويخطبنا، وكان سلمان يقول له يوم الجمعة: قم فذكر قومك. وقد يكون في بعض هذا الحديث منافاة للبعض الآخر.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٧.

وقال مطرف: كنا نأتي زيداً فيقول لنا يا عبيد الله أكرموا وأجملوا فإنما وسيلة العباد إلى الله خصلتان: الخوف والطمع. وعمد زيد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليست لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم داراً ثم أسكنهم إياها، ثم أوصى بهم من أهله من يقوم بحاجاتهم ويتعاهدهم في مطعمهم ومشربهم وما يصلحهم، فجاءهم يوماً وكان يتعاهدهم بالزيارة فلم يدهم، وقيل له: دعاهم أمير البصرة، فخرج مسرعاً ودخل على الأمير فجعل يتلهم ليخرجهم، وقال للأمير:

ما تريد بهؤلاء القوم؟

فقال: أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا عليَّ فأقبل منهم.

فقال: زيد كلا والله لا أدعك تهيل عليهم من دنياك وتشركهم في أمرك وتذيقهم حلاوة ما أنت فيه، حتى إذا انقطعت شرتك منهم تركتهم فطافوا بينك وبينهم ربهم (وربما دل هذا الحديث على أنه كان يسكن البصرة) وقال له: كيف أنت يا زيد إذا اقتتل القرآن والسلطان.

قال: أكون مع القرآن.

قال: نعم الزيد أنت إذن «اهـ» تاريخ دمشق.

ولهذا لما اقتتل القرآن والسلطان يوم الجمل كان مع القرآن، وكان زيد بن صوحان ممن خرج من الكوفة إلى المدينة مع جماعة في فتنة عثمان.

قال ابن الأثير في الكامل: خرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبد وعد معه جماعة.

وفي تاريخ بغداد: نزل الكوفة وقدم المدائن، روى بسنده عن حسين ابن الرماس (الرماجس خ) الهمدائي: أدركت بالمدائن تسعة عشر رجلاً من أصحاب عمر بن الخطاب منهم: عبد الرحمن بن مسعود، وزيد بن صوحان، وعلقمة بن شبر، وبشر بن شبر، يتواعدون على الطعام يوماً عند ذا، ويوماً عند ذا ويضعون النبيذ فإذا رفع الطعام رفع النبي «اهـ».

(أقول): النبيذ ورد أنه خمر استصغره الناس، وجاء في روايات أئمة أهل

البيت عليهم السلام تحريمه كالخمر، وأن فيه سكراً خفياً، ووضع هؤلاء النبيذ مع الطعام لم يكن إلا لشربه إن صح الخبر وذلك إما لجهلهم بتحريمه أو المراد بالنبيذ غير ما هو المتعارف والله أعلم.

ولزيد مسجد ينسب إليه قرب مسجد السهلة.

خبره مع عثمان ومعاوية

مر عن البلاذري، أن عثمان كان سيره فيمن سير من أهل الكوفة إلى الشام، ويدل كلام **ابن عساكر في تاريخ دمشق**: أنه ممن نفاه عثمان إلى الشام لأنه نقم عليه الأحداث.

قال ابن عساكر، قال زيد لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك، اعتدل تعتدل أمتك، قالها: ثلاث مرات.

فقال له عثمان: أسامع مطيع أنت؟

قال: نعم (ولم تكن به جنة فيقول: لا) قال الحق بالشام فخرج من فوره ذلك (إلى الكوفة) فطلق امرأته ثم لحق بالشام كما أمره.

قال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتابه جمل أنساب الأشراف قالوا: لما خرج المسيرون من قراءة الكوفة واجتمعوا بدمشق نزلوا على عمرو بن زرارة فبرهم معاوية وأكرمهم، ثم أنه جرى بينه وبين الأشتر قول حتى تغالظا (وكان الأشتر من جملة من سير) فحبسه معاوية، فقام عمرو بن زرارة وقال: لئن حبسته لتجدن من يمنعه فحبس عمراً فتكلم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية ثم سكتوا.

فقال لهم معاوية: ما لكم لا تتكلمون.

فقال زيد بن صوحان: وما يصنع الكلام إن كنا ظالمين. فنحن نتوب، وإن كنا مظلومين فنحن نسأل الله العافية (وهذا يدل على وفور عقله اقتدى بالآية الكريمة: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

ولا يريد منه معاوية: (أكثر من ذلك).

فقال له معاوية: يا أبا عائشة أنت رجل صدق وأذن له باللحاق بالكوفة، فكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد فإني قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه فأحسن جواره وكف الأذى عنه، وأقبل إليه بوجهك وودك فإنه قد أعطاني موثقاً لا نرى منه مكروهاً، فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل (والحقيقة أن معاوية لم يأذن له لفضله وحسن هديه بل ليكتفي أمره وشفعه في المحبوسين لذلك فرأى أن إطلاقهم بشفاعته خير من إطلاقهم بدونها ولا غرض له في طول حبسهم فأطلقهم بدون استشارة الخليفة).

قال ابن الأثير في الكامل: إن سعيد بن العاص والي الكوفة من قبل عثمان، كان قد تنازع مع جماعة من أهل الكوفة فكتب فيهم إلى عثمان فكتب إليه عثمان أن يلحقهم بمعاوية بالشام فتنازعوا معه، فكتب إلى عثمان فيهم فأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ففعل فأطلقوا ألسنتهم، فضج سعيد منهم إلى عثمان فكتب إليه: أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ففعل، فكان فيهم الأشتر وثابت بن قيس الهمداني، وكميل بن زياد، وزيد بن صوحان، وأخوه صعصعة، وعمرو بن إسحاق، وجندب بن زهير، وجندب بن كعب وغيرهم.

✍ أخباره يوم الجمل ومقتله

شهد زيد حرب الجمل مع أمير المؤمنين علي عليه السلام هو وأخواه سيحان، وصعصعة، قتل زيد وسيحان وارتث صعصعة.

وفي الإصابة، قال يعقوب بن سفيان في تاريخه: كان زيد بن صوحان من الأمراء يوم الجمل كان على عبد القيس «اهـ».

وفي الاستيعاب: كانت بيده راية عبدالقيس يوم الجمل «اهـ».

وروى الطبري في تاريخه، وذكر ابن الأثير في الكامل قالا: كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان يوم الجمل: من عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان.

أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي.

فكتب إليها أما بعد: فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك.

وقال زيد: رحم الله أم المؤمنين أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا به ونهتنا عنه «اهـ».

والعجب من أم المؤمنين أن تصف نفسها بحبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتستميل زيداً إلى نصرها وتنسى أنها خرجت لحرب أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعترافها حين سئلت من كان أحب الناس، فقالت: فاطمة، ومن الرجال: قالت بعلها، وأن تصفه بابنها الخالص لتستميله إليها، وتنسى أنه من أخص خواص علي وأوليائه، فكيف يدور في خلدها أنه يتبعها ولكن التهالك في حب الشيء يجر إلى التشبث بما لا يكون وهذا الابن الخالص كانت أمه البارة سبباً في قتله.

وقال الكشي: روي أن عائشة كتبت من البصرة إلى زيد بن صوحان إلى الكوفة: من عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها زيد بن صوحان الخالص أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك وخذل الناس عن علي ابن أبي طالب حتى يأتيك أمري، فلما قرأ كتابها قال: أمرت بأمر وأمرنا بغيره فركبت ما أمرنا به، وأمرتنا أن نركب ما أمرت هي به، أمرت أن تقر في بيتها وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة والسلام «اهـ».

هكذا ورد لفظ والسلام في هذا الخبر، والعادة جارية أن يكون ذلك في آخر الكتب، وسياق الكلام يدل على أنه لم يكن كتاباً نعم، هو في رواية الطبري وابن الأثير السالفة جواب لكتابها. ولعله أشار به إلى انتهاء المرام.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: لما نزل علي عليه السلام البصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد: فأقم في بيتك وخذل الناس عن علي وليبلغني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلي عندي والسلام.

فكتبت إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد: فإن الله أمرك بأمر، وأمرنا بأمر أمرك أن تقري في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني

كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به وصنعت ما أمرني الله به فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مقبول والسلام.

قال: وروى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن عبيد، عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصري «اهـ».

وقال الطبري وابن الأثير: إنه لما أرسل أمير المؤمنين علي عليه السلام ابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران أهلها يوم الجمل، جعل أبو موسى الأشعري يخذل الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام، وثار زيد بن صوحان وطبقته، وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتاب إليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها، وكتاب إلى أهل الكوفة بمعناه فأخرجهما وقرأهما على الناس فلما فرغ منهما قال: أمرت أن تقر في بيتها وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به.

فقال له شبث بن ربعي: اسكت يا عماني لأنه من عبد القيس وهم يسكنون عمان (فعابه بذلك، وهذا يدل على أن نفاق شبث وخبث نيته الذي حداه على الخروج لحرب الحسين عليه السلام كان قديماً متأصلاً مع أنه كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه صفين) وتهاوى الناس، وقام أبو موسى يسكنهم ويثبطهم بشتى الأفانين، فقام زيد فشال يده المقطوعة، فقال لأبي موسى: يا عبد الله بن قيس ولم يكنه رد الفرات على أدراجه اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، فدع عنك ما لست مدركه ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾[1] إلى آخر الآيتين سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق.

وقال الطبري: لما كان يوم الجمل حملت مضر الكوفة على مضر البصرة فاجتلدوا قدام الجمل ومع علي أقوام غير مضر فمنهم زيد بن صوحان فقال له رجل من قومه: تنحَّ إلى قومك ما لك ولهذا الموقف ألست تعلم أن مضر بحيالك وأن الجمل بين يديك، وأن الموت دونه.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١ - ٢.

فقال: الموت خير من الحياة، الموت ما أريد، فأصيب هو وأخوه سيحان وارتث صعصعة.

وذكر الطبري في موضع آخر: أن قاتله عمرو بن يثري..

وفي تاريخ دمشق: روى سيف بن عمر أن ربيعة كانت ثلث أهل الكوفة مع علي يوم الجمل ونصف الناس يوم الواقعة، وكانت بقيتهم مضر، فقالت بنو صوحان: يا أمير المؤمنين ائذن لنا نقف في مضر ففعل، فأتى زيد فقيل له: ما يوقفك بحيال الجمل وحيال مضر، الموت معك وبازائك فاعتزل إلينا، فقال: الموت هو ما نريد.

وفي المعارف لابن قتيبة: شهد زيد بن صوحان مع علي يوم الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين ما أراني إلا مقتولاً.

قال: وما علمك بذلك يا أبا سلمان.

قال: رأيت يدي نزلت من السماء وهي تستشيلني فقتله عمرو بن يثري.

قال ابن عساكر: قال زيد قبل أن يقتل: إني قد رأيت يداً خرجت من السماء تصير إليّ أن تعالَ وأنا لاحق بها يا أمير المؤمنين.

وقال الكشي: جبرئيل بن أحمد، حدثني موسى بن معاوية بن وهب، حدثني علي بن سويد (سعيد، سعد)، عن عبد الله بن عبد الله الواسطي، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن القاسم بن سلمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما صرع زيد بن صوحان يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة، عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه إليه ثم قال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فوالله ما علمتك إلا بالله عليماً وفي أم الكتاب علياً حكيماً، وإن الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكني سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله.

وعن ابن سعد في الطبقات: أن زيد بن صوحان لما قتل قال: لا تغسلوا عني دماً.

وفي رواية الخطيب البغدادي: ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم.

وفي رواية له: لا تغسلوا عني دماً ولا تنزعوا عني ثوباً إلا الخفين وارمسوني في الأرض رمساً، فإني رجل محاج، زاد أبو نعيم: أحاج يوم القيامة «اهـ».

وقال ابن عساكر إنه قال: فادفنوني بدمي فإني مخاصم القوم.

وفي الاستيعاب، روي عنه من وجوه أنه قال: شدوا علي ثيابي ولا تنزعوا عني ثوباً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني رجل مخاصم أو قال: فإنا قوم مخاصمون «اهـ».

وفي مسودة الكتاب: زيد بن صوحان العبدي قتل مع علي عليه السلام يوم الجمل، قتله عمرو بن يثري الضبي مبارزة، وكان عمرو فارس أصحاب الجمل وشجاعهم فدعا إلى البراز فخرج إليه علباء بن الهيثم السدوسي فقتله عمرو، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه هند بن عمرو الجملي فقتله عمرو ثم دعا إلى البراز فقال زيد بن صوحان العبدي لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين إني رأيت يداً أشرفت من السماء وهي تقول: هلمَّ إلينا وأنا خارج إلى ابن يثري، فإذا قتلني فادفني بدمي ولا تغسلني، فإني مخاصم عند ربي، ثم خرج فقتله عمرو وأخذ بخطام الجمل وقال:

[البحر الرجز المجزوء]

أرديت علباء وهنداً في طلقْ ... ثم ابن صوحان خصيباً في علقْ
قد سبق اليوم لنا ما قد سبقْ ... والوتر منا في عدي ذي الفرقْ
والأشتر الغاوي وعمرو بن الحمقْ ... والفارس المعلم في الحرب الحنقْ
ذاك الذي في الحادثات لم يطقْ ... أعني علياً ليته فينا مزقْ

أراد بعدي عدي بن حاتم الطائي ثم طلب المبارزة فاختلف في قاتله، فقيل: إن عمار بن ياسر خرج إليه والناس يسترجعون له، لأنه كان أضعف من

برز إليه يومئذٍ فاختلفا ضربتين فنشب سيف بن يثري في جحفة عمار فضربه عمار على رأسه فصرعه، ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين استبقني أجاهد بين يديك واقتل منهم مثلما قتلت منكم.

فقال له علي عليه السلام: أبعد زيد وهند وعلباء استبقيك لاها الله إذا قال: فادنني منك أسارك.

قال له: أنت متمرد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين وذكرك فيهم.

فقال: أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضة ابنته منك، فأمر به علي عليه السلام فضربت عنقه.

وقيل: قتله الأشتر كما يأتي في ترجمة الأشتر.

أما ما رواه صاحب الاستيعاب من أنه ارتث زيد بن صوحان يوم الجمل، فقال له أصحابه: هنيئاً لك يا أبا سليمان.

قال: وما يدريكم غزونا القوم في ديارهم وقتلنا إمامهم وقد مضى على الطريق فيا ليتنا إذ ظلمنا صبرنا «اهـ».

فهو يدل على شكه وحاله تدل على أنه كان نافذ البصيرة، إذن فهو موضوع على لسانه لبعض الأغراض وكيف يقول: وما يدريكم الخ، وقد رأى يداً أشرفت من السماء تقول: هلمّ إلينا وكيف يقول: ليتنا إذ ظلمنا صبرنا والصبر على الظلم مع القدرة على الدفع ترك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أراد الظلم الواقع من أصحاب الجمل فهو مما لا يتفوه به عاقل إذ معنى الصبر على هذا الظلم تسليم النفس للظالم ليقتل المظلوم وهو يستطيع الدفع.

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب، بسنده عن **محمد ابن سيرين**: انبئت أن عائشة أم المؤمنين سمعت كلام خالد بن الواشمة يوم الجمل فقالت: أنشدك الله أصادقي أنت إن سألتك؟.

قال: نعم، وما يمنعني أن أفعل.

قالت: ما فعل طلحة؟.

قلت: قتل فاسترجعت ما فعل الزبير؟.

قلت: قتل فاسترجعت.

قلت: بل نحن لله ونحن إليه راجعون على زيد وأصحاب زيد.

قالت: زيد بن صوحان.

قلت: نعم.

فقالت: لا تقل ذلك فإن رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قدير.

وفي تاريخ دمشق: لما أخبرت عائشة بموت زيد وطلحة والزبير.

قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال ابن الواشمة: والله لا يجمعهم الله في الجنة أبداً.

فقالت عائشة: إن رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قدير.

وفي رواية الاصابة عن خالد ابن الواشمة قالت: ما فعل طلحة والزبير.

قلت: قتلا.

قالت: الله يرحمهما ما فعل زيد بن صوحان.

قلت: قتل.

قالت: يرحمه الله «اهـ».

وقولها له خيراً: يشبه قول القائل: (وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل).

وقول الآخر:

[البحر البسيط التام]

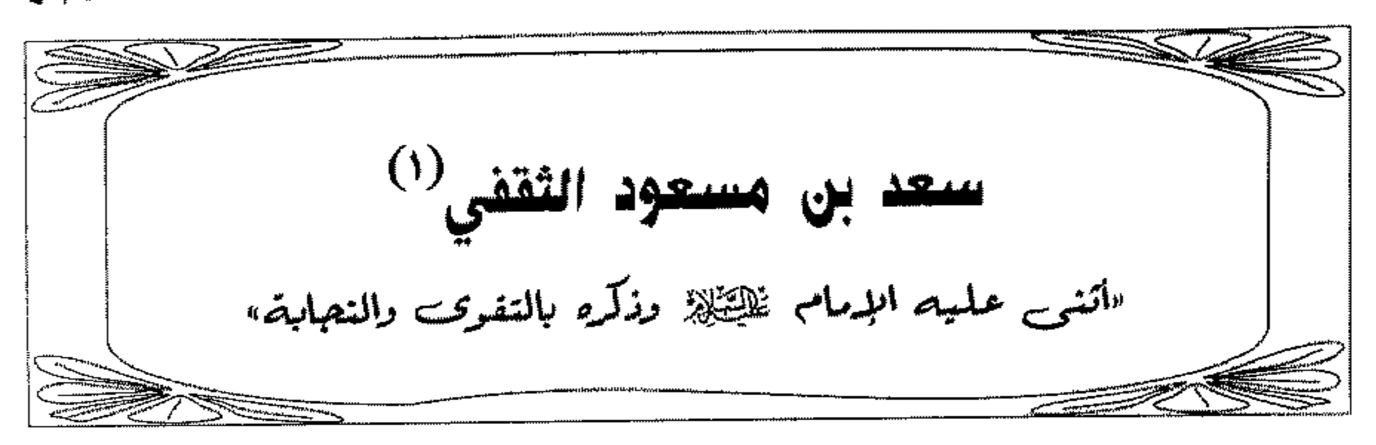
وما أخالك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

ورحمة الله واسعة ولكنه شديد العقاب.

مصادره

إتقان المقال/ ٦٥. الاستيعاب ١/ ٥٥٩. أسد الغابة ٢/ ٢٣٣. الاشتقاق/ ٣٢٩. الإصابة ١/ ٥٨٢. أنساب الأشراف ٢/ ٢٤٥. الأعلام ٣/ ٩٨. الأنساب/ ٧٦٠. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٤. بهجة امال ٤/ ٢٢٧. تاريخ الطبري ٥/ ١٨٤، ٢٠٩، ٢١٠. تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٩. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تحف الأحباب/ ١١٣. تنقيح المقال ١/ ٤٦٦. تعجيل المنفعة/ ١٤٢. جامع الرواة ١/ ٣٤٢. الجرح والتعديل ٣/ ٥٦٥. جمهرة أنساب العرب/ ٢٠٥. الجمل أو النصرة في حرب البصرة/ ١٣٤. خلاصة الأقوال/ ٧٣. رجال ابن داود/ ١٠٠. رجال الطوسي/ ٤١. رجال الكشي/ ٦٦. رجال البرقي/ ٥. سفينة البحار ١/ ٥٧٦. شذرات الذهب ١/ ٤٤. ابن أبي الحديد ١/ ٢٥٨ و٢/ ١٣٤ و٦/ ٢٢٦ و٨/ ١٣١ و١٤/ ١٠ و٢٠/ ٢٢٦. الطبقات الكبرى ٥/ ٣٣ و٥/ ٨١، ٢٢١. العقد الفريد ٣/ ٢٧٥ و٥/ ٦٣. الغدير ٨/ ٢٧٠، ٣٨٠ و٩/ ٣١ و١٠/ ١٢٠ و١١/ ٤٢. الغارات ٢/ ٧٨٩، ٨٨٧، ٨٩٠، ٨٩١. ٨٩٤، ٨٩٦، ٩٦٩، ٩٢٠. قاموس الرجال ٤/ ٢٥٥. الكامل في التاريخ ٣/ ١٤٤، ١٥٨، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٢. ٢٥١. اللباب ٢/ ٣١٤. مجمع الرجال ٣/ ٧٩. مرآة الجنان ١/ ٩٩. مروج الذهب ٢/ ٣٧٨. المشتبه ١/ ٢١. المعارف/ ١٧٦. معجم الثقات/ ٥٦، ٢٧٦. معجم رجال الحديث ٧/ ٣٤١. المناقب ٣/ ١٥١. منتهى المقال/ ١٤٣. مجالس المؤمنين ١/ ١٨٩. نقد الرجال/ ١٤٣. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٨٥ و٢/ ١٩٦. وقعة صفين/ ٥٥٧. ٥٥٨. سعد بن مسعود الثقفي.





سعد بن مسعود الثقفي(١)

«أثنى عليه الإمام عليه السلام وذكره بالتقوى والنجابة»

في الاستيعاب له صحبة، وفي أسد الغابة سعد بن مسعود الثقفي.

قال البخاري: هو عم المختار بن أبي عبيدة، وقال الطبراني له صحبة قال: وروى الطبراني بسنده عنه كان نوح عليه السلام إذا لبس ثوباً حمد الله، وإذا أكل أو شرب حمد الله فلذلك سمي: عبداً شكوراً.

وفي الإصابة سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، ذكره البخاري في الصحابة.

وقال الطبراني: له صحبة، وذكر أبو مخنف: أن علياً ولاه بعض عمله ثم استصحبه معه إلى صفين «اهـ».

هكذا في الاستيعاب وأسد الغابة وفي الإصابة: سعد بغير ياء، ولم يذكروا سعيداً بالياء، ويأتي عن أصحابنا سعيد بن مسعود الثقفي بالياء، ويوشك أن يكون تصحيف هذا ولعل الصواب أنه تصحيف وأن الصواب سعد بغير ياء، فإنهم في مثل هذا أضبط من أصحابنا هذا إن لم يكن غير المترجم(٢).

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ١٩٤، ح ٧٢٠٩.

(٢) سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد، من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الأوفياء. وقيل: من أصحاب رسول الله. ذكرت بعض المصادر أنّه اصطدم يوماً بعمّار بن ياسر الذي كان والياً على الكوفة من قبل عمر. ولاّه الإمام عليه السلام في البداية على منطقة الزوابي، وعندما تحرّك الإمام عليه السلام تلقاء صفّين، ولاّه على المدائن. أثنى عليه الإمام عليه السلام في رسالة له، وذكره بالتقوى والنجابة، ودعا له. لمّا جُرح الإمام الحسن عليه السلام في ساباط(١) وناله سوء من أصحابه، التجأ إلى سعد بن مسعود. كان=

---

(١) ساباط: موضع في العراق معروف، قرب المدائن وبهرسير يُعرف بساباط كسرى (راجع معجم البلدان: ١٦٦/٣).

وكان سعد والياً من قبل علي عليه السلام على المدائن وأقره الحسن عليه السلام ولما جرح الحسن عليه السلام بالمدائن أقام عنده يعالج جرحه.

قال السيد المرتضى في تنزيه الأنبياء والأئمة وكذا غيره أشار على سعيد، هذا شاب من آله وأولاده أن يستوثق من الحسن ويستأمن به إلى معاوية فقال: قبح الله رأيك فيمن أكرمني وشرفني وهبني نسيت بلاء أبيه مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويده عليّ من قبل، أفلا أحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في ابن بنته وحبيبه ثم أتاه بطبق، وقام عليه يعالج جرحه حتى برىء.

وذكر بعضهم: أن الذي أشار عليه بذلك كان هو المختار وسعيد هو عم المختار، فلما امتنع سعيد من ذلك قال له المختار: أردت أن أجربك، ولما خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى حرب صفين جعل سعيداً هذا على سبع قيس وعبد القيس قاله ابن الأثير.

=المختار بن أبي عبيد الثقفيّ ابن أخيه الذي استخلفه الإمام عليه السلام على المدائن. ويُنسب إليه أيضاً المحدِّث والمؤرِّخ الشيعي الكبير إبراهيم الثقفي الكوفي.

الفهرست: سعد بن مسعود أخو أبي عبيد بن مسعود عمّ المختار، ولاّه عليّ عليه السلام على المدائن، وهو الذي لجأ إليه الحسن عليه السلام يوم ساباط.

تاريخ اليعقوبي: كتب عليّ عليه السلام إلى سعد بن مسعود عمّ المختار بن أبي عبيد، وهو على المدائن: أمّا بعد، فإنّك قد أدّيت خراجك، وأطعت ربّك، وأرضيت إمامك، فعل المبرّ التقيّ النجيب، فغفر الله ذنبك، وتقبّل سعيك، وحسّن مآبك.

الإمام عليّ عليه السلام في كتابه إلى سعد بن مسعود الثقفي عامله على المدائن وجوخا[1]: أمّا بعد، فقد وفّرت على المسلمين فيئهم وأطعت ربّك، ونصحت إمامك، فعل المتنزّه العفيف، فقد حمدت أمرك، ورضيت هديك، وأبنت[2] رشدك، غفر الله لك، والسلام.

---

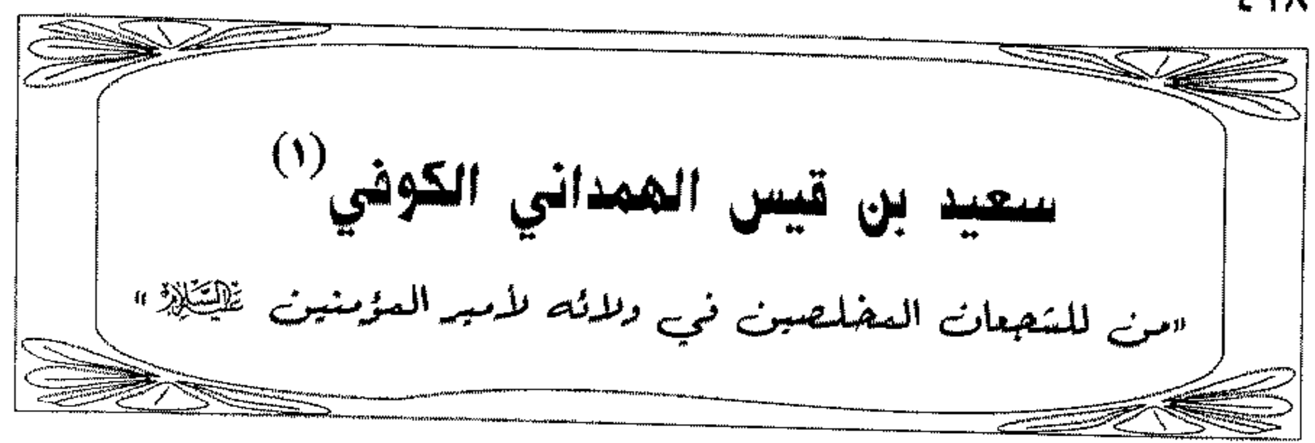
(١) جُوخا: اسم نهر عليه كورة [بلدة] في سواد بغداد، وهو بين خانقين وخوزستان (معجم البلدان: ٢/ ١٧٩).

(٢) أبت إبابته: استقامت طريقته (القاموس المحيط: ١/ ٣٥).

مصادره

الأخبار الطوال/١٣٦، ١٥٣، ٢٠٥. أسد الغابة ٢/ ٢٩٥. الإصابة ٢/ ٣٧. أنساب الأشراف ٣/ ٣٥ وج٢/ ٢٩٦، ٣٦٠، ٤٨٤. بهجة الآمال ١/ ٥٦٩. تاريخ الطبري ٥/ ١٩٩، ٢٣٧ وج ٦/ ٤٢. تحفة الأحباب/ ١٢٤. تنقيح المقال ١/ ٣١ وج٢/ ٣٠. جامع الرواة ١/ ٣٦٢. الجرح والتعديل ٤/ ٩٤ وفيه: سعيد بن مسعود. رجال الطوسي/ ٤٤. شرح ابن أبي الحديد ٣/ ١٩٣ و١٦/ ٢٧، ٤٢. الطبقات الكبرى ٤/ ٩١. الغارات ٢/ ٥١٧، ٦٣٨. قاموس الرجال ٤/ ٣٧٣. الكامل في التاريخ ٣/ ٣٢، ٢٣٢، ٢٨٠، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٧٣. مجمع الرجال ٣/ ١٢٠. المعارف/ ١٧٥. معجم رجال الحديث ٨/ ١٣١. منتهى المقال/ ١٥٠. نقد الرجال/ ١٥٢. وقعة صفين/ ١١، ١١٧.





سعيد بن قيس الهمداني الكوفي(١)

«من الشجعان المخلصين في ولائه لأمير المؤمنين عليه السلام»

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام، **وفي منهج المقال** أنه سعيد على أصح النسختين والأخرى سعد.

وفي رجاله الكشي، قال الفضل بن شاذان: ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم وعد جماعة منهم سعيد بن قيس «اهـ».

واحتمال أنه المتقدم كما عن حاشية النقد للمؤلف بعيد في الغاية، لأن ذلك من أصحاب الصادق، وهذا من أصحاب علي عليه السلام، وحضر معه حرب صفين، وكان من المخلصين في ولاء أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الشجعان المعروفين، وكان سيد همدان وعظيمها والمطاع فيها وله بصفين مقامات مشهودة مشهورة.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين، حدثنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبي، عن مالك بن قدامة الأزدي قال: قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين فقال: الحمد لله الذي هدانا لدينه وأورثنا كتابه وامتنَّ علينا بنبيه، فجعله رحمة للعالمين وسيداً للمرسلين و قائداً للمؤمنين وخاتماً للنبيين وحجة الله العظيم على الماضين والغابرين، ثم كان مما قضى الله وقدره وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا أن ضمنا وعدونا بقناصرين، فلا يجمل بنا اليوم الحياص وليس هذا بأوان انصراف ولات حين مناص، وقد خصنا الله بمنه برحمة لا نستطيع أداء شكرها ولا نقدر قدرها، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا، فوالله الذي هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً إلا أن معنا من

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٢١٢، ح ٧٢٨٣.

البدريين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا بدري صدق وصلى صغيراً وجاهد مع نبيكم كبيراً، ومعاوية طليق من وثاق الأسارى إلا أنه أخو جفاة فأوردهم النار وأورثهم العار، والله محل بهم الذل والصغار، ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً، فعلكيم بتقوى الله من الجد والحزم والصدق والصبر فإن الله مع الصابرين، ألا إنكم تفوزون بقتلهم ويشقون بقتلكم، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن، وأدخل المقتول ناراً تلظى لا تفتر عنهم وهم فيها مبلسون، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم والمؤمنين.

ثم قال الشعبي: لعمري فقد صدق فعله ما قال في خطبته.

وفي مجالس المؤمنين: سعيد بن قيس الهمداني كان من رؤساء قبيلة همدان ومن فدائية ملك الرجال (يعني أمير المؤمنين عليه السلام) «اهـ».

وكان سعيد بن قيس الهمداني، فارساً شجاعاً شاعراً، من خلص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه الجمل وصفين، وأخباره الآتية دالة على علو مقامه وخلوص ولائه.

✍ أخباره يوم الجمل

في مجالس المؤمنين، عن كتاب **الفتوح لابن أعثم الكوفي:** كان سعيد بن قيس في حرب الجمل في خيل الميسرة وأثر أثراً موجباً للسرور.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان سعيد بن قيس الهمداني في عسكر علي عليه السلام يوم الجمل ومما رويناه من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كون علي عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل:

[البحر الرجز المجزوء]

آية حرب أضرمت نيرانها ... وكسرت يوم الوغى مرّانها

قل للوصي أقبلت قحطانها ... فادع بها تكفيكها همدانها

وتتمة الأبيات.

هم بنوها وهم إخوانها

وروى نصر، بسنده عن الشعيب أن سعيد بن قيس دخل على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له علي: وعليك السلام وإن كنت من المتربصين.

فقال: حاشا الله يا أمير المؤمنين لست من أولئك.

قال: فعل الله ذلك «اهـ».

(أقول): ينبغي أن يكون ذلك قبل حرب الجمل فإنه في حرب الجمل كان مع علي عليه السلام ولم يكن متربصاً ولعل تربصه كان قبل حرب الجمل، والله أعلم.

أخباره بصفين

روى نصر بن مزاحم أن علياً عليه السلام لما عقد الألوية وأمر الأمراء وكتب الكتائب يوم صفين، استعمل على همدان سعيد بن قيس، **وفي مناقب ابن شهرآشوب** أنه جعله فيها على الجناح.

وفي مجالس المؤمنين، عن كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي أنه جعله يوم صفين مع عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي على الخيل في الجناح، وهو أهم مواقع العسكر.

وروى نصر في كتاب صفين: أن علياً عليه السلام لمّا قدم النخيلة متوجهاً إلى حرب صفين أمر الأسباع من أهل الكوفة فجعل من جملتهم سعيد بن قيس بن مرة الهمداني على همدان، ومن معهم من حمير.

وروى نصر أنه كان من الأشعث بن قيس شيء عند عزله عن الرياسة وذلك أن راية كندة وربيعة كانت للأشعث فدعا علي حسان بن مخدوج فجعل له تلك الرياسة فتكلم في ذلك ناس من أهل اليمن فغضبت زبيد وغضب رجال اليمنية، فأتاهم سعيد بن قيس الهمداني فقال: ما رأيت قوماً أبعد رأياً منكم أرأيتم إن عصيتم على علي هل لكم إلى عدوه وسيلة، وهل في معاوية عوض منه أو هل لكم بالشام من بدله بالعراق، أو تجد ربيعة ناصراً من مضر القول ما قال والرأي ما صنع.

قال ابن الأثير وغيره، لما ورد علي عليه السلام صفين أرسل بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية ليحتجوا عليه وينظروا ما يريد، فتكلم بشير وذهب سعيد بن قيس يتكلم، فبادره شبث بن ربعي فتكلم فقال معاوية: أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه (وما أراد معاوية بهذا الكلام الانتصار لسعيد ولا بيان سمو مكانه بل هو في قل به كاره له أشد الكراهة وإنما أراد إيقاع الفتنة بين شبث وسعيد وتشويش الأمر والتشاغل عن جواب ما جاؤوا لأجله) فأتوا علياً فأخبروه بذلك، فأخذ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحاب معاوية وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام مخافة الاستئصال وعد فيمن كان يخرج سعيد بن قيس الهمداني.

وفي مروج الذهب: أخرج علي عليه السلام في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمداني وهو سيد همدان يومئذٍ، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما إلى آخر النهار، وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعاً.

وفي مناقب ابن شهرآشوب إلى تمام الأربعين وقعة.

وروى نصر في كتاب صفين: أن عمرو بن حصين السكسكي برز في يوم صفين فنادى: يا أبا حسن هلم إلى المبارزة وحمل على علي ليضربه فبادر إليه سعيد بن قيس ففلق صلبه فقال علي عليه السلام يومئذٍ:

[البحر الطويل]

دعوت فلبّاني من القوم عصبة ... فوارسُ من همدانَ غير لئامِ
فوارس من همدانَ ليسوا بعزّلٍ ... غداة الوغى من شاكر وشبامِ
وكل ردينيٍّ وعضبٍ تخالُه ... إذا اختلف الأقوام شعل ضرامِ
لهمدانَ أخلاق ودين يزينهم ... وبأس إذا لاقوا وجد خصامِ

وذكر جامع الديوان أنه عليه السلام قال: يمدح قبيلة همدان ويخص بالذكر منهم سعيد بن قيس:

(دعوت فلباني) البيت:

[البحر الطويل]

ومن كل حي قد أتتني فوارس ذوو نجدات في اللقاء كرامِ
يقودهم حامي الحقيقة منهم سعيد بن قيس والكريم يحامي

وفي رواية بعد وبأس إذا لا قوا:

[البحر الطويل]

وجد وصدق في الحروب ونجدة وقول إذا قالوا بغير أثامِ
متى تأتِهِم في دارهم تستضيفهم تبتْ ناعماً في خدمة وطعامِ
جزى الله همدانَ الجنان فإنها سمام العدى في كل يوم سمامِ
فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلامِ

وفي **مناقب ابن شهرآشوب**: أن علياً عليه السلام جال في الميدان قائلاً، وذكر أبياتاً فاستخلفه عمرو بن الحصين السكسكي (أي جاء من خلفه) على أن يطعنه، فرآه سعيد بن قيس فطعنه وأنشد:

[البحر الوافر]

أقول له ورمحي في حشاه وقد قرت بمصرعه العيونُ
ألا يا عمرو عمرو بني حصين وكل فتى ستدركه المنونُ
أتدرك أن تنال أبا حسين بمعضلة وذا ما لا يكونُ

قال: وخرج معاوية يشير إلى همدان وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

لا عيش إلا فلق قحف الهام من أرحب أو شاكر وشبامِ
قوم هم أعداء أهل الشام كم من كريم بطل همامِ
وكم قتيل وجريح دامي كذاك حرب السادة الكرامِ

فحمل وهو مشرع رمحه فولى معاوية هارباً، ودخل في غمار القوم وجعل سعيد يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

يا لهف نفسي فاتني معاويهْ على طمر كالعقاب هاويهْ

والراقصات لا يعود ثانية   إلا هوى معفراً في الهاوية

وفي مجالس المؤمنين، عن كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: أن عمرو بن حصين السكوني لما أراد أن يطعن علياً عليه السلام من خلفه، فقتله سعيد بن قيس وأنشأ سعيد يقول:

[البحر الوافر]

ألا أبلغْ معاويةَ بن حربٍ   ورجم الغيب تكشفُه الظنونُ
بأنَّا لا نزالُ لكم عدواً   طوال الدهرِ ما سمعَ الحنينُ
ألم ترَ أنَّ والدَنا عليٌّ   أبو حسنٍ ونحن له بنونُ[١]
وأنَّا لا نريدُ سواه مولًى   وذاك الرشدُ والحظُّ السمينُ

فلما سمع ذلك معاوية جمع جمعاً من قبائل يحصب وكندة ولخم وجذام مع ذي الكلاع الحميري وقال: اخرج واقصد بحربك همدان خاصة، ولما رآهم علي عليه السلام نادى: يا همدان فأجابوه لبيك لبيك يا أمير المؤمنين فقال: عليكم بهذه الخيل، فإن معاوية قد قصدكم بها خاصة دون غيركم، فتوجه سعيد بن قيس في رجال همدان حتى هزمهم وألحقهم بسرادق معاوية، وبارز في هذه الحرب عدة مبارزات، واستمرت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العشاء ثم افترقوا، فسر علي عليه السلام بذلك، وأثنى على سعيد بن قيس وقبيلته همدان وقال: يا آل همدان أنتم مجنّي ودرعي بكم أستظهر، وأنت يا سعيد بمنزلة عيني التي أبصر بها ويدي التي أبطش بها، وفي كل وقت وفي كل عمل أعتمد على شجاعتك ورجولتك، والله لو كان تقسيم الجنة بيدي لوضعت همدان في أحسن موضع منها.

فقال له سعيد بن قيس: يا أمير المؤمنين إنما نفعل هذا طلباً لرضا الله تعالى، فمرنا بما تريد وابعث بنا إلى أي جانب أردت تجدنا مطيعين وقلوبنا وأرواحنا بيدك، فأثنى عليهم علي عليه السلام خيراً.

وروى نصر في كتاب صفين: أن معاوية لمّا تعاظمت عليه الأمور بصفين جمع خواص أصحابه فقال لهم: إنه قد غمني رجال من أصحاب علي وعد منهم

---

(١) هذا غير صحيح بحسب قواعد اللغة العربية «المؤلف».

خمسة فيهم: سعيد بن قيس في همدان، والأشتر، والمرقال، وعدي بن حاتم، وقيس بن سعد في الأنصار، وقد عبأت لكل رجلاً منهم رجلاً، فأنا أكفيكم غداً سعيد بن قيس، وأنت يا عمرو للمرقال وقد جعلتها نوباً في خمسة أيام، وأصبح معاوية في غده فلم يدع فارساً إلا حشده، ثم قصد لهمدان بنفسه في أعراض الخيل، ملياً ثم إن همدان تنادت بشعارها وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية فهمدان تذكر أن سعيداً كاد يقتنصه إلا أنه فاته ركضاً فقال سعيد في ذلك:

[البحر الرجز المجزوء]

يا لهف نفسي فاتني معاويهْ فوق طمر كالعقاب هاويهْ

والراقصات لا يعود ثانيهْ إلا على ذات خصيل طاويهْ

إن يعد اليوم فكعبي عاليهْ

فانصرف معاوية ولم يصنع شيئاً، وغدا في اليوم الثاني عمرو بن العاص في حماة الخيل فطعن قال: وإن معاوية أظهر لعمرو شماتة وجعل يقرعه ويوبخه وقال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس في همدان وفررتم، وإنك لجبان يا عمرو فغضب عمرو وقال: فهلا برزت إلى علي إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم قال: وإن القرشيين استحيوا مما صنعوا وشمت بهم اليمانية من أهل الشام.

فقال معاوية: يا معشر قريش مم تستحيون إنما لقيتم كباش العراق وما لكم علي من حجة، لقد عبأت نفسي لسيدهم وشجاعهم سعيد بن قيس ولكنه عاد منهزماً فانقطعوا عن معاوية أياماً، فقال معاوية من أبيات:

[البحر الطويل]

لعمري لقد أنصفت والنصف عادتي وعاين طعنا في العجاج المعاينُ

أتدرون من لاقيتم فل جيشكم لقيتم ليوثاً أصحرتها العرائنُ

فلما سمع القوم ما قاله معاوية، أتوه فاعتذروا إليه واستقاموا على ما يحب.

وخرج بسر بن أرطأة فقال مرتجزاً:

[البحر الرجز المجزوء]

أكرم بجند طيب الأردانِ جاؤوا ليكونوا أوليا الرحمنِ

إني أتاني خبر شجاني أن علياً نال من عثمانِ

فبرز إليه سعيد بن قيس قائلاً:

[البحر الرجز المجزوء]

بؤساً لجند ضائع الإيمانِ أسلمهم بسر إلى الهوانِ

إلى سيوفٍ لبني همدانِ

فانصرف بسر من طعنته مجروحا.

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم: أنه لما كان يوم صفين اختلط الناس في سواد الليل وتبدلت الرايات بعضها ببعض، ووجد أهل العراق لواءهم مركوزاً وليس حوله إلا ربيعة وعلي بينها، وهو لا يعلم من هم ويظنهم غيرهم.

فلما صلى علي الفجر أبصر وجوهاً ليست بوجوه أصحابه بالأمس فقال من القوم قالوا: ربيعة وقد بت فيهم تلك الليلة فقال: فخر طويل لك يا ربيعة ثم قال لهاشم: خذ اللواء فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة ثم خرج نحو القلب حتى ركز اللواء به، فإذا سعيد بن قيس على مركزه فلحقه رجل من ربيعة يقال له: نضر فقال له: ألست الزاعم لئن لم تنته ربيعة لتكونن ربيعة ربيعة ومضر مضر، فما أغنت عنك مضر البارحة، فنظر إليه علي نظر منكر، وروى نصر أنه لما اشتد القتال بصفين أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص أن قدم عكا والأشعريين إلى همدان فقدمهم، فنادى سعيد بن قيس: يا لهمدان خدموا أي اضربوا موضع الخدمة وهي الخلخال يعني اضربوا السوق، فأخذت السيوف أرجل عك فنادى أبو مسروق العكي: يا لعك بركاً كبرك الجمل، ونادى معاوية في أحياء اليمن فقال: ابعثوا لي كل فارس مذكور فيكم أتقوى به لهذا الحي من همدان، فخرجت خيل عظيمة، فلما رآها علي عرف أنها عيون الرجال فنادى: يا لهمدان فأجابه سعيد بن قيس، فقال علي عليه السلام: احمل فحمل حتى خالط الخيل بالخيل واشتد القتال وحطمتهم همدان حتى ألحقوهم بمعاوية وجمع علي همدان فقال: أنتم درعي ورمحي يا همدان ما نصرتم إلا الله ولا أجبتم غيره.

فقال سعيد بن قيس: أجبنا الله ونصرنا نبي الله صلى الله عليه وآله في قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارمِ بنا حيث أحببت، وفي هذا اليوم قال علي عليه السلام:

[البحر الطويل]

ولو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلي بسلامِ

وكان بصفين كتيبتان إحداهما الرجراجة[1] مع أمير المؤمنين عليه السلام وهم أربعة آلاف مجفف من همدان مع سعيد بن قيس الهمداني، والثانية الخضرية وتسمى: الرقطاء أيضاً وهم أربعة آلاف مع معاوية ثيابهم خضر أو معلمون بالخضرة مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

قال نصر في كتاب صفين: كانت طلائع أهل الشام وأهل العراق يلتقون فيما بين الوقائع ويتناشدون الأشعار ويتحدثون على أمان، فالتقوا يوماً وتذاكروا رجراجة علي وخضرية معاوية، فافتخر كل قوم بكتيبتهم فقال أهل الشام: إن الخضرية مثل رجراجة، وكان مع علي أربعة آلاف مجفف من همدان مع سعيد بن قيس رجراجة، وكان عليهم البيض والسلاح والدروع، وكان الخضرية مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب أربعة آلاف عليهم الخضرة.

وروى نصر في كتاب صفين، بسنده أنه خرج علي يوم صفين وبيده عنزة، فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك.

فقال له علي: إنه ليس من أحد إلا عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى في قليب أو يخر عليه حائط أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.

وفي مروج الذهب: لما صرع عمار بن ياسر تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان «اهـ».

وروى نصر أن معاوية دعا أخاه عتبة وأمره أن يلقى الأشعث ويقول له في جملة كلام: وأما سعيد فقلد علياً دينه.

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين بسنده أنه لما قتل ذو الكلاع

---

(١) في لسان العرب: كتيبة رجراجة تموج من كثرتها. وفيه أيضاً: كتيبة رجراجة تمخض في سيرها ولا تكاد تسير لكثرتها. «المؤلف».

الحميري أرسل ابنه إلى الأشعث بن قيس، أن يسلمه جثة أبيه فقال: إني أخاف أن يتهمني أمير المؤمنين في أمره (كاد المريب) فاطلبه من سعيد بن قيس، فاستأذن معاوية أن يدخل إلى عسكر علي فقال له: إن علياً قد منع أن يدخل منا أحد إلى معسكره يخاف أن يفسد عليه جنده، فأرسل بن ذي الكلاع إلى سعيد بن قيس الهمداني يستأذنه في ذلك، فقال سعيد: إنا لا نمنعك من دخول العسكر، إن أمير المؤمنين لا يبالي من دخل منكم إلى معسكره، فادخل حتى أخذه في خبر ذكرنا تمامه في ترجمة خندق البكري.

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

[البحر الرجز المجزوء]

هذا علي وابن عم المصطفى   أول من أجابه فيما روى

هو الإمام لا يبالي من غوى

وفي مناقب ابن شهرآشوب: أن معاوية عبأ أربعة صفوف، فبرز سعيد بن قيس، وعدي بن حاتم، والأشتر، والأشعث فقتلوا منهم ثلاثة آلاف ونيفاً وانهزم الباقون.

✍ أخباره يوم الحكمين

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين بسنده: أنه لما تداعى الناس إلى الصلح بعد رفع المصاحف قال علي: إنما فعلت ما فعلته لما بدا فيكم الخور والفشل، فجمع سعيد بن قيس قومه ثم جاء رجراجة من همدان كأنها ركن حصين يعني جبلاً باليمن، فقال سعيد: ها أنا ذا وقومي لا نرادُّك ولا نرد عليك فمرنا بما شئت قال: أما لو كان هذا قبل رفع المصاحف لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي قبل ذلك، ولكن انصرفوا راشدين فلعمري ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس.

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين أيضاً:

أن الأشعث بن قيس: كان من أعظم الناس قولاً في إطفاء الحرب والركون إلى الموادعة.

وأما الأشتر: فلم يكن يرى إلا الحرب لكنه سكت على مضض.

وأما سعيد بن قيس: فكان تارة هكذا وتارة هكذا.

قال نصر: إن أهل الشام لما أبطأ عنهم علم أهل العراق هل أجابوا إلى الموادعة أم لا جزعوا، فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص فوقف بين الصفين ونادى أهل العراق: إنه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين أو للدنيا فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليها لأجبناكم فاغتنموا هذه الفرصة، عسى أن يعيش فيها المحترق وينسى فيها القتيل، فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل فخرج سعيد بن قيس الهمداني فأتى علياً فأخبره بقول عبد الله بن عمرو فقال علي: أجب الرجل فتقدم سعيد بن قيس فقال: أما بعد يا أهل الشام إنه قد كانت بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وسميتموها غدراً وسرفاً، وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه أمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجل من أن يحكم فيه بما أنزل الله سبحانه، فالأمر في أيدينا دونكم وإلا فنحن نحن وأنتم أنتم «اهـ».

ومن هنا يظهر أنه اغتر بدعائهم إلى حكم القرآن ولم يتفطن إلى أنها خدعة.

قال نصر بن مزاحم: وكان سعيد من شهود كتاب الصلح يوم الحكمين قال: ولما فعل الحكمان ما فعلا قام سعيد بن قيس الهمداني فقال: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه وما ضلالكما بلازمنا وما رجعتما إلا بما بدأتما، وإنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس.

أخباره لما عزم أمير المؤمنين على العودة إلى صفين

قال ابن الأثير: إنه لما كان من أمر الحكمين ما كان وعزم علي عليه السلام على العودة إلى صفين بعث إلى ابن عباس فأرسل إليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتين فقال لأهل الكوفة: ليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة،

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة أنا أول الناس أجاب ما طلبت «اه».

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ثم جمع أمير المؤمنين عليه السلام بعد غارة الغامدي الناس فخطبهم فأجابه بعضهم بما ساءه، ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا، فقام حجر بن عدي الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت، ولا على عشائرنا إن قتلت في طاعتك فقال: تجهزوا للمسير إلى عدونا، فلما دخل منزله ودخل عليه وجوه أصحابه قال لهم: أشيروا علي برجل صلب ناصح يحشر الناس من السواد.

فقال له سعيد بن قيس: يا أمير المؤمنين أشير عليك بالناصح الأرب الشجاع الصلب معقل بن قيس التميم قال: نعم ثم دعاه فوجهه فسار فلم يقدم حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام ولما كان يوم الحكمين قام سعيد بن قيس الهمداني فقال يخاطب الحكمين: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه، وما ضلالكما بلازمنا وما رجعتما إلا بما بدأتما وإنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس.

قال الطبري في تاريخه: ولما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على العودة إلى صفين، وجمع رؤساء أهل الكوفة وخطبهم وطلب إليهم أن يكتب له كل رئيس ما في عشيرته من المقاتلة، قام سعيد بن قيس الهمداني فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة، أنا أول الناس جاء بما سألت وبما طلبت.

أخباره في غارة الغامدي

في شرح النهج: أنه لما بعث معاوية سفيان بن عوف الغامدي فأغار على الأنبار، وقتل أشرس بن حسان البكري عامل علي عليه السلام عليها وبلغه الخبر، خطب الناس وندبهم إليهم فلم ينبس أحد منهم بكلمة، فخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم وردوه، فدعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف، فخرج سعيد بن قيس

على شاطىء الفرات في طلب الغامدي حتى إذا بلغ عانات سرح أمامه هانىء بن الخطاب الهمداني، فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسرين وقد فاتوه فانصرف، ولبث علي عليه السلام ترى في الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس.

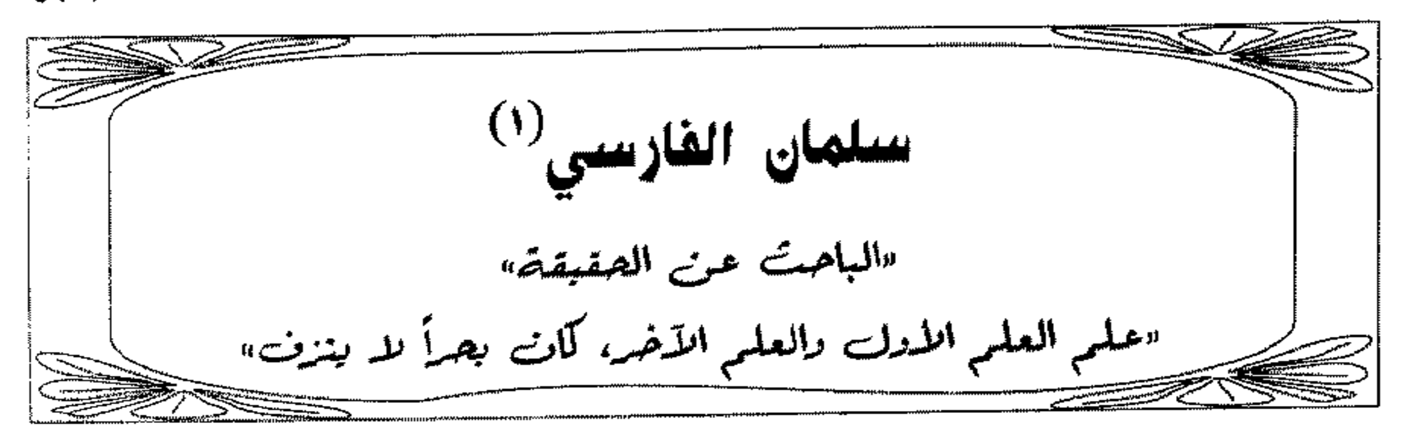
أخباره مع الحسن عليه السلام

لما جهز الحسن عليه السلام جيشاً لمحاربة معاوية مع عبيد الله بن العباس من أهل البصائر من أهل الكوفة أوصاه بهم وقال له: إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقوام المصر الرجل منهم يزيل الكتيبة (إلى أن قال): فإنهم ثقات أمير المؤمنين، وشاور هذين يعني: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، فإن أصبت فقيس على الناس، فإن أصيب قيس فسعيد عليهم، ولما نفر الناس بالحسن عليه السلام في ساباط المدائن دعا ربيعة وهمدان وفيهم سعيد بن قيس فأطافوا به يمنعونه ممن أراده.

مصادره:

تاريخ الطبري ٥/ ٢٤٢ وج٦/ ٣٠، ٤٥. تحف الأحباب/ ١٢٤. تنقيح المقال ٢/ ٢٩. جامع الرواة ١/ ٣٦١. الجرح والتعديل ٤/ ٥٥. جمهرة أنساب العرب/ ٤٣٦. سفينة البحار ١/ ٦٢٢. شرح ابن أبي الحديد ١/ ١٤٤ و٢/ ٨٨ و٤/ ١٤ و١٥/ ١٨٨. و٨/ ١٤٨ و١٣/ ٢٣٢ و١٦/ ٣٨. الغدير ٢/ ٨٣، ١٦٤ و٣/ ٢٣٠ و٩/ ٣٦٢ و١٠/ ١٦٣، ٣٠٧. قاموس الرجال ٤/ ٣٧١. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨٥ . ٢٨٧. مجمع الرجال ٣/ ١١٩. معجم رجال الحديث ٨/ ١٢٩. المناقب ٣/ ١٦٨. منتهى المقال/ ١٥٠. نقد الرجال/ ١٥٢. وقعة صفين/ ٧، ٧١١٧ ، ١٣٨، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٣٦ . ٣٣١، ٤٠٢ . ٥٤٧.





سلمان الفارسي[1]

«الباحث عن الحقيقة»

«علم العلم الأول والعلم الآخر، كان بحراً لا ينزف»

ويقال: سلمان بن عبد الله.

توفي بالمدائن سنة **٣٥** أو **٣٦** أو **٣٧** أو **٣٣**.

وفي تهذيب التهذيب: وهو أشبه لما روي أنه دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت، وقد مات ابن مسعود قبل سنة **٣٤** باتفاق «اهـ».

وفي رجال بحر العلوم: توفي سنة **٣٤** من الهجرة على الأصح، وتوفي بالمدائن ودفن بها، وقبره معروف يزار إلى اليوم.

وفي الاستيعاب، قال الشعبي: توفي سلمان في علية لأبي قرة الكندي بالمدائن.

✍ اسمه ونسبه الأصليان

في تهذيب التهذيب، قال أبو عبد الله بن مندة: اسمه مابة بن بوذخشان بن مورسلان بن بهنوذان بن فيروز بن سهرك من ولد أب الملك.

وفي أسد الغابة: كان ذلك اسمه قبل الإسلام.

وفي الإصابة قيل: إن اسمه كان ما به بكسر الموحدة ابن بود، قاله ابن مندة بسنده وساق له نسباً وقيل: اسمه بهبود «اهـ».

وعن إكمال الدين: كان اسم سلمان روزبة ابن خشنوذان.

---

(١) أعيان الشيعة ج١١ ص٢٦٥، ح٧٤٢٠.

ألقابه

يقال: سلمان الخير، وسلمان المحمدي، وسلمان ابن الإسلام.

وفي تهذيب التهذيب، قال ابن حبان: هو سلمان الخير، ومن زعم أنهما اثنان فقد وهم.

وروى الكشي بسنده، عن الحسن بن صهيب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر عنده سلمان الفارسي.

فقال أبو جعفر: مهلاً لا تقولوا: سلمان الفارسي، ولكن قولوا: سلمان المحمدي ذلك رجل منا أهل البيت(١).

---

(١) سلمان الفارسي أبو عبد الله، وهو سلمان المحمّدي، زاهد ثاقب البصيرة، نقيّ الفطرة، من سلالة فارسيّة، مولده رامهرمز وأصله من أصبهان، صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. كان يحظى بمكانة عظيمة لا تستوعبها هذه الصفحات القليلة. كان يطوي الفيافي والقفار بحثاً عن الحقّ. وعندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة حضر عنده وأسلم. وآثر خدمة ذلكم السفيرالإلّهيّ العظيم بكلّ طواعية. ولم يألُ جهداً في ذلك، وشهد الخندق وأعان المؤمنين بذكائه وخبرته بفنون القتال، واقترح حفر الخندق، فلقي اقتراحه ترحيباً.

كان يعيش في غاية الزهد، ولمّا كان قد قطع جميع الوشائج، وأعرض عن جميع زخارف الحياة، والتحق بالحقّ، شرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «**سلمان منّا أهل البيت**». وكان قلبه الطاهر مظهراً للأنوار الإلهيّة، فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى رجل نُوِّر قلبه فلينظر إلى سلمان»

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول عن سعة علمه واطّلاعه:

«علِم العلم الأوّل والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل وقرأ الكتاب الآخر، وكان بحراً لا ينزف».

وقد رعى سلمان حرمة الحقّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يحد عن مسيرة الحقّ وكان أحد القلائل الذين قاموا في المسجد النبويّ ودافعوا عن «خلافة الحقّ» و «حقّ الخلافة». وكان من عشّاق عليّ وآل البيت عليهم السلام، ومن الأقلّين الذين شهدوا الصلاة على السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وحضروا دفنها في جوف الليل الحزين.

ولاّه عمر على المدائن، فكانت حكومته فيها من المظاهر المشرّفة الباعثة على الفخر والاعتزاز، فهي حكومة تعلوها الرؤية الإلّهيّة، ويحيطها الزهد والورع، وهدفها الحقّ والعدل. =

. . . .

=كان سلمان من المعمّرين، عاش قرابة مائتين وخمسين سنة، وتوفّي بالمدائن أيّام حكومة عمر أو عثمان.

قال رسول الله ﷺ : إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان.

حلية الأولياء عن أبي الأسود وزاذان الكندي: كنّا ذات يوم عند علي عليه السلام، فوافق الناس منه طيب نفس ومزاح، فقالوا: يا أمير المؤمنين، حدّثنا عن أصحابك.

قال: عن أيّ أصحابي؟.

قالوا: عن أصحاب محمّد ﷺ.

قال: كلّ أصحاب محمّد ﷺ أصحابي، فعن أيّهم؟.

قالوا: عن الذين رأيناك تلطفهم بذكرك، والصلاة عليهم دون القوم، حدّثنا عن سلمان

قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟! ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأوّل والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل والكتاب الآخر، بحر لا ينزف.

الأمالي للطوسي عن منصور بن بزرج: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : ما أكثر ما أسمع منك يا سيّدي ذكر سلمان الفارسي!.

فقال: لا تقل الفارسي، ولكن قُل سلمان المحمّدي، أتدري ما كثرة ذكري له؟.

قلت: لا.

قال: لثلاث خلال، **إحداها**: إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على هوى نفسه، **والثانية**: حُبّه للفقراء واختياره إيّاهم على أهل الثروة والعدد، **والثالثة**: حُبّه للعلم والعلماء. إنّ سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.

المستدرك على الصحيحين عن عوف بن أبي عثمان النهدي: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حُبّك لعليّ عليه السلام! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني.

مروج الذهب - **في ذكر سلمان الفارسي** -: كان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته[١] بغير إكاف[٢]، ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكاً زاهداً، فلمّا احتضر بالمدائن قال له سعد بن وقّاص: أوصني يا أبا عبد الله.

قال: نعم، قال: اذكر الله عند همّك إذا هممت، وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذ قسمت. =

---

(١) **البَرْذَعةُ**: الحِلس الذي يُلقى تحت الرحل (لسان العرب: ٨/٨).

(٢) **الإكاف والأكاف من المراكب**: شبه الرّحال والأقتاب (لسان العرب: ٩/٨).

. . . .

= فجعل سلمان يبكي، فقال له: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟.
قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ في الآخرة عقبة لا يقطعها إلاّ المُخفّون، وأرى هذه الأساودة حولي، فنظروا فلم يجدوا في البيت إلاّ إداوة وركوة[١] ومطهرة.
المعجم الكبير عن بقيرة - امرأة سلمان -: لمّا حضر سلمان الموت دعاني، وهو في علّيّة[٢] لها أربعة أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة، فإنّ لي اليوم زوّاراً لا أدري من أيّ هذه الأبواب يدخلون عليّ، ثمّ دعا بمسك له، ثمّ قال: ادبغيه في تور[٣]، ففعلت، ثمّ قال: انضحيه حول فراشي ثمّ انزلي فامكثي، فسوف تطل?ين قربتي على فراشي، فاطّلعت فإذا هو قد أُخهذ روحه، فكأنّه نائم على فراشه أر نحواً من ذلك.
وروى جعفر غلام عبد الله بن بكير، عن عبد الله بن محمّد بن نهيك، عن النصيبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان اذهب إلى فاطمة عليها السلام فقل لها تتحفك من تحف الجن؟ فذهب إليها سلمان فإذا بين يديها ثلاث سلال، فقال لها: يا بنت رسول الله اتحفيني؟ قالت: هذه ثلاث سلال جاءتني بها ثلاث وصائف، فسألتهنّ عن أسمائهنّ فقالت واحدة: أنا سلمى لسلمان، وقالت الأُخرى: أنا ذرّة لأبي ذرّ، وقالت الأُخرى: أنا مقدودة للمقداد، ثمّ قبضت فناولتني، فما مررت بملأ إلاّ مُلئوا طيّباً لريحها.
عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، قال، قال أبو جعفر عليه السلام: ارتدّ الناس إلاّ ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذرّ والمقداد. قال، قلت: فعمّار؟ قال: قد كان جاض جيضة[٤] ثمّ رجع، ثمّ قال: إن أردت الذي لم يشكّ ولم يدخله شيء فالمقداد، فأمّا سلمان فإنّه عرض في قلبه عارض أنّ عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلّم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا، فلبّب[٥] ووجئت[٦] عنقه حتّى تُركت كالسلقة[٧]، فمرّ به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أبا عبد الله هذا من ذاك. بايع!=

---

(١) الرَّكْوة: إناء صغير من جِلد يُشرَب فيه الماء، والجمع رِكاء (النهاية: ٢/ ٢٦١).
(٢) علّيّة: هي بضمّ العين وكسرها: لغُرفة، والجمع العَلاليّ (النهاية: ٣/ ٢٩٥).
(٣) كذا في المصدر، وفي بقيّة المصادر: «أديفيه». قال في تاج العروس: داف الشيء يديفُه: أي خَلَطَه، وفي حديث سلمان رضي الله عنه: «... فقال لامرأته: أديفيه في تَورٍ». والتَّوْر: إناء صغير (تاج العروس: ١٢/ ٢١٦ و٦/ ١٣٥).
(٤) جاض: أي عدل عن الحق ومال.
(٥) لببه: جمع ثياب عند نحره في الخصومة ثم جره.
(٦) وجأ يوجأ: ضربه باليد والسكين.
(٧) كالسلعة - خ. (م) وفي القاموس: السقلة.. وفلاناً بالصوت، نزع جلده وشيئاً بالماء الحار، أذهب شعره ووبره وبقي أثره.

. . . .

=فبايع، وأمّا أبو ذرّ فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلاّ أن يتكلّم فمرّ به عثمان فأمر به، ثمّ أناب الناس بعد. فكان أوّل من أناب أبو ساسان الأنصاريّ[1] وأبو عمرة وشتيرة وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حقّ أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ هؤلاء السبعة.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل أبو ذرّ على سلمان وهو يطبخ قدراً له، فبيناهما يتحدّثان إذا انكبّت القدر على وجهها على الأرض فلم يسقط من مرقها ولا من ودكها[2] شيء، فعجب من ذلك أبو ذرّ عجباً شديداً، وأخذ سلمان القدر فوضعها على حالها الأوّل على النار ثانية، وأقبلا يتحدّثان، فبينا هما كذلك إذا انكبّت القدر على وجهها، فلم يسقط منها شيء من مرقها ولا من ودكها، قال: فخرج أبو ذرّ عجباً وهو مذعور من عند سلمان. فبينا هو متفكّر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب، فلمّا إن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له: يا أبا ذرّ ما الذي أخرجك من عند سلمان وما الذي أذعرك؟ قال له أبو ذرّ: يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا ذر إنّ سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان، يا أبا ذرّ إنّ سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، وإنّ سلمان منّا أهل البيت عليهم السلام.

عن صالح بن فرج، عن زيد بن المعدل، عن عبد الله سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خذب سلمان فقال: الحمد لله الذي هداني لدينه بعد جحودي له، إذ أنا مذكّ[3] لنار الكفر أهِلّ[4] لها نصيباً وآتيت لها رزقاً، حتى ألقى الله (عزّ وجلّ) في قلبي حبّ تهامة[5]. فخرجت جائعاً ظمآن، قد طردني قومي وأخرجت من مالي ولا حمولة تحملني ولا متاع يجهّزني ولا مال يقوّيني، وكان من شأني ما قد كان، حتّى أتيت محمّداً صلى الله عليه وآله فعرفت من العرفان ما كنت أعلمه ورأيت من العلامة ما أُخبرت بها، فأنقذني به من النار فبنت من الدنيا على المعرفة. التي دخلت عليها في الإسلام.

ألا أيّها الناس اسمعوا من حديثي ثمّ اعقلوه عنّي! قد أتيت العلم كثيراً ولو أُخبرتكم بكلّ ما أعلم لقالت طائفة: مجنون وقالت طائفة أُخرى: اللّهمّ اغفر لقاتل سلمان. =

---

(١) أبو سنان.

(٢) الودك بالتريك: دسم اللحم.

(٣) ذكّى النار بالتشديد: أوقدها.

(٤) والاهلال أصله رفع الصوت عند رؤية الهلال ثم استعمل لكل صوت: أي أصيح لأطلب نصيباً أي قوماً لعبادة النار.

(٥) بالكسر: مكة والحجاز.

. . . .

=ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، فإنّ عند عليّ عليه السلام علم المنايا وعلم الوصايا وفصل الخطاب[1] على منهاج هارون بن عمران، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت وصيّي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى، ولكنكم أصبتم سنّة الأوّلين[2] وأخطأتم سبيلكم، والذي نفس سلمان بيده لتركبنّ طبقاً عن طبق سنّة بني إسرائيل القذّة بالقذّة. أما والله لو وليتموها علياً لآكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم[3] فابشروا بالبلاء واقنطوا من الرجاء ونابذتكم على سواء[4] وانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء.

أما والله لو أنّي أدفع ضيماً أو أعزّ لله ديناً لوضعت سيفي على عاتقي ثمّ لضربت. به قدماً قدماً. ألا إنّي أحدّثكم بما تعلمون وما لا تعلمون فخذوها من سنة السبعين بما فيها[5].

ألا إنّ لبني أُميّة في بني هاشم نطحات[6] وأنّ لبني أُميّ من آل هاشم نطحات. ألا إنّ بني أُميّة كالناقة الضروس[7] تعضّ بفيها وتخبط بيديها وتضرب برجلها وتمنع درّها[8].

ألا إنّه حقّ على الله أن يذلّ ناديها[9] وأن يظهر عليها عدوّها مع قذف من السماء وخسف ومسخ وسوء الخلق حتّى أن رجل ليخرج من جانب حجلته إلى صلاة فيمسخه الله قرداً. ألا وفتنان تلتقيان بتهامة[10] كلتاها كافرتان، ألا وخس بكلب[11] وما أنا وكلب، والله=

---

(١) وقال في التعليقة: المنايا، الآجال جمع المنيّة وهي الأجل المقدّر للحيوان، من مناه يمنيه بمعنى قدره ومنى له الماني أي قدر فالمنيّة سمّيت منيّة لأنّها مقدّرة لكلّ ومن هنا سمّي بها الموت. وعلم الوصايا، المراد به علم الشرائع. وفصل الخطاب هو الفارق بين الحقّ والباطل على الفصل والقطع.

(٢) قال في التعليقة: أي أصبتم طريقة أُولئك الأقوام من بني إسرائيل الذين ارتدّوا عن السبيل من بعد موسى عليه السلام.

(٣) إشارة إلى هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

(٤) إشارة إلى هذه الآية: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨].

(٥) التسعين ـ خ(م).

(٦) نطح: ضرب بقرنه أو برأسه وانطحت الكباش تناطحت.

(٧) الضروس: الناقة السيّئة الخلق تعضّ حالبها.

(٨) أي تمنع ضرعها للحالب.

(٩) باديها ـ خ. (م) أي يذلّ أعزّتهم من البدو بمعنى الظهور وهو الظاهر والنادي بمعنى مجلس القوم ومجتمعهم ما داموا مجتمعين فيه.

(١٠) قال ابن الأثير في النهاية: ذات عرق أوّل تهامة إلى البحر وجدّة وقيل: تهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكّة وما وراء ذلك من المغرب فهو غور والمدينة لا تهاميّة ولا نجديّة فإنها فوق الغور ودون النجد.

(١١) لعلّ المراد بنو كلب. قال في نفس الرحمن: المراد خسف جيش السفيانيّ بالبيداء وهو من المحتوم. (م).

. . . .

=لولا ما[١] لأريتكم مصارعهم ألا وهو البيداء ثمّ يجيء ما تعرفون.

فإذا رأيتم أيّها الناس الفتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها الراكب الموضع[٢] والخطيب المصقع[٣] والرأس المتبوع:[٤] فعليكم بآل محمّد فإنّهم القادة إلى الجنّة والدعاة إليها إلى يوم القيامة، وعليكم بعليّ فوالله لقد سلّمنا[٥] عليه بالولاء مع نبيّنا[٦]، فما بال قوم أحسد قد حسد قابيل هابيل أو كفر فقد ارتدّ قوم موسى عن الأسباط ويوشع وشمعون وابني هارون؛ شبّر وشبير والسبعين الذين اتّهموا موسى على قتل هارون فأخذتهم الرجفة من بغيهم، ثمّ بعثهم الله أنبياء مرسلين وغير مرسلين، فأمر هذه الأُمّة كأمر بني إسرائيل.

فأين يذهب بكم ما أنا وفلان وفلان[٧] ويحكم والله ما أدري أتجهلون أم تتجاهلون أم نسيتم أم تتناسون! انزلوا آل محمّد منكم منزلة الرأس من الجسد بل منزل العينين[٨] من الرأس، والله لترجعنّ كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف يشهد الشاهد[٩] على الناجي بالهلكة ويشهد الناجي على الكافر بالنجاة، ألا إنّي أظهرت أمري وآمنت بربّي وأسلمت بنبيّي واتّبعت مولاي ومولى كل مسلم. =

---

(١) لعلّه اكتفى ببعض الكلام ولم يذكر العلّة لبعض المصالح إن لم يكن سقط من الكلام شيء.

(٢) **الراكب الموضع**: السريع العدو.

(٣) **المصقع بالكسر**: البليغ. (م) قال في النهاية: في حديث حذيفة بن أسيد: «شرّ الناس في الفتنة الخطيب المصقع» أي البليغ الماهر في خطبته الداعي إلى الفتن الذي يحرض الناس عليها.

(٤) أي كبير القوم الذي يتبعه قوم وهو يدعوهم إلى الفتنة.

(٥) لقد سمعنا عليه بالولاء من نبيّنا ـ خ. (م).

(٦) هذه إشارة إلى قضية غدير الخمّ المنقول بطرق متكثرة عند فرق المسلمين، وفي صحاح العامّة وأصولهم جميعاً أنّ رسول الله ﷺ قام خطيباً بغدير خمّ (بين مكّة والمدينة) فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثمّ قال: أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، فإنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما. أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي. (صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٣؛ مسند أحمد ٤/ ٣٦٦).

(٧) لعله إشارة إلى أبي بكر وعمر أو المراد كلّ من لم يكن وليّ الأمر من تلقاء الله ولا منصوصاً عليه بذلك من قبل الله على لسان رسوله الكريم.

(٨) العين ـ خ ل. (م).

(٩) الكافر ـ خ. (م).

. . . .

=بأبي وأُمّي قتيل كوفان[١] يا لهف نفسي لأطفال صغار وبأبي صاحب الجفنة[٢] والخوان؛ نكّاح النساء؛ الحسن بن عليّ، ألا إنّ نبيّ الله نحله[٣] البأس والحياء، ونحل الحسين المهابة والجود، يا ويح لمن احتقره لضعفه واستضعفه لقلّته وظلم من بين ولده[٤] وكان بلادهم عامر الباقين من آل محمّد[٥].

أيّها الناس لا تكلّ أظفاركم من عدوّكم[٦] ولا تستغشّوا صديقكم فيستحوذ الشيطان عليكم، والله لتُبتلنّ ببلاء لا تغيّرونه بأيديكم إلاّ إشارة بحواجبكم، ثلثة خذوها بما فيها وارجوا رابعها وموافاها[٧].

بأبي[٨] دافع الضيم[٩] شقّاق بطون الحبالي وحمّال الصبيان على الرماح ومغلي[١٠] الرجال في القدور، أما إنّي سأُحدّثكم بالنفس الطيّبة الزّكيّة وتضريج دمه بين الركن والمقام المذبوح كذبح الكبش[١١].

يا ويح لسبايا نساء من كوفان الواردون الثويّة[١٢] المستسعدون[١٣] عشيّة وميعاد ما بينكم=

---

(١) كوفان اسم أرض وبها سمّيت الكوفة، قلت: كوفان والكوفة واحد. (معجم البلدان، مادّة كوفة) والمعنى فديتك بأبي وأمي يا قتيل كوفة.

(٢) بالفتح: القصعة الكبيرة. (م).

(٣) أي أعطى هديّة.

(٤) وقال ميراماد في التعليقة: وظلم الحسين عليه السلام واختصّ بأرفع درجات الشهادة وأعلى مقامات السعادة من بين ولده.

(٥) وقال ميرداماد في التعليقة: يعني ظلم الحسين عليه السلام من ولد النبيّ صلى الله عليه وآله وسفك دمه في سبيل الله ولكن نور الحقّ في مشكاة العترة الطاهرة باق لا يطفأ إلى يوم القيامة فكان بلادهم عامر الباقين من آل محمّد والقائم بالأمر من بعد الحسين عليه السلام.

(٦) وهو من أحسن الكنايات في التحريض على معاداة الأعداء في الدين.

(٧) وقال في التعليقة: يعني (الثلاثة) عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام والأخذ بسنن سنّتهم وسلوك في مسير سيرتهم. «وارجوا رابعها وموافاها» أراد بالرابع السجّاد؛ زين العابدين عليه السلام فإنّ الثلاثة عليهم السلام موافوه وموازوه في ملمّات المحن وصعوبات الفتن.. وإن لم يقم هو بالجهاد من بعد، لفقدان الجنود والأعوان.

(٨) يأتي. خ. (م).

(٩) المراد قائم أهل البيت عليهم السلام.

(١٠) مقلي. خ. (م).

(١١) إشارة إلى علامات الظهور وفي ذلك روايات عديدة؛ في مورد نفس الزكية والمذبوح بين الركن والمقام. (انظر: بحار الأنوار: ٥٣/٢٠٦، ٢٣٣، ٢٨٩ و٥٣/٨٢).

(١٢) قال ابن أثير في النهاية: وفي الحديث ذكر الثويّة بضمّ الثاء وفتح الواو. موضع بالكوفة.

(١٣) المستغدون. خ. (م).

سلمان من المعمرين

قيل: عاش ٢٥٠ سنة، وقيل ٣٥٠، وفي تهذيب التهذيب، عن العباس بن زيد: أهل العلم يقولون: عاش سلمان ٣٥٠ سنة، فأما ٢٥٠ فلا يشكون فيه، وكان أدرك وصي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيما قيل «اهـ».

وفي رجال بحر العلوم توفي وعمره ٣٥٠ سنة وقيل ٢٥٠.

سبب إسلامه

في الاستيعاب: ذكر سليمان القمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي أنه تداوله في الرق بضعة عشر ربا من رب إلى رب حتى أفضى إلى

=وبين ذلك فتنة شر قيّة ستسيّر موجئاً هاتفاً[1] يستغيث من قبل المغرب فلا تغيثوه لا أغاثه الله، وملحمة[2] بين الناس إلى أن يصير ما ذبح على شبيه المقتول[3] بظهر الكوفة[4] وهي كوفان يوشك أن يبنى جسرها وتبنى جنبتها حتّى يأتي زمان لا يبقى مؤمن إلاّ بها أو يحنّ[5] إليها، وفتنة مصبوبة تُطاقي[6] خطامها[7] لا ينهيها أحد، لا يبقى بيت من العرب إلاّ دخلته.

وأحدثك يا حذيفة إنّ ابنك مقتول، فإنّ[8] عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام فمن كان مؤمناً دخل في ولايته فيصبح على أمر يمسي[9] على مثله، لا يدخل فيها إلاّ مؤمن ولا يخرج منها إلاّ كافر.

---

(١) في المطبوعة ونسخة ج: فتنة شرقيّة وجاء هاتف. (م).

(٢) وقال في الصحاح: الملحمة بفتح الميم وسكون اللام على هيأت اسم المكان الوقعة العظيمة في الفتنة.

(٣) في هـ: شيبته. وفي المطبوعة: شبيه. (م).

(٤) ويدلّ على هذا المعنى روايات كثيرة. (أنظر: البحار: ٥٢/ ٢٢٠ و٢٧٣؛ ٥٣/ ٨٢).

(٥) أي يشتاق من الحنين بمعنى الشوق.

(٦) وفي بعض النسخ «نطافى» من النطف وفي البحار «تطأ» من وطأ ويؤيّد هذا، الخطبة الواردة في نهج البلاغة: «قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها» (نهج البلاغة، الصبحي صالح، خطبة ١٨٩).

(٧) الخطام مستعار من خطام البعير وغيره، لما يوضع على الأنف من الحلقة ونحوها أو على الفم من نحو اللثام والنقاب.

(٨) فأت. خ. (م).

(٩) فيفتتح على أمر يمشي. خ. (م).

النبي ﷺ ومنَّ الله عليه بالإسلام، وقد روي من وجوه أن النبي ﷺ اشتراه على العتق.

(ويسنده) أن سلمان الفارسي أتى إلى رسول الله ﷺ بصدقة فقال: هذه صدقة عليك وعلى أصحابك فقال: يا سلمان إنا أهل البيت لا تحل لنا الصدقة فرفعها ثم جاءه من الغد بمثلها فقال: هذه هدية كلوا وأكل.

وفي **شرح النهج الحديدي** ج٤ ص **٢٢٥** فأما حديث إسلام سلمان فقد ذكره كثير من المحدثين، ورووه عنه ثم أورده كما يأتي عن **أسد الغابة** مع بعض الزيادات، ونحن ننقله من أسد الغابة فإن كانت زيادة ألحقناها.

في **أسد الغابة**: كان سلمان ببلاد فارس مجوسياً سادن النار، وكان سبب إسلامه، ثم روى بأسانيده المتعددة عن ابن عباس قال: حدثني سلمان قال: كنت رجلاً من أهل فارس من أصبهان من جي ابن رجل من دهاقينها، وكان أبي دهقان أرضه وكنت أحب الخلق إليه (أو عباد الله إليه) فأجلسني في البيت كالجواري فاجتهدت في الفارسية (في المجوسية) فكنت في النار التي توقد فلا تخبو[1]، وكان أبي صاحب ضيعة وكان له بناء يعالجه في داره فقال لي يوماً: يا بني قد شغلني ما ترى، فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلني عن كل ضيعة بهمي بكل، فخرجت لذلك فمررت بكنيسة النصارى وهم يصلون فملت إليهم وأعجبني أمرهم وقلت: والله هذا خير من ديننا، فأقمت عندهم حتى غابت الشمس، لا أنا أتيت الضيعة ولا رجعت إليه، فاستبطأني وبعث رسلاً في طلبي، وقد قلت للنصارى حين أعجبني أمرهم: أين أصل هذا الدين.

قالوا: بالشام فرجعت إلى والدي فقال: يا بني قد بعثت إليك رسلاً.

فقلت: قد مررت بقوم يصلون في كنيسة فأعجبني ما رأيت من أمرهم وعلمت أن دينهم خير من ديننا.

فقال: يا بني دينك ودين آبائك خير من دينهم.

---

(١) شرح النهج فاجتهدت في المجوسية حتى صرت فطة ببيت النار وكأنه محرقة. «المؤلف».

فقلت: كلا والله فخافني وقيدني فبعثت إلى النصارى وأعلمتهم ما وافقني من أمرهم، وسألتهم إعلامي من يريد الشام ففعلوا، وألقيت الحديد من رجلي وخرجت معهم حتى أتيت الشام فسألتهم عن عالمهم فقالوا: الأسقف فأتيته فأخبرته وقلت: أكون معك أخدمك وأصلي معك.

قال: أقم فمكثت مع رجل سوء في دينه كان يأمرهم بالصدقة، فإذا أعطوه شيئاً أمسكه لنفسه حتى جمع سبع قلاب مملوءة ذهباً وورقاً فتوفي، فأخبرتهم بخبره فزبروني فدللتهم على ماله فصلبوه ولم يغيبوه ورجموه واجلسوا مكانه رجلاً فاضلاً في دينه، زهداً ورغبة في الآخرة وصلاحاً، فألقى الله حبه في قلبي حتى حضرته الوفاة فقلت: اوصني فذكر رجلاً بالموصل وكنا على أمر واحد حتى هلك، فأتيت الموصل فلقيت الرجل فأخبرته بخبري، وأن فلاناً أمرني بإتيانك.

فقال: أقم فوجدته على سبيله وأمره حتى حضرته الوفاة فقلت له: اوصني.

فقال: ما أعلم رجلاً بقي على الطريقة المستقيمة إلا رجلاً بنصيبين فلحقت بصاحب نصيبين قالوا: وتلك الصومعة التي تعبد فيها سلمان قبل الإسلام باقية إلى اليوم ثم احتضر صاحب نصيبين فقلت له: اوصني.

فقال: ما أعرف أحداً على ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم، فأتيته بعمورية فأخبرته بخبري، فأمرني بالمقام وثاب لي شيء واتخذت غنيمة وبقرات وحضرته الوفاة فقلت: إلى من توصي بي.

فقال: قد ترك الناس دينهم ولا أعلم أحداً اليوم على مثل ما كنا عليه، ولكن قد أظلك نبي يبعث بدين إبراهيم الحنيفية مهاجره بأرض بين حرتين ذات نخل وبه آيات وعلامات لا تخفى.

قلت: فما علامته.

قال: بين منكبيه خاتم النبوة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت فتخلص إليه فتوفي فمر بي ركب من العرب من كلب فقلت: أصحبكم وأعطيكم بقراتي وغنمي هذه وتحملوني إلى بلادكم، فحملوني إلى وادي القرى فلما بلغناها ظلموني فباعوني من رجل من اليهود، فكنت أعمل له في نخله وزرعه، ورأيت النخل فعلمت أنه البلد الذي وصف لي، فأقمت عند الذي اشتراني وقدم

عليه رجل من بني قريظة (وفي رواية شرح النهج قدم عليه ابن عم له) فاشتراني منه وقدم بي المدينة فعرفتها بصفتها، فأقمت معه أعمل في نخلة، وبعث الله نبيه بمكة ولا أعلم بشيء من أمره ﷺ وغفلت عن ذلك حتى قدم المدينة، فنزل في بني عمرو بن عوف فإني لفي رأس نخلة، إذ أقبل ابن عم لصاحبي فقال: أي فلان قاتل الله بني قيلة مررت بهم آنفاً وهم مجتمعون على رجل بقبا قدم عليهم من مكة، يزعم أنه نبي فوالله ما هو إلا أن سمعتها، فأخذني القر والانتقاض ورجفت بي النخلة حتى كدت أن أسقط ونزلت سريعاً فقلت: ما هذا الخبر فلكمني صاحبي لكمة.

وقال: وما أنت وذاك أقبل على شأنك، فأقبلت على عملي حتى أمسيت فجمعت شيئاً كان عندي من التمر فأتيته به وهو بقباء عند أصحابه فقلت: اجتمع عندي ما أردت أن أتصدق به، فبلغني أنك رجل صالح ومعك رجال من أصحابك غرباء ذوو حاجة فرأيتكم أحق به فوضعته بين يديه فكف يده وقال لأصحابه: كلوا فأكلوا.

فقلت: هذه واحدة ورجعت، وتحول إلى المدينة فجمعت شيئاً فأتيته به فقلت: أحببت كرامتك وإني رأيتك لا تأكل الصدقة فأهديت لك هدية، وليست بصدقة فمد يده فأكل وأكل أصحابه.

فقلت: هاتان اثنتان ورجعت فأتيته وقد تبع جنازة إلى بقيع الغرقد وحوله أصحابه، فسلمت وتحولت أنظر إلى الخاتم في ظهره فعلم ما أردت، فألقى رداءه فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت، فأجلسني بين يديه فحدثته بشأني كله كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمع أصحابه.

سبب إسلام سلمان برواية الحاكم

وروى الحاكم في المستدرك خبر سبب إسلامه بما يخالف ما مر ويناقضه، فروى بسنده عن زيد بن صوحان: أن رجلين من أهل الكوفة كانا صديقين لزيد أتياه ليكلم لهما سلمان أن يحدثهما كيف كان إسلامه، فلقوا سلمان وهو بالمدائن أميراً عليها، فوجدوه على كرسي وبين يديه خوص وهو يسفه، فسلمنا

وقعدنا فقال له زيد: يا أبا عبد الله إن هذين لي صديقان ولهما أخ، وقد أحبا أن يسمعا كيف كان بدْءُ إسلامك.

فقال: كنت يتيماً من رام هرمز[١]، وكان ابن دهقان رامهرمز يختلف إلى معلم يعلمه فلزمته لأكون في كنفه، وكان لي أخ أكبر مني، وكان مستغنياً بنفسه وكنت غلاماً قصيراً، وكان إذا قام من مجلسه تفرق من يحفظهم[٢]، فإذا تفرقوا أخرج فيضع ثوبه ثم يصعد الجبل وكان يفعل ذلك غير مرة متنكراً فقلت له: إنك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك فقال: أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء قلت: لا تخف.

قال: فإن في هذا الجبل قوماً في برطيلهم[٣] لهم عبادة، ولهم صلاح يذكرون الله تعالى ويذكرون الآخرة، ويزعموننا عبدة النيران وعبدة الأوثان وأنا على دينهم.

قلت: فاذهب بي معك إليهم.

قال: لا أقدر على ذلك حتى أستأمرهم، أخاف أن يظهر منك شيء فيعلم أبي فيقتل القوم فيكون هلاكهم على يدي.

قلت: لن يظهر مني شيء فاستأمرهم فأتاهم فقال: غلام عندي يتيم فأحب أن يأتيكم ويسمع كلامكم.

قالوا: إن كنت تثق به.

قال: أرجو أن لا يجيء منه إلا ما أحب.

قالوا: فجئ به فقال لي: قد استأذنت في أن تجيء معي، فإذا كانت الساعة التي رأيتني أخرج فيها فائتني ولا يعلم بك أحد، فإن أبي إن علم بهم قتلهم، فلما كانت الساعة التي يخرج فيها تبعته، فصعدنا الجبل فانتهينا إليهم فإذا هم في

---

(١) هذا ينافي ما مر ورواه الأكثر من أنه كان ابن دهقانها.
(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب من بحضرته.
(٣) لم أجد في القاموس ما يناسبه، ولم يحضرني غيره، وسوق الحديث يدل على أنه مكان مخصوص.

برطيلهم وهم ستة أو سبعة وكأن الروح قد خرج منهم من العبادة، يصومون النهار ويقومون الليل، ويأكلون عند السحر ما وجدوا، فقعدنا إليهم فأتى الدهقان على خبرهم[1] فتكلموا، فحمدوا الله وأثنوا عليه، وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى خلصوا إلى ذكر عيسى بن مريم عليه السلام فقالوا: بعث الله تعالى عيسى عليه السلام رسولاً وسخر له ما كان يفعل من إحياء الموتى، وخلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى فكفر به قوم وتبعه قوم، وإنما كان عبد الله ورسوله ابتلى به خلقه وقالوا: قبل ذلك يا غلام إن لك لرباً وإن لك معاداً، وإن بين يديك جنة وناراً إليهما تصيرون، وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله ما يصنعون وليسوا على دين، فلما حضرت الساعة التي ينصرف فيها الغلام انصرف وانصرفت معه ثم غدونا إليهم فقالوا: مثل ذلك وأحسن.

فقالوا لي: يا سلمان إنك غلام وإنك لا تستطيع أن تصنع كما نصنع فصل ونم وكل واشرب، فاطلع الملك[2] على صنيع ابنه فركب في الخيل حتى أتاهم في برطيلهم فقال: يا هؤلاء قد جاورتموني فأحسنت جواركم، ولم تروا مني سوءاً، فعمدتم إلى ابني فأفسدتموه عليَّ قد أجلتكم ثلاثاً، فإن قدرت عليكم[3] بعد ثلاث أحرقت عليكم برطيلكم هذا، فالحقوا ببلادكم فإني أكره أن يكون مني إليكم سوء.

قالوا: نعم ما تعمدنا مساءتك ولا أردنا إلا الخير، فكف ابنه عن إتيانهم.

فقلت له: اتقِ الله فإنك تعرف أن هذا الدين دين الله، وأن أباك ونحن على غير دين إنما هم عبدة النار لا يعبدون الله فلا تبع آخرتك بدين غيرك قال: يا سلمان هو كما تقول، وإنما أتخلف عن القوم بقيا عليهم إن تبعت القوم طلبني أبي في الجبل، وقد خرج في إتياني إياهم، وقد أعرف أن الحق في أيديهم فأتيتهم في

---

(١) الذي في الأصل على حبر. «المؤلف».

(٢) سماه هنا ملكاً وسماه فيما مر دهقاناً والدهقان في القاموس بالكسر والضم زعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم معرب «اه» وده بالكسر في الفارسية القرية والقان الرئيس.

(٣) لعل صوابه فإن رأيتكم.

اليوم الذي أرادوا أن يرتحلوا فيه فقالوا: يا سلمان قد كنا نحذر مكان ما رأيت فاتقِ الله، واعلم أن الدين ما أوصيناك بهِ، وأن هؤلاء عبدة النيران لا يعرفون الله تعالى ولا يذكرونه فلا يخدعنك أحد عن دينك.

قلت: ما أنا بمفارقكم قالوا: أنت لا تقدر أن تكون معنا نحن نصوم النهار ونقوم الليل ونأكل عند السحر ما أصبنا وأنت لا تستطيع ذلك.

فقلت: لا أفارقكم.

قالوا: أنت أعلم وقد أعلمناك حالنا فإذا أتيت (لعله أبيت) فخذ مقدار حمل يكون معك شيء تأكله فإنك لا تستطيع ما نستطيع نحن، ففعلت ولقينا أخي فعرضت عليه ثم أتيتهم يمشون وأمشي معهم، فرزق الله السلامة حتى قدمنا الموصل، فأتينا بيعة بالموصل، فلما دخلوا احتفوا بهم وقالوا: أين كنتم.

قالوا: كنا في بلاد لا يذكرون الله تعالى فيها عبدة النيران وكنا نعبد الله فطردونا.

فقالوا: ما هذا الغلام فطفقوا يثنون عليَّ.

وقالوا: صحبنا من تلك البلاد فلم نَرَ منه إلا خيراً.

قال سلمان: فوالله إنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من كهف جبل فجاء حتى سلم وجلس فحفوا به وعظموه أصحابي الذين كنت معهم وأحدقوا به(١) فقال: أين كنتم فأخبروه.

فقال: ما هذا الغلام معكم فأثنوا عليَّ خيراً وأخبروه باتباعي إياهم، ولم أَرَ مثل إعظامهم إياه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر من أرسل من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم، وذكر مولد عيسى بن مريم عليه السلام وأنه ولد من غير ذكر فبعثه الله عز وجل رسولاً، وأحيا على يديه الموتى وأنه يخلق من الطين كهيأة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأنزل عليه الإنجيل وعلمه التوراة وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، فكفر به قوم، وآمن به قوم، وذكر بعض ما لقي عيسى بن مريم

---

(١) هكذا في الأصل وكأن صوابه: وجاء جماعة من تلك الجبال فحفوا به وعظموه كما عظمه أصحابي الذين كنت معهم.

وأنه كان عبد الله أنعم الله عليه فشكر ذلك له ورضي الله عنه حتى قبضه الله عز وجل وهو يعظمهم ويقول: اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم قال: من أراد أن يأخذ من هذا شيئاً فليأخذ، فجعل الرجل يقوم فيأخذ الجرة من الماء والطعام، فقام أصحابي الذين جئت معهم فسلموا عليه وعظموه[1] وقال لهم: الزموا هذا الدين وإياكم أن تفرقوا واستوصوا بهذا خيراً.

وقال لي: يا غلام هذا دين الله الذي تسمعني أقوله وما سواه الكفر.

قلت: ما أنا بمفارقك.

قال: إنك لا تستطيع أن تكون معي إني لا أخرج من كهفي هذا إلا كل يوم أحد، ولا تقدر على الكينونة معي وأقبل على أصحابه فقالوا: يا غلام إنك لا تستطيع أن تكون معه.

قلت: ما أنا بمفارقك.

قال له أصحابه: يا فلان إن هذا غلام ويخاف عليه.

قال لي: أنت أعلم.

قلت: فإني لا أفارقك فبكى أصحابي الأولون الذين كنت معهم عند فراقهم إياي فقال: يا غلام خذ من هذا الطعام ما ترى أنه يكفيك إلى الأحد الآخر وخذ من الماء ما تكتفي به، ففعلت فما رأيته نائما ولا طاعماً راكعاً وساجداً إلى الأحد الآخر، فلما أصبحنا قال لي: خذ جرتك هذه وانطلق، فخرجت معه أتبعه حتى انتهينا إلى الصخرة وإذا هم قد خرجوا من تلك الجبال ينتظرون خروجه فقعدوا، وعاد في حديثه نحو المرة الأولى ثم ذكرني.

فقالوا له: كيف وجدت هذا الغلام فأثنى عليَّ وقال: خيراً فحمدوا الله تعالى، وإذا خبز كثير وماء كثير فأخذوا، وجعل الرجل يأخذ ما يكتفي به وفعلت فتفرقوا في تلك الجبال ورجع إلى كهفه ورجعت معه، فلبثنا ما شاء الله يخرج في كل يوم أحد ويخرجون معه ويحفون به ويوصيهم بما كان يوصيهم به، فخرج في

(١) كذا في الأصل وكان هذا تكرير فإن هذا المضمون قد تقدم. «المؤلف».

أحد فلما اجتمعوا حمد الله تعالى ووعظهم وقال: مثلما كان يقول لهم ثم قال آخر ذلك: يا هؤلاء إنه قد كبر سني ودق عظمي وقرب أجلي وإنه لا عهد لي بهذا البيت (بيت المقدس) منذ كذا وكذا ولا بد من إتيانه فاستوصوا بهذا الغلام خيراً فإني رأيته لا بأس به، فجزع القوم فما رأيت مثل جزعهم وقالوا: يا فلان أنت كبير فأنت وحدك ولا نأمن أن يصيبك شيء يساعدك[1] أحوج ما كنا إليك.

قال: لا تراجعوني لا بد من إتيانه ولكن استوصوا بهذا الغلام خيراً وافعلوا وافعلوا.

قلت: ما أنا بمفارقك.

قال: يا سلمان قد رأيت حالي وما كنت عليه وليس هذا كذلك أنا أمشي أصوم النهار وأقوم الليل ولا أستطيع أن أحمل معي زاداً ولا غيره وأنت لا تقدر على هذا قلت: ما أنا بمفارقك قال: أنت أعلم.

قالوا: يا فلان فإنا نخاف على هذا الغلام.

قال: فهو أعلم قد أعلمته الحال وقد رأى ما كان قبل هذا.

قلت: لا أفارقك، فبكوا وودعوه وقال لهم: اتقوا الله وكونوا على ما وصيتكم به، فإن أعش فعلي أرجع إليكم وإن مت فإن الله حي لا يموت، فسلم عليهم وخرج وخرجت معه وقال لي: احمل معك من هذا الخبز شيئاً تأكله وخرج وخرجت معه يمشي واتبعته يذكر الله تعالى ولا يلتفت ولا يقف على شيء حتى إذا أمسينا.

قال: يا سلمان صلِّ أنت ونمْ وكلْ واشربْ، ثم قام يصلي حتى انتهينا إلى بيت المقدس وكان لا يرفع طرفه إلى السماء حتى انتهينا إلى باب المسجد، وإذا على الباب مقعد فقال: يا عبد الله ترى حالي فتصدق عليّ بشيء فلم يلتفت إليه ودخلنا المسجد فجعل يتتبع أمكنة من المسجد فصلى فيها.

---

(١) كذا في الأصل والظاهر أنه غلط والصواب أما زيادته وأن يكون بدا له منا يدل على الهلاك. «المؤلف».

فقال: يا سلمان إني لم أنم منذ كذا وكذا فإن فعلت أن توقظني إذا بلغ الظل مكان كذا وكذا نمت فإني أحب أن أنام في هذا المسجد وإلا لم أنم فإني أفعل فنام، فقلت في نفسي هذا لم ينم منذ كذا وكذا لأدعنه ينام حتى يشتفي من النوم، فلم يمضِ إلا يسيراً حتى استيقظ فزعاً بذكر الله تعالى.

فقال لي: يا سلمان مضى الفيء من هذا المكان ولم أذكر أين ما كنت جعلت على نفسك.

قلت: أخبرتني أنك لم تنم منذ كذا وكذا فأحببت أن تشتفي من النوم فحمد الله تعالى وكان فيما يمشي يعظني ويخبرني أن لي رباً وأن بين يدي جنة وناراً وحساباً ويعلمني ويذكرني نحو ما يذكر القوم يوم الأحد حتى قال فيما يقول: يا سلمان إن الله عز وجل سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج بتهمة وكان رجلاً عجمياً لا يحسن القول (فيقول في تهامة تهمة)، علامته أنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب، أما أنا فإني شيخ كبير ولا احسبني أدركه فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه.

قلت: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه.

قال: أتركه فإن الحق فيما أمر به ورضا الرحمن فيما قال، وقام فخرج وتبعته فمر بالمقعد فقال المقعد: يا عبد الله دخلت فسألتك فلم تعطني، وخرجت فسألتك فلم تعطني فقام ينظر هل يرى أحداً فلم يره فدنا منه فقال له: ناولني يدك فناوله فقال: باسم الله، فقام كأنه نشط من عقال صحيحاً لا عيب فيه، فقال لي المقعد: إحمل عليَّ ثيابي حتى انطلق فأسير إلى أهلي، فحملت عليه، ثيابه وانطلق فخلا عني بعده فانطلق ذاهباً فكان لا يلوي على أحد ولا يقوم عليه، فانطلق لا يلوي عليَّ فخرجت في أثره أطلبه فكلما سألت عنه قالوا: أمامك حتى لقيني ركب من كلب فسألتهم، فلما سمعوا لغتي أناخ رحلي منهم لي بعيره فحملني خلفه حتى أتوا بلادهم فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار.

(**وفي تهذيب التهذيب**: ذكر العسكري اسم المرأة التي اشترته حليسة) فجعلتني في حائط لها، وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرت به، ثم ذكر خبر الصدقة والندية والخاتم ثم قال: فقلت: أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله، ثم ذكر

أنه ﷺ أمر أبا بكر فاشتراه وأعتقه، وهو ينافي ما يأتي عن الاثبات من أنه كاتب عن نفسه فإذا كان أعتقه فلا محل للمكاتبة، ثم قال: فسلمت عليه وقعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله ما تقول في دين النصارى.

قال: لا خير فيهم ولا في دينهم، فدخلني أمر عظيم، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت معه ورأيت ما رأيته، ثم رأيته أخذ بيد المقعد فأقامه الله على يديه فقال: لا خير في هؤلاء ولا في دينهم فانصرفت وفي نفسي ما شاء الله، فأنزل الله عز وجل على النبي ﷺ ذلك: ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] إلى آخر الآية.

فقال رسول الله ﷺ: عليّ بسلمان فأتيت الرسول وأنا خائف فجئت حتى قعدت بين يديه فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ إلى آخر الآية.

يا سلمان إن أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى إنما كانوا مسلمين.

فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لهو الذي أمرني باتباعك.

فقلت له: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه قال: فاتركه فإن الحق وما يجب فيما يأمرك به، قال الحاكم: هذا حديث صحيح، عال ولم يخرجاه (البخاري ومسلم).

قال المؤلف في هذا الحديث: مواقع للنظر زيادة على ما مر.

أولاً: إن ما وقع في نفس سلمان لم يبده لأحد فمن أين علم به ﷺ، وإن كان علم به فكان يجب ذكره وإلا كان الكلام ناقصاً وآية ذلك بأن منهم نازلة في غيرهم كما ستعرف.

ثانياً: جواب ما وقع في نفس سلمان ظاهر واضح لا يحتاج إلى انتظار نزول آية ذلك بأن منهم التي لا تصلح جواباً فكان، يمكن الجواب بأن الذين كان

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

معهم كانوا من النصرانية الصحيحة والذين لا خير فيهم ولا في دينهم هم الذين غيروا وبدلوا.

ثالثاً: الذين نزل فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾[1] الآية، هم: النجاشي ملك الحبشة وأصحابه، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء، والسدي والذين جاؤوا مع جعفر مسلمين.

وعن مجاهد، ففي مجمع البيان: وافى جعفر وأصحابه رسول الله في سبعين رجلاً، اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيرا الراهب، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، فأنزل الله فيهم هذه الآيات.

وقال مقاتل، والكلبي: كانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام.

وقال عطاء: كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحارث بن كعب، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية روميون من أهل الشام.

رابعاً: قوله: لم يكونوا نصارى إنما كانوا مسلمين فيه، أن الظاهر أنهم كانوا نصارى على النصرانية الحقة التي ليس فيها تغيير، ثم نسخت بالإسلام والإسلام لم يكن قد جاء بعد فكيف يقول: إنما كانوا مسلمين.

والحاصل هذا الحديث فيه أشياء كثيرة توجب الريبة في صحته.

رواية أخرى للحاكم في سبب إسلام سلمان فيها مخالفة لما مر

في المستدرك للحاكم، وقد روي إسلام سلمان، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن سلمان من وجه صحيح بغير هذه السياقة، فلم أجد من إخراجه بداً لما في الروايتين من الخلاف في المتن والزيادة والنقصان، **ثم روى بسنده عن أبي**

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

الطفيل، حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً من أهل جي وكان أهل قريتي يعبدون الخيل البلق، فكنت أعرف أنهم ليسوا على شيء، فقيل لي: إن الدين الذي تطلب إنما هو بالمغرب فخرجت حتى أتيت الموصل (وذكر نحواً مما مر) إلى أن قال: فأجرى عليَّ مثل ما كان يجري عليه وهو الخل والزيت والحبوب، فلم أزل معه حتى نزل به الموت، فجلست عند رأسه أبكيه فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أبكي أني خرجت من بلادي أطلب الخير فرزقني الله صحبتك فعلمتني وأحسنت صحبتي فنزل بك الموت فلا أدري أين أذهب.

فقال لي: أخ بالجزيرة مكان كذا وكذا وهو على الحق فأْتِه فاقرأه مني السلام، وأخبره أني أوصيت إليه وأوصيتك بصحبته، فلما أن قبض الرجل خرجت فأتيت الرجل الذي وصفه لي فضمني إليه (وذكر نحواً مما مر) فلما نزل به الموت (وذكر نحو مما تقدم) فلما قبض أتيته (وذكر نحواً مما تقدم) إلى أن قال: ولا أدري أين أتوجه.

فقال: لا دين وما بقي أحد أعله على دين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في الأرض، ولكن هذا أوان يخرج فيه نبي أو قد خرج بتهامة فإذا بلغك أنه خرج فإنه النبي الذي بشر به عيسى صلوات الله وسلامه عليهما، فكان لا يمر بي أحد إلا سألته عنه فمر بي ناس من أهل مكة فسألتهم، فقالوا: نعم ظهر فينا رجل يزعم أنه نبي.

فقلت: هل لكم أن أكون عبداً لبعضكم على أن تحملوني عقبة وتطعموني من الكسر، فإذا بلغتم إلى بلادكم فإن شاء أن يبيع باع وإن شاء أن يستعبد استعبد.

فقال رجل منهم: أنا فصرت عبداً له حتى أتى مكة فجعلني في بستان له من حبشان كانوا فيه، فسألت امرأة من أهل بلادي فإذا أهل بيته قد أسلموا، قالت لي: إن النبي ﷺ يجلس في الحجر هو وأصحابه إذا صاح عصفور بمكة حتى إذا أضاء لهم الفجر تفرقوا فانطلقت إلى البستان فكنت أختلف، فقال لي الحبشان: مالك قلت أشتكي بطني، وإنما صنعت ذلك لئلا يفقدوني إذا ذهبت إلى النبي ﷺ، ثم ذكر حديث خاتم النبوة والصدقة الهدية كما مر فأسلمت.

مكاتبته في الرق

في **أسد الغابة** بسنده، قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان عن نفسك، فلم أزل بصاحبي حتى كاتبته على أن أغرس له ثلاثمائة ودية وعلى أربعين أوقية من ذهب.

فقال النبي ﷺ للأنصار: أعينوا أخاكم بالنخل فأعانوني بالخمس والعشر حتى اجتمع لي، فقال لي: نقر لها ولا تضع منها شيئاً حتى أضعه بيدي، ففعلت فأعانني أصحابي حتى فرغت فأتيته فكنت آتية بالنخلة فيضعها ويسوي عليها تراباً فانصرف، والذي بعثه بالحق فما ماتت منها واحدة وبقي الذهب، فبينما هو قاعد إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب أصابه من بعض المعادن (المغازي) فقال: ادعُ سلمان المسكين الفارسي المكاتب، فقال: أَدِّ هذه.

فقلت: يا رسول الله وأين تقع هذه مما عليّ.

وروى أبو الطفيل، عن سلمان قال: أعانني رسول الله ﷺ ببيضة من ذهب فلو وزنت بأحد لكانت أثقل منه.

وفي الاستيعاب: اشتراه رسول الله ﷺ من اليهود بكذا وكذا درهماً، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخيل يعمل فيها سلمان حتى تدرك، فغرس رسول الله ﷺ النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة.

فقال رسول الله ﷺ من غرسها.

فقالوا: عمر فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها بيده فأطعمت من عامها.

وروى الحاكم في المستدرك ج٣ ص ٦٠٤ في حديث بسنده عن سلمان قال لي رسول الله ﷺ: اذهب فاشترِ نفسك.

فقلت لصاحبي: بعني نفسي.

قال: نعم على أن تنبت لي مائة نخلة فما غادرت منها نخلة إلا نبتت، فأخبرت رسول الله ﷺ أن النخل قد نبتت فأعطاني قطعة من ذهب فوضعتها في

كفة الميزان ووضع في الجانب الآخر نواة، فوالله ما استغلت قطعة الذهب من الأرض وجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فاعتقني.

وبسنده عن سلمان: كاتبت أهلي على أن أغرس خمسمائة فسيلة فإذا علقت فأنا حر، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: اغرس واشرط لهم فإذا أردت أن تغرس فأذنّي فجاء فجعل يغرس إلا واحدة غرستها بيدي فعلقت جميعاً إلا تلك الواحدة.

هذا حديث صحيح، من حديث عاصم بن سليمان الأحول على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى الكشي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: الميثب هو الذي كاتب عليه سلمان فأفاءه الله على رسوله فهو في صدقتها يعني صدقة فاطمة عليها السلام.

وفي القاموس في باب وثب الميثب بكسر الميم، الأرض السهلة ومال بالمدينة إحدى صدقاته ﷺ هكذا في كتب اللغة، وهو غلط صريح والصواب ميث كميل من الأرض الميثاء «اهـ».

أقوال العلماء فيه

أقوال أصحابنا:

قال الشيخ في رجاله، في أصحاب الرسول ﷺ: سلمان الفارسي.

وفي أصحاب علي عليه السلام: سلمان الفارسي مولى رسول الله ﷺ، يكنى أبا عبد الله أول الأركان الأربعة.

وفي الخلاصة: سلمان الفارسي مولى رسول الله ﷺ يكنى أبا عبد الله أول الأركان الأربعة، حاله عظيم جداً مشكور لم يغير.

وفي أصحاب الحسن[1] أبو عبد الله سلمان ابن الإسلام مولى رسول الله ﷺ.

---

(١) ذكر هذا الاسم في منهج المقال رمزاً وظننا أنه الحسن. «المؤلف».

وفي الفهرست: سلمان روى خبر الجاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرنا به ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن الحميري، عمن حدثه، عن إبراهيم بن الحكم الأسدي، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن أبي وقاص، وعن سلمان الفارسي، وعن كمال الدين، أو عن الشهيد الثاني في حاشية كمال الدين فليراجع رجال أبي علي، فإن النسخة التي نقلنا عنها منه مغلوطة: أن سلمان ما سجد قط لمطلع الشمس، وإنما كان يسجد لله عز وجل، وكانت القبلة التي أمر بالصلاة إليها شرقية، وكان أبواه يظنان أنه إنما يسجد لمطلع الشمس كهيئتهم، وكان سلمان وصي وصي عيسى في أداء ما حمل «اهـ».

وفي المستدرك للحاكم بسنده: سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله، كان ولاؤه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي رجال ابن داود: سلمان الفارسي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أصحاب الرسول وعلي عليه السلام، أبو عبد الله أول الأركان الأربعة أجل من أن يوضح حاله.

وقال الكشي في رجاله: حكي عن الفضل ابن شاذان أنه قال: ما نشأ في الإسلام رجل من كافة الناس كان أفقه من سلمان الفارسي.

وقال ابن شهرآشوب في معالم العلماء: أن سلمان أول من صنف في الإسلام بعد جمع أمير المؤمنين عليه السلام كتاب الله عز وجل.

وفي رجال بحر العلوم الطباطبائي: سلمان المحمدي ابن الإسلام، أبو عبد الله أول الأركان الأربعة، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحواريه، الذي قال فيه: «**سلمان منا أهل البيت**» أصله من أصبهان من قرية يقال لها: جي، هاجر في طلب العلم والدين وهو صبي، وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يبعث وعرفه بالصفة والنعت لما هاجر إلى المدينة وشهد معه الخندق إلى ما بعده من المشاهد شغله الرق عما قبل ذلك، ولما قبض صلى الله عليه وآله وسلم لزم أمير المؤمنين ولم يبايع حتى أكره على البيعة ووجئت عنقه، تولى حكومة المدائن في زمان عمر بأمر علي وبها توفي «اهـ».

أقوال غيرنا فيه

في الاستيعاب: سلمان الفارسي أبو عبد الله، كان خيراً فاضلاً حبراً عالماً زاهداً متقشفاً، يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ، ويعرف بسلمان الخير، كان أصله من فارس من رامهرمز من قرية يقال لها: جي، ويقال: بل أصله من أصبهان، وكان إذا قيل له ابن من أنت؟

قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بني آدم.

وروى أبو إسحق السبيعي، عن أبي قرة الكندي، عن سلمان الفارسي قال: كنت من أبناء أساورة فارس في حديث طويل ذكره، وكان سلمان يطلب دين الله تعالى ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات نالته، وذلك كله مذكور في خبر إسلامه.

وفي أسد الغابة: سلمان الفارسي أبو عبد الله، ويعرف بسلمان مولى رسول الله ﷺ، كان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم، وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام، أصله من فارس من رامهرمز، وقيل: إنه من جي وهي مدينة أصفهان.

وفي الإصابة: سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له: سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير، أصله من رام هرمز وقيل: من أصبهان، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ يبعث فخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق حتى كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق، وولي المدائن، وكان عالماً زاهداً، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به وينسج الخوص ويأكل من كسب يده «اهـ».

وفي شرح النهج الحديدي: كان سلمان من شيعة علي عليه السلام وخاصته، وتزعم الإمامية أنه أحد الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلدي سيوفهم في خبر يطول وليس هذا موضع ذكره، وأصحابنا لا يخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة وإنما يخالفونهم في أمر أزيد من ذلك.

وفي رجال الكشي، قال كعب الأحبار: سلمان حشي علماً وحكمة.

مشاهده مع رسول الله ﷺ

في الاستيعاب: أول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره، فقال أبو سفيان وأصحابه: إذ رأوه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، وقد قيل: إنه شهد بدراً واحداً إلا أنه كان عبداً يومئذٍ، والأكثر أن أول مشاهده الخندق ولم يفته بعد ذلك مشهد مع رسول الله ﷺ.

وفي أسد الغابة بسنده قال سلمان: فاتني معه بدر وأحد بالرق وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق.

أخباره وأحواله

في الاستيعاب: له أخبار حسان وفضائل جمة، ذكر معمر، عن رجل من أصحابه: دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق.

فقال: إني أحب أن آكل من عمل يدي، وذكر أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه.

وذكر هشام بن حسان، عن الحسن: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به، ويأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها.

وعن مالك: كان سلمان يعمل الخوص بيده فيعيش منه ولا يقبل من أحد شيئاً، ولم يكن له بيت وإنما كان يستظل بالجدر والشجر وأن رجلاً قال له: ألا نبني لك بيتاً فيه تسكن فقال: ما لي فيه حاجة فما زال به الرجل حتى قال له: إني أعرف البيت الذي يوافقك قال: فصفه لي.

قال: ابني لك بيتاً إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإذا أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار قال: نعم فبنى له بيتاً كذلك.

وفي أسد الغابة، قال حذيفة لسلمان: ألا نبني لك بيتاً.

قال: لم لتجعلني ملكاً وتجعل لي داراً مثل بيتك الذي بالمدائن.

قال: لا ولكن نبني لك بيتاً من قصب ونسقفه بالبردي إذا قمت كاد أن يصيب رأسك وإذا نمت كاد أن يصيب طرفيك.

قال: فكأنك كنت في نفسي وكان عطاؤه خمسة آلاف، فإذا خرج عطاؤه فرقه وأكل من كسب يده وكان يسف الخوص وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب، فلما أمر رسول الله ﷺ بحفره احتج المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا.

قال الأنصار: سلمان منا.

فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

وفي ذلك يقول أبو فراس الحمداني:

[البحر البسيط التام]

كانت مودة سلمان لهم رحما ... ولم يكن بين نوح وابنه رحمُ

ولما رأى المشركون الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها فقيل لهم: هذا من الفارسي الذي معه.

وروى الكشي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: تزوج سلمان امرأة من كندة فدخل عليها فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة فقال سلمان: إن في بيتكم هذا لمريضاً، أو قد تحولت الكعبة فيه.

فقيل: إن المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه.

قال: فما هذه الجارية.

قالوا: كان لها شيء فأرادت أن تخدم.

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أيما رجل كانت عنده جارية فلم يأتها أو لم يزوجها من يأتيها ثم فجرت كان عليه وزر مثلها، ومن أقرض قرضاً فكأنما تصدق بشطره فإن أقرضه الثانية كان رأس المال وأداء الحق إلى أن يأتيه به في بيته أو في رحله فيقول ها خذه»**.

خبره يوم السقيفة

روى الكشي، بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد الإجبار على البيعة إلى علي عليه السلام فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبي صلى الله عليه وآله هلم يدك نبايعك فوالله لنموتن قدامك.

فقال علي عليه السلام: إن كنتم صادقين فاغدوا غداً عليَّ محلقين، فحلق أمير المؤمنين عليه السلام، وحلق سلمان، وحلق مقداد، وحلق أبو ذر، ولم يحلق غيرهم، ثم انصرفوا فجاؤوا مرة أخرى بعد ذلك فقالوا له كما قالوا أولاً وحلفوا، فقال لهم كما قال أولاً فما حلق إلا هؤلاء الثلاثة.

قلت: فما كان فيهم عمار.

قال: لا.

قلت: فصار من أهل الرجوع.

فقال: إن عماراً قاتل مع علي عليه السلام بعد وكان سلمان أحد الاثني عشر الذين احتجوا على الخليفة الأول.

وقد ذكر أهل الأخبار أنه لما كان يوم السقيفة قال سلمان بالفارسية: كرديد ونكريد وندانيد چكرديد، **قال ابن أبي الحديد في شرح النهج**: ما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة كرديد ونكرديد محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئاً وما صنعتم أي استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم، إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت فلو كان الخليفة منهم كان أولى والإمامة تقول معناه أسلمتم وما أسلمتم واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطي هذا المعنى وإنما تدل على الفعل والعمل لا غير.

ويدل على صحة قول أصحابنا علم سلمان لعمر على المدائن فلو كان ما تنسبه الإمامية إليه حقاً لم يعمل «اهـ».

(أقول) كرديد معناه في الفارسية فعلتم، ونكرديد معناه وما فعلتم ولكن ما هو الذي فعلوه وما فعلوه مقتضى كون سلمان من الشيعة المخلصين، وكون هذا

الخطاب لمن يراهم أخروا علياً عن مقامه ودفعوه عن حقه أن يكون المراد أسلمتم وما أسلمتم أسلمتم بإظهار الشهادتين والعمل بما هو من شرط الإسلام.

وما أسلمتم بترك ما أمرتم به في حق علي عليه السلام يوم الغدير وغيره، وزاد ذلك وضوحاً قوله: وندانيد چكرديد أي ما علمتم ما فعلتم الذي هو ظاهر في التوبيخ لهم عرفاً على ما فعلوا كمن يفعل ما لا يستحسن فنقول له: ما علمت ماذا صنعت، وابن أبي الحديد لم ينقل هذه الجملة الأخيرة أصلاً، وما نقله عن أصحابه: من أن المراد استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم لا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه، وما هو الدال على قوله: ونعم ما فعلتم وكذلك الباقي لا دلالة للفظ عليه لا تصريحاً ولا تلويحاً، وأما ما استدل به على صحة قول أصحابه من عمل سلمان لعمر على المدائن فلا دلالة فيه بوجه فمن هو الذي يمنع من عمله له إذا قام بالعدل والحق وأي دليل يدل على ذلك صحت إمامته أم لا.

وروى الكشي بسنده فيه جهالة، عن أبي حمزة: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما مروا بأمير المؤمنين عليه السلام ضرب أبو ذر بيده على الأخرى ثم قال: ليست السيوف قد عادت بأيدينا ثانية وقال مقداد: لو شاء لدعا عليه ربه عز وجل.

وقال سلمان: مولانا أعلم بما هو فيه.

المؤاخاة بينه وبين أبي الدرداء وأخباره معه

في الاستيعاب: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد آخى بينه وبين أبي الدرداء، فكان إذا نزل الشام نزل على أبي الدرداء.

وروى أبو جحفة: أن سلمان جاء يزور أبا الدرداء[1] فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك.

قالت: إن أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا، فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب له طعاماً فقال: يا سلمان أطعم.

قال: إني صائم.

---

(١) آخر الرواية يدل على أن هذه الزيارة كانت بالمدينة لا بالشام لدلالته على أنهما صليا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. «المؤلف».

قال: أقسمت عليك إلا ما طعمت إني لست بآكل حتى تطعم، وبات سلمان عند أبي الدرداء، فلما كان الليل قام أبو الدرداء، فحبسه سلمان وقال: إن لربك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، فأعط لكل ذي حق حقه، فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن فقاما فَصَلَّيَا (أي النافلة) ثم خرجا إلى الصلاة، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام إليه أبو الدرداء وأخبره بما قال سلمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مثل ما قال سلمان «اهـ».

وفي أسد الغابة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وسكن أبو الدرداء الشام وسكن سلمان العراق.

فكتب إليه أبو الدرداء: إلى سلمان سلام عليك أما بعد: فإن الله رزقني بعدك مالاً وولداً ونزلت الأرض المقدسة.

فكتب إليه سلمان: سلام عليك أما بعد: فإنك كتبت إلي أن الله رزقك مالاً وولداً، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يكثر حلمك، وأن ينفعك علمك، وكتبت إلي أنك نزلت الأرض المقدسة وإن الأرض لا تعمل لأحد اعمل كأنك ترى واعدد نفسك من الموتى.

وروى الكشي، بسنده عن خزيمة بن ربيعة يرفعه، خطب سلمان إلى عمر فرده، ثم ندم فعاد إليه فقال: إنما أردت أن أعلم ذهبت حمية الجاهلية عن قلبك أم هي كما هي.

وبسنده عن أبي عبد الله عليه السلام. مر سلمان على الحدادين بالكوفة، وإذا شاب قد صرع والناس قد اجتمعوا حوله فقالوا: يا أبا عبد الله هذا الشاب قد صرع فلو جئت فقرأت في اذنه، فجاء سلمان فلما دنا منه رفع الشاب رأسه فنظر إليه فقال: يا أبا عبد الله ليس في شيء مما يقول هؤلاء، لكني مررت بهؤلاء الحدادين وهم يضربون بالمرازب فذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾[1] فدخلت من الشاب في سلمان محبة فاتخذه أخاً فلم يزل معه حتى

(١) سورة الحج، الآية: ٢١.

مرض الشاب، فجاء سلمان فجلس عند رأسه وهو في الموت فقال: يا ملك الموت ارفق بأخي فقال: يا أبا عبد الله إني بكل مؤمن رفيق.

وبسنده، دخل سلمان على رجل من إخوانه فوجده في السياق فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبنا.

فقال الآخر: يا أبا عبد الله يقول: لا وعزة هذا البناء ليس لنا شيء.

وقال الكشي: أبو عبد الله جعفر بن محمد شيخ من جرجان عامي، حدثنا محمد بن حميد الرازي، حدثنا علي بن مجاهد، عن عمرو بن أبي قيس، عن عبد الأعلى، عن أبيه، عن المسيب بن نجبة الفزاري قال: لما أتانا سلمان الفارسي قادماً تلقيناه فيمن تلقاه فسار حتى انتهى إلى كربلا فقال: ما تسمون هذه.

قالوا: كربلا.

فقال: هذه مصارع إخواني، هذا موضع رحالهم، وهذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم، يقتل بها ابن خير الأولين، ويقتل بها خير الآخرين، ثم سار حتى انتهى إلى حروراء فقال: ما تسمون هذه الأرض.

قالوا: حروراء.

فقال: حروراء خرج بها شر الأولين ويخرج بها شر الآخرين، ثم سار حتى انتهى إلى بانقيا وبها جسر الكوفة الأول.

فقال: ما تسمون هذه.

قالوا: بانقيا ثم سار حتى انتهى إلى الكوفة.

قال: هذه الكوفة.

قالوا: نعم.

قال: قبة الإسلام.

واعلم أنه قد ورد في بعض الأحاديث التي رواها الكشي، بأسانيده عن جعفر، عن أبيه عليه السلام ذكرت التقية يوماً عند علي عليه السلام فقال: لو علم أبو ذر ما

في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله فقال: لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنك بسائر الخلق.

عن جابر، عن أبي جعفر: دخل أبو ذر على سلمان وهو يطبخ قدراً له، فانكبت القدر على وجهها على الأرض مرتين فلم يسقط من مرقها ولا من ودكها شيء، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً، وخرج وهو مذعور، فبينما هو متنكر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب فسأله ما الذي أخرجك وما الذي أذعرك فأخبره.

فقال: يا أبا ذر إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان.

يا أبا ذر إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، وإن سلمان منا أهل البيت.

عن أبي بصير، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا سلمان لو عرض علمك على مقداد لكفر، يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر»**، وهذه الأخبار محمولة على تفاوت العلم والمعرفة ودرجات الإيمان، بحيث لو اطلع أحدهما على معتقد الآخر لعده تقصيراً وتفريطاً موجباً للكفر والقتل والترحم على القاتل، أو لعده غلواً وإفراطاً موجباً لذلك أو لكفر، لأنه يرى من فوقه في المرتبة يعتقد ذلك أو يرى من هو من أهل الصلاح يعتقده، وكل ذلك من باب المبالغة لا الحقيقة.

وفي المنهج والمحكي عن الفوائد النجفية إلى هذا أشار زين العابدين عليه السلام بقوله:

[البحر البسيط التام]

إني لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يراه أخو جهل فيفتتنا

وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ويحكى عن الشريف المرتضى في الغرر والدرر، أنه أجاب عن الحديث المتضمن لأن أبا ذر لو اطلع على قلب سلمان لقتله بأن هذا الخبر إذا كان من

أخبار الآحاد التي لا توجب علماً ولا تثلج صدراً، وكان له ظاهر ينافي المعلوم المقطوع به أو لنا ظاهره على ما يطابق الحق ويوافقه إن كان ذلك مستسهلاً وإلا فالواجب اطراحه وإبطاله، وإذا كان من المعلوم الذي لا يختل سلامة سريرة كل واحد من سلمان وأبي ذر ونقاء صدر كل واحد منهما لصاحبه، وأنهما ما كانا من المدغلين في الدين ولا المنافقين، فلا يجوز مع هذا المعلوم أن يعتقد أن الرسول ﷺ يشهد بأن كل واحد منهما لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدمه، ومن الأجود ما قيل في تأويله: أن الهاء في قوله «لقتله» راجع إلى المطلع لا إلى المطلع عليه، كأنه أراد أنه إذا اطلع على ما في قلبه وعلم موافقة باطنه لظاهره وشدة إخلاصه له اشتد ظنه به ومحبته له وتمسكه بمودته ونصرته، فقتله ذاك الظن، والود بمعنى أنه كاد يقتله كما يقولون: فلان يهوى غيره وتشتد محبته له، حتى أنه قد قتله حبه أو أتلف نفسه أو ما جرى مجرى هذه من الألفاظ، ويكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء على الرجلين، وأن باطنهما كظاهرهما في النقاء والصفاء كعلانيتهما «اهـ».

ولا يخفى ما في هذا الذي وصف بأنه أجود من التكلف والتعسف، وأن الأولى حمل هذه الأحاديث على ما ذكرناه.

وفي منهج المقال، ما ذكره من التأويل يأباه قول علي عليه السلام لأبي ذر: لو حدثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان، وكذا قول النبي ﷺ لسلمان: لو عرض علمك على مقداد لكفر، ولمقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر، وكذا استشهاد علي بمؤاخاة النبي بينهما وقوله: فما ظنك بسائر الخلق.

كتاب علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان قبل خلافته

في نهج البلاغة، ومن كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته: أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما يقنت به من فراقها وتصرف حالاتها، وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما

اطمأن فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور أو إلى إيناس، أزالته عنه إلى إيحاش والسلام.

الروايات الواردة فيه

في الاستيعاب، روي عن النبي صلى الله عليه وآله من وجوه أنه قال: لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان.

وفي رواية أخرى: لناله رجال من فارس.

وروينا عن عائشة قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وآله ينفرد به الليل، حتى كاد يغلبنا على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروي من حديث ابن بريد، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه سبحانه يحبهم: علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان.

وفي أسد الغابة، بأسانيده إلى أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان**».

ورواه الحاكم في المستدرك، بسنده مثله، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي الاستيعاب بسنده مرفوعاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله يحب من أصحابي أربعة**» فذكره فيهم.

وفي الإصابة، بسنده عن بريدة، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إن الله يحب من أصحابي أربعة**» فذكره فيهم، ومر في **رواية الكشي** ما يدل عليه، روى قتادة عن خيثمة، عن أبي هريرة: كان سلمان صاحب الكتابين.

قال قتادة: يعني الإنجيل والفرقان.

وبسنده **عن صاحب الكتابين قال قتادة**: يعني الإنجيل، والفرقان.

وبسنده **عن أبي البختري**، عن علي، وفي رواية: زاذان أبي عمرو، عن علي: سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم، ثم ذكر مثل خبر أبي البختري.

وروى مسلم بسنده: أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله (يعنون أبا سفيان) مأخذها.

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم وأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: لعلك أغضبتهم إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك جل وعلا فأتاهم فقال: أغضبتكم قالوا: لا يغفر الله لك.

دل على رضا النبي ﷺ بما قالوه لأبي سفيان، وعلى خطأ من اعترض عليهم في ذلك، وأنه فعل ما يوجب طلب المغفرة له.

وفي البخاري، قال النبي ﷺ لأبي الدرداء: سلمان أفقه منك.

وفي المستدرك للحاكم، قال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**».

وبسنده أن رسول الله ﷺ خط الخندق عام حرب الأحزاب حتى بلغ المذاحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فاحتج المهاجرون: سلمان منا وقالت الأنصار: سلمان منا.

فقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**».

(المذاحج): جمع مذحج كمجلس، وكأن المراد بها الآكام.

وروى الكشي، بسنده عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام: كان الناس أهل رجوع بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾(١) الآية.

وبسنده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام: ضاقت الأرض بسبعة بهم يرزقون، وبهم ينصرون، وبهم يمطرون، منهم: سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة رحمة الله عليهم، وكان علي عليه السلام يقول: وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

وبسنده عن الحارث بن المغيرة النصري: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال له: فهلك الناس إذاً؟

فقال: إي والله يا بن أعين هلك الناس أجمعون.

قلت: من في المشرق ومن في المغرب.

فقال: إنها فتحت على الضلال[1] إي والله هلكوا إلا ثلاثة، ثم لحق أبو سلمان وعمار وشتيرة وأبو عمرة فصاروا سبعة.

وبسنده عن أبي بصير، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجع الناس إلا، وبسنده عن حمران، قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها فقال: ألا أخبرك بأعجب من ذلك المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا، وأشار بيده ثلاثة.

وبسنده عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه، فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر (الحديث).

وبسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله أمرني بحب أربعة: علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي**» ويأتي في روايات غيرنا ما يدل عليه.

وبسنده عن أبي بكر الحضرمي، قال أبو جعفر عليه السلام: رجع الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد.

قلت: فعمار.

قال: كان جاض جيضة ثم رجع ثم قال: إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض، وهو هكذا فلبب ووجئت عنقه حتى تركت كالسلعة، فمر به أميرالمؤمنين عليه السلام بالسكون ولم تكن

(١) هكذا في منهج المقال عن الكشي، وفي نسخة الكشي المطبوعة إنها إن بقوا فتحت على الضلال، وكأن في العبارة نقصاً وصوابها إنها فتحت على الضلال وستنفتح على الضلال. وعبارة إن بقوا لا يظهر لها معنى فإنها محرفة. «المؤلف».

تأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلا أن يتكلم، فمر به رجل فأمر به ثم أناب الناس بعد، فكان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري، وأبو عمرة، وشتيرة، وكانوا سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة.

وبسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزح، وهو من أهل البيت، بلغ من علمه أنه مر برجل في رهطه فقال له: يا عبد الله تب إلى الله عز وجل من الذي عملت به في بطن بيتك البارحة، ثم مضى.

فقال له القوم: لقد رماك سلمان بأمر ما أطلع عليه إلا الله وأنا.

وبسنده عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال لي: تروي ما تروي الناس أن علياً عليه السلام قال في سلمان: أدرك علم الأول وعلم الآخر.

قلت: نعم.

قال: فهل تدري ما عنى؟

قلت: يعني علم بني إسرائيل، وعلم النبي صلى الله عليه وآله.

قال: ليس هكذا يعني، ولكن علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلم علي عليه السلام، وأمر النبي صلى الله عليه وآله، وأمر علي عليه السلام.

وبسنده عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام: جلس عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينتسبون وفيهم سلمان الفارسي، وأن عمر سأله عن نسبه وأصله فقال: أنا سلمان بن عبد الله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد، فهذا حسبي ونسبي، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فحدثه سلمان وشكا إليه ما لقي من القوم وما قال لهم فقال النبي صلى الله عليه وآله: **يا معشر قريش إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى**: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] يا سلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل منهم.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وبسنده **عن سلمان**، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: **إذا حضرتك أو أخذك الموت حضر أقوام يجدون الريح ولا يأكلون الطعام»** ثم أخرج صرة من مسك فقال: هبة أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم بلها ونضحها حوله قال لامرأته: قومي أجيفي الباب، فقامت فأجافت الباب فرجعت وقد قبض رضي الله عنه.

ما رواه من الحديث

في المستدرك للحاكم بسنده، دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو متكىء على وسادة، فألقاها إليَّ ثم قال لي: يا سلمان ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقي له وسادة إكراماً له إلا غفر الله له.

وروى **الحاكم** بسنده، عن سلمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أطول الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة**».

وبسنده: **عن سلمان** قلت: يا رسول الله قرأت في التوراة بركة الطعام الوضوء قبله وبعده.

وفي مناقب ابن شهرآشوب، روي عن سلمان أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير هذه الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام**».

وعلم الاسم الأعظم

روى الكشي، بسنده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: كان علي عليه السلام محدثاً، وكان سلمان محدثاً.

وبسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: كان والله علي محدثاً، وكان سلمان محدثاً.

قلت: اشرح لي.

قال: يبعث الله إليه ملكاً ينقر في أذنه يقول: كيت وكيت.

وبسنده، **عن الحسن بن منصور**، قلت للصادق عليه السلام: أكان سلمان محدثاً؟

قال: نعم.

قلت: من يحدثه؟

قال: ملك كريم.

قلت: فإذا كان سلمان كذا فصاحبه أي شيء هو؟.

قال: أقبل على شأنك ثلاثة: أبو ذر، وسلمان، والمقداد.

فقال: فأين أبو ساسان وأبو عمرة الأنصاري؟

وبسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال في الحديث الذي روي فيه: أن سلمان كان محدثاً.

قال: إنه كان محدثاً عن إمامه لا عن ربه، لأنه لا يحدث عن الله عز وجل إلا الحجة.

ظاهر الأحاديث السابقة خلافه، فإن صح الحديثان فلا بد من الحمل على بعض المحامل.

وبسنده عن عبد الرحمن بن أعين، سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان سلمان من المتوسمين.

وبسنده عن أبي بصير، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سلمان علم الاسم الأعظم.

لا تقولوا الفارسي ولكن المحمدي

روى الكشي، بسنده عن الحسن بن صهيب، عن أبي جعفر عليه السلام ذكر عنده سلمان الفارسي، فقال أبو جعفر عليه السلام: صه لا تقولوا سلمان الفارسي، ولكن قولوا سلمان المحمدي ذلك منا أهل البيت.

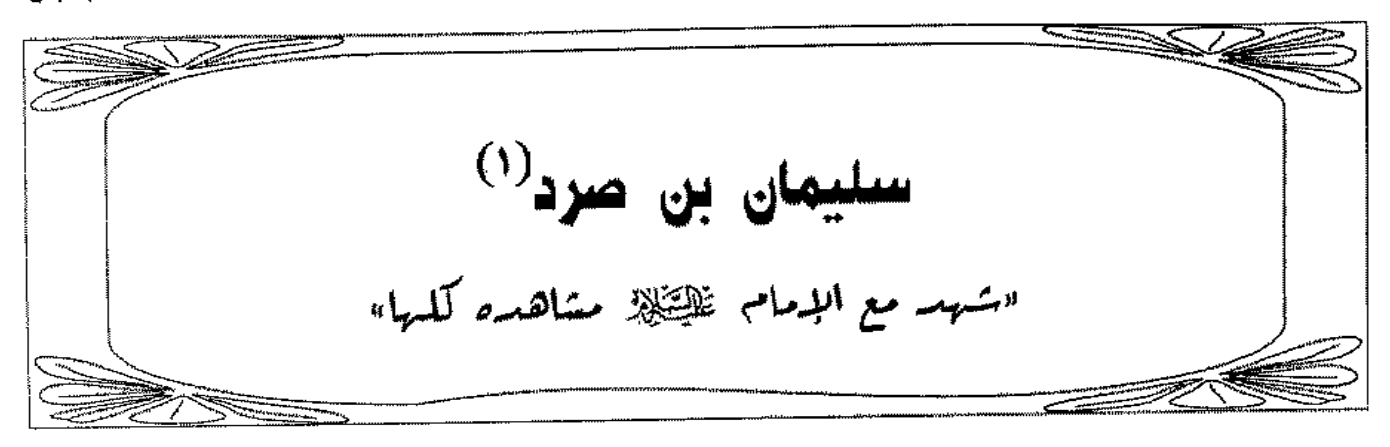
وقال الكشي نصر بن الصباح وهو غالٍ: حدثني إسحاق بن محمد البصري وهو منهم حدثنا أحمد بن هلال بن علي بن أسباط، عن العلاء، عن محمد بن حكيم، ذكر عند أبي جعفر عليه السلام سلمان فقال: ذلك سلمان

المحمدي، إن سلمان منا أهل البيت إنه كان يقول للناس: هربتم من القرآن إلى الأحاديث وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقطمير والفتيل وحبة خردل فضاق عليكم ذلك، وهربتم إلى الأحاديث التي اتسعت عليكم.

مصادره:

إتقان المقال/ ٦٨. الأخبار الطوال/ ١٢٦. الاستيعاب ٢/ ٥٦. أسد الغابة ٢/ ٣٢٨، الإصابة ٢/ ٦٢. أعلام نهج البلاغة/ ٢٦. الأعلام ٣/ ١٦٩. أخبار أصفهان ١/ ٥٢. بهجة الآمال ٤/ ٤٠٥. تأسيس الشيعة/ ٢٨٠. تاريخ الطبري ١٣/ ٢٦. تاريخ بغداد ١/ ١٦٣. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تحفة الأحباب/ ١٢٨. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦. تقريب التهذيب ١/ ٣١٥. تنقيح المقال ٢/ ٤٥. تهذيب التهذيب ٤/ ١٣٧. تاريخ جرجان/ ٢٩، ١٢١، ١٥١، ٢٠٨، ٢٥٢. جامع الرواة ١/ ٣٧١. الجرح والتعديل ٤/ ٢٩٨. حلية الأولياء ١/ ١٨٥. خلاصة الأقوال/ ٨٤. الدرجات الرفيعة/ ١٩٨. رجال ابن داود/ ١٠٥. رجال الشيخ الطوسي/ ٤٣. رجال الكشي/ ٦. رجال البرقي/ ٣. سفينة البحار ١/ ٤٤٦. شذرات الذهب ١/ ٤٤. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٢٠ و٢/ ٤٩ و٣/ ١٥٥ و٤/ ١١٦ و٦/ ٤٣ و٧/ ٧٣ و٩/ ٦٠ و١٠/ ١٠٤. الطبقات الكبرى ٤/ ٧٥. العقد الفريد ٢/ ١٨٦ و٣/ ٨٦ و٤/ ٢٥٦ و٧/ ٨٤. الغدير ١/ ٣٣، ١٥١، ١٦٥، ١٩٦. الفهارس/ ١٦٢. الغارات ١/ ٢١، ٢٨، ٥٥، ٧٨، ١٧٧ و٢/ ٤٨٧، ٧٣٦، ٨٢٣، ٨٢٤. الفوائد الرجالية ١/ ٢٥٩ و٢/ ١٦٨، ٣٣٢، ٣٣٩. فهرست الشيخ/ ١٥٨، ٢٢٣، ٣٦٧. قاموس الرجال ٤/ ٤١٤. الكامل في التاريخ ١/ ٦٨٦ و٢/ ١٧٨، ٢٦٦ و٣/ ٥٩، ١٣٢، ٢٨٧ و٤/ ٤٢. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٣. مجمع الرجال ٣/ ١٤١. مرآة الجنان ١/ ١٠٠. مروج الذهب ٢/ ٣١٤. المشتبه ٢/ ٤٦٩. المعارف/ ١٧٧. معجم رجال الحديث ٨/ ١٨٦. المناقب ٣/ ٣٠٦. منتهى المقال/ ١٥٢. مجالس المؤمنين ١/ ٢٠٥. النجوم الزاهرة ١/ ٨٩. نقد الرجال/ ١٥٧. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٩٤. وقعة صفّين/ ٣٢٣.





سليمان بن صرد بن الجون، ابن أبي الجون، ابن منقذ، ابن ربيعة بن أصرم الخزاعي، من ولد كعب، ابن عمرو بن ربيعة، وهو لحي بن حارثة بن عمرو، ابن عامر، وهو ماء السماء عامر بن الغطريق والغطريق هو حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة، ابن مازن يكنى أبا المطرف.

استشهد يوم عين الوردة من أرض الجزيرة، طالباً بثأر الحسين عليه السلام في ربيع الآخر سنة ٦٥ من الهجرة وكان عمره يوم قتل **٩٣** سنة.

هكذا ساق نسبه صاحب الاستيعاب وقال: وقد ثبت نسبه في خزاعة، لا يختلفون فيه كان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان.

وفي أسد الغابة: سليمان بن صرد بن الجون، ابن أبي الجون ابن منقذ بن ربيعة، ابن أصرم، ابن ضبيس بن حرام بن حبشة بن سلول بن كعب بن عمرو، ابن ربيعة، وهو لحي الخزاعي وولد عمرو هم خزاعة.

(صرد) بفتح الصاد وسكون الراء.

✍ أقول العلماء فيه

في الاستيعاب كان رضي الله عنه، خيراً فاضلاً، له دين وعبادة، وكان له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه.

وفي أسد الغابة: كان خيراً فاضلاً، له دين وعبادة.

وفي الاصابة: كان خيراً فاضلاً.

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٢٩٤، ح ٧٤٨٤.

وقال ابن سعد: هو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان له سن عالية وشرف في قومه.

وفي تاريخ بغداد، بسنده عن محمد بن جرير، عن رجاله قال: سليمان بن صرد بن الجون، ابن أبي الجون، وهو عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، ابن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت له سن عالية وشرف في قومه، نزل الكوفة وورد المدائن وبغداد.

وقال الطبري في ذيل المذيل: وكانت له سن عالية وشرف في قومه.

وقال الحاكم في المستدرك: وكانت له سن عالية وشرف في قومه.

أخباره

كان مع علي عليه السلام بصفين وجعله على رجالة الميمنة.

وفي أسد الغابة: شهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها.

قال نصر: خرج حوشب ذو ظليم يوم صفين وهو يومئذٍ سيد أهل اليمن فأقبل في جمعه وصاحب لوائه يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

نحن اليمانيون منا حوشبُ ... أي ذو ظليم أين منا المهربُ
فينا الصفيح والقنا المغلبُ ... والخيل أمثال الوشيج شزبُ
إن العراق حبلها مذبذبُ ... إن علياً فيكم محببُ
في قتل عثمان وكل مذنب

فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

يا لك يوماً كاشفاً عصبصبا ... يا لك يوماً لا يواري كوكبا
يا أيها الحي الذي تذبذبا ... لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا
لأن فينا بطلاً مجربا ... ابن بديل كالهزبر مغضبا

أمسى علي عندنا محببا نفديه بالام ولا نبقي أبا

فطعن سليمان حوشباً فقتله، وأتى سليمان بن صرد علياً أمير المؤمنين عليه السلام بعد كتابة الصحيفة بصفين ووجهه مضروب بالسيف فلما نظر إليه علي عليه السلام قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] فأنت ممن ينتظر ومن لم يبدل.

فقال: يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبدا.

وقال نصر في كتاب صفين أيضاً: إن عقبة ابن مسعود عامل علي على الكوفة كتب إلى سليمان ابن صرد يوم صفين يوصيه بالصبر ويقول: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾[2] الآية.

وقال ابن سعد: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله تحول فنزل الكوفة وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، وكان من الذين كتبوا إلى الحسين أن يقدم الكوفة غير أنه لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد، ثم قدم بعد قتل الحسين فجمع الناس فالتقوا بعين وردة وهي من أعمال قرقيسيا وعل أهل الشام الحصين ابن نمير، فاقتتلوا فترجل سليمان فرماه الحصين بن نمير بسهم فقتله فوقع، وقال: فزت ورب الكعبة وقتل معه المسيب ابن نجبة فقطع رأسيهما، وبعث بهما إلى مروان بن الحكم.

وفي الاستيعاب: سكن الكوفة وابتنى بها داراً في خزاعة وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون شهد مع علي صفين وهو الذي قتل حوشبا ذا ظلم الالهاني بصفين مبارزة.

✍ خبر مقتله وأمر التوابين

في الاستيعاب: كان فيمن كتب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يسأله القدوم إلى الكوفة فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجبة الفزاري، وجميع من خذله ثم قالوا: ما لنا مما فعلنا إلا أن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٠.

نقتل أنفسنا فالطلب بدمه فخرجوا فعسكروا بالنخيلة، وذلك مستهل ربيع الآخر سنة ٦٥ وولوا أمرهم سليمان بن صرد وسموه أمير التوابين، ثم ساروا إلى عبيد الله بن زياد فلقوا مقدمته في أربعة آلاف عليها شرحبيل بن ذي الكلاع فاقتتلوا، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بموضع يقال له: عين الورد (وهو رأس عين).

وقيل: إنهم خرجوا إلى الشام في الطلب بدم الحسين فسموا التوابين، وكانوا أربعة آلاف فقتل سليمان بن صرد رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله، وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم.

وفي الشذرات: يسمى جيشهم جيش التوابين، وجيش السراة.

وقال ابن الأثير: لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة إلى الكوفة تلاقت الشيعة بالكوفة بالندامة والتلاوم ورأت أن قد أخطأت خطأً كبيراً وأنه لا يغسل عارهم والاثم عليهم إلا قتل من قتله، فاجتمعوا بالكوفة في منزل سليمان بن صرد إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التيمي، تيم بكر بن وائل، ورفاعة بن شداد البجلي، وكانوا من خيار أصحاب علي فخطبهم المسيب وقال في آخر كلامه: إن رأيتم ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد الخزاعي المحمود في بأسه ودينه، الموثوق بحزمه، وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك، فخطبهم سليمان وقال في آخر خطبته:

ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى، ألا لا تهابوا الموت فما هابه أحد قط إلا ذل وكونوا كبني إسرائيل إذ قال لهم ربهم: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ إلى قوله: ﴿فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، أحدوا السيوف وركبوا الأسنة، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

وقال خالد بن سعد بن نفيل: أنا أشهد كل من حضر أن كل ما أملكه سوى سلاحي صدقة أقوي به المسلمين على قتال الفاسقين.

وقال غيره: مثل ذلك.

فقال سليمان: حسبكم من أراد من هذا شيئاً فليأتِ به عبد الله بن وال، فإذا اجتمع عنده جهزنا به ذوي الحاجة.

وكتب سليمان إلى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ عليهم سعد الكتاب فأجابوا إلى ذلك، وكتبوا إلى سليمان أنهم على الحركة إليه والمساعدة له، وكتب سليمان إلى المثنى بن مخرمة (مخربة) العبدي بالبصرة بمثل ذلك فأجابه المثنى إنا موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت، فكان أول ما ابتدأوا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة ٦١ فما زالوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس في السر إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة ٦٤ فجاء إلى سليمان أصحابه وطلبوا الوثوب على عمرو بن حريث خليفة ابن زياد على الكوفة والطلب بثأر الحسين.

فقال سليمان: لا تعجلوا إني رأيت قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم، ونظرت فيما تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم وكانوا جزراً لعدوهم بثوا دعاتكم ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد، فلما مضت ستة أشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار الكوفة، وقد كان عبد الله بن يزيد الأنصاري أميراً على الكوفة من قبل ابن الزبير، وكانوا قد بايعوا له فأخذ المختار يدعو إلى الطلب بثأر الحسين، وكان يقول يريد سليمان أن يخرج فيقتل نفسه ومن معه.

بين المختار وسليمان

قال عبد الله بن يزيد: إن المختار وأصحابه يطلبون بدم الحسين فليخرجوا ظاهرين، ثم إن أصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح ظاهرين، ويتجهزون ثم إن المختار خرج إلى ابن الزبير فلما رأى أنه لا يواليه عاد إلى الكوفة واختلفت إليه الشيعة وسأل عن سليمان بن صرد فأخبر خبره وأنه على المسير، وبعث إلى الشيعة وهم عند سليمان وقال لهم: إن سليمان له بصر بالحرب ولا تجربة

بالأمور، وإنما يريد أن يخرج بكم فيقتلكم ويقتل نفسه فاستمال بذلك طائفة من الشيعة وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحداً، وهو أثقل خلق الله على المختار، ولما أراد سليمان الشخوص سنة ٦٥ بعث إلى رؤوس أصحابه فأتوه فلما أهل ربيع الآخر خرج، فلما أتى النخيلة دار في الناس فلم يعجبه عددهم، فأرسل حكيم بن منقد الكندي والوليد بن عصير الكناني فناديا في الكوفة: يا لثارات الحسين، فكانا أول خلق الله دعيا بذلك، فأتاه نحو مما في عسكره ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه.

فقال: سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف.

فقيل له: إن المختار يثبط الناس عنك وقد تبعه ألفان.

فقال: وقد بقي عشرة آلاف وأقام بالنخيلة يبعث إلى من تخلف عنه، فأتاه نحو من ألف، فقام إليه المسيب بن نجبة فقال: إنه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك إلا من أخرجته المحبة، فلا تنظر أحداً وجد في أمرك.

قال: نعم ما رأيت، ثم قام سليمان في أصحابه فقال: أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه، ومن كان إنما يريد الدنيا فوالله ما يأتي فيء نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله ما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ما هو إلا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة.

فنادى أصحابه من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا، ثم قال عبد الله بن سعد بن نفيل لسليمان: إنا خرجنا نطلب بثأر الحسين وقتلته كلهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد، ورؤوس الأرباع والقبائل، فأين نذهب من هنا وندع الأوتار.

وقال أصحابه كلهم: هذا هو الرأي.

فقال سليمان: إن الذي قتله وعبى الجنود إليه هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد فسيروا إليه على بركة الله، فإن يظفركم الله رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم في عافية فينظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فيقتلونه، وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للأبرار، ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قتل أخاه وأباه

وحميمه، فاستخيروا الله وسيروا، فجاءهم والي الكوفة وأمير خراجها وقالوا: أقيموا معنا حتى نتهيأ، فإذا سار عدونا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا وجعلا لسليمان وأصحابه خراج جوخى أن أقاموا.

فقال: لهما سليمان: قد محضتما النصيحة ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا ترانا إلا سائرين.

فقال الوالي: أقيموا حتى نعبي معكم جيشاً كثيفاً، وكان بلغهم أن عبيد الله بن زياد أقبل من الشام في جنود كثيرة فلم يقم سليمان وسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ٦٥ فوصل دار الأهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال: ما أحب أن لا يتخلفوا ولوخرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا، إن الله كره انبعاثهم فثبطهم وخصكم بفضل ذلك، ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فصاحوا صيحة واحدة فما رئي أكثر باكيا من ذلك اليوم وتابوا وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون وزادهم النظر إليه حنقاً، ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود، ثم ساروا على الأنبار وكتب إليهم والي الكوفة: ينهاهم عن المسير نصيحة ويطلب منهم الرجوع إلى الكوفة.

فكتب إليه سليمان: يشكره ويثني عليه ويقول: إن القوم استبشروا ببيعهم من ربهم وتابوا.

فقال الوالي: استمات القوم والله ليموتن كراماً مسلمين ثم ساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها خوفاً منهم، لأنه لم يعرفهم فلما عرفهم رحب بهم فطلبوا إليه أن يخرج لهم سوقاً فأخرجه، وبعث إليهم بخبز كثير وعلق ودقيق فاستغنوا عن السوق إلا قليلا، وخرج إليهم زفر بشيعهم، وقال لسليمان: قد سار خمسة أمراء من الرقة، أحدهم: عبيد الله ابن زياد في عدد كثير مثل الشوك والشجر، فإن شئتم دخلتم قريتنا، وكانت أيدينا واحدة.

فقال سليمان: قد طلب أهل مصرنا ذلك منا، فأبينا.

قال زفر: فبادروهم إلى عين الوردة فاجعلوا المدينة في ظهوركم، ويكون

الرستاق والماء والمادة في أيديكم، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه، واطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط أكرم منكم، ولا تقاتلوهم في فضاء فإنهم أكثر منكم، وأوصاهم بوصايا كثيرة حربية مما دل على معرفته الكاملة بالحرب، ثم ساروا مجدين، فانتهوا إلى عين الوردة وأقاموا على مسيرة يوم وليلة، فخطب سليمان أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال: إذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا إن الله مع الصابرين، ولا يولهم امرؤ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، فإن هذه كانت سيرة علي عليه السلام في أهل هذه الدعوة، فإن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة، فإن قتل فعبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قتل فعبد الله بن وال، فإن قتل فرفاعة بن شداد، رحم الله امرءاً صدق ما عاهد الله عليه.

ثم بعث المسيب في أربعمائة فارس وقال له: شن عليهم فإن رأيت ما تحب وإلا رجعت فسار يومه وليلته، ثم بث أصحابه في الجهات فجاؤوه بأعرابي فسأله فقال: أدنى عساكرهم منك على رأس ميل فساروا مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارون، فحملوا في جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا، فغنم منه أصحاب المسيب ما أرادوا، ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين، وبلغ الخبر ابن زياد فأرسل الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً، فخرج إليه سليمان بأصحابه لأربع بقين من جمادى الأولى فدعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان.

قال ابن الأثير: في هذا نظر فإن مروان كان حياً ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم، وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الأمر إلى أهل البيت فأبى كل منهم فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة على الميمنة وحمل سليمان في القلب فانهزم أهل الشام إلى معسكرهم وما زال الظفر لأصحاب سليمان، إلى أن حجر بينهم الليل فلما أصبحوا أمد ابن زياد الحصين بثمانية آلاف وخرج أصحاب

سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه طول النهار ولم يحجز بينهم إلا الصلاة، فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين، فلما أصبح أهل الشام أمدهم ابن زياد بعشرة آلاف فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى، ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطوا عليهم من كل جانب، ورأى سليمان ما لقي أصحابه فنزل ونادى : عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإليَّ، ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومضوا معه فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وأكثروا الجراح، فبعث الحصين الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان رحمه الله، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع.

وقال أعشى همدان في أمر التوابين ورئيسهم سليمان، قال ابن الأثير: وهي مما يكتم ذلك الزمان:

[البحر الطويل]

ألـم خـيـال مـنـك يـا أم غـالـب	فـحـييت عنا من حبيب مجانبِ
فما أنسَ لا أنسَ انتقالك في الضحى	إلينا مع البيض الحسان الخراعبِ
تراءت لنا هيفاء مهضومة الحشا	لطيفة طي الكشح ريا الحقائبِ
فتلك النوى وهي الجوى لي والمنى	فأحبب بها من خلة لم تصاقبِ
ولا يـبـعـد الله الـشـبـاب وذكـره	وحب تصافي المعصرات الكواكبِ
فـإنـي وإن لـم أنـسـهـن لـذاكـر	روية مخبات كريم المناسبِ
توسل بالتقوى إلى الله صادقا	وتقوى الإلّه خير تكساب كاسبِ
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها	وتاب إلى الله الرفيع المراتبِ
تخلى عن الدنيا وقال طرحتها	فلست إليها ما حييت بآيبِ
وما أنا فيما يكره الناس فقده	ويسعى له الساعون فيها براغبِ
توجه من نحو الثوية سائرا	إلى ابن زياد في الجموع الكتائبِ
بقوم هم أهل التقية والنهى	مصاليت أنجاد سراة مناجبِ
مضوا تاركي رأي ابن طلحة حسبة	ولم يستجيبوا للأمير المخاطبِ
فساروا وهم ما بين ملتمس التقى	وآخر مما جر بالأمس تائبِ

فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا إليهم فحسوهم ببيض قواضبِ
يمانية تذري الأكف وتارة بخيل عتاق مقربات سلاهبِ
فجاءهُمُ جمع من الشام بعده جموع كموج البحر من كل جانبِ
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم فلم يَنْجُ منهم ثَمَّ غير عصائبِ
وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا تعاورهم ريح الصبا والجنائبِ
فأضحى الخزاعي الرئيس مجدلا كأن لم يقاتل مرة ويحاربِ

أراد به المترجم في أبيات أخر ذكر فيها الرؤساء المقتولين من أصحاب سليمان.

ما روي من طريقه

في الاستيعاب وأسد الغابة وتاريخ بغداد بأسانيدهم عن سليمان بن صرد: أن رجلين تلاحيا فاشتد غضب أحدهما.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: إني لأعرف كلمة لو قالها سكن غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «اهـ».

وفي تاريخ بغداد، بسنده عن سلم بن عبد الرحمن، عن زاذان: وقعت مع سليمان بن صرد ونحن نسير على موضع، فقال لي: يا زاذان أما تراه.

قلت: بلى، قال: الحمد لله الذي مكن خيل المسلمين منه.

قال: سلم.

قلت لزاذان: وأين الموضع.

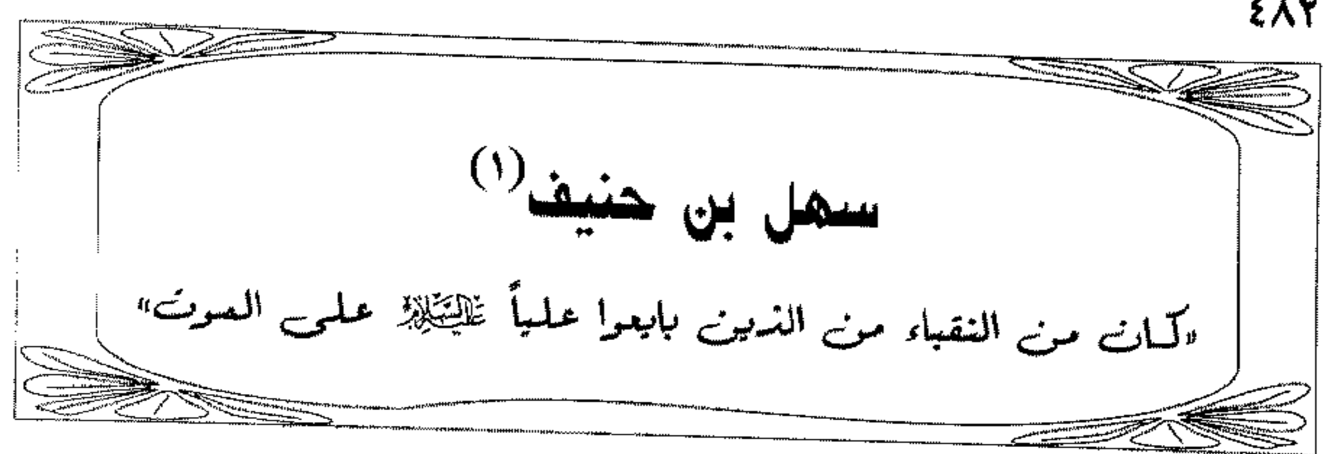
قال: صراتكم هذه التي بين قطربل والمدائن.

مصادره:

إتقان المقال/ ١٩٦. الأخبار الطوال/ ١٧١، ١٨٦، ١٩٧، ٢٢٩. الاستيعاب ٢/ ٦٢. أسد الغابة ٢/ ٣٥١. الإمامة والسياسة ١/ ١٤١. الاشتقاق/ ٤٧٤. الإصابة ٢/ ٨٧٥. أنساب الأشراف ٣/ ٨ وج٢/ ٢٧١. الأعلام ٣/ ١٨٨. البداية والنهاية ٨/ ٢٤٧. بهجة امال ٤/ ٤٧٥. تاريخ الطبري ٧/ ٤٧ وج١٣/ ٢٠. تاريخ بغداد ١/ ٢٠٠. تاريخ الخميس ٢/ ٢٠٨. تحفة الأحباب/ ١٣٦. تقريب التهذيب ١/ ٣٢٦. تنقيح المقال ٢/ ٦٢. تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٠.

تعجيل المنفعة/ ١٥٧. جامع الرواة ١/ ٣٨١. الجرح والتعديل ٤/ ١٢٣. جمهرة أنساب العرب/ ٢٣٨. رجال الطوسي/ ٤٣. سفينة البحار ١/ ٦٥٠. شذرات الذهب ١/ ٧٣. ابن بي الحديد ٣/ ١٠٥ و٤/ ٢٧ و٥/ ٢٤٧. الطبقات الكبرى ٤/ ٢٩٢. العقد الفريد ٣/ ٢٩٨ و٥/ ٧٣. الغدير ٢/ ٣٦٦ و٣/ ٩٣ و٩/ ٤٧، ٣٦٥. الغارات/ ٣٨٧، ٤٨٨، ٧٧٤، ٧٧٥. قاموس الرجال ٤/ ٤٨٠. الكامل في التاريخ ٤/ ١٥٩ ـ ١٦٢، ١٧٥ ـ ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ٢١١، ٢٢٤، ٣٠٩. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٥. اللباب ٢/ ٤١١. مجمع الرجال ٣/ ١٦٧. مرآة الجنان ١/ ١٤١. مروج الذهب ٣/ ١٠١. معجم الثقات/ ٢٨١. معجم رجال الحديث ٨/ ٢٧٠. المناقب ٣/ ١٧٥. منتهى المقال/ ١٥٨. مجالس المؤمنين ٢/ ٢٤٠. نقد الرجال/ ١٦١. النهاية في غريب الحديث ١/ ١٣٧، ٣١٢ و٢/ ١٦٠، ٢١٢، ٢٩٧، ٤٥٣، ٤٧٠، ٥٠٩ و٥/ ٣. وقعة صفين/ ٦، ٢٠٥، ٣١٣، ٤٠٠، ٥١٩.





سهل بن حنيف[1]

«كان من النقباء من الذين بايعوا علياً عليه السلام على الموت»

سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة، ابن مجدعة بن الحارث بن عمر بن خناس، ويقال: ابن خنساء بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك الأوسي الأنصاري، أبو سعيد أو أبو سعد أو أبو عبد.

توفي بالكوفة سنة ٣٨، وصلى عليه علي عليه السلام فكبر ستاً، وروي: خمساً، وقال: إنه بدري.

وقال ابن الأثير في الكامل: توفي سنة ٣٧ في قول.

(وحنيف): كزبير.

وفي **المستدرك** في رواية ابن إسحاق في تسمية من شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وآله من بني ضبيعة: سهل بن حنيف بن وهب بن غانم بن ثعلبة بن مجدعة بن حارث بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بجدع «اهـ».

وفي رواية **الحاكم**: مات سهل بالكوفة بعد انصرافهم من صفين.

وفي **الخلاصة**: سهل بن حنيف بالحاء بالمهملة المضمومة، كبر عليه أمير المؤمنين عليه السلام خمساً وعشرين تكبيرة في صلاته عليه.

رواه **الكشي**، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام، **وقال الكشي**: (سهل بن حنيف) محمد بن مسعود، حدثني أحمد بن عبد الله العلوي، حدثني علي بن محمد، عن أحمد بن محمد الليثي، عن عبد الغفار، عن جعفر ابن محمد عليه السلام: أن علياً عليه السلام كفن سهل بن حنيف في برد أحمر حبرة.

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٣٢٠، ح ٧٥٢٨.

محمد بن مسعود، حدثني أحمد بن عبد الله العلوي، حدثني علي بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن زيد أنه قال: كبر علي بن أبي طالب عليه السلام على سهل بن حنيف سبع تكبيرات، وكان بدرياً، وقال: لو كبرت عليه سبعين لكان أهلاً.

محمد بن مسعود، حدثني محمد بن نصير، حدثنا محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام كبر علي عليه السلام على سهل بن حنيف وكان بدرياً خمس تكبيرات، ثم مشى به ساعة ثم وضعه، ثم كبر عليه خمس تكبيرات أخرى، فصنع به ذلك حتى بلغ خمساً وعشرين تكبيرة انتهى ما ذكره الكشي في ترجمة سهل بن حنيف.

وقال في ترجمة أبي أيوب الأنصاري، قال الفضل بن شاذان: إن من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام: سهل بن حنيف.

وفي منهج المقال: أما السند الذي ذكره العلامة لرواية خمس وعشرين تكبيرة فلم أجده الآن في كتاب الكشي، وهو كذلك في كتاب أحمد بن طاووس.

قال المؤلف: أي موجود فيه وهو المسمى: بالتحرير الطاووسي، والعلامة تبعه في ذلك من غير مراجعة، وأنا أيضاً لم أجده في كتاب الكشي.

قال في المنهج، وفي ذكرى الشهيد، في الحسن عن الحلبي، عن الصادق عليه السلام: كبر أمير المؤمنين عليه السلام على سهل بن حنيف وكان بدرياً خمس تكبيرات، ثم كبر عليه خمس تكبيرات أخرى يصنع ذلك حتى كبر عليه خمساً وعشرين.

وفي خبر عقبة، أن الصادق عليه السلام **قال**: أما بلغكم أن رجلاً صلى عليه علي عليه السلام فكبر عليه خمساً حتى صلى خمس صلوات قال: إنه بدري عقبي أحدي من النقباء الاثني عشر وله خمس مناقب، فصلى عليه لكل منقبة صلاة.

وفي خبر أبي بصير، عن جعفر عليه السلام قال: كبر رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين تكبيرة، وكبر علي عندكم على سهل بن حنيف خمساً وعشرين

تكبيرة، كلما أدركه الناس قالوا: يا أمير المؤمنين لم ندرك الصلاة على سهل فيضعه ويكبر حتى انتهى إلى قبره خمس مرات «اهـ».

ونسبه كما مر مذكور في **الاستيعاب**، وفي **أسد الغابة**، وقيل: خنش بدل خناس، ثم حكى عن الكلبي أنه قدم الحارث على مجدعه[1].

---

(١) سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، أخو عثمان بن حُنيف. من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد البدريّين.
شهد حروب النبيّ صلى الله عليه وآله كلّها. وعندما اشتدّ القتال في أُحد وفرّ جمع كبير من المسلمين كان سهل ممّن ثبت مع النبيّ صلى الله عليه وآله.
كان سهل من السبّاقين إلى الدفاع عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، إذ رعى حُرمة خلافة الحقّ. وهو من القلائل الذين صدعوا بذَودهم عن الإمام عليه السلام.
اختاره الإمام عليه السلام لولاية الشام، لكنّ جنود معاوية حالُوا دون وصوله إليها.
ثمّ ولاّه الإمام عليه السلام على المدينة. وفي صفين دعاه إلى الالتحاق به وجعل مكانه تمّام بن عبّاس. وكان فيها أميراً على خيّالة من جند البصرة. ثمّ ولي فارس، ولكنّه عُزل بسبب الفوضى وتوتّر الأوضاع فيها، فاستعمل الإمام عليه السلام مكانه زياد بن أبيه باقتراح عبد الله بن عبّاس (مضى تفصيل ذلك).
توفّي بالكوفة سنة ٣٨ هـ. وأثنى عليه الإمام عليه السلام كثيراً عند دفنه.
الأُصول الستّة عشر عن ذريح المحاربي: ذكر [أبو عبد الله عليه السلام] سهل بن حُنيف فقال: كان من النقباء، فقلت له: من نقباء نبيّ الله الاثني عشر؟ فقال: نعم، كان من الذين اختيروا من السبعين، فقلت له: كفلاء على قومهم، فقال: نعم، إنّهم رجعوا وفيهم دم فاستنظروا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قابل، فرجعوا ففزعوا من دمهم واصطلحوا، وأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله معهم.
وذكر سهلاً فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما سبقه أحد من قريش ولا من الناس بمنقبة، وأثنى عليه وقال: لمّا مات جزع أمير المؤمنين عليه السلام جزعاً شديداً، وصلّى عليه خمس صلوات وقال: لو كان معي جبل لارفضّ[1].
الإمام عليّ عليه السلام - وقد توفّي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفّين، وكان أحبّ الناس إليه -: لو أحبّني جبل لتهافتَ.

---

(١) ترفض الشيء: إذا تكسر، والمرفضّة: المتفرقة يميناً وشمالاً (تاج العروس: ١٠/ ٦٣).

أقوال العلماء فيه

قال الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ: سهل بن حنيف، وفي أصحاب علي عليه السلام سهل بن حنيف الأنصاري عربي، وكان واليه على المدينة، يكنى أبا محمد.

وقال الفضل بن شاذان: إنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الباقين على منهاج نبيهم من غير تغيير ولا تبديل.

وعده البرقي مع أخيه عثمان من شرطة الخميس، وروى ما يدل على أنهم من أهل الجنة، وهو أحد الاثني عشر الذين أنكروا على الخليفة الأول.

وعن كتاب محمد بن المثنى ابن القاسم، عن ذريح المحاربي، عن الصادق عليه السلام: سهل بن حنيف كان من النقباء نقباء نبي الله الاثني عشر، وما سبقه أحد من قريش ولا من الناس بمنقبة، وأثنى عليه، وقال: لما مات جزع أمير المؤمنين عليه السلام عليه جزعاً شديداً، وصلى عليه خمس صلوات.

وروي أنه كان في بدء الإسلام أول سنة الهجرة يكسر أصنام قومه ليلاً ويحملها إلى امرأة من الأنصار لا زوج لها ويقول لها: احتطبي هذه، وكان علي عليه السلام يذكر ذلك عن سهل بن موته متعجباً به.

وفي الاستيعاب: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وثبت يوم أحد، وكان قد بايعه يومئذٍ على الموت، فثبت معه حين انكشف الناس عنه، وجعل ينضح عنه بالنبل.

فقال ﷺ: نبلوا سهلاً فإنه سهل، ثم صحب علياً من حين بويع (حتى بويع) له وإياه استخلف علي حين خرج من المدينة إلى البصرة، ثم شهد مع علي صفين، وولاه علي على فارس فأخرجه أهل فارس ووجه علي زياد (بن أبيه) فأرضوه وصالحوه وادوا الخراج.

وفي أسد الغابة: صحب علي بن أبي طالب حين بويع له، فلما سار علي من المدينة إلى البصرة استخلفه على المدينة وشهد معه صفين «اهـ».

ولما غدر أصحاب الجمل بأخيه عثمان بن حنيف عامل علي على البصرة، وقالت أم المؤمنين: اقتلوه.

قال: والله لئن هممتم بذلك لأبعثن إلى أخي بالمدينة فلا يبقي منكم أحداً فتوقفوا عن ذلك، ونتفوا شعره.

وفي الاصابة: وكان من السابقين واستخلفه علي على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صفين، ويقال: آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين علي بن أبي طالب «اهـ».

أقول: لم يؤاخِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين علي عليه السلام وبين أحد غير نفسه، ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه إلا علياً قال له: آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد.

فقال: إنما تركتك لنفسي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى فأنت أخي في الدنيا والآخرة وفي ذلك يقول الصفي الحلي:

[البحر الخفيف]

لو رأى مثلك النبي لآخا ه وإلا فأخطأ الانتقادُ

وقال ابن الأثير في الكامل: هو بدري، وشهد مع علي حروبه، وقال سنة ٣٧ كان على المدينة سهل بن حنيف «اهـ».

فتحصل أنه لما سار علي عليه السلام إلى البصرة استخلفه على المدينة وبعد وقعة الجمل حضر معه صفين، ثم ولاه فارس، ثم ولاه على المدينة، ثم عاد إلى الكوفة وتوفي بها.

وفي نهج البلاغة كما يأتي: أنه توفي بالكوفة بعد مرجعه من صفين مع علي عليه السلام.

ومر عن **الإصابة** أنه استخلفه علي على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صفين.

وروى الحاكم في المستدرك: أنه كان من كبار الأنصار الذين شهدوا بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي مرآة الجنان: كان بدرياً ذا علم وعقل ورياسة وفضل «اهـ».

وفي نهج البلاغة، وقال عليه السلام: وقد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه من صفين معه، وكان أحب الناس إليه، لو أحبني جبل لتهافت.

قال الرضي رحمه الله: تعالى ومعنى ذلك أن المحبة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار المصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله عليه السلام: من أحبنا فليستعد للفقر جلباباً «اهـ».

وهذا مبني على حالة بعض الأفراد لا جميعهم، وإلا فالشريف الرضي نفسه كان من محبيهم ولم يكن كذلك، وأخوه الشريف المرتضى كان يسمى أبا الثمانين.

أخباره

قال ابن الأثير: لما منع عثمان من الصلاة جاء مؤذنه إلى علي بن أبي طالب فقال: من يصلي بالناس.

فقال: ادعُ خالد بن زيد وهو أبو أيوب الأنصاري فصلى أياماً ثم صلى بعد ذلك بالناس علي عليه السلام يوم العيد.

وعن إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات: أنه لما عزل علي عليه السلام قيس بن سعد عن مصر، وولاها محمد بن أبي بكر خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على علي عليه السلام بالكوفة فخبره قيس الخبر وما كان بمصر، وشهد مع علي عليه السلام صفين وهو سهل بن حنيف «اهـ».

وقد صرح في موضع آخر: بأن ذلك كان قبل صفين، والأكثر ذكروا أنه كان بعد صفين.

وروى نصر ابن مزاحم في كتاب صفين: أنه لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى صفين دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار فاستشارهم.

فقال الأنصار بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عليه السلام عن جماعتكم.

فقالوا: قم يا سهل بن حنيف، فقام سهل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا

أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ورأينا رأيك، ونحن كف يمينك وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد وهم الناس، فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب، وأما نحن فليس عليك منا خلاف متى دعوتنا أجبناك ومتى أمرتنا أطعناك «اهـ».

وقال نصر في كتاب صفين أيضاً: إن علياً عليه السلام بعث سهل بن حنيف يوم صفين على خيل البصرة.

وقال ابن الأثير: على جند البصرة.

ومن أخباره بصفين أنه لما حمل أهل الشام على ميمنة علي عليه السلام فهزموها أمر علي عليه السلام سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان مع علي من أهل المدينة.

وفي أسد الغابة بسنده: أن سهل بن حنيف كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة فمر بنهر فاغتسل فيه، وكان رجلاً حسن الجسم، فمر به رجل من الأنصار فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة وتعجب من خلقته فلبط به فصرع، فحمل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي: ما يمنع أحدكم إذا رأى من أخيه ما يعجبه في نفسه أو في حاله أن يبرك عليه (أي يقول: تبارك الله) فإن العين حق.

وروى الحاكم في المستدرك هذا الخبر بعدة أسانيد وألفاظ مختلفة، يعرف من مجموعها حقيقة القصة وتفصيل ما أجمل منها في جملة روايات، ونحن نجمع ما يفهم من هذه الروايات، ليعلم من ذلك تفصيل القصة فنقول:

روى الحاكم في المستدرك، بسنده عن سهل بن حنيف: مررت بسيل فدخلت فاغتسلت فيه فخرجت منه محموماً فنمي ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: مروا أبا ثابت فليتصدق.

(أقول) الظاهر أن هذه واقعة أخرى غير الإصابة بالعين ويحتمل أنها هي.

وبسنده أن عامر بن ربيعة رجل من بني عدي بن كعب، رأى سهل بن حنيف مع رسول الله صلى الله عليه وآله يغتسل بالخرار (وهو موضع قرب الجحفة) فقال: والله ما رأيت كاليوم قط جلد مخبأة فلبط سهل وسقط، فقيل: يا رسول الله هل لك في سهل بن حنيف، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عامر بن ربيعة فتغيظ عليه،

فقال: لم يقتل أحدكم أخاه وصاحبه ألا يدعو بالبركة اغتسل له فاغتسل له عامر فراح سهل وليس به بأس.

والغسل أن يؤتى بقدح فيه ماء ويدخل يديه في القدح جميعاً ويهريق على وجهه من القدح ويدخل يده فيغسل ظهره ثم يأخذ بيده اليسار فيفعل مثل ذلك، ثم يغسل صدره في القدح وأطراف أصابعه ويعمل ذلك بالرجل اليسرى، ويدخل داخل ازاره ثم يغطي القدح قبل أن يضعه على الأرض ويحثو (ويحسن) منه، ويتمضمض ويهريق على وجهه ثم يصب على رأسه ثم يلقي القدح من ورائه «اهـ».

قوله: ويدخل يديه في القدح أي يدخل المصاب بالعين يديه وكذا سائر الضمائر إلى الآخر راجعة إلى المصاب بالعين.

وبسنده اغتسل سهل بن حنيف فنزع جبة كانت عليه يوم حنين حين هزم الله العدو وعامر بن ربيعة ينظر قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الخلق.

فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كاليوم قط، ونظر إليه فأعجبه حسنه حين طرح جبته.

فقال: ولا جارية في سترها بأحسن جسداً من جسد سهل بن حنيف، فوعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره أن سهل بن حنيف وعك وأنه غير رائح معك، فأتاه رسول الله ﷺ فأخبروه بالذي كان من شأن عامر، فقال: علامَ يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت أن العين حق.

وبسنده عن سهل بن حنيف، قال لي رسول الله ﷺ: أنت رسولي إلى مكة فاقرأهم مني السلام وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم بثلاث: لا تحلفوا بآبائكم، وإذا خلوتم فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولا تستنجوا بعظم ولا بعر.

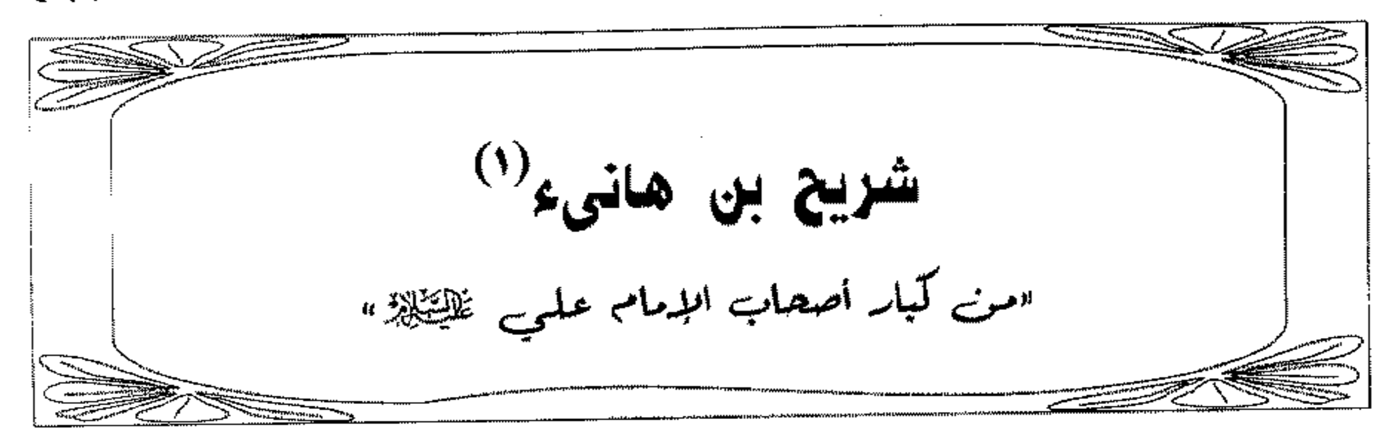
وروى الحاكم في المستدرك أيضاً: أن علياً عليه السلام لما رجع من وقعة أحد أعطى فاطمة سيفه وقال: اغسلي عنه الدم، فوالله لقد صدقني اليوم القتال، فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك القتال اليوم سهل بن حنيف (الحديث).

أقول: أين قتال سهل من قتال علي ذلك اليوم، راجع كامل ابن الأثير في وقعة أحد فالظاهر أن هذا إلحاق بالرواية وليس منها.

مصادره

إتقان المقال/ ٧٠ الأخبار الطوال/ ١٤١، ١٨٢، ١٩٦. الاستيعاب ٢/ ٩٢. أسد الغابة ٢/ ٣٩٤. الاشتقاق/ ٤٤٢. الإصابة ٢/ ٨٧. أعلام النساء ١/ ٤٤١. أعلام نهج البلاغة/ ٢٧. أنساب الأشراف ٢/ ٢٢٢. الأعلام ٣/ ٢٠٩. البداية والنهاية ٧/ ٣١٨ وج٩/ ١٩٠. بهجة الآمال ٤/ ٥١٠. تأسيس الشيعة/ ٣٥٥. تاريخ الطبري ١٥/ ١٦١، ٢٣١، وج١٣/ ١٤. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تاريخ الخميس ٢/ ٣١٧. تحفة الأحباب/ ١٤٠. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦. تقريب التهذيب ١/ ٣٣٦. تنقيح المقال ٢/ ٧٤. تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥١. جامع الرواة ١/ ٣٩٢. الجرح والتعديل ٤/ ١٩٥. جمهرة أنساب العرب/ ٣٣٦. خلاصة الأقوال/ ٨٠. الدرجات الرفيعة/ ٣٨٨. رجال ابن داود/ ١٠٧. رجال الطوسي/ ٤٣. رجال الكشي/ ٣٦. رجال البرقي/ ٣. سفينة البحار ١/ ٦٧٦. شذرات الذهب ١/ ٤٨. ابن أبي الحديد ٢/ ٢٣٢ و٣/ ١٧٣ و٤/ ٢٩ و٥/ ١٩٨ . و٢٠/ ٢٢١. الطبقات الكبرى ٣/ ٤٧١. العقد الفريد ٧/ ٢٦٩. الغارات ١/ ٢٢ و٢/ ٦٠٥. الغدير ١/ ٤٥. الفوائد الرجالية ٣/ ٣١، ٧٤. قاموس الرجال ٥/ ٣٣. الكامل في التاريخ ٢/ ١٠٧، ١٢٩، ١٧٤، و٣/ ١٨٧، ٢٠١ .٣٩٨. مجمع الرجال ٣/ ١٧٨. مرآة الجنان ١/ ١٠٥. مروج الذهب ٢/ ٣٦٧. المعارف/ ١٢٦ وفيه: سهيل. معجم الثقات/ ٢٨٣. معجم رجال الحديث ٨/ ٣٣٥. المناقب ٣/ ١٥١. منتهى المقال/ ١٦٢. مجالس المؤمنين ١/ ٢٢٨. النجوم الزاهرة ١/ ١١٧. نقد الرجال/ ١٦٥. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٩، ٧٧ و٣/ ٤٦٠ و٤/ ٩٢، ٢٢٤. وقعة صفّين/ ٩٣، ٢٠٨، ٢٤٨، ٥٠٦.





شريح بن هانيء[1]

"من كبار أصحاب الإمام علي عليه السلام"

شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك، أو الحارث كعب الحارثي المذحجي ابن المقدام الكوفي.

هكذا نسبه في **تهذيب التهذيب** وفي **أسد الغابة**، وقيل: شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان، ابن الضباب، واسمه سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي.

قتل بسجستان سنة ٧٨.

في الاستيعاب: جاهلي إسلامي يكنى أبا المقدام من أجلة أصحاب علي عليه السلام.

وفي أسد الغابة: أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له، وبه كنى النبي أبا شريح، وكان من أعيان أصحاب علي، وشهد معه حروبه، وشهد الحكمين بدومة الجندل، وبقي دهراً طويلاً وسار إلى سجستان غازياً فقتل بها سنة ٧٨ وقال شريح في ذلك اليوم:

[البحر الرجز المجزوء]

أصبحت ذا بث أبحرا أقاسي أبحرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا

ثم أدركت النبي المنذرا ... وبعده صديقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا ... والجمع في صفينهم والنهرا

وباخميراوات والمشقرا ... هيهات ما أطول هذا عمرا

قيل: إنه عاش ١٢٠ سنة (اهـ).

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

وفي الإصابة، قال ابن سعد: كان من أصحاب علي وذكر بسنده أن علياً بعث في التحكيم أبا موسى ومعه أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانيء، ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم، وعده يعقوب بن سفيان في أمراء وقعة الجمل.

وقال أبو نعيم: الفضل بن دكين عاش ١١٠.

وقال القاسم بن مخيمرة ما رأيت أفضل منه وقتل غازياً مع عبد الله بن أبي بكرة بسجستان سنة ٧٨.

وفي تهذيب التهذيب: أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره.

ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وقال: كان من أصحاب علي وشهد معه المشاهد[1].

ذكره ابن حيان في الثقات، وفي **تاريخ ابن عساكر**: كان من كبار أصحاب علي وشهد التحكيم بدومة الجندل في صحابة علي.

وقال ابن شهرآشوب في المناقب عند ذكر حرب الجمل، قال شريح بن هانيء:

[البحر الرجز المجزوء]

لا عيش إلا ضرب أصحاب الجملْ والقول لا ينفع إلا بالعملْ

ما إن لنا بعد علي من بدلْ

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥١: إن زياد بن سمية لما بعث بحجر

---

(١) شريح بن هاني بن يزيد الحارثي يكنى أبا المقدام، كان من المخضرمين، أدرك النبيّ ولم يره، وكان من أكابر التابعين، ومن كبار أصحاب عليّ عليه السلام وشهد معه المشاهد، وكان أميراً في الجمل، وفي صفّين من أُمراء مقدّمة الجيش وعلى الميسرة.
ولمّا بعث عليّ عليه السلام أبا موسى إلى دومة الجندل بعث معه أربعمائة عليهم شريح بن هاني.
وعندما ذُكر اسمه في زمرة الشاهدين على حجر بن عدي، أنفذ إلى معاوية كتاباً كذّب فيه ذلك وأثنى على حجر.

وأصحابه إلى معاوية دعا رؤساء الأرباع وهم: عمرو بن حريث، وخالد بن عرفطة، وقيس بن الوليد، وأبا بردة بن أبي موسى واستشهدهم أن حجراً جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أنّ هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه.

ونظر زياد في شهادة الشهود وقال: أحب أن يكونوا أكثر من أربعة فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة والمنذر بن الزبير، وعمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد وغيرهم، وكتب في الشهود: شريح القاضي، وشريح بن هانىء (أي كتبت شهادتهما ولم يكتباها هما).

فأما شريح بن هانىء فكان يقول: ما شهدت وقد لمته، فلما بلغ حجر وأصحابه الغريين لحقهم شريح بن هانىء وأعطى كتاباً إلى وائل أحد الرجلين الموكلين بمهم وقال: أبلغه أمير المؤمنين فدفعه وائل إلى معاوية فإذا فيه: بلغني أن زياداً كتب شهادتي وإن شهادتي، على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه.

فقال معاوية: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم «اهـ».

أما شريح القاضي فأبى له سوى طويته إلا أن يسكت عن الشهادة التي كتبت بدون علمه، وقد ذكر عبد الله بن خليفة الطائي الذي نفاه زياد إلى جبلي طيء شريكا الحضرمي في قصيدته الطويلة التي يعاتب فيها حجر بن عدي الطائي، ويرثي حجر بن عدي الكندي وأصحابه يقول فيها:

[البحر الطويل]

ويا إخوتا من حضرموت وغالب ... وشيبان لقيتم جنانا مبشرا

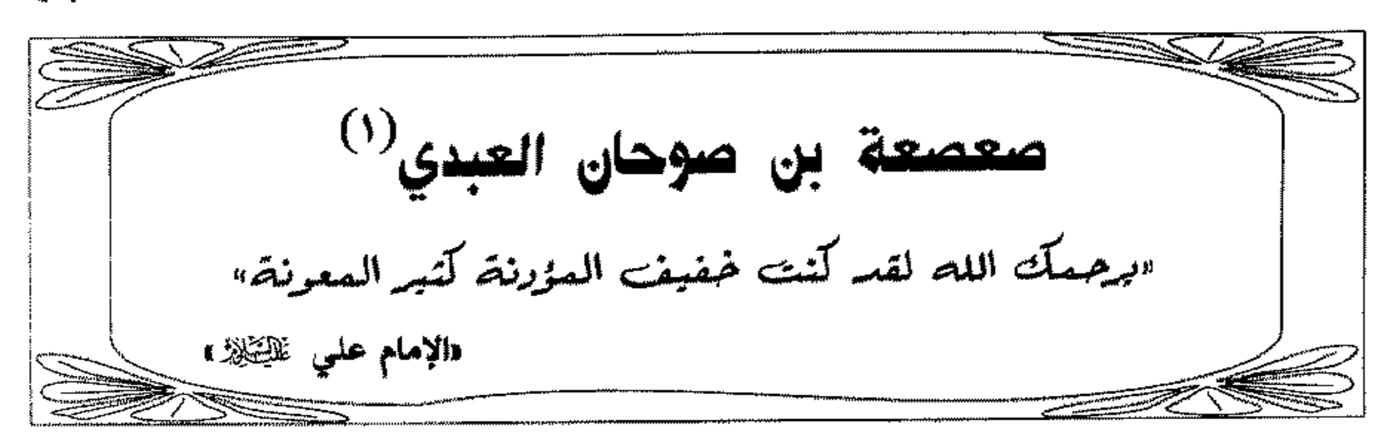
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم ... حجاجا لدى الموت الجليل وأصبرا

سأبكيكم ما لاح نجم وغرد الحمام ... ببطن الواديين وقرقرا

مصادره

الإمامة والسياسة ١/ ٦٣. الأخبار الطوال/١٦٦، ١٦٧، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٤. الاستيعاب ٢/ ١٤٩. أسد الغابة ٢/ ٣٩٥ وج٥/ ٢٢٦. الإصابة ٢/ ١٦٦. أعلام نهج البلاغة/ ٢٨. أنساب الأشراف ٢/ ٢٩٦. الأعلام ٣/ ٢٣٧. البداية والنهاية ٧/ ٢٨٢. تاريخ الطبري ٥/ ٢٣٧. وج٦/ ٣٧ وج٧/ ٢٨٢. تقريب التهذيب ١/ ٣٥٠. تنقيح المقال ٢/ ٨٣. تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٠. تذكرة الحفاظ ١/ ٥٩. جامع الرواة ١/ ٣٩٩. الجرح والتعديل ٤/ ٣٣٣. جمهرة أنساب العرب/ ٤١٧. الجمل/ ١٧١. شذرات الذهب ١/ ٨٦. ابن أبي الحديد ٢/ ٢٤٤ . ٢٥٥. الطبقات الكبرى ٤/ ٢٥٦. طبقات الحفاظ/ ٢٠. العبر ١/ ٨٩. الغدير ٢/ ١٣٣ و٩/ ٣٦٦ و١٠/ ٣٣٧ و١١/ ٤٨. الفوائد الرجالية ٤/ ٣٩. قاموس الرجال ٥/ ٧٠. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨٠ . ٢٨٢، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٧٣، ٣٨٣، ٤٨٤. اللباب ١/ ٣٢٨ و٢/ ٢٥٨. مرآة الجنان ١/ ١٦٠. مروج الذهب ٢/ ٤٠٦. معجم الثقات/ ٢٨٤. معجم رجال الحديث ٣/ ٨٢ و٩٩/ ١٨. المناقب ٣/ ١٥٤. النجوم الزاهرة ١/ ٢٠١. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٩٧. وقعة صفّين/ ١٢١ . ١٢٣، ١٣٩، ١٥٢، ١٥٣، ٤٠٨، ٤٦٧، ٥٠٣، ٥٣٣ . ٥٣٦، ٥٥٤.





صعصعة بن صوحان العبدي(١)

«يرحمك الله لقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة»

«الإمام علي عليه السلام»

صوحان بضم الصاد، أسلم صعصعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يره.

قال في الإصابة: كان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف.

قال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب، نفاه المغيرة بأمر معاوية من الكوفة، ووصفه عبد الملك بن مروان بأنه أحضر الناس جواباً.

وروى الحافظ، عن حميد بن هلال العدوي قال: قام صعصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك، اعتدل يا أمير المؤمنين تعتدل أمتك(٢).

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٤١٨، ح ٧٧٢٢.

(٢) صعصعة بن صوحان بن حُجْر العبدي، كان مسلماً على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يره. وكان من كبار أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، ومن الذين عرفوه حقّ معرفته كما هو حقه، وكان خطيباً شحشحاً بليغاً(١). ذهب الأديب العربي الشهير الجاحظ إلى أنّه كان مقدّماً في الخطابة. وأدلّ من كلّ دلالة استنطاق عليّ بن أبي طالب عليه السلام له.
أثنى عليه أصحاب التراجم بقولهم: كان شريفاً، أميراً، فصيحاً، مفوّهاً، خطيباً، لسناً، ديّناً، فاضلاً.
نفاه عثمان إلى الشام مع مالك الأشتر ورجالات من الكوفة. وعندما ثار الناس على عثمان، واتّفقوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قام هذا الرجل الذي كان عميق الفكر، قليل المثيل في معرفة عظمة عليٍّ عليه السلام - وكان خطيباً مصقعاً - فعبّر عن اعتقاده الصريح الرائع بإمامه، وخاطبه قائلاً:
والله يا أمير المؤمنين! لقد زيّنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها. =

---

(١) الشحيح: أي الماهر الماضي في كلامه (النهاية: ٢/٤٤٩).

. . . .

= وعندما أشعل موقدو الفتنة فتيل الحرب على أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل، كان إلى جانب الإمام، وبعد أن استشهد أخواه زيد وسيحان اللذان كانا من أصحاب الألوية، رفع لواءهما وواصل القتال. وفي حرب صفّين، وهو رسول الإمام عليه السلام إلى معاوية ومن أُمراء الجيش وراوي وقائع صفّين.

وقف إلى جانب الإمام عليه السلام في حرب النهروان، واحتجّ على الخوارج بأحقيّة إمامه وثباته. وجعله الإمام عليه السلام شاهداً على وصيّته، فسجّل بذلك فخراً عظيماً لهذا الرجل.

ونطق صعصعة بفضائل الإمام ومناقبه أمام معاوية وأجلاف بني أُميّة مراراً، وكان يُنشد ملحمة عظمته أمام عيونهم المحملقة، ويكشف عن قبائح معاوية ومثالبه بلا وجل.

وكم أراد منه معاوية أن يطعن في عليّ عليه السلام، لكنّه لم يلقَ إلاّ الخزي والفضيحة، إذ جُوبِه بخطبه البليغة الأخّاذة.

آمنه معاوية مكرهاً بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وصلح الإمام الحسن عليه السلام، فاستثمر صعصعة هذه الفرصة ضدّ معاوية. وكان معاوية دائم الامتعاض من بيان صعصعة الفصيح المعبّر وتعابيره الجميلة في وصف فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يخفِ هذا الامتعاض.

إنّ ما ذكرناه بحقّ هذا الرجل غيض من فيض. وستلاحظون عظمة هذه الشخصيّة المتألّقة في النصوص التي سننقلها لاحقاً. وكفى في عظمته قول الإمام الصادق عليه السلام: ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقّه إلاّ صعصعة وأصحابه.

الأمالي للطوسي عن صعصعة بن صوحان: دخلت على عثمان بن عفّان في نفر من المصريّين، فقال عثمان: قدّموا رجلاً منكم يكلّمني، فقدّموني، فقال عثمان: هذا، وكأنّه استحدثني.

فقلت له: إنّ العلم لو كان بالسنّ لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنّه بالتعلّم.

فقال عثمان: هاتِ.

فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(١).

فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية.

فقلت له: فمرْ بالمعروف وانهَ عن المنكر.

فقال عثمان: دعْ هذا وهاتِ ما معك. =

(١) سورة الحج: الآية، ٤١.

. . . .

= فقلت له: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[1] إلى آخر الآية.

فقال عثمان: وهذه أيضاً نزلت فينا، فقلت له: فأعطنا بما أخذت من الله.

فقال عثمان: يا أيّها الناس، عليكم بالسمع والطاعة، فإنّ يد الله على الجماعة وإنّ الشيطان مع الفذّ[2]، فلا تستمعوا إلى قول هذا، وإنّ هذا لا يدري مَن الله ولا أين الله.

فقلت له: أمّا قولك: «عليكم بالسمع والطاعة» فإنّك تريد منّا أن نقول غداً: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[3].

وأمّا قولك: «أنا لا أدري من الله» فإنّ الله ربّنا وربّ آبائنا الأوّلين، وأمّا قولك: «إنّي لا أدري أين الله» فإنّ الله تعالى بالمرصاد.

قال: فغضب وأمر بصرفنا وغلق الأبواب دوننا.

الغارات عن الأسود بن قيس: جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام عائداً صعصعة فدخل عليه فقال له: يا صعصعة، لا تجعلنّ عيادتي إليك أبّهة على قومك.

فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن نعمةً وشكراً.

فقال له عليّ عليه السلام: إن كنت لمّا علمت لخفيف المؤونة عظيم المعونة.

فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين، إنّك ما علمت بكتاب الله لعليم، وإنّ الله في صدرك لعظيم، وإنّك بالمؤمنين لرؤوف رحيم.

تاريخ اليعقوبي: إنّ عليّاً دخل على صعصعة يعوده، فلمّا رآه عليّ قال: إنّك ما علمت حسن المون خفيف المؤونة.

فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين، عليم، وأبهٌ في صدرك عظيم.

فقال له عليّ: لا تجعلها أُبّهةً على قومك أن عادك إمامك.

قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكنّه مَنٌّ من الله عليَّ أن عادني أهل البيت وابن عمّ رسول ربّ العالمين.

الاختصاص عن مسمع بن عبد الله البصري عن رجل: لمّا بعث عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه صعصعة بن صوحان إلى الخوارج قالوا له: أرأيت لو كان عليّ معنا في موضعنا أتكون معه؟. =

---

(١) سورة الحج: الآية، ٤٠.

(٢) الفذّ: الواحد. وقد فَذَّ الرجلُ عن أصحابه إذا شَذَّ عنهم وبقي فَرْداً (النهاية: ٣/ ٤٢٢).

(٣) سورة الأحزاب: الآية، ٦٧.

. . . .

= قال: نعم.
قالوا: فأنت إذاً مقلّد عليّاً دينك، ارجع فلا دين لك.
فقال لهم صعصعة: ويلكم ألا أُقلّد من قلّد الله فأحسن التقليد فاضطلع بأمر الله صدّيقاً لم يزل؟ أوَلم يكن رسول الله ﷺ إذا اشتدّت الحرب قدّمه في لهواتها فيطأ صماخها بأخمصه[1]، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله عنه يعبر رسول الله ﷺ والمسلمون، فأنّى تصرفون، وأين تذهبون، وإلى من ترغبون وعمّن تصدفون!؟.
مروج الذهب عن محمّد بن عبد الله بن الحارث الطائي: لمّا انصرف عليٌّ من الجمل قال لآذنه: مَن بالباب من وجوه العرب؟.
قال: محمد بن عمير بن عطارد التيمي والأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدي، في رجال سمّاهم.
فقال: ايذن لهم.
فدخلوا فسلّموا عليه بالخلافة، فقال لهم: أنتم وجوه العرب عندي، ورُؤساء أصحابي، فأشيروا عليَّ في أمر هذا الغلام المترف - يعني معاوية - فافتنّت[2] بهم المَشورة عليه.
فقال صعصعة: إنّ معاوية أترفه الهوى، وحبّبت إليه الدنيا، فهانت عليه مصارع الرجال، وابتاع آخرته بدنياه، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتُصِب، إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين، والرأي أن ترسل له عيناً من عيونك وثقةً من ثقاتك، بكتابٍ تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وأناب كان له مالك وعليه ما عليك، وإلاّ جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين.
فقال عليّ: عزمت عليك يا صعصعة إلاّ كتبت الكتاب بيديك، وتوجّهت به إلى معاوية، واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً، وعجزه استتابةً واستنابةً، وليكن فاتحة الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية، سلام عليك، أمّا بعد. . .» ثمّ اكتب ما أشرت به عليَّ، واجعل عنوان الكتاب «ألا إلى الله تصير الأُمور».
قال: أعفني من ذلك.
قال: عزمت عليك لتفعلنّ.
قال: أفعل، فخرج بالكتاب وتجهّز وسار حتى ورد دمشق، فأتى باب معاوية فقال لآذنه: =

(١) أخمص القدم: باطنها الذي لا يُصيب الأرض (مجمع البحرين: ١/ ٥٥٥).
(٢) افتن الرجل في كلامه وخصومته: إذا توسع وتصرف وجاء بالأفانين (لسان العرب: ١٣/ ٣٢٦).

. . . .

= استأذن لرسول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. وبالباب أزفلة[١] من بني أُمية. فأخذته الأيدي والنعال لقوله، وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[٢] وكثرت الجلبة[٣] واللغط، فاتّصل ذلك بمعاوية فوجّه من يكشف الناس عنه، فكشفوا، ثمّ أذن لهم فدخلوا، فقال لهم: مَن هذا الرجل؟.

فقالوا: رجل من العرب يقال له: صعصعة بن صوحان معه كتاب من عليّ.

فقال: والله لقد بلغني أمره، هذا أحد سهام عليّ وخطباء العرب، ولقد كنت إلى لقائه شيّقاً، ائذن له يا غلام، فدخل عليه.

فقال: السلام عليك يا بن أبي سفيان، هذا كتاب أمير المؤمنين.

فقال معاوية: أما إنّه لو كانت الرسل تقتل في جاهليّة أو إسلام لقتلتك، ثمّ اعترضه معاوية في الكلام، وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطبعاً أم تكلفاً، فقال: ممّن الرجل؟.

قال: من نزار.

قال: وما كان نزار؟.

قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقى افترس، وإذا انصرف احترس.

قال: فمن أيّ أولاده أنت؟.

قال: من ربيعة.

قال: وما كان ربيعة؟.

قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد.

قال: فمن أيّ أولاده أنت؟.

قال: من جَديلة.

قال: وما كان جديلة؟.

قال: وما كان جديلة؟.

قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً، وفي اللقاء لهباً ساطعاً.

قال: فمن أيّ أولاده أنت؟

قال: من عبد القيس.

قال: وما كان عبد القيس =

---

(١) الأزفلة: الجماعة (المحيط في اللغة: ٩/ ٥٧).

(٢) سورة غافر: الآية، ٢٨.

(٣) الجَلَب: هو جمع جَلَبة وهي الأصوات (النهاية: ١/ ٢٨١).

. . . .

= قال: كان خصيباً خضرماً أبيض وهّاباً لضيفه ما يجد، ولا يسأل عمّا فقد، كثير المرق، طيّب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء.

قال: ويحك يا بن صوحان! فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً.

قال: بلى والله يا بن أبي سفيان، تركت لهم ما لا يصلح إلاّ بهم، ولهم تركت الأبيض والأحمر، والأصفر والأشقر، والسرير والمنبر، والملك إلى المحشر، وأنّى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء؟!.

ففرح معاوية وظنّ أنّ كلامه يشتمل على قريش كلّها، فقال: صدقت يا بن صوحان، إنّ ذلك لكذلك.

فعرف صعصعة ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم عن أُنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء.

قال: فلِمَ ذلك ويلك يا بن صوحان؟

قال: الويل لأهل النار! ذلك لبني هاشم.

قال: قم، فأخرَجُوه.

فقال صعصعة: الصدق ينبيء عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة.

فقال معاوية: لشيء ما سوّده قومه، وددت والله أني من صلبه، ثمّ التفت إلى بني أُمية فقال: هكذا فلتكن الرجال.

مروج الذهب عن الحارث بن مسمار البهراني: حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله بن الكوّاء اليشكري ورجالاً من أصحاب عليّ مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوماً فقال: نشدتكم بالله إلاّ ما قلتم حقّاً وصدقاً، أيّ الخلفاء رأيتموني؟

فقال ابن الكوّاء: لولا أنّك عزمت علينا ما قلنا لأنّك جبّار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنّا نقول: إنّك ما علمنا واسع الدنيا، ضيق الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً، والنور ظلمات.

فقال معاوية: إنّ الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابّين عن بيضته، التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلّين ما حرّم الله، والمحرّمين ما أحل الله.

فقال عبد الله بن الكوّاء: يا بن أبي سفيان، إنّ لكلّ كلام جواباً، ونحن نخاف جبروتك، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذَبَبْنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا تأخذها في الله لومة لائم، وإلاّ فإنّا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه[1]. =

---

(١) الفَرجَة: وهي الخلوص من شدّة (مجمع البحرين: ٣/ ١٣٧٣).

. . . .

= قال: والله لا يطلق لك لسان.
ثمّ تكلّم صعصعة فقال: تكلّمت يا بن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عمّا أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟! أمّا والله، ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلاّ كما قال القائل: «لا حُلّي ولا سِيري»[1] ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على رسول الله ﷺ، وإنّما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟
فقال معاوية: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

[البحر البسيط التام]

قابلتُ جهلهم حلماً ومغفرةً والعفو عن قدرةٍ ضَرْبٌ من الكرم

لقتلتكم.
ديوان المعاني عن محمّد بن عباد: تكلّم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده عمرو بن العاص، فقال: هذا بالتمر أبصر منه بالكلام!.
قال صعصعة: أجل! أجوده ما دقّ نواه ورقّ سحاؤه[2] وعظم لحاؤه[3]، والريح تنفجه[4] والشمس تنضجه والبرد يدمجه، ولكنّك يا بن العاص لا تمراً تصف ولا الخبر تعرف، بل تحسد فتقرف.
فقال معاوية [لعمرو]: رغماً! فقال عمرو: أضعاف الرغم لك! وما بي إلاّ بعض ما بك.
تاريخ الطبري عن الشعبي - في ذكر قيام الكوفيّين على سعيد بن العاص -: فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ويقول: إنّ رهطاً من أهل الكوفة - سمّاهم له عشرة - يؤلّبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيّرهم إلى معاوية - ومعاوية يومئذٍ على الشام -.
فسيّرهم - وهم تسعة نفر - إلى معاوية فيهم: مالك الأشتر وثابت بن قيس بن مُنقع وكميل بن زياد النخعي وصعصعة بن صوحان...
إنّ معاوية... قال فيما يقول: وإنّي والله ما آمركم بشيء إلاّ قد بدأتُ فيه بنفسي وأهل=

(١) يقال للرجل إذا لم يكن عنده غَناء (لسان العرب: ١١/ ١٦٣).
(٢) أي: قشره.
(٣) اللحاء: هو ما كسا النواة.
(٤) نفجت الشيء: أي عظمته.

. . . .

= بيتي وخاصّتي، وقد عرفت قريش أنّ أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلاّ ما جعل الله لنبيّه نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله، فإنّ الله انتخبه وأكرمه، فلم يخلق في أحد من الأخلاق الصالح شيئاً إلاّ أصفاه الله بأكرمها وأحسنها، ولم يخلق من الأخلاق السيّئة شيئاً في أحدٍ إلاّ أكرمه الله عنها ونزّهه، وإنّي لأظنّ أنّ أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلاّ حازماً.

قال صعصعة: كذبت قد ولدهم خير من أبي سفيان، مَن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر والأحمق والكيّس.

فخرج تلك الليلة من عندهم، ثمّ أتاهم القابلة فتحدّث عندهم طويلاً، ثمّ قال: أيّها القوم ردّوا عليّ خيراً أو اسكتوا وتفكّروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه تعيشوا ونعشْ بكم.

فقال صعصعة: لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: أوَليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيّه صلى الله عليه وآله... ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة، وأن توقّروا أئمّتكم وتدلّوهم على كلّ حسن ما قدرتم، وتعِظوهم في لين ولطف في شيء إن كان منهم؟.

فقال صعصعة: فإنّا نأمرك أن تعتزل عملك فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك. قال: من هو؟ قال: من كان أبو أحسن قدماً من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدماً منك في الإسلام.

رجال الكشّي عن عاصم بن أبي النجود عمّن شهد ذلك: إنّ معاوية حين قدم الكوفة دخل عليه رجال من أصحاب عليّ عليه السلام، وكان الحسن عليه السلام قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمّين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان فيهم صعصعة.

فلمّا دخل عليه صعصعة، قال معاوية لصعصعة: أما والله، إنّي كنت لأبغض أن تدخل في أماني.

قال: وأنا والله، أبغض أن أُسميك بهذا الاسم، ثمّ سلّم عليه بالخلافة.

قال: فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر فالعن عليّاً!

فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، أتيتكم من عند رجل قدّم شرّه وأخّر خيره، وإنّه أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه لعنه الله، فضجّ أهل المسجد بآمين.

فلمّا رجع إليه فأخبره بما قال، ثمّ قال: لا والله ما عنيت غيري، ارجع حتى تسمّيه باسمه.

فرجع وصعد المنبر، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب فالعنوا من لعن عليّ بن أبي طالب، فضجّوا بآمين.

فلمّا خُبّر معاوية قال: لا والله ما عنى غيري، أخرجوه لا يساكنني في بلد، فأخرجوه. =

. . . .

= العقد الفريد: دخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره، فقال: وسّع له على ترابيّة فيه.

فقال صعصعة: إنّي والله لترابيّ، منه خلقت وإليه أعود، ومنه أبعث، وإنّك لمارج[1] من مارج من نار.

مروج الذهب: وفد عليه [أي معاوية] عقيلُ بن أبي طالب منتجعاً وزائراً، فرحّب به معاوية، وسرّ بوروده، لاختياره إيّاه على أخيه، وأوسعه حلماً واحتمالاً، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت عليّاً؟!

فقال: تركته على ما يحبّ الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله.

فقال له معاوية: لولا أنّك زائر منتجع جنابنا لرددت عليه أبا يزيد جواباً تألم منه، ثمّ أحبّ معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفضه، فوثب عن مجلسه، وأمر له بنزل، وحمل إليه مالاً عظيماً، فلما كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاه، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت عليّاً أخاك؟!

قال: تركته خيراً لنفسه منك، وأنت خير لي منه.

فقال له معاوية: أنت والله كما قال الشاعر:

[البحر الكامل]

وإذا عددت فخارَ آل محرّق فالمجدُ منهم في بني عتّاب

فمحلّ المجد من بني هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيّرك الأيام والليالي. فقال عقيل:

[البحر السريع]

اصبر لحرب أنت جانيها لا بدّ أن تصلى بحاميها

وأنت والله يا بن أبي سفيان كما قال الآخر:

[البحر الكامل]

وإذا هوازن أقبلت بفَخارها يوماً فخرتهم بآل مجاشع

بالحاملين على الموالي غُرمَهم والضاربين الهام يوم الفازع

ولكن أنت يا معاوية إذا افتخرت بنو أمية فبمن تفخر؟

فقال معاوية: عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت، فإنّي لم أجلس لهذا، وإنّما أردت أن أسألك عن أصحاب عليّ فإنّك ذو معرفة بهم=.

(١) المارج: اللهب المختلط بسواد النار.

وكان صعصعة من أهل الخطط بالكوفة، وكان من أصحاب علي، وتوفي في خلافة معاوية، وكان ثقة قليل الحديث، وتكلم يوماً فأكثر.

فقال عثمان: يا أيها الناس إن هذ البجباج النفاج ما يدري من الله ولا أين الله.

فقال له: أما قولك ما أدري من الله، فإن الله ربنا ورب آبائنا الأولين.

وأما قولك: لا أدري أين الله فإن الله لبالمرصاد ثم قرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] الآيات.

فقال عثمان. ما نزلت هذه الآية إلا فيَّ وفي أصحابنا أخرجنا من مكة بغير حق.

= فقال عقيل: سل عمّا بدا لك.

فقال: ميز لي أصحاب عليّ، وابدأ بآل صوحان فإنهم مخاريق الكلام.

قال: أمّا صعصعة فعظيم الشأن، عضب[1] اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق ويفتق ما رتق، قليل النظير، وأمّا زيد وعبد الله فإنّهما نهران جاريان، يصبّ فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجلا جدٍّ لا لَعِب معه، وبنو صوحان كما قال الشاعر:

[البحر الوافر]

إذا نزل العدوّ فإنّ عندي أُسوداً تخلس الأسدَ النفوسا

فاتّصل كلام عقيل بصعصة فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، ذكرُ الله أكبر، وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة، أمّا بعد، فقد بلغ مولاك كلامُك لعدوّ الله وعدوّ رسوله، فحمدتُ الله على ذلك، وسألته أن يفيء بك إلى الدرجة العليا، والقضيب الأحمر، والعمود الأسود فإنّه عمودٌ من فارقه فارق الدين الأزهر، ولئن نزعَت بك نفسُك إلى معاوية طلباً لماله إنّك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلّك عن الحجّة، فإنّ الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصَلَ إلينا، فأجلّ الله أقداركم، وحمى أخطاركم، وكتب آثاركم، فإنّ أقداركم مرضيّة، وأخطاركم محميّة، وآثاركم بدريّة، وأنتم سِلم الله إلى خلقه، ووسيلته إلى طرقه، أيْد عليّة، ووجوه جليّة».

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.

---

(١) عَضُب لسانُه بالضمّ عُضُوبةً: صار عَضباً، أي حديداً في الكلام (مجمع البحرين: ٢/ ١٢٣٠).

وقدم وفد أهل العراق على معاوية فقال: مرحبا بكم يا أهل العراق قدمتم على خير أمير يبر كبيركم ويرحم صغيركم، ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء وعقلاء، فأشار الناس إلى صعصعة بن صوحان، فقام فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

أما قولك: يا معاوية إنا قدمنا الأرض المقدسة: فلعمري ما الأرض تقدس الناس ولا يقدس الناس إلا أعمالهم.

وأما قولك: إن منها المنشر وإليها المحشر: فلعمري ما ينفع قربها كافراً ولا يضر بعدها مؤمناً.

وأما قولك: لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء وعقلاء: فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم صلى الله عليه فمنهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم.

فقال له معاوية: والله لأجفينك عن الوساد، ولأشردن بك في البلاد.

فقال له صعصعة: والله إن في الأرض لسعة، وإن في فراقك لدعة.

فقال له معاوية: والله لأحبسن عطاءك.

قال: إن كان ذلك بيدك فافعل، إن العطاء وفضائل النعماء في ملكوت من لا تنفذ خزائنه، ولا يبيد عطاؤه، ولا يحيف في قضيته.

فقال له معاوية: لقد استقتلت.

فقال له صعصعة: مهلاً، لم أقل جهلاً ولم أستحل قتلاً، لا تقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوماً كان الله لقاتله مقيماً، يرهقه أليماً ويجرعه حميماً ويصليه جحيماً.

فقال معاوية لعمرو بن العاص: أكفناه.

فقال له عمرو: وما تجهمك لسلطانك؟.

فقال له صعصعة: ويلي عليك يا مأوى مطردي أهل الفساد ومعادي أهل الرشاد، فسكت عنه عمرو.

وروى نصر بن مزاحم، أن ابن الأحمر قال: لما أجمع معاوية وأهل الشام أن يمنعونا الماء، ففزعنا إلى أمير المؤمنين فأخبرناه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان فقال: ائت معاوية فقل: إنا سرنا مسيرنا هذا وإنا نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذا أخرى قد فعلتموها حتى حلتم بين الناس وبين الماء، فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم، وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟.

قال الوليد بن قبة: إمنعهم الماء كما منعوه ابن عفان حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام اقتلهم عطشاً قتلهم الله.

قال عمرو: خل بين القوم وبين الماء فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم فأعاد الوليد مقالته. وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخو عثمان من الرضاعة: إمنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم، إمنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة.

فقال صعصعة بن صوحان: إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة، فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه.

فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول.

ولما أراد الانصراف من عنده قال: ما ترد عليَّ؟.

قال: سيأتيكم رأيي.

قال: فوالله ما راعنا إلا تسوية الرجال والخيل والصفوف فأرسل إلى أبي الأعور امنعهم الماء.

فازدلفنا والله إليهم فارتمينا بالرماح واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم فصار الماء في أيدينا فقلنا: والله لا نسقيهم.

فأرسل إلينا علي: خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم، وخلوا بينهم وبين الماء فإن الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم.

وروى أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل: أن صعصعة بن صوحان استأذن على علي عليه السلام، وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن، فقال صعصعة للآذن: قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً، فلقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بكلمات عليماً فأبلغه الآذن ذلك.

فقال: وأنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة.

ومن شعر صعصعة قوله:

[البحر البسيط التام]

هلا سألت بني الجارود أي فتى ... عند الشفاعة والباب ابن صوحانا

كنا وكانوا كأم أرضعت ولدا ... عقت ولم تجز بالإحسان احسانا

وقوله يرثي علي بن أبي طالب عليه السلام:

[البحر الوافر]

ألا من لي بانسك يا أخيًّا؟ ... ومن لي أن أبثك ما لديًّا؟

طوتك خطوب دهر قد توالى ... لذاك خطوبة نشرا وطيًّا

فلو نشرت قواك لي المنايا ... شكوت إليك ما صنعت إليًّا

بكيتك يا علي بدر عيني ... فلم يغن البكاء عليك شيًّا

كفى حزنا بدفنك ثم اني ... نفضت تراب قبرك من يديًّا

وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيًّا

فيا أسفي عليك وطول شوقي ... ألا ل و أن ذل لك رد ش يًّ ا

وقوله يرثيه أيضاً:

[البحر البسيط المجزوء]

هل خبر القبر سائليهِ ... أم قر عيناً بزائريهِ

أم هل تراه أحاد علما؟ ... بالجسد المستكن فيهِ

لو علم القبر من يواري ... تاه على كل من يليهِ

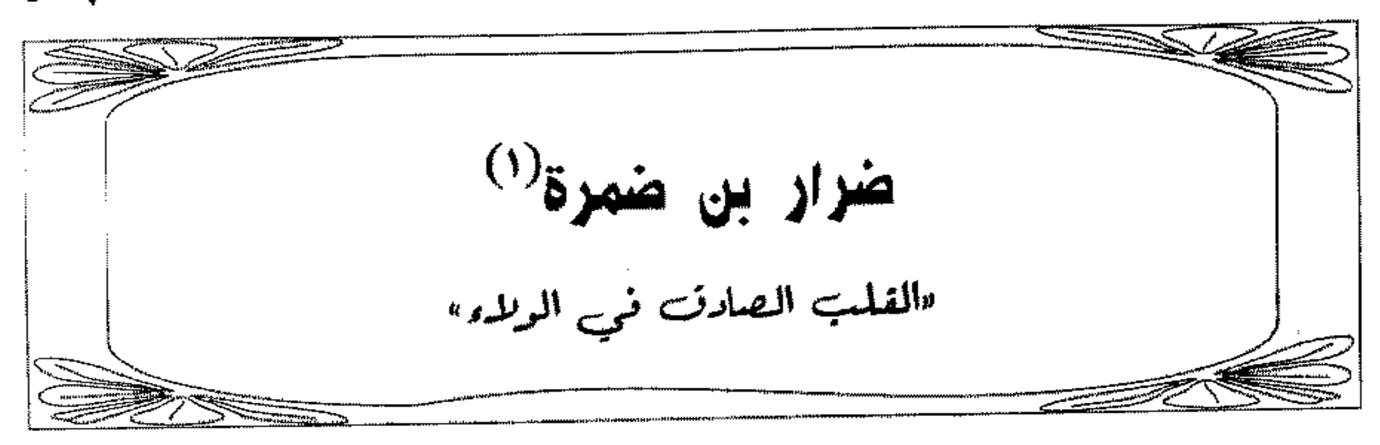
يا موت ماذا أردت مني حققت ما كنت أتقيه
يا موت لو تقبل افتداء لكنت بالروح أفتديه
دهر رماني بفقد إلفي اذم دهري واشتكيه[1]

مصادره:

إتقان المقال/ ٧٤. الأخبار الطوال/ ١٦٨. الاستيعاب ٢/ ١٩٦. أسد الغابة ٣/ ٣٠. الاشتقاق/ ٣٢٩. الإصابة ٢/ ٢٠٠. الأعلام ٣/ ٢٩٤. الأنساب/ ورقة ٣٨١. البداية والنهاية ٧/ ٢٥٧. بهجة الآمال ٢/ ١٣٠. تأسيس الشيعة/ ٣٥٥. تاريخ الطبري ٦/ ٣١. تحفة الأحباب/ ١٤٥. تقريب التهذيب ١/ ٣٦٧. تنقيح المقال ٢/ ٩٨. تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٢. جامع الرواة ١/ ٤١١. الجرح والتعديل ٤/ ٤٤٦. جمهرة أنساب العرب/ ٢٩٧. الجمل/ ٦٩. خلاصة الأقوال/ ٨٩. رجال ابن داود/ ١١١. رجال الطوسي/ ٤٥. رجال الكشي/ ٦٧. رجال النجاشي/ ١٤٣. رجال البرقي/ ٨٥ سفينة البحار ٢/ ٣٠. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٥، ١٠٦ و٢/ ١٣٠ . ٢٧٨ و٣/ ٢٩٨ و٤/ ٢٧ و٥/ ١٩١ و٢٠/ ٢٢٤. الشعر والشعراء/ ٥٣٤. الطبقات الكبرى ٥/ ٣٣ و٦/ ١٢٣ و٧/ ١١٠. العقد الفريد ١/ ١٠٨ و٢/ ٥٦ و٣/ ٢٦٥ و٤/ ٢٥٧ و٥/ ٥٢ و٧/ ٩٩. الغارات ٢/ ١٠١١. الغدير ٢/ ٧٨ و٣/ ٩٣ و٦/ ١٤٣ و٨/ ٢٧١ و٩/ ٣١ و١٠/ ٣١ و١١/ ٤٢، ٢٢٢. فهرست النديم/ ١٣٩. قاموس الرجال ٥/ ١١٩. الكامل في التاريخ ٣/ ١٣٨. ١٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٨٣. اللباب ٢/ ٣١٤. مجالس المؤمنين ١/ ٢٩٠. مجمع الرجال ٣/ ٢١٢. مروج الذهب ٣/ ٤٧. المعارف/ ١٧٦. معجم الثقات/ ٢٨٧. معجم رجال الحديث ٩/ ١٠٤. المناقب ٣/ ١٦٧. منتهى المقال/ ١٦٨. ميزان الاعتدال ٢/ ٣١٥. مقاتل الطالبيين/ ٢٢. نقد الرجال/ ١٧٢. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٨، ٣٤٨، ٣٦٢، و٢/ ٢٨٣ و٤/ ٢٨٠. وقعة صفين/ ١٦٠، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٣٠١، ٣١٥، ٤٥٧، ٤٨٠، ٤٨١.



(١) وللسيد علي بن الحسين الهاشمي، كتاب عن حياته ط في لبنان.



ضرار بن ضمرة(١)

«القلب الصادق في الولاء»

١ - **خصائص الأئمة** عليه السلام: ذكروا أنّ ضرار بن ضمرة الضبابي دخل على معاوية بن أبي سفيان وهو بالموسم فقال له: صف علياً.

قال: أوَتعفني؟

قال: لا بدّ أن تصفه لي.

قال: كان والله أمير المؤمنين عليه السلام، طويل المدى، شديد القوى، كثير الفكرة، غزير العبرة، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا دعوناه ويعطينا إذا سألناه، ونحن والله مع قربه لا نكلّمه لهيبته، ولا ندنو منه تعظيماً له، فإن تبسّم فعن غير أشر(٢) ولا اختيال، وإن نطق فعن الحكمة وفصل الخطاب، يعظّم أهل الدِّين، ويُحبّ المساكين، ولا يطمع الغنيّ في باطله، ولا يوئس الضعيف من حقّه، فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا، إليك عنّي أبي تعرّضت أم لي تشوّقت؟ لا حان حينك، هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلّة الزاد، وطول المجاز، وبُعد السفر، وعظيم المورد!.

---

(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٤٤٢، ح ٧٧٦٢.
(٢) الأشر: البطر. وقيل: أشدُّ البطر (النهاية: ١/ ٥١).

قال: فوكفت[1] دموع معاوية ما يملكها، ويقول هكذا كان عليّ عليه السلام، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

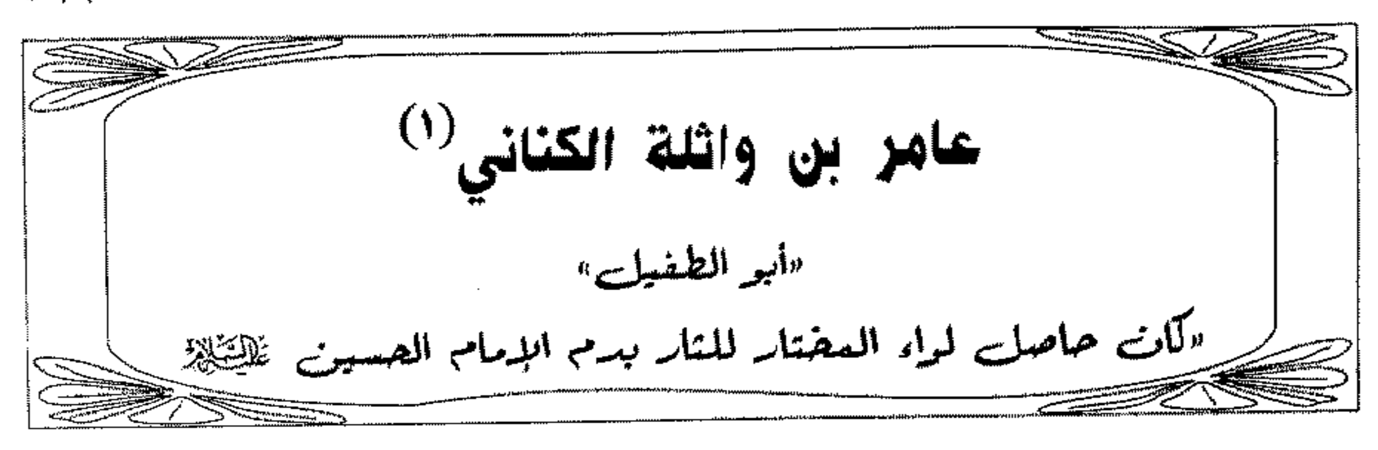
قال: حزني عليه والله حزن من ذُبح واحدُها في حجرها فلا ترقأ دمعتها ولا تسكن حرارتها.

مصادره

الاستيعاب ٢/ ٤٤. تحفة الأحباب/ ١٥٠. تنقيح المقال ٢/ ١٠٥. شرح ابن أبي الحديد ١٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦. الغدير ٢/ ٣١٩. قاموس الرجال ٥/ ١٤٩. مروج الذهب ٢/ ٤٣٣. معجم الثقات/ ٢٨٨. مجالس المؤمنين ١/ ٣١٣.



(١) وكف الدَّمع: إذا تقاطر (النهاية: ٥/ ٢٢٠).



عامر بن واثلة الكناني(١)

«أبو الطفيل»

«كان حامل لواء المختار للثأر بدم الإمام الحسين عليه السلام»

ولد عام أحد، وتوفي سنة ١٠٠، وهو آخر من مات من الصحابة وشهد مع علي صفين وكان من مخلصي أنصاره.

وقالت بعض المجلات: أن له ديوان شعر طبعه بعض مستشرقي الألمان.

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن علياً عليه السلام كان لا يعدل بربيعة أحداً من الناس فشق ذلك على مضر.

فقال حضين بن المنذر شعراً أغضب فيه مضراً، فقام أبو الطفيل فقال: يا أمير المؤمنين إنا والله ما نحسد قوماً خصهم الله منك بخير إن أحمدوه وشكروه، وإن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا وأنك لهم دوننا فاعفهم عن القتال أياماً، واجعل لكل امرىء منا يوماً نقاتل فيه، فإنا إن اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا(٢).

---

(١) أعيان الشيعة ج١١ ص٤٤٤، ح٧٧٧٠.

(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله الكناني الليثي، أبو الطُّفيل وهو بكنيته أشهر. ولد في السنة التي كانت فيها غزوة أُحد. أدرك ثماني سنين من حياة النبي صلى الله عليه وآله، ورآه، وهو آخر من مات من الصحابة.

وكان يقول: أنا آخر من بقي ممّن كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله.

كان من أصحاب عليّ عليه السلام وثقاته ومحبّيه وشيعته، وشهد معه جميع حروبه.

كان له حظّ وافر من الخطابة، وكان ينشد الشعر الجميل. كما كان مقاتلاً باسلاً في الحروب. خطب في صفّين كثيراً، وذهب إلى العسكر ومدح عليّاً عليه السلام بشعره النابع من شعوره الفيّاض. وافتخر بصمود أصحاب الإمام، وقدح في أصحاب الفضائح من الأمويّين وأخزاهم. وذكره نصر بن مزاحم بأنّه من «مخلصي الشيعة»، وأخبر عن مواقفه الرائعة. =

فقال علي عليه السلام: أعطيتم ما طلبتم وذلك يوم الأربعاء وأمر ربيعة أن تكف عن القتال، وكانت بأزاء اليمن من صفوف أهل الشام، فغدا عامر بن واثلة قومه من كنانة يوم الخميس وهم جماعة عظيمة فتقدم أمام الخيل وهو يقول: طاعنوا وضاربوا ثم حمل وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

قد صابرت في حربها كنانهْ   والله يجزيها بها جنانهْ
من أفرغ الصبر عليه زانهْ   أو غلب الجبن عليه شأنهْ
أو كفر الله فقد أهانهْ   غداً يعض من عصى بنانهْ

فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرف أبو الطفيل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نبأتنا أن أشرف القتل الشهادة، وأحظى الأمر الصبر، وقد والله صبرنا حتى أصبنا فقتيلنا شهيد وحينا ثائر، فاطلب بمن بقي ثار من مضى، فإنا وإن كنا قد ذهب صفونا وبقي كدرنا، فإن لنا ديناً لا يميل به الهوى، ويقيناً لا يزحم

=كان عامر بن واثلة حامل لواء المختار، عندما نهض للثأر بدم الإمام الحسين عليه السلام. وقيل: إنّه كان كيسانيّاً، واختلف فيه. والصحيح أنّه رجع إن كان كيسانيّاً. ساعدته مهارته في الكلام واستيعابه لمعارف الحقّ وإلمامه بكتاب الله على أن يتحدّث بصلابة، دفاعاً عن الحقّ، وتقريعاً لغير الكفوئين. لقد كان شخصيّة عظيمة، ذكره أصحاب الرجال بإجلال وإكبار. وقال الذهبي في حقّه: كان ثقةً فيما ينقله، صادقاً، عالماً، شاعراً، فارساً، عُمّر دهراً طويلاً.

تاريخ اليعقوبي: أتاه [عمرَ بن عبد العزيز] أبو الطفيل عامر بن واثلة وكان من أصحاب عليّ، فقال له: يا أمير المؤمنين! لِمَ منعتني عطائي؟

فقال له: بلغني أنّك صقلت سيفَك، وشحذت سنانك، ونصّلت سهمك، وغلّفت قوسك، تنتظر الإمام القائم حتى يخرج، فإذا خرج وفّاك عطاءك.

فقال: إنّ الله سائلك عن هذا.

فاستحيا عمر من هذا وأعطاه.

تاريخ دمشق عن أبي عبد الله الحافظ: سمعت أبا عبد الله - يعني محمّد بن يعقوب الأخرم - يقول وسُئل لِمَ ترك البخاري حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة؟

قال: لأنّه كان يفرط في التشيّع.

الشبهة، فأثنى عليه علي عليه السلام خيراً وقاتل يوم الجمعة عمير بن الحاجب بن زرارة في بني تميم، وقاتل يوم السبت قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد، وقاتل يوم الأحد عبد الله ابن الطفيل العامري في هوازن، فقال في ذلك الطفيل:

[البحر المتقارب]

حامت كنانة في حربها ... وحامت تميم وحامت أسدْ
وحامت هوازن يوم اللقاء ... فما حام منا ومنهم أحدْ
لقينا قبائل أنسابهم ... إلى حضرموت وأهل نجدْ
لقينا الفوارس يوم الخميس ... والعيد والسبت ثم الأحدْ
وامدادهم خلف أذنابهم ... وليس لنا من سوانا مددْ
فلما تنادوا بآبائهم ... دعونا معداً ونعم المعدْ
فظلنا نفلِّق هاماتهم ... ولم نكُ فيها ببيض البلدْ
ونعم الفوارس يوم اللقاء ... فقل في عديد وقل في عددْ
وقل في طعان كفرغ الدلاء ... وضرب عظيم كنار الوقدْ
ولكن عصفنا بهم عصفة ... وفي الحرب يمن وفيها نكدْ
طحنا الفوارس وسط العجاج ... وقنا الزعانف سوق النقدْ(١)
وقلنا عليٌّ لنا والدٌ ... ونحن له طاعة كالولدْ

قال نصر: وبلغ أبا الطفيل أن مروان وعمرو بن العاص وسعيداً يشتمونه فقال:

[البحر الطويل]

أيشتمني عمرو ومروان ضلة ... بحكم ابن هند والشقي سعيدْ
وحول ابن هند شائعون كأنهم ... إذا ما استقاموا في الحديث قرودْ
يعضون من غيظ علي أكفهم ... وذلك غم لا أجب(٢) شديدْ
وما سبني إلا ابن هند وأنني ... لتلك التي يشجى بها لرصودْ

---

(١) النقد بالتحريك جنس من الغنم قبيح الشكل.
(٢) لا انقطع. «المؤلف».

وما بلغت أيام صفين نفسه تراقيه والشامتون شهودْ
وطارت لعمرو في الفجاج شظية ومروان من وقع الرماح يحيدْ
وما لسعيد همة غير نفسه لعل التي يخشونها ستعودْ

وروى نصر في كتاب صفين، عن عمرو بن سمر، عن جابر الجعفي قال: سمعت تميم بن حذيم الناجي يقول لما استقام لمعاوية أمره: لم يكن شيء أحب إليه من لقاء عامر ابن واثلة، فلم يزل يكاتبه ويلطف له حتى أتاه، فلما قدم عليه سأله عن عرب الجاهلية، ودخل عليه عمرو بن العاص ونفر معه، فقال لهم معاوية: تعرفون هذا؟ هذا فارس صفين وشاعرها، هذا خليل أبي الحسن، ثم قال: يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك علياً؟

قال: حب أم موسى لموسى.

قال: فما بلغ من بكائك عليه؟

قال: بكاء العجوز الملغاة والشيخ الرقوب، وإلى الله أشكو تقصيري.

قال معاوية: ولكن أصحابي هؤلاء لو كانوا سئلوا عني ما قالوا في ما قلت في صاحبك.

قالوا: والله إنا لا نقول الباطل.

قال: لا والله ولا الحق، ثم قال معاوية هو الذي يقول:

[البحر الطويل]

إلى رجب السبعين تعترفونني مع السيف في خيلي واحمي عديدها

قال معاوية: يا أبا الطفيل أجزها فقال أبو الطفيل:

[البحر الطويل]

زحوف كركن الطود كل كتيبة إذا استمكنت منها يفل شديدها
كأن شعاع الشمس تحت لوائها مقارمها حمر النعام وسودها
شعارهم سيما النبي وراية بها ننصر الرحمن ممن يكيدها
لها شرعاء من رجال كأنها دواعي السباع نمرها وأسودها

يمورون مور الموج ثم ادعوا هم إلى ذات انذار كثير عديدها
إذا نهضت مدت جناحين منهم على الخيل فرسان قليل صدودها
كهول وشبان يرون دماءكم طهوراً وثارات لها تستعيدها
كأني أراكم حين تختلف القنا وزالت بأكفال الرجال لبودها
ونحن نكر الخيل كراً عليكم كخطف عتاق الطير طيراً يصيدها
إذا نعيت موتى عليكم كثيرة وعيت أمور غاب عنكم رشيدها
هنالك أما النفس تابعت الهدى ونار إذا ولت أوار شديدها
فلا تجزعوا أن أعقب الدهر دولة وأصبح مناكم قريباً يعيدها
فإن لأهل الحق لا بد دولة على الناس يرجى وعدها ووعيدها

فقالوا: نعم قد عرفناه هذا أفحش شاعر وآلم جليس.

فقال معاوية: يا أبا الطفيل أتعرف هؤلاء.

قال: ما أعرفهم بخير ولا أبعدهم من شر.

فأجابه خريم الأسدي والظاهر أنه أبو فاتك المذكور في محله:

[البحر الطويل]

إلى رجب أو غرة الشهر بعده يصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانين ألفاً دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش عبداً عاش فينا ومن يمت ففي النار يسقى مهلها وصديدها

ومن شعره قوله:

[البحر الطويل]

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبة وهن من الأزواج نحوي نوازعُ
وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيبتني الوقائعُ

ولما فني الجيش الذي أرسله الحجاج بن يوسف إلى بلاد رتبيل ولم ينج منه إلا القليل، جهز الحجاج جيشاً جديداً بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقد أراد الحجاج أن يقذف بهذا الجيش إلى بلاد رتبيل كما قذف الجيش الذي قبله فيتخلص من قادة العرب وفرسانهم باسم الفتح والجهاد.

يقول الطبري: كان الحجاج وليس في العراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث ومع ذلك فقد عهد إليه بقيادة الحملة الجديدة!!.

ولكن عبد الرحمان وجميع قواد الجيش وفرسانه لم تكن تخفى عليهم غايات الحجاج، فأبوا أن يتوغلوا بعيداً في بلاد العدو بعد أن رأوا مصير الجيش الذي سبقهم.

ولما أصر الحجاج على عبد الرحمان ليتقدم أكثر مما تقدم، عقد عبد الرحمان مؤتمراً عاماً من قادة الجيش وجمهوره ليشاورهم في الأمر، فكان مما قاله عبد الرحمان: إن الحجاج يأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس، وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم.

فثار إليه الناس فقالوا: لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع، وكان من بين الخطباء أبو الطفيل عامر بن واثلة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك، وإن نجا فلك.

إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم أخلعوا عدو الله الحجاج.

ولما وقعت الحرب بعد ذلك بين جموع الحجاج وجموع ابن الأشعث، كان الطفيل بن عامر ممن قتل، وقد كان قال وهو بفارس: يقبل مع عبد الرحمان من كرمان إلى الحجاج:

[البحر الطويل]

ألا طرقتنا بالغريين بعدما ... كللنا على شحط المزار جنوبُ
أتوك يقودون المنايا وإنما ... هوتها بأولانا إليك ذنوبُ
ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيبُ

ألا أبلغ الحجاج أن قد أصابه عذاب بأيدي المؤمنين مصيبُ

وقال عامر يرثي ابنه الطفيل:

[البحر البسط التام]

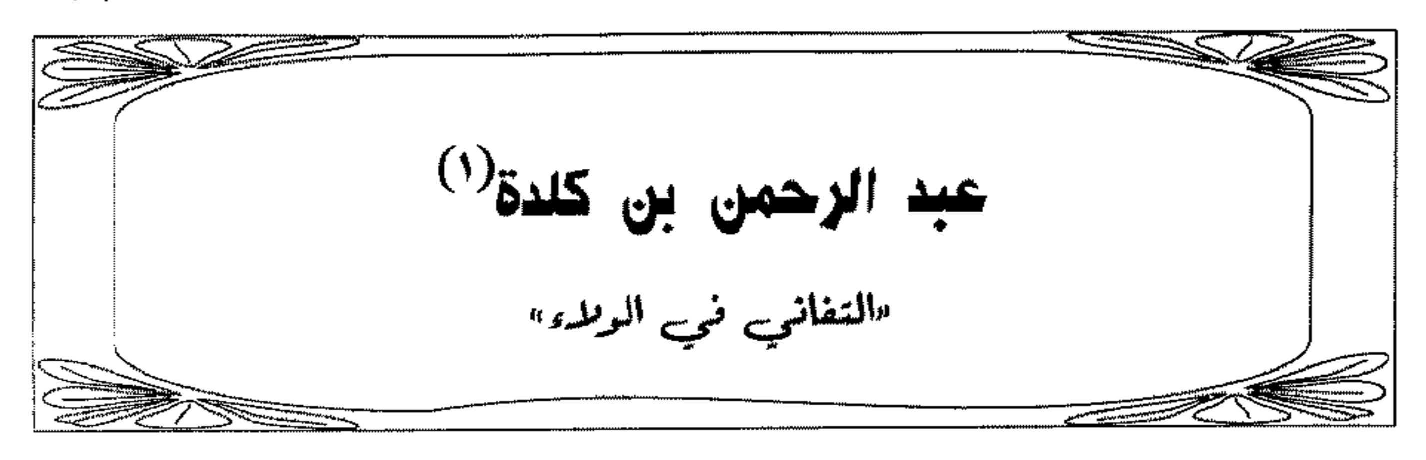
خلّى طفيل غلي الهم فانشعبا وهدّ ذلك ركني هدة عجبا
وابني سمية لا أنساهما أبداً فيمن نسيت وكل كان لي نصبا
وأخطأتني المنايا لا تطالعني حتى كبرت ولم يتركن لي نشبا
وكنت بعد طفيل كالذي نضبت عنه المياه وغاض الماء فانقضبا
فلا بعير له في الأرض يركبه وإن سعى إثر من قد فاته لغبا
وسار من أرض خاقان التي غلبت أبناء فارس في أربائها غلبا
ومن سجستان أسباب تزينهما لك المنية حيناً كان مجتلبا
حتى وردت حياض الموت فانكشفت عنك الكتائب لا تخفي لها عقبا
وغادروك صريعاً رهن معركة ترى النسور على القتلى بها عصبا
تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا وأسلموا للعدو السبي والسلبا
يا سوأة القوم إذ تسبى نساؤهم وهم كثير يرون الخزي والحربا

مصادره:

إتقان المقال/ ٧٥. أخبار شعراء الشيعة/ ٢٤. الاستيعاب ٣/ ١٤ وج٤/ ١١٥. أسد الغاب ٣/ ٩٦. الاشتقاق/ ١٧٢. الإصابة ٢/ ٢٦١ وج٤/ ١١٣. أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٩. الأعلام ٤/ ٢٦. الأنساب/ ورقة٨٨. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٥. البداية والنهاية ٩/ ١٩٠. تأسيس الشيعة/ ١٨٦. تاريخ بغداد ١/ ١٩٨. تاريخ الخلفاء/ ٢٤٨. تحفة الأحباب/ ١٦٠. تقريب التهذيب ١/ ٣٨٩. تنقيح المقال ٣/ ١١٧. تهذيب التهذيب ٥/ ٨٢. تاريخ جرجان/ ١٣٣. جامع الرواة ١/ ٤٢٨. الجرح والتعديل ٦/ ٣٢٨. جمهرة أنساب العرب/ ١٨٣. خزانة الأدب ٢/ ٩١. خلاصة الأقوال/ ١٩٢. رجال ابن داود/ ١١٣. رجال الشيخ الطوسي/ ٤٧. رجال الكشي/ ٩٤. رجال البرقي/ ٤. سفينة البحار ٢/ ٨٦. شذرات الذهب ١/ ١١٨. ابن أبي الحديد ٥/ ٢٤٤ و٦/ ١١٤، ١١٩ و٨/ ٣٨.= =الشعر والشعراء/ ٢٥١ . ٢٥٣. الطبقات الكبرى ٥/ ٤٥٧. العقد الفريد ٣/ ٢٦٠. الغدير ١/ ٤٨ . الفهارس/ ١٨٧. الغارات ١/ ١٠٠، ٢٨٦، ٣٣١ و٢/ ٤٥٧، ٤٩٢، ٥١٣، ٥٧٠ ٧٥٥٧، ٧٠٨، ٧١٨، ٧٢٥. الفوائد الرجالية ١/ ٣٩٢. قاموس الرجال ٥/ ١١٩. الكامل في التاريخ ٢/ ١٧١ . ١٧٣، ٢٩٨. الكنى والألقاب ١/ ١١١. اللباب ١/ ١٧٠ و٢/ ١١٩. مجمع الرجال ٣/ ٢٤١. مرآة الجنان ١/ ٢٠٧. المعارف/

١٤٩. معجم الثقات/ ٦٦. معجم رجال الحديث ٩/ ٢٠٣. معجم الشعراء/ ١٤٧. المناقب ٣/ ١٦٩. منتهى المقال/ ١٧١. النجوم الزاهرة ١/ ٢٤٣. نقد الرجال/ ١٧٨. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣١٤ و٢/ ٨٦، ٢٣١، ٣٥١، ٤/ ١٧٦. وقعة صفّين/ ٢٠٢، ٣٠٩، ٣١٠، ١٢ ٣، ٣١٣، ٣٥٩، ٤٧٨، ٥٥٤، ٥٥٥. وفيات الأعيان ٥/ ٤٠٦. هدي الساري/ ٤١٢.





عبد الرحمن بن كلدة[1]

"التفاني في الولاء"

وقعة صفّين عن عبد الرحمن بن حاطب: خرجت ألتمس أخي في القتلى بصفّين، سويداً، فإذا برجل قد أخذ بثوبي، صريع في القتلى، فالتفتّ فإذا بعبد الرحمن بن كلد، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هل لك في الماء؟.

قال: لا حاجة لي في الماء قد أُنفذ فيَّ السلاح وخرّقني، ولست أقدر على الشرب، هل أنت مبلغ عنّي أمير المؤمنين رسالة فأرسلك بها؟

قلت: نعم.

قال: فإذا رأيته فاقرأ عليه منّي السلام، وقل: يا أمير المؤمنين، احمل جرحاك إلى عسكرك، حتى تجعلهم من وراء القتلى، فإنّ الغلبة لمن فعل ذلك.

ثمّ لم أبرح حتى مات، فخرجت حتى أتيت علياً فدخلت عليه فقلت: إنّ عبد الرحمن بن كلدة يقرأ عليك السلام.

قال: وعليه، أين هو؟.

قلت قد والله يا أمير المؤمنين أنفذه السلاح وخرّقه فلم أبرح حتى توفّي، فاسترجع.

قلت: قد أرسلني إليك برسالة.

قال: وما هي؟

قلت: قال: يا أمير المؤمنين، إحمل جرحاك إلى عسكرك، حتى تجعلهم من وراء القتلى، فإنّ الغلبة لمن فعل ذلك.

---

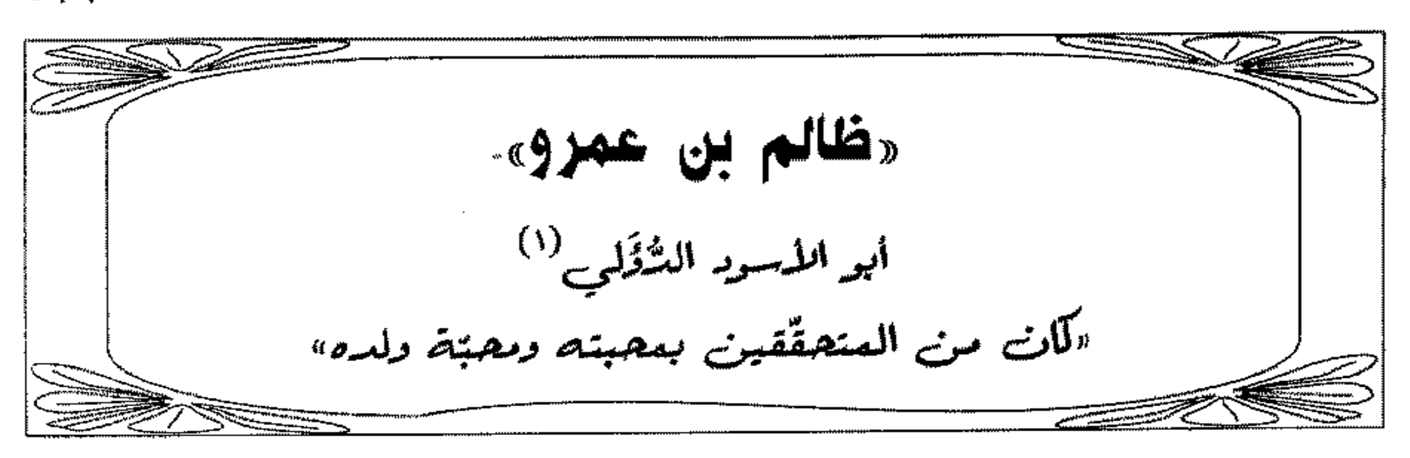
(١) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٥٢٢، ح ٧٨٦٣.

قال: صدق والذي نفسي بيده. فنادى منادي العسكر: أن احملوا جرحاكم إلى عسكركم، ففعلوا ذلك.

مصادره

تاريخ الطبري: ٥/ ٢٧٦. الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٩٨. تاريخ دمشق: ٨/ ٢٦.
الأغاني: ١٧/ ١٥٦. وقعة صفين: ٣٩٤.





«ظالم بن عمرو»

أبو الأسود الدُّؤَلي(١)

«كان من المتحقّقين بمحبته ومحبّة ولده»

ظالم بن عمرو، أبو الأسود الدُّؤلي، أدرك حياة رسول الله ﷺ وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب وتوفي سنة ٦٩ في خلافة عمر بن عبد العزيز عن عمر يناهز ٨٥ عاماً.

(والدئل) بضم الدال وكسر الهمزة، ولا نظير لها في كلام العرب، أي لم يرد في كلامهم ما أوله مضموم وثانية مكسورة إلا هذه اللفظة، وهو في الأصل اسم لابن آوى، ولدويبة كابن عرس. قال الشاعر:

[البحر المنسرح]

جاؤوا بجيش ما كان مغرسه   في الأرض إلا كمغرس الدئل

وسمي به الدئل بن محلم بن غالب أبو قبيلة في الهون ابن خزيمة والنسبة دؤلي ودولي بفتح عينهما وديلي كخيري، ودئلي بكسرتين نادر(٢).

قال وفي شرح اللمع للأصبهاني: أبو الأسود ظالم بن عمرو الدئلي.

إنما هو بكسر الدال وفتح الهمزة نسبة إلى وائل وهي قبيلة أخرى غير المقدمة.

وقال ابن القطاع: ابن الدئل في كنانة رهط أبي الأسود.

كان أبو الأسود من علماء التابعين، وأصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام،

---

(١) أعيان الشيعة ج١١ ص٤٤٠، ح٧٧٥٩.
(٢) القاموس.

وحضر معه صفين، وينسب إليه وضع علم النحو، أخذه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم، وفعل، وحرف.

وأراد زياد منه أن يكتب في ذلك كتاباً فلم يقبل إلى أن سمع يوماً قارئاً يقرأ: إن الله بريء من المشركين ورسوله، بكسر لام رسوله، فوضع كتاباً في النحو وهو أول كتاب كتب[1].

وكان خطيباً عالماً، جمع شدة العقل وصواب الرأي، وجودة اللسان، وقول الشعر والظرف[2].

وقال **الراغب في المحاضرات**، عند ذكر أبي الأسود: وهو أول من نقط المصحف وأسس أساس النحو، بإرشاد علي عليه السلام.

وقيل: إن أول من نقط المصحف يحيى بن يعمر العدواني تلميذ أبي الأسود الآتي في بابه.

وفي كتاب الحيوان: أكل أعرابي مع أبي الأسود الدئلي فرأى له لقماً منكراً وهاله ما يصنع فقال له: ما اسمك؟.

قال: لقمان.

قال: صدق أهلك أنت لقمان.

قالوا: وكان له دكان لا يسع إلا مقعده وطبيقاً يوضع بين يديه وجعله مرتفعاً، ولم يجعل له عتباً كي لا يرتقي إليه أحد قالوا: فكان أعرابي يتحين وقته ويأتيه على فرس فيصير كأنه معه على الدكان، فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها، فإذا رأى الأعرابي قد أقبل أراه كأنه يحول متكأه، فإذا قعقعت الدبة بالحصى نفر الفرس، فلم يزل الأعرابي يدانيه ويقعقع هو به حتى نفر منه فصرعه، فكان لا يعود بعد ذلك إليه «اهـ».

وفي **كتاب البخلاء**، قال أبو الأسود: ليس من العز أن تتعرض للذل، ولا

---

(١) صحائف العالم.

(٢) البيان والتبيين شرح السندوبي.

من الكرم أن تستدعي اللؤم، ومن أخرج ماله من يديه افتقر ومن افتقر فلا بد له أن يضرع، والضرع لؤم وإن كان الجود شقيق الكرم، فالأنفة أولى بالكرام «اهـ»[(١)].

---

(١) هو ظالم بن عمرو، المعروف بأبي الأسود الدُّؤلي. أحد الوجوه البارزة والصحابة المشهورين للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنّه لم يَحْظَ برؤيته. وهو من المتحقّقين بمحبّة عليّ ومحبّة ولده. ويمكن أن نستشفّ هذا الحبّ من أشعاره الحِسان.

الذين ترجموا له ذكروه بعناوين متنوّعة منها: «علويّ»، «شاعر متشيّع»، «من وجوه الشيعة».

شَهِد أبو الأسود حروب الإمام عليه السلام ضد مساعير الفتنة في الجمل وصفين، وعينه الإمام عليه السلام قاضياً على البصرة عندما ولّى عليها ابن عبّاس.

وكان ابن عبّاس يقدّره، وحينما كان يخرج من البصرة، يُفوّض إليه أعمالها، وكان ذلك يحظى بتأييد الإمام عليه السلام أيضاً. ووسّع أبو الأسود علم النحو بأمر الإمام عليه السلام الذي كان قد وضع أُسسه وقواعده، وأقامه ورسّخ دعائمه، وهو أوّل من أعجم القرآن الكريم وأشكله.

وله في الأدب العربي منزلة رفيعة؛ فقد عُدّ من أفصح الناس. وتبلور نموذج من هذه الفصاحة في شعره الجميل الذي رثى به الإمام عليه السلام، وهو آية على محبّته للإمام، وبغضه لأعدائه.

ولم يدّخر وسعاً في وضع الحقّ موضعه، والدفاع عن عليّ عليه السلام، ومناظراته مع معاوية دليل على صراحته وشجاعته وثباته واستقامته في معرفة «خلافة الحقّ» و«حقّ الخلافة» ومكانة عليّ عليه السلام العليّة السامقة.

وخطب بعد استشهاد الإمام عليه السلام خطبة حماسيّة من وحي الألم والحرقة، وأخذ البيعة من الناس للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة.

فارق أبو الأسود الحياة سنة ٦٩ هـ.

ربيع الأبرار: سأل زياد بن أبيه أبا الأسود عن حبّ عليّ فقال: إنّ حبّ عليّ يزداد في قلبي جِدّة، كما يزداد حبّ معاوية في قلبك؛ فإنّي أُريد الله والدار الآخرة بحبّي عليّاً، وتريد الدنيا بزينتها بحبّك معاوية، ومثلي ومثلك كما قال أُخوة مذحج:

[البحر المتقارب]

خليلان مختلفٌ شأنُنا أريد العلاء ويهوى اليمنْ

أُحبّ دماء بني مالك وراق المُعَلّى بياض اللبنْ

العقد الفريد: لمّا قَدِمَ أبو الأسود الدؤلي على معاوية عام الجماعة[(١)]، قال له معاوية: بلغني يا أبا الأسود أنّ عليّا بن أبي طالب أراد أن يجعلك أحد الحكمين، فما كنت تحكم به؟. =

---

(١) عام الجماعة: هو العام الذي سلم فيه الإمام الحسن عليه السلام الأمر لمعاوية، وذلك في جمادى الأولى سنة (٤١هـ) (جواهر المطالب: ٢/ ١٩٩).

. . . .

= قال: لو جعلني أحدهما لجمعت ألفاً من المهاجرين وأبناء المهاجرين، وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار، ثمّ ناشدتهم الله: المهاجرين وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطُّلَقاء؟
قال له معاوية: لله أبوك! أيُّ حَكَم كنت تكون لو حُكّمت!
تاريخ دمشق: كان أبو الأسود ممّن صحب عليّاً، وكان من المتحققين بمحبّته ومحبّة ولده، وفي ذلك يقول:

[البحر الوافر]

يقول الأرذلون بنو قُشَيرٍ طَوالَ الدهر لا ينسى عليّا
أُحبّ محمّداً حبّاً شديداً وعبّاساً وحمزة والوصيّا
فإن يكُ حبّهم رشداً أُصبْه وليس بمخطئٍ إن كان غيّا

وكان نازلاً في بني قُشَير بالبصرة، وكانوا يرجمونه بالليل لمحبّته لعليّ وولده، فإذا أصبح فذكر رجمهم، قالوا: الله يرجمك، فيقول لهم: تكذبون، لو رجمني الله لأصابني، وأنتم ترجمون فلا تُصيبون.
سير أعلام النبلاء عن أبي الأسود: دخلت على عليّ، فرأيته مطرقاً، فقلت: فيم تتفكّر يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أضع كتاباً في أُصول العربيّة. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا! فأتيته بعد أيّام، فألقى إليّ صحيفة فيها: الكلام كلّه: اسم، وفعل، وحرف؛ **فالاسم** ما أنبأ عن المسمّى، **والفعل** ما أنبأ عن حركة المسمّى، **والحرف** ما أنبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل. ثمّ قال لي: زده وتتبّعه، فجمعت أشياء ثمّ عرضتها عليه.
الأغاني: قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم - يعنون به النحو -؟ فقال: أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
الأربعون حديثاً عن عليّ بن محمّد: رأيت ابنة أبي الأسود الدؤلي وبين يدي أبيها خَبيص فقالت: يا أبه، أطعِمني، فقال: افتحي فاك. قال: ففتحت، فوضع فيه مثل اللوزة، ثمّ قال لها: عليك بالتمر؛ فهو أنفع وأشبع.
فقالت: هذا أنفع وأنجع؟
فقال: هذا الطعام بعث به إلينا معاوية يخدعنا به عن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
فقالت: قبّحه الله! يخدعنا عن السيّد المطهّر بالشهدالمزعفر؟ تبّاً لمرسله وآكله! ثمّ عالجت نفسها وقاءت ما أكلت منه، وأنشأت تقول باكية:

[البحر الوافر]

أبا الشهد المُزعفَر يا بن هندٍ نبيع إليك إسلاماً ودينا
فلا والله ليس يكون هذا ومولانا أمير المؤمنينا

شعره

قال في رثاء أمير المؤمنين عليه السلام:

[البحر الوافر]

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا فابكي أمير المؤمنينا
رزئنا خير من ركب المطايا ... وخيسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
فكل مناقب الخيرات فيه ... وحب رسول رب العالمينا
وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الدين لا يرتاب فيه ... ويقضي بالفرائض مستبينا
ويدعو للجماعة من عصاه ... وينهك قطع أيدي السارقينا
وليس بكاتم علماً لديه ... ولم يخلق من المتجبرينا
ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
ومن بعد النبي فخير نفس ... أبو حسن وخير الصالحينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسباً ودينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا
كأن الناس إذ فقدوا علياً ... نعام جال في بلد سنينا
فلا والله لا أنسى علياً ... وحسن صلاته في الراكعينا
وتبكي أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأتِ اليقينا
ولو أنا سئلنا المال فيه ... بذلنا المال فيه والبنينا
فلا تشمت معاوية بن حرب ... فإن بقية الخلفاء فينا
واجمعنا الإمارة عن تراضٍ ... إلى ابن نبينا وإلى أخينا
فلا نعطي زمام الأمر فينا ... سواه الدهر آخر ما بقينا
وإن سراتنا وذوي حجانا ... تواصوا أن نجيب إذا دعينا
بكل مهند عضب وجرد ... عليهن الكماة مسومينا

ورواه عبيد الله بن أبي بكر وعليه جبة خلقة، فأرسل له جبة جديدة فقال:

[البحر الطويل]

كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت مادحا بمدحك من أعطاك والعرض وافر

وله:

[البحر الوافر]

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألقِ دلوك في الدلاءِ
يجيء بملئها طوراً وطوراً يجيء بحمأة وقليل ماءِ
ولا تقعد على كسل تمنى تحيل على المقادر والرجاءِ
فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق العباد من السماءِ
بقبض أو ببسط أو بقدر وعجز المرء أسباب البلاءِ

وله:

[البحر الرمل]

لا يكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما الغيث معهْ

وله يرثي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

[البحر الرمل]

يا من بمقتله دهي الدهر قد كان منك ومنهم أمرُ
زعموا قتلت وعندهم عذر كذبوا وقبرك ما لهم عذرُ
يا قبر سيدنا المجن سماحة صلى عليك الله يا قبرُ
ما ضر قبراً أنت ساكنه أن لا يمر بأرضه القطرُ
فليعدلن سماح كفك قطره وليروقن بقربك الصخرُ
وإذا رقدت فأنت منتبه وإذا انتبهت فوجهك البدرُ
وإذا غضبت تصدعت فرقاً منك الجبال وخافك الذعرُ
يا ساكن القبر السلام على من حال دون لقائه القبرُ
يا هاجري إذ جئت زائره ما كان من عاداتك الهجرُ
والله لو بك لم أدع أحداً ألا قتلت لفاتني الوترُ

قال جامع مجموعة الأمثال المنقول منها هذه الأبيات قوله:

(يا ساكن القبر) والبيت بعده: كأن هذين البيتين تضمين لأنهما يرويان لنديم كان لأبي زبيد الطائي، فلما أخبروه بموت أبي زبيد وقف على قبره وقال البيتين.

وكان زياد ابن أبيه وقد ولى نعيم بن مسعود النهشلي والحصين بن الحر العنبري عملاً من أعمال فارس، فكتب أبو الأسود إليهما كتاباً يلتمس منهما الرفد، فأما نعيم فقرأ كتابه ووصله وأجابه، وأما الحصين فألقى كتابه ولم يقرأه فكتب أبو الأسود:

[البحر الطويل]

حبست كتابي إذ أتاك تعرضاً لسيبك لم يذهب رجائي هنالكا
وخبّرني من كنت أرسلت إنما أخذت كتابي معرضاً بشمالكا
نظرت إلى عنوانه ونبذته كنبذك نعلاً اخلقت من نعالكا
نعيم بن مسعود أحق بما أتى وأنت بما تأتي حقيق بذلكا
يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون الجهل إلا كذلكا

وله:

[البحر الكامل]

من مبلغ عني خليلي مالكا رسولاً إليه حيث كان من الأرضِ
فما لك مسهوماً إذا ما لقيتني تقطع عني طرف عينك كالمغضيِ
فسل بي ولا تستحي مني فإنه كذلك بعض الناس يسأل عن بعضِ

وله:

[البحر الطويل]

أعود على المولى وإن زل حلمه بحلمي وكان العود أبقى وأحمدا
وكنت إذا المولى بدا لي غشه تجاوزت عنه وانتظرت به غدا
لتحكمه الأيام أو لترده علي ولم أبسط لسانا ولا يدا

وله:

[البحر الوافر]

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى عليّا
أحب محمداً وبنيه حقاً وعباساً وحمزة والوصيّا
فإن يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطىء إن كان غيّا

وله:

[البحر الطويل]

أبى القلب إلا أم عمرو وحبها عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفنّدِ
كثوب اليماني قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليدِ

وله:

[البحر الكامل]

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميمُ
والوجه يشرق في الظلام كأنه بدر منير والسماء نجومُ
وكذاك من عظمت عليه نعمة حساده سيف عليه صرومُ
فاترك مجاراة السفيه فإنها ندم وغب بعد ذاك وخيمُ
وإذا جريت مع السفيه كما جرى فكلاكما في جريه مذمومُ
وإذا عتبت على السفيه ولمته في مثل ما يأتي فأنت ظلومُ
يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيمُ
إبدأ بنفسك وانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى بالرأي منك وينفع التعليمُ
تصف الدواء وأنت أولى بالدوا وتعالج المرضى وأنت سقيمُ
وكذاك تلقح بالرشاد عقولنا أبداً وأنت من الرشاد عقيمُ
ويل الشجي من الخلي فإنه نصب الغواة بشجوه مغمومُ
وترى الخليَّ قرير عين لاهياً وعلى الشجيِّ كآبة وهمومُ
ويقول ما لك لا تقول مقالتي ولسان ذا طلق وذا مكظومُ

لا تكلمن عرض ابن عمك ظالما فإذا فعلت فعرضك المكلومُ
وحريمه أيضاً حريمك فاحمه كيلا يباح لديك منه حريمُ
وإذا اقتضضت من ابن عمك كلمة فكلامه لك إن فعلت كلومُ
وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليمُ
فإذا رآك مسلماً ذكر الذي حملته فكأنه محتومُ
فارْجُ الكريم وإن رأيت جفاءه فالعتب منه والفعال كريمُ
وعجبت للدنيا ورغبة أهلها والرزق فيما بينهم مقسومُ
والأحمق المرزوق أحمق من أرى من أهلها والعاقل المحرومُ
ثم انقضى عجبي لعلمي أنه قدر موافٍ وقته معلومُ

وقال في الحسن بن رجاء:

[البحر الكامل]

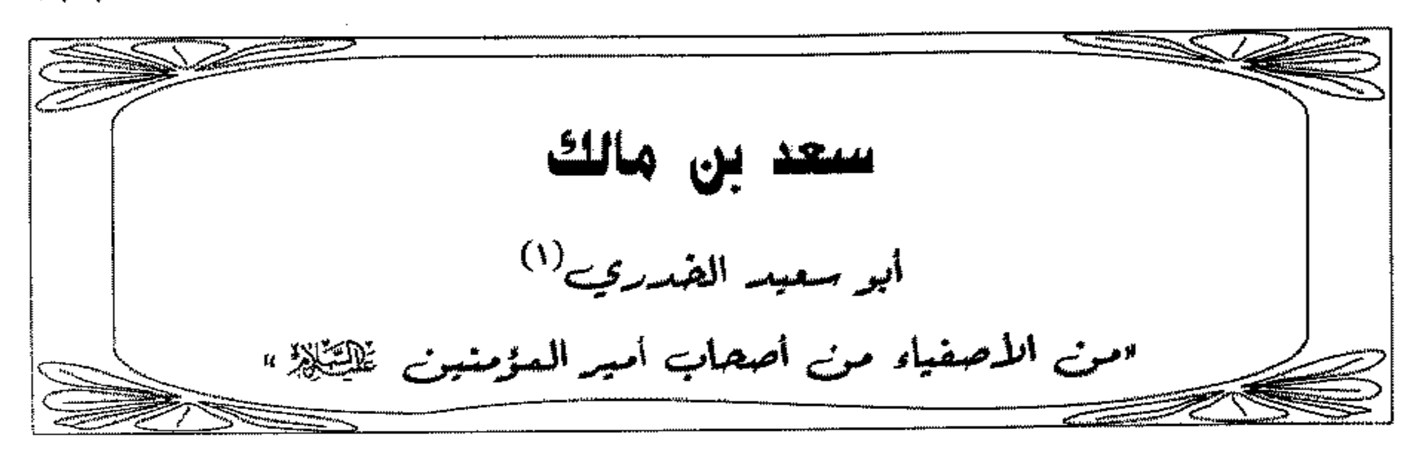
ما زلت تركب كل شيء قائم حتى اجترأت على ركوب المنبرِ
ما زال منبرك الذي خلفته بالأمس منك لحائض لم تطهرِ
فلأنظرنَّ إلى الحبال وأهلها وإلى منابرها بطرف اخزرِ

مصادره

إتقان المقال/ ٢٤٢. أخبار شعراء الشيعة/ ٢٧. الأخبار الطوال/ ١٦٦، ٢٠٥. الاشتقاق/ ١٧٥، ٣٢٥. الإصابة ٢/ ٢٤١. أنساب الأشراف ٣/ ٢٢١. الأعلام ٣/ ٣٤٠. الأنساب/ ٤٦٣. البداية والنهاية ٨/ ٣١٢. بغية الوعاة/ ٢٤٧. تأسيس الشيعة/ ٤٦، ١٨٦. تحفة الأحباب/ ١٥٥. تقريب التهذيب ١/ ٣٨٢. تنقيح المقال ٢/ ١١١. تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧ و١٢/ ١٠. تهذيب المقال ١/ ٢٠١. تاريخ جرجان/ ٣٤٢. جامع الرواة ١/ ٤٢٣. الجرح والتعديل ٤/ ٥٠٣. جمهرة أنساب العرب/ ١٨٥. الجمل/ ١٤٨. خزانة الأدب/ ١٣٦. رجال ابن داود/ ١١٢. رجال الطوسي/ ٤٦. سفينة البحار ١/ ٦٦٩. شذرات الذهب ١/ ٧٦، ١١٤. الشعر والشعراء/ ٦١٥. شاعرات العرب/ ٢٥. ابن أبي الحديد ١/ ٢٠، ٢٤٩، ٣١٩ و٢/ ٥٠ و٣/ ٥٧، ١٨٨ و٤/ ٤٣ و٥/ ٤٦، ٨٨ و٦/ ٤٧ ٢٢٦. الطبقات الكبرى ٧/ ٩٩. العقد الفريد ١/ ١٦٢ و٢/ ٧٠ و٣/ ٥٠ و٥/ ٩٣ و٧/ ١٧٦ و٨/ ٩. الغدير ٢/ ٣٠، ١٤٦ و٣/ ١٩، ٩٣، ١٩١، ٢٣٢ و٨/ ٣٠٦ و٩/ ١٠٦، ٢٩٤. الغارات ٢/ ٣٨٨، ٣٩١، ٥٥٠. قاموس الرجال ٥/ ١٧١. الكامل في التاريخ ٣/ ٢١١، ٣٣٨، ٣٨٦، ٣٩٥، ٣٩٨. الكنى والألقاب ١/ ٩. اللباب ١/ ٥١٤. مجمع الرجال ٣/ ٢٣٢. مرآة الجنان ١/ ١٤٤، ٢٠٣. المشتبه ١/ ٢٩٢.

المعارف/ ١٩٢. معجم الثقات/ ٢٨٩. معجم الشعراء/ ١٥١. منتهى المقال/ ١٧٠. مجالس المؤمنين ١/ ٣٢٣. النجوم الزاهرة ١/ ١٨٤. نقد الرجال/ ١٧٥. وقعة صفّين/ ٨١١٧ وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥ . ٥٣٨. هدى الساري/ ٢١٩.





سعد بن مالك

أبو سعيد الخدري[1]

«من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام»

سعد بن مالك بن شيبان بن عبيد بن ثعلبة، ابن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو سعيد الخدري الأنصاري العرني المدني مشهور بكنيته.

في أسد الغابة: توفي سنة ٧٤ يوم الجمعة ودفن بالبقيع.

وفي منهج المقال، عن تقريب ابن حجر: توفي في المدينة سنة ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥، وقال ابن الأثير توفي سنة ٧٣.

والخدري عن جامع الأصول: بضم المعجمة وسكون المهملة، منسوب إلى خدرة واسمه الأبجر بن عوف وقيل: خدرة أم أبجر والأول أشهر، وهم بطن من الأنصار منهم أبو سعيد الخدري.

صفته

في أسد الغابة: كان يحفي شاربه ويصفر لحيته.

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول، وأصحاب علي عليه السلام.

وروى الكشي في ترجمة ابن مسعود وحذيفة، عن الفضل بن شاذان، أنه ذكر من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، وعد جماعة منهم: أبو سعيد الخدري.

ونقل العلامة في آخر الباب الأول من الخلاصة، عن البرقي: أنه من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) أعيان الشيعة ج١١ ص١٨٩، ح٧٢٠٦.

وفيما كتبه الرضا للمأمون من محض الإسلام الولاية لأولياء أمير المؤمنين عليه السلام . الذين مضوا على منهاج الرسول، ولم يبدلوا ولم يغيروا بعد نبيهم؛ وعد فيهم: أبو سعيد الخدري.

وعن كشف الغمة، عن أبي هارون العبدي: كنت أرى رأي الخوارج حتى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعته يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة.

فقال له رجل: يا أبا سعيد ما هذه الأربع التي عملوا بها.

قال: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فقلت: فما الواحدة التي تركوها.

قال: ولاية علي بن أبي طالب (الحديث).

وقال الحسين عليه السلام يوم كربلاء لما احتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، وإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم»** وعدد جماعة من الصحابة فيهم أبو سعيد الخدري.

وقال الكشي: (أبو سعيد الخدري) حمدويه.

حدثنا أيوب، عن عبد الله بن المغيرة، حدثني ذريح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أبو سعيد الخدري فقال: كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان مستقيماً، فنزع ثلاثة أيام فغسله أهله ثم حملوه إلى مصلاه فمات فيه.

محمد بن مسعود، حدثني الحسين بن أشكيب، أخبرنا محسن بن أحمد، عن أبان بن عثمان، عن ليث الموادي، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ أبا سعيد الخدري كان قد رزق هذا الأمر وأنه اشتد نزعه، فأمر أهله أن يحملوه إلى مصلاه الذي كان يصلي فيه ففعلوا، فما لبث أن هلك.

حمدوية، حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن عثمان، عن ذريح، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني أكره للرجل أن يعافى

في الدنيا ولا يصيبه شيء من المصائب، ثم ذكر أن أبا سعيد الخدري كان مستقيماً نزع ثلاثة أيام فغسله أهله ثم حملوه إلى مصلاه فمات فيه.

وفي أسد الغابة: من مشهوري الصحابة وفضلائهم، وهو من المكثرين من الرواية عنه، وأول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله، اثنتي عشرة غزوة.

أخباره

قال ابن الأثير في حوادث سنة **٣٩** فيها: أرسل معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة، وعامل علي عليها قثم بن العباس، فخطب قثم أهل مكة، ودعاهم لحرب الشاميين فلم يجيبوه، فعزم على مفارقة مكة ومكاتبة أمير المؤمنين، فنهاه أبو سعيد الخدري عن مفارقة مكة وقال له: أقم فإن رأيت منهم القتال وبك قوة وإلا فالسير عنها أمامك، فأقام وقدم ابن شجرة واستدعى أبا سعيد الخدري وقال له: إني أريد الإلحاد في الحرم ولو شئت لفعلت لما في أميركم من الضعف، فقل له: يعتزل الصلاة بالناس واعتزلها أنا ويختار الناس من يصلي بهم، فقال أبو سعيد لقثم ذلك، فاعتزل وصلى بالناس شيبة بن عثمان «اهـ».

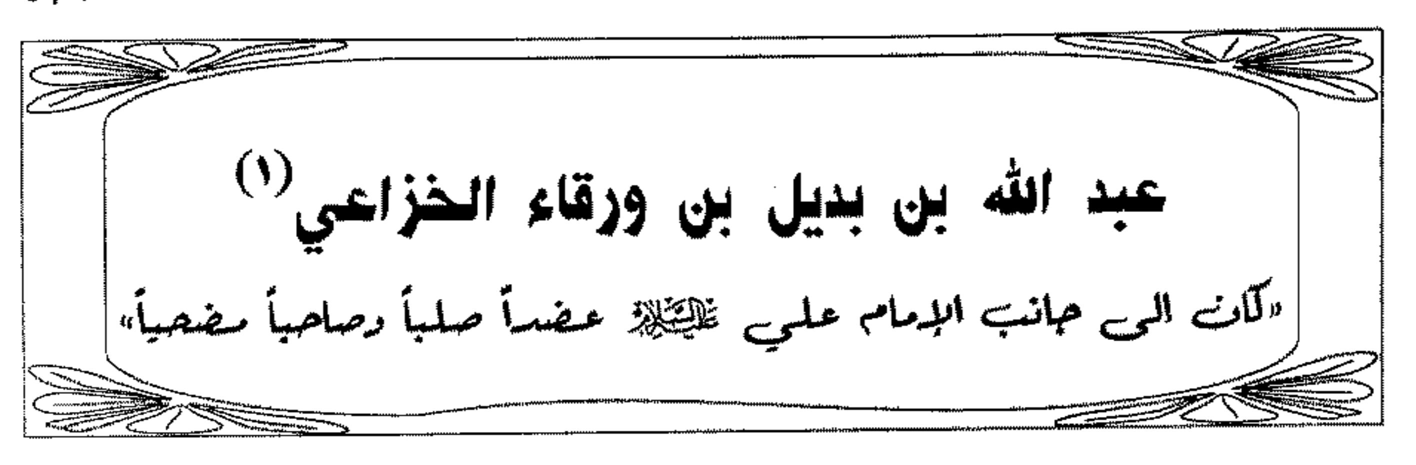
وهذا يدل على عقل ثابت ورأي ثاقب ومكانة في الناس لأبي سعيد.

مصادره

إتقان المقال/ ١٥٢. الأخبار الطوال/ ٣١٦. الاستيعاب ٤/ ٨٩. أسد الغاب ٢/ ٢٨٩ وفيه: سعد بن مالك بن شيبان. الاشتقاق/ ٤٥٥. الإصاب ٢/ ٣٥. أعيان الشيعة ٧/ ٢٢٧ وفيه: سعد بن مالك بن شيبان. الأعلام ٣/ ١٣٨. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٧ وج٩/ ٣. بهجة الأمال ٤/ ٣٤٠. تاريخ الطبري ١٣/ ٢٢ وفيه: مات سنة ٧٤. تاريخ بغداد ١/ ١٨٠. تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩. تحفة الأحباب/ ١٢١. تقريب التهذيب ١/ ٢٨٩. تهذيب التهذيب ٣/ ٤٧٩. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٤. جامع الرواة ٢/ ٣٨٨ وج١/ ٣٥٢، ٣٥٦. الجرح والتعديل ٤/ ٩٣. جمهرة أنساب العرب/ ٣٦٢. حلية الأولياء ١/ ٣٦٩. الدرجات الرفيعة/ ٣٩٦. رجال ابن داود/ ٢١٨. رجال الطوسي/ ٤٣. رجال البرقي/ ٢. سفينة البحار ١/ ٦٢٣. شذرات الذهب ١/ ٨١. ابن أبي الحديد ١/ ٥١. و٢٠/ ٢٣٨. الطبقات الكبرى ٣/ ٤٤١، ٤٥٣ و٤/ ٣٣٩ و٥/ ٩٠، ١٧٣، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤. طبقات الحفاظ/ ١١. العقد الفريد ٣/ ١٥٨، ٢٩٥ و٤/ ١٨٩ و٥/ ٥٤، ١٣٠ و٧/ ٢٦٤ و٨/ ٧١. العبر ١/ ٨٤. الغدير ١/ ٤٢. ٤٦، ١٥١،

١٧٦ . الفهارس/ ٤٧. الغارات ١/ ٢٨، ١٠١، ٣٥٧ و٢/ ٥٠٨، ٥١٠، ٦٥٧، ٨٣٢. قاموس الرجال ٤/ ٣٤٠. الكامل في التاريخ ٢/ ١٥١، ٢٧١ و٣/ ١٩١، ٣٧٨ و٤/ ٦٢، ١١٨، ٣٦٣. الكنى والألقاب ١/ ٨٢. مجمع الرجال ٣/ ١٠٨. مرآة الجنان ١/ ١٥٥. المعارف/ ٨١١٦ معجم رجال الحديث ٨/ ٨٨. منتهى المقال/ ١٤٩. النجوم الزاهرة ١/ ١٩٢. نقد الرجال/ ١٤٩. النهاية في غريب الحديث ١/ ١٧ و٥/ ٣٩٣. وقعة صفّين/ ٢١٦. وفيات الأعيان ٢/ ٣٩٢ و٣/ ٢٦٥ و٥/ ٣٦٧ و٦/ ٣٨٩.





عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي(١)

«كان الى جانب الإمام علي عليه السلام عضداً صلباً وصاحباً مضحياً»

شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، وقتل بصفين.

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين، أنه لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام. على المسير إلى صفين قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين أن القوم لو كانوا يريدون الله أو لله يعملون ما خالفونا، ولكن القوم إنما يقاتلون فراراً من الأسوة وحباً للأثرة، وضناً بسلطانهم، وكرها لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى أحن في أنفسهم وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم ثم التفت إلى الناس فقال: فكيف يبايع معاوية علياً وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في موقف واحد، والله ما أظن أن يفعلوا ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهمل المران، وتقطع على هامهم السيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أمور جمة بين الفريقين.

وقال نصر أيضاً: إنّ عبد الله بن بديل كان على ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين فقام في أصحابه فقال: إن معاوية ادعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزين لهم الضلال، وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الأمر وزادهم رجساً إلى رجسهم، وأنتم والله على نور من ربكم وبرهان مبين، قاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشونهم، وكيف وفي أيديكم كتاب من ربكم طاهر مبرور قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ

(١) أعيان الشيعة ج١٢ ص٥١، ح٧٩٨٧.

﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[(١)] وقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله، والله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبر، قوموا إلى عدو الله وعدوكم[(٢)].

وروى نصر بسنده عن الشعبي، أن عبد الله بن بديل الخزاعي كان مع علي بصفين يوم السابع من صفر سنة **٣٩** وعليه سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول:

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٢) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أسلم قبل فتح مكّة، وشهد حنيناً، والطائف، وتبوك، أشخصه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى اليمن مع أخيه عبد الرحمن. عدّه المؤرّخون من عظماء أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأعيانهم.
اشترك عبد الله في الثورة على عثمان. ثمّ كان إلى جانب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عضداً صلباً وصاحباً مُضحّياً. وشهد معه الجمل، وصفّين. وكان في صفّين قائد الرجّالة أو قائد الميمنة، وتولّى رئاسة قُرّاء الكوفة أيضاً.
تدلّ خُطبه وأقواله على أنّه كان يتمتّع بوعيٍ عظيم في معرفة أوضاع عصره، وأُناس زمانه، ودوافع أعداء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وقف عند قيام الحرب بكلّ ثبات، وقال: «إنّ معاوية ادّعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحقّ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزيّن لهم الضلالة... وأنتم والله على نورٍ من ربّكم، وبرهانٍ مبين».
دنا من معاوية بشجاعة محمودة وصولة لا هوادة فيها. فلمّا رأى معاوية أنّ الأرض قد ضاقت عليه بما رحُبت، أمر أن يرضخ بالصخر والحجارة ويُقضى عليه. فاستشهد عبد الله، وسمّاه معاوية: «كبش القوم»، وذكر شجاعته واستبساله متعجّباً، وذهب إلى أنّه فذّ لا نظير له في القتال. وعُدّ عبد الله أحد دُهاة العرب الخمسة.
واستشهد أخوه عبد الرحمن في صفّين أيضاً. ودافع عبد الله عن إمامه حتى آخر لحظة من حياته بكلّ ما أُوتي من جُهد. وعندما طلب منه رفيق دربه وصاحبه الأسود بن طهمان الخزاعي أن يوصيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، قال: «أُوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وأن تقاتل معه المحلّين حتى يظهر الحقّ أو تلحق بالله، وأبلغه عنّي السلام..».
وعندما بلغ الإمام صلوات الله عليه وسلامه قال:
«رحمه الله! جاهد معنا عدوّنا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة».

[البحر الرجز المجزوء]

لم يبق إلا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسيفا مصقل
ثم التمشي في الرعيل الأول مشي الجمال في حياض المنهل
والله يقضي ما يشاء ويفعل

فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية فأزله عن موقفه ومع معاوية عبد الله بن عامر واقفاً، فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بديل يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه.

وقتل الرجل وأقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر، فأما عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحم عليه وكان له أخاً وصديقاً.

فقال معاوية: أكشف عن وجهه.

فقال عبد الله: والله لا يمثل به وفي الروح.

فقال معاوية: أكشف عن وجهه فقد وهبته لك، فكشف عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة، اللهم اظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي، والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر:

[البحر الطويل]

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه لدى الشر يحمي الأنف أن يتأخرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا

ما أن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلت.

وقال عبد الله بن بديل يوم الجمل:

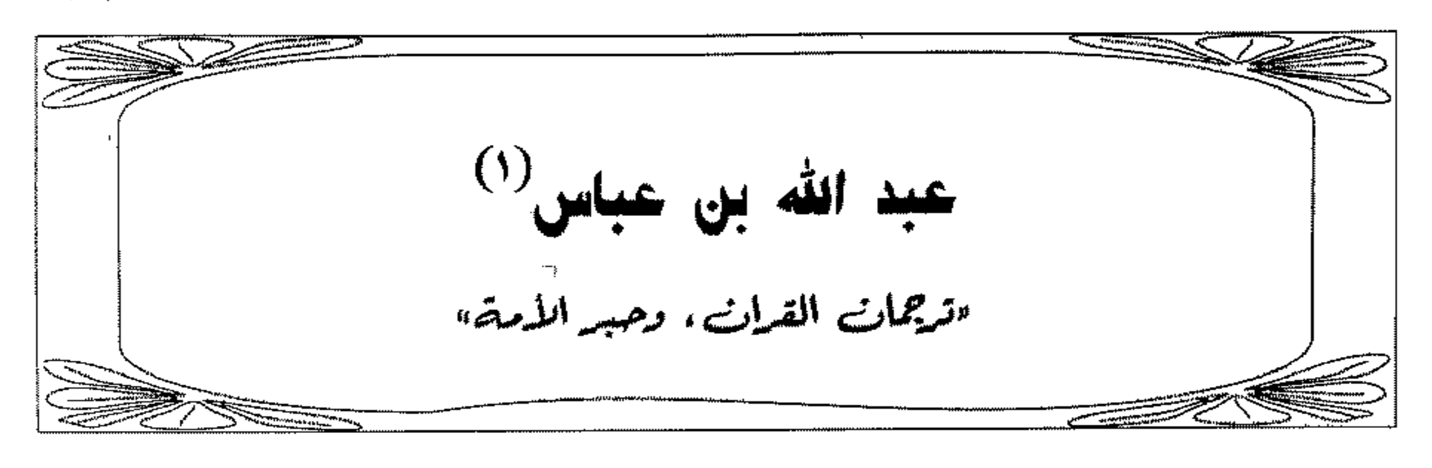
[البحر البسيط التام]

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصي وما للحرب من آسي
الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت تلك القبائل أخماسا لأسداسِ

مصادره

أسد الغاب ٣/ ٢٨٢. الإصابة ٢/ ٣٩٢. الاستيعاب ٢/ ٤١١. تنقيح المقال ٢/ ١٤١. جامع الرواة ١/ ٤٤٧. خلاصة الأقوال/ ١١٣. رجال ابن داود/ ١١٧. رجال الشيخ الطوسي/ ٤٦. سفينة البحار ٢/ ١١٧. شرح ابن أبي الحديد ٩/ ١١١. قاموس الرجال ٥/ ٢٨٤. مجمع الرجال ٤/ ٧٦. المشتبه ١/ ٥٥. معجم الثقات/ ٢٩٤. معجم رجال الحديث ٩/ ٣١٣. منتهى المقال/ ١٧٧. نقد الرجال/ ١٨٤. وقعة صفين/ ٣٣٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٨٤، ٤٠١، ٤٠٦.





عبد الله بن عباس(١)

«ترجمان القرآن، وحبر الأمة»

عبد الله بن عباس، بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف.

هو أول من أملى في تفسير القرآن، عن علي عليه السلام.

قال أبو الخير في طبقات المفسرين عند ذكره: هو ترجمان القرآن، وحبر الأمة، ورئيس المفسرين.

وعن عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، كان أصحاب القرآن عنده يسألونه وأصحاب الشعر عنده يسألونه، وأصحاب الفقه عنده يسألونه كلهم يصدرهم من وادٍ واسع(٢).

---

(١) أعيان الشيعة ج١٢ ص٦٢، ح٨٠٤٢.

(٢) عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب أبو العبّاس القرشي الهاشمي، من المفسّرين والمحدّثين المشهورين في التاريخ الإسلامي وُلِدَ بمكة في الشِّعب قبل الهجرة بثلاث سنين. وذهب إلى المدينة سنة ٨ هـ، عام الفتح، كان عمر يستشيره في أيام خلافته. وعندما ثار الناس على عثمان، كان مندوبه في الحجّ. ولمّا آلت الخلافة إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ. عليه السلام كان صاحبه، ونصيره، ومستشاره، وأحد ولاته وأمرائه العسكريّين.
كان على مقدّم الجيش في معركة الجمل، ثمّ ولي البصرة بعدها. وقبل أن تبدأ حرب صفّين، استخلف أبا الأسود الدؤلي على البصر وتوجّه مع الإمام. لحرب معاوية.
كان أحد أُمراء الجيش في الأيّام السبعة الأُولى من الحرب. ولازم الإمام بثباتٍ على طول الحرب.
اختاره الإمام عليه السلام ممثلاً عنه في التحكيم، بَيْدَ أنّ الخوارج والأشعث عارضوا ذلك قائلين: لا فرق بينه وبين عليّ عليه السلام.
حاورَ الخوارج مندوباً عن الإمام عليه السلام في النهروان مراراً. وأظهر في مناظراته الواعية=

. . . .

=عدمَ استقامتهم، وتزعزع موقفهم، كما أبان منزلة الإمام الرفيعة السامية، كان والياً على البصرة عند استشهاد الإمام عليه السلام.
بايع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وتوجّه إلى البصرة من قِبَله. ولم يشترك مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. وعلّل البعض ذلك بعماه.
لم يبايع عبد الله بن الزبير حين استولى على الحجاز، والبصرة، والعراق.
ومحمّد بن الحنفيّة لم يبايعه أيضاً، فكَبُرَ ذلك على ابن الزبير حتى همّ بإحراقهما.
كان ابن عبّاس عالماً له منزلته الرفيعة العالية في التفسير، والحديث، والفقه. وكان تلميذ الإمام عليه السلام في العلم مفتخراً بذلك أعظم افتخار.
توفّي ابن عبّاس في منفاه بالطائف سنة ٦٨ هـ وهو ابن إحدى وسبعين، وهو يكثر من قوله: «اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بمحمّدٍ وآله، اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية الشيخ عليّ بن أبي طالب» وفي رواية: لمّا حضرت عبد الله بن عبّاس الوفاة قال: «اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب».
خلفاء بني العبّاس من ذرّيّته وأخبر الإمام عليه السلام بهذا في خطابه لابن عبّاس «أبا الأملاك».
المستدرك على الصحيحين عن الزهري: قال المهاجرون لعمر بن الخطّاب: ادع أبناءنا كما تدعو ابن عبّاس.
قال: ذاكم فتى الكهول، إنّ له لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً.
أنساب الأشراف: إنّ ابن عبّاس خلا بعليٍّ حين أراد أن يبعث أبا موسى فقال: إنّي أخاف أن يخدع معاوية وعمرو أبا موسى فابعثني حكماً ولا تبعثه ولا تلتفت إلى قول الأشعث وغيره ممّن اختاروه فأبى، فلمّا كان من أمر أبي موسى وخديعة عمرو له ما كان، قال عليّ: لله درّ ابن عبّاس إنه كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.
مختصر تاريخ دمشق عن المدائني: قال عليّ بن أبي طالب في عبد الله بن عبّاس: إنّه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته بالأمور.
الجمل عن أبي مخنف لوط بن يحيى: لمّا استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العبّاس على البصرة، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله، ثمّ قال:
يا معاشر الناس! قد استخلفت عليكم عبد الله بن العبّاس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحقّ فأعلموني أعزله عنكم، فإنّي أرجو أن أجده عفيفاً تقيّاً ورعاً، وإنّي لم أُولّه عليكم إلاّ وأنا أظنّ ذلك به، غفر الله لنا ولكم.
وقعة صفّين: كان عليّ قد استخلف ابن عبّاس على البصرة، فكتب عبد الله بن عبّاس إلى عليّ يذكر له اختلاف أهل البصرة، فكتب إليه عليّ:=

. . . .

=من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس.
أمّا بعد، فالحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ عبده ورسوله.
أمّا بعد، فقد قدم عليّ رسولك وذكرت ما رأيت وبلغك عن أهل البصرة بعد انصرافي، وسأخبرك عن القوم:
هم بين مقيم لرغبة يرجوها، أوعقوبة يخشاها. فأرغب راغبهم بالعدل عليه، والإنصاف له والإحسان إليه، وحُلّ عقدة الخوف عن قلوبهم، فإنّه ليس لأمراء أهل البصرة في قلوبهم عظم إلاّ قليل منهم. وانتهِ إلى أمري ولا تعده، وأحسن إلى هذا الحيّ من ربيعة، وكلّ مَن قِبَلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله، والسلام.
مختصر تاريخ دمشق عن سفيان بن عيينة: ورد صعصعة بن صوحان على عليّ بن أبي طالب من البصرة، فسأله عن عبد الله بن عبّاس، وكان على خلافته بها، فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين، إنّه آخذ بثلاث وتارك لثلاث: آخذ بقلوب الرجال إذا حدّث، ويحسن الاستماع إذا حُدّث، وبأيسر الأمرين إذا خولف. تارك للمراء، وتارك لمقاربة اللئيم، وتارك لما يُعتذر منه.
رجال الكشّي عن الشعبي: لمّا احتمل عبد الله بن عبّاس بيت مال البصرة وذهب به إلى الحجاز، كتب إليه عليّ بن أبي طالب: من عبد الله عليّ بن أبي طالب إلى عبد الله بن عبّاس، أمّا بعد، فإنّي قد كنت أشركتك في أمانتي، ولم يكن أحد من أهل بيتي في نفسي أوثق منك لمواساتي وموازرتي وأداء الأمان إليّ، فلمّا رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب، والعدوّ عليه قد حرب، وأمانة الناس قد خربت، وهذه الأُمور قد قست، قلبت لابن عمّك ظهر المجن[1]، وفارقته مع المفارقين، وخذلته أسوأ خذلان الخاذلين.
فكأنّك لم تكن تريد الله بجهادك، وكأنّك لم تكن على بيّنة من ربّك، وكأنّك إنّما كنت تكيد أُمّة محمّد ﷺ على دنياهم، وتنوي غرّتهم[2]، فلمّا أمكنتك الشدّة في خيانة أُمّة محمّد أسرعت الوثبة وعجّلت العدوة، فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الأزلّ[3] رمية المعزى الكسير.
كأنّك - لا أبا لك - إنّما جررت إلى أهلك تراثك من أبيك وأُمّك، سبحان الله! أما تؤمن بالمعاد؟! أوَما تخاف من سوء الحساب؟! أوَما يكبر عليك أن تشتري الإماء، وتنكح النساء بأموال الأرامل والمهاجرين الذين أفاء الله عليهم هذه البلاد؟!.=

---

(١) ظَهرِ المِجَنّ: هذه كلمة تُضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مَودّة أو رعاية ثمّ حالَ عن ذلك (النهاية: ١/ ٣٠٨).
(٢) الغِرّة: الغَفْلة (النهاية: ٣/ ٣٥٤).
(٣) الأزلّ: بتشديد اللاّم: السريع الجري.

. . . .

=اردد إلى القوم أموالهم، فوالله لئن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأعذرنّ الله فيك، فوالله لو أنّ حسناً وحسيناً فعلا مثل ما فعلت، لما كان لهما عندي في ذلك هوادة، ولا لواحد منهما عندي فيه رخصة، حتى آخذ الحقّ، وأُزيح الجور عن مظلومها، والسلام.

قال: فكتب إليه عبد الله بن عبّاس: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك، تعظّم عليَّ إصابة المال أخذته من بيت مال البصرة، ولعمري إنّ لي في بيت مال الله أكثر ممّا أخذت، والسلام.

قال: فكتب إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أمّا بعد، فالعجب كلّ العجب من تزيين نفسك، أنّ لك في بيت مال الله أكثر ممّا أخذت، وأكثر ممّا لرجل من المسلمين، فقد أفلحت إن كان تمنّيك الباطل، وادّعاؤك ما لا يكون ينجيك من الإثم، ويحلّ لك ما حرّم الله عليك، عمّرك الله أنّك لأنت العبد المهتدي إذاً.

فقد بلغني أنّك اتّخذت مكّة وطناً وضربت بها عطناً[1]، تشتري مولّدات مكّة والطائف، تختارهنّ على عينك، وتعطي فيهنّ مال غيرك، وإنّي لأقسم بالله ربّي وربّك وربّ العزّة، ما يسرّني أنّ ما أخذت من أموالهم لي حلال أدعه لعقبي ميراثاً، فلا غرو، وأشدّ باغتباطك تأكله رويداً رويداً، فكأن قد بلغتَ المدى، وعُرضت على ربّك، والمحلّ الذي يتمنّى الرجعة، والمُضيّع للتوبة كذلك وما ذلك، ولات حين مناص! والسلام.

قال: فكتب إليه عبد الله بن عبّاس: أمّا بعد، فقد أكثرت عليَّ، فوالله لأن ألقى الله بجميع ما في الأرض من ذهبها وعقيانها أحبّ إليّ أن ألقى الله بدم رجل مسلم.

عيون الأخبار: وجدت في كتاب لعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى ابن عبّاس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ:

إنّي أشركتك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي، فلمّا رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب، والعدوّ قد حرب، قلبت لابن عمّك ظهر المجنّ بفراقه مع المفارقين، وخذلانه مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من أموال الأُمّة اختطاف الذئب الأزلّ دامية المعزى.

وفي الكتاب: ضحّ رويداً فكأن قد بلغت المدى، وعرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي به ينادي المغترّ بالحسرة، ويتمنّى المضيّع التوبة، والظالم الرجعة.

تاريخ الطبري: خرج عبد الله بن العبّاس من البصرة ولحق مكّة في قول عامّة أهل السِّيَر، وقد أنكر ذلك بعضهم، وزعم أنّه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قِبَل أمير المؤمنين=

(١) العطن: مبرك الإبل، المراح. (النهاية: ٣/٢٥٨).

. . . .

=عليّ عليه السلام حتى قُتل، وبعد مقتل عليّ حتى صالح الحسن معاوية، ثمّ خرج حينئذٍ إلى مكّة.

تاريخ اليعقوبي: كتب أبو الأسود الدؤلي ـ وكان خليفة عبد الله بن عبّاس بالبصرة ـ إلى عليّ يعلمه أنّ عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يأمره بردّها، فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردّنّها.

فلمّا ردّها عبد الله بن عبّاس، أو ردّ أكثرها، كتب إليه عليّ: أمّا بعد، فإن المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت، والسلام.

فكان ابن عبّاس يقول: ما اتّعظت بكلام قطّ اتّعاظي بكلام أمير المؤمنين.

كلام فيما نُسب إلى ابن عباسٍ من الخيانة

من الملاحظات المهمّة في حياة ابن عبّاس موضوع بيت المال بالبصرة؛ فقد جاء في المصادر التاريخيّة والحديثيّة **كتاريخ الطبري، والكامل في التاريخ، وأنساب الأشراف، ورجال الكشّي، ونهج البلاغة** (بلا ذكر لاسمه) وأمثالها أنّه أخذ من بيت مال البصرة ويختلف أنظار الباحثين حول هذا الموضوع على أقوال:

أ - أنكره بعض الباحثين وعلماء الرجال نظراً إلى:

* ضعف الأسانيد.
* جلالة ابن عبّاس وعلمه وفضله.
* ارتباطه الوثيق بالإمام عليّ عليه السلام وإخلاصه له وحبّه إيّاه.
* دور الأُمويّين في تشويه سمعة أصحاب الإمام عليه السلام.

ب - اعترف قسم منهم ببعض ما حصل، لأنّه ورد في كتب كثيرة، وتناقله الناس آنذاك، وانتُقِد ابن عبّاس عليه يومئذٍ، فلم يرَ هؤلاء أنّ إنكاره أمر سهل.

ج - أقرّ بعضهم بأصل الموضوع وبتذكير الإمام عليه السلام إيّاه، فذهبوا إلى أنّه وقف على خطئه، وأعاد أكثر الأموال أو بعضها. وهذا ما ذكره **اليعقوبي في تاريخه**، ويبدو أنّ اليعقوبي قد تفرّد في نقله، غير أنّه يمكن أن يكون مفيداً في تحليل الموضوع.

النقط المهمّة التي ينبغي ألاّ ننساها في مثل هذه الموضوعات هي دور المفتعِلين للحوادث والمُرجِفين. وقد وقف حسن بن زين الدين المشهور بصاحب المعالم على دور الأمويّين في اختلاق هذه الحادثة، وأكّده باحثون مثل **السيّد جعفر مرتضى العاملي**.

وسيتيسّر علينا فهم هذه النقطة إذا عرفنا أنّ ابن عبّاس - نظراً إلى مكانته السامية وسمعته العلميّة التي لا تُنكَر - كان المدافع الشجاع عن عليّ وآل عليّ عليهم السلام في ذلك العهد الأموي الأسود، كما كان المنتقد الجريء للأمويّين والكاشف عن فضائحهم. علماً أنّنا لا نقول=

وروى الكليني، بسنده عن الصادق عليه السلام. أن عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين عليه السلام. إلى ابن الكوا وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلة قالوا: يا بن عباس أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس.

فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾(١) وقال الله عز وجل: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ﴾(٢).

وأرسل معاوية يوم صفين أخاه عتبة إلى الأشعث بن قيس يستميله فلم يجد عنده ما يريد، فلما يئس منه قال لعمرو بن العاص: إن رأس الناس بعد علي هو عبد الله بن عباس، فلو ألقيت إليه كتاباً لعلك ترققه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج علي منه.

فقال له عمرو: إن ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فيه طمعت في علي.

فقال معاوية: علي ذلك، فاكتب إليه فكتب إليه عمرو أما بعد:

فإن الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء وإنت رأس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي ودع ما مضى، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولكم حياء ولا صبراً، واعلموا أن الشام وما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منّا ولسنا نقول: ليت الحرب عادت ولكنا نقول: ليتها لم تكن وإن فينا من يكره القتال كما أن فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع أو مأمور مطيع، أو مؤتمر مشاور، وهو أنت وكتب في أسفل الكتاب أبياتاً أولها:

=بعصمته، ولا ننكر احتمال خطئه، بَيْدَ أنّا نستبعد قبول جميع ما جاء في كتب التاريخ حول هذا الموضوع، ولا نراه لائقاً بشأن ابن عبّاس.

ولذا قال ابن أبي الحديد: قد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذّبت النقل وقلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفت الرواة، فإنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السِّيَر، وإن صرفته إلى عبد الله بن عبّاس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام، والكلام يُشعر بأنّ الرجل المخاطب من أهله وبني عمّه، فأنا في هذا الموضوع من المتوقّفين!.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

[البحر البسيط التام]

طال البلاء وما يرجى له آسي   بعد الآله سوى رفق ابن عباس

فلما قرأ بن عباس الكتاب، أتى به علياً فأقرأه شعره فضحك وقال: قاتل الله ابن العاص وما أغراه بك يا ابن العباس أجبه وليرد عليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر.

فكتب ابن عباس إلى عمرو: أما بعد فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياء منك أنه مال بك معاوية إلى الهوى وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت الناس في عشوة طمعاً في الملك فلما لم ترَ شيئاً أعظمت الدنيا أعظام أهل الذنوب، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع، فإن كنت ترضى الله بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك، وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي ابتدأها علي بالحق وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه، وليس أنا وأنت فيها بسواء أردت الله وأردت أنت مصر، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني وأعرف الشيء الذي قربك من معاوية، فإن ترد شراً لا نسبقك به وأن ترد خيراً لا تسبقنا إليه، ثم دعا الفضل بن العباس فقال له: يا بن أم أجب عمراً فقال الفضل:

[البحر البسيط التام]

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس   فاذهب فليس لداء الجهل من آسي

ثم عرض الشعر والكتاب على علي عليه السلام. فقال: لا أراه يجيبك بشيء بعدها أبداً إن كان يعقل ولعله يعود فتعود إليه، فلما انتهى الكتاب إلى عمرو أتى به معاوية فقال: أنت دعوتني إلى هذا ما كان أغناني وإياك عن بني عبد الطلب.

فقال: إن قلب ابن العباس وقلب علي قلب واحد وكلاهما ولدا عبد المطلب، وإن كان قد خشن فقد لان، وإن كان قد تعظم وعظم صاحبه فلقد قارب وجنح إلى السلم، وكان معاوية يكاتب ابن عباس فيجيبه بقول لين وذلك قبل أن تعظم الحرب، فلما قتل أهل الشام قال معاوية: إن ابن عباس رجل قريش وأنا كاتب إليه في عداوة بني هاشم لنا وأخوفه عواقب هذه الحرب لعله يكف عنا.

فكتب إليه: أما بعد فإنكم معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمادة منكم إلى أنصار عثمان، حتى أنكم قتلتم طلحة والزبير لمطلبهما دمه فإن يكن ذلك لسلطان بني أمية فقد وليها عدي وتيم أظهرتهم لهم الطاعة، وقد وقع من الأمر ما قد ترى وأكلت هذه الحروب بعضها من بعض حتى استوينا فيها فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم وما آيسكم منا آيسنا منكم، وقد رجونا غير الذي كان وخشينا دون ما وقع، ولستم بملاقينا اليوم بأحد من حد أمس، ولا غداً بأحد من حد اليوم، وقد قنعنا بما كان في أيدينا من ملك الشام فأقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق، وأبقوا على قريش فإنما بقي من رجلها ستة: رجلان بالشام أنا وعمرو، ورجلان بالعراق أنت وعلي، ورجلان بالحجاز سعد وابن عمر واثنان من الستة ناصبان لكم واثنان واقفان، وأنت رأس هذا الجمع اليوم، ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا إليك أسرع منا إلى علي «في كلام كثير» فلما انتهى الكتاب إلى ابن العباس أسخطه ثم قال حتى متى يخطب إلى عقلي وحتى متى أجمجم على ما في نفسي فكتب إليه: .

أما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة في أنصار ابن عفان وكراهيتنا لسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة، وأما طلحة والزبير فنقضا البيعة وطلبا الملك فقاتلناهما على النكث وقاتلناك على البغي.

وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش غير ستة: فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها، قد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك.

وأما أغراؤك إيانا بعدي وتيم: فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان خير منك، وقد بقي لك منا يوم ينسيك ما قبله ويخاف ما بعده.

وأما قولك إنه لو بايع الناس لي لاستقامت لي: فقد بايع الناس علياً وهو خير مني فلم يستقيموا له، وما أنت يا معاوية والخلافة وأنت طليق وابن طليق، فلما انتهى الكتاب إلى معاوية قال: هذا عملي بنفسي ولا والله لا أكتب إليه كتاباً سنة.

وأختاره علي عليه السلام للحكومة يوم صفين فقال: هذا ابن عباس أوليه ذلك وفي رواية عليكم بعبد الله بن عباس فارموا به عمراً، فإن عمراً لا يعقد عقدة إلا حلها عبد الله، ولا يحل عقدة إلا عقدها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه، ولا ينقض أمراً إلا أبرمه، فأبى الأشعث والقراء ذلك وقالوا: والله ما نبالي إن كنت أنت أو ابن عباس.

وعظ عائشة

وفي **مناقب ابن شهرآشوب**، أن أمير المؤمنين عليه السلام أنفذ يوم الجمل زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس إلى عائشة فوعظاها وخوفاها ثم نقل عن (رامش أفزاي) أنها قالت: لا طاقة لي بحجج علي.

فقال ابن عباس: لا طاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجج الخالق.

كان ابن عباس تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام وخريجه، مضافاً إلى ما أخذه عن النبي صلى الله عليه وآله، ولذلك كان يسمى: حبر الأمة، وصحبه في حروبه كلها: الجمل، وصفين، والنهروان، وولاه البصرة، وكان يعده لمهام الأمور، فقد أرسله إلى أم المؤمنين بعد حرب الجمل، فكان له في ذلك المقام المشهود والحجة القاطعة، وأراده للحكومة يوم صفين فأبى أهل الجباه السود العمي القلوب، وبعثه إلى الخوارج يوم النهروان فاحتج عليهم بأبلغ الحجج، وكان له في نصرة أمير المؤمنين وأبنائه مواقف مشهودة.

منها لما مر بصفة زمزم وسمع شامياً يسب علياً عليه السلام.

ومنها مع عبد الله بن الزبير ومع معاوية، وهو الذي كتب إلى يزيد بعد قتل الحسين عليه السلام بما كتب، وكان يمسك بركاب الحسنين عليهما السلام إذا ركبا.

وروى **الكشي** بسنده أنه قال: لما حضرته الوفاة. اللهم إني أحيا ما حيي عليه علي بن أبي طالب، وأموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب.

أخذ مال البصرة

وقد نسب إليه أنه فارق أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ مال البصرة وذهب إلى مكة، وأنكر ذلك جماعة.

روى الكشي في رجاله، بسنده عن الزهري، عن الحارث قال: استعمل علي صلوات الله عليه على البصرة عبد الله بن عباس فحمل كل مال في بيت المال بالبصرة ولحق بمكة، وكان مبلغه ألفي ألف درهم، فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى فقال: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره، يفعل مثل هذا، فكيف يؤمن من كان دونه «الحديث».

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠ في هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول أكثر أهل السير، وقد أنكر ذلك بعضهم وقال: لم يزل عاملاً عليها لعلي حتى قتل علي، وشهد صلح الحسن مع معاوية، ثم خرج إلى مكة والأول أصح، وإنما كان الذي شهد صلح الحسن عبيد الله بن عباس «اهـ».

ثم ذكر سبب خروجه وهو أنه مر بأبي الأسود (وكان على قضاء البصرة) فقال: لو كنت من البهائم لكنت جملاً، ولو كنت راعياً لما بلغت المرعى.

فكتب أبو الأسود إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك.

فكتب إلى ابن عباس في ذلك.

فكتب إليه ابن عباس: أن الذي بلغك باطل.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت وفيما وضعت.

فكتب إليه ابن عباس: قد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك إني رزأته فابعث إلى عملك من أحببت، وخرج واستدعى أخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها، فحمل مالاً وقال: هذه أرزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة يريدون أخذ المال فمنعته قيس ومضى إلى مكة «اهـ».

وفي نهج البلاغة، من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ولم يصرح باسم المكتوب إليه، والكتاب يتضمن ذماً عظيماً للمكتوب إليه، **ولكن الكشي في رجاله**، روى بسنده عن الشعبي: أن المكتوب إليه هو عبد الله ابن عباس لما احتمل بيت مال البصرة وذهب به إلى الحجاز، وذكر الكتاب بطوله، **وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج أيضاً**.

ومن جملته: فإني أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين، وخنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، ولا الأمانة أديت، وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم، فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم، فحملته إلى الحجاز غير متأثم من أخذه، كأنك لا أباً لغيرك حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك، فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد، أو ما تخاف نقاش الحساب أيها المعدود عندنا، كان من أولي الألباب، ووالله لو أن الحسن والحسين فعلاً مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة.

وبعد تصريح الكشي بأن المكتوب إليه ابن عباس لا حاجة إلى ما حكاه ابن أبي الحديد عن أصحاب القول الأول من أنهم استدلوا على ذلك بألفاظ من الكتاب كقوله: أشركتك في أمانتي إلخ، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك، وقوله: ابن عمك ثلاث مرات، وقوله: لا أباً لغيرك، وهذه كلمة لا تقال إلا لمثله، أما غيره من أفناء الناس فكان يقال له: لا أباً لك[1]، قوله: أيها المعدود عندنا من أولي الألباب، وقوله: لو إن الحسن والحسين الدال على أن المكتوب إليه قريب من أن يجري مجراهما عنده.

جواب ابن عباس

قال الكشي وابن أبي الحديد واللفظ للثاني: فكتب إليه ابن عباس جواباً عن هذا الكتاب: أتاني كتابك تعظم علي ما أصبت من بيت مال البصرة، ولعمري أن حقي في بيت المال أكثر مما أخذت.

فكتب إليه علي عليه السلام: إن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين وقد بلغني أنك

(١) في كتاب الكشي: لا أبالك، ولعله من سبق القلم أو تحريف فأمير المؤمنين عليه السلام جل من أن يقول ذلك لعمه وابن عمه.

اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً، تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف، تختارهن على عينك، وتعطي فيهن مال غيرك، فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى ربك، واخرج إلى المسلمين من أموالهم فعما قليل تفارق من ألفت، وتترك ما جمعت، وتغيب في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد فارقت الأحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، غنياً عما خلفت فقيراً إلى ما قدمت.

فكتب إليه ابن عباس: إنك قد أكثرت علي، ووالله لأن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها وذهبها وعقيانها ولجينها أحب إلى من أن ألقاه بدم امرىء مسلم.

قال المؤلف ما ذكره ابن الأثير من أنه واجه أبا الأسود بهذا الكلام البشع يصعب تصديقه، فابن عباس كان أعرف بفضل أبي الأسود من كل أحد، فكيف يواجهه بهذا الكلام الذي لا يصدر إلا من الأسافل، وابن عباس من فضله وكمال معرفته لا يمكن أن يفوه بمثل هذا مهما كان السبب الداعي إليه، والذي يظهر أن ناسب ذلك إليه أراد الحط من مقام أبي الأسود وابن عباس معاً لغرض في نفسه، وذلك لإخلاصهما في حب علي عليه السلام وتشيعهما له.

أما ما رواه أصحاب القول الأول من المكاتبة بين أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس، فإن أمكننا تصديقه لم يمكننا تصديق الجواب الأخير منه، المشتمل على قول ابن عباس، لأن ألقى الله بكذا أحب إليَّ من أن ألقى الله بدم امرىء مسلم، فابن عباس مع فضله المشهور كيف يعيب أمير المؤمنين عليه السلام بقتل من أمر الله بقتله وقتاله بقوله: «فقاتلوا التي تبغى» وهبه أراد التمويه والاقتداء بمن قال: إن عماراً قتله من ألقاه إلينا، افتراه كان يجهل أن ذلك مما يعيبه به الناس ويوجب سقوطه من نفوسهم، وهو كان شريكاً في تلك الدماء، فيعيب نفسه قبل أن يعيب غيره، وهو ليس بمضطر إلى هذا الجواب كما اضطر من أجاب عن قتل عمار، وإن كان قصده بهذا الجواب إبداء عذره أمام الناس فلم يصنع شيئاً لأن الناس يعلمون أنه جواب فاسد، وأنه شريك في تلك الدماء، فيزداد بذلك لو ما عندهم بدلاً من أن يعذروه، ولو قصد ذلك لاقتصر على جوابه الأول إنه له حقاً

في بيت المال فأخذه، فلما أجابه علي عليه السلام: أنك أخذت أكثر من حقك، كان يمكنه أن يجيب بجواب مموه يدل على أنه ليس أكثر من حقه، فيكون أقرب إلى القبول من هذا الجواب، الذي يعرف فساده كل أحد ومن ذلك يتطرق الشك إلى باقي المكاتبة وجوابتها.

المكتوب إليه عبيد الله لا عبد الله

وحكى ابن أبي الحديد الراوندي: أن المكتوب إليه هو عبيد الله لا عبد الله ورده بأن عبيد الله كان عاملاً لعلي على اليمن، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالاً ولا فارق طاعة قال: وقد أشكل علي أمر هذا الكتاب، فإن قلت إنه موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام خالفت الرواة فإنهم أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين وهو يشعر بأن المخاطب به من أهله وبني عمه «اهـ».

أقول: تصريح الكشي بأنه لأمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن عباس وظهور مضامينه ظهوراً بيناً، في أنه لا يصلح أن يكون المخاطب به غير ابن عباس لم يبق مجال لتردده.

ويظهر أن أمر مفارقته علياً عليه السلام وإخذه مال بيت مال البصرة كان مشهوراً، فقد حكي عن قيس بن سعد بن عبادة أنه خطب الجيش الذي أرسله الحسن عليه السلام للقاء معاوية عندما تركهم أميرهم عبيد الله بن العباس وذهب إلى معاوية فقال ما معناه: لا يهولنكم ما فعل، فإن هؤلاء قد خرج أبوهم العباس لحرب الرسول صلى الله عليه وآله وابنه عبد الله أخذ مال البصرة وهرب إلى مكة وابنه عبيد الله فعل ما ترون.

وقد عيره بذلك ابن الزبير فقال: إنه أخذ مال البصرة وترك المسلمين بها يرتضخون النوى، ولم يتبرأ ابن عباس من ذلك بل أجابه بأنه كان لنا فيه حق فأخذناه.

وقال ابن أبي الحديد: الأكثرون على القول الأول، وقال آخرون وهم

الأقلون: هذا لم يكن، ولا فارق عبد الله بن عباس علياً عليه السلام، ولا باينه ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل علي عليه السلام، ثم قال: وهذا عندي هو الأمثل والأصوب «اهـ».

وقال العلامة في الخلاصة: كان محباً لعلي عليه السلام وتلميذه، حاله في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يخفى، وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً فيه وهو أجل من ذلك «اهـ».

ومن جملة تلك الأحاديث، حديث مفارقته علياً عليه السلام وأخذه مال بيت مال البصرة المتقدم، والحديث الآتي من كتاب أمير المؤمنين إليه في ذلك وجوابه.

وقال الشهيد الثاني في حاشية الخلاصة: جملة ما ذكره الكشي من الطعن فيه خمسة أحاديث كلها ضعيفة السند.

وقال السيد ابن طاووس: حاله في المحبة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وموالاته، والنصر له والذب عنه والخصام في رضاه، والمؤازرة مما لا شبهة فيه، ثم قال معرضاً بأخبار الذم: ومثل الحبر موضع أن يحسده الناس ويباهتوه:

[البحر الكامل]

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً أنه لدميمُ

قال: ولو ورد في مثله ألف رواية أمكن أن تعرض للتهمة، فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيكة «اهـ».

قال ابن أبي الحديد: ويدل على عدم مفارقة ابن عباس أمير المؤمنين عليه السلام، ما رواه أبو الفرج الأصفهاني أنه لما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام دس معاوية رجلاً من حمير إلى الكوفة ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان له بالأخبار فدل عليهما فقتلا.

فكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى معاوية أما بعد: فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش إلى آخر الكتاب، فهو يدل على وجوده في البصرة عند وفاة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: وقالوا: كيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية ويجره إلى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم بالأموال، فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وما كان يثني به على أمير المؤمنين ويذكر خصائصه وفضائله ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك «اهـ».

قال المؤلف: إنكار أخذ ابن عباس المال من البصرة، وإنكار كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه المقدم ذكره، صعب جداً بعد ملاحظة ما تقدم، ولا يحتاج فيه إلى تصحيح روايات الكشي، وبعدما ذكرناه من الشواهد على اشتهار الأمر في ذلك، كما إن إخلاص ابن عباس لأمير المؤمنين عليه السلام وتفوقه في معرفة فضله لا يمكن إنكاره، والذي يلوح لي أن ابن عباس لما ضايقه أمير المؤمنين عليه السلام في الحساب عما أخذ ومن أين أخذ وفيما وضع كما يقتضيه عدله، ومحافظته على أموال المسلمين، وعلم أنه محاسب على ذلك أدق حساب وغير مسامح في شيء، سولت له نفسه أخذ المال من البصرة والذهاب إلى مكة، وهو ليس بمعصوم وحب الدنيا مما طبعت عليه النفوس، فلما كتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام ووعظه وطلب منه التوبة تاب وعاد سريعاً، وعدم نص المؤرخين على عودته لا يضر بل يكفي ذكرهم أنه كان بالبصرة عند وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، كما دل عليه كتابه السابق إلى معاوية.

أما الجواب الأخير الذي زعموا أنه أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام فمعاذ الله أن يصدر منه، والله العالم بحقائق الأحوال.

وقد جاء في الجزء الأول من أمالي المرتضى: روى أبو عبيدة قال: دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان: أخبرني عن صاحبك يعني الحسن البصري إلى أن قال: فقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة فقال له: فكيف يقول هذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام،

وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي إلى الأموال، وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه، وقالوا: أنه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة؟ هذا باطل.

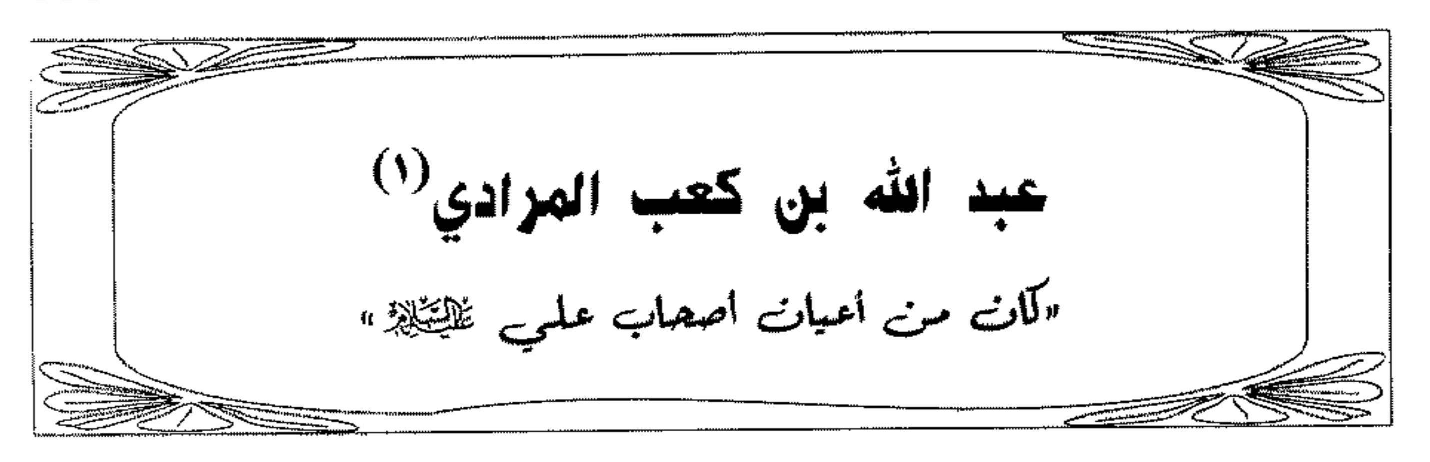
وقال عبد الله بن العباس في أمير المؤمنين علي عليه السلام:

[البحر الطويل]

وصـي رسـول الله مـن دون أهـلـه   وفـارسـه إن قـيـل هـل مـن مـنـازلِ
فـدونـكـه إن كـنـت تـبـغـي مـهـاجـراً   أشـك كـنـصـل الـسـيـف غـيـر حـلاحـلِ

مصادره

إتقان المقال/ ٣١٣، أخبار شعراء الشيعة/ ٣٠. الأخبار الطوال/ ١٤١، ١٤٦، ١٥٢، ١٧١، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٤، ٣٠٩. الاستيعاب ٢/ ٣٥٠. أسد الغابة ٣/ ١٩٢ الاشتقاق/ ١٧٧. الإصابة ٢/ ٣٣٠. أعلام نهج البلاغة/ ٣٢. أنساب الأشراف ٣/ ١٥، ٢٩، ١٦١، ١٦٢. الأعلام ٤/ ٢٢٨. الإمامة والسياسة ١/ ٧٩. البداية والنهاية ٧/ ٢٢٩ وج٨/ ٢٩٥. تأسيس الشيعة/ ٣٢٢، ٣٤١. تاريخ الطبري ١٣/ ٢١. تاريخ بغداد ١/ ١٧٣. تاريخ الخلفاء/ ١٦٨. تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠. تحفة الأحباب/ ١٨٦. تقريب التهذيب ١/ ٤٢٥. تنقيح المقال ٢/ ١٩١. تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٦. تاريخ جرجان/ ١٥٧. الفهرست.. جامع الرواة ١/ ٤٩٤. الجرح والتعديل ٥/ ١١٦. جمهر أنساب العرب/ ١٩. الجمل/ ١٤٠. حلية الأولياء ١/ ٣١٤. خلاصة الأقوال/ ١٠٣. الدرجات الرفيعة/ ٩٩. الدر المنثور/ ٥٥. رجال ابن داود/ ١٢١. رجال الشيخ الطوسي/ ٤٦. رجال الكشي/ ٥٣. رجال البرقي/ ٢. سفينة البحار ٢/ ١٥٠. شاعرات العرب/ ٣٢٠. شذرات الذهب ١/ ٧٥. ابن أبي الحديد ١/ ١٩، ١٥٠، ١٧٣، ١٨٧ وفي كافة مجلداته. الشعر والشعراء/ ٢٨٦، ٤١٠، ٦١٥، ٧٣٢. الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦٥. طبقات الحفاظ/ ١٠. طبقات القراء ١/ ٤٢٥. العقد الفريد ٨/ ٦٢. الفهارس.. العبر ١/ ٧٦. الغدير ١/ ٤٩. الفهارس/ ٢٠٣. الغارات ٢/ ١٠٢٠. الفوائد الرجالية ١/ ٣٤٤، ٣٦٠. فهرست النديم/ ١٣٩، ٢٥٩. قاموس الرجال ٦/ ٢. الكامل في التاريخ ١٣/ ٢٠٤. الفهارس.. الكنى والألقاب ١/ ٣٤٦. مجمع الرجال ٤/ ١٠. مرآة الجنان ١/ ١٤٣. مروج الذهب= =٢/ ٣٦٩ و٣/ ١٠٨. المعارف/ ٥٣. مجالس المؤمنين ١/ ١٨٣. معجم الثقات/ ٢٩٩. معجم رجال الحديث ١٠/ ٢٢٩. المناقب ٣/ ١٦٨، ٢٠٠. منتهى المقال/ ١٩٠. النجوم الزاهرة ١/ ١٨٢. نقد الرجال/ ٢٠١. نكت الهميان/ ١٨٠. النهاية في علم غريب الحديث ٥/ ٤٠٧. وقعة صفين/ ١٠٥. ١٠٧، ٤١٠. ٤١٦، ٤٦٣. ٥٥٣. وفيات الأعيان ٣/ ٦٢. ٦٤.



عبد الله بن كعب المرادي[1]

«كان من أعيان أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ»

شهادته سنة ٣٠٧ في صفين

قال ابن عبد البر في **الإستيعاب**: قتل يوم صفين وكان من أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ «هـ».

وفي **الإصابة**: قتل يوم صفين وكان من أعيان أصحاب علي، ذكره أبو عمر مختصراً «اهـ».

كان من أعيان الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقعة صفّين عن عبد الرحمن بن عبد الله: إنّ عبد الله بن كعب قتل يوم صفّين، فمرّ به الأسود بن قيس بآخر رمق فقال: عزّ عليّ والله مصرعك، أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولو رأيت الذي اشعرك لأحببت ألاّ يزايلني حتى أقتله أو يُلحِقَني بك.

ثمّ نزل إليه فقال: رحمك الله يا عبد الله، والله إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله.

قال: أُوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وأن تقاتل معه المحلّين، حتى يظهر الحقّ أو تلحق بالله. وأبلغه عنّي السلام وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب.

---

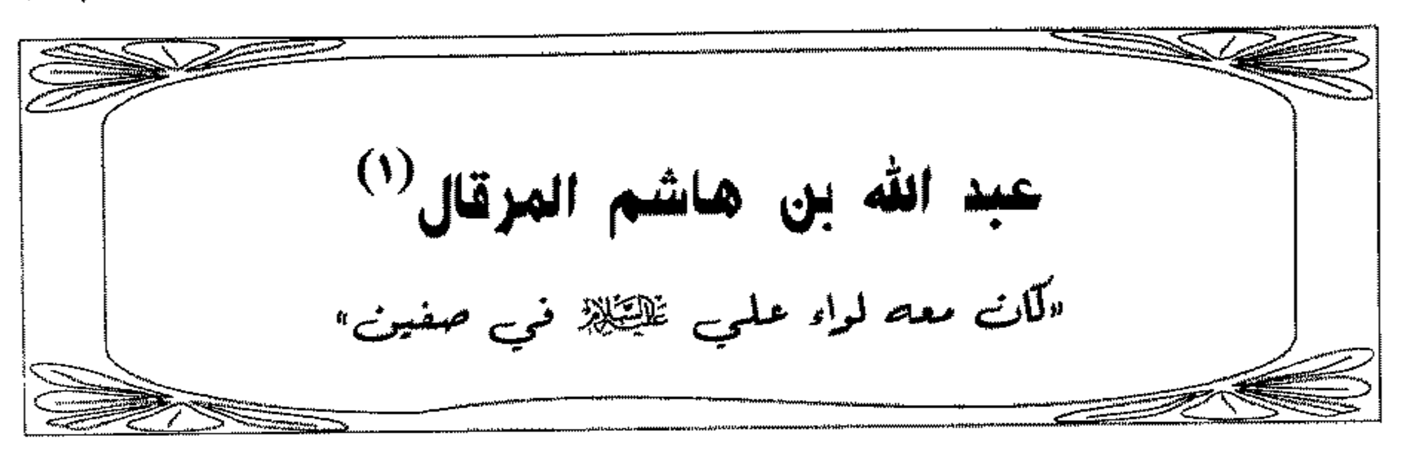
(١) أعيان الشيعة ج١٢ ص٨٣، ح٨٠٥٣.

ثمّ لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى عليّ فأخبره فقال: رحمه الله، جاهد معنا عدوّنا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة.

مصادره

سفينة البحار ٢/ ١٣٦. شرح ابن أبي الحديد ٥/ ٢٠٨ و١٤/ ٨٨، ٢٧٩، ٢٦٦ و١٥/ ٨. الغدير ٩/ ٣٦٦. قاموس الرجال.





عبد الله بن هاشم المرقال[1]

«كان معه لواء علي عليه السلام في صفين»

عبد الله بن هاشم المرقال بن عتبة، بن أبي وقاص الزهري، كان من أصحاب علي عليه السلام، وشهد معه صفين، وقُتِلَ أبوه هاشم بصفين، وكان معه لواء علي عليه السلام، فلما قتل أخذ اللواء ولده عبد الله بن هاشم وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أهاشم بن عتبة بن مالكِ   أعزز بشيخ من قريش هالكِ
تخبطه الخيلات بالسنابكِ   في أسود من نقعهن حالكِ
أبشر بحور العين في الآرائكِ   والروح والريحان عند ذلكِ

قال نصر: ثم أن عبد الله حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن هاشماً عبداً من عباد الله الذين قدر أرزاقهم وأحصى أعمالهم وقضى آجالهم، فدعاه الله ربه الذي يعصى فأجابه، وسلم لأمر الله وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله، وأول من آمن به، وافقههم في دين الله والمخالف لأعداء الله، المستحلين ما حرم الله، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد واستحوذ عليهم الشيطان فزين لهم الإثم والعدوان، فحق عليكم جهاد من خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وعطل حدود الله وخالف أولياء الله، فجودوا بمهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى والملك الذي لا يبلى، فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا

---

(١) أعيان الشيعة ج١٢ ص١١٢، ح٨٠٨٤.

جنة ولا نار لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الأكباد، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون[١].

قال نصر: ولما انقضى أمر صفين وسلم الأمر الحسن عليه السلام إلى معاوية أشخص معاوية عبد الله بن هاشم إليه أسيراً فلما أدخل عليه مثل بين يديه وعنده عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين هذا المختال ابن المرقال فدونك الضب المضب، فأشخب أوداجه على أثباجه.

فقال له ابن هاشم: فهلا كانت هذه الشجاعة منك يا بن العاص أيام صفين حين ندعوك إلى النزال وقد ابتلت أقدام الرجال من نقع الجريال، وقد تضايقت بك المسالك وأشرفت فيها على المهالك، وأيم الله لولا مكانك منه لنشبت لك مني خافية أرميك من خلالها أحد من وقع الأثاقي، فإنك لا تزال تكثر في هوسك، وتخبط في دهسك، وتنشب في مرسك، تخبط العشواء في الليلة الحندس الظلماء، فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم، فأمر به إلى السجن وكف عن قتله، فبعث إليه عمرو بأبيات يقول فيها:

[البحر الطويل]

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... وكان من التوفيق قتل ابن هاشمِ
وكان أبوه يا معاوية الذي ... رماك على جد بحز الغلاصمِ
فما برحوا حتى جرت من دمائنا ... بصفين أمثال البحور الخضارمِ
وهذا ابنه والمرء يشبه أهله ... ستقرع أن بقيته سن نادمِ

فبلغ ذلك ابن هاشم وهو في محبسه فكتب إلى معاوية:

---

(١) نجل البطل العظيم في ساحة الوغى، والعابد ذي القلب السليم في جيش أمير المؤمنين عليه السلام. هاشم بن عتبة. رفع الراية بعد أبيه، وألقى خطبة حماسيّة أمام جيش معاوية، وصف فيها أباه، وذكر منزلة الإمام الرفيعة، وكشف عن حقيقة معاوية. ثمّ حمل على العدوّ.
أُخذ إلى معاوية أسيراً بعد شهادة أمير المؤمنين، وتحدث بشجاعة وثبات، فردّ على ما نطق به عمرو بن العاص من كلمات بذيئة وأخزاه. وهذا الحوار دليل على شهامته، وقوّته، وشجاعته العجيبة. أمضى مدّة في سجن معاوية.

[البحر الطويل]

معاوي إن المرء عمرا أبت له ضغينة صدر غشها غير سالمِ
يرى لك قتلي يا بن حرب وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجمِ
على أنهم لا يقتلون أسيرهم إذا كان منهم منعة للمسالمِ
وقد كان منا يوم صفين نغرة عليك جناها هاشم وابن هاشمِ
قضى الله ما قضى ثم انقضى وما ما مضى إلا كإضغاث حالمِ
هي الوقعة العظمى التي تعرفونها وكل على ما قد مضى غير نادمِ
فإن تعفُ عني تعفُ عن ذي قرابة وإن ترَ قتلي تستحلّ محارمي

وروى أبو عبد الله محمد بن موسى بن عبد الله المرزباني، أن معاوية لما تم الأمر له بعد وفاة علي عليه السلام بعث زياداً إلى البصرة ونادى منادي معاوية: أمن الأسود والأحمر بأمان الله، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب ولا يعرف له خبراً حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له: أنا أدلك على عبد الله بن هاشم بن عتبة، أكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية، فدعا كاتبه فكتب من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان أما بعد:

فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حي بني مخزوم ففتشه داراً داراً حتى تأتي إلى دار فلانة المخزومية فاستخرج عبد الله ابن هاشم المرقال منها، فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده، وغل يده إلى عنقه، واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء، وأنفذ به إلي.

قال المرزباني: فأما الزبير بن بكار فإنه قال: إن معاوية قال لزياد لما بعثه إلى البصرة أن عبد الله ابن المرقال في بيوت بني ناجية بالبصرة عند امرأة منهم يقال لها: فلانة فأنا أعزم عليك إلا حطت رحلك ببابها، ثم اقتحمت الدار واستخرجته منها وحملته إليّ، فلما دخل زياد البصرة وسأل عن بني ناجية وعن المرأة فاقتحم الدار واستخرجه منها فأنفذه إلى معاوية، فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى نصباً كثيراً ومن الهجير ما غير جسمه، وكان معاوية يأمر بطعام فيتخذ في كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق، فلم يشعر معاوية

إلا وعبد الله بين يديه وقد ذبل وسهم وجهه فعرفه معاوية ولم يعرفه عمرو بن العاص.

فقال معاوية: يا أبا عبد الله أتعرف هذا الفتى .

قال: لا .

قال: هذا ابن الذي كان يقول بصفين:

[البحر الرجز المجزوء]

أعور يبغي أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يغل أو يغلا

قال عمرو: وأنه لهو دونك الضب المضب فأشخب أوداجه ولا ترجعه إلى أهل العراق فإنهم أهل شقاق ونفاق، وله مع ذلك هوى يرديه وبطانة تغويه، والذي نفسي بيده لئن أفلت من حبائلك ليجهزه إليك جيشاً تكثر صواهله بشر يوم لك.

فقال عبد الله وهو في القيد: يا بن الأبتر هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين ونحن ندعوك إلى البراز وتلوذ بشمائل الخيل كالأمة السوداء، والنعجة القرداء، أما أن قتلني قتل رجلاً كريم المخبرة، حميد المقدرة، ليس بالجبس المنكوس، ولا المثلب المركوس.

فقال عمرو: دع كيت وكيت فقد وقعت بين لحيي لهذم فراس للأعداء يسعطك أسعاط الكودن الملجم.

قال عبد الله: أكثر ائتمارك فإني أعلمك بطراً في الرخاء، جباناً في اللقاء، هيابة عند كفاح الأعداء، ترى أن تقي مهجتك بأن تبدي سوأتك، أنسيت صفين وأنت تدعى إلى النزال فتحيد عن القتال، خوفاً أن يغمرك رجال لهم أيد شداد وأسنة حداد، ينهبون السوح، ويذلون العزيز.

قال عمرو: لقد علم معاوية إني شهدت تلك المواطن فكنت فيها كمدرة الشول، ولقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن تخفق أحشاؤه وتنق أمعاؤه قال: أما والله لو لقيك أبي في ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك، ولم تسلم منه مهجتك، ولكنه قاتل غيره فقتل دونك.

فقال معاوية: ألا تسكت لا أم لك.

قال: يا بن هند أتقول لي هذا، والله لئن شئت لأعرقن جبينك ولأقيمنك وبين عينيك وسم يلين له أخدعاك أبا كثر من الموت تخوفني.

فقال معاوية: أو تكفي يا بن أخي وأمر به إلى السجن.

فقال عمرو: «أمرتك أمراً حازماً فعصيتني» الأبيات المتقدمة.

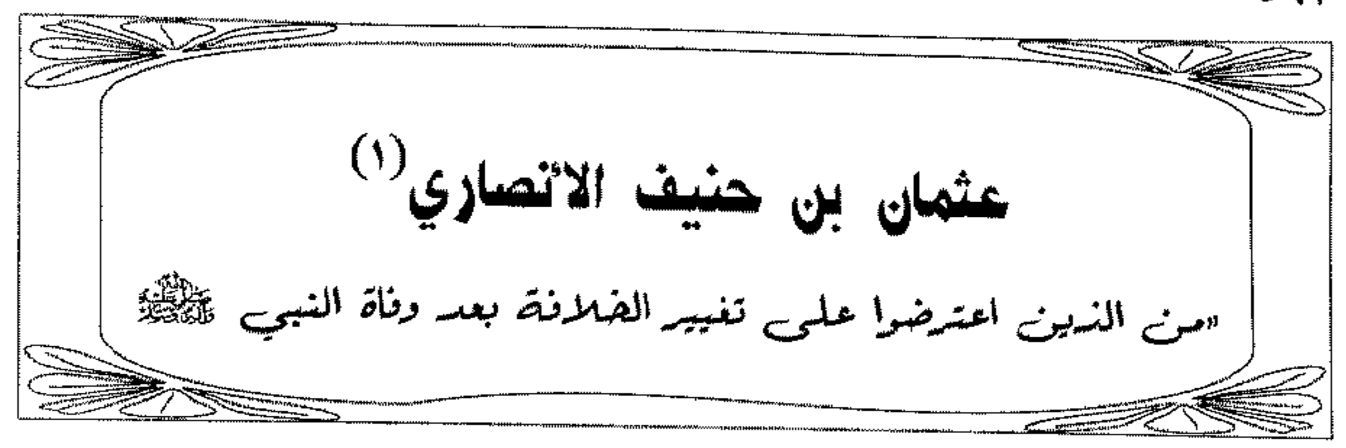
فقال عبد الله الأبيات المتقدمة.

ثم قال له معاوية: أتراك فاعلاً ما قال عمرو من الخروج علينا قال: لا تسأل عن عقيدات الضمائر لا سيما إذا أرادت جهاداً في طاعة الله قال: إذ يقتلك الله كما قتل أباك قال: ومن لي بالشهادة فأخذ عليه معاوية موثقاً أن لا يساكنه بالشام في فسد عليه أهله.

مصادره

جمهرة أنساب العرب/ ١٢٩، ٢٧٣. الجمل/ ١٧١. شرح ابن أبي الحديد ٨/ ٢٩ـ٣٣. الغدير ٢/ ١٦٩ و٣/ ٢١، ٢٢٩ و١٠/ ٢٩. مروج الذهب ٣/ ١٧. وقعة صفّين/ ٣٤٨، ٣٥٦.





عثمان بن حنيف الأنصاري[1]

«من الذين اعترضوا على تغيير الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ»

كان عامل أمير المؤمنين علي عليه السلام على البصرة، ولاه إياها سنة ٣٦ بعدما بويع بالخلافة فسار ولم يرده أحد عن دخولها، ولم يجد لابن عامر في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب - وكان عبد الله بن عامر عامل عثمان عليها خرج منها ولم يول عثمان عليها أحداً - وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وقالت: فرقة ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا[1].

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٧ أن عبد الله بن عباس كان عامل علي على البصرة فيكون توليته البصرة بعد حرب صفين.

وأما الكتاب الذي كتبه علي عليه السلام إلى عثمان بن حنيف المذكور في نهج البلاغة، فالظاهر أنه كتبه إليه من المدينة، ولما أقبل أصحاب الجمل إلى البصرة قاتلهم عثمان وهو القائل في رواية الأصمعي:

[البحر المتقارب]

رأيت الحروب فشيبنني   فلم أر يوماً كيوم الجملْ

وهب أبياتاً تروى لغيره[2].

قال الفضل بن شاذان: هو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وعمل لعمر ثم لعلي، ولاه عمر مساحة الأرضين وجبايتها بالعراق وضرب

---

(١) أعيان الشيعة ج١٢ ص١٦٤، ح٨١٦٠.

(٢) ابن الأثير.

(٣) معجم الشعراء.

الخراج والجزية على أهلها، وولاه علي على البصرة، وإليه كتب كتابه الشهير حين قبل دعوة أحد أثرياء البصرة إلى وليمة أقامها له.

ولما أقبلت عائشة وطلحة والزبير ومن معهما إلى البصرة كان هو عامل علي عليه السلام عليها، وأدق الروايات في تفصيل الأحداث التي سبقت معركة الجمل هي ما رواه أبو مخنف، وعليه نعتمد في سرد تلك التفاصيل[1].

الناكثون على أبواب البصرة

لما وصل الناكثون إلى ضواحي البصرة عسكروا في الموضع المسمى بحفير أبي موسى الأشعري، وكتبوا إلى عثمان بن حنيف أن أخلِ لنا دار الإمارة، فلما وصل الكتاب إلى ابن حنيف، بعث إلى الأحنف بن قيس يستشيره.

فقال الأحنف: إنهم جاؤوك بعائشة للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس وسفكوا دمه، وأراهم والله لا يزايلوننا حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة فإنك اليوم الوالي عليهم وأنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة فتكون الناس لهم أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت، لكنني أكره الشر وأن أبدأهم به

(١) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي أخو سهل بن حنيف، من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وأحد الأنصار. شهد أُحداً وما تلاها من غزوات. وكان أحد الاثني عشر الذين اعترضوا على تغيير الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. وتولّى مساحة الأرض، وتعيين الخراج في أيّام عمر. وليَ البصرة في خلافة الإمام عليّ عليه السلام عندما وصل أصحاب الجمل إلى البصرة قاتلهم في البداية، وحين أعلنت الهدنة بينهما، هجموا عليه ليلاً، وقتلوا حرّاس دار الإمارة وظفروا به، وعذّبوه، ونتَفوا شعر لحيته.
وتعدّ رسالة الإمام عليه السلام إليه حين دُعيَ إلى وليمة في البصرة من الوثائق الدالّة على عظمة الحكومة العلويّة، وضرورة اجتناب الولاة والمسؤولين الترف والرفاهيّة ومعاشرة الأثرياء والمفسدين.
توفّي عثمان أيّام حكومة معاوية.

وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به.

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي، فأقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له مثل قول الأحنف، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف.

فقال له حكيم: فائذن لي حتى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين وإلا نابذتهم على سواء.

فقال له عثمان: لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم بنفسي.

فقال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لينقلن قلوب كثير من الناس إليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا، وأنت أعلم. فأبى عليه عثمان.

علي يكتب إلى ابن حنيف

وكتب علي إلى عثمان لما بلغه مشارفة القوم البصرة: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف.

أما بعد: فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، فإذا قدموا عليك فأدعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين، وكتبت كتابي إليك هذا من الربذة وأنا معجل السير إليك إن شاء الله.

عثمان يفاوضهم

فلما وصل كتاب علي عليه السلام إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود الدُّؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم، وما الذي أقدمهم فانطلقا حتى أتيا حفير أبي موسى وبه معسكر القوم، فدخلا على عائشة فوعظاها وأذكراها وناشداها الله.

فقالت لهما: ألقيا طلحة والزبير، فلقيا الزبير فكلماه.

فقال لهما: إنا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم.

فقالا له: إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم، وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراء بدمه فأفيدوا من أنفسكم.

وأما إعادة أمر الخلافة شورى، فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين، وأنت يا أبا عبد الله، لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه وامتنعت من بيعة أبي بكر. فأين ذلك الفعل من هذا القول؟!.

فقال لهما: إذهبا فألقيا طلحة، فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه، وقال له أبو الأسود:

[البحر الرجز المجزوء]

يا بن حنيف قد أتيت فانفر وابرز لها مستلئماً وشمّرِ

فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلن، وأمر مناديه فنادى في الناس: السلاح، السلاح، فاجتمعوا إليه وقال أبو الأسود:

[البحر المتقارب]

أتينا الزبير فدانى الكلام وطلحة كالنجم أو أبعدُ
وأحسن قوليهما فادح يضيق به الخطب مستنكدُ
وقد أوعدونا بجهد الوعيد فأهون علينا بما أوعدوا
فقلنا ركضتم ولم ترحلوا وأصدرتم قبل أن توردوا
فإن تلحقوا الحرب بين الرجال فملقحها جده الأنكدُ
وإن علياً لكم مصحر إلا أنه الأسد الأسودُ
أما أنه ثالث العابدين بمكة والله لا يعبدُ
فرخوا الخناق ولا تعجلوا فإن غداً لكم موعدُ

الناكثون في البصرة

وأقبل القوم فلما انتهوا إلى المربد قام رجل من بني جشم فقال: أنا فلان الجشمي وقد أتاكم هؤلاء القوم، فإن كانوا أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير

والوحش وإن كانوا إنما أتوكم بطلب دم عثمان، فغيرنا ولي قتله فأطيعوني أيها الناس وردوهم من حيث أقبلوا، فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقي ولا تذر.

فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك. واجتمع أهل البصرة إلى المربد حتى ملأوه مشاة وركباناً.

فقام طلحة فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد. فتكلم بكلام برر فيه قدومهم وأعلن أنهم قدموا للطلب بدم عثمان بن عفان واستنجد بالناس على هذا الأمر، وأعلن أنهم بعد الظفر يتركون أمر الخلافة شورى، وتبعه الزبير فتكلم بمثل كلامه.

فقام إليهما ناس من أهل البصرة، فقالوا لهما: ألم تبايعا علياً فيمن بايعه، ففيم بايعتما ثم نكثتما؟! فادّعيا أنهما بايعا مكرهين.

فقال ناس: قد صدقا وأحسنا القول.

وقال ناس: ما صدقا ولا أصابا في القول حتى ارتفعت الأصوات. ثم أن عائشة تكلمت بما لا يخرج عن مضمون كلام طلحة والزبير.

أهل البصرة يردون

فماج الناس واختلطوا فمن قائل: أن القول ما قالت، ومن قائل يقول: وما هي وهذا الأمر، وارتفعت الأصوات حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصى، ثم أن الناس تمايزوا فصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عائشة وأصحابها.

وحدث الأشعث بن سوار: قال: لما نزل طلحة والزبير المربد أتيتهما فوجدتهما مجتمعين، فقلت: ناشدتكما الله وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ما الذي أقدمكما أرضنا هذه؟ فلم يتكلما فأعدت عليهم.

فقالا: بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها.

✍ طلائع المعركة

لما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف وجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضيا بمن معهما حتى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم أصحاب عائشة بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة مازن، فوقفوا بها ملياً حتى ثابت إليهم خيلهم، أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الرابوقة ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها.

✍ مواجهة طلحة

وأتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه.

فقال لطلحة: أيا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا؟!.

قال: بلى.

قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه!! فلعمري ما هذا رأيك لا تريد إلا هذه الدنيا، مهلاً إذا كان هذا رأيك، فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاً ماضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك.

فقال: إن علياً دعاني إلى بيعته بعدما بايع الناس، فعلمت أن لو لم أقبل ما عرضه علي لم يتح لي، ثم يغري بي من معه.

✍ ابن حنيف يعظهما

وفي الصباح من غد صفا للحرب وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والإسلام، وأذكرهما بيعتهما لعلي فقالا: لا نطلب بدم عثمان.

فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه، أي بنو عمه الذين هم أحق به منكم، كلا والله، ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر

وتعملان له، وهل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكما! فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أمه.

فقال للزبير: أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله، فإنها أدنتك إلى الظل، وإن الأمر بيني وبينك يا بن الصعبة - يعني طلحة - أعظم من القول لاعلمتكما من أمركما ما يسوءُكما، اللهم إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

الهدنة

واقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما: إن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر.

وإن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضاً في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة، وإن أصبوا لحق كل قوم بهواهم وما أحبوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة. وعلى الفريقين بما كتبوا عهدالله وميثاقه وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه من عهد وذمة.

وختم الكتاب. ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الإمارة، وقال لأصحابه: إلحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جراحكم فمكثوا كذلك.

الغدر

ثم أن طلحة والزبير قالا: إن قدم علي ونحن على هذا الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا، فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب، فأرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرئاسة والترف يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع

علي وإخراج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم على ذلك الأزد وضبة وقيس بن غيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهما، فقالت له أمه: ما رأيت مثلك، أتاك شيخا قريش فتورايت عنهما، فلم تزل حتى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع، فإن عامتهم كانوا شيعة لعلي عليه السلام، وبايعهم بنو دارم كلهم إلا نفراً من بني مجاشع ذوي دين وفضل.

فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأقيمت الصلاة، فتقدم عثمان ليصلي بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير، وقدموا الزبير، فجاءت السيابجة وهم الشرط حرس بيت المال فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير وأخروا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس، وغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته، صاح بأصحابه أن يأخذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما.

فلما أسر ضربوه ضرب الموت ونتفوا حاجبيه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه. وأخذوا السيابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة.

فقالت عائشة لابان بن عثمان بن عفان: أخرج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله.

فنادى عثمان بن حنيف: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير: إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يبقى أحد منكم. فكفوا عنه وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه.

عائشة تأمر بالمذبحة

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن أقتل السيابجة فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك، قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، وولي ذلك منهم ابنه عبد الله، وهم سبعون رجلاً. وبقيت طائفة منهم مستمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين. فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم وإخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

قال أبو مخنف: فحدثنا الصقعب بن زهير قال: كانت السيابجة القتلى يومئذٍ أربعمائة رجل. قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان في الإسلام، وكان السيابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً.

ولما وصل عثمان بن حنيف إلى علي ورآه بكى وقال: فارقتك شيخاً أمرد. فقال علي: إنا لله وإنا إليه راجعون، قالها ثلاثاً عثمان يموت في الكوفة سكن عثمان بن حنيف الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام، ومات بها في زمن معاوية.

كتاب الإمام علي عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة:

أمّا بعد، يا ابن حنيفٍ: فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبةٍ فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان. وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قومٍ، عائلهم مجفوٌ، وغنيّهم مدعوٌّ. فانظر إلى ما تقضمه من هٰذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً، يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنّكم لا تقدرون على ذٰلك، ولٰكن أعينوني بورعٍ واجتهادٍ، وعفّةٍ وسدادٍ. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلاّ كقوت أتانٍ دبرةٍ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصةٍ مقرةٍ. بلٰى! كانت في أيدينا فدكٌ من كلّ ما أظلّته السّماء، فشحّت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدكٍ. وغير فدكٍ، والنّفس مظانّها في غدٍ جدثٌ تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب

أخبارها، وحفرةٌ لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التّراب المتراكم، وإنّما هي نفسي أروضها بالتّقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطّريق، إلى مصفّى هٰذا العسل، ولباب هٰذا القمح، ونسائج هٰذا القزّ. ولٰكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة - ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشّبع - أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطّيّبات، كالبهيمة المربوطة، همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها، أو أترك سدًى، أو أهمل عابثاً، أو أجرّ حبل الضّلالة، أو أعتسف طريق المتاهة! وكأنّي بقائلكم يقول: «إذا كان هٰذا قوت ابن أبي طالبٍ، فقد قعد به الضّعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشّجعان». ألا وإنّ الشّجرة البرّيّة أصلب عوداً، والرّوائع الخضرة أرقّ جلوداً، والنّابتات العذية أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً. وأنا من رسول الله كالصّنو من الصّنو [كالضّوء من الضّوء] والذّراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها. وسأجهد في أن أطهّر الأرض من هٰذا الشّخص المعكوس، والجسم المركوس، حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد.

ومن هذا الكتاب، وهو آخره:

إليك عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذّهاب في مداحضك. أين القرون الّذين غررتهم بمداعبك! أين الأمم الّذين فتنتهم بزخارفك! ها هم رهائن القبور، ومضامين اللّحود. والله لو كنت شخصاً مرئيّاً، وقالباً حسّيّاً، لأقمت عليك حدود الله في عبادٍ غررتهم بالأماني، وأممٍ ألقيتهم في المهاوي، وملوكٍ أسلمتهم إلى التّلف،

وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر! هيهات! من وطىء دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ عن حبائلك وفّق، والسّالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه، والدّنيا عنده كيومٍ حان انسلاخه.

اعزبي عنّي! فوالله لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني. وايم الله - يميناً أستثني فيها بمشيئة الله - لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماءٍ، نضب معينها، مستفرغةً دموعها. أتمتلىء السّائمة من رعيها فتبرك؟ وتشبع الرّبيضة من عشبها فتربض؟ ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع! قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السّنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسّائمة المرعيّة!

طوبى لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في اللّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها، في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فاتّق الله يا ابن حنيفٍ، ولتكفك أقراصك، ليكون من النّار خلاصك.

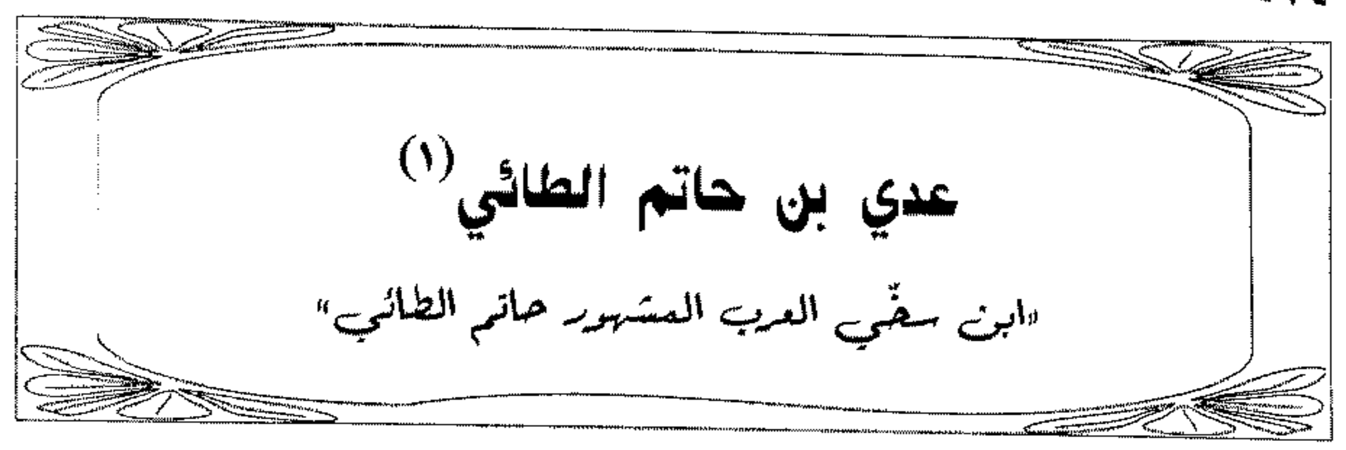
مصادره:

إتقان المقال/ ٢٠٤. الأخبار الطوال/ ١٤١. الاستيعاب ٣/ ٨٩. أسد الغابة ٣/ ٣٧١. الاشتقاق/ ٤٤٢. الإصابة ٢/ ٤٥٩. أعلام نهج البلاغة/ ٣٥. أنساب الأشراف ٢/ ٢٢٢. الأعلام ٤/ ٣٦٥. الإمامة والسياسة ١/ ٦٥. البداية والنهاية ٧/ ٢٢٩، ٢٣٢. تأسيس الشيعة/ ٣٣٥. تاريخ الطبري ٥/ ١٦١، ١٧٨ وج١٣/ ٢٨. تاريخ بغداد ١/ ١٧٩. تحفة الأحباب/ ٢٠٧. تقريب التهذيب ٢/ ٧. تنقيح المقال٢/ ٢٤٥. تهذيب التهذيب ٧/ ١١٢. جامع الرواة ١/ ٥٣٢. الجرح والتعديل ٦/ ١٤٦. جمهرة أنساب العرب/ ٣٣٦. الجمل/ ١٥١. خلاصة الأقوال/ ١٢٥. الدرجات الرفيعة/ ٣٨١. رجال ابن داود/ ١٣٣، رجال الطوسي/ ٤٧. رجال البرقي/ ٤. شرح ابن أبي الحديد ٣/ ٧٠ و٦/ ٢٢٦ و٧/ ١٦٦ و٩/ ٣١١. ٣٢٢ و١٢/ ٢٣ و١٤/

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

١٨ و٨/ ٤٩٥. العقد الفريد ٥/ ٦٠، ٦٤. الغدير ٩/ ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧، ٣٧٠. الغارات ٢/ ٦١٩، ٦٤٥. الفوائد الرجالية ٣/ ٧٤، ٧٧، ٧٨. قاموس الرجال ٦/ ٢٤٣. الكامل في التاريخ ٢/ ٥١٩. و١٣/ ٢١١. ٢١٩، ٢٢٥، ٢٦٠ و٤/ ٤٤. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٤. مجمع رجال الحديث ١١/ ١٠٦. معجم الشعراء/ ٢٥٥. المناقب ٣/ ١٥٠. منتهى المقال/ ٢٠٤. مجالس المؤمنين ١/ ٢٢٥. نقد الرجال/ ٢١٨. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٩٨ و٣/ ١٢٤، ٣٩٢، ٤٦٨ و٥/ ٣١. وقعة صفّين/ ١٥. وفيات الأعيان ٣/ ١٨ و٧/ ٥٩، ٦٠.





عدي بن حاتم الطائي(1)

«ابن سخي العرب المشهور حاتم الطائي»

كان رسول الله ﷺ قد بعث علي بن أبي طالب إلى الفلس صنم طيء يهدمه ويشن عليه الغارات في مائتي فارس، فأغار على حاضر آل حاتم فأصابوا ابنة حاتم، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء وهرب عدي بن حاتم من خيل النبي ﷺ حتى لحق بالشام وكان على النصرانية، وكان يسير في قومه بالمرباع وجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد وكانت امرأة جميلة جزلة، فمر رسول الله ﷺ فقامت إليه فقالت: هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن علي منَّ الله عليك.

قال: من وافدك؟.

قالت: عدي بن حاتم.

فقال: الفار من الله ورسوله، وقد وفد من قضاعة من الشام.

قالت: فكساني النبي وأعطاني نفقة وحملني وخرجت معهم حتى قدمت الشام على عدي فجعلت أقول له: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك فأقامت عنده أياماً، وقالت له: أرى أن تلحق برسول الله ﷺ فسلم عليه وهو في المسجد فقال: من الرجل؟

قال: عدي بن حاتم، فانطلق به إلى بيته وألقى له وسادة محشوة بليف، وقال: إجلس عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض وعرض عليه الإسلام فأسلم عدي واستعمله رسول الله ﷺ على صدقات قومه(2).

---

(1) أعيان الشيعة ج١٢ ص١٦٨، ح٨١٦٧.
(2) طبقات ابن سعد.

وقد ثبت عدي على إسلامه في الردة، وأتى بعد ذلك عمر بن الخطاب في خلافته فقال: أتعرفني يا أمير المؤمنين.

قال: نعم أنت الذي آمن إذ كفروا ووفى إذ غدروا، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه وهو القائل لمعاوية:

[البحر الوافر]

يحاولني معاوية بن صخر ... وليس إلى التي يبغي سبيلُ
يُذكّرني أبا حسن عليّاً ... وخطبي في أبي حسن جليلُ

وبلغ عشرين ومائة سنة، ووقع بينه وبين المختار بن أبي عبيد لما غلب على الكوفة أمر تشاجرا فيه فهم عدي بالخروج عليه ثم عجز عن ذلك لكبر سنه وضعف جسمه فقال:

[البحر المنسرح]

أصبحت لا أنفع الصديق ولا ... أملك ضر الشانيء الشرس
وإن جرى بي الجواد منطلقا ... لم تملك الكف رجعة الفرس

وفي يوم الجمل حمل عدي ففقئت عينه.

قال الأشتر: رأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدي بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناها فقتلناها، وأمره يوم صفين على قضاعة وطيء.

وروى نصر في كتاب صفين، عن عمرو بن شمر بأسناده: قال رجل لعدي بن حاتم: يا أبا طريف ألم أسمعك تقول يوم الدار: والله لا تخنق فيها عناق حولية وقد رأيت ما كان، وقد كانت فقئت عين عدي وقتل بنوه وقال: بلى والله لقد خنقت فيه العناق والتيس الأعظم.

وجاء عدي بن حاتم يلتمس علياً يوم صفين ما يطأ إلا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد، فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال: يا أمير المؤمنين إلا نقوم حتى نموت.

فقال علي عليه السلام: أدنُ فدنا حتى وضع إذنه عند فمه فقال: ويحك إنّ عامة من معي يعصيني، وأن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه، وقال عدي بن حاتم بصفين:

[البحر الرجز المجزوء]

أقول لما أن رأيت المعمعهْ   واجتمع الجندان وسط البلقعهْ
هذا علي والهدى حقاً معهْ   يا رب فاحفظه ولا تضيعهْ
فإنه يخشاك رب فارفعهْ   ومن أراد عيبه فضعضعهْ
أو كاده بالغي فأقمعه

وخرج همام بن قبيضة من أصحاب معاوية ومعه لواء هوازن وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

قد علمت غيداء كالتمثال   إني إذا ما دعيت نزال
أقدم إقدام الهزبز العالي   أهل العراق إنكم من بالي
كل تلادي وطريف مالي   حتى أنال فيكم المعالي
أو أطعم الموت وتلكم حالي   في نصر عثمان ولا أبالي

فقال عدي بن حاتم لصاحب لوائه: أدنُ مني فأخذه وحمل وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

يا صاحب الصوت الرفيع العالي   إن كنت تبغي في الوغى نزالي
فأدن فإني كاشف عن حالي   تفدي علياً مهجتي ومالي
وأسرتي يتبعها عيالي

فضربه وسلب لواءه فقال ابن حطان وهو شامت به:

[البحر الطويل]

أهمام لا تذكر مدى الدهر فارسا   وعض على ما جئته بالأباهم
سما لك يوماً في العجافة فارس   شديد القفيز ذو شجا وغماعم
فوليته لما سمعت نداءه   تقول له خذ يا عدي بن حاتم
فأصبحت مسلوب اللواء مذبذبا   وأعظم بهذا من شتيمة شاتم

وقال عدي في بعض أيام صفين:

[البحر الرجز المجزوء]

أبعد عمار وبعد هاشم   وابن بديل فارس الملاحم

ترجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عناك أمس بالأباهم
فاليوم لا نقرع سن نادم ليس امرؤ من يومه بسالم

ولما تعاظمت الأمور على معاوية، دعا خواص أصحابه فقال لهم: أنه قد غمني رجال من أصحاب علي، فعد فيهم عدي بن حاتم، وعبأ لكل رجل منهم رجلاً من أصحابه، فعبأ لعدي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فغدا عبد الرحمن وكان أرجاهم عند معاوية أن ينال حاجته، فقواه معاوية بالخيل والسلاح، فلقيه عدي بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة فبرز عبد الرحمن أمام الخيل ثم حمل فطعن الناس وقصده عدي بن حاتم وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أرجو إلـهي وأخاف ذنبي وليس شيء مثل عفو ربي
يا بن الوليد بغضكم في قلبي كالهضب بل فوق قنان الهضبِ

فلما كاد أن يخالطه بالرمح توارى عبد الرحمن في العجاج واستتر بأسنة أصحابه واختلط القوم ورجع عبد الرحمن إلى معاوية مقهوراً(١).

---

(١) عديّ بن حاتم بن عبد الله الطائي يكنى أبا طريف، ابن سخيّ العرب المشهور حاتم الطائي، وأحد الصحابة.
تولّى عديّ رئاسة قبيلته، وحضر عند رسول الله ﷺ سنة (٧ هـ) وأسلم، فأكرمه ورعى حرمته.
ظلّ وفيّاً للولاية العلويّة بعد وفاة النبيّ ﷺ، وذاد عن حريم الحقّ والولاية.
شهد مع أمير المؤمنين. مشاهده. ولمّا لحق أحد أولاده بمعاوية، بريء منه. وكلماته أمام مساعير الفتنة دليل على وعيه العميق للحوادث، وإدراكه السليم لموقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وثباته على صراط الحقّ، ومن كلماته: أيها الناس، إنّه واللهِ لو غير عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه...
اختاره الإمام. لمفاوضة العدوّ في صفّين بسبب منطقه البليغ. قتل أحد أولاده في إحدى حروب الإمام، كما فقد إحدى عينيه. وكان معاوية يعظّمه ويرعى حرمته، بَيْد أنّه كان يذكر الإمام عليه السلام. في مناسبات مختلفة ويُثني عليه، ولم يتنازل عن موقفه الحقّ أمام معاوية.
توفي حوالي سنة ٦٨هـ، وله من العمر مائة وعشرون سنة.
الإمامة والسياسة. في ذكر حرب صفّين واختلاف أصحاب الإمام في استمرار القتال -: ثمّ قام عديّ بن حاتم فقال: أيها الناس، إنّه والله لو غير عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما=

. . . .

=أجبناه، ولا وقع بأمر قطّ إلاّ ومعه من الله برهان، وفي يديه من الله سبب، وإنّه وقف عن عثمان بشبهة، وقاتل أهل الجمل على النكث، وأهل الشام على البغي.
الجمل - في ذكر أحداث ما قبل حرب الجمل -: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام. على عديّ بن حاتم فقال له: يا عديّ، أنت شاهد لنا، وحاضر معنا وما نحن فيه؟
فقال عديّ: شهدتك أو غبت عنك فأنا عندما أحببت، هذه خيولنا معدّة، ورماحنا محدّدة، وسيوفنا مجرّدة، فإن رأيت أن نتقدّم تقدّمنا، وإن رأيت أن نُحجم أحجمنا، نحن طوع لأمرك، فأمر بما شئت، نسارع إلى امتثال أمرك.
تاريخ الطبري عن جعفر بن حُذيف: إنّ عائذ بن قيس الحِزمري واثب عديّ بن حاتم في الراية بصفين - وكانت حِزمر أكثر من بني عديّ رهط حاتم - فَوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائي البَوْلاني عند عليّ، فقال:
يا بني حِزمر، على عديّ تتوثّبون! وهل فيكم مثل عديّ أو في آبائكم مثل أبي عديّ؟! أليس بحامي القربة ومانع الماء يوم رَويّة؟ أليس بابن ذي المِرباع وابن جواد العرب؟! أليس بابن المُنهب ماله ومانع جاره؟! أليس من لم يغدر ولم يفجُر، ولم يجهل ولم يبخل، ولم يمُنن ولم يجبن؟! هاتوا في آبائكم مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله.
أوَليس أفضلكم في الإسلام؟! أوَليس وافدكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أليس برأسكم يوم النُّخيلة ويوم القادسيّة ويوم المدائن ويوم جلولاء الوقيعة ويوم نهاوند ويوم تُستَر؟! فما لكم وله؟! والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون.
فقال له عليّ بن أبي طالب: حسبك يا بن خليفة، هلُمّ أيها القوم إليّ، وعليَّ بجماعة طيّىء، فأتوه جميعاً، فقال عليّ: من كان رأسكم في هذه المواطن؟
قلت له طيّىء: عديّ.
فقال له ابن خليفة: فسلهم يا أمير المؤمنين، أليسوا راضين مسلّمين لعديّ الرياسة؟ ففعل، فقالوا: نعم، فقال لهم: عديّ أحقّكم بالراية، فسلّموها له.
فقال عليّ - وضجّت بنو الحِزمِر -: إنّي أراه رأسكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلّهم إلاّ مسلّمين له غيركم، فأتّبع في ذلك الكثرة، فأخذها عدي.
مروج الذهب: ذكر أنّ عديّ بن حاتم الطائي دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات - يعني أولاده -؟.
قال: قُتلوا مع عليّ.
قال: ما أنصفك عليّ، قتل أولادك وبقّى أولاده.
فقال عديّ: ما أنصفتُ عليّاً إذ قتل وبقيت بعده.
فقال معاوية: أما إنّه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلاّ دم شريف من أشراف اليمن. =

. . . .

=فقال عديّ: والله إنّ قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لندنينّ إليك من الشرّ شبراً، وإنّ حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ، فسلّم السيف يا معاوية لباعث السيف.

فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها. وأقبل على عديّ محادثاً له كأنّه ما خاطبه بشيء.

المحاسن والمساوىء: إنّ عديّ بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال: يا عديّ، أين الطَّرَفات؟ يعني بنيه طريفاً وطارفاً وطرفة.

قال: قُتلوا يوم صفّين بين يدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك وأخّر بنيه!.

قال: بل ما أنصفت أنا عليّاً إذ قُتل وبقيتُ! قال: صف لي عليّاً. فقال: إنّ رأيت أن تُعفيني.

قال: لا أُعفيك.

قال: كان والله بعيد المدى وشديد القوى، يقول عدلاً ويحكم فصلاً، تتفجّر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلب كفّيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا يُجيبنا إذا سألناه ويُدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظوم، يُعظّم أهل الدين، يتحبّب إلى المساكين، لا يخاف القويّ ظلمه، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأقسم، لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه، وأرخى الليل سرباله وغارت نجومه، ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي الآن أسمعه وهو يقول: يا دنيا أليَّ تعرّضتِ أم إليَّ أقبلتِ؟ غرّي غيري، لا حان حينك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير وخطرك يسير، آه من قلّة الزاد وبُعد السفر وقلّة الأنيس!.

قال: فوكفت عينا معاوية ينشّفهما بكمّه، ثمّ قال: يرحم الله أبا الحسن! كان كذا فكيف صبرك عنه؟.

قال: كصبر من ذبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها ولا تسكن عبرتها.

قال: فكيف ذكرك له؟.

قال: وهل يتركني الدهر أن أنساه.

وقال عدي بن حاتم: لما رفعت المصاحف بصفين يا أمير المؤمنين إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنه لم يصب عصبة منا إلا وقد أصيبت مثلها منهم وكل مقروح، ولكنا أمثل بقية منهم وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلا ما تحب فناجز القوم.

وكان لعدي ابن اسمه زيد ولما مر أمير المؤمنين عليه السلام بالمدائن خلّف عدياً بها يجمع الناس فلحقه في ثمانمائة وخلّف ابنه زيداً فلحقه في أربعمائة رجل منهم، ثم لحق علياً عليه السلام وكان حابس بن سعد الطائي صاحب راية طيء مع معاوية فقتل، فمر به عدي بن حاتم ومعه ابنه زيد بن عدي فرآه قتيلاً فقال: يا أبه هذا والله خالي.

قال: نعم لعن الله خالك، فبئس والله المصرع مصرعه.

فقال زيد: من قتل هذا الرجل مراراً، فخرج إليه رجل من بكر بن وائل فقال: أنا قتلته فطعنه زيد فقتله بعد أن وضعت الحرب أوزارها، فحمل عليه عدي يسبه ويسب أمه ويقول: يا بن المائقة لست على دين محمد إن لم أدفعك إليهم فضرب فرسه فلحق بمعاوية فأكرمه فدعا عليه عدي وقال: لا أكلمه أبداً ولا يظلني وإياه سقف، ولما لحق زيد بن عدي بمعاوية تكلم رجال من أهل العراق في عدي بن حاتم وطعنوا في أمره، وكان عدي سيد الناس مع علي في نصيحته وغنائه، فقام إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين قد قربني زيد للظن وعرضني للتهمة، غير أني إذا ذكرت مكانك من الله ومكاني منك اتسع خناقي، والله لو وجدت زيداً لقتلته، ولو هلك ما حزنت عليه، فأثنى عليه علي خيراً، وقال عدي في ذلك:

[البحر الطويل]

أيا زيد قد عصبتني بعصابة ... وما كنت للثوب المدنس لابسا
فليتك لم تخلق وكنت كمن مضى ... وليتك إذ لم تمضِ لم ترَ حابسا
إلا زار أعداء وعقَّ ابن حاتم ... أباه وأمسى بالفريقين ناكسا
وحامت عليه مذحج دون مذحج ... وأصبحت للأعداء ساقا ممارسا
نكصت على العقبين يا زيد ردة ... وأصبحت قد جدَّعت منا المعاطسا
قتلت امْرَءًا من آل بكر بحابس ... فأصبحت مما كنت آمل آيسا

ولما تهيأ الحسن عليه السلام لقتال معاوية وجمع الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد فسكتوا.

قام عدي بن حاتم فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم أين خطباء مضر (أو خطباء المصر) الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها، ثم استقبل الحسن عليه السلام بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد وجنبك المكاره ووفقك لما تحمد ورده وصدره، قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت، وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليوافِ ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلح وكان أول الناس عسكراً.

ودخل عدي بن حاتم على معاوية فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات يعني أولاده – وما قصد معاوية بذلك إلا الشماتة وجرح قلب عدي – قال: قتلوا مع علي.

فقال معاوية: ما أنصفك علي قدَّم أولادك وأخَّر أولاده.

فقال عدي: بل أنا ما أنصفته قتل وبقيت بعده حيا.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان من أشد الناس على عثمان ومن أشدهم جهاداً مع علي عليه السلام، وفيه يقول عمرو بن يثري من رجز:

[البحر الرجز المجزوء]

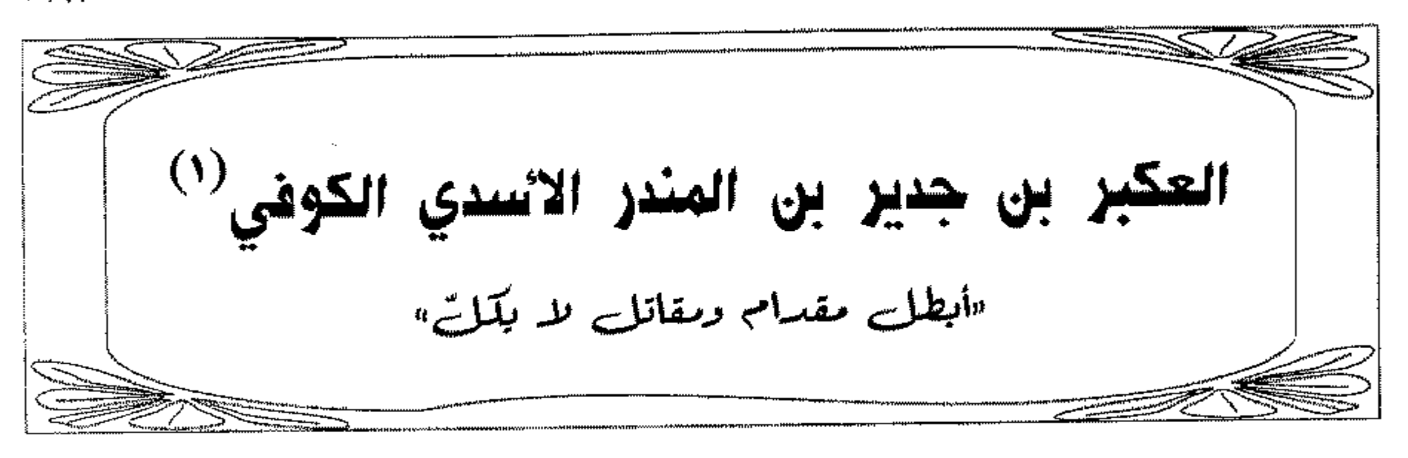
قد سبق اليوم لنا ما قد سبقْ والوتر منا في عدي ذي الفرقْ

مصادره

إتقان المقال/ ٢٠٤. أخبار شعراء الشيعة/ ٤٠. الأخبار الطوال/ ١١٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٦، ٢٠٥. الاستيعاب ٣/ ١٤١. أسد الغابة ٣/ ٣٩٢. الاشتقاق/ ٣٧٤. الإصابة ٢/ ٤٦٨. أعلام النساء ١/ ٣٦٠. أنساب الأشراف ٣/ ٣٢. الأعلام ٥/ ٨. الأنساب/ ٧٢٨. الإمامة والسياسة ١/ ٥٥، ١٠٦. الأنساب/ ٧٢٨. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٨ وج٨/ ٢٩٥. تاريخ الطبري ٥/ ٢١١، ٢١٣ وج١٣/ ٣٣. تاريخ بغداد ١/ ١٨٩. تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩. تحفة الأحباب/ ٢١٠. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦. تقريب التهذيب ٢/ ١٦. تنقيح المقال ٢/ ٢٥٠. تهذيب التهذيب ٧/ ١٦٦. تعجيل المنفعة/ ٢٨٥. تاريخ جرجان/ ٦٣٣. جامع الرواة

١/ ٥٣٧. الجرح والتعديل ٧/ ٢. جمهرة أنساب العرب/ ٤٠٢، ٤٢٠. الجمل أو النصرة في حرب البصرة/ ١٤٥. خزانة الأدب ١/ ١٣٠. خلاصة الأقوال/ ١٣٠. الدرجات الرفيعة/ ٣٥٢. رجال ابن داود/ ١٣٣. رجال الطوسي/ ٤٩. سفينة البحار ٢/ ١٧٠. شذرات الذهب ١/ ٧٤. ابن أبي الحديد ١/ ٢٥٩ و٢/ ٢١٥. ٣٠٤ و٣/ ١٠٠. ٢٠٣ الفهارس/ ١٧٦. الشعر والشعراء/ ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ٣١٦. الطبقات الكبرى ١/ ٣٢٢ و٢/ ١٦٤ و٦/ ١١٨، ٢١٨، ٢٤٧، ٢٩٤. العقد الفريد ١/ ١٩٨ و٢/ ١٢٥ و٣/ ٣١٣ و٤/ ١٧ و٨/ ٤٧. الغدير ١/ ٥٤، ١٧٦، ١٨٥ و٢/ ٧٨ و٣/ ٢١، ٩٩، ١٢٤، ٢٢٩. الغارات ٢/ ٤٥٣، ٥٥٣، ٨١٠. قاموس الرجال ٦/ ٢٩١. الكامل في التاريخ ٢/ ٣٤٥. ٣٤٧ و٣/ ٤٨١. ٤٨٣ و٤/ ٢٤٢، ٢٩٦. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٥. مجمع الرجال ٤/ ١٣٦. مرآة الجنان ١/ ١٤٢. مروج الذهب ٢/ ٣٩٢. معجم رجال الحديث ١١/ ١٣٤. معجم الشعراء/ ٢٥١. المناقب ٣/ ١٥٤. منتهى المقال/ ٢٠٥. مجالس المؤمنين ١/ ٢٤٥. المجروحون من المحدثين ٣/ ١٥٥. النجوم الزاهرة ١/ ١٨٠. نقد الرجال/ ٢٢٠. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤١٤. وقعة صفّين/ ٦٤، ٩٨، ١١٧، ١٣٧، ١٤٣، ١٩٧، ٢٠٥، ٣٥٩، ٤٠٢. ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٥٥. ٥٥٤. وفيات الأعيان ٦/ ١٠٥.





العكبر بن جدير بن المندر الأسدي الكوفي[(١)]

«أبطل مقدام ومقاتل لا يكلّ»

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أنه كان فارس أهل الكوفة الذي لا ينازعه رجل، يقال له: العكبر بن جدير الأسدي، وكان فارس أهل الشام الذي لا ينازع عوف بن مجزاة المرادي المكنى: أبا أحمر، وكان العكبر له عبادة ولسان لا يطاق، فقام إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين أن في أيدينا عهداً من الله لا نحتاج فيه إلى الناس وقد ظننا بأهل الشام الصبر وظنوه بنا فصبروا وصبرنا، وقد عجبت من صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة، وصبر أهل الحق عن أهل الباطل، ثم نظرت فإذا أعجب مما تعجبت منه جهلي بآية من كتاب الله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾[(٢)] الآية، فأثنى عليه علي خيراً وخرج الناس إلى مصافهم وخرج عوف بن مجزاة المرادي نادراً من الناس، وكذلك كان يصنع وكان قتل قبل ذلك نفراً مبارزة، فنادى أهل العراق: هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا أغركم من نفسي، فأنا فارس روف، فصاح الناس العكبر فخرج إليه منقطعاً من أصحابه والناس وقوف فوقف المرادي وهو يقول[(٣)]:

[البحر الرجز المجزوء]

بالشام أمن ليس فيه خوف ... بالشام عدل ليس فيه حيفُ

أنا المرادي ورهطي روف ... أنا ابن مجزاة واسمي عوفُ

---

(١) أعيان الشيعة ج١٢ ص ١٧٦، ح٨١٩٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ١ -٢ .

(٣) بطل مقدام ومقاتل لا يكلّ. وكان له لسان بليغ وبيان يأخذ بالقلوب. اشترك في صفّين، واستبسل حتى أهدر معاوية دمه غيظاً. وكان ينظم الشعر أيضاً ونلحظ في شعره الفيّاض إعلاءً لملحمة الحقّ، وإخزاءً لحزب الطلقاء.

هــل مــن عــراقــي عــصــاه ســيــفٌ يــبــرز لــي وكــيــف لــي وكــيــفُ

فبرز إليه العكبر وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

الــشــام مــحــل والــعــراق تــمــطــرُ بــهــا الإمــام والإمــام مــعــذرُ
أنــا الــعــراقــي واســمــي الــعــكــبرُ ابــن جــديــر وأبــوه الــمــنــذرُ
أدن فــإنــي لــلــكــمــي مــصــحــرُ

فاطّعنا فصرعه العكبر فقتله، ومعاوية على التل في أناس من قريش وغيرهم، فوجه العكبر فرسه فملأ فروجه ركضاً يضربه بالسوط مسرعاً نحو التل، فنظر إليه معاوية فقال: إن هذا الرجل مغلوب على عقله أو مستأمن فاسألوه، فأتاه رجله وهو في حمو فرسه فناداه فلم يجبه، ومضى حتى انتهى إلى معاوية وجعل يطعن في أعراض الخيل، ورجا العكبر أن يفردوا له معاوية، فقتل رجالاً وقام القوم دون معاوية بالسيوف والرماح فلما لم يصل إلى معاوية نادى: أولى لك يا بن هند أنا الغلام الأسدي، ورجع إلى علي فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت يا عكبر.

قال: أردت غرة ابن هند وكان شاعراً فقال:

[البحر الطويل]

قتلت المراديّ الذي جاء باغياً ينادي وقد ثار العجاج نزالِ
يقول أنا عوف بن مجزاة والمنى لقاء ابن مجزاة بيوم قتالِ
فقلت له لما علا القوم صوته منيت بمشبوح الذراع طوالِ
فأوجرته في معظم النقع صعدة ملأت بها رعباً قلوب رجالِ
فغادرته يكبو صريعاً لوجهه ينادي مراداً في مكرّ مجالِ
فقدمت مهري آخذاً حدّ جريه فأضربه في حومة بشمالي
أريد به التلّ الذي فوق رأسه معاوية الجاني لكل خبالِ
يقول ومهري يعرف الجري جامحاً بفارسه قد بان كل ضلالِ
فلما رأوني أصدق الطعن فيهم جلا عنهم وجم الغيوب فعالي
فقام رجال دونه بسيوفهم وقام رجال دونه بعوالي

فلو نلته نلت المنى ليس بعدها   من الأمر شيء غير قيل وقالِ
ولو مت في نيل المنى ألف ميتة   لقلت إذا ما مت لست أبالي

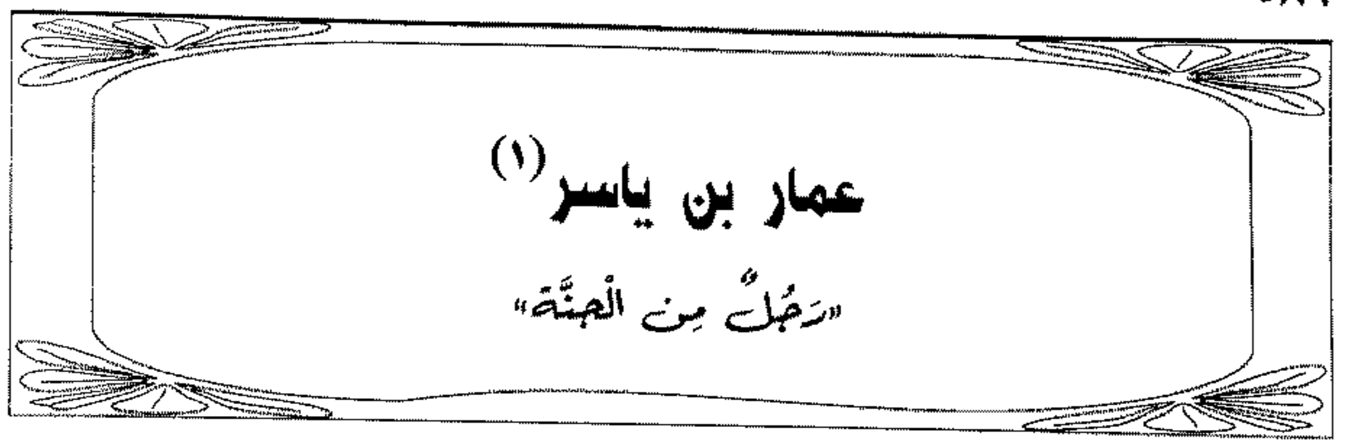
فانكسر أهل الشام لقتل عوف وهدر معاوية دم العكبر.

فقال العكبر: يد الله فوق يد معاوية فأين دفاع الله عن المؤمنين.

مصادره

شرح ابن أبي الحديد ٨/ ٨٨ . ٩١. وقعة صف ين/ ٤٥٠ . ٤٥٢.





عمار بن ياسر(١)

«رجلٌ مِن الجنَّة»

أبو اليقظان عمار بن ياسر العنسي، يعتبر عمار من المسلمين الأوائل، وهو من بين من أسلموا بدار الأرقم ابن أبي الأرقم، وقد دعيت تلك الدار بدار الإسلام، حيث كان يتم فيها إسلام الراغبين باعتناق الإسلام، وقد سار عمار إلى تلك الدار بعد فترة وجيزة من سماعه بخبر النبي ﷺ في النبوة، وتقول بعض المصادر: أنه صادف صهيب بن سنان الرومي واقفاً أمام باب دار الأرقم، ولما كان الأمر يقتضي منهما الكتمان وإخفاء الغرض تساءلا بدهشة:

قال عمار: ما تريد؟.

وقال صهيب: وما تريد أنت؟.

فأجاب عمار: أردت أن أدخل على محمد وأسمع كلامه!..

وقال صهيب: وأنا أردت كذلك.

ثم دخلا، فعرض النبي ﷺ عليهما الإسلام فأسلما معاً ثم مكثا يوماً كاملاً وخرجا مستخفين. ورجع عمار إلى بيته فأسلم من بعده أبوه ياسر وأمه سمية وأخوه عبد الله، والظاهر أن لعمار أثراً في إسلام عائلته.

وتم إسلام هذه العائلة في أحرج الظروف، وأقسى ما مر به تاريخ صدر الإسلام من حيث القلة والضعف والهوان.

أدى إسلام أسرة عمار إلى سخط حلفائها من بني مخزوم، فثارت ثائرتهم ونقموا على الأسرة المسلمة، وكان من أثره أيضاً أن عصفت بها عواصف المحن وهاجت عليها رزايا العذاب التي أقل ما وصفت بأنها عذاب إيمان مثلما كانت محنة للإيمان.

---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٢٧، ح٨٦٣٠.

والظاهر أن قريشاً أرادت أن ترد بعذابها للمستضعفين ممن لا قوم لهم ولا عشائر في مكة ولا يملكون قوة ما، من الذين عرفت بإسلامهم إسلام عدد منهم تخويفاً وردعاً وعبرة للآخرين(١).

---

(١) عمّار بن ياسر بن عامر المَذْحِجيّ، أبو اليقظان، وأُمّه سميّة، وهي أوّل من استشهد في سبيل الله. من السابقين إلى الإيمان والهجرة، ومن الثابتين الراسخين في العقيدة؛ فقد تحمّل تعذيب المشركين مع أبويه منذ الأيّام الأولى لبزوغ شمس الإسلام، ولم يداخله ريب في طريق الحقّ لحظة واحدة.
شهد له رسول الله ﷺ بأنّه يزول مع الحقّ، وأنّه الطيّب المطيَّب وأنّه مُلِيء إيماناً. وأكّد أنّ النار لا تمسّه أبداً. وهو ممّن حرس - بعد رسول الله ﷺ - «خلافة الحقّ» و «حق الخلافة». ولم يَنكُب عن الصراط المستقيم قط، وصلّى مع أمير المؤمنين عليه السلام على جنازة السيّدة المطهّرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وظلّ ملازماً للإمام صلوات الله عليه.
ولي الكوفة مدّةً في عهد عمر. وكان قائداً للجيوش في فتح بعض الأقاليم. ولمّا حكم عثمان كان من المعارضين له بجدٍّ. وانتقد سيرته مراراً، حتى همّ بنفيه إلى الربذة لولا تدخّل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ حال دون تحقيق هدفه.
ضُرب بأمر عثمان لصراحته، وفعل به ذلك أيضاً عثمان نفسه، وظلّ يعاني من آثار ذلك الضرب إلى آخر عمره.
وكان لاشتراكه الفعّال في حرب الجمل، وتصدّيه لقيادة الخيّالة في جيش الإمام عليه السلام مظهر عظيم. كما تولّى في صفّين قيادة رجّالة الكوفة والقرّاء. تحدّث مع عمرو بن العاص وأمثاله من مناوئي الإمام عليه السلام في غير موطن، وكشف الحقّ بمنطقه البليغ واستدلالاته الرصينة.
وفي صفّين استُشهد هذا الصحابيّ الجليل والنموذج المتألّق، فتحقّقت بذلك النبوءة العظيمة لرسول الله ﷺ؛ إذ كان قد خاطبه قائلاً: تقتلك الفئة الباغية. وكان له من العمر إبّان استشهاده ثلاث وتسعون سنة.
نُقل الخبر الغيبي الذي أدلى به النبيّ ﷺ حول قتل الفئة الباغية عمّارَ بن ياسر بألفاظ متشابهة، وطرق متعدّدة. وكان الناس ينظرون إلى عمّار بوصفه المقياس في تمييز الحق والباطل. وأُثر هذا الحديث بصيغة: «تقتلك الفئة الباغية»، وبصيغة: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية»، وبصيغة: «تقتله الفئة الباغية» على لسان سبعة وعشرين من الصحابة، وهم: أبو سعيد الخدري، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاوية، وأبو هريرة، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، وأبو اليسر، وعمّار، وأُمّ سلمة، وقتادة بن النعمان، وأبو قتادة، وعثمان بن عفّان، وجابر بن سمرة، وكعب بن مالك، وأنس بن=

. . . .

=مالك، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وحذيفة، وابن عبّاس، وأبو أيّوب، وعبدالله بن أبي هذيل، وعبد الله بن عمر، وأبو سعد، وأبو أمامة، وزياد بن الفرد، وعائشة وصرّح البعض بتواتره كابن عبد البرّ، والذهبي، والسيوطي، وأثر هذا الحديث مشكلة لمعاوية بعد استشهاد عمار، فحاول توجيهه بقوله: ما نحن قتلناه وإنّما قتله مَنْ جاء به! فقال الإمام عليه السلام في جوابه: فرسول الله صلى الله عليه وآله إذن قاتلُ حمزة!.

ولا يمكن لهذه الصفحات القليلة أن تفي بحقّ تلك الشخصيّة العظيمة قط.

وأترككم مع هذا النصوص من الروايات والتاريخ، التي بيّنت لنا غيضاً من فيض فيما يرتبط بهذه القمّة الرفيعة شرفاً، واستقامة، وحريّة.

رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان.

الإمام عليّ عليه السلام ـ لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ: يا رسول الله، إنّك قلت: «إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة» فمن هؤلاء الثلاثة؟ قال: أنت منهم وأنت أوّلهم، وسلمان الفارسي؛ فإنّه قليل الكبر، وهو لك ناصح؛ فاتّخذه لنفسك، وعمّار بن ياسر شهد معك مشاهد غير واحدة، ليس منها إلاّ وهو فيها كثيرٌ خيرُه، ضويّ نوره، عظيم أجره.

عنه عليه السلام: جاء عمّار يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله فقال: ائذنوا له، مرحباً بالطيّب المطيَّب.

رسول الله صلى الله عليه وآله: مُلِيء عمّار إيماناً إلى مُشاشه.

عنه صلى الله عليه وآله: ابن سميّة ما عُرض عليه أمران قطّ إلاّ أخذ بالأرشد منهما.

عنه صلى الله عليه وآله: عمّارٌ خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحقّ حيث زال، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

الإمام علي عليه السلام ـ في وصف عمّار ـ: ذلك امرؤ خالط الله الإيمان بلحمه ودمه وشعره وبَشَره، حيث زال زال معه، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

رسول الله صلى الله عليه وآله: دم عمّار ولحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسّه.

الإمام عليّ عليه السلام – في وصف عمّار بن يسار –: . . . ذاك امرؤٌ حرّم الله لحمه ودمه على النار أن تمسّ شيئاً منهما.

رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ إنّك أولعتهم بعمّار يدعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النار.

عنه صلى الله عليه وآله: ما لهم ولعمّار؟ يدعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النار، وذاك دأب الأشقياء الفجّار.

المستدرك على الصحيحن عن حبّة العرني: دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن، فقال: دوروا مع كتاب الله حيثما دار، وانظروا الفئة التي فيها ابن سميّة فاتّبعوها؛ فإنّه يدور مع كتاب الله حيثما دار.=

. . . .

=قال: فقلنا له: ومَن ابن سميّة؟.

قال: عمّار، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية، تشرب شربة ضَياح[1] تكن آخر رزقك من الدنيا.

الإمام عليّ عليه السلام: إنّ امْرءاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمّار، ويدخل عليه بقتله مصيبةٌ موجعة، لَغيرُ رشيد، رحم الله عمّاراً يوم أسلم، ورحم الله عمّاراً يوم قُتل، ورحم الله عمّاراً يوم يُبعث حيّاً!.

لقد رأيت عمّاراً ما يُذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلاّ كان الرابع، ولا خمسة إلاّ كان الخامس، وما كان أحد من أصحاب محمّد ﷺ يشكّ في أن عمّاراً قد وجبت له الجنّة في غير موطن، ولا اثنين، فهنيئاً له الجنّة! عمّار مع الحقّ أينما دار، وقاتِل عمّار في النار.

الأمالي للطوسي عن عمّار: لو لم يبق أحد إلا خالف عليّ بن أبي طالب لما خالفته، ولا زالت يدي مع يده؛ وذلك لأنّ عليّاً لم يزَل مع الحقّ منذ بعث الله نبيّه ﷺ؛ فإنّي أشهد أنّه لا ينبغي لأحد أن يُفضّل عليه أحداً.

أنساب الأشراف عن أبي مخنف: إنّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان، وخوّفوه ربّه، وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به، فقرأ صدراً منه، فقال له عثمان: أعليَّ تقدم من بينهم؟ فقال عمّار: لأنّي أنصحهم لك، فقال: كذبت يا بن سميّة، فقال: أنا والله ابن سميّة وابن ياسر.

فأمر غلماناً له فمدّوا بيديه ورجليه، ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفّين على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً، فغُشي عليه.

أنساب الأشرف عن أبي مخنف: كان في بيت المال بالمدينة سَفَط[2] فيه حلي وجواهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإنْ رَغِمَتْ أُنوف أقوام.

فقال له عليّ: إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه.

وقال عمّار بن ياسر: أُشهد الله أنّ أنفي أوّل راغم من ذلك، فقال عثمان: أعليَّ يابن=

---

(١) الضَّياح: اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط (النهاية ٣/ ١٠٧).

(٢) السَّفط: الذي يُعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. (لسان العرب: ٧/ ٣١٥).

. . . .

=المُتْكاء[1] تجترىء؟ خذوه، فأُخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غُشي عليه، ثمّ أُخرج فحُمل حتى أُتي به منزل أُمّ سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب، فلمّا أفاق توضّأ وصلّى، وقال: الحمد لله، ليس هذا أوّل يوم أُوذينا فيه في الله. .

وبلغ عائشة ما صنع بعمّار، فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله، وثوباً من ثيابه، ونعلاً من نعاله، ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم، وهذا شعره وثوبه ونعله ولم يَبْلَ بعدُ! فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول.

رجال الكشّي، عن حمران بن أعين، عن الإمام الباقر عليه السلام: قلت: ما تقول في عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً، ثلاثاً! قاتل مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله، وقُتل شهيداً. قلت في نفسي: ما تكون منزلة أعظم من هذه المنزلة؟ فالتفت إليَّ، فقال: لعلّك تقول مثل الثلاثة! هيهات! قلت: وما علمه أنّه يُقتل في ذلك اليوم؟.

قال: إنّه لمّا رأى الحرب لا تزداد إلاّ شدّة، والقتل لا يزداد إلاّ كثرة، ترك الصفّ وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هو هو؟ قال: ارجع إلى صفّك، فقال له ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك يقول له: ارجع إلى صفّك، فلمّا أن كان في الثالثة قال له: نعم. فرجع إلى صفّه وهو يقول: اليوم ألقى الأحبّة، محمّداً وحزبه.

الإمام عليّ عليه السلام **- في الديوان المنسوب إليه ممّا أنشده في شهادة عمّار -:**

[البحر الطويل]

ألا أيّها الموت الذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كلّ خليلِ

أراك مضرّاً بالذين أحبّهم ... كأنّك تنحو نحوهم بدليلِ

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بشّرْ قاتل ابن سميّة بالنار.

وعنه صلى الله عليه وآله - في عمّار -: إنّ قاتله وسالبه في النار.

وعنه صلى الله عليه وآله: ويح عمّار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار.

المناقب لابن شهر آشوب: كثر أصحاب الحديث على شريك[2]، وطالبوه بأنّه يُحدّثهم بقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «تقتلك الفئة الباغية» فغضب وقال: أتدرون أن لا فخر لعليّ أن يُقتل معه عمّار، إنّما الفخر لعمّار أن يُقتل مع عليّ عليه السلام.

الكامل في التاريخ: إنّ أبا الغارية قتل عمّاراً وعاش إلى زمن الحجّاج، ودخل عليه=

---

(١) المتكاء: هي التي لم تختتن. وقيل: هي التي لا تحبس بولها. وأصله من المثل. (النهاية: ٤/ ٢٩٣).

(٢) هو شريك بن عبد الله الكوفي، ولد سنة (٩٠هـ) ومات سنة ١٧٧هـ.

وكان وقود هذا الرد والتعذيب الحديد الحار والنار، والأسواط ثم أرض مكة في وهج الظهيرة.

وقد كثرت الروايات حول فنون عذاب المخزوميين لأسرة ياسر، ونجد إشارات متعددة في أغلب كتب التاريخ.

فقد ذكر اليعقوبي: كان المشركون يخرجون هذه الأسرة المؤمنة إذا حميت الظهيرة ويأخذون منهم مأخذاً عظيماً من البلاء، يعذبونهم برمضاء مكة، وأخذت قريش ياسراً وسمية وابنيهما (عمار وعبد الله)، وبلالاً، وخباباً، وصهيباً، فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ.

ثم جاء إلى كل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها ثم حملو بجوانبها وربطوا سمية بين بعيرين، وجاء أبو جهل يشتمها ويرفث ثم طعنها في قلبها وهي تأبى إلا الإسلام وقتلوا زوجها ياسراً، فكانا أول شهيدين في الإسلام، ويبلغ العذاب بعمار إلى درجة لا يدري ما يقول ولا يعي ما يتكلم.

وروي أنه قال للنبي ﷺ: لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ.

قال النبي ﷺ: صبراً أبا اليقظان، اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار.

ويقال إنه ﷺ كان يمر بهم فيدعو بقوله: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة. اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت.

وقد لوحظت آثار واضحة على ظهر عمار حتى أواخر حياته.

وروي أن عمار جاء النبي فقال له النبي ﷺ: ما وراءك.

=فأكرمه الحجّاج وقال له: أنت قتلت ابن سميّة - يعني عماراً -؟ قال: نعم... ثمّ سأله أبو الغارية حاجته فلم يُجِبه إليها، فقال: نوطّيء لهم الدنيا، ولا يعطونا منها، ويزعم أنّي عظيم الباع يوم القيامة!.

فقال الحجّاج: أجل والله، من كان ضرسه مثل أُحد، وفخذه مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والربذة إنّه لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أنّ عمّاراً قتله أهل الأرض كلّهم لدخلوا كلّهم النار.

قال عمار: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كيف تجد قلبك؟.

قال عمار: مطمئناً بالإيمان.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فإن عادوا فعد.

ثم نزلت الآية الكريمة في إقرار هذا اللون من الدعوة وإمضاء ما فعله عمار أمام أعدائه بقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[1].

وبموجب هذه الآية أقر مبدأ التقية في تشريع الإسلام، وأيد الرسول مثل هذا التظاهر باللسان.

قتل في صفين وكان عمره أربعاً وتسعين سنة، وهو من السابقين الأولين- ، هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وصلى إلى القبلتين، وشهد بدراً واحداً وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبلى بلاء حسناً، وهو في كل الوقائع من المقدمين في الجيش، ويوم ثار مسيلمة الكذاب ثم قضي عليه يوم اليمامة كان عمار من رجال ذلك اليوم المعدودين الذي انتصر فيه المسلمون على المرتدين.

روى الواقدي، عن عبد الله بن عمر قال: رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف عليها يصيح: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إليّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد قتال.

كان عمار آدم طوالاً مضطرباً أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين..

قال ابن عبد البر: إن عماراً قال: كنت ترباً لرسول الله في سنه، لم يكن أحد أقرب إليه مني.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

وعمار اسم ميمون، قال في القاموس: العمار الكثير الصلاة والصيام القوي الإيمان، الثابت في أمره والطيب الثناء والطيب الروائح، والمجتمع الأمر إلى آخر ما قال.

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب: استأذن على رسول الله يوماً فعرف صوته فقال: مرحباً بالطيب ابن الطيب ائذنوا له.

وقد أجمع أهل التفسير أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[1] نزل في عمار بن ياسر إذ أنه أعطى المشركين بلسانه ما أرادوا مكرهاً.

فقال قوم: يا رسول الله إن عماراً كفر.

فقال الرسول ﷺ: كلا إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه.

وجاء عمار إلى رسول الله وهو يبكي، فقال النبي: ما وراءك؟

فقال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت:

وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أنه قال لعمار بن ياسر: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، ووردت في فضله أحاديث كثيرة منها قول النبي ﷺ: عمار جلدة بين عيني.

وقال ابن عبد البر: كتب عمر إلى أهل الكوفة أما بعد: فإني بعثت إليكم عماراً أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ فاسمعوا لهما واقتدوا بهما.

وروي عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله: كم ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم عمار بن ياسر.

وروى النسائي في الخصائص، بسنده عن أم سلمة أن رسول الله قال لعمار: تقتلك الفئة بالغاية.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

وبسنده عن أم سلمة قالت: لما كان يوم الخندق وهو يعاطيهم اللبن وقد اغبر شعر صدره، فوالله ما نسيت وهو يقول: اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة، وجاء عمار فقال: ابن سمية تقتله الفئة الباغية.

وبسنده عن حنظلة بن خويلد، كنت عند معاوية فأتاه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته.

فقال عبيد الله بن عمر: يطيب أحدكما نفساً لصاحبه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتلك الفئة الباغية.

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد المسير إلى صفين دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فاستشارهم، فقام فيمن قام عمار بن ياسر فذكر الله بما هو أهله وحمده وقال: يا أمير المؤمنين إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فأشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى رشدهم وحظهم، فإن قبلوا سعدوا وإن أبوا إلا حربنا، فوالله إن سفك دمائهم والجد في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامة منه.

وروى نصر في كتاب صفين: أن عمار بن ياسر قال: لما ظهر من أبي زينب ابن عوف بعض الشك حين عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى صفين:

أثبت أبا زينب ولا تشك في الأحزاب عدو الله ورسوله، وخرج عمار وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي ... سيروا فخير الناس أتباع علي
هذا أوان طاب سلُّ المشرفي ... وقودنا الخيل وهزُّ السمهري

وحمل يوم صفين وهو يقول:

[البحر الخفيف]

صدق الله وهو للصدق أهل ... وتعالى ربي وكان جليلا
ربّ عجّل شهادة لي بقتل ... في الذي قد أحبّ قتلاً جميلا

مـقـبـلاً غـيـر مـدبـر أن لـلـقـتـل عـلـى كـل مـيـتـة تـفـضـيـلا
إنـهـم عـنـد ربـهـم فـي جـنـان يـشـربـون الـرحـيـق والـسـلـسـبـيـلا
من شراب الأبرار خالطه المسك وكـأسـاً مـزاجـهـا زنـجـبـيـلا

وبسنده عن النبي ﷺ أنه رآهم يحملون حجارة المسجد فقال: ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

وبسنده قال: لقد ملىء عمار إيماناً إلى مشاشه.

وبسنده عن النبي ﷺ: إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان.

وبسنده لما بني المسجد جعل عمار يحمل حجرين حجرين، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا اليقظان لا تشقق على نفسك.

قال: يا رسول الله إني أحب أن أعمل في هذا المسجد، ثم مسح على ظهره ثم قال: إنك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية.

وروى نصر في كتاب صفين، بسنده عن عبد خير الهمداني قال: نظرت إلى عمار بن ياسر يوماً من أيام صفين رمي رمية فأغمي عليه ولم يصل الظهر والعصر والمغرب ولا العشاء ولا الفجر، ثم أفاق فقضاهن جميعاً يبدأ بأول شيء فاته ثم التي تليها.

وفيه بسنده عن حذيفة بن اليمان، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ابن سمية لم يخير بين أمرين قط إلا اختار أرشدهما يعني عماراً، فالزموا سمته.

قال: وفي حديث عمرو ابن شمر قال: حمل عمار يوم صفين وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

كـلا ورب الـبـيـت لا أبـرح أجـي حـتـى أمـوت أو أرى مـا أشـتـهـي
أنـا مـع الـحـق أحـامـي عـن عـلـي صـهـر الـنـبـي ذي الأمـانـات الـوفـي
ونـقـطـع الـهـام بـحـد الـمـشـرفـي

وروى أحمد بن عبد العزيز الجوهري في زيادات كتاب السقيفة قال: نادى عمار بن ياسر يوم بويع عثمان: يا معشر المسلمين إنا قد كنا وما كنا نستطيع

الكلام قلة وذلة فأعزنا الله بدينه وأكرمنا برسوله، فالحمد لله رب العالمين، يا معشر قريش إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم تحولونه هاهنا مرة وهاهنا مرة، ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.

فقال له هشام ابن الوليد بن المغيرة: يا بن سمية لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك ما أنت وما رأت قريش لأنفسها، إنك لست في شيء من أمرها وإمارتها فتنحَّ عنها، وتكلمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه.

فقال: الحمد الله رب العالمين ما زال أعوان الحق أذلاء ثم قام فانصرف «اهـ».

وكان عمار حليفاً لبني مخزوم، ولهذا لما نال غلمان عثمان من عمار ما نالوا من الضرب لانتقاده ولاة عثمان حتى انفتق له فتق في بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه، اجتمعت بنو مخزوم وقالوا: والله لئن مات لا قتلنا به أحداً غير عثمان.

وسبب ذلك أن عثمان بن عفان أرسل رجالاً يتحرون العمال ومنهم عمار إلى مصر فعادوا يمتدحون الولاة إلا عماراً استبطأه الناس حتى ظنوا أنه اغتيل، فلم يفاجئهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد ابن أبي سرح والي مصر يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه، فكان تصريح عمار بالحق سبب اعتداء غلمان عثمان عليه، ولم يمنعه ذلك أن يجاهر بالحق ويذكر مظالم والي مصر عبد الله بن سعد المذكور، فصدق عليه أنه ممن لا تأخذه لومة لائم في سبيل الحق وهو أول من جاهر فيه ولم يداهن الولاة ولم يبالِ بطشهم، فكان أول «مفتش إداري» مخلص.

روى نصر بن مزاحم أنه لما كانت وقعة صفين، ونظر عمار إلى راية عمرو بن العاص قال: والله إن هذه الراية قد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن.

ورواية ابن جرير في تاريخه: لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ، وهذه الرابعة ما هي أبر ولا أتقى.

وروى ابن جرير، وابن عبد البر، عن الأعمش، عن أبي عبد الرحمن

السلمي قال: شهدنا مع علي صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم، وسمعته يقول يومئذٍ لهاشم بن عتبة: يا هاشم تقدم الجنة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسل، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال:

[البحر الرجز المجزوء]

نحن ضربناكم على تنزيلهِ فاليوم نضربكم على تأويلهِ
ضرباً يزيل الهام عن مقيلهِ ويذهل الخليل عن خليلهِ
أو يرجع الحق إلى سبيلهِ

فلم أرَ أصحاب محمد ﷺ قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذٍ.

قال ابن الأثير: خرج عمار بن ياسر على الناس (يوم صفين) فقال: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم لو أني أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإني لا أعلم اليوم عملاً أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم عملاً هو أرضى منه لفعلته، والله لو ضربونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال: من يبتغي رضوان الله لا يرجع إلى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون بدم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحقبوها، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها، ولم تكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم، بأن قالوا إمامنا قتل مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً فبلغوا ما ترون، ولولا هذه الشبهة لما تبعهم رجلان من الناس، اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم، ثم مضى وهو يقول: الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر تباً لك تباً لك.

فقال عمرو: لا ولكن أطلب بدم عثمان.

فقال له عمار: أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله تعالى وإنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك لغد؟ ثم قاتل عمار ولم يرجع حتى قتل.

وكان الذي تولى قتل عمار أبو الغادية الفزاري وابن جزء السكسكي، فأما أبو الغادية فطعنه برمح، وأما ابن جزء فاحتز رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول: أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار فسمعها معاوية.

فقال لعمرو: ما رأيت مثلما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا نقول لهما: إنكما تختصمان في النار.

فقال عمرو: هو والله ذاك وإنك لتعلمه ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة.

ومقتل عمار أزال الشبهة لكثير من الناس، وكان سبباً لرجوع جماعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام والتحاقهم به كما جرى لخزيمة بن ثابت، فإنه ما زال كافاً سلاحه معتزلاً الحرب في الجمل، وفي بعض أيام صفين حتى قتل عمار، فأصلت سيفه وقاتل مع علي عليه السلام حتى قتل وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتل عماراً الفئة الباغية.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه عمرو حين قتل عمار: أقتلتم عماراً وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال؟.

فقال عمرو لمعاوية: أتسمع ما يقول عبدالله؟.

فقال معاوية: إنما قتله من جاء به وسمعه أهل الشام فقالوا: إنما قتله من جاء به.

ورواية ابن جرير الطبري، عن أبي عبد الرحمن السلمي: فلما كان الليل قلت: لأدخلن إليهم حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا فركبت فرسي - وقد هدأت الرجل ثم دخلت وإذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية، وأبو الأعور

السلمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو خير الأربعة، فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقين.

فقال عبد الله لأبيه: يا أبتِ قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال.

قال: وما قال؟.

قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين فغشي عليه فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يا بن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية فدفع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال: يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله؟.

قال: وما يقول؟.

فأخبره الخبر فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك أو نحن قتلنا عماراً، إنما قتل عماراً من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم.

ولما بلغ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ذلك قال: يكون النبي ﷺ قاتل حمزة لأنه جاء به.

وأورد ابن عساكر الدمشقي في تاريخه: أن علياً ﷺ قال حين قتل عمار: إن امرءاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمار بن ياسر ويدخل عليه المصيبة لغير رشيد، رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قتل، ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً، ولا خمسة إلا كان خامساً.

أما «عَمار»، فقد حمله الإمام «عليّ» عليه السلام فوق صدره إلى حيث صلّى عليه والمسلمون معه... ثم دفَنه في ثِيابه..

أجَلْ - في ثِيابه المُضَمَّخَةِ بدمه الزكيِّ الطَّهور.. فما في كُلِّ حرير الدنيا وديباجها ما يصلُح أن يكون كَفناً لشهيد جليل، وَقِدِّيس عظيم من طراز عمَّار...

ووقف المسلمون على قبره يَعْجَبُون..!!

منذ ساعات كان «عمار» يُغَرِّدُ بينهم فوق أرض المعركة... تملؤ نفسه غبطة الغريب المُضْنَى يُزَف إلى وطنه، وهو يصيح:

«اليوم ألْقَى الأحِبَّة، محمداً وصحبَه»..!!!

أكان معهم اليوم على موعد يعرفه، وميقاتٍ ينتظره..؟؟!!

وأقبل بعض الأصحاب على بعضهم يتساءلون..

قال أحدهم لصاحبه: - أتذكر أَصِيلَ ذلك اليوم بالمدينة ونحن جالسون مع رسول الله صلى الله عليه وآله... وفجأة تهلّلَ وجهه وقال: «اشتاقت الجنةُ لعمَّار»..؟؟

قال له صاحبه نعم، ولقد ذكر يومها آخرين.. منهم عليّ، وسلمان. وبلال...

إذن، فالجنَّة كانت مُشتاقَةً لعمار..

وإذن، فقد طال شوقها إليه، وهو يَسْتَمْهِلها حتى يؤدي كل تَبعَاته، ويُنْجز آخر واجباته..

ولقد أدّاها في ذِمَّة، وأنْجَزها في غِبْطة..

أفما آنَ له أن يُلَبِّيَ نداء الشَّوق الذي يهتف به رحاب الجنان..؟؟

بَلَى.. آن له أن يلبي النداء.. فما جزاءُ الإحسان إلا الإحسان.. وهكذا أَلْقَى رُمْحَه ومضى..

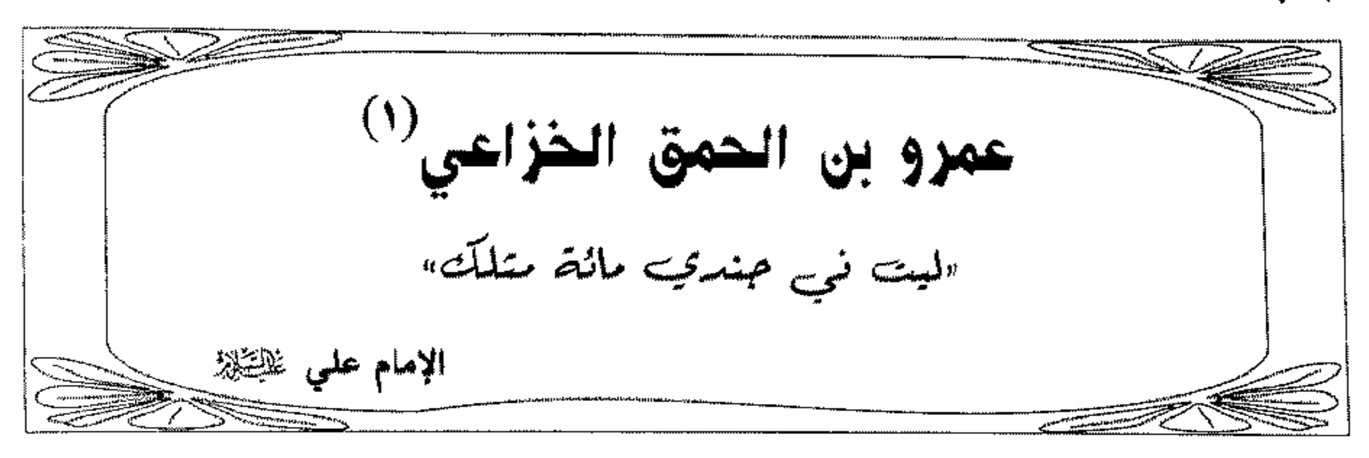
وحين كان تُراب قبره يُسَوَّى بيد أصحابه فوق جثمانه، كانت رُوحُه تُعَانِقُ مصيرها السعيد هناك.. في جَنَّات الخُلْد، التي طال شوقُها لعمَّار..!

✍ مصادره

إتقان المقال/ ١٠٠. الأخبار الطوال/ ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٤ و١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٥، ١٧١، ١٧٤، ١٧٨. الاستيعاب ٢/ ٤٧٦. أسد الغاب ٤/ ٤٣. الاشتقاق/ ١٤١، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٦. الإصابة ٢/ ٥١٢. الأعلام ٥/ ١٩١. الإمامة والسياسة

١/ ٦٢، ٨١، ١١٠. البداية والنهاية ٧/ ٢٦٧، ٣١٢. تأسيس الشيعة/ ٤٠٦. تاريخ الطبري ٦/ ٢١ وج١٣/ ١١. تاريخ بغداد ١/ ١٥٠. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تاريخ الخميس ٢/ ٢٧٧. تحفة الأحباب/ ٢٤١. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦. تقريب التهذيب ٢/ ٤٨. تنقيح المقال ٢/ ٣٢٠. تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٨. جامع الرواة ١/ ٦١٤. الجريح والتعديل ٦/ ٣٨٩. جمهرة أنساب العرب/ ٤٠٥. الجمل/ ١٣٧. حلية الأولياء ١/ ١٣٩. خلاصة الأقوال/ ١٢٨. الدرجات الرفيعة/ ٢٥٥. الدر المنثور/ ٢٥٢. رجال ابن داود/ ١٤٣. رجال الشيخ الطوسي/ ٤٦. رجال الكشي/ ٢٩. رجال البرقي/ ١. سفينة البحار ٢/ ٢٧٥. شذرات الذهب ١/ ٤٥. ابن أبي الحديد ١/ ١٩٣، ٢٢٠، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٣ . و٢٠/ ٨، ٣٣٤ الفهارس/ ١٩٥. الطبقات الكبرى ٣/ ٢٤٦. الغدير ١/ ٥٦، ١٢٠، ١٥١، ١٦٥، ١٨٥، ١٩٠ . الفهارس/ ٢٣٤. الغارات ٢/ ١٠٣٠. الفوائد الرجالية ٢/ ١٦٨، ١٧٢، ٣٣٩. قاموس الرجال ٧/ ١٠٤. الكامل في التاريخ ١٣/ ٢٥١ . الفهارس .. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٢. مجمع الرجال ٤/ ٢٤٥. مرآة الجنان ١/ ١٠٠. مروج الذهب ٢/ ٣٥١. المعارف/ ١١١. معجم الثقات/ ٣١٢. معجم رجال الحديث ١٢/ ٢٦٥. المناقب ٣/ ١٧٧. منتهى المقال/ ٢٣٣. المجروحون من المحدِّثين ٣/ ٢٦٩. مجالس المؤمنين ١/ ٢٠٨. النجوم الزاهرة ١/ ١١٢. نقد الرجال/ ٢٤٨. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤١٨. وقعة صفين/ ١٥، ٥٤، ٦٤، ١٠١، ١٩٨، ١٩٩٧ ٣١٩. ٣٢٦، ٣٣٣. ٣٤٥. وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٩، ٤٧٦ و٣/ ١٨. هدى الساري/ ٢١٥.





روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن عمرو بن الحمق قال لعلي عليه السلام وهو يتجهز إلى صفين حين سمعه هو وحجر بن عدي يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأمرهما بالكف فقالا: ألسنا محقين.

قال: بلى، ولكن كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، ولكن لو وصفتم مساوىء أفعالهم لكان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالهم، كان هذا أحب إليَّ وخيراً لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك.

وقال عمرو بن الحمق: إني والله يا أمير المؤمنين ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينه، ولا التماس سلطان يرفع ذكري به، ولكن أحببتك لخصال خمس:

١ - إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - وأول من آمن به.

٣ - وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ - وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ - وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد.

فلو أني كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي، حتى يأتي

---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٣٣، ح٨٦٣٥.

عليّ يومي في أمر أقوي به وليك، وأوهن به عدوك، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق عليّ من حقك.

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: اللهم نور قلبه بالتقى واهده إلى صراط مستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذاً والله يا أمير المؤمنين صلح جندك وقلّ فيهم من يغشك «اهـ»(١).

---

(١) **عمرو بن الحمق الكاهن الخزاعي**. صحابيّ جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام.
أسلم بعد الحديبية، وتعلّم الأحاديث من النبيّ صلى الله عليه وآله. وكان من الصفوة الذين حرسوا «حقّ الخلافة» بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فوقف إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام بإخلاص.
واشترك في ثورة المسلمين على عثمان، ورفع صوت الحقّ إزاء التغيّرات الشاذّة التي حصلت في هذا العصر.
شهد حروب أمير المؤمنين عليه السلام وساهم فيها بكلّ صلابة وثبات. وكان ولاؤه للإمام عليه السلام عظيماً حتى قال له: ليت أنّ في جُندي مائة مثلك.
أجل، كان عمرو مهتدياً، عميق النظر. وكان من بصيرته بحيث يرى نفسه فانياً في عليّ عليه السلام، وكان يقول له بإيمانٍ ووعي: ليس لنا معك رأي.
وكان عمرو صاحباً لحجر بن عديّ ورفيق دربه. وصيحاته المتعالية ضدّ ظلم الأُمويّين هي التي دفعت معاوية إلى الهمّ بقتله.
وقتله سنة ٥٠هـ، بعد أن كان قد سجن زوجته الكريمة بغية استسلامه.
وأُرسل برأسه إلى معاوية. وهو أوّل رأس في الإسلام يُحمَل من بلد إلى بلد.
عبّر عنه الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام بـ«العبد الصالح الذي أبْلَتْه العبادة»، وذلك في رسالته البليغة القارعة التي بعثها إلى معاوية، ووبّخه فيها لارتكابه جريمة قتله.
الإمام الكاظم عليه السلام: إذا كان يوم القيامة... ينادي منادٍ: أين حواري عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّ محمّد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمّد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمّار مولى بني أسد، وأويس القرني.
تاريخ الطبري: - في ذكر طلب زياد ومتابعته أصحابَ حُجْر -: فخرج عمرو بن الحمِق ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن، ثمّ ارتحلا حتى أتيا أرض المَوصِل، فأتيا جبلاً فكَمِنا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق أنّ رجلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما - =

. . . .

=وهو رجل من همدان يقال له: عبد الله بن أبي بلتعة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلمّا انتهى إليهما خرجا.

فأمّا عمرو بن الحمِق فكان مريضاً، وكان بطنه قد سَقَى[1]، فلم يكن عنده امتناع، وأمّا رفاعة بن شدّاد - وكان شابّاً قويّاً - فوثب على فرس له جواد، فقال له: أُقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم، فأفرجوا له، فخرج تنفِر به فرسه، وخرجت الخيل في طلبه - وكان رامياً - فأخذ لا يلحقه فارس إلاّ رماه فجرحه أو عقره فانصرفوا عنه، وأُخذ عمرو بن الحمق، فسألوه: من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ لكم، فسألوه، فأبى أن يُخبرهم، فبعث به ابن أبي بلتعة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي - فلمّا رأى عمرو بن الحمق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره.

فكتب إليه معاوية: إنّه زعم أنّه طعن عثمان بن عفّان تسع طعنات بمشاقص[2] كانت معه، وإنّا لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنْه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأُخرج فطُعن تسع طعنات، فمات في الأُولى منهنّ أو الثانية.

تاريخ اليعقوبي: بلغ عبد الرحمن بن أُمّ الحكم - وكان عامل معاوية على الموصل - مكانُ عمرو بن الحمق الخزاعي، ورفاعة بن شدّاد، فوجّه في طلبهما، فخرجا هاربين، وعمرو بن الحمق شديد العلّة، فلمّا كان في بعض الطريق لدغت عمراً حيّة، فقال: الله أكبر! قال لي رسول الله: «يا عمرو! ليشترك في قتلك الجنّ والإنس» ثمّ قال لرفاعة: امضِ لشأنك؛ فإنّي مأخوذ ومقتول.

ولحقته رسل عبد الرحمن بن أُمّ الحكم، فأخذوه وضُربت عنقه، ونُصب رأسه على رمح، وطِيفَ به، فكان أوّل رأس طيف به في الإسلام.

وقد كان معاوية حبس امرأته بدمشق، فلمّا أتى رأسه بعث به، فوُضع في حجرها، فقالت للرسول: أبلغ معاوية ما أقول: طالبه الله بدمه، وعجّل له الويل من نقمه! فلقد أتى أمراً فريّاً، وقتل بَرّاً نقيّاً!.

وكان أوّل من حبس النساء بجرائر الرجال.

الاختصاص: كان عمرو بن الحمق الخزاعي شيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهرزور من الموصل وكتب إليه معاوية: =

---

(١) يقال: سقي بطنه: أي حصل فيه الماء الأصفر. (النهاية: ٢/ ٣٨٢).

(٢) المشاقص: جمع مشقص، وهو فصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض (النهاية: ٢/ ٤٩٠).

وأمره أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين على خزاعة. وقال عمرو بن الحمق يوم صفين:

=أمّا بعد؛ فإنّ الله أطفأ النائرة[1]، وأخمد الفتنة، وجعل العاقبة للمتّقين، ولست بأبعد أصحابك همّة، ولا أشدّهم في سوء الأثر صنعاً، كلّهم قد أسهل بطاعتي، وسارع إلى الدخول في أمري، وقد بطؤ بك ما بطؤ، فادخل فيما دخل فيه الناس، يُمحَ عنك سالف ذنوبك، ويُحيِ داثر حسناتك، ولعلّي لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت واتّقيت ووقيت وأحسنت، فاقدم عليَّ آمناً في ذمّة الله وذمّة رسوله صلى الله عليه وآله، محفوظاً من حسد القلوب وإحَن الصدور، وكفى بالله شهيداً.

فلم يقدم عليه عمرو بن الحمق، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه، وبعث به إلى امرأته فوُضع في حجرها، فقالت: سترتموه عنّي طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً! فأهلاً وسهلاً من هديّة غير قالية ولا مقليّة، بلّغ أيّها الرسول عنّي معاوية ما أقول: طلب الله بدمه، وعجّل الوبيل من نقمه! فقد أتى أمراً فريّاً وقتل بارّاً تقيّاً! فأبلغْ أيها الرسول معاوية ما قلتُ.

فبلّغ الرسول ما قالت، فبعث إليها، فقال لها: أنت القائلة ما قلتِ؟ قالت: نعم، غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه، قال لها: أُخرجي من بلادي، قالت: أفعل، فوالله ما هو لي بوطن ولا أحنُّ فيها إلى سجن، ولقد طال بها سهري واشتدّ بها عبري، وكثر فيها دَيني من غير ما قرّت به عيني.

فقال عبد الله بن أبي سرح الكاتب: يا أمير المؤمنين! إنّها منافقة فألحقها بزوجها، فنظرت إليه فقالت: يا من بين لحييه كجثمان الضفدع، ألا قلت من أنعمك خلعاً وأصفاك كساءً! إنّما المارق المنافق من قال بغير الصواب، واتّخذ العباد كالأرباب، فأُنزل كفره في الكتاب! فأومى معاوية إلى الحاجب بإخراجها، فقالت: واعجباه من ابن هند، يشير إليّ ببنانه ويمنعني نوافذ لسانه، أما والله لأبقرنّه بكلام عتيد كنواقد الحديد، أو ما أنا بآمنة بنت الشريد.

الإمام الحسين عليه السلام ـ من كتابه إلى معاوية ـ: أوَلست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفرت لونه، بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأةً على ربّك، واستخفافاً بذلك العهد؟.

---

(١) النائرة: الحقد والعداوة، وقيل: الكائنة تقع بين القوم. (لسان العرب: ٥/ ٢٤٧).

[البحر البسيط التام]

تقول عرسي لما أن رأت أرقي ماذا يهيجك من أصحاب صفينا
ألست في عصبة يهدي الإله بهم أهل الكتاب ولا بغيا يريدونا
فقلت إني على ما كان من رشد أخشى عواقب أمر سوف يأتينا
إدالة القوم في أمر يراد بنا فاقني حياء وكفّي ما تقولينا

وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: إئت ببني أبيك فقاتل بهم، فإنه إن يكن عند أحد خير فعندهم، فأتى جماعة أهل اليمن فقال: أنتم اليوم الناس، وغداً لكم الشأن، هذا يوم له ما بعده من الأمر، إحملوا معي على هذا الجميع، قالوا: نعم فحملوا وحمل عمرو وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أكرم بجمع طيب يماني جدوا تكونوا أوليا عثمانِ
خليفة الله على تبيانِ

فحمل عليهم عمرو بن الحمق وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

بؤساً لجند ضائع يماني مستوستين كانسياقِ الضّانِ
تهوي إلى راعٍ لها وسْنانِ أقحمها عمرو إلى الهوانِ
يا ليت كفّي عدمت بَناني وأنكم بالشّحر من عمّانِ

ولما رفعت المصاحف يوم صفين، قال عمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين إنا والله ما اخترناك ولا نصرناك عصبية على الباطل، ولا أحببنا إلا الله عز وجل، ولا طلبنا إلا الحق، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لكان فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي «اهـ».

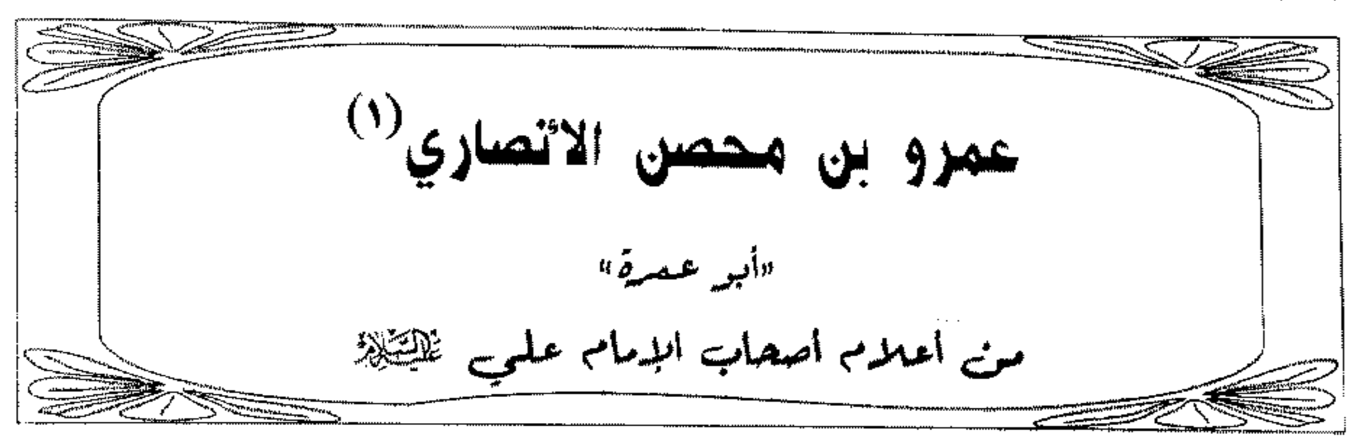
ولما قتل علي بن أبي طالب بعث معاوية في طلب أنصاره، فكان فيمن طلب عمرو بن الحمق الخزاعي فراغ منه، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد، فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم إن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمرو بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله، وبعث برأسه إلى معاوية، فكان أول رأس حمل في الإسلام وأهدي من بلد إلى بلد، فلما أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى آمنة في

السجن، وقال للحرسي: إحفظ ما تتكلم به حتى تؤديه إليَّ واطرح الرأس في حجرها، ففعل، فارتاعت له ساعة ثم وضعت يدها على رأسها وقالت: نفيتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليَّ قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية.

وبعد قتل عمرو كتب الحسين بن علي عليه السلام إلى معاوية: أولست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائراً نزل إليك من رأس جبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد.

مصادره

إتقان المقال/ ١٠١. الأخبار الطوال/ ١٤٩، ١٥٠، ١٦٥، ١٧١، ١٩٦. الاستيعاب ٢/ ٥٢٣. أسد الغابة ٤/ ١٠٠. الإمامة والسياسة ١/ ١٠٩. الاشتقاق/ ٤٧٤. الإصابة ٢/ ٥٣٢. أعلام النساء ١/ ٨١١. أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٢. الأعلام ٥/ ٢٤٤. البداية والنهاية ٨/ ٤٨. بهجة الآمال ٤/ ٤٨٩. تأسيس الشيعة/ ٤٠٦. تاريخ الطبري ١٣/ ٣٥. تاريخ الخميس ٢/ ٢٦٣. تحفة الأحباب/ ٢٤٦ تقريب التهذيب ٢/ ٦٨. تنقيح المقال ٢/ ٣٢٨. تهذيب التهذيب ٨/ ٢٣. تعجيل المنفعة/ ٣١٨. جامع الرواة ١/ ٦٢٠. الجرح والتعديل ٦/ ٢٢٥. جمهرة أنساب العرب/ ٢٣٨. الجمل/ ١٧١. الدرجات الرفيعة/ ٤٣١. رجال ابن داود/ ١٤٥. رجال الشيخ الطوسي./ ٤٧. رجال الكشي/ ٤٦. رجال البرقي/ ٤. سفينة البحار ٢/ ٢٥٩. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٥٩ و٢/ ١٣٣، و٣/ ٢٧ و٤/ ١٧ و٧/ ١٦٦ و٨/ ٥١ و١٥/ ١٧٧. الطبقات الكبرى ٢/ ٤٣، ٤٤ و٣/ ٥٦٢ و٨/ ٣٩٤. العقد الفريد ٣/ ٢٩٩. الغدير ١/ ٥٧ و٣/ ٢١، ٢٣٠ . الفهارس/ ٢٤٠. الغارات ١/ ٣٠٢ و ٢/ ٨٤٣. قاموس الرجال ٧/ ١٣٥. الكامل في التاريخ ٢/ ١٧ و٣/ ١٤٤، ١٦٨، ١٧٩، ٤٦٢، ٤٧٢ . ٤٧٧ و٤/ ٨٣. اللباب ٢/ ١١٩. مجالس المؤمنين ١/ ٢٥٨. مجمع الرجال ٤/ ٢٧٩. المعارف/ ١٢٧. معجم الثقات/ ٣١٣. معجم رجال الحديث ١٣/ ٨٧. المناقب ٣/ ١٥٤. منتهى المقال/ ٢٣٢. النجوم الزاهرة ١/ ٩٠. نقد الرجال/ ٢٥٠. وقعة صفين/ ٦٥، ١٠٣، ٢٠٥ ٣٨١، ٣٩٩، ٤٨٢، ٥٠٧.



قال نصر: كان من أعلام أصحاب علي عليه السلام، قتل في المعركة بصفين، وجزع علي لقتله، وقالت امرأة من أهل الشام[٢]:

[البحر الطويل]

ولا تعدموا قوماً أذاقوا ابن ياسر شعوباً ولم يعطوكم بالخزائم
فنحن قتلنا اليثربيَّ ابن محصنٍ خطيبكم وابنَيْ بديلٍ وهاشمِ[٣]

وقال عبد الله ابن أبي معقل بن نهيك بن يسأف الأنصاري، وفي رواية النجاشي يبكيه:

[البحر الطويل]

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن إذا صائح الحي المصبح ثوبا
إذا الخيل جالت بينها قصد القنا يثرن عجاجا ساطعاً متنصبا

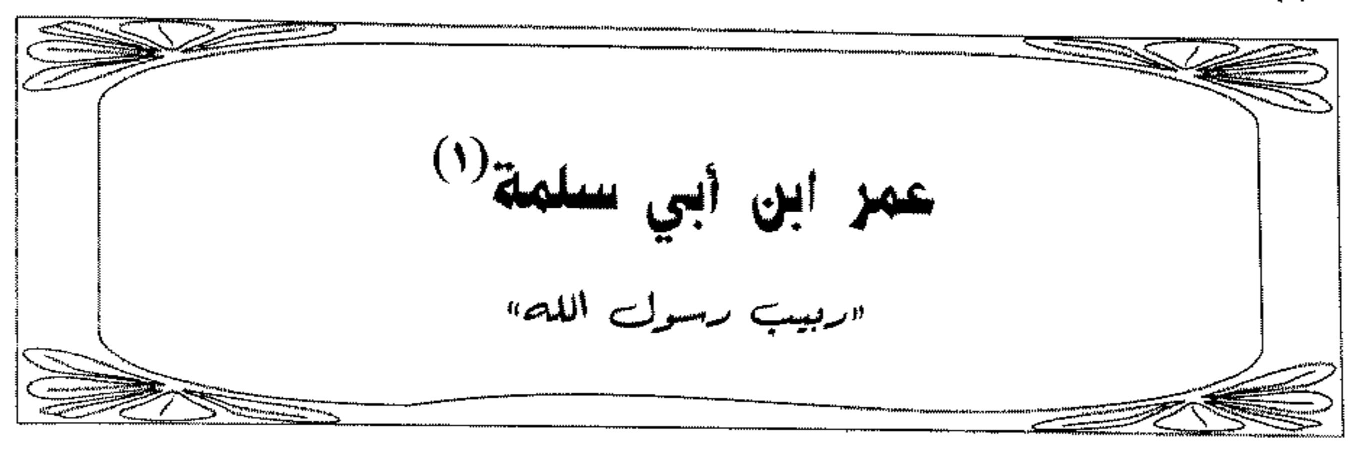
---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٣٤، ح٨٦٣٨.
(٢) عمرو بن محصن بن حرثان الأسدي، أخو عُكاشَةَ بن محصن. صحابيّ جليل من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله. شهد أحداً. وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، وان - علاوة على حضوره فيها - قد دفع مائة ألف درهم لتجهيز جيش الإمام عليه السلام. استُشهد في صفّين، فعزّ ذلك على أمير المؤمنين عليه السلام وأعرب عن حزنه عليه.
رثاه النجاشي شاعر العراق بقصيدة طويلة، أثنى فيها على بطولته وأبعاد شخصيّته الكريمة.
رجال الطوسي: عمرو بن محصن، يُكنّى أبا أُحيحة، أُصيب بصفّين، وهو الذي جهّز أمير المؤمنين عليه السلام بمائة ألف درهم في مسيره إلى الجمل.
وقعة صفّين: كان ابن محصن من أعلام أصحاب عليّ عليه السلام، قُتل في المعركة، وجزع عليّ عليه السلام لقتله.
(٣) هذا على الإقواء.

لقد فجع الأنصار طرّاً بسيّدٍ ... أخي ثقة في الصالحات مجرّبا
فيا ربّ خير قد أفدت وجفنة ... ملأت وقرن قد تركت مخيبا
ويا ربّ خصم قد رددت بغيظه ... فآب ذليلا بعدما كان مغضبا
وراية مجد قد حملت وغزوة ... شهدت إذا النكس الجبان تهيبا
طويل عماد المجد رحب فناؤه ... خصيباً إذا ما رائد الحيين أجدبا
عظيم رماد النار لم يك فاحشا ... ولا فشلاً يوم القتال مغلبا
وكنت ربيعا ينفع الناس سيبه ... وسيفاً جرازاً باتك الحد مقضبا
فمن يك مسروراً بقتل ابن محصن ... فعاش شقياً ثم مات معذّبا
فإن تقتلوا الحرَّ الكريم ابن محصن ... فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا
وإن تقتلوا ابنَيْ بديل وهاشما ... فنحن تركنا منكم القرن أعضبا
ونحن تركنا حميرا في صفوفكم ... لدى الموت صرعى كالنخيل مشذّبا
وأفلتنا تحت الأسنة مرثد ... وكان قديماً في الفرار مجرّبا
ونحن تركنا عند مختلف القنا ... أخاكم عبيد الله لحماً ملحّبا
بصفين لما ارمض عند صفوفكم ... ووجه ابن عتاب تركناه ملغبا
وطلحة من بعد الزبير ولم ندع ... لظبة في الهيجا عريفاً ومنكبا
ونحن أحطنا بالبصير وأهله ... ونحن سقيناكم سماما مقشّبا

مصادره

إتقان المقال/ ٢١٢. الاستيعاب ٢/ ٥٠٦ وج٤/ ١٣٢. أسد الغابة ٤/ ١٢٩. الإصابة ٣/ ١٤. أعيان الشيعة ٨/ ٣٧٧، وترجم له ص ٣٧٦ باسم عمرو بن أحيحة، والرجلان واحد. تقريب التهذيب ٢/ ٦٥. تنقيح المقال ٢/ ٣٣٦. جامع الرواة ١/ ٦٢٧. خلاصة الأقوال/ ١٢٠. الدرجات الرفيعة/ ٤١٥. رجال ابن داود/ ١٤٦. رجال الطوسي/ ٤٩. سفينة البحار ٢/ ٢٦٧. شرح ابن الحديد ٤/ ٣٥، ٣٧ و٨/ ٣٧. الطبقات الكبرى ٤/ ١٠٤. الغدير ٧/ ٢٦٦. الغارات ٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥، ٣٧٨، ٥١٠. قاموس الرجال ٧/ ١٦٤. مجمع الرجال ٤/ ٢٩١. معجم الثقات/ ٣١٥. معجم رجال الحديث ١٣/ ١٢٤. منتهى المقال/ ٢٣٧. مجالس المؤمنين ١/ ٣١٩. نقد الرجال/ ٢٥٢. وقعة صفين/ ٦٠١، ٣٥٧.



عمر ابن أبي سلمة[1]

"ربيب رسول الله"

قتل بصفين سنة ٣٧.

كان من رجال علي عليه السلام، ولما كان يوم الجمل قالت أم سلمة: يا أمير المؤمنين لولا أن أعصي الله عز وجل وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر والله لهو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك فخرج معه وكان على الميسرة، واستعمله على البحرين وقتل معه بصفين وكان شاعراً.

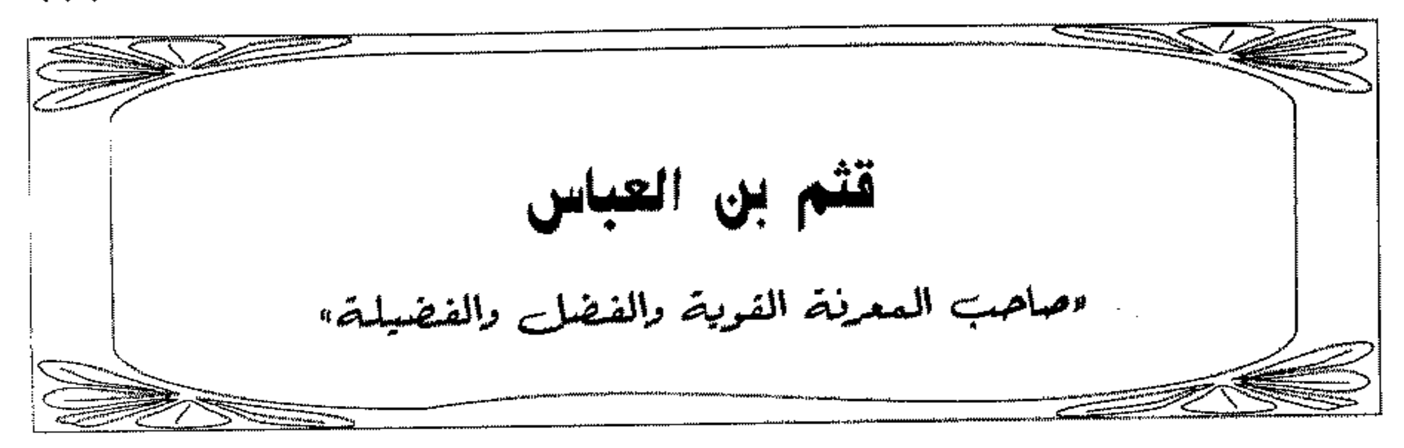
مصادره:

الاستيعاب ٢/ ٤٧٤. أسد الغابة ٤/ ٧٩. الإصابة ٢/ ٥١٩. أعلام نهج البلاغة/ ٣٩. البداية والنهاية ٨/ ٣٢٣. تاريخ بغداد ١/ ١٩٤. تحفة الأحباب/ ٢٤٨. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦. تقريب التهذيب ٢/ ٥٦. تنقيح المقال ٢/ ٣٤٠. تهذيب التهذيب ٧/ ٤٤٥. جامع الرواة ١/ ٦١٦. الجرح والتعديل ٦/ ٨١١٦ جمهر أنساب العرب/ ٨٨. الجمل/ ٢١٥. الدرجات الرفيعة/ ١٩٧. رجال الشيخ الطوسي/ ٥٠. سفينة البحار ٢/ ٢٥٩. شرح ابن أبي الحديد ٦/ ٢١٩ و١٢/ ٢٢٣ و١٤/ ١٧ و١٦/ ١٧٣ و٢٠/ ١١٤ و٢/ ١٠. الطبقات الكبرى ٣/ ٢٩٧، ٤٥٦ و٨/ ٩٢. طبقات الحفاظ/ ٤٩، ٦٤. الغدير ١/ ٥٦، ٢٠٠، ٣٨٦ و١١/ ١٩، ٢٤. الغارات ٢/ ٦٠٥. قاموس الرجال ٧/ ١٧٦. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٠٤ و٤/ ٥٢٥. مجمع الرجال ٤/ ٢٧٤. معجم رجال الحديث ١٣/ ١٣. منتهى المقال/ ٣٣٣. المجروحون من المحدثين ٣/ ٢٧١. نقد الرجال/ ٢٤٩. النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٢٦، ١٥٣.



---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٣٨، ح٨٦٤٠.



قثم بن العباس

«صاحب المعرفة القوية والفضل والفضيلة»

قُثم بن العبّاس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وأُمّه أُمّ الفضل لُبابة بنت الحارث من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخو أحد الحسنين عليه السلام من الرضاعة، أثنوا عليه بالمعرفة القويّة والفضل والفضيلة. وليَ مكّة والطائف طيلة خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وصار أمير الحجّ سنة **٣٨**هـ. وعندما أغار بُسر بن أرطاة على مكّة، فرَّ منها ثمّ عاد إليها بعد خروج بُسر.

كان قُثم حاضراً في مسجد الكوفة عندما ضُرب الإمام عليه السلام، وهو الذي قبض على ابن ملجم.

توفّي قُثَم في فتح سمرقند[1] أيّام معاوية.

الاستيعاب: كان قُثم بن العبّاس والياً لعليّ بن أبي طالب على مكّة، وذلك أنّ عليّاً لمّا ولي الخلافة عزل خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي عن مكّة، وولاّها أبا قتادة الأنصاري، ثمّ عزله، وولّى قُثَم بن العبّاس، فلم يزل والياً عليها حتى قُتل عليّ عليه السلام.

المستدرك على الصحيحن عن أبي إسحاق: سألت قثم بن العبّاس: كيف ورث عليّ رسول الله ﷺ دونكم؟ قال: لأنّه كان أوّلنا به لحوقاً، وأشدّنا به لزوقاً.

الإمام عليّ عليه السلام - في كتابه إلى قُثم بن العبّاس عامله على مكّة -: أمّا بعد، فأقم للناس الحجّ، وذكّرهم بأيّام الله، واجلس لهم العصرين؛ فأفتِ

---

(١) سمرقند: بلد معروف في خراسان وهو الآن في تاجيكستان.

المستفتي، وعلّم الجاهل، وذاكر العالم. ولا يكن لك إلى الناس سفير إلاّ لسانك، ولا حاجب إلاّ وجهك. ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها؛ فإنّها إن ذيدت عن أبوابك في أوّل وردها لم تُحمَد فيم بعد على قضائها.

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى مَن قِبَلَكَ من ذوي العيال والمجاعة، مُصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قِبَلَنا.

ومُرْ أهل مكّة ألاّ يأخذوا من ساكن أجراً؛ فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾[1] فالعاكف: المقيم به، والبادي: الذي يحجّ إليه من غير أهله. وفّقنا الله وإيّاكم لمحابّه، والسلام.

الطبقات الكبرى: غزا قُثَم خراسان، وكان عليها سعيد بن عثمان فقال له: أضرب لك بألف سهم، فقال: لا، بل أُخمّس، ثمّ أعطِ الناس حقوقهم. ثمّ أعطني بعدُ ما شئت.

وكان قُثم ورعاً فاضلاً، وتوفّي بسمرقند.

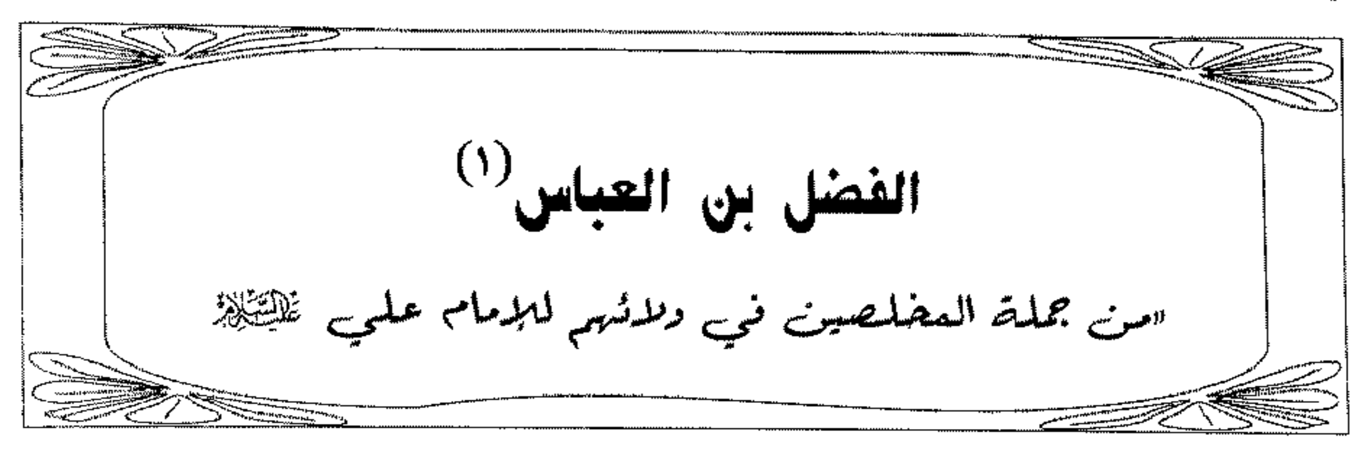
مصادره

إتقان المقال/ ٢١٧. الاستيعاب ٣/ ٢٧٥. أسد الغابة ٤/ ١٥٧. الاشتقاق/ ٦٤، ٦٩. الإصابة ٣/ ٢٢٦. أعلام نهج البلاغة/ ٤١. أنساب الأشراف ٣/ ١٢٥، وج٢/ ٣٠٠. الأعلام ٦/ ٢٩. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠ وج٨/ ٧٨. تاريخ الطبري ٥/ ١٦٣. وج٦/ ٥٣ وج١٣/ ٢٩. تاريخ الخلفاء/ ٢٠٥. تاريخ الخميس ٢/ ١٧٢، ٢٩٦. تحفة الأحباب/ ٢٧٨. تقريب التهذيب ٢/ ١٢٣. تنقيح المقال ٢/ ٣٢٥. تهذيب التهذيب ٨/ ٣٦١. جامع الرواة ٢/ ٣٢. الجرح والتعديل ٧/ ١٤٥. جمهرة أنساب العرب/ ١٨. الدرجات الرفيعة/ ١٥١. رجال ابن داود/ ١٥٤. جمهرة أنساب العرب/ ١٨. الدرجات الرفيعة/ ١٥. رجال ابن داود/ ١٥٤. رجال الطوسي/ ٥٥. سفينة البحار ٢/ ٤٠٧. شذرات الذهب ١/ ٦١. ابن أبي الحديد ١/ ٣٤١ و٢/ ١١ و٣/ ١٣ ٢١ و١٣/ ٣٧ و١٤/ ١٨٤ و١٦/ ١٣٨ و١٨/ ٣٠ .الطبقات الكبرى ٢/ ٢٩١ و٤/ ٦، ١٥، ١٧، ٣٣. العقد الفريد ٥/ ٧. الغدير ١١/ ٢٠. ٢٦. الغارات ١/ ٤٢٨، ٥٠٧، ٥١٣،

(١) سورة الحج، الآية: ٢٥.

٦٠٨، ٦٢١، ٦٨٣. الفوائد الرجالية ١/ ٢٤٤. قاموس الرجال ٧/ ٣٨٣. الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٢ و٣/ ٢٠٤، ٢٢٢، ٣٥٠، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٩٨، ٥١٣. مجمع الرجال ٥/ ٥٧. مرآة الجنان ١/ ١٢٨. مروج الذهب ٢/ ٣٦٩. المعارف/ ٥٣. معجم الثقات/ ٣٢١. معجم رجال الحديث ١٤/ ٧٦. المناقب ٣/ ١٥١. منتهى المقال/ ٢٥١. مجالس المؤمنين ١/ ١٩٢. نقد الرجال/ ٢٧٣. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٠٢. وفيات الأعيان ٣/ ٦٤ و٦/ ٣٥١.





الفضل بن العباس[1]

«من جملة المخلصين في ولائهم للإمام علي عليه السلام»

الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

ذكر الطبري في تاريخه: أنه لما قتل عثمان قال الوليد بن عقبة بن معيط يحرض أخاه عمارة بن عقبة:

[البحر الطويل]

أَلا أن خير الناس بعد ثلاثة	قتيل التجوبي الذي جاء من مصرِ
فإن يكُ ظنّي بابن أمي صادقاً	عمارة لا يطلب بذحل ولا وترِ
يبيت وأوتار ابن عفان عنده	مخيمة بين الخورنق والقصرِ

فأجابه الفضل بن العباس يقول:

[البحر الطويل]

أتطلب ثأراً لست منه ولا له	وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمها	وتنسى أباها إذ تسامى أولو الفخرِ[2]
ألا أن خير الناس بعد محمد	وصي النبي المصطفى عند ذي الذكرِ
وأول من صلّى وصنو نبيه	وأول من أردى الغواة لدى بدرِ
فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمكم	لكانوا له من ظلمه حاضري النصرِ
كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله	وأن يسلموه للأحابيش من مصرِ

---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٧٣، ح٨٧٥٦.

(٢) يشير إلى المثل المشهور: «قيل للبغل: من أبوك، فقال: خالي الفرسي».

وكان الفضل شاعراً مجيداً، شهد له بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، بل شهد له بأنه أشعر قريش كما يأتي[1].

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن عمرو بن العاص كتب إلى ابن عباس كتاباً يوم حرب صفين وكتب في أسفله أبياتاً يقول فيها:

[البحر البسيط التام]

طال البلاء وما يرجى له آسي ... بعد الإله سوى رفق ابن عباسِ
قولاً له قول من يرجو مودته ... لا تنس حظك أن الخاسر الناسي
يا بن الذي زمزم سقيا الحجيج له ... أعظم بذلك من فخر على الناسِ
كل لصاحبه قرن يساوره ... أسد العرين أسود بين أخياسِ
لو قيس بينهم في الحرب لاعتدلوا ... العجز بالعجز ثم الرأس بالراسِ
انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة ... للظهر ليس لها راقٍ ولا آسي
إني أرى الخير في سلم الشآم لكم ... والله يعلم ما بالسلم من باسِ
فيها التقى وأمور ليس يجهلها ... إلا الجهول وما النوكى كأكياسِ

---

(١) الفضل بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وأُمّه أُمّ الفضل لُبابة بنت الحارث. وهو أكبر ولد العبّاس. عدّ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام. غزا مع رسول الله مكّة وحنيناً. وثبت يومئذٍ مع رسول الله صلى الله عليه وآله حين ولّى الناس منهزمين. كان فيمن غسل النبيّ وشهد كفنه ودفنه ودخل القبر مع الإمام عليّ عليه السلام.

كان من جملة المخلصين في ولائهم للإمام عليّ عليه السلام، ومن المدافعين عن حقّه عليه السلام في الخلاف. شارك في مراسم دفن فاطمة عليها السلام. وتوفّي في سنة ١٨ هـ في زمن خلافة عمر بن الخطّاب.

الأخبار الموفّقيّات عن محمّد بن إسحاق: إنّ أبا بكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرّة. قال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّا هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الفضل بن العبّاس: يا معشر قريش وخصوصاً يا بني تيم! إنّكم أخذتم الخلافة بالنبوّة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإنّا لنعلم أنّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه.

فأجابه ابن عباس عن كتابه، وقال لأخيه الفضل: يا بن أم أجب عمراً، فقال الفضل:

[البحر البسيط التام]

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس فاذهب فليس لداء الجهل من آسي
ألا تواتر طعن في نحوركم يشجي النفوس ويشفي نخوة الراسِ
هذا الدواء الذي يشفي جماعتكم حتى تطيعوا علياً وابن عباسِ
أما علي فإن الله فضله بفضل ذي شرف عالٍ على الناسِ
إن تعلقوا الحرب نعلقها مخيسة أو تبعثوها فإنّا غير انكاسِ
قد كان منا ومنكم في عجاجتها ما لا يرد وكل عرضة الباسِ
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة هذا بهذا وما بالحق من باسِ
لا بارك الله في مصر فقد جلبت شراً وحظك منها حسوة الكاسِ
يا عمرو أنك عار من مغارمها والراقصات ومن يوم الجزا كاسي

وكتب معاوية إلى ابن عباس كتاباً في أيام صفين يذكر فيه عداوة بني هاشم لبني أمية، ويخوفه عواقب الحرب ويقول: قد قنعنا بما في أيدينا من ملك الشام فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق، ولو بايع الناس لك بعد عثمان لكنت إليك أسرع فأجابه بما ساءه، وقال معاوية: هذا عملي بنفسي لا والله لا أكتب إليه كتاباً سنة، وقال معاوية في ذلك:

[البحر الطويل]

دعوت ابن عباس إلى جل خطة وكان امرءاً أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظني والحوادث جمة وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس تراك مفرقاً بقولك من حولي وأنك آكلي
وقل لابن عباس تراك مخوفاً بجهلك حلمي أنني غير غافلِ
فأبرق وأرعد ما استطعت فإنني إليك بما يشجيك سبط الأناملِ

وقال الفضل بن العباس مجيباً له:

[البحر الطويل]

إلا يا بن هند أنني غير غافل وإنك ما تسعى له غير نائلِ

أألآن لما صرّت الحرب نابها — عليك وألقت بركها بالكلاكلِ
فأصبح أهل الشام ضربين خيرة — وفقع بقاع أو شحيمة آكلِ
وأيقنت أنا أهل حق وإنما — دعوت لأمر كان أبطل باطلِ
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة — وليس لها حتى تدين بسائلِ
فلا سلم حتى تشجر الخيل بالقنا — وتضرب هامات الرجال الأماثلِ
وآليت لا تهدي إليه رسالة — إلى أن يحول الحول من رأس قابلِ
أردت به قلع الجواب وإنما — رماك فلم يخطىء نبات المقاتلِ
وقلت له لو بايعوك تبعتهم — فهذا علي خير حافٍ وناعلِ
وصيُّ رسول الله من دون أهله — وفارسه إن قيل هل من منازلِ
فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً — أشك بنعل السيف غير حلاحلِ

فعرض شعره على علي عليه السلام، فقال: أنت أشعر قريش، فضرب بها الناس إلى معاوية «اهـ».

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن الزبير بن بكار قال: روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لمّا بويع بالخلافة افتخرت تيم بن مرة قال وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش وخصوصاً يا بني تيم أنكم لما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهية الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسداً منهم لنا وحقداً علينا، وإنّا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه، وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب شعراً:

[البحر البسيط التام]

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف — عن هاشم ثم منها عن أبي حسنِ
أليس أول من صلّى لقبلتكم — وأعلم الناس بالقرآن والسننِ
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن — جبريل عون له في الغسل والكفنِ
من فيه ما فيهم لا يمترون به — وليس في القوم ما فيه من الحسنِ

مـاذا الـذي ردهـم عـنـه فـنـعـلـمـه وإن ذا غـبـن مـن أعـظـم الـغـبـنِ

قال الزبير: فبعث إليه علي فنهاه وأمره أن لا يعود وقال: سلامة الدين أحب إلينا من غيره «اهـ».

وجرت بين الأنصار وقريش خطوب وحوادث بعد بيعة أبي بكر أثارها مثيرو الفتن بما ألقوه من الكلام ونظموه من الأشعار في حق الأنصار، وأجابهم شعراء الأنصار، وجماعة من المهاجرين انتصروا للأنصار يطول الكلام بنقلها ويخرج عن موضوعه، وكان لعمرو بن العاص نصيب وافر من ذلك، فقام في عدة مقامات ضد الأنصار نذكر منها ما له مساس بالمترجم: وقد ذكرنا في مقام آخر ما له مساس بغيره.

قال الزبير ابن بكار: إن رجالاً من سفهاء قريش ومثيري الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص.

فقالوا له: إنك لسان قريش ورجلها في الجاهلية والإسلام فلا تدع الأنصار وما قالت، (وذلك بعدما تكلم خطباء الأنصار وشعراؤهم فأكثروا جواباً لمن تكلم عليهم) فأكثروا عليه من ذلك، فراح إلى المسجد وفيه ناس من قريش وغيرهم فتكلم وقال: إن الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها وأيم الله لوددت أن الله خلّى عنا وعنهم وقضى فينا وفيهم بما أحب، ولنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أخرناهم عن كل مكروه، وقدمناهم إلى كل محبوب، حتى آمنوا المخوف فلما جاز لهم ذلك صغّروا حقنا، ولم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب وندم على قوله للخؤولة التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار ولأن الأنصار، كانت تعظم علياً وتهتف باسمه حينئذٍ.

فقال الفضل: يا عمرو أنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك، وليس لنا أن نجيبك وأبو الحسن شاهد بالمدينة، إلا أن يأمرنا فنفعل، ثم رجع الفضل إلى علي فحدثه فغضب وشتم عمراً، وقال: آذى الله ورسوله، ثم قام في المسجد فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضباً فقال: يا معشر قريش إن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم، وأذكروا أن الله رغب

لنبيكم عن مكة فنقله إلى المدينة، وكره له قريشاً فنقله إلى الأنصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الأموال وكفونا العمل، فصرنا منهم بين بذل الغني وإيثار الفقير، ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم، وقد أنزل الله تعالى فيهم آية القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] إلا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه الميت والحي ساء به الواتر وسر به الموتور، فاستحق من المستمع الجواب ومن الغائب المقت، وأنه من أحب الله ورسوله أحب الأنصار فليكفف عمرو عنا نفسه.

قال الزبير ابن بكار: فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص فقالوا: أيها الرجل أما إذا غضب علي فاكفف، وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشاً:

[البحر الطويل]

يا آلَ قريش أصلحوا ذات بيننا ... وبينكم قد طال حبل التماحكِ
فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا ... ولا خير فينا بعد فهر بن مالكِ
كلانا على الأعداء كف طويلة ... إذا كان يوم فيه جب الحواركِ
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم ... ففي ذكر ما قد كان مشي التشاركِ

قال الزبير، وقال علي للفضل: يا فضل أنصر الأنصار بلسانك ويدك، فإنهم منك وإنك منهم فقال الفضل:

[البحر الرمل]

قلت يا عمرو مقالاً فاحشاً ... إن تعد يا عمرو والله فلكْ
إنما الأنصار سيف قاطع ... من تصبه ظبة السيف هلكْ
وسيوف قاطع مضربها ... وسهام الله في يوم الحلكْ
نصروا الدين وآووا أهله ... منزل رحب ورزق مشتركْ

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

وإذا الــحــرب تــلــظــت نــارهــا بــركــوا فــيــهــا إذا الــمــوت بــركْ

ودخل الفضل على علي فأسمعه شعره ففرح به وقال: وريت بك زنادي يا فضل أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شعرك وأبعث به إلى الأنصار، فلما بلغ ذلك الأنصار قالت: لا أحد يجيب إلا حسان الحسام فبعثوا إلى حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل، فقال: كيف أصنع بجوابه، إن لم أتحرّ قوافيه فضحني فرويداً حتى أقفو أثره في القوافي، فقال له خزيمة بن ثابت: أذكر علياً وآله يكفك عن كل شيء فقال:

[البحر الطويل]

جــزى الله عــنــا والــجــزاء بــكــفــه أبــا حــســن عــنــا ومــن كــأبــي حــســنْ
ســبــقــت قــريــشــاً بــالــذي أنــت أهــلــه فــصــدرك مــشــروح وقــلــبــك مــمــتــحــنْ
تــمــنــت رجــال مــن قــريــش أعــزة مــكــانــك هــيــهــات الــهــزال مــن الــســمــنْ
وأنــت مــن الإســلام فــي كــل مــوطــن بــمــنــزلــة الــدلــو الــبــطــيــن مــن الــرســنْ
غــضــبــت لــنــا إذ قــام عــمــرو بــخــطــبــة أمــات بــهــا الــتــقــوى وأحــيــا بــهــا الأحــنْ
فــكــنــت الــمــرجــى مــن لــؤي بــن غــالــب لــمــا كــان مــنــهــم والــذي كــان لــم يــكــنْ
حــفــظــت رســول الله فــيــنــا وعــهــده إلــيــك ومــن أولــى بــك مــنــك مــن ومــنْ
ألــســت أخــاه فــي الــهــدى ووصــيــه وأعــلــم مــنــهــم بــالــكــتــاب وبــالــســنــنْ
فــحــقــك مــا دامــت بــنــجــد وشــيــجــة عــظــيــم عــلــيــنــا ثــم بــعــد عــلــى الــيــمــنْ

قال الزبير: وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلى علي بن أبي طالب، فخرج إلى المسجد وقال لمن به من قريش وغيرهم: يا معشر قريش إن الله جعل الأنصار أنصاراً فأثنى عليهم في الكتاب فلا خير فيكم بعدهم، إنه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام ودفعه إلى الحق وأطفأ شرفه وفضل غيره عليه يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار فاتقوا الله وأرعوا حقهم، فوالله لو زالوا لزلت معهم لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: أزول معكم حيثما زلتم.

فقال المسلمون جميعاً: رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولاً صادقاً.

قال الزبير: وترك عمرو بن العاص المدينة وخرج عنها حتى رضي عنه علي والمهاجرون «اهـ».

وأنشد القاضي أبو بكر الباقلاني للفضل بن العباس في كتاب فضائل الأئمة تأليفه يسجح بزمزم والولاية عليها وخصومتهم بها:

[البحر الكامل]

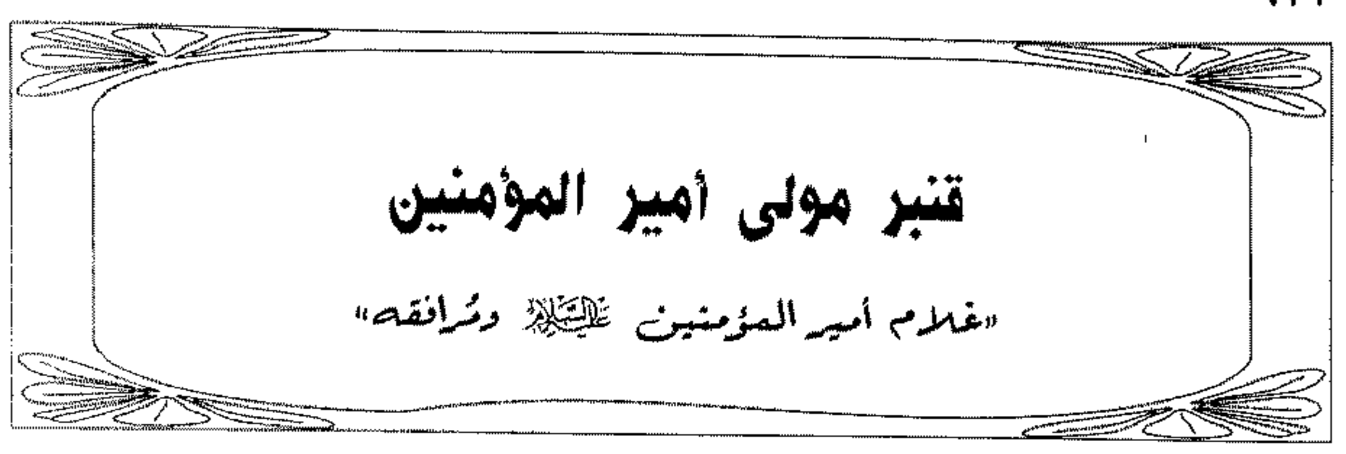
ولنا أسام لا تليق بغيرنا ... ـازز وهواتف تهتز حين ترانا

حوض النبي وحوضنا من زمزم ... ظمئى امرؤ لم يروه حوضانا

مصادره

الاستيعاب ٣/ ٢٠٨. أسد الغابة ٤/ ١٨٣. الإصابة ٣/ ٢٠٨. الأعلام ٥/ ٣٥٥. تحفة الأحباب/ ٢٦٩. تنقيح المقال ٢/ ٣٧٩. تهذيب التهذيب ٨/ ٢٨٠. جامع الرواة ٢/ ٦. الجرح والتعديل ٧/ ٦٣. جمهرة أنساب العرب ٩/ ١٨، ٤١٢. الدرجات الرفيعة/ ١٤٢. رجال الطوسي/ ٢٦. سفينة البحار ٢/ ٣٦٩. شذرات الذهب ١/ ٢٨. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١١٥ و٦/ ٢١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، و٨/ ٦٤ و٩/ ١٩٧ و١٠/ ١٨٤، ١٨٥ و١٣/ ٢٨، ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٢٠٠ و١٤/ ١٢، ١٨٤. الطبقات الكبرى ٤/ ٥٤. العقد الفريد ١/ ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦ و٥/ ٧. الغارات ٢/ ٨٠٥. الغدير ١/ ١٩٩ و٢/ ٣٢ و٣/ ١٠٠ و٥/ ٣٥٠ و٧/ ٢٢٧ و٩/ ١٥٥ و١٠/ ٢٠٦. القاموس المحيط ٤/ ٣١. الكامل في التاريخ ٢/ ٢٦٣، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٤١. مجالس المؤمنين ١/ ١٩٣. مجمع الرجال ٥/ ٣١. معجم رجال الحديث ١٣/ ٣٠٢. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٢٧ و٥/ ١٤٩، ٢٢١. نقد الرجال/ ٢٦٧. وفيات الأعيان ٣/ ٦٤. وقعة صفّين/ ٤١٣، ٤١٦.





قنبر مولى أمير المؤمنين

«غلام أمير المؤمنين عليه السلام ومُرافقه»

غالباً ما يرِد ذكره بالخير في أقضية الإمام عليه السلام . وكان ملازماً له مقيماً لحدوده ومنفّذاً لأوامره. وذُكر أنّه كان من السابقين الذين عرفوا حقّ أمير المؤمنين عليه السلام وثبتوا على الذود عن حقّ الولاية. دفع إليه الإمام عليه السلام لواءً يوم صفّين في قبال غلام عمرو بن العاص الذي كان قد رفع لواءً.

استدعاه الحجّاج وأمر بقتله، وبسبب وفائه وعشقه الصادق الخالص للإمام عليّ عليه السلام . وكان عند استشهاده يتلو آيةً من القرآن الكريم أخزى بها الحجّاج وأضرّ به.

الإمام الصادق عليه السلام : كان قنبر غلام عليّ يحبّ عليّاً عليه السلام حبّاً شديداً، فإذا خرج عليّ صلوات الله عليه خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر مالك؟.

فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين.

قال: ويحك أمِن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟!.

فقال: لا، بل من أهل اورض.

فقال: إنّ أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلاّ بإذن الله من السماء، فارجع. فرجع.

الإرشاد: ما رواه أصحاب السيرة من طرق مختلفة: إنّ الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أُحبّ أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرّب إلى الله بدمه!!.

فقيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبةً لأبي تراب من قنبر مولاه، فبعث في طلبه فأُتي به، فقال له: أنت قنبر؟.

قال: نعم.

قال: أبو همدان؟.

قال: نعم.

قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟.

قال: الله مولاي، وأمير المؤمنين عليّ وليّ نعمتي.

قال: ابرأ من دينه.

قال: فإذا برئت من دينه تدلّني على دينٍ غيره أفضل منه؟.

فقال: إنّي قاتلك، فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك.

قال: قد صيّرت ذلك إليك.

قال: ولِمَ؟.

قال: لأنّك لا تقتلني قتلةً إلاّ قتلتك مثلها، ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّ منيّتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ.

قال: فأمر به فذُبح.

الإمام الهادي عليه السلام: إنّ قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام دخل على الحجّاج بن يوسف، فقال له: ما الذي كنت تلي من عليّ بن أبي طالب؟.

فقال: كنت أوضّئهُ.

فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟.

فقال: كان يتلو هذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

فقال الحجّاج: أظنّه كان يتأوّلها علينا؟.

قال: نعم.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤-٤٥.

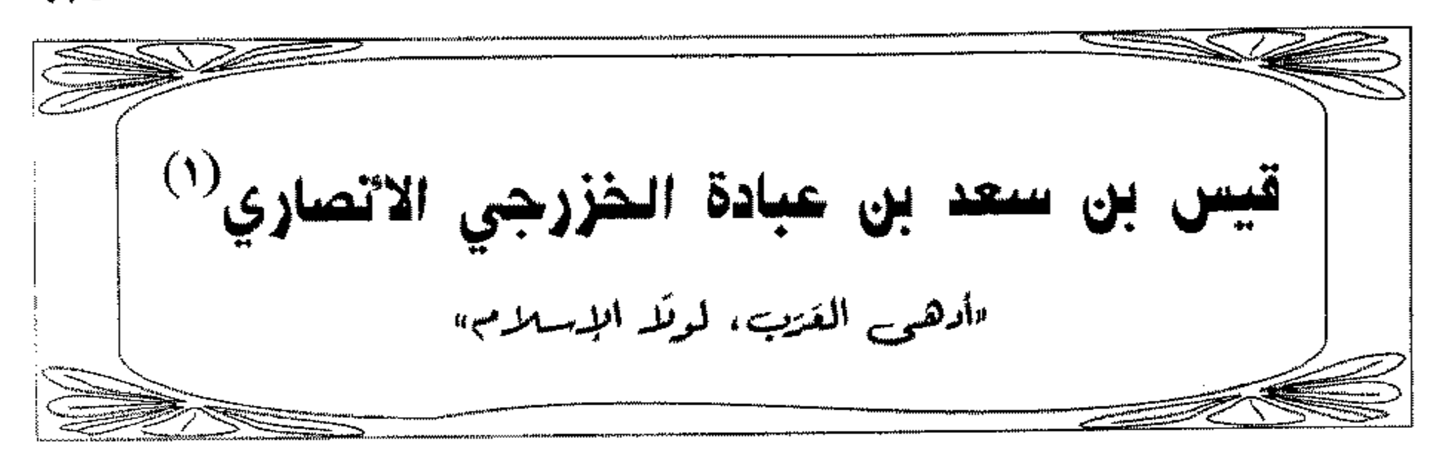
فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟.

قال: إذن أُسعدَ وتشقى. فأمر به.

مصادره

إتقان المقال/ ٢١٧. أخبار إصبهان ٢/ ٣٢٨. تاريخ الطبري ٥/ ٢٣٦. تاريخ الخميس ٢/ ٢٨٣. تحفة الأحباب/ ٢٧٩. تنقيح المقال ٢/ ٣٢٧. جامع الرواة ٢/ ٢٤. الجرح والتعديل ٧/ ١٤٦. خلاصة الأقوال/ ١٣٥. رجال ابن داود/ ١٥٤. رجال اشيخ الطوسي/ ٥٥. رجال الكشي/ ٧٢. رجال البرقي/ ٤. سفينة البحار ٢/ ٤٤٩. شرح ابن أبي الحديد ١/ ١٤٨ و٢/ ٧٠، ١٩٩ و٥/ ٥ و٦/ ١١٧ و٨/ ٤٩، ١١٩ و٩/ ١٤ و١١/ ٢٥٤. العقد الفريد ٥/ ٣٩، ٥٨. الغدير ٢/ ١٥٠ و٦/ ١٠٥ و٩/ ٢٣٦. الغارات ١/ ٥٥، ١٠٦ و٢/ ٧٢٣. قاموس الرجال ٧/ ٣٨٩. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٧٩، ٤٠١. لسان الميزان ٤/ ٤٧٥. مجمع الرجال ٥/ ٥٩. المشتبه ٢/ ٥٢٣. معجم الثقات/ ٣٢١. معجم رجال الحديث ١٤/ ٨٥. المناقب ٣/ ١٧٤. منتهى المقال/ ٢٥١. ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩٢. مجالس المؤمنين ١/ ٣١٤. نقد الرجال/ ٢٧٤. النهاية في غريب الحديث ١/ ٩٢. وقعة صفين/ ٤٣، ٣٧٤. وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٠.





قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري[١]

"أدهى العرب، لولا الإسلام"

توفي سنة ستين وهي السنة التي توفي فيها معاوية.

هو من كبار الصحابة، وكان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، أخذ النبي ﷺ يوم الفتح الراية من أبيه ودفعها إليه.

كان كريماً شجاعاً طوالاً جداً أمد الناس قامة، وما في وجهه طاقة شعر، وكانت الأنصار تقول: وددنا لو نشتري لقيس بأموالنا لحية، وكان مع ذلك جميلاً.

وكان من دهاة العرب، أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة والسخاء، وكان شريف قومه غير مدافع، وكان أبوه وجده كذلك.

وكان يقول: «لولا الإسلام، عكرت مكراً لا تطيقه العرب»، وعنه إنه قال: لولا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار لكنت من أمكر هذه الأمة»[١].

---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص١٣٨، ح٨٨٦٦.

(٢) قيس بن سعد بن عباد الأنصاري الخزرجي الساعدي، هو أحد الصحابة ومن كبار الأنصار. وكان يحظى باحترام خاصّ بين قبيلته والأنصار وعامّة المسلمين، وكان شجاعاً، كريم النفس، عظيماً، مطاعاً في قبيلته.

وكان طويل القامة، قويّ الجسم، معروفاً بالكرم، مشهوراً بالسخاء. حمل اللواء في بعض حروب النبيّ ﷺ. وهو من السبّاقين إلى رعاية حرمة الحقّ، والدفاع عن «خلافة الحقّ» و«حقّ الخلافة» وإمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله ﷺ.

وكان من صحابة الإمام عليه السلام المقرّبين وحماته الثابتين في أيّام خلافته عليه السلام. =

. . . .

=ولاّه عليه السلام على مصر، فاستطاع بحنكته أن يُسكت المعارضين ويقضي على جذور المؤامرة.

حاول معاوية آنذاك أن يعطفه إليه، بَيْدَ أنّه خاب ولم يُفلح. وبعد مدّة استدعاه الإمام عليه السلام وأشخص مكانه محمّد بن أبي بكر لحوادث وقعت يومئذٍ.

وكان قيس قائداً لشرطة الخميس، وأحد الأُمراء في صفّين، إذ ولي رجّالة البصرة فيها.

تولّى قيادة الأنصار عند احتدام القتال وكان حضوره في الحرب مهيباً. وخطبه في تمجيد شخصيّة الإمام عليه السلام، ورفعه علم الطاعة لأوامره عليه السلام، وحثّ أُولي الحقّ وتحريضهم على معاوية، كلّ ذلك كان أمارة على وعيه العميق، وشخصيّته الكبيرة، ومعرفته بالتيّارات السياسيّة والاجتماعية والأمور الجارية، وطبيعة الوجوه يومذاك.

ولاّه الإمام عليه السلام على أذربيجان. وشهد قيس معه صفّين والنهروان، وكان على ميمنة الجيش.

ولمّا عزم الإمام عليه السلام على قتال معاوية بعد النهروان، ورأى حاجة الجيش إلى قائد شجاع مجرَّب متحرّس أرسل إليه ليشهد معه الحرب.

وفي آخر تعبئة للجيش من أجل حرب المفسدين والمعتدين، صعد الإمام عليه السلام على حجارة وخطب خطبة كلّها حرقة وألم، وذكر الشجعان من جيشه. ويبدو أنّ هذه الخطبة كانت آخر خطبة له. ثمّ أمّر قيساً على عشرة آلاف. كما عقد للإمام الحسين عليه السلام على عشرة آلاف، ولأبي أيّوب الأنصاري على عشرة آلاف. ومن المؤسف أنّ الجيش قد تخلخل وضعه بعد استشهاده عليه السلام.

وكان قيس أوّل من بايع الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، ودعا الناس إلى بيعته من خلال خطبة واعية له. وكان على مقدّمة جيشه عليه السلام. ولمّا كان عبيد الله بن العبّاس أحد أُمراء الجيش، كان قيس مساعداً له، وحين فرّ عبيد الله إلى معاوية صلّى قيس بالناس الفجر، ودعا المصلّين إلى الجهاد والثبات والصمود، ثمّ أمرهم بالتحرّك.

وبعد عقد الصلح بايع قيس معاوية بأمر الإمام عليه السلام. فكرّمه معاوية، وأثنى عليه.

وعُدَّ قيس أحد الخمسة المشهورين بين العرب بالدهاء. وفارق قيس الحياة في السنين الأخيرة من حكومة معاوية.

سير أعلام النبلاء عن عمرو بن دينار: كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً، جسيماً، صغير الرأس، ليست له لحية، إذا ركب حماراً خطّت رجلاه الأرض.

أُسد الغابة عن ابن شهاب: كان قيس بن سعد يحمل راية الأنصار مع النبيّ صلى الله عليه وآله.=

. . . .

=قيل: إنّه كان في سريّة فيها أبو بكر وعمر، فكان يستدين ويطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فمشيا في الناس، فلمّا سمع سعد قام خلف النبيّ ﷺ فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطّاب؟ يبخّلان عليّ ابني.

تاريخ بغداد عن عروة: باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفاً، فأمر منادياً فنادى في المدينة: من أراد القرض فليأتِ منزل سعد. فأقرض أربعين أو خمسين، وأجاز بالباقي، وكتب على من أقرضه صكّاً، فمرض مرضاً قلّ عوّاده، فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة. أُخت أبي بكر.: يا قريبة، لِمَ ترين قلّ عوّادي؟

قالت: للذي لك عليهم من الدَّين.

فأرسل إلى كلّ رجلٍ بصكّه.

الاستيعاب: من مشهور أخبار قيس بن سعد بن عبادة: أنّه كان له مال كثير ديوناً على الناس، فمرض واستبطأ عوّاده، فقيل له: إنّهم يستحيون من أجل دَينك، فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس بن سعد عليه دَين فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه.

تاريخ الإسلام عن موسى بن عقبة: وقفت على قيس عجوزٌ، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان.

فقال: ما أحسن هذه الكناية! املأوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

سير أعلام النبلاء عن أحمد بن البرقي: كان [قيس] صاحب لواء النبيّ ﷺ في بعض مغازيه، وكان بمصر والياً عليها لعليّ عليه السلام.

تاريخ الطبري عن الزهري: كانت مصر من حين عليّ، عليها قيس بن سعد بن عبادة، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، وكان من ذوي الرأي والبأس، وكان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدَين على أن يُخرجاه من مصر ليغلِبا عليها، فكان قد امتنع فيها بالدهاء والمكايدة، فلم يقدرا عليه، ولا على أن يفتتحا مصر.

تاريخ الطبري عن سهل بن سعد: لمّا قتل عثمان وولي عليّ بن أبي طالب الأمر، دعا قيس بن سعد الأنصاري فقال له: سر إلى مصر فقد ولّيتُكها، واخرج إلى رحلك، واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإنّ ذلك أرعب لعدوّك وأعزّ لوليّك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله، فأحسن إلى المحسن، واشتدّ على المريب، وارفُق بالعامّة والخاصّة، فإنّ الرفق يُمنٌ.

فقال له قيس بن سعد: رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد فهمتُ ما قلتَ، أمّا قولك: اخرج إليها بجند، فوالله لئن لم أدخلها إلاّ بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدعُ ذلك الجند لك، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من=

. . . .

=وجوهك كانوا عُدّة لك، وأنا أصبر إليها بنفسي وأهل بيتي. وأمّا ما أوصيتني به من الرفق والإحسان، فإن الله عزّ وجلّ هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر.

الإمام عليّ عليه السلام: ـ في كتاب كتبه لأهل مصر مع قيس بن سعد لمّا ولاّه إمارتها ـ: قد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً، فوازروه وكانفوه[1]، وأعينوه على الحقّ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدّة على مريبكم، والرفق بعوامّكم وخواصّكم، وهو ممّن أرضى هديه، وأرجو صلاحه ونصيحته. أسأل الله عزّ وجلّ لنا ولكم عملاً زاكياً، وثواباً جزيلاً، ورحمة واسعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكامل في التاريخ: خرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه... فصعد المنبر فجلس عليه، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرىء على أهل مصر بإمارته، ويأمرهم بمبايعته ومساعدته وإعانته على الحقّ، ثمّ قام قيس خطيباً وقال:

الحمد لله الذي جاء بالحقّ وأمات الباطل وكبت الظالمين، أيّها الناس، إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله، فقوموا أيّها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنّة رسوله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت مصر، وبعث عليها عمّاله إلاّ قرية منها يقال لها (خَرنبا)، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان، عليهم رجل من بني كنانة ثمّ من بني مُدلج اسمه يزيد بن الحرث، فبعث إلى قيس يدعو إلى الطلب بدم عثمان.

وكان مسلمة بن مخلّد قد أظهر الطلب أيضاً بدم عثمان، فأرسل إليه قيس: ويحك أعليّ تثب؟! فوالله ما أُحب أنّ لي ملك الشام إلى مصر وأنّي قتلتك! فبعث إليه مسلمة: إنّي كافّ عنك ما دمت أنت والي مصر.

فبعث قيس، وكان حازماً، إلى أهل (خَرنبا): إنّي لا أُكرهم على البيعة وإنّي كافّ عنكم، فهادنهم وجبى الخراج ليس أحد ينازعه.

أنساب الأشراف عن محمّد بن سيرين: بعث عليٌّ قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر، فكتب إليه معاوية وعمرو بن العاص كتاباً أغلظا فيه وشتماه، فكتب إليهما بكتاب لطيف قاربهما فيه، فكتبا إليه يذكران شرفه وفضله، فكتب إليهما بمثل جوابه كتابهما الأوّل.

فقالا: إنّا لا نطيق مكر قيس بن سعد، ولكنّا نمكر به عند عليّ، فبعثا بكتابه الأوّل إلى عليّ، فلمّا قرأه قال أهل الكوفة: غدر والله قيس فاعزله.=

---

(١) كنفه: حفظه وأعانه (لسان العرب: ٩/ ٣٠٨).

. . . .

=فقال عليّ: ويحكم، أنا أعلم بقيس إنّه والله ما غدر ولكنّها إحدى فعلاته.
قالوا: فإنّا لا نرضى حتى تعزله، فعزله وبعث مكانه محمّد بن أبي بكر.
تاريخ الطبري عن أبي مخنف: لمّا أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره، شقّ عليه ذلك؛ لما يعرف من حزمه وبأسه، وأظهر للناس قِبله أنّ قيس بن سعد قد تابعكم، فادعوا الله له، وقرأ عليهم كتابه الذي لان له فيه وقاربه.
قال: واختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد، فقرأه على أهل الشام:
بسم الله الرحمن الرحيم، للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد، سلام عليك، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إلّه إلاّ هو، أمّا بعد، فإنّي لمّا نظرت رأيت أنّه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرّماً برّاً تقيّاً، فنستغفر الله عزّ وجلّ لذنوبنا، ونسأله العصمة لديننا. ألا وإنّي قد ألقيت إليكم بالسّلم، وإنّي أجبتك إلى قتال قَتلة عثمان، إمام الهدى المظلوم، فعوّل عليَّ فيما أحببت من الأموال والرجال أُعجّل عليك، والسلام.
فشاع في أهل الشام أنّ قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبي سفيان، فسرّحت عيون عليّ بن أبي طالب إليه بذلك، فلمّا أتاه ذلك أعظمه وأكبره، وتعجّب له، ودعا بنيه، ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك، فقال: ما رأيكم؟.
فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دَع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيساً عن مصر.
قال لهم عليّ: إنّي والله ما أُصدّق بهذا على قيس.
فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزله، فوالله لئن كان هذا حقّاً لا يعتزل لك إن عزلته.
تاريخ الطبري عن أبي مخنف: جاء كتاب من قيس بن سعد فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّي أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنّ قِبلي رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكفّ عنهم، وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فنرى ويروا رأيهم، فقد رأيت أن أكفّ عنهم، وألاّ أتعجّل حربهم، وأن أتألّفهم فيما بين ذلك لعلّ الله عزّ وجلّ أن يُقبل بقلوبهم، ويفرّقهم عن ضلالتهم، إن شاء الله.
فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ما أخوفني أن يكون هذا ممالأة لهم منه، فمُره يا أمير المؤمنين بقتالهم، فكتب إليه عليّ:
بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فسر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلاّ فناجزهم، إن شاء الله.
فلمّا أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فقد عجبت لأمرك، أتأمرني بقتال قوم كافّين عنك، مُفرّغيك لقتال عدوّك؟! وإنّك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوّك، فأطعني يا أمير المؤمنين، واكفُف عنهم، فإنّ الرأي تركهم، والسلام. . . =

. . . .

=فبعث عليٌّ محمّد بن أبي بكر على مصر وعزل عنها قيساً.
تاريخ الطبري عن كعب الوالبي: إنّ عليّاً كتب معه [أي محمّد بن أبي بكر] إلى أهل مصر كتاباً، فلمّا قدم به على قيس، قال له قيس: ما بال أمير المؤمنين؟! ما غيّره؟ أدخل أحد بيني وبينه؟.
قال له: لا، وهذا السلطان سلطانك!.
قال: لا، والله لا أُقيم معك ساعة واحدة. وغضب حين عزله، فخرج منها مقبلاً إلى المدينة، فقدمها، فجاءه حسّان بن ثابت شامتاً به - وكان حسّان عثمانيّاً - فقال له: نزعك عليّ بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر!.
فقال له قيس بن سعد: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن أُلقِيَ بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، اخرج عنّي.
ثمّ إنّ قيساً خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على عليّ، فخبّره قيس فصدّقه عليّ، ثمّ إن قيساً وسهلاً شهدا مع عليّ صفّين.
سير أعلام النبلاء عن الزهري: قدم قيس المدينة فتوامر[1] فيه الأسود بن أبي البختري ومروان أن يُبيّتاه، وبلغ ذلك قيساً، فقال: والله إنّ هذا لقبيح أن أُفارق عليّاً وإن عزلني، والله لألحقنّ به.
فلحق به، وحدّثه بما كان يعتمد بمصر. فعرف عليّ أنّ قيساً كان يداري أمراً عظيماً بالمكيدة، فأطاع عليٌّ قيساً في الأمر كلّه، وجعله على مقدّمة جيشه.
الغارات عن المدائني عن أصحابه: فسدت مصر على محمّد بن أبي بكر، فبلغ عليّاً توثّبهم عليه، فقال: ما لمصر إلاّ أحد الرجلين: صاحبنا الذي عزلناه عنها بالأمس - يعني قيس بن سعد - أو مالك بن الحارث الأشتر.
وكان عليّ عليه السلام حين رجع عن صفّين قد ردّ الأشتر إلى عمله بالجزيرة، وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثمّ أُخرج إلى أذربيجان، فكان قيس مقيماً على شرطته.
الإمام عليّ - في كتابه إلى قيس بن سعد بن عبادة وهو على أذربيجان -: أمّا بعد، فأقبل على خراجك بالحقّ وأحسن إلى جندك بالإنصاف وعلّم من قبلك ممّا علّمك الله، ثمّ إنّ عبد الله بن شبيل الأحمسي سألني الكتاب إليك فيه بوصايتك به خيراً، فقد رأيته وادعاً متواضعاً، فألن حجابك وافتح بابك واعمد إلى الحقّ فإن وافق الحقّ ما يحبّه أسرّه=

---
(١) آمَرَه في أمْرِه ووامَرَه واستأمَرَه: شاوَرَه (لسان العرب: ٤/ ٣٠).

. . . .

=﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

تاريخ اليعقوبي عن غياث: ولمّا أجمع عليٌّ القتال لمعاوية كتب أيضاً إلى قيس: أمّا بعد، فاستعمل عبدالله بن شبيل الأحمسي خليفة لك، وأقبل إليَّ، فإنّ المسلمين قد أجمع مَلأُهم وانقادت جماعتهم، فعجّل الإقبال، فأنا سأحضرنّ إلى المحلّين عند غرّة الهلال، إن شاء الله، وما تأخّري إلاّ لك، قضى الله لنا ولك بالإحسان في أمرنا كلّه.

تاريخ الطبري عن الزهري: جعل عليّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان، وعلى أرضها، وشرطة الخميس الذي ابتدعه من العرب، وكانوا أربعين ألفاً، بايعوا عليّاً عليه السلام على الموت، ولم يزل قيس يداري ذلك البعث حتى قُتل عليّ عليه السلام.

تاريخ اليعقوبي: أتاه [معاوية] قيسُ بن سعد بن عبادة فقال: بايع قيس! قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم، يا معاوية.

فقال له: مه، رحمك الله! فقال: لقد حرصت أن أُفرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك، فأبى الله، يا بن أبي سفيان، إلاّ ما أحبّ. قال: فلا يُردّ أمر الله.

قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال: يا معشر الناس، لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين، وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم، أم طبع الله على قلوبكم، وأنتم لا تعقلون؟.

فجثا معاوية على ركبتيه، ثمّ أخذ بيده وقال: أقسمت عليك! ثمّ صفق على كفّه، ونادى الناس: بايع قيس!.

فقال: كذبتم، والله، ما بايعت.

تحليل عزل قيس بن سعد

كان قيس بن سعد بن عبادة سياسيّاً ماهراً، وذكيّاً ودقيقاً، فعيّنه الإمام عليه السلام في أوائل أيّام خلافته والياً على مصر، وبعثه إليها.

وأراد الإمام عليه السلام إرسال جيش إلى مصر لدعم ونصرة قيس، بيدَ أنّ قيساً أخذ معه نفراً قليلاً يقلّ عددهم عن السبعة وقائلاً للإمام: حاجتك للجيش أكبر من حاجتي له.

وأخرج محمّد بن أبي حذيفة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأعوانه وأنصاره من ممثّلي عثمان في مصر قبل مجيء قيس إليها، فلمّا وصل قيس تسلّط على زمام الأمور بسهولة، =

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

. . . .

=واعتمد سياسة مسايرة المخالفين، واستطاع بهذه السياسة أن يُسيطر على الوضع السائد، ويُهدّىء العثمانيّين، ويحول دون ثورتهم.

واستمرّ هذا الهدوء مدّة هي دون السنة قطعاً، حيث عزل الإمام قيس بن سعد واستدعاه وولّى عليها محمّد بن أبي بكر؛ وكان شابّاً شجاعاً، لكن لم تكن له قدرة قيس السياسيّة. وكان عزل قيس ونصب محمّد محلاًّ لسؤال وقدح الكثيرين، وبالخصوص في السنوات التالية؛ حيث ثار الناس على محمّد بن أبي بكر، وآل الأمر إلى إلقاء القبض عليه وقتله وإحراق جسده.

فكان السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا عزل الإمام عليه السلام السياسي الذكي، وعيّن محلّه هذا الشابّ الناشيء، حتى انتهى به الحال إلى شهادته بهذا الشكل المفجع؟ تعزي النصوص التاريخيّة السبب إلى مؤامرة حاكها معاوية لتحقيق أهدافه الخبيثة؛ حيث قيل إنّه كان يسعى إلى كسب قيس بأساليبه الخدّاعة، وأرسل إليه عدّة رسائل حرّضه فيها على الطلب بثأر عثمان، بيد أنّ قيساً كان أذكى من أن تنطلي عليه هكذا، بل احترز عن الإدلاء برأيه الصريح في موافقة معاوية أو مخالفته؛ وذلك لما تميّزت به مصر من المحلّ الاستراتيجي من جهة، وطمع بني أُميّة ونفوذهم فيها، وقربها إلى الشام من جهة أُرى.

بيد أنّ معاوية - هذا السياسي الماكر المتأثّر بمرافقة وإسناد عمرو بن العاص - ابتدع بمكره رسالة مزوّرة عن لسان قيس بن سعد مضمونها تأييد معاوية.

وذاع خبر هذه الرسالة في الشام، ووصل خبرها إلى الكوفة وإلى الإمام عليّ عليه السلام، فجمع الإمام عليه السلام أعوانه وشاورهم في هذا الموضوع، فكان رأيهم عزل قيس بن سعد وتعيين رجل أصلب منه؛ لانتشار خبر هذه الرسالة بين الجيش وبين عامّة المسلمين. جاء في بعض النصوص الإشارة إلى اقتراح عبد الله بن جعفر بعزل قيس بن سعد وتعيين محمّد بن أبي بكر.

وقد حُمل هذا الاقتراح على محبّة عبد الله لأخيه محمّد بن أبي بكر؛ حيث كانا أخوين لأُمّ واحدة.

وقال بعض المفكرين: إنّ عزل قيس ونصب محمّد بن أبي بكر كان بسبب الضغوط التي تحمّلها الإمام من أصحابه.

قال العلاّمة المجلسي: وجدت في بعض الكتب أنّ عزل قيس عن مصر ممّا غلب أميرَ المؤمنين عليه السلام أصحابُه واضطرّوه إلى ذلك، ولم يكن هذا رأيه؛ كالتحكيم، ولعلّه أظهر وأصوب.

وقال بعض المُغرضين: إنّ سبب هذا هو انخداع أمير المؤمنين عليه السلام بحيلة معاوية.=

. . . .

=والذي وصلنا إليه من مجموع هذه التحليلات والنظريّات أنّها جميعاً بصدد تحليل «النتيجة» لا بصدد تحليل «الأسلوب». وبكلمة أُخرى إنّ الذي جُعل تحت مجهر البحث هو النتيجة الحاصلة من دون لحاظ الظروف المحيطة والعوامل المؤثّرة الموجودة أو المختلقة آنذاك. وإنّما صُبّ النظر على موفّقية قيس بن سعد وانهزام محمّد بن أبي بكر. مع أنّ الصحيح هو تحليل هذا الموقف الذي اتّخذه الإمام عليه السلام مع الأخذ بنظر الاعتبار جميع العوامل المؤثّرة، وكلّ ما له دخل في اتّخاذ هذا التصميم من دون غفلة عن الواقع اليومي الحاكم آنذاك، وعلى هذا، نقول في تحليل الموقف:

(١) إنّ قيس بن سعد من الشخصيّات السياسية البارزة في التاريخ الإسلامي، بل عُدّ من دُهاة العرب الخمسة، ولا شبهة في ذكائه، وممّا يؤيّد ذلك الاطمئنان والهدوء الذي خيّم على مصر أيّام حكومته.

(٢) إنّ محمّد بن أبي بكر كان هو الآخر من الشخصيّات البارزة آنذاك، وكان له محبّة في قلوب المصريّين، حتى أنّ الثائرين على عثمان طلبوا من عثمان عزل عبد الله بن أبي سرح ونصبه بدله، وحين قام عثمان بذلك سافر المصريّون إلى بلادهم. ولهذا كان من الطبيعي أن يميل المصريّون إلى حكومة محمّد بن أبي بكر حين ولي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة أيضاً.

(٣) عُزل قيس بن سعد في منتصف سنة (٣٦ هـ) عن ولاية مصر، ووليّ محمّد بن أبي بكر مكانه، فكان مجموع ولايته على مصر ثمانية أشهر.

وأمّا محمّد بن أبي بكر فقد استمرّت حكومته إلى آخر العام (٣٧ هـ) وقد حكمها تلك المدّة باقتدار تامّ، ولم تحصل أيّ فتنة أو ثورة.

(٤) بعد التحكيم وما أعقبه من تشتّت جيش الإمام واشتداد شوكة معاوية وأصحابه، تغيّرت الأوضاع، ومن جملة ذلك أوضاع مصر؛ حيث اعترض العثمانيّون في مصر بعد سباتهم وهدوئهم قبل ذلك. وهجم جيش الشام بقيادة عمرو بن العاص على مصر - التي كان يراها حقّه وحصّته من صفقة الصلح مع معاوية - وقد استطاع بمؤازرة العثمانيّين القاطنين في مصر كسرَ جيش محمّد بن أبي بكر، ولم تكن الأوضاع مؤاتية للإمام كي يستطيع إرسال الإمدادات العسكريّة لإسناد محمّد بن أبي بكر، كما لم تكن قوّات محمّد بن أبي بكر بذلك العدد الذي يستطيع مقاومة جيش الشام.

(٥) اتّضح ممّا سبق أنّ اختيار محمّد بن أبي بكر ونصبه والياً على مصر اختيار صائب تماماً في ذلك الظرف، كما أنّه على وفق القواعد السياسيّة، وتبيّن أنّ مدّة حكومته على مصر تعادل حكومة قيس بن سعد بمرّتين، وأنّ انكسار محمّد بن أبي بكر ناشيء من عوامل ومؤثّرات خارجة عن اختياره.=

كرمه

قال إبراهيم بن سور بن هلال الثقفي في كتاب الغارات: كان قيس مع بعض الصحابة في سفر في حياة رسول الله ﷺ فكان ينفق عليهم ويفضل.

فقال أحدهم: إن هذا لا يقوم به مال أبوك فأمسك يدك، فلما قدموا من سفرهم، قال سعد لذلك القائل: أردت أن تبخل ابني، إنا قوم لا نستطيع البخل، وكان قيس يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعل، ولا مجد إلا بمال، اللهم وسع علي فإن القليل لا يسعني ولا أسعه.

وعن جابر، في قصة جيش العرة: أن قيساً كان في ذلك الحين وإنه كان ينحر ويطعم حتى استدان بسبب ذلك، فهنأه أمير الجيش وهو أبو عبيدة، فبلغ النبي ﷺ، فقال: الجود من شيمة أهل هذا البيت.

وجاءته عجوز كانت تألفه، فقال لها: كيف حالك؟.

فقالت: ما في بيتي جرذ.

=(٦) إنّ سياسة قيس بن سعد وإن حافظت على هدوء مصر لكنّها كانت محطّاً للسؤال والنقد؛ حيث كان الواجب عليه في أوائل خلافة الإمام - والذي هو أوان قمّة قدرته - أن يُلجيء العثمانيّين الذين في مصر على البيعة للإمام؛ فإنّه لو كان فعل ذلك لكان اعتراضهم فيما بعدُ محدوداً لا شاملاً، حتى تتهيّأ الأرضيّة المناسبة لتدخّل الجيش الشامي، علماً أنّ هذه التصرّفات لم تكن مرضيّة عند الثوريّين من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، بل لعلّ الإمام عليه السلام لم يكن موافقاً على ذلك، ولذا فإنّ عزل قيس بن سعد يمكن أن يكون تأييداً لاعتراض هؤلاء الثوريّين.

(٧) لمّا ثار العثمانيّون في مصر نصب الإمام مالك الأشتر والياً على مصر، وهو رجل شجاع جريء، وكانت سمعته العسكريّة طاغية على سمعته السياسيّة. ومن جهة أُخرى فإنّ الإمام أثنى على هاشم بن عتبة، وأيّد أهليّته لحكومة مصر. فتعيين مالك والثناء على هاشم بن عتبة يكشف عن موافقة الإمام على المواجهة العسكريّة في مصر، وعدم رضاه بالمداهنة والمصالحة.

(٨) إنّ الإمام ذكر قيس بن سعد وقال: إنّه صالح لحكومة مصر، بيد أنّه لم ينصّبه مرّة أُخرى، بل بعثه إلى بلد بعيد وقليل الأهمّيّة في هذا الأزمنة مثل أذربيجان.
ولا نمتلك نصّاً تاريخيّاً يدلّ على مذاكرة الإمام مع قيس في شأن توليته مصر مرّة ثانية.

فقال: ما أحسن ما سألت، لأكثرت جرذ بيتك املأوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

ولاؤه لعلي عليه السلام

كان مخلصاً في الولاء لعلي عليه السلام عارفاً بقدره، وبلغ به الأمر أن خاصم أباه حين ذكر أمامه مرة كلاماً كان سمعه من النبي صلى الله عليه وآله في حق علي.

فقال قيس لأبيه: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة ويقول أصحابك: منا أمير ومنكم أمير، والله لا كلمتك من رأسي بعد هذا كلمة أبداً.

وقال عنه الفضل بن شاذان: أنه كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال ابن أبي الحديد: كان قيس من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل بمحبته وولائه، وشهد معه حروبه كلها، وكان مع الحسن عليه السلام ونقم عليه صلحه معاوية، وكان طالبيّ الرأي مخلصاً اعتقاده ووده.

وقال إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات: كان قيس من شيعة علي مناصحاً له ولولده، ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

توليته مصر وعزله عنها

قال إبراهيم: لما ولي علي عليه السلام الخلافة، قال لقيس من كلام له: سر إلى مصر فقد وليتك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشتد على المريب وارفق على العامة والخاصة فالرفق أيمن.

فقال قيس من كلام له: وأما ما أوصيتني به من الرفق، والإحسان، فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

فخرج قيس في سبعة من أهله حتى دخل مصر، فصعد المنبر، وأمر بكتاب معه فقرىء على الناس فيه: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الذي لا إلّه إلا هو أما بعد:

فإن الله بحسن صنيعه وقدره وتذكيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به أنبياءه إلى عباده، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة وخصهم من الفضل أن بعث محمداً ﷺ إليهم، فعلمهم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأدبهم لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما لا يطهروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه فعليه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه، ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم أحسنا السيرة ثم توفيا فولي من بعدهما والٍ أحدث أحداثاً، فوجدت الأمة عليه مقالاً، فقالوا ثم نقموا فتغيروا ثم جاؤوني فبايعوني وأنا أستهدي الله الهدى وأستعينه على التقوى، إلا وأن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً فوازروه وأعينوه على الحق. وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصحه، أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جميلاً ورحمة واسعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: الحمد الله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين، أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم من بعد نبينا محمد ﷺ فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله، فإن نحن لم نعمل بكتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت أمور مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عماله، إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها مثل عثمان، وبها رجل من بني كنانة يقال له: يزيد بن الحارث، فبعث إلى قيس: إنا لا نأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك، ولكن أقرنا على حالنا حتى نظر إلى ما يصير إليه أمر الناس.

ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاري فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس: ويحك أعليَّ تثبت والله ما أحب أن لي ملك الشام ومصر وإني قتلتك فاحقن دمك، فأرسل إليه مسلمة: إني كافٍ عنك ما دمت أنت والي مصر.

وبعث قيس إلى الذين اعتزلوا: إني لا أكرهكم على البيعة، ولكني أدعكم

وأكف عنكم فهادنهم وهادن مسلم بن مخلد، وجبى الخراج، وليس أحد ينازعه.

وخرج علي عليه السلام إلى الجمل وقيس على مصر، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانة، فكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشام، ومخافة أن يقبل علي بأهل العراق ويقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما.

وكتب معاوية إلى قيس وعلي يومئذٍ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد:.

إن كنتم فقمتم على عثمان في عثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها، أو شتمه رجلاً أو تسييره أحداً أو في استعماله الفتيان من أهله، فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يكن ليحل لكم بذلك، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً، إذا فتب يا قيس إى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تفي شيئاً، وأما صاحبك فقد استيقن أنه أغرى الناس بقتله وحملهم على قتله، وأنه لم يسلم من دمه عظيم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل وبايعنا على علي في أمرنا هذا ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وسيلتي غير هذا ما تحب فإنك لا تسألني شيئاً إلا أثبته واكتب إليّ رأيك فيما كتبت إليك.

فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يرافقه ولا يبدي له أمره ولا يعجل له حرية فكتب إليه:

أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك وفهمت الذي ذكرت من أمر عثمان، وذلك أمر لم أقاربه، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا أمر لم أطلع عليه، وذكرت لي أن عظيم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري أن أولى الناس كان في أمره عشيرتي.

وأما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه وما عرضت علي فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكر، وليس هذا مما يعجل إلى مثله. وإنما كان عنك وليس

يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى نرى وترى إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقارباً مباعداً، ولم يأمن من أن يكون في ذلك مخادعاً مكايداً، فكتب إليه:

أما بعد: فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً، ولم أرك تباعد فأعدك حرباً، أراك كحبل الجرور، وليس مثلي يصافح بالخدايع ولا يخادع بالمكايد، ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وإن أنت لم تفعل أملأ عليك مصر خيلاً ورجلاً والسلام.

فلما قرأ قيس كتابه وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في نفسه فكتب إليه:

من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد:

فالعجيب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني، لا أباً لغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر وأقواهم بالحق وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلهم سبيلا وأنآهم من رسول الله وسيلة، ولذلك قوم ضالون مضلون طواغيت إبليس، وأما قولك: إنك تملأ علي مصر خيلاً ورجلاً فلئن لم أشغلك في ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد، والسلام.

فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس ونقل مكانه عليه، وكان أن يكون مكانه غيره أحب إليه، فأظهر للناس أن قيساً قد بايعكم فادعوا الله له وقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه، واختلق كتاباً نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام.

قال: فشاع في الشام كلها أن قيساً صالح معاوية، وأتت عيون علي إليه بذلك فأعظمه وأكبره وتعجب له ودعا ابنيه حسناً وحسيناً وابنه محمداً وعبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك وقال ما رأيكم؟.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، أعزل قيساً عن مصر.

قال علي: والله إني غير مصدق بهذا على قيس.

فقال عبد الله: أعزله يا أمير المؤمنين فإن كان ما قد قيل حقاً فلا يعتزل لك أن عزلته.

قال: وإنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه:

أما بعد: فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك لله وأعِزك أن قبلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكف عنهم وأدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فترى ويرون، وقد رأيت أن أكف عنهم ولا أعجل بحربهم وأن تألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالهم إن شاء الله والسلام.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم أستشرى الأمر وتفاقمت الفتنة وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها، ولكن مره بقتالهم.

فكتب إليه علي يشير بقتالهم، وأجابه قيس بأن الرأي ترك قتالهم، فلما أجابه بذلك قال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين إبعث محمداً بن أبي بكر إلى مصر يكفيك أمرها، واعزل قيساً فوالله لبلغني أن قيساً يقول: إن سلطاناً لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء، والله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر وأنني قتلت ابن مخلد.

وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لامه، وكان يحب أن يكون له أمرة وسلطان، فاستعمل علي محمد بن أبي بكر على مصر وكتب معه كتاباً إلى أهل مصر قدمها.

فقال له قيس: ما بال أمير المؤمنين؟ ما غيرَّه؟ أدخل أحد بيني وبينه؟ أمنزلاً هذا السلطان سلطانك، وكان بينهما نسب، كان قيس متزوجاً (قريبة) بنت أبي قحافة أخت أبي بكر، فكان قيس زوج عمة محمد.

فقال قيس: لا والله لا أقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله علي، وخرج من مصر مقبلاً إلى المدينة، ولم يمض إلى علي بالكوفة.

قال إبراهيم: ثم أقبل قيس حتى قدم المدينة فجاءه حسان بن ثابت شامتاً وكان عثمانياً، فقال له: نزعك علي بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الأثم ولم يحسن لك الشكر، فزجره قيس، وقال: يا أعمى القلب يا أعمى

البصر، والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثم أخرجه من عنده.

ثم إن قيساً وسهل بن حنيف خرجا حتى قدما على علي بالكوفة فخبره قيس الخبر وما كان بمصر فصدقه وشهد مع علي صفين هو وسهل بن حنيف.

وفي التعليق على عزل قيس عن مصر، كتب عباس محمود العقاد في كتاب «عبقرية الإمام»:

عزله الإمام لأنه شك فيه، وكان أصحاب علي يحرضونه على عزله وهو يستمهلهم ويراجع رأيه فيه حتى اجتمعت الشبهات لديه، فعزله غير واثق من التهمة، ولكنه كذلك غير واثق من البراءة.

وشبهاته مع ذلك لم تكن بالقليلة ولا بالضعيفة، فإن قيس بن سعد لم يدخل مصر إلا بعد أن مر بجماعة من حزب معاوية فأجازوه ولم يحاربوه وهو في سبعة نفر لا يحمونه من بطشهم، فحبسوه حين أجازوه من العثمانية الهاربين إلى مصر من دولة علي في الحجاز.

ولما بايع المصريون علياً على يديه بقي العثمانيون لا يبايعون ولا يثورون وقالوا له: أمهلنا حتى يتبين لنا الأمر، فأمهلهم وتركهم وادعين حيث طاب لهم المقام بجوار الإسكندرية.

ثم أغراه معاوية بمناصرته والخروج على الإمام فكتب إليه كلاماً لا إلى الرفض ولا إلى القبول، ويصح لمن سمع بهذا الكلام أن يحسبه مراوغاً لمعاوية أو يحسبه مترقباً لساعة الفصل بين الخصمين.

ثم اشتد وعيده حين أنذره معاوية، وأراد الإمام أن يستيقن من الخصومة بين قيس ومعاوية فأمر قيساً أن يحارب المتخلفين عن البيعة فلم يفعل.

فتعاظم شك الإمام وأصحابه وكثر المشيرون عليه بعزل قيس واستقدامه.

إلى أن يقول العقاد:

ومن عجائب هذه القصة أن معاوية ندم على تقريب قيس من جوار علي وقال: «لو أمددته بمائة ألف لكانوا أهون علي من قيس».

وعى نفس الموضوع على عبد الحميد بن أبي الحديد شارح النهج فقال: ليس يمكن أن يقال: إن محمد بن أبي بكر لم يكن بأهل لولاية مصر، لأنه كان شجاعاً زاهداً فاضلاً صحيح العقل والرأي، وكان مع ذلك من المخلصين في محبة أمير المؤمنين عليه السلام، والمجتهدين في طاعته، وممن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه، وهو ربيبه وخريجه ويجري مجرى أحد أولاده لتربيته له وإشفاقه عليه، ثم كان المصريون على غاية المحبة له والإيثار لولايته.

ولما حاصر عثمان وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عنهم اقترحوا تأمير محمد بن أبي بكر عليهم، فكتب له عثمان بالعهد إلى مصر، وسار معه حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح في أمره وأمر المصريين بما هو معروف فعادوا جميعاً.

إذن فلم يكن من ظاهر الرأي ووجه التدبير إلا توليه محمد بن أبي بكر على مصر لما ظهر من ميل المصريين إليه وإيثارهم له واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه، فكان الظن قوياً باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم إلى نصرته واجتماعهم على محبته «اهـ».

روايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لقيس عدة أحاديث روى عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن أبيه، وروى عن عبد الرحمن أبي ليلى، وعروة بن الزبير، والشعبي، وميمون بن أبي شبيب، وعريب بن حميد الهمداني وجماعة.

وقال محمد بن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، حدثني شيخ من بلمصطلق، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما انصرف من الجعرانة سنة ثمانٍ بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن وأمره أن يطأ صداء (قبيلة من اليمن) فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين وقدم رجل من صداء فسأل عن ذلك البعث فأخبرهم فخرج سريعاً حتى ورد على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: جئتك وافداً على من ورائي فأردد الجيش وأنا لك بقومي فردهم رسول الله فقدم منهم بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة عشر رجلاً فأسلموا وبايعوا

رسول الله صلى الله عليه وآله على من ورائهم من قومهم ورجعوا إلى بلادهم، ففشا فيهم الإسلام فوافى النبي صلى الله عليه وآله مائة رجل منهم في حجة الوداع.

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما عزم على المسير إلى صفين، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فاستشارهم، فقام فيمن قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلى عدونا ولا تعرج فوالله لجهادهم أحب إليَّ من جهاد الترك والروم لأدهانهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين، قال: يعني رقيق.

فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما: لم تقدمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام.

فقال: أما إني عارف بفضلكم معظم لشأنكم، ولكني وجدت في نفسي الضغن الذي جاش في صدوركم حين ذكرت الأحزاب «اهـ».

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن معاوية لما تعاظمت عليه الأمور يوم صفين جمع خواص أصحابه فقال لهم: أنه قد غمني رجال من أصحاب علي وعد فيهم: قيس بن سعد في الأنصار، فعبأ لكل رجل منهم رجلاً من أصحابه، فجعل من قريش بسر بن أرطاة لقتال قيس بن سعد، فخرج بسر في الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الأنصار فاشتدت الحرب بينهما وبرز قيس وهو يقول:

[البحر السريع]

أنا ابن سعد زانه عبادهْ ... والخزرجيون رجال سادهْ
ليس فراري في الوغى بعادهْ ... إن الفرار للفتى قلادهْ
يا رب أنت لقني الشهادهْ ... القتل خير من عناق غادهْ

فطعن خيل بسر وبرز له بسر فطعن قيساً فضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه، ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل.

ودعا معاوية يوماً بصفين النعمان بن بشير الأنصاري ومسلمة بن مخلد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال: لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى ما أسأل عن فارس إلا قالوا قتلته الأنصار، أما والله لأرمينهم بأعدائهم من رجال، لم يغذهم التمر والطفيشل[1] يقولون: نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم، فغضب النعمان وقال: يا معاوية لا تلومن الأنصار بسرعهم في الحرب، فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية، وأما دعاؤهم إلى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ، وأما لقاؤك إياهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم، وأما التمر والطفيشل فإن التمر كان لنا فلما إن ذقتموه شاركتمونا فيه، وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة[2]، ثم تكلم مسلمة بن مخلد بما يشبه ذلك وقال في آخر كلامه: وأما التمر والطفيشل فيجران عليك نسب السخينة والخرنوب، وانتهى الكلام إلى الأنصار، فجمع قيس بن سعد عبادة الأنصاري الأنصار وقام فيهم خطيباً فقال:

إن معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشرك وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصرة هذا الدين الذي أنتم عليه، فجدوا اليوم جداً تنسون ما كان أمس، وجدوا غداً جداً أتنسون ما كان اليوم وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب، وأما التمر فإنا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه، وأما الطفيشل فلو كان طعامنا سميناً به كما سميت قريش السخينة، ثم قال قيس بن سعد في ذلك:

[البحر الخفيف]

يا بن هند دم التوثب في الحرب إذا نحن بالجياد سرينا
نحن من قد علمت فادن إذا شئـ ـت بمن شئت في العجاج إلينا

---

(١) الطفيشل: مرق معروف، يعيب الأنصار بأن طعامهم التمر وهذا لها. «المؤلف».
(٢) السخينة: طعام رقيق يتخذ من دقيق كانت تأكله قريش فعيرت به وصار لقباً.

إن تشا فارس له فارس منـ ـنا وإن شئت باللفيف التقينا
ثم لا تنزع العجاجة حتى تنجلي حربنا لنا أو علينا
إنما نحن الذين لدى الفتـ ـح شهدنا خيبراً وحنينا
بعد بدر وتلك قاصمة الظهـ ـر واحد وبالنضير ثنينا
يوم الأحزاب فيه قد علم الناس شفينا من قبلكم واشتفينا

فلما بلغ شعره معاوية دعا عمرو بن العاص فقال: ما ترى في شتم الأنصار.

فقال: أرى أن توعد ولا تشتم.

قال معاوية: إن قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً وهو يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه حابس الغد فما الرأي.

قال: الرأي التوكل والصبر، وأن تبعث إلى رجال من رؤساء الأنصار فتعاتبهم، فبعث إليهم فمشوا إلى قيس فقالوا: إن معاوية لا يريد شتمنا فكف عن شتمه.

فقال: إن مثلي لا يشتم، ولكن لا أكف عن حربه حتى ألقى الله، وتحركت الخيل غدوة، فظن قيس أن معاوية فيها، فحمل على رجل يشبهه فضربه ثم انصرف وهو يقول:

[البحر الخفيف]

خوفتني أكلاب قوم عاويهْ إليّ يا ابن الخاطئين الماضيهْ
ترقل أرقال العجوز الخاويهْ في أثر الساري ليالي الشاتيهْ

فلما تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتماً قبيحاً، وشتم الأنصار فغضب النعمان ومسلمة فأرضاهما بعدما هما أن ينصرفا إلى قومهما، ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السلم، فخرج فقال له: يا قيس ألستم معشر الأنصار تعلمون إنكم أخطأتم من خذل عثمان وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحملتم خيولكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياً لكانت واحدة بواحدة، ولكنكم خذلتم حقاً ونصرتم باطلاً ثم لم ترضوا حتى أوغلتم في الحرب ودعوتم إلى البراز، ثم لا ينزل بعلي أمر قط إلا هونتم عليه

المصيبة ووعدتموه بالظفر، وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله في البقية، فضحك قيس ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجزي على هذه المقالة، أنه لا ينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاشُّ الضالُّ المضلُّ.

أما ذكرك عثمان: فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ مني واحدة، قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك.

وأما أصحاب الجمل: فقاتلناهم على النكث.

وأما معاوية: فوالله إن لو اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار.

وأما قولك أنا لسنا كالناس: فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ﷺ نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أو إعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور، وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك، ولستما والله ببدريين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن، ولعمري لئن شغبت علينا فقد صعب علينا أبوك وقال قيس في ذلك:

[البحر الكامل]

والراقصات بكل أشعث أغبر	خوص العيون تحثها الركبانُ
ما ابن المخلد ناسياً أسيافنا	عمّن نحاربه ولا النعمانُ
تركا العيان وفي العيان كفاية	لو كان ينفع صاحبيه عيانُ

وقال نصر: أن علياً عليه السلام دعا قيس بن سعد يوم صفين فأثنى عليه خيراً وسوده على الأنصار. ولما بعث الحسن عليه السلام عبيد الله بن العباس على مقدمته إلى لقاء معاوية أمره أن يشاور قيس بن سعد، وسعيد بن قيس الهمداني وكانا معه، ولما خطب الحسن عليه السلام الناس وحثهم على الجهاد معه فتثاقلوا، قام قيس في جماعة فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم.

فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً، ولما انسل عبيد الله بن

العباس ليلاً من عسكر الحسين عليه السلام إلى عسكر معاوية وأصبحوا بغير أمير، صلى بهم قيس بن سعد ثم خطبهم فقال: أيها الناس لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورغ «أي الجبان»، إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خيراً قط، إن أباه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يقاتله ببدر فأسره كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ فداه فقسمه بين المسلمين، وأن أخاه ولاه علي عليه السلام على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري، وزعم أن ذلك له حلال، وإن هذا ولاه أيضاً على اليمن فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع فتنادى الناس الحمد لله الذي أخرجه من بيننا إمضِ بنا إلى عدونا، فنهض بهم وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم.

فقال لهم قيس: اختاروا إما القتال مع غير إمام أو تبايعون بيعة ضلال.

فقالوا: بل نقاتل بلا إمام فخرجوا وضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم، وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنيه.

فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلا وبيني وبينك الرمح، فكتب إليه معاوية أما بعد: فإنما أنت يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه، وأكثر الحز وأخطأ المفصل، فخذله قومه وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد: إنما أنت وثن ابن وثن من هذه الأوثان دخلت في الإسلام كرهاً وأقمت عليه فرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم تتقدم بإسلامك ولم يحدث نفاقك ولم تزل حرباً لله ورسوله وحزباً من أحزاب المشركين، فأنت عدو الله ورسوله والمؤمنن من عباده، وذكرت أبي ولعمري ما أوتر إلا قوسه ولا رمى إلا غرضه، وزعمت إني يهودي ابن يهودي، ولقد علمت وعلمنا أن أبي من أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو بن العاص: مهلاً إن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه، وانصرف قيس بمن معه إلى الكوفة.

وروى **أبو الفرج الأصبهاني** في مقاتل الطالبيين: أنه لما صالح الحسن عليه السلام، معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف وأبى أن يبايع.

وفي رواية لأبي الفرج: أن معاوية أرسل إلى قيس يدعوه إلى البيعة فأتي به قال: وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس ورجلاه يخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر، فلما أرادوا بأن يدخلوه إليه قال: إني حلفت أن لا ألقاه إلا وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية رمح أو سيف فوضع بينه وبينه ليبرَّ يمينه، فأقبل قيس على الحسن فقال: أنا في حل من بيعتك.

قال: نعم، فألقي لقيس كرسي وجلس معاوية: على سريره فقال له معاوية: هل تبايع.

قال: نعم، فوضع يده على فخذه ولم يمدها إلى معاوية، فجاء معاوية عن سريره واكب على قيس حتى مسح يده على يده، فما رفع قيس إليه يده «اهـ».

ومرض قيس فاستبطأ إخوانه عن عيادته فسأل عنهم فقيل: إنهم يستحون ممالك عليهم من الدين.

فقال: أخزى الله مالاً يمنع الأخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً من كان لقيس عليه دين فهو في حل منه، فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده.

وقال قيس يوم صفين:

[البحر الخفيف]

قلت لما بغى العدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيلُ

حسبنا ربنا الذي فتح البصر ... ة بالأمس والحديث طويلُ

وعلي إمامنا وإمام ... لسوانا أتى به التنزيلُ

حين قال النبي من كنت مولاه ... فهذا مولاه خطب جليلُ

إن ما قاله النبي على الأمـ ... ة حتم ما فيه قال وقيلُ

ولم يكن بين خصاله ما يفوقُ ذكاءه سوى جوده.. ولم يكن الجودُ خُلُقاً طارئاً على قيس، فهو من بيتٍ عريق في الجود والسخاء، وكان لأسرة قيس - على عادة أسخياء العرب وأثريائهم يومئذٍ - مُنادٍ يقف فوق مُرتفع لهم وينادي الضّيفان إلى طعامهم نهاراً.. أو يُوقِد النار لتهدي الغريب الساري ليلاً.. وكان الناس أيامئذٍ يقولون: «من أحبَّ الشَّحْمَ، واللحم، فليأت أُطُم دُليم بن حارثة»...

و«دليم بن حارثة» هو الجد الثاني لقيس...

ففي هذا البيت العريق أُرْضِعَ قيسٌ الجود والسماح..

تحدث يوماً أبو بكر وعمر حول جود قيس وسخائه وقالا:

«لو تركنا هذا الفتى لسخائه، لأهلك مال أبيه».

وللفطرة الإنسانية نهج لا يتخلّف، وسُنّة لا تتبدّل.. فحيث يوجد الجود توجد الشجاعة..

أجل.. إن الجود الحقيقي والشجاعة الحقيقية توأمان، لا يتخلّف أحدهما عن الآخر أبداً.. وإذا وجدت جوداً ولم تجد شجاعة، فاعلم أن هذا الذي تراه ليس جوداً.. وإنما هو مظهر فارغ وكاذب من مظاهر الزَّهو والادِّعاء.. وإذا وجدت شجاعة لا يصاحبها الجود، فاعلم كذلك أنها ليست شجاعة، إنما هي نزوة من نزوات التهوُّر والطيش..

ولما كان «قيس بن سعد» يُمسك أعِنّةَ الجود بيمينه فقد كان يُمسك بذات اليمين أعِنَّةَ الشجاعة والإقدام:

لكأنه المعنيُّ بقول الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عرابةُ باليمين

تألقت شجاعته في جميع المشاهد التي صاحب فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حيّ.

وواصلت تألقاتها، في المشاهد التي خاضها بعد أن ذهب الرسول إلى الرفيق الأعلى..

والشجاعة التي تعتمد على الصدق بدل الدهاء.. وتتوسّل بالوضوح

والمواجهة، لا بالمناورة والمُراوغة، تُحمّ صاحبها منْ المصاعب والمشاقّ ما يؤُوده ويُضَنيه..

ومنذ ألقى قيس وراء ظهره، قدرته الخارقة على الدهاء والمناورة، وحمل هذا الطراز من الشجاعة المُسْفرة الواضحة، وهو قرير العين بما تُسببه له من متاعب وما تجلبهُ من تبعات..

إن الشجاعة الحقّة تنقذف من اقتناع صاحبها وحده..

هذا الاقتناع الذي لا تُكّونه شهوة أو نزوة، إنما يُكوِّنه الصدق مع النفس، والإخلاص للحق..

وهكذا حين نشب الخلاف بين عليّ عليه السلام ومعاوية، نرى قيس يخلو بنفسه، ويبحث عن الحق من خلال اقتناعه، حتى إذا رآه مع «عليّ» ينهض إلى جواره شامخاً، قويّاً، مُستبسلاً..

وفي معارك صفين، والجمل، والنهروان، كان قيس أحد أبطالها المستبسلين..

كان يحمل لواء الأنصار وهو يصيح:

هذا اللواء الذي كُنَّا نخفّ به مع النبي، وجبريلٌ لنا مددُ
ما ضرَّ من كانت الأنصارُ عيبته ألاّ يكون له من غيرهم أحدُ

ولقد ولّاه الإمام «عليّ عليه السلام» حكم مصر...

وكانت عين معاوية على مصر دائماً.. كان ينظر إليها كأثمن دُرَّة في تاجه المنتظر..

من أجل ذلك لم يكد يرى قيساً يتولى إمارتها حتى جُنّ جنونه وخشي أن يحول قيس بينه وبين مصر إلى الأبد...

وهكذا راح بكل وسائله الماكرة، وحيله التي لا تُحجم عن أمر، يدُسُّ عند الإمام عليّ عليه السلام ضد قيس، حتى استدعاه الإمام من مصر..

وهنا وجد قيس فرصة سعيدة ليستعمل ذكاءه استعمالاً مشروعاً، فلقد أدرك بفطنته أن معاوية لعب ضدّه هذه اللعبة بعد أن فشل في استمالته إلى جانبه، لكي

يوغر صدره ضد الإمام علي عليه السلام، ولكي يضائل من ولائه له.. وإذن فخير رد على دهاء معاوية هو المزيد من الولاء لعليّ وللحق الذي يُمثله علي، والذي هو في نفس الوقت مناط الاقتناع الرشيد والأكيد لقيس بن سعد بن عبادة..

وهكذا لم يُحسَّ لحظة أن علياً عليه السلام عزله عن مصر.. فما الولاية، وما الإمارة، وما المناصب كلها عند قيس إلا أدوات يخدم بها عقيدته ودينه.. ولئن كانت إمارته على مصر وسيلة لخدمة الحق، فإن موقفه بجوار علي عليه السلام فوق أرض المعركة وسيلة أخرى لا تقل أهمية ولا روعة..

وتبلغ شجاعة قيس ذروة صدقها ونُهاها، بعد استشهاد علي وبيعة الحسن عليه السلام.

لقد اقتنع قيس بأن الحسن عليه السلام هو الوارث الشرعي للإمامة فبايعه ووقف إلى جانبه غير مُلْقٍ إلى الأخطار بالاً..

وحين يضطرهم معاوية لامتشاق السيوف، ينهض قيس فيقود خمسة آلاف من الذين حلقوا رؤوسهم حداداً على الإمام علي عليه السلام.

ويُؤثر الحسن عليه السلام أن يضمِّد جراح المسلمين التي طال شحوبها، ويضع حداً للقتال المُفني المبيد، فيفاوض معاوية ثم يبايعه..

هنا يدير «قيس» خواطره على المسألة من جديد، فيرى أنه مهما يكن في موقف الحسن من الصواب، فإن لجنود قيس في ذمّته حقَّ الشورى في اختيار المصير، وهكذا يجمعهم ويخطب فيهم قائلاً:

«إن شئتم جالدتُ بكم حتى يموت الأعجلُ منا، وإن شئتم أخذتُ لكم أماناً».

واختار جنوده الأمر الثاني، فأخذ لهم الأمان من معاوية الذي ملأ الحبور نفسه حين رأى مقاديره تريحه من أقوى خصومه شكيمة وأخطرهم عاقبة.

وفي المدينة المنورة - عام تسع وخمسين - مات الداهية الذي روَّض الإسلام دهاءه..

مات الرجل الذي كان يقول:

لولا أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

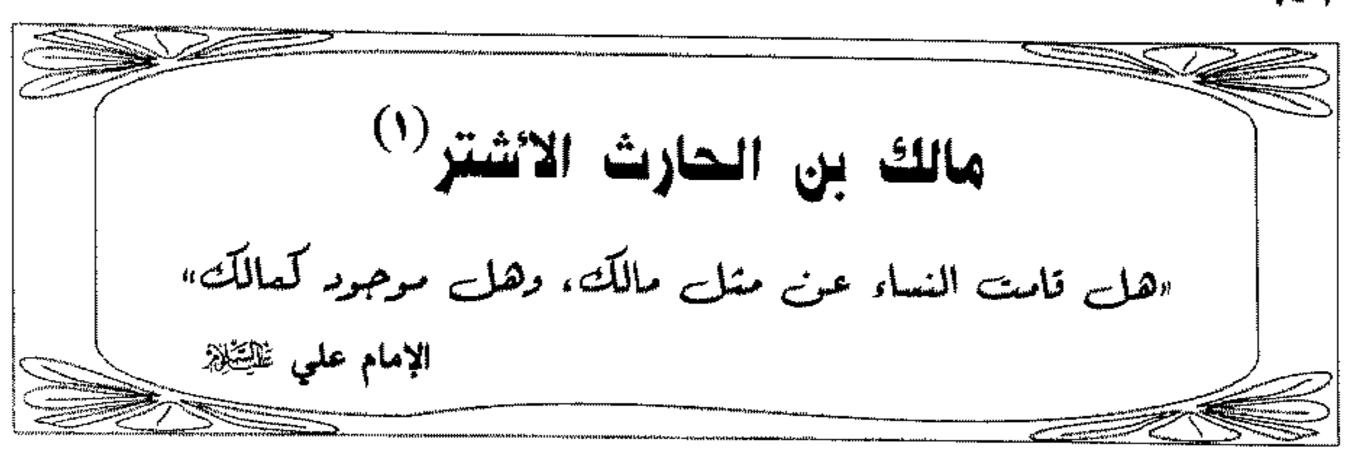
«المكر والخديعة في النار، لكنتُ من أمكر هذه الأمة»..

أجل.. مات. تاركاً وراءه عبير رجل أمين على كل ما للإسلام عنده من ذمّة، وعهد، وميثاق..

مصادره

إتقان المقال/ ٢١٨. أخبار شعراء الشيعة/ ٣٨. الأخبار الطوال/ ١٤١، ١٥٠، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨. الاستيعاب ٣/ ٢٢٤. أسد الغابة ٤/ ٢١٥. الاشتقاق/ ٤٥٦. الإصابة ٣/ ٢٤٩. أنساب الأشراف ٣/ ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٩ وج٢/ ٣٨٩. الأعلام ٦/ ٥٦. الإمامة والسياسة ١/ ٩٧، ١٢٨. البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠، ٢٥١ وج٨/ ٩٩. تاريخ الطبري ٥/ ١٦١، ٢٢٦. تاريخ بغداد ١/ ١٧٧. تاريخ الخميس ٢/ ٢٨٣. تحفة الأحباب/ ٢٨١. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦. تقريب التهذيب ٢/ ١٢٨. تنقيح المقال ٢/ ٣٢٩. تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٥. تاريخ جرجان/ ٦٥٠. تعجيل المنفعة/ ٣١٤. جامع الرواة ٢/ ٢٥. الجرح والتعديل ٧/ ٩٩. جمهرة أنساب العرب/ ١٣٧، ٣٦٥. الجمل أو النصرة في حرب البصرة/ ١٣٣. خلاصة الأقوال/ ١٣٤. الدرجات الرفيعة/ ٣٣٤. رجال ابن داود/ ١٥٥. رجال الشيخ الطوسي/ ٥٤. رجال الكشي/ ٩٦. سفينة البحار ٢/ ٢٩١، ٤٥٧. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٥ و٢/ ٢٦٠، ٢٧١ الفهارس/ ٢٢٨. شذرات الذهب ١/ ٥٢. الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٤. طبقات الحفاظ/ ٣٤، ٨٠. العقد الفريد ١/ ١٤٧، ١٧٥ و٣/ ٢٩٥ و٤/ ١٠٣ و٥/ ٨١. الغارات ٢/ ١٠٣٧. الغدير ٢/ ٦٧ . ١١٢. قاموس الرجال ٧/ ٣٩٦. الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٣ و٣/ ٢٠١، ٢٠٤، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٨٧، ٢٩٧، ٣٤٣، ٥٢٥. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٤. مجمع الرجال ٥/ ٦٣. مروج الذهب ٢/ ٣٦٩ و٣/ ٢٦. المعارف/ ١١٣. معجم الثقات/ ٣٢١. معجم رجال الحديث ١٤/ ٩٣. المناقب ٣/ ١٥٢. منتهى المقال/ ٢٥٢. مجالس المؤمنين ١/ ٢٣٦. النجوم الزاهرة ١/ ٩٥. نقد الرجال/ ٢٧٤. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٩١. وقعة صفين/ ١٥، ٩٣، ١٢٧، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٣٢، ٤٢٦ . ٤٢٨، ٤٤٦ . ٤٤٩، ٤٥٣، ٥٥٢. وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٤، ٤٦١ و٤/ ١٧١.





توفي سنة ٣٩.

كان من زعماء العراق الأشداء، فارساً صنديداً لا يشق له غبار، شديد البأس رئيس أركان الجيش لعساكر أبي الحسن عليه السلام في معاركه.

وهو من لهاميم مذحج الأبطال المغاوير، وسيد قروم النخع وشجعانها المساعير. ومن رواسي الجبال في الحلم ومن السحاب الثقيل في الكرم والسخاء، وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة[١].

---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٢٢٤، ح٨٩٥٢.

(٢) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الكوفي، المعروف بالأشتر؛ الوجه المشرق، والبطل الذي لا يُقهَر، واللّيث الباسل في الحروب، وأصلب صحابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يثق به ويعتمد عليه، وطالما كان يُثني على وعيه، وخبرته، وبطولته، وبصيرته، وعظمته، ويفتخر بذلك.

وليس بأيدينا معلومات تُذكر حول بدايات وعيه. وكان أوّل حضوره الجادّ في فتح دمشق وحرب اليرموك، وفيها أُصيبت عينه فاشتهر بالأشْتَر.

وكان مالك يعيش في الكوفة. وكان طويل القامة، عريض الصدر، طلق اللّسان، عديم المثيل في الفروسيّة. وكان لمزاياه الأخلاقية ومروءته ومنعته وهيبته وأُبّهته وحيائه، تأثيرٌ عجيب في نفوس الكوفيّين؛ من هنا كانوا يسمعون كلامه، ويحترمون آراءه.

ونُفي مع عدد من أصحابه إلى حِمص في أيّام عثمان بسبب اصطدامه بسعيد بن العاص والي عثمان. ولمّا اشتدّت نبرة المعارضة لعثمان عاد إلى الكوفة، ومنع واليه - الذي كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك - من دخولها.

واشترك في ثورة المسلمين على عثمان، وتولّى قيادة الكوفيّين الذين كانوا قد توجّهوا إلى المدينة، وكان له دور حاسم في القضاء على حكومة عثمان. =

. . . .

=وكان يصرّ على خلافة الإمام عليّ عليه السلام بفضل ما كان يتمتّع به من وعي عميق، ومعرفةٍ دقيقة برجال زمانه، وبالتيّارات والحوادث الجارية يومذاك. من هنا كان نصير الإمام عليه السلام وعضده المقتدر عند خلافته. وقد امتزجت طاعته وإخلاصه له عليه السلام بروحه ودمه، وكان الإمام عليه السلام أيضاً يحترمه احتراماً خاصّاً ويقيم وزناً لآرائه في الأمور.

وكان له رأي في بقاء أبي موسى الأشعري والياً على الكوفة، ارتضاه الإمام عليه السلام وأيّده، مع أنّه عليه السلام كان يعلم بمكنون فكر أبي موسى، ولم يكن له رأي في بقائه.

وعندما كان أبو موسى يثبّط الناس عن المسير مع الإمام عليه السلام في حرب الجمل، ذهب مالك إلى الكوفة، وأخرج أبا موسى - الذي كان قد عزله الإمام عليه السلام - منها، وعبّأ الناس من أجل دعم الإمام عليه السلام والمسير معه في الحرب ضدّ أصحاب الجمل. وكان له دور حاسم وعجيب في الحرب. وكان على الميمنة فيها. واصطراعه مع عبد الله بن الزبير مشهور في هذه المعركة.

ولي مالك الجزيرة - وهي تشمل مناطق بين دجلة والفرات - بعد حرب الجمل. وكانت هذه المنطقة قريبة من الشام التي كان يحكمها معاوية. واستدعاه الإمام عليه السلام قبل حرب صفّين.

كان على مقدّمة الجيش في البداية، وقد هزم مقدّمة جيش معاوية.

ولمّا استولى جيش معاوية على الماء وأغلق منافذه بوجه جيش الإمام عليه السلام، كان لمالك دور فاعل في فتح تلك المنافذ والسيطرة على الماء. وكان في الحرب مقاتلاً باسلاً مقداماً، رابط الجأش مجدّاً مستبسلاً، وقد قاتل بقلب فتيّ وشجاعة منقطعة النظير. وتولّى قيادة الجيش مع الأشعث، وكان على خيّالة الكوفة طول الحرب، وأحياناً كان يقود أقساماً أُخرى من الجيش.

وفي معارك ذي الحجّة الأولى كانت المسؤوليّة الأصليّة والدور الأساس للقتال على عاتقه.

وفي المرحلة الثانية - شهر صفر - كان يقود القتال أيضاً يومين في كلّ ثمانية أيّام.

وكان له مظهر عجيب في المنازلات الفرديّة للقتال، وفي حلّ عُقَد الحرب، وعلاج مشاكل الجيش، والنهوض بعبء الحرب، والسير بها قُدماً بأمر الإمام عليه السلام. بيد أنّ مظهره الباهر الخالد قد تجلّى في الأيّام الأخيرة منها، بخاصّة «يوم الخميس» و «ليلة الهَرير».

وكان يوم الخميس وليلة الجمعة «ليلة الهرير» مسرحاً لعرض عجيب تجلّت فيه شجاعته، وشهامته، واستبساله، وقتاله بلا هوادة، إذ خلخل نظم الجيش الشامي، وتقدّم صباح الجمعة حتى أشرف على خيمة القيادة.

وصار هلاك العدوّ أمراً محتوماً، وبينا كان الظلم يلفظ أنفاسه الأخيرة، والنصر يلتمع في=

. . . .

=عيون مالك، تآمر عمرو بن العاص ونشر فخّ مكيدته، فأسرعت جموع من جيش الإمام - وهم الذين سيشكّلون تيّار الخوارج - ومعهم الأشعث إلى مؤازرته، فازداد الطين بلّة بحماقتهم. وهكذا جعلوا الإمام عليه السلام في وضع حَرِج ليقبل الصلح، ويُرجع مالكاً عن موقعه المتقدّم في ميدان الحرب. وكان طبيعيّاً في تلك اللّحظة المصيريّة الحاسمة العجيبة أن يرفض مالك، ويرفض معه الإمام عليه السلام أيضاً، لكن لمّا بلغه أنّ حياة الإمام في خطر، عاد بروح ملؤها الحزن والألم، فأغمد سيفه، ونجا معاوية الذي أوشك أن يطلب الأمان من موت محقّق، وخرج من مأزق ضاق به!!.

وشاجر مالك الخوارجَ والأشعثَ، وكلّمهم في حقيقة ما حصل، وأنبأهم، بما يملك من بصيرة وبُعد نظر، أنّ جذر تقدّسهم يكمن في تملّصهم من المسؤوليّة، وشغفهم بالدنيا.

وحين اقترح الإمام عبد الله بن عبّاس للتحكيم ورفَضه الخوارج والأشعث، اقترح مالكاً، فرفضوه أيضاً مصرّين على يمانيّة الحَكَم، في حين كان مالك يمانيّ المحتد، وهذا من عجائب الأمور!.

وعاد مالك بعد صفّين إلى مهمّته. ولمّا اضطربت مصر على محمّد بن أبي بكر وصعب عليه أمرها وتمرّد أهلها، انتدب الإمام عليه السلام مالكاً وولاّه عليها. وكان قد خَبَر كفاءته، ورفعته، واستماتته، ودأبه ووعيه، وخبرته في العمل، فكتب إلى أهل مصر كتاباً يعرّفهم به، قال فيه:

«. . . بعثتُ إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الرَّوع، أشدَّ على الفجّار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ؛ فإنّه سيف من سيوف الله، لا كَلِيل الظُّبَة[1] ولا نابي[2] الضَّرِيبة؛ فإن أمَركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا؛ فإنّه لا يُقْدِم ولا يُحْجِم ولا يؤخّر ولا يقدّم إلاّ عن أمري، وقد آثرتُكم به على نفسي لنصيحته لكم، وشدّة شكيمته على عدوّكم».

وكانت تعليماته عليه السلام الحكوميّة - المشهورة بـ«عهد مالك الأشتر» - أعظم وأرفع وثيقة للحكومة وإقامة القسط، وهي خالدة على مرّ التاريخ.

وكان معاوية قد عقد الأمل على مصر، وحين شعر أنّ جميع خططه ستخيب بذهاب مالك إليها، قضى عليه قبل وصوله إليها. وهكذا استُشهد ليث الوغى، والمقاتل الفذّ، والناصر الفريد لمولاه، بطريقة غادرة بعدما تناول من العسل المسموم بسمّ فتّاك، وعرجت روحه المشرقة الطاهرة إلى الملكوت الأعلى. =

(١) كلَّ السَّيف: فهو كليل: إذا لم يقطع. وظبة السيف: طرفه (النهاية: ٤/١٩٨ وج٣/١٥٥).
(٢) يقال: نَبا حدُّ السَّيف: إذا لم يقطع (النهاية: ٥/١١).

. . . .

=وحزن الإمام عليه السلام لمقتله، حتى عدّ موته من مصائب الدهر. وأبّنه فكان تأبينه إيّاه فريداً؛ كما أنّ وجود مالك كان فريداً له في حياته عليه السلام.
ولمّا نُعي إليه مالك وبلغه خبر استشهاده المؤلم، صعد المنبر وقال:
«ألا إنّ مالك بن الحارث قد قضى نحبه، وأوفى بعهده، ولقي ربّه، فرحم الله مالكاً! لو كان جبلاً لكان فِنْداً[1]، ولو كان حَجَراً لكان صَلْداً. لِلّه مالك! وما مالك! وهل قامت النساء عن مِثل مالك! وهل موجودٌ كمالِك!».
ومعاوية الذي كان فريداً أيضاً في خبث طويّته ورذالته وضَعَته وقتله للفضيلة، طار فرحاً باستشهاد مالك، ولم يستطع أن يخفي سروره، فقال من فرط فرحه:
كان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، فقُطعت إحداهما يوم صفّين - يعني عمّار بن ياسر - وقُطعت الأخرى اليوم، وهو مالك الأشتر.
وكلّما كان يذكر الإمام عليه السلام، يثقل عليه الغمّ والحزن، ويتحسّر على فقده. وحين ضاق ذرعاً من التحرّكات الجائرة لأهل الشام، وتألّم لعدم سماع جُنده كلامه، وتأوّه على قعودهم وخذلانهم له في اجتثاث جذور الفتنة، قال رجل: استبانَ فقدُ الأشتر على أهل العراقِ. لو كان حيّاً لقلّ اللغط، ولعلم كلّ امرئٍ ما يقول.
نطق هذا الرجل حقّاً، فلم يكن أحد في جيش الإمام عليه السلام مثل مالك.
تنبيه الخواطر: حكي أنّ مالكاً الأشتر كان مجتازاً بسوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة منه، فرآه بعض السُّوقة[2] فازدرى بزيّه[3]؛ فرماه ببندقة تهاوناً به، فمضى ولم يلتفت، فقيل له: ويلك! أتدري بمن رميت؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر منه، فرآه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلّي، فلمّا انفتل أكبّ الرجل على قدميه يقبّلهما، فقال: ما هذا الأمر؟! فقال: أعتذر إليك ممّا صنعت، فقال: لا بأس عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلاّ لأستغفرنّ لك.
المناقب للخوارزمي عن أبي هاني بن معمر السدوسي: - في ذكر غلبة جند معاوية على الماء في حرب صفّين -: كنت حينئذٍ مع الأشتر وقد تبيّن فيه العطش، فقلت لرجل من بني عمّي: إنّ الأمير عطشان، فقال الرجل: كلّ هؤلاء عِطاش، وعندي إداوة[4] ماء أمنعه لنفسي، ولكنّي أُوثره على نفسي، فتقدّم إلى الأشتر فعرض عليه الماء، فقال: لا أشرب حتى يشرب الناس.

---

(١) الفند من الحبل: أنفه الخارج منه. وقيل: هو المنفرد من الجبال (النهاية: ٣/ ٤٧٥).
(٢) السُّوقة من الناس: الرَّعيّة (النهاية: ٢/ ٤٢٤).
(٣) الأزدراء: الاحتقار والانتقاص والعيب (النهاية: ٢/ ٣٠٢).
(٤) الإداوة: اناء صغير من جلد يتّخذ للماء كالسَّطيحة ونحوها (النهاية: ١/ ٣٣).

أما في السياسة فكان من الأكياس الحازمين، يجمع بين اللين والعنف فيسطو في موضع السطو ويرفق في موضع الرفق، وقد شهد له بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال عنه: «إنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل».

وهو خطيب منبر وقائد عسكر وشاعر ناثر، وقد استطاع أن يخمد بذلاقة لسانه من الفتن العمياء ما أعيا السيف إطفاؤه في كثير من المواقف والمشاهد التي نصر فيها الحق وحارب الباطل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام حين رجع عن صفين رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة، فلما اضطربت مصر على محمد بن أبي بكر استدعى أمير المؤمنين عليه السلام الأشتر إليه وهو يومئذٍ بنصيبين وأرسل إليه هذا الكتاب:

أما بعد فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأليم وأسد به الثغر المخوف.

إلى أن يقول: فأقدم عليَّ للنظر فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام.

فأقبل الأشتر إلى علي فلما دخل عليه حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها، وقال له: ليس لها غيرك فاخرج إليها رحمك الله، فإني لا أوصيك اكتفاء برأيك واستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، وأعزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا شدة.

فخرج الأشتر من عنده فأتى رحله، وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر، فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر، فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد من محمد بن أبي بكر، فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به، وقال له: إن الأشتر قد ولي مصر فإن كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت فاحتل في هلاكه ما قدرت.

فخرج الأشتر حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز فأقام به، فقال له ذلك الرجل وكان ذلك المكان مكانه: أيها الأمير هذا

منزل فيه طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج فأقم واسترح، وأتاه بالطعام حتى إذا طعم سقاه مشربة عسل قد جعل فيه سماً فلما شربها مات.

ولما بلغ علياً موت الأشتر، قال: و﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر، ثم قال: رحم الله مالكاً فقد كان وفياً بعهده وقضى نحبه ولقي ربه، ومع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله، فإنها من أعظم المصائب.

وحدث أشياخ النخع قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: لله در مالك وما مالك؟! والله لو كان من جبل لكان فنداً ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدّنّ موتك عالماً وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجود كمالك.

قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال يتلهف ويتأسف حتى ظننا أن المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً.

ومن أقوال أمير المؤمنين فيه:

كان لي كما كنت لرسول الله، وسئل بعضهم عن الأشتر فقال: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق.

وقد وصفه أمير المؤمنين لأهل مصر حين ولاه عليها في كتاب كتبه إليهم: لقد وجهت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام في الخوف ولا ينكل من الأعداء حذر الدوائر على الكافرين من حريق النار، فاسمعوا وأطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد...

موقفه يوم رفع المصاحف

لما رفع أصحاب معاوية المصاحف يدعون إلى حكم القرآن قال أمير المؤمنين: إنهم والله ما رفعوها حقاً، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين بالحديد وشاكي السلاح سيوفهم على

عواتقهم، وقد سودت جباههم من السجود، يتقدمون مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا قتلناك!.

فقال لهم: أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وإنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك، وكان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله، فأرسل إليه يزيد بن هانىء فأتاه فبلغه.

فقال الأشتر: قل له ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي إني قد رجوت أن يفتح الله بي فلا تعجلني.

فرجع يزيد بن هاني إلى علي فأخبره، وارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والأدبار على أهل الشام.

فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم.

قال: رأيتموني ساررت رسولي؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون!.

قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك!.

قال: ويحك يا يزيد، قل له: اقبل فإن الفتنة قد وقعت.

فأتاه فأخبره، فقال الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟!.

قال: نعم.

قال: أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، وقال الله لنا: أينبغي أن ندع هذا أو ننصرف عنه!.

فقال له يزيد: أتحب أنك ظفرت هاهنا وأمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه!.

قال: سبحان الله، والله ما أحب ذلك.

قال: فإنهم قالوا لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك كما قتلنا عثمان، أو لنسلمك إلى عدوك!.

فأقبل الأشتر، فصاح: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم أمهلوني فواقاً فإني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.

قال: فأمهلوني عدو الفرس، فإني قد طمعت في النصرة.

قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

قال: فحدثوني عنكم، وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم متى كنتم محقين حيث كنتم تقتلون أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون أم الآن محقون فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار!.

قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا.

قال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتهم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلى الدنيا من الموت إلا قبحاً، يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب بسوطه وجوه دوابهم، فصاح بهم علي فكفوا.

ولما كتبت صحيفة التحكيم دعي لها الأشتر ليوقعها فيمن وقعها فقال: لا صحبتني يمين ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة، أولست على بينة من ربي ويقين من ضلالة عدوي، أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور!.

فقال له رجل: إنك والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً هلم فاشهد على نفسك وأقر ربما في هذه الصحيفة فإنه لا رغبة بك عن الناس.

قال: بلى والله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندي ولا أحرم دماً، ثم قال: لكن رضيت بما صنع علي أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه فإنه لا يدخل إلا في هدى وصواب(١).

بطولته في القتال

من الصور التي نقلها نصر بن مزاحم عن بسالة الأشتر يوم صفين قوله: كان الأشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة وعلي في القلب، والأشتر في هذه الحال يسير ما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التي تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة خلف ظهره، وجعل يقول لأصحابه وهو يزحف بهم: ازحفوا قيد رمحي هذا فإن فعلوا قال: ازحفوا قاب هذا القوس، ثم دعا بفرسه وركز رايته وكانت مع حيان بن هوذه النخعي، وأقبل الأشتر على فرس له كميت محذوف قد وضع ومغفره على قربوس السرج وهو يقول: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس!.

وخرج يسير في الكتائب ويقول: ألا من يشتري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه ويقاتل معه.

ويقول واحد في تلك الحال: أي رجل هذا لو كان له نية!.

فيقول له صاحبه: وأي نية أعظم من هذه ثكلتك أمك وهبلتك، إن رجلاً فيما قد ترى قد سبح في الدماء وما أضجرته الحرب وقد غلت هام الكماة من الحر وبلغت القلوب الحناجر، وهو كما ترى يقول هذه المقالة!.

ثم نادى الأشتر في أصحابه فقال: شدوا فدى لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله وتعزون بها الدين، فإذا شددت فشدوا، ثم نزل وضرب وجه دابته،

---

(١) نصر بن مزاحم.

ثم قال لصاحب رايته: أقدم فأقدم بها ثم شد على القوم وشد معه أصحابه يضرب العدو حتى رمى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند المعسكر قتالاً شديداً فقتل صاحب رايته، وأخذ علي لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمده بالرجال.

رأيه في علي بن أبي طالب عليه السلام

قال من خطبة له: معنا ابن عم نبينا وسيف من سيوف الله علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله لم يكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا سقطة، فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله وعليكم بالحزم والجد، واعلموا أنكم على حق وإن القوم على الباطل، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدري سوى ما حولكم من أصحاب محمد، أكثر ما كان معكم رايات فقد كانت مع رسول الله، وعدونا مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله، فمن يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب، أنتم على إحدى الحسنيين، أما الفتح أوالشهادة، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، الله لي ولكم.

وله من خطبة أخرى في صفين: الحمد الله الذي جعل فينا ابن عم نبيه أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله صبه الله على أعدائه، فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتال وتكسر المران، وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة فاتبعوني وكونوا في أثري.

عهد الاشتر

هذا ما أمر به عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاّه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتّباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه، الّتي لا يسعد أحدٌ إلاّ باتّباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه.

وأمره أن يكسر نفسه من الشّهوات ويزعها عند الجمحات، فإنّ النّفس أمّارةٌ بالسّوء، إلاّ ما رحم الله.

ثمّ اعلم يا مالك، أنّي قد وجّهتك إلى بلادٍ قد جرت عليها دولٌ قبلك، من عدلٍ وجورٍ، وأنّ النّاس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنّما يستدلّ على الصّالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبّ الذّخائر إليك ذخيرة العمل الصّالح، فاملك هواك، وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشّحّ بالنّفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت. وأشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة، والمحبّة لهم، واللّطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين وإمّا نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزّلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطإ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاّك! وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم. ولا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمنّ على عفوٍ، ولا تبجحنّ بعقوبةٍ، ولا تسرعنّ إلى بادرةٍ وجدت منها مندوحةً، ولا تقولنّ: إنّي مؤمّرٌ آمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغالٌ في القلب، ومنهكةٌ للدّين، وتقرّبٌ من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهةً أو مخيلةً، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك!

إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتّشبّه به في جبروته، فإنّ الله يذلّ كلّ جبّارٍ، ويهين كلّ مختالٍ.

أنصف اللّه وأنصف النّاس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوًى من رعيّتك، فإنّك إلاّ تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب. وليس شيءٌ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلمٍ، فإنّ الله سميعٌ دعوة المضطهدين، وهو للظّالمين بالمرصاد.

وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرّعيّة، فإنّ سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة. وليس أحدٌ من الرّعيّة أثقل على الوالي مؤونةً في الرّخاء، وأقلّ معونةً له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمّات الدّهر من أهل الخاصّة. وإنّما عماد الدّين، وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء، العامّة من الأمّة، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيّتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعائب النّاس، فإنّ في النّاس عيوباً، الوالي أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيّتك، أطلق عن النّاس عقدة كلّ حقدٍ، واقطع عنك سبب كلّ وترٍ، وتغاب عن كلّ ما لا يصح لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ، فإنّ السّاعي غاشٌّ، وإن تشبّه بالنّاصحين.

ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزيّن لك الشّره بالجور، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله.

إنّ شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانةً، فإنّهم أعوان الأثمة، وإخوان الظّلمة، وأنت واجدٌ منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممّن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه: أولئك أخفّ عليك مؤونةً، وأحسن لك معونةً، وأحنى عليك عطفاً، وأقلّ لغيرك إلفاً، فاتّخذ أولئك خاصّةً لخلواتك وحفلاتك، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك، وأقلّهم مساعدةً فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصّدق، ثمّ رضهم على ألاّ يطروك ولا يبجّحوك بباطلٍ لم تفعله، فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزّهو، وتدني من العزّة.

ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ سواءٍ، فإنّ في ذلك تزهيداً

لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة! وألزم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه. واعلم أنّه ليس شيءٌ بأدعى إلى حسن ظنّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس قبلهم. فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسن الظّنّ برعيّتك، فإنّ حسن الظّنّ يقطع عنك نصباً طويلاً. وإنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإنّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنّةً صالحةً عمل بها صدور هذه الأمّة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرّعيّة. ولا تحدثنّ سنّةً تضرّ بشيءٍ من ماضي تلك السّنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به النّاس قبلك.

واعلم أنّ الرّعيّة طبقاتٌ لا يصلح بعضها إلاّ ببعضٍ، ولا غنى ببعضها عن بعضٍ: فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذّمّة ومسلمة النّاس، ومنها التّجّار وأهل الصّناعات ومنها الطّبقة السّفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلٌّ قد سمّى الله له سهمه، ووضع على حدّه فريضةً في كتابه أو سنّة نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله حصون الرّعيّة، وزين الولاة، وعزّ الدّين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرّعيّة إلاّ بهم. ثمّ لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الّذي يقوون به في جهاد عدوّهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم. ثمّ لا قوام لهذين الصّنفين إلاّ بالصّنف الثّالث من القضاة والعمّال والكتّاب، لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها. ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتّجّار وذوي الصّناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من التّرفّق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم. ثمّ الطّبقة السّفلى من أهل الحاجة والمسكنة الّذين يحقّ رفدهم ومعونتهم. وفي الله لكلٍّ سعةٌ، ولكلٍّ على

الوالي حقٌّ بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ، والصّبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل. فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممّن يبطىء عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضّعفاء وينبو على الأقوياء، وممّن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضّعف.

ثمّ ألصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصّالحة، والسّوابق الحسنة، ثمّ أهل النّجدة والشّجاعة، والسّخاء والسّماحة، فإنّهم جماعٌ من الكرم، وشعبٌ من العرف. ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّده الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمنّ في نفسك شيءٌ قوّيتهم به، ولا تحقرنّ لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ، فإنّه داعيةٌ لهم إلى بذل النّصيحة لك، وحسن الظّنّ بك. ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتّكالاً على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرّعيّة. وإنّه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلّة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم، فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثّناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإنّ كثرة الذّكر لحسن أفعالهم تهزّ الشّجاع، وتحرّض النّاكل، إن شاء الله.

ثمّ اعرف لكلّ امرىءٍ منهم ما أبلى، ولا تضمّنّ بلاء امرىءٍ إلى غيره، ولا تقصّرنّ به دون غاية بلائه، ولا يدعونّك شرف امرىءٍ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرىءٍ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور،

فقد قال الله تعالى لقوم أحبَّ إرشادهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] فالرّدّ إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، والرّدّ إلى الرّسول: الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة.

ثمّ اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك في نفسك، ممّن لا تضيق به الأمور، ولا تمحّكه الخصوم، ولا يتمادى في الزّلّة، ولا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمعٍ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشّبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصرمهم عند اتّضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراءٌ، ولا يستميله إغراءٌ، وأولئك قليلٌ. ثمّ أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علّته، وتقلّ معه حاجته إلى النّاس. وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدّنيا.

ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباةً وأثرةً، فإنّهما جماعٌ من شعب الجور والخيانة. وتوخّ منهم أهل التّجربة والحياء، من أهل البيوتات الصّالحة، والقدم في الإسلام المتقدّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً. ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق، فإنّ ذلك قوّةٌ لهم على استصلاح أنفسهم، وغنًى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّةٌ عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك. ثمّ تفقّد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصّدق والوفاء عليهم، فإنّ تعاهدك في السّرّ لأمورهم حدوةٌ لهم على استعمال الأمانة، والرّفق بالرّعيّة. وتحفّظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانةٍ اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبته بمقام المذلّة، ووسمته بالخيانة، وقلّدته عار التّهمة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ النّاس كلّهم عيالٌ على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارةٍ أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علّةً، أو انقطاع شربٍ أو بالّةٍ، أو إحالة أرضٍ اغتمرها غرقٌ، أو أجحف بها عطشٌ، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلنّ عليك شيءٌ خفّفت به المؤونة عنهم، فإنّه ذخرٌ يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوّتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثّقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيّبةً أنفسهم به، فإنّ العمران محتملٌ ما حمّلته، وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلّة انتفاعهم بالعبر.

ثمّ انظر في حال كتّابك فولّ على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك الّتي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق، ممّن لا تبطره الكرامة، فيجترىء بها عليك في خلافٍ لك بحضرة ملإٍ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك، وإصدار جواباتها على الصّواب عنك، فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظّنّ منك، فإنّ الرّجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النّصيحة والأمانة شيءٌ. ولكن اختبرهم بما ولّوا للصّالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإنّ ذلك دليلٌ على نصيحتك لله ولمن ولّيت أمره. واجعل لرأس كلّ أمرٍ من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتشتّت عليه كثيرها، ومهما كان في كتّابك من عيبٍ فتغابيت عنه ألزمته.

ثمّ استوص بالتّجار وذوي الصّناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفّق ببدنه، فإنّهم موادّ المنافع وأسباب المرافق، وجلاّبها من المباعد والمطارح، في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم النّاس لمواضعها، ولا يجترؤون عليها، فإنّهم سلمٌ لا تخاف بائقته، وصلحٌ لا تخشى غائلته. وتفقّد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم ـ مع ذلك ـ أنّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلك باب مضرّةٍ للعامّة، وعيبٌ على الولاة. فامنع من الاحتكار، فإنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً: بموازين عدلٍ، وأسعارٍ لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرةً بعد نهيك إيّاه فنكّل به، وعاقبه في غير إسرافٍ.

ثمّ اللّه اللّه في الطّبقة السّفلى من الّذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطّبقة قانعاً ومعترّاً، واحفظ الله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلاّت صوافي الإسلام في كلّ بلدٍ، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى، وكلٌّ قد استرعيت حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطرٌ، فإنّك لا تعذر بتضييعك التّافه لإحكامك الكثير المهمّ. فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون، وتحقره الرّجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلٌّ فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه. وتعهّد أهل اليتم وذوي الرّقّة في السّنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيلٌ، والحقّ كلّه ثقيلٌ، وقد يخفّفه الله على أقوامٍ طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الّذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتّى يكلّمك متكلّمهم غير متتعتعٍ، فإنّي سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقول في غير موطنٍ: «لن تقدّس أمّةٌ لا يؤخذ

للضّعيف فيها حقّه من القويّ غير متتعتع». ثمّ احتمل الخرق منهم والعيّ، ونحّ عنهم الضّيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمالٍ وإعذارٍ!.

ثمّ أمورٌ من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمّالك بما يعيا عنه كتّابك، ومنها إصدار حاجات النّاس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك. وأمض لكلّ يومٍ عمله، فإنّ لكلّ يومٍ ما فيه. واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النّيّة، وسلمت منها الرّعيّة.

وليكن في خاصّة ما تخلص به لله دينك: إقامة فرائضه الّتي هي له خاصّةً، فأعط اللّه من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوصٍ، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا قمت في صلاتك للنّاس، فلا تكوننّ منفّراً ولا مضيّعاً، فإنّ في النّاس من به العلّة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حين وجّهني إلى اليمن كيف أصلّي بهم؟ فقال: «صلّ بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً».

وأمّا بعد، فلا تطوّلنّ احتجابك عن رعيّتك، فإنّ احتجاب الولاة عن الرّعيّة شعبةٌ من الضّيق، وقلّة علمٍ بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصّغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحقّ بالباطل، وإنّما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه النّاس به من الأمور، وليست على الحقّ سماتٌ تعرف بها ضروب الصّدق من الكذب، وإنّما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤٌ سخت نفسك بالبذل في الحقّ، ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تعطيه، أو فعلٍ كريم تسديه! أو مبتلًى بالمنع، فما أسرع كفّ النّاس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أنّ أكثر حاجات النّاس إليك ممّا لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمةٍ، أو طلب إنصافٍ في معاملةٍ.

ثمّ إنّ للوالي خاصّةً وبطانةً، فيهم استئثارٌ وتطاولٌ، وقلّة إنصافٍ في معاملةٍ، فاحسم مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعنّ لأحدٍ من حاشيتك وحامّتك قطيعةً، ولا يطمعنّ منك في اعتقاد عقدةٍ، تضرّ بمن يليها من

النّاس، في شربٍ أو عملٍ مشتركٍ، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدّنيا والآخرة.

وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإنّ مغبّة ذلك محمودةٌ.

وإن ظنّت الرّعيّة بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإنّ في ذلك رياضةً منك لنفسك، ورفقاً برعيّتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ.

ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك ولله فيه رضًى، فإنّ في الصّلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل. فخذ بالحزم، واتّهم في ذلك حسن الظّنّ. وإن عقدت بينك وبين عدوّك عقدةً، أو ألبسته منك ذمّةً، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جنّةً دون ما أعطيت، فإنّه ليس من فرائض الله شيءٌ النّاس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم، وتشتّت آرائهم - من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر. فلا تغدرنّ بذمّتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوّك، فإنّه لا يجترىء على الله إلاّ جاهلٌ شقيٌّ. وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعوّلنّ على لحن قولٍ بعد التّأكيد والتّوثقة، ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحقّ، فإنّ صبرك على ضيق أمرٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خيرٌ من غدرٍ تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبةٌ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

إيّاك والدّماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيءٌ أدعى لنقمةٍ، ولا أعظم لتبعةٍ، ولا أحرى بزوال نعمةٍ، وانقطاع مدّةٍ، من سفك الدّماء بغير حقّها. والله سبحانه مبتدىءٌ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدّماء يوم القيامة، فلا تقوّينّ سلطانك بسفك دمٍ حرامٍ، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله.

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطإٍ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبةٍ، فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلةً، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم.

وإيّاك والإعجاب بنفسك، والثّقة بما يعجبك منها، وحبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، أو التّزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنّ المنّ يبطل الإحسان، والتّزيّد يذهب بنور الحقّ، والخلف يوجب المقت عند الله والنّاس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التّسقّط فيها عند إمكانها، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كلّ أمرٍ موضعه، وأوقع كلّ عملٍ موقعه.

وإيّاك والاستئثار بما النّاس فيه أسوةٌ، والتّغابي عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون، فإنّه مأخوذٌ منك لغيرك. وعمّا قليلٍ تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم. املك حميّة أنفك، وسورة حدّك، وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة، وتأخير السّطوة، حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار: ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك.

والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومةٍ عادلةٍ، أو سنّةٍ فاضلةٍ، أو أثرٍ عن نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو فريضةٍ في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علّةٌ عند تسرّع نفسك إلى هواها. وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبةٍ، أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع

(١) سورة الصف، الآية: ٣.

حسن الثّناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النّعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسّعادة والشّهادة، إنّا إليه راجعون، والسّلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ الطّيبين الطّاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً. والسّلام.

الأشتر زعيم الثورة الشعبية

قال سعيد بن العاص الأموي والي عثمان على الكوفة لسماره: السواد «يقصد سواد العراق بما فيه من مزارع وبساتين» بستان لقريش وبني أمية!.

فقال له الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيافنا بستان لك ولقومك!. والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا، وتكلم معه القوم، فقال عبد الرحمن الأسدي وكان على شرطة سعيد: أتردون على الأمير مقالته!. وأغلظ لهم.

فقال الأشتر: من هاهنا؟ لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطئوه وطأ شديداً حتى غشي عليه.

ثم إن سعيداً نفى الأشتر مع تسعة آخرين إلى الشام بأمر عثمان، ثم ردوهم إلى الكوفة، وكان فساد الحكم قد بلغ ذروته فلم يطق الأشتر وصحبه السكوت، فنفوهم مرة ثانية إلى حمص، وكتب عثمان إلى الأشتر وصحبه: أما بعد فإني سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شراً، والسلام. فلما قرأ الأشتر الكتاب قال: اللهم اسوأنا نظراً للرعية، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النقمة.

فكتب بذلك سعيد بن العاص إلى عثمان وسار الأشتر وأصحاب إلى حمص، ثم عادوا إلى بلدهم.

واستمر استهتار الحكام وعبثهم بالناس.

قال الطبري: اجتمع ناس من المسلمين (في الكوفة) فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلمه ويخبره بأحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس، فأتاه فدخل عليه، فقال: إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً فاتقِ الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها.

فقال له عثمان: انظر إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارىء، ثم يجيء فيكلمني في المحقرات فوالله ما يدري أين الله.

قال عامر: أنا لا أدري أين الله؟!.

قال: نعم والله ما تدري أين الله.

قال عامر: بلى والله إني لأدري إن الله بالمرصاد لك.

وكان سعيد بن العاص ومعظم عمال عثمان الذين ضج الناس من عسفهم موجودين في المدينة، فعقد عثمان منهم مؤتمراً للنظر في أمر النقمة الشعبية، فكان من رأي سعيد بن العاص القضاء على الزعماء ومن رأي عبد الله بن عامر قوله: «تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه».

ثم رد عثمان عماله إلى بلدانهم وأمرهم بالتضييق على الناس وأمرهم بتجمير الناس في البعوث «أي إرسالهم إلى الغزو» وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه.

ورجع سعيد بن العاص أميراً على الكوفة يحمل هذه التعليمات فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردوه وقالوا: لا والله لا يلي علينا حكماً ما حملنا سيوفنا.

فرجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطروداً، فأرسل عثمان مكانه أبا موسى الأشعري.

ولما تلاقت الوفود بعد ذلك في المدينة مجتمعة على أعمال عثمان وعماله كان الأشتر على أهل الكوفة مطالباً بما تطالب به الوفود كلها، وعندما تطورت الأمور إلى الحالة التي لم يكن أحد يظن أنها ستتطور إليها وحوصر عثمان وهدد بالقتل، لم يدخل الأشتر في هذا.

فقد قال الطبري وهو يصف حصار عثمان: «فاعتزل الأشتر فاعتزل حكيم بن جبلة زعيم البصريين»، وكان ابن عديس «زعيم المصريين» وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان وكانوا خمسمائة.

ولما قتل عثمان كان الأشتر هو الذي قاد الجماهير إلى بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال الأستاذ أحمد الجندي:

من شخصيات التاريخ الإسلامي النادرة، ومن أبطال الحرب البارزين في أيام العرب، جمع البطولة إلى النجدة، والشجاعة إلى الدين، والفصاحة والبلاغة إلى الكرم والأدب، ورغم ما مر بك من صفات الرجال فإن التاريخ لم ينصفه، ولم يحصِ مآثره وأمجاده، لأن ما به من صفات لا يمكن حصرها ولا يتأتى تعدادها، إنه يمثل العربي الصحيح، ، العربي الذي لا يقرب العيوب ولا يداني الدنس، العربي الذي يرخص الروح في سبيل الذود عن الكرامة والدفاع عن الحياض، هذه الكلمات المعسولة التي مرت بك ليست ألفاظاً تقال في معرض الحديث عن مالك الأشتر، وإنما هي كلمات لها معانيها ومدلولاتها وآثارها في شخص بطل طبق على نفسه القواعد الموضوعة والحدود المرسومة حتى بلغ مرتبة المثل الأعلى للرجل الكامل.

ولد هذا البطل المشهور قبل الإسلام بقليل وقد عاصر النبي صلى الله عليه وآله ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه، غير أن مالكاً ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله فقال فيه: «إنه المؤمن حقاً»، وهذه شهادة تعدل شهادة الدنيا بأسرها لأنها صدرت عن أعظم إنسان في الدنيا وهي دليل على أن مالكاً قد كان شاباً في عهد النبي صلى الله عليه وآله له وزن وله رأي في قومه وإنه دخل في الإسلام كما دخل فيه غيره من عظماء هذا العهد المبارك، بل لقد عدَّ بين المجاهدين الذين أبلوا البلاء الحسن في حروب الردة وموقفه معروف من (أبي مسيكة الأيادي)، وهو زعيم من زعماء المرتدين، وحديث مالك إليه حديث المؤنب المعتز بإسلامه وعرويته وشجاعته حتى لقد دعاه للمبارزة غير هياب ولا وجل مما يدل على أنه قد كان يومذاك شاباً في ريعان الشباب. فإذا أضفنا إلى هذا أن مالكاً الأشتر قد صرع عبد الله بن الزبير في وقعة الجمل وإن عمره كان إذ ذاك على ما يروي المؤرخون، ثمانين عاماً فتكون ولادته، إذن، قبل بعثة النبي بعقدين أو ما يزيد على ذلك قليلاً.

ولكننا لا نخلو من الشك في أن سنه قد بلغت إلى هذا الحد في معركة الجمل لأنه عاش بعد ذلك أيام حرب صفين كلها وإنه في نهاية هذه الحرب، وبعد التحكيم، عين والياً على مصر من قبل الإمام علي عليه السلام ولسنا نرى أن يعمد الإمام إلى تسليم قطر من أهم الأقطار الإسلامية لرجل شيخ هرم، بل نرجح أنه كان إذ ذاك في طور الكهولة وأنه تجاوز الستين بقليل.

أما اسمه المفصل فهو: مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة.. إلى أن ينتهي بالنخع ثم يصل إلى مذحج جده الأعلى، والذي تسمت به قبيلة من أشهر القبائل اليمنية العربية وأشدها قوة ومنعة، ولقد شهد أول ما عرف خطبة عمر في (الجابية) كما شهد وقعة اليرموك وشترت عينه فيها، وقيل: أنها شترت (استرخى جفنها) في حروب الردة مع أبي مسيكة الأيادي، وسكن أخيراً في الكوفة وترك فيها نسلاً.

لهذا البطل شخصيتان:

أولاهما: شخصيته قبل الإسلام وأثناءه، وفي زمن الخليفتين أبي بكر وعمر، وكان خلالها غير بارز الصورة ولا ظاهر الملامح، وكان معدوداً بين الفرسان النابهين، ولكن التاريخ لم يهتم بشأنه في هذه الفترة إذ كان مشتغلاً بالجهاد.

وشخصيته الثانية تبدأ بالثورة على عثمان حتى نهاية حياته وفيها انضم إلى معسكر علي بن أبي طالب عليه السلام وظل وإياه حتى قتل مسموماً على طريق مصر على ما رواه المؤرخون.

كان رفيقاً لعمار بن ياسر الصحابي الجليل، وقد تألم لمقتله كثيراً وثار ثورته يومذاك على جند معاوية فأبلى فيهم وأذاقهم الويل في كراته الشديدة عليهم انتقاماً لرفيقه وثأراً لصديقه.

كان الأشتر صاحب دين، وكان معدوداً في التابعين وكان على جانب كبير من التقشف والزهادة، ودليل ذلك إعجابه الشديد بأبي ذر الغفاري، وكان مالك أحد الذين زاروا الصحابي الجليل رغم غضب الخليفة عليه، حتى لقد مات أبو ذر بين يديه وتولى مالك دفنه وابنه تأبيناً ينم على الألم لما لقيه من عنت وغبن،

كما ينم على الاستياء والحقد على أولئك الذين آذوا صاحب الرسول الأعظم فلم يعرفوا له قدره ومكانته، ولقد وضع الشيخ أبا ذر في حفرته الأخيرة ثم جرد سيفه فمسح به القبر ثم تكلم عن صاحبه فقال: إن أبا ذر رأى منكراً فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ثم مات وحيداً غريباً، ثم تثور حفيظة مالك فيدعو على المعتدين بقوله: اللهم فاقصم من حرمه ونفاه.

ولكن الغريب في أمر مالك أنه كان يثور أمام الناس جميعاً إلا الإمام عليه السلام، فقد كان يحبه حباً غير من طبيعته الثائرة وهذب من طبعه العرم، ورقق من نفسه المزمجرة المحنقة، فكان إذا سمع الأمر من علي تلقاه كأمر عسكري لا تجوز مناقشته ولا تحق مداورته، وهكذا تراجع مالك يوم صفين نزولاً عند رغبة الإمام، وهكذا قبل أن يكون والياً في منطقة الجزيرة، وهي منطقة تافهة، إلا أنها واقعة على حدود الشام. وهكذا أيضاً قبل أن يكون والياً على مصر بدلاً من محمد بن أبي بكر، حتى لقي حتفه في الطريق على أغلب الروايات.

وانتهت بموت مالك حياة حافلة بالدين والإيمان والشجاعة والنجدة فعد بذلك من الأبطال الميامين في تاريخ الفترة الأخيرة من خلافة الراشدين.

ولقد سر معاوية بمقتله، فقال: كانت لعلي يمينان قطعت إحداهما بصفين (يقصد عمار بن ياسر) وقطعت الأخرى بمصر (ويقصد مالكاً).

أما الإمام علي عليه السلام المحب المفجوع بصديقه الأمين فقد قال فيه: - كان لي مالك كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أيضاً وقد جاء خبره. - إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر -.

وقال: - لله در مالك، أما والله ليهدّنّ موتك عالماً وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبكِ البواكي، وهل موجود كمالك.

بقي أن نذكر لك ناحية أخرى هامة عند هذا الرجل الكبير، فقد كان شاعراً من شعراء البطولة ولكن البطولة غلبت عليه رغم موهبته الشعرية.

يبرز شاب في معركة الجمل لمالك فيلقيه مالك أرضاً ويهم بقتله فيذكره الشاب الصريع بالقرآن ويتلو عليه حاميم - والشاب يعلم أن مالكاً لا يؤخذ بأمر كما يؤخذ بالقرآن - فيقول الأشتر مجيباً:

[البحر الطويل]

يُذكّرني حاميمَ والسيفُ مصلتٌ فهلّا تلا حاميّم قبل التَّقدمِ
هتكتُ له بالرّمحِ جيبَ قميصِه فخرَّ صريعاً لليدَيْنِ وللفمِ
على غير شيءٍ غيرَ أنْ ليس تابعاً عليّاً ومن لا يتْبَعِ الحَقَّ يندمِ

وقد اختصر الأشتر مذهبه السياسي في البيت الأخير وذلك: (إن من لا يتبع علياً مخالف للحق وحقت عليه الندامة ووجب قتاله) وهي أبيات - على بساطتها - تدل على قوة في الشكيمة وبلاغة في الأداء لا تأتيان إلا للشعراء.

ويدعو عبد الله بن الزبير إلى البراز فينزل إليه وهو شاب في عنفوان الشباب ويلتقي بمالك وقد بلغ الثمانين من العمر على قول بعض الروايات، وكان رغم سنه يصوم في الحرب، فيصرع عبد الله ويجثم على صدره فيصيح عبد الله مستغيثاً:

[البحر الخفيف المجزوء]

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

فيهيب مالك عن فريسته ثم يروي الحكاية مخاطباً عائشة:

[البحر الطويل]

أعائشُ لولا أنّني كنتُ طاوياً ثلاثاً لألفيْتُ ابنَ أختِك هالكا
غداة يُنادي والرماحُ تنوشُه كوقْعِ الصَّياصي اقتلوني ومالكا
فنجّاه منّي شبْعُه وشبابُه وإنّيَ شيخٌ لم أكنْ متماسِكا

وابن أخت عائشة هو عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين).

وكان يصور نفسه في الحرب تصويراً صادقاً فيقول:

[البحر السريع]

لأوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا

كما يقول لأحد مبارزيه محذراً مخوفاً:

[البحر الرجز المجزوء]

بُليت بالأشتر ذاك المُذْحجي بفارس في حلق مدجّجِ
كالليثِ ليثِ الغابةِ المهيّجِ إذا دعاه القرنُ لم يعرّجِ

وانظر إلى قوله يخاطب عمرو بن العاص حين هم بمبارزته وهو ملآن حنقاً عليه لأنه في رأيه - مورث للنار ومحرك للخلاف، وأنه أيضاً صاحب الخيلة في الحرب:

[البحر السريع]

يا ليت شعري كيف لي بعمرو ذاك الذي أوجبت فيه نذري
ذاك الذي أطلبُه بوتري ذاك الذي فيه شفاء صدري
ذاك الذي إنْ ألْقَه بعمري تغلُ به عندَ اللّقاءِ قدري

وليس خافياً أني إنما أتيت بشعر هذا الفارس البطل لا لأدلل على أنه كان مطبوعاً على قول الشعر، وإن أيامه الرهيبة المخوفة لم تترك له الفرصة الكافية للتجويد في هذا الفن واتقانه، الاتقان اللازم لكل فن، ولكن نفسه - بالفتح - في شعره يدل على أن وراءه طبعاً شاعراً أصيلاً وإن الشعر بالنسبة له صديق ورفيق يلجأ إليه للتنفيس عن صدره كلما حزنه أمر أو نبا به منزل.

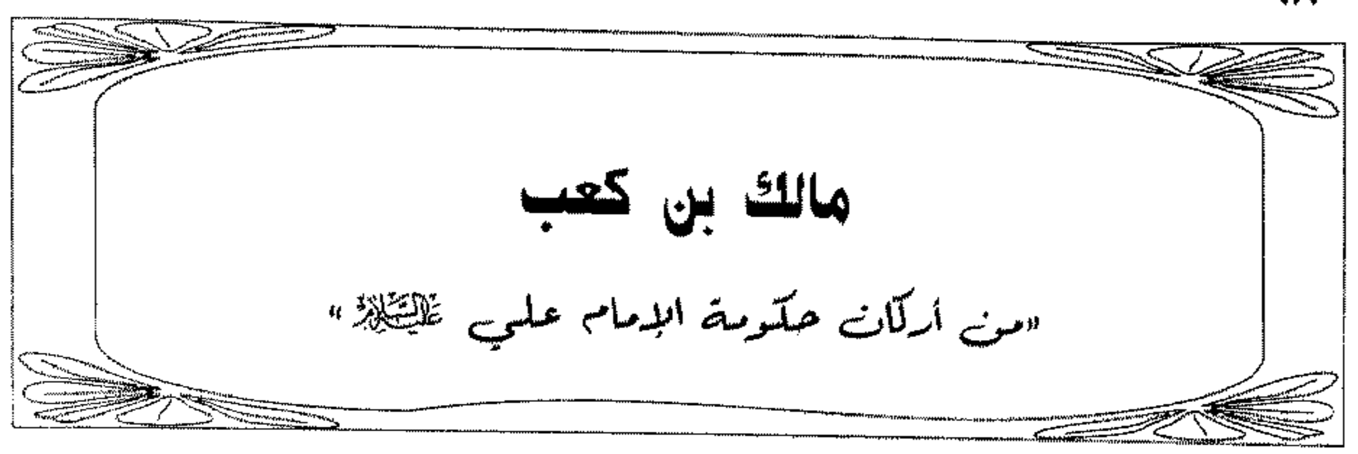
والشعراء الفرسان لا يستطيعون أن ينصرفوا إلى فنهم انصرافاً تاماً لانشغالهم بمزية أخرى غير مزية الشعر ولأن شهرتهم في الشجاعة والبطولة تغلب على شهرتهم الفنية، فهم يظلون في المرتبة التالية بالنسبة للشعراء المتفرغين - إن صحت التسمية.

هذا هو مالك الأشتر البطل المعروف والسيد المشهور، فهو فارس وسياسي وشاعر.

مصادره

إتقان المقال/ ١١١. أخبار شعراء الشيعة/ ٤٧. الأخبار الطوال/ ١٢٠، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٦١ و١٦٤، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٢، ١٩٠ و١٩٥. الاشتقاق/ ١٤٥، ٢٩٧، ٤٠٤. الإصابة ٣/ ٤٨٢. أعلام نهج البلاغة/ ٤٢. أنساب الأشراف ٢/ ٢٤٢، ٢٩٨. الأعلام ٦/ ١٣١. الأنساب/ ١١٢. الإمامة والسياسة ١/ ٨٢. البداية والنهاية ٧/ ٢٢٤. تاريخ الخميس ٢/ ٢٨٣. تحفة الأحباب/ ٣٠١. تقريب التهذيب ٢/ ٢٢٤. تنقيح المقال ٢/ ٣٤٦. تهذيب التهذيب ١٠/ ١١. جامع الرواة ٢/ ٣٧. الجرح والتعديل ٨/ ٢٠٧. خلاصة الأقوال/ ١٦٩. رجال ابن داود/ ١٥٧. رجال الطوسي/ ٥٨. رجال الكشي/ ٦٥. رجال البرقي/ ٦. سفينة البحار ١/ ٦٨٤. شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٥٧، ٣١٠. و٢٠/ ٩٣ الفهارس ٢٣٨. الطبات الكبرى ٣/ ٧١ و٤/ ٢٣٤. العقد الفريد ١/ ٨٥ و٣/ ٣١١ و٤/ ٢٥٦ و٥/ ٣٦، ٤١ . ٧٠ الغدير ٢/ ٧٣، ٧٨، ٧٩، ١١٣ . الفهارس/ ٢٦٣. الغارات ٢/ ١٠٣٩. الفوائد الرجالية ١/ ٢٦٦. فهرست الطوسي/ ٦٢. قاموس الرجال ٧/ ٤٦٣. الكامل في التاريخ ١٣/ ٣٠٤ . ٣٠٥. الكنى والألقاب ٢/ ٢٨. اللباب ٣/ ٣٠٤. مجالس المؤمنين ١/ ٢٨٣. مجمع الرجال ٥/ ٨٩. مرآة الجنان ١/ ١٠٦. مروج الذهب ٢/ ٣٧٦. المشتبه ١/ ٢٧. معجم الثقات/ ٩٨، ٣٢٤. معجم رجال الحديث ١٣/ ١٦١. معجم الشعراء/ ٣٦٢، ٢٨. منتهى المقال/ ٢٥٥. النجوم الزاهرة ١/ ٩٠، ١٠٢. نقد الرجال/ ٢٧٩. النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٥ و٢/ ٣٠٦ و٣/ ١٠٠ و٥/ ٢٩٤. وقعة صفين/ ٦٢، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٥، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٨٩، ٣٦٤، ٤٤٠، ٤٦٧، ٥٢٥، ٥٠٦، ٥٤٤. وفيات الأعيان ٣/ ١٨ و٧/ ١٩٥، ١٩٦.





مالك بن كعب الأرحبي من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام ومن أركان حكومته كان والياً على عين التمر، وبهقباذات، مضافاً إلى إشرافه على عمل سائر المسؤولين في الكوفة والجزيرة.

وممّا يُثنى عليه شجاعته التي أبداها قبال هجوم النعمان بن بشير على عين التمر؛ فإنّه واجه جيش النعمان الذي قوامه ألفا فارس بسريّة قوامها مائة مقاتل فقط، حتى وصل الإسناد العسكري إليه، واضطرّ النعمان إلى الفرار.

ما استدعي لمواجهة جيش مسلم بن عقبة المري في دومة الجندل، فكان موفّقاً في هذه المهمّة أيضاً.

وممّا يدلّ على حسن معرفته؛ إظهار استعداده لإعانة محمّد بن أبي بكر في الوقت الذي لم يلبِّ دعوة الإمام أحد.

الإمام عليّ عليه السلام – من كتابه إلى مالك بن كعب الأرحبي –: إنّي ولّيتك معونة البهقُباذات، فآثِر طاعة الله، واعلم أنّ الدنيا فانية والآخرة آتية، واعمل صالحاً تُجزَ خيراً، فإنّ عمل ابن آدم محفوظ عليه وإنّه مجزيّ به، فعل الله بنا وبك خيراً، والسلام[1].

الإمام عليّ عليه السلام – في كتابه إلى كعب بن مالك[2] –: أمّا بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمرّ بأرض كورة

---

(١) أنساب الأشراف: ٢/ ٣٩٣.

(٢) كذا في المصدر، والصحيح: «مالك بن كعب» لأنّه لم يوجد في عمّال الإمام عليه السلام شخص مسمّى بـ «كعب بن مالك».

السواد[١]، فتسأل عن عمّالي وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب[٢]، ثمّ ارجع إلى البهقُباذات فتولّ معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولّاك منها، واعلم أنّ كلّ عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزيّ به، فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً وأعلمني الصدق فيما صنعت والسلام.

الإمام عليّ عليه السلام **- في كتابه إلى كعب بن مالك -**: أمّا بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمرّ بأرض السواد كورة كورة، فتسألهم عن عمّالهم، وتنظر في سيرتهم، حتى تمرّ بمن كان منهم فيما بين دجلة والفرات، ثمّ ارجع إلى البهقباذات فتولّ معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولّاك منها.

واعلم أن الدنيا فانية وأنّ الآخرة آتية، وأنّ عمل ابن آدم محفوظ عليه، وأنّك مجزيّ بما أسلفت، وقادم على ما قدّمت من خير، فاصنع خيراً تجد خيراً[٣].

الغارات عن عبد الله بن حوزة الأزدي: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير وهو في ألفين، وما نحن إلاّ مائة، فقال لنا: قاتلوهم في القرية واجعلوا الجدر في ظهوركم، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واعلموا أنّ الله تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير ممّا يفعل الله ذلك.

ثمّ قال: إنّ أقرب من ها هنا إلينا من شيعة عليّ عليه السلام وأنصاره وعمّاله قرظة بن كعب ومخنف بن سليم، فاركض إليهما وأعلمهما حالنا، وقل لهما: فلينصرانا بما استطاعا.

---

(١) **السَّواد**: أراضي وقرى العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطّاب؛ سمّي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار (راجع معجم البلدان: ٣/ ٢٧٢).

(٢) **العُذَيب**: تصغير العذب؛ وهو الماء الطيّب، وهو ماء بين القادسيّة والمغيثة، بينه وبين القادسيّة أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً (معجم البلدان: ٤/ ٩٢).

(٣) الخراج لأبي يوسف: ١١٨. نهج السعادة: ٤/ ١٣٧.

فأقبلت أركض وقد تركته وأصحابه، وإنّهم ليترامون بالنَّبل، فمررت بقرظة ابن كعب فاستغثته، فقال: إنّما أنا صاحب خراجٍ وما معي أحدٌ أُغيثه به، فمضيت حتى أتيت مخنف بن سليم فأخبرته الخبر، فسرّح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، وقاتلهم مالك بن كعب وأصحابه إلى العصر، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون[1] سيوفهم واستسلموا للموت، فلو أبطأنا عنهم هلكوا، فما هو إلاّ أن رآنا أهل الشام قد أقبلنا عليهم أخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون، ورآنا مالك وأصحابه فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية واستعرضناهم، فصرعنا منهم رجالاً ثلاثة وارتفع القوم عنّا، وظنّوا أنّ وراءنا مدداً، ولو ظنّوا أنّه ليس غيرنا لأقبلوا علينا وأهلكونا، وحال بيننا وبينهم الليل فانصرفوا إلى أرضهم.

وكتب مالك بن كعب إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فقد نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرّقين، وكنّا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالاً مصلتين[2] فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث إلينا رجالاً سن شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وولده عند المساء، فنِعم الفتى ونِعم الأنصار كانوا، فحملنا على عدوّنا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره وهزم عدوّه وأعزّ جنده، والحمد لله ربّ العالمين، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قال: لمّا ورد الكتاب على عليّ عليه السلام قرأه على أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ نظر إلى جلسائه فقال: الحمد لله، وندم أكثرهم.

أنساب الأشراف: بعث معاوية [مسلم] بن عقبة المري إلى أهل دومة الجندل[3] - وكانوا قد توقّفوا عن البيعة لعليّ ومعاوية جميعاً - فدعاهم إلى طاعة

---

(١) جفون السيوف: اغمادها، واحدها جفن (النهاية: ١/ ٢٨٠).

(٢) أصلت السيف: إذا جرَّده من عمده (النهاية: ٣/ ٤٥).

(٣) **دَوْمَة الجَنْدل**: مدينة على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، ويطلق عليها اليوم «الجوف»، وقد جرت فيها قضيّة التحكيم (راجع معجم البلدان: ٢/ ٤٨٧).

معاوية وبيعته، وبلغ ذلك علياً فبعث إلى مالك بن كعب الهمداني أن خلّف على عملك من تثق به وأقبل إليّ.

ففعل واستخلف عبد الرحمن بن عبد الله الكندي، فبعثه عليٌّ إلى دومة الجندل في ألف فارس، فلم يشعر مسلم إلاّ وقد وافاه، فاقتتلوا يوماً ثمّ انصرف مسلم منهزماً، وأقام مالك أيّاماً يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعليّ، فلم يفعلوا وقالوا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام. فانصرف.

تاريخ الطبري: بعد أن ذكر خطبة الإمام عليه السلام يستنفر الناس لإغاثة محمّد بن أبي بكر وأصحابه، وعدم استجابة الناس له عليه السلام.: فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثمّ الأرحبي، فقال: يا أمير المؤمنين، اندب الناس فإنّه لا عطر بعد عروس[1]، لمثل هذا اليوم كنت أدّخر نفسي، والأجر لا يأتي إلاّ بالكرّة، اتّقوا الله وأجيبوا إمامكم، وانصروا دعوته، وقاتلوا عدوّه، أنا أسير إليها يا أمير المؤمنين، قال: فأمر عليّ مناديه سعداً، فنادى في الناس: ألا انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب.

مصادره

أنساب الأشراف ٢/ ٤٦٧. البداية والنهاية ٧/ ٣١٧، ٣٢٠. تاريخ الطبري ٦/ ٣٠ وج٦/ ٧٧. تحفة الأحباب/ ٣٠٤. تنقيح المقال ٢/ ٣٤٨. الجرح والتعديل ٨/ ٢١٥. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٣٠، ٣٠٠ و٣/ ١٤٦ و٦/ ٩١. الغدير ٩/ ٣٣. الغارات ٢/ ١٠٤٠. قاموس الرجال ٧/ ٤٧٣. الكامل في التاريخ ٣/ ١٣٨، ٣٧١، ٣٧٥. معجم الثقات/ ٣٢٥. النجوم الزاهر ١/ ١١١. وقعة صفّين/ ٥٥٦.



(١) لا مَخبأ لِعِطرٍ بَعدَ عَرُوسٍ، ويُروى: لا عِطرَ بعد عَرُوسٍ: أول من قال ذلك امرأةٌ من عُذرَة يُقال لها أسماء بنت عبد الله، وكان لها زوجٌ من بني عمّها يُقال له عروس، فمات عنها... فقالت: لا عِطرَ بعد عَرُوس، فذهبت مثلاً يضرب لمن لا يُدَّخَرُ عنه نفيسٌ (مجمع الأمثال: ٣/ ١٥١/ ٣٤٩١)

مالك بن نويرة التميمي اليربوعي

«من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل»

«الرسول الأكرم ﷺ»

لقد اختص مالك بأمير المؤمنين عليه السلام، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وأثنى عليه النبيّ ﷺ بقوله: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**».

وفاته: قتلاً بأمر خالد بن الوليد سنة ١١هـ.

في ليلة ظلماء، وبغارة مفاجئة استطاع المهاجمون أن يسيطروا على الموقف وأن يغنموا، حيّ مالك بن نويرة، الذي كان غائباً. وما هي إلاّ ساعة حتى كان الرجال أسرى والنساء غنائم، والأنعام مصادرة، وانتهت الغارة..

ووصل الصريخ إلى مالك، ولم تمهله حميته لكي يستريح أو يتريث، فخرج في آثارهم حتى أدركهم على مسيرة ثلاث يقتسمون الأموال بينهم بعد أن آمنوا الطلب. وما أن رأوه من بعيد حتى أرسلوا ما كان في أيديهم من الأسرى وساقوا النعم هاربين بها، إلاّ أن شدة طلبه أجبرتهم على أن يتركوا الأنعام ليشتغل بجمعها عن طرادهم، وليتخففوا في هربهم إلاّ أنه استمر يتابعهم حتى رجع بهم مكتوفين.

نعم فقد كان مالك بن نويرة رجلاً سرياً نبيلاً يردفه الملوك وللردافة موضعان أحدهما: أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الإنس.

والموضع الثاني: أنبل، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده. ،وهو الذي يضرب به المثل فيقال: «مرعىً ولا كالسعدان، وماء ولا كصّداء وفتى ولا كمالك»، وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له: الجفول[1].

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٣.

هذا الفارس الشريف كان لابد أن يسلم بعد أن سمع عن الرسول ﷺ وعن دعوته لذلك قدم على النبي ﷺ في وفد قومه ومعه ولاء قومه وطاعتهم، وآمن رسول الله ﷺ. وتعلم من الرسول أصول الإسلام، ومعارفه، وعرف منه من يوالي ومن يعادي، ولمن يستجيب بعد الرسول ﷺ.

وعاد..

عاد ومعه معارف الدين، وولايته على صدقات قومه من قبل الرسول ﷺ وأهم من ولايته عليهم معرفته بالقائد الذي سيخلف النبي ﷺ.

ومرّت الأيام ساكنة في حيه، فلقد أنهى رسول الله ﷺ بسيطرته على قلوب الناس عقود الخوف والسيف، والغارات، واستسلم الناس عنده لهذا الدين، الذي أكسبهم الطمأنينة وأعطى لوجودهم قيمة، ولقوتهم جهة.

ها هم - بعد أن كانوا قبل نعمة الإسلام يشنون الغارة تلو الغارة من أجل ناقة، أو بعير، ها هم الآن يعطون طواعية زكاة أموالهم، وينتخبون الأفضل منها لإعطائه إلى والي رسول الله ﷺ عليهم والمبرز فيهم مالك بن نويرة.

إلاّ أن هذه الأيام الساكنة في حيه كانت حبلى بالأحداث في المدينة، فقد كان الرسول ﷺ لا يفتأ يبعث الجيش أثر السرية ويخوض المعركة تلو الأخرى وانتقل محور نشاطه وعمله العسكري من الجزيرة العربية إلى أطرافها وإلى البلاد الأخرى التي كانت تهدد الدعوة الإسلامية.

وإذا كان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(١) فإن رسول الله ﷺ كان أولى بذلك إذ أنه (حبيب) ربّه وكل حبيب في شوق لحبيبه..

وكما أودع النبي ﷺ كتاب الله، أودع أهل بيته وعترته عليّاً وفاطمة والحسنين، أمته، وأغلق عينيه الكريمتين مودعاً.

ووصلت أخبار وفاة الرسول القائد ﷺ إلى أطراف المدينة، وجاء الولاة والوفود، البعض جاء بهم حب الاطلاع على ما حدث، والبعض الآخر جاء بهم طموحهم في الاشتراك في تقرير أمر المسلمين وخلافة الرسول، وجاء غيرهم

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

ليؤدوا صدقاتهم وزكواتهم إلى (الإمام) بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ويعرضوا فروض الطاعة، ومن هؤلاء كان مالك. فقد جاء لينظر من الإمام حتى يسلم إليه زكاته، ومن بوابة المسجد رأى أبا بكر على منبر الرسول، وتعجب!!.

ترى هل كان الرسول مخطئاً في تحديد الإمام بعده؟!

أم كان مالكاً لم يسمع الاسم بشكل صحيح؟!.

أم أن أبا بكر ليس إلاّ «خطيباً» فوق المنبر، يلقي موعظة قبل الإمام أو بعده؟!.

والتقى خلّص أصحاب رسول الله.. وشاهد (الفيلم) بكامله.

وعاد..

عاد هذه المرة وهو يحمل معه همّ الدنيا. وجالت الأفكار في رأسه في معركة لم يسبق لها عنده مثيل.. فكيف يمكن أن يحدث هذا؟! ترى هل كتب علينا ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾[1]، وما الذي نقموا من ذلك البطل؟!.

وكيف أبعدوه؟! نقموا منه نكير سيفه وقتله للمشركين من قريش حتى أدخل بيوتها اليتم والثكل؟ وهل كانوا يتوقعون منه أن يطعم هؤلاء الحلوى وقد برزوا القتل الرسول؟ هل كان عليه أن يقدم لهم الزهور؟!.

عاد إلى قومه، الذين خفوا إليه مسرعين.. وقرأوا كامل الرسالة في عنوان وجهه.. لقد عاد بغير الوجه الذي ذهب به، طابع الحزن لا يمكن أن تخفيه ابتسامة.

واستقال من أمرتهم، ومن الولاية على الصدقات، لأنه إذا لم يكن يعترف بالخليفة البديل فهل يكون موظفاً عنده؟! لكنه قبل ذلك قام بعملين: أعاد إليهم زكواتهم وصدقاتهم، وأمرهم أن لا يجتمعوا، إذ أن ذلك يعني في رأي حكومة الخلافة ردة، وتمرّداً وبالتالي القتل بدءاً من الحرق!! نعم الحرق!.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

في الطرف الآخر كان خالد..

خالد بن الوليد المخزومي، صاحب الموقف الشهير مع جذيمة بالغميصا حيث جرّد فيهم سيفه، وأعمل فيهم سلبه، لثأر بين بني مخزوم وبني جذيمة في الجاهلية، خالد صاحب الموقف مع الرسول الذي تبرأ من عمله وأرسل علياً ليصلح ما خرق خالد ويدفع دية الضحايا، وتعويض المتاع - حتى (المركن).

خالد السيف المراهق[١].. والرجل المراهق.

لقد أعجبه الغزو.. ولم لا؟!.

«وسار خالد بعد أن فرغ من فزارة وأسر وطيء وغطفان، يريد البطاح[٢] وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره، وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا.

فقال خالد: قد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير!! ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة وكنت أن أعلمته فاتتني.. لم أعلمه!![٣].

لقد كان الأمير خالد.. يراها فرصة إن فاتت لن تعوّض!! فماذا يهمه أن يكون مكلّفاً من الخليفة أم لم يكن؟! إنه لو احتمل ضياع الفرصة بإخباره الخليفة فلن يخبره..

وهكذا نزل البطاح، حيث مسكن مالك، وقومه، وأهم من ذلك: أم متمم زوجة مالك «وكانت غاية من الجمال»، فهل تترك هكذا فرصة لرأي الخليفة؟.

ولأن مالكاً قد عهد إلى قومه أن يتفرقوا لكيلا تحسبها الخلافة ردة وتمرداً، فلم يواجه خالد وسريته مقاومة تذكر، غير أنهم عثروا على مالك ومعه عدد من قومه وكان قد حضر وقت الصلاة فأذنوا وأقاموا وصلوا.. فهجموا عليهم، فسألوهم عن ذلك، فقال جمع من سرية خالد: إنهم بعث من قبل الخليفة جاؤوا لقتال

---

(١) قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: (إن في سيف خالد رهقاً) وأكثر عليه في ذلك، كامل ابن الأثير ٢/ ٣٥٨.

(٢) البطاح: بضم الباء.. حي مالك بن نويرة وقومه.

(٣) الكامل ٢/ ٣٥٧.

المرتدين.. فردّوا عليهم بأنهم مسلمون، وقد أذنوا وأقاموا وصلّوا للتوّ، فطلبوا من مالك وقومه أن يضعوا سلاحهم ثم جاؤوا بهم إلى السيف المسلول (!) خالد.. وكان أبو قتادة الأنصاري في بعث خالد فشهد أنهم أذنوا وأقاموا الصلاة.. وبهذا شهد عبد الله بن عمر الذي كان في البعث أيضاً، لكن خالداً لم يكن ليرده عن قراره شهادة جميع أهل الأرض بإيمان مالك وقومه.

وطلب مالك من خالد أن يرسله إلى أبي بكر فيكون هو الحاكم فيهم، وأكد على قوله عدد من جيش خالد، ممن رآهم مصلّين، (فالحدود تدرأ بالشبهات) ولكن الذي يتحرك هنا، ويحرّك الأحداث لم يكن الشرع ولا العقل.. إنما كان الجنس، إلاّ أن خالداً صاح: لا أقالني الله إن أقلتك!! وتقدم إلى ضرار الأزور الأسدي يضرب عنقه والتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد:

- هذه التي قتلتني!! وكانت غاية في الجمال.

فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام!!.

قال مالك: أنا على الإسلام[١].

ولم يطق السيف المسلول الصبر أكثر من ذلك فقال لضرار: اضرب عنقه.. وانتهى الفصل الأول من هذه العملية العسكرية ليبدأ الفصل الأساسي فيها، بينما انتهى الفصل الأخير في حياة مالك بن نويرة التميمي اليربوعي صاحب رسول الله وواليه على الصدقات والذي من اراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إليه[٢].

ونصبت رؤوس المؤمنين المقتولين أثافي للقدور حتى يطبخ عليها طعام الجيش المنتصر!! ونضج الطعام قبل أن تخلص النار إلى رأس مالك لكثرة شعره.

ودخل خالد «سيف الله المسلول» في ليلته بزوجة مالك المقتول!! وتماماً كما قال مالك: هذه هي التي تقتلني!! وهكذا:

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٤.

(٢) تنقيح المقال ٢/ ٥١.

قضى خالد بغياً عليه لعرسه وكان له فيها هوى قبل ذلك
فامضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير شيء هالكاً في الهوالك[(١)]

وفي المدينة المنورة، وحيث سبقت أخبار الحادثة، رجوع أصحابها، ولم يمكن تبريرها، حيث كان القضية أوضح من التأويل فقد أقسم أبو قتادة الأنصاري وهو من شهود الحادثة أن لا يخرج في بعث أميره خالد بعدها.. بل إن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر، بعد أن بلغهما الخبر:

- إن خالداً قد زنا فارجمه! فقال الخليفة:

- ما كنت لأرجمه، إنه تأول فأخطأ!! فأجابه:

- إنه قتل مسلماً فاقتله به. فقال أبو بكر:

- ما كنت لأقتله إنه تأول فأخطأ(!!).

فقال له: - فاعزله.

قال: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله عليهم أبداً!.

وهكذا استبيح دم رجل شريف نبيل، في الدنيا، ومن أهل الجنة في الآخرة بدعوىٰ التأوّل الخاطىء، ثم استبيح عرض زوجته، أيضاً بدعوى التأول الخاطىء، ولم يتعرض القائد القاتل ثم المتعدي على زوجته إلاّ إلى المكافأة والتشجيع!![(٢)].

مصادره:

أسد الغابة ٤/ ٢٩٥. الإصابة ٣/ ٣٥٧. الأعلام ٦/ ١٤٥. الأمالي/ ١٨، ١٩، ٢٠. البداية والنهاية ٦/ ٣٢٠. تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٤١. تحفة الأحباب/ ٣٠٤. تنقيح المقال ٢/ ٣٤٨. جمهرة أنساب العرب/ ١٩٣، ٢٢٤. خزانة الأدب ١/ ٢٣٦. سفينة البحار ٢/ ٥٥١. شذرات الذهب ١/ ١٥. شرح ابن أبي الحديد ١/ ١٧٩ و ٢/ ١٧٣ و ٤/ ٢١٠ و ١٧/

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٥. وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث عهد الخلفاء الراشدين.
(٢) المصدر السابق.

١٥٨، ٢٠٢ - ٢٠٦. و ١٨/ ٢٨٧ و ٢٠/ ١٨. طبقات الشعراء/ ٤٨، ٥٠، ٢٧٧. عقد الفريد ٨/ ٨٢ (الفهرست). الغدير ٧/ ١٥٨ - ١٦٦. القاموس المحيط ٢/ ١٥٠. الكامل في التأريخ ٨/ ٣٠٦. مرآة الجنان ١/ ٦٢. معجم الثقات/ ٣٢٥. معجم الشعراء/ ١٩٤، ٣٦٠. مجالس المؤمنين ١/ ٢٦٦. النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣ و٤/ ١٥. وفيات الأعيان ٤/ ٤٤٣ و٥/ ٣٣ و٦/ ١٢ - ٢٠.



محمد بن أبي بكر

«انه كان لي ربيباً وكان لبنيّ اخاً وكنت له أعد والداً وأعده ولداً»

«الإمام علي عليه السلام»

هو محمد بن عبد الله بن عثمان وهو محمّد بن أبي بكر بن أبي قُحافة، وأُمّه أسماء بنت عُمَيس، وُلد في حجّة الوداع [سنة ١٠هـ] بذي الحُلَيفة، في وقتٍ كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد تهيّأ مع جميع أصحابه لأداء حجّة الوداع.

أُمّه أسماء بنت عُمَيس. كانت في البداية زوجة جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة. وبعد استشهاد جعفر تزوّجها أبو بكر، وبعد موته تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، فانتقلت إلى بيته مع أولادها وفيهم محمد الذي كان يومئذٍ ابن ثلاث سنين.

كان محمد ابن أبي بكر وقد ولد متأخراً، فلم يستطع - لذلك - المشاركة في غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وحروبه، أراد التعويض عن ذلك بالمواقف الشجاعة ضد خطوط الانحراف عن الهدى المحمدي والنهج العلوي.. فاختص بأمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً بعد وفاة أبيه أبي بكر وكان عمره آنئذٍ لا يتجاوز الخامسة من العمر، وأصبح ربيب الإمام عليه السلام وفي بيته[1].

---

(١) نشأ في حِجر الإمام عليه السلام إلى جانب الحسن والحسين عليهما السلام، وامتزجت روحه بمعرفة وحبّ أهل البيت عليهم السلام وكان الإمام عليه السلام يقول أحياناً ملاطفاً: محمّد ابني من صُلب أبي بكر.

وكان محمّد في مصر أيّام حكومة عثمان، وبدأ فيها تعنيفه وانتقاده له، واشترك في الثورة عليه. وكان إلى جانب الإمام عليه السلام بعد تصدّيه للخلافة. وهو الذي حمل كتابه إلى أهل الكوفة قبل نشوب حرب الجمل، وكان على الرجّالة فيها. وبعد غلبة الإمام عليه السلام تولّى متابعة الشؤون المتعلّقة بعائشة بأمر الإمام عليه السلام، وأعادها إلى المدينة. =

لقد صاغ الإمام عليه السلام شخصية محمد بأخلاقه وتعاليمه حتى غدا تلميذاً ينتهل من نمير علمه، بل ابناً له، فقد أثر عنه عليه السلام أنه قال: «محمد ابني من صلب أبي بكر». وإذا كان يتخرج من مدرسة الإمام علي عليه السلام أمثال عمّار بن ياسر، والمقداد، والأشتر ونظرائهم من أبطال الإسلام، فما ظنك بمن يكون في

= كان محمّد مجدّاً في الجهاد والعبادة، ولجدّه في عبادته سُمّي عابد قريش[1]. وهو جدّ الإمام الصادق عليه السلام من الأُمهات[2].

ولاّه الإمام عليه السلام على مصر سنة ٣٦هـ بعد عزل قيس بن سعد عنها. ولمّا تخاذل أصحاب الإمام عن نصرته عليه السلام وتركوه وحيداً، اغتنم معاوية هذه الفرصة واستطاع أن يغتال هذا النصير المخلص بأُسلوب غادر خبيث، واستطاع حينئذٍ أن يسخّر مصر تحت قدرته.

كان الإمام عليه السلام يُثني عليه ويذكره بخير في مناسبات مختلفة ويقول:

لقد كان إليّ حبيباً وكان لي ربيباً، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً.

صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري - في ذكر حجّة الوداع -: حتى أتينا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمّد بن أبي بكر.

أسد الغابة - في ذكر محمّد بن أبي بكر -: كان له فضل وعبادة، وكان عليّ يُثني عليه، وهو أخو عبد الله بن جعفر لأُمّه، وأخو يحيى بن عليّ لأُمّه.

أسد الغابة - في ذكر محمّد بن أبي بكر -: تزوّج عليّ بأُمّه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر، وكان أبو بكر تزوّجها بعد قتل جعفر بن أبي طالب، وكان ربيبه في حِجْره. وشهد مع عليّ الجمل، وكان على الرجّالة، وشهد معه صفّين، ثمّ ولاّه مصر فقتل بها.

شرح نهج البلاغة: كان محمّد ربيبه وخرّيجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيّع مُذ زمن الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير عليّ، ولا يعتقد لأحدٍ فضيلة غيره، حتى قال عليّ عليه السلام: محمّد ابني من صلب أبي بكر.

الإمام عليّ عليه السلام - في ذكر محمّد بن أبي بكر والتفجّع عليه -: إنّه كان لي ولداً، ولولدي وولد أخي أخاً.

(١) مروج الذهب: ٢/ ٣٠٧، المعارف لابن قتيبة: ١٧٥، شرح نهج البلاغة: ٦/ ٥٤ وفيهما «كان محمّد من نسّاك قريش».

(٢) مروج الذهب: ٢/ ٣٠٧، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥، شرح نهج البلاغة: ٦/ ٥٤؛ الكافي: ١/ ٤٧٢/ ١، الإرشاد: ٢/ ١٨٠، عمدة الطالب: ١٩٥. يُحتمل أنّ المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام: «ولدني أبو بكر مرّتين» يعود إلى أنّ أُمّه فروة هي بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وأُمّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

بيت الإمام؟! لقد كان للإمام ربيباً ولبنيه أخاً وكان يعد له والداً، ويعد للإمام ولداً.

يتقدم العمر بمحمد ويغدو شاباً فيما يتقدم في معرفة مفاهيم الدين ويتخرج من مدرسة الإمام عليه السلام إلى حيث سيواجه الوضع السياسي الاستثنائي الذي خلقه سيطرة بني العاص وأمية على مقاليد أمور المسلمين أيام الخليفة الثالث، لنلتقي مع أول دور سياسي واضح لابن أبي بكر في معارضة هذا الوضع والتأليب عليه.

ولم يكن محمد وحده في هذا الميدان فقد كان فيه كبار الصحابة كابن مسعود وعمار وأبي ذر والزبير وابن عباس، كانت أم المؤمنين عائشة أشد هؤلاء جميعاً.

فهلم عزيزي القارىء، نذهب إلى المدينة حيث تتموج فيها أخبار الخليفة عثمان مع أقاربه ومع صحابه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا بها حديث كل سمر وفئة، فلنستمع إلى متحدث هذه الفئة الساهرة عن خبر ابن مسعود.

فقد عزل الخليفة عثمان سعد ابن أبي وقاص عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة الذي نزلت فيه آية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا﴾[1]، ولا يخفى أن الوليد من أرحام الخليفة من قبل أمه!. فلما جاء الوليد إلى الكوفة، ألقى عبد الله بن مسعود مفاتيح بيت المال إليه واستقال من عمله.. وكان يحتج على ذلك بقوله:

من غيّر غيّر الله ما به ومن بدّل أسخط الله عليه وما رأى صاحبكم إلاّ وقد غيّر وبدّل أيعزل مثل سعد ابن أبي وقاص ويولّي الوليد؟!.

لم يستطع الوالي الجديد أن يتحمل نقد عبد الله بن مسعود، فكتب إلى الخليفة أنه يعيبك ويطعن عليك.. جاء رد الخليفة بإشخاص ابن مسعود إلى المدينة فاجتمع الناس وقالوا له: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه.

لم يكن ابن مسعود يرى إعلان العصيان، فقال: إن له عليّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

وخرج عبد الله بن مسعود معلم القرآن مخفوراً بأمر الخليفة بينما شيّعه أهل الكوفة بكلمات تنم عن تقديرهم لدوره:

جزيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا وثبت عالمنا وأقرأتنا القرآن وفقهتنا في الدين فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل..

إلى المدينة وبينما كان الخليفة يخطب على منبر الرسول، وصل ابن مسعود واتجه إلى المسجد، وحيث رآه الخليفة من على المنبر قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة[1] سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح (!!).

كان هذا الكلام - بغض النظر عن ملاءمته لموقع المسجد، والحاضرين ومدى صحته - إعلاناً للحرب على ابن مسعود، الذي ردّ بشكل سلمي قائلاً: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان. من خلف المسجد كانت عائشة تسمع فقالت: يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله؟! فقال لها: اسكتي.

وأمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، واحتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدق ضلعه[2].

ما إن انتهى المتحدث من نقل الخبر حتى ماجت تلك الفئة الساهرة.. كيف يقوم الخليفة بهذا الصنع مع معلم القرآن؟!.

وإذا كان هذا حال الخليفة مع ابن مسعود الصحابي الكبير فما الذي يمنعه من ذلك مع غيره؟! قال أحدهم..

ردّ الآخر: دعك من هذا فهل بقي لأحد حرمة؟! هذا حال عبد الله بن مسعود، وذاك حال أبي ذر وتسييره إلى الربذة، ودع عنك حديث عمّار بن ياسر وهو جلدة ما بين عين الرسول وأنفه.. هل تعلمون ما صنع الخليفة مع عمّار؟! بل ما قاله لعلي بن أبي طالب وهو من لا يجهل قدره..

- قل لنا ما حديث عمار؟! طلب بعض الجالسين منه.

---

(١) تصغير دابة.

(٢) أنساب الأشراف/ ٥.

اجتمع الناس من أصحاب رسول الله ﷺ وكتبوا كتاباً ذكروا فيه: «ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس إفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين. وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة، داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية من أحداث وغلمه لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم الأمور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم، وتعطيله إقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه، وتركه الأنصار والمهاجرين لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي ﷺ ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط على ظهور الناس وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء إلى دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه وعنده مروان ابن الحكم وأهله من بني أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه. فقال:

أنت كتبت هذا الكتاب؟! قال عمار: نعم.

قال عثمان: ومن كان معك؟

معي نفر تفرّقوا فرقاً (خوفاً) منك.

ومن هم؟

لا أخبرك بهم.

فلم اجترأت عليّ من بينهم؟!.

كان ينبغي أن يستقبل الخليفة هذه المطالب الإصلاحية وينظر فيها قبل أن تتحول إلى مادة لإثارة السخط.. إلاّ أن الخليفة عدّ ذلك ذنباً وتجرياً عليه، ولم يفوت مروان الفرصة فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذا العبد الأسود (يعني عمّاراً) قد جرأ عليك الناس وإنك إن قتلته نكلت به من ورائه.. قال عثمان: اضربوه.

فضربوه.. وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجرّوه حتى طرحوه على باب الدار. فأمرت به أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فأدخل منزلها.

ثم خرج عثمان إلى المسجد فإذا هو بعلي وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان له:

والله يا أبا الحسن ما أدري أشتهي موتك أم حياتك فوالله لئن متّ ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأني لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً ويعدك كهفاً وملجأ...

فأجابه علي: إن فيما تكلمت به لجواباً ولكني عن جوابك مشغول بوجعي فأنا أقول كما قال العبد الصالح: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(١) (٢).

تحول الهمس والكلام في السهرات والتجمعات المحدودة إلى الاعتراض المباشر والعلني، وبدأت المعارضة تنتقل من المدينة إلى سائر البلاد الإسلامية، لتتفاعل مع الأسباب المحلية للثورة ولتتعاظم أكثر. وذهبت الرسل هنا وهناك.

وكان في الطليعة محمد ابن أبي بكر، فقد راعه أن تتحول مراكز رماح المسلمين، وفيئهم إلى ملك شخصي، وعقارات خاصة لبني أمية وأتباعهم، بينما يهان أصحاب الرسول إلى حدّ الضرب والإصابة بالفتق ورض الأضلاع.

وبينما يطرد أبو ذرّ الغفاري أصدق الناس لهجة ويغرب عن مدينة الرسول إلى صحراء الربذة. يعود عبد الله بن سعد ابن أبي سرح الذي أهدر الرسول دمه، معززاً، مكرّماً، ويعطى مصر هدية!!.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٢) الإمامة والسياسة/ ٣٣.

لذلك ذهب مع محمد ابن أبي بكر إلى مصر بعد ذهاب عبد الله بن سعد ابن أبي سرح وتكلما بين الناس طاعنين على الخليفة قائلين: استعمل عثمان رجلاً أباح رسول الله دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال: سأنزل - مثلما أنزل الله.

تطورت الأحداث أسرع مما كان يظن الجميع، فالخليفة الذي لم يلتزم بما عاهد عليه أولاً من الالتزام في مجلس الشورى (بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الشيخين) ولا ثانياً عندما أعطى للمعارضة عهداً بالإصلاح والتغيير.

لذلك التقى أهل الأمصار الثلاثة: الكوفة - والبصرة - ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وقالوا: لا يسعنا الرضى بهذا. واجتمع رأي رؤوسائهم على أن يكونوا رسل من شهد الموسم إلى من كان على مثل رأيهم، وأن يوافوا عثمان في العام القادم فيستمعوه فإن أعتب وإلاّ رأوا رأيهم فيه.

كان ذلك في سنة ٣٥هـ عندما جاءت الوفود محاصرة قصر الخليفة، قائلين: «.. إنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلّحة مبلّجة». وكتب إليهم الخليفة - بعد طلبه من الإمام علي أن يضمنه أمام الثوار - كتاباً جاء فيه:

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين إن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيه، يعطي المحروم ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث ويوفر الفيء، وعلي بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء في هذا الكتاب.

وكادت الأمور تسير في اتجاه الهدنة والتفاهم إلاّ أن مروان بن الحكم الذي كان أول المتضررين من خطوات الإصلاح لم يرقه سير الأمور بذلك الشكل، فدخل على الخليفة وقال له: بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين وخلف السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها وإنك إن شئت

تقربت بالتوبة ولم تقر بالخطيئة وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إلى الناس فكلمهم فإني أستحي أن أكلمهم.

وهكذا سدد مروان السهم القاتل لفكرة التغيير والاستجابة للإصلاح في نفس عثمان وبقي عليه أن يكمل المهمة. فخرج إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فأشار إليهم قائلاً:

ما شأنكم قد اجتمعتم؟ كأنكم جئتم لنهب، شاهت الوجوه، كل إنسان آخذ بأذن صاحبه، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله غير مغلوبين على ما في أيدينا[1].

كان بعض الوفود قد عاد في طريقه إلى بلده، ومحمد ابن أبي بكر في وفد المصريين الذين أشاروا على الخليفة بتوليته على مصر، عادوا يحدثون أنفسهم بأماني الإصلاح، وبمستقبل العدل..

من بعيد لاح لهم ومن خلال الغبار المثار رجل على بعير، يخبطه خبطاً كأنه رجل يطلب أو يُطلب، فشك فيه أصحاب محمد ابن أبي بكر، فأحضروه - من أنت؟! فتلجلج - مرة يقول: أنا غلام المؤمنين وأخرى: أنا غلام مروان. - معك كتاب؟! قال: لا.

ففتشوه وأخرجوا من عنده كتاباً من عثمان إلى عبد الله ابن أبي سرح. وجمع محمد ابن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار ثم فتح الكتاب فإذا فيه:

إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إليّ متظلماً منك إن شاء الله.

وسواء كان ذلك كتاب عثمان أو باسمه كتبه مروان، فالأولى عدها هؤلاء خيانة، والثانية عجزاً وعدم صلاحية، فلووا زمام رواحلهم عائدين للمدينة، حيث سيشهدون وسيشاركون في قتل الخليفة.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ١٦٥.

ما كان الإمام علي عليه السلام يستلم زمام الأمور بعد قتل عثمان، وإقبال الناس عليه، للبيعة، حتى نكثت طائفة (الجمل).

وربما كان الموقف دقيقاً وحرجاً، لو لم يكن في الطرف الآخر محمد، ذلك أن على رأس الجيش البصري كانت أخت محمد عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول صلى الله عليه وآله. إلاّ أن محمداً الذي لا يعرف له والداً غير الإمام ولا نسباً غير خطه، كان أشد من غيره في المعركة.

وإذا كانت الفتنة تحتاج إلى من يلقحها، فقد كان عبد الله بن الزبير ملقح فتنة الجمل، إذ يقول ابن عباس: أتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار وعبد الله ابنه عنده، فقال: مرحباً بك يا أبا لبابة.. أجئت زائراً أم سفيراً؟! قلت: كلا، إن ابن خالك (أمير المؤمنين) يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟! فقال:

علقتهم إني خلقت عصبة قتادة تعلقت بنشبة

لن أدعهم حتى أولف بينهم. قال: فأردت منه جواباً غير ذلك. فقال لي ابنه عبد الله: قل له بيننا وبينك دم خليفة ووصية خليفة واجتماع اثنين وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة.. فعلمت أنه ليس وراء ذلك إلاّ الحرب.

وهكذا قادت الأم المبرورة عسكراً، راكبة الجمل الأدبب، ونبحتها كلاب الحوأب، كان ذلك لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام.

وتقابل الجيشان: علي أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه البدريين والأحديين، وذوي البصائر في جانب، وعائشة حليلة الرسول التي أمرت بأن تقرّ في بيتها في جانب ومعها الغوغاء من بني ظبة وأشباههم ممن كانوا يأخذون بعر الجمل فيفتّونه ويضعونه على آنافهم وعيونهم قائلين: بعر جمل أمّنا له ريح المسك!!.

لقد كان الجمل صنم أصحابه ورمز ثباتهم لذلك فإن أربعة آلاف مقاتل كانوا يحيطون به على شكل حلقات وأكثر من قتل كان حوله.. ولذلك ما إن طعن حتى انتهت المعركة.

وجاء محمد ابن أبي بكر وعمّار يقطعان الانساع والبطان عن الجمل واحتملا الهودج الذي كانت فيه عائشة، ثم اطلع إليها أخوها محمد، فقالت: من أنت؟!.

قال: أبغض أهلك إليك. قالت: ابن الخثعمية؟ (تعني أسماء بنت عميس). قال: نعم ولم تكن دون أمهاتك.

قالت: لعمري بل هي شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذي سلمك.

قال: قد كان ذلك ما تكرهين.. قالت: لو كرهته ما قلت ما قلت.

قال: كنت تحبين الظفر وأني قتلت.

وجاء علي أمير المؤمنين عليه السلام فقرع الهودج وقال: - بهذا وصّاك رسول الله؟!(١).

انتهت معركة الجمل.. وعاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، وأرسل ولاته إلى بلاد الإسلام المختلفة لتنعم بعدلهم، بعد أن ذاقت الأمرين من ظلم السابقين..

ومصر.. البلد الذي يتحلب لاسمه فم ابن العاص، والذي باع دينه - إن كان له دين - لمعاوية من أجل الحصول على أطعمتها. بلد الخيرات، كان في رأس قائمة الاهتمام.

أرسل الإمام عليه السلام محمد ابن أبي بكر ليحل محلّ قيس بن سعد بن عبادة على ولاية مصر. وكان فيها بعض الجيوب المتمردة التي رفعت - كغيرها - قميص الطلب بدم عثمان ورأسهم في ذلك الأمر معاوية بن خديج السكوني..

حاول معاوية ابن أبي سفيان استمالة محمد ابن أبي بكر عن طريق الكتب إلى جانبه، ولكن محمّداً الذي كان قد أوتي بصيرة كاملة، ردّ عليه في مكاتبات عديدة بما يقطع أمله منه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد ابن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر. سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله، أما بعد: فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه

---

(١) النصرة في حرب البصرة للمفيد/ ١٩٧.

وقدرته خلق خلقاً بلا عنت ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم ولكنه جعلهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً ثم اختارهم على علمه فاصطفى وانتخب منهم محمداً ﷺ فاختصه برسالته واختاره لوحيه وائتمن على أمره وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب ودليلاً على الشرائع فدعا إلى سبيل ربّنا بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أول من أجاب وأناب وصدق ووافق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل صميم فوقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلاً نفسه في ساعات الأزل (الضيق) ومقامات الروع حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كل خير أول الناس إسلاماً وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذريّة وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم. وأنت اللعين ابن اللعين. ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك وعلى ذلك خلفته والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب وروؤس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ، والشاهد لعلي مع فضله المبني وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه عصائب وكتائب حوله يجالدون بأسيافهم ويهريقون دماءهم دونه يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ووصيه وأبو ولده وأول الناس اتباعاً وآخرهم به عهداً يخبره بسره ويشركه في أمره وأنت عدوه وابن عدوه؟! فتمتع ما استطعت بباطلك وليمدد لك ابن العاص في غوايتك فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد آمنت كيده وآيست من روحه وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وبالله وأهل رسوله عنك الغناء والسلام على من اتبع الهدى[1].

---

(١) الغدير ١٠/١٥٩.

فيما رأى معاوية أن بقاء محمد ابن أبي بكر - وهو الصلب القوي في ولائه لعلي عليه السلام والياً على مصر، قد يهدد حتى موقعه في الشام، فكر في احتلال مصر. ودعى من أصحابه عمرو بن العاص وبسر ابن أبي أرطأة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد والضحاك بن قيس:

- أتدرون لم جمعتكم؟! فإني جمعتكم لأمر مهم لي. فقال عمرو بن العاص:

دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر، فإن كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأي رأيت في افتتاحها فإن فيه عزّك وعزّ أصحابك وكبت عدوك وذلّ أهل الشقاق عليك.

ولم يفت معاوية بريق عيني ابن العاص، وهي تنتشي بالرغبة من ولاية مصر فقال له:

أهمّك ما أهمك! (وذلك أن عمراً كان قد صالح معاوية على قتال علي عليه السلام على أن له مصر طعمة ما بقي).. ويبدأ التخطيط ... ابن العاص الذي كان متعجلاً ابتلاع هذه الطعمة التي باع لأجلها دينه قال: أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق فيه فيأتي مصر فإنه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فإن اجتمع جندك ومن بها على رأينا رجوت أن ينصرك الله (!!).

أما معاوية فقال: أرى أن نكاتب من بها من شيعتنا فنمنيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب من بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوّفهم حربنا فإن كان من أردنا بغير قتال فذاك الذي أردنا وإلاّ كان حربهم بعد ذلك.

وكتب معاوية إلى محمد مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني، يحثهما على الطلب بدم عثمان.. ودائماً دم عثمان وقميص عثمان، فابن العاص الذي كان يقول: إني كنت لأؤلب الراعي في غنمه على عثمان وهو القائل أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع دخل إلى الشام وهو يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول: واعثماناه! أنعي الحياء والدين!! في يوم آخر.. وهكذا بيع الدين والإسلام بأبخس الأثمان..

ولم يكن أولئك أقل في تجارة الدين من صاحبيها، فردا الجواب بضرورة التعجيل. وجمعا أوباشهما ممن لا يفرقون بين الناقة والجمل، ولا يعرفون من ولا لماذا يقاتلون!! وجاءهم عمرو بن العاص على ستة آلاف من الشام.

والتحم الجيشان - كنانة بن بشر على ألفين من مقاتلة المصريين ومعه محمد ابن أبي بكر على ألفين آخرين، وفي المقابل ستة آلاف من أهل الشام، وردفهم معاوية بن حديج في مثل الدّهم.

وأبدى كنانة بن بشر من البطولة الشيء الكثير فقد كان يرد الكتائب حتى يلحقها بمواضعها الأولى.. لكن عادة ما كانت الكثرة تغلب الشجاعة. فأحاطت به كتائب ابن حديج، ونزل كنانة عن فرسه فقاتلهم راجلاً حتى استشهد رضوان الله عليه..

وبان الانكسار في جيش ابن أبي بكر، وبدأ من همه الدنيا بالتفرق عنه وأصابته جروح كثيرة، وأسر، وقد كاد يموت عطشاً. فقال لهم: اسقوني ماء!!.

معاوية بن حديج الذي كان لا يزال في دكان المتاجرة يقتل عثمان قال له: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعتم عثمان شرب الماء! والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق!.

أجابه محمد: يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمىء أعداءه أنت وأمثالك! أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا[1].

وإذا كان خط أهل البيت عليهم السلام يجسد التزامه بقيم الإسلام حتى تصبح سيرة قادته سنّة، ومواقفهم مبادىء، وإذا بهم الإسلام الناطق المجسد، وجدنا سيرة أعدائهم مترعة بالحقد، حافلة بالطرق الجاهلية، إذ لم يمس الإسلام منهم إلاّ القشر الظاهري، ولسان حالهم: ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا.. قاتلتكم لأتأمر عليكم.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥٧.

أتدي ما أصنع بك؟! قال معاوية بن حديج لربيب أمير المؤمنين محمد: أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار.

تبسم محمد ورأى أي عقل صغير يحمل هذا الرجل وأي حقد كبير وقال:

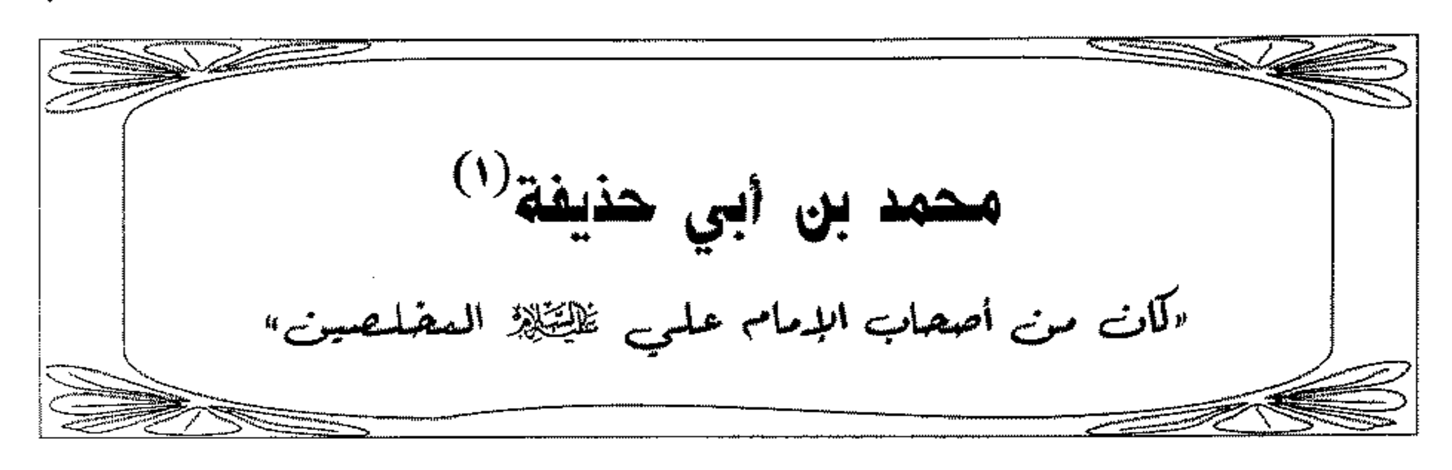
إن فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله وإني لأرجو أن يجعلها عليك وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تلظى كما خبت زادها الله سعيراً..

ودخن حقد القلب الجاهل، بينما كانت وردة محمدية تذوي في عزّ الشباب بلهيب النار المشتعلة.

وكما أقام عمرو بن العاص حفلاً ضخماً لوصوله إلى طعمته بقتل محمد ابن أبي بكر فقد كان «حزيناً عليه على قدر سرورهم بقتله لا بل يزيد أضعافاً» كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

مصادره:

الأعلام ٧/ ٨٩. الأخبار الطوال/ ١٥٠، ١٥١. أسد الغابة ٤/ ٣٢٤. الاشتقاق/ ٣٦٩، ٤٥٧، ٥٢٢. الإصابة ٣/ ٤٧٢. أعلام نهج البلاغة / ٤٤. أعيان الشيعة ٩/ ٦١. أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٧. الإمامة والسياسة ١/ ٣٩. البداية والنهاية ٧/ ٣١٦، ٣١٩. بهجة الآمال ٢/ ١٠٠. تأسيس الشيعة/ ٢٦١، ٤٠٨. تاريخ الطبري ٥/ ٢٣١ وج ٦/ ٥٣. تاريخ الخلفاء/ ١٨٧. تاريخ الخميس ٢/ ٢٣٨. تحفة الأحباب/ ٣٠٦. تقريب التهذيب ٢/ ١٤٨. تنقيح المقال ٢/ ٣٥٥. تهذيب التهذيب ٩/ ٨٠. جامع الرواة ٢/ ٤٥. الجرح والتعديل ٧/ ٣٠١. جمهرة أنساب العرب/ ١٣٨. الجمل/ ١٣٩. خلاصة أقوال/ ١٣٨. رجال ابن داود/ ١٥٨. رجال الطوسي/ ٥٨. رجال الكشي/ ٦٣. رجال البرقي/ ٤. سفينة البحار ١/ ٣١٢. شذرات الذهب ١/ ٤٨. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٣، ١٤٣، ١٥٥ - ١٦٠ وكافة الأجزاء الفهارس/ ٢٤٢. الطبقات الكبرى ٣/ ٧٣، ٢١١، ٤/ ٣٤، ٤١ و ٥/ ٥٣ و ٨/ ٢٨٢ - ٢٨٥. العقد الفريد ١/ ٩٧ و ٣/ ٣٠٦ و ٥/ ٣٨ - ٧٢. الغارات ٢/ ١٠٤٣. الغدير ١/ ١٦٤ و ٢/ ١٣٣ و ٣/ ٢١، ١٧٨ - الفهارس/ ٢٦٨. قاموس الرجال ٧/ ٤٩٥. الكامل في التأريخ ٣/ ٢٥٨ - ٢٦٠، ٢٧١ - ٢٧٣، ٣٥٠ - ٣٦٠. مجمع الرجال ٥/ ١٠٢. مرآة الجنان ١/ ١٠٥. مروج الذهب ٢/ ٣٧٦. المعارف/ ٧٦. معجم الثقات/ ٣٢٧. معجم رجال الحديث ١٤/ ٢٣٠. المناقب ٣/ ١٥٤. منتهى المقال/ ٢٥٨. مجالس المؤمنين ١/ ٢٧٧. النجوم الزاهرة ١/ ١٠٦. نقد الرجال/ ٢٨٢. نكت الهميان/ ٢٣٠. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٧، و ٥/ ٩٥. وقعة صفين/ ٥٤، ٦٥، ٧٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٢٩٣، ٥٢٥.



محمد بن أبي حذيفة[(١)]

«كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام المخلصين»

محمد بن أبي حذيفة، بن عتبة بن ربيعة، بن عبد شمس، قتل سنة ٣٦.

ذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن معاوية لمّا قدم عليه عمرو بن العاص قبل وقعة صفين.

قال له معاوية: يا أبا عبد الله لقد طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر.

قال: وما ذاك.

قال: ذاك أن محمد بن حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين وذكر الأمرين الآخرين ثم قال: قال ليس كل ما ذكرت عظيماً، أما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرك[(٢)].

---

(١) أعيان الشيعة ج١٣ ص٢٥٦، ح٩٠٣٧.

(٢) **هو محمّد بن أبي حذيفة** بن عتبة العبشمي أبو القاسم، حفيد عتبة بن ربيعة. أحد أقطاب المشركين. وابن خال معاوية.
ولد في الحبشة حين هاجر أبوه إليها، ولمّا استشهد أبوه نشأ في أحضان عثمان بن عفّان.
والعجيب أنّه كان أحد المعارضين المحادّين لعثمان حين ثارت الأُمّة ضدّه، وهو الذي حرّض المصريّين على الثورة ضدّ عثمان، واشترك في محاصرة داره.
كان من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام. ولمّا عزل والي مصر تولّى حكومتها حتى نصب الإمام عليه السلام قيس بن سعد.
ولمّا تسلّط معاوية على مصر أُلقي عليه القبض وسجن، بيده أنّه تمكّن من الفرار، ثمّ قتل بأمر معاوية. =

. . . .

=رجال الكشّي عن أمير بن عليّ، عن الإمام الرضا عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يُعصى الله عزّ وجلّ.

قلت: ومَن المحامدة؟.

قال: محمّد بن جعفر، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة، ومحمّد بن أمير المؤمنين عليه السلام. أمّا محمّد بن أبي حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية.

تاريخ الطبري عن الزهري: خرج محمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أبي بكر عام خرج عبد الله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان، وما غيّر، وما خالف به أبا بكر وعمر، وأنّ دم عثمان حلال.

ويقولان: استعمل عبد الله بن سعد رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح صلى الله عليه وآله دمه ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله قوماً وأدخلهم، ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر.

فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال: لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقوا العدوّ، وكانا أقلّ المسلمين قتالاً، فقيل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكّمه! عبد الله بن سعد استعمله عثمان، وعثمان فعل وفعل، فأفسدا أهل تلك الغزاة، وعابا عثمان أشدّ العيب.

الغارات عن عليّ بن محمّد بن أبي سيف: إنّ محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أُصيب لمّا فتح عمرو بن العاص مصر، فبعث به إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذٍ بفلسطين، فحبسه معاوية في سجن له فمكث فيه غير كثير، ثمّ إنّه هرب - وكان ابن خال معاوية - فأرى معاوية الناس أنّه كره انفلاته من السجن، فقال لأهل الشام: من يطلبه؟.

وقد كان معاوية فيما يرون يحبّ أن ينجو، فقال رجل من خثعم يقال له: عبيد الله بن عمرو بن ظلام، وكان شجاعاً وكان عثمانيّاً: أنا أطلبه، فخرج في خيله فلحقه بحوّارين[1] وقد دخل في غارٍ هناك، فجاءت حمر تدخله وقد أصابها المطر، فلمّا رأت الرجل في الغار فزعت منه فنفرت.

فقال حمّارون - كانوا قريباً من الغار -:

والله إنّ لنفر هذه الحمر من الغار لشأناً، ما نفّرها من هذا الغار إلاّ أمر، فذهبوا ينظرون، فإذا هم به فخرجوا، فوافاهم عبيد الله بن عمرو بن ظلام فسألهم عنه ووصفه لهم، فقالوا له: ها هوذا في الغار، فجاء حتى استخرجه، وكره أن يحمله إلى معاوية فيخلّي سبيله، فضرب عنقه، رحمه الله تعالى.=

---

(١) حُوَارِيْن: من قرى حلب، معروفة، وحُوّارين: حصن من ناحية حمص. (معجم البلدان: ٢/ ٣١٥).

وقال الطبري في تاريخه: في سنة ٣٦ قتل محمد بن أبي حذيفة، وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبي بكر أقام بمصر وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وضبطها، فلم يزل بها مقيماً حتى قتل عثمان وبويع لعلي، وأظهر معاوية الخلاف وبايعه على ذلك عمرو بن العاص فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبي حذيفة قبل قدوم قيس مصر فعالجا دخول مصر فلم يقدرا على ذلك، فلم يزالا يخادعان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر في ألف رجل فتحصن بها وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله.

=رجال الكشّي: كان محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن أنصاره وأشياعه، وكان ابن خال معاوية، وكان رجلاً من خيار المسلمين، فلمّا توفّي عليّ عليه السلام أخذه معاوية وأراد قتله، فحبسه في السجن دهراً، ثمّ قال معاوية ذات يوم: ألا نرسل إلى هذا السفيه محمّد بن أبي حذيفة فنُبكِته[1]، ونخبره بضلاله، ونأمره أن يقوم فيسبّ عليّاً؟.

قالوا: نعم.

فبعث إليه معاوية فأخرجه من السجن، فقال له معاوية: يا محمّد بن أبي حذيفة ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك عليّ بن أبي طالب..

قال: والله إنّي لأشهد إنّك منذ عرفتك في الجاهليّة والإسلام لعلى خلق واحد ما زاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً، وإنّ علامة ذلك فيك لبيّنة تلومني على حبّي عليّاً، كما خرج مع عليّ كلّ صوّام قوّام مهاجري وأنصاري، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء، خدعتهم عن دينهم، وخدعوك عن دنياك، والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت، وما خفي عليهم ما صنعوا، إذ أحلّوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك، والله لا أزال أحبّ عليّاً لله، وأُبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت.

قال معاوية: وإنّي أراك على ضلالك بعد، ردّوه، فردّوه وهو يقرأ في السجن: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[2]، فمات في السجن.

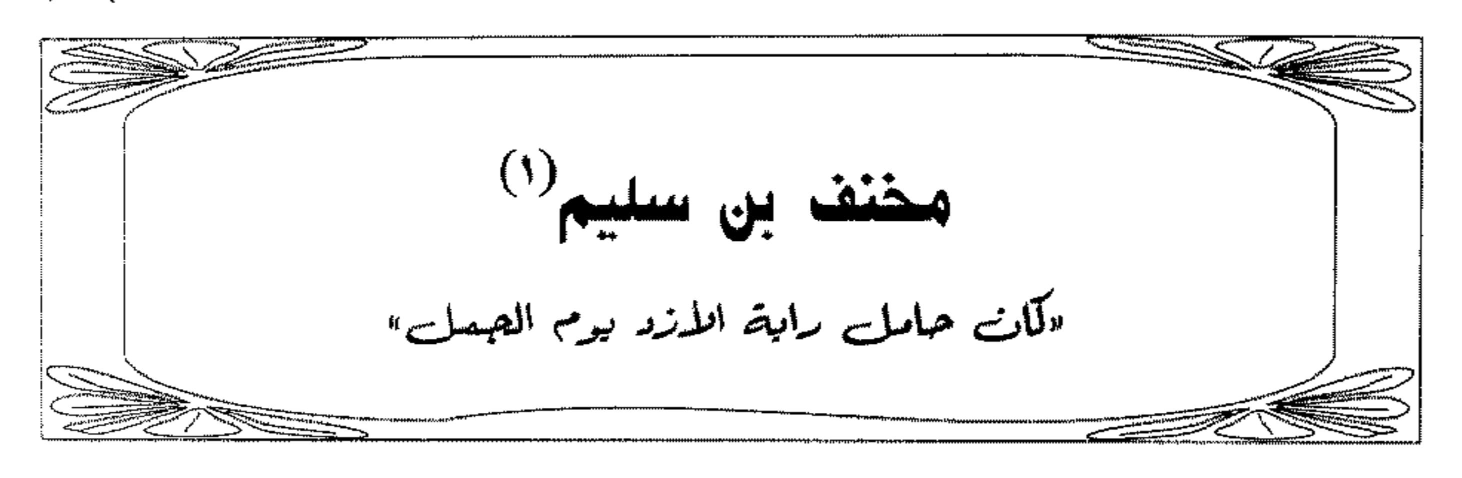
---

(١) التّبكيت: التّقريع والتّوبيخ (النهاية: ١/ ١٤٨).
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

مصادره

الأخبار الطوال/ ١٥٧. الأعلام ٦/ ٣٠٨. الاستيعاب ٣/ ٣٤١. أسد الغابة ٤/ ٣١٥. الإصابة ٣/ ٣٧٣. أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٧، ٤٠٧. البداية والنهاية ٧/ ٢٥١. بهجة الآمال ٢/ ١٠٠. تاريخ الطبري ٥/ ٢٢٦ وج٦/ ٦٠. تاريخ الخميس ٢/ ٢٦٠. تحفة الأحباب/ ٣٠٨. تنقيح المقال ٢/ ٣٥٧. جامع الرواة ٢/ ٤٥. جمهرة أنساب العرب/ ٧٧. رجال ابن داود/ ١٥٨. رجال الطوسي/ ٥٩. رجال الكشي/ ٧٠. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٦٤، ٧٠، ١٤٣، ١٥٩، ٦/ ٥٧، ٨١٠٠ الطبقات الكبرى ٣/ ٨٤. الغدير ٢/ ١٤٢ و٩/ ١٢٩، ١٣٨ و١٠/ ٢٩٣. الغارات ١/ ٢٠٥، ٢٠٧، ٣٠١، ٣٢٧ و٢/ ٧٤٧ . ٧٥٢ . قاموس الرجال ٧/ ٥٠٠. الكامل في التاريخ ٣/ ١١٨، ١٥٨، ١٦١، ١٨١، ٢٦٥ . ٢٦٧. مجمع الرجال ٥/ ١٠٤. معجم الثقات/ ٣٢٧. معجم رجال الحديث ٤ ١/ ٢٥. منتهى المقال/ ٢٥٨. مجالس المؤمنين ١/ ٢٩٤. النجوم الزاهرة ١/ ٨٣، ٩٤. نقد الرجال/ ٢٨٢. وقعة صفين/ ٣٧، ٤٤.





مخنف بن سليم[1]

«كان حامل راية الأزد يوم الجمل»

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن مخنف، بن سليم دخل على أمير المؤمنين عليه السلام بعد مجيئه من حرب الجمل إلى الكوفة وبين يديه رجال يؤنبهم فنظر إلى مخنف فقال: لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلفوا ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾[2]، الآية.. واستعمله أمير المؤمنين عليه السلام على أصبهان فهمذان فلما أراد المسير إلى حرب صفين كتب إليه: إذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك وأقبل إلينا فاستعمل مخنف على أصبهان وهمذان رجلين من قومه وأقبل حتى شهد مع علي صفين[3].

---

(١) أعيان الشيعة ج١٤ ص٤٥٣، ح١٠٣٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٢.

(٣) مخنف بن سليم بن الحارث الأزدي الغامدي، كان من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعليّ عليه السلام. وكان يحمل راية قبيلته - الأزد - يوم الجمل، وقد جرح في هذه الحرب. وقبل صفّين طلب منه الإمام عليه السلام أن يأتي إلى الكوفة، ويرافقه في مسيره إلى صفّين. وتولّى قيادة قبيلته وبعض القبائل الأُخرى في حرب صفّين.

ولاّه الإمام عليه السلام على أصفهان وهَمَدان. وكلّفه عليه السلام مرّةً بجمع الضرائب في أرض الفرات حتى منطقة بكر بن وائل، وظلّ مسؤولا عليها برهةً. وكتب إليه في هذه المهمّة تعليمات رفيعة هي في غاية الروعة والقيمة والوعظ والتذكير.

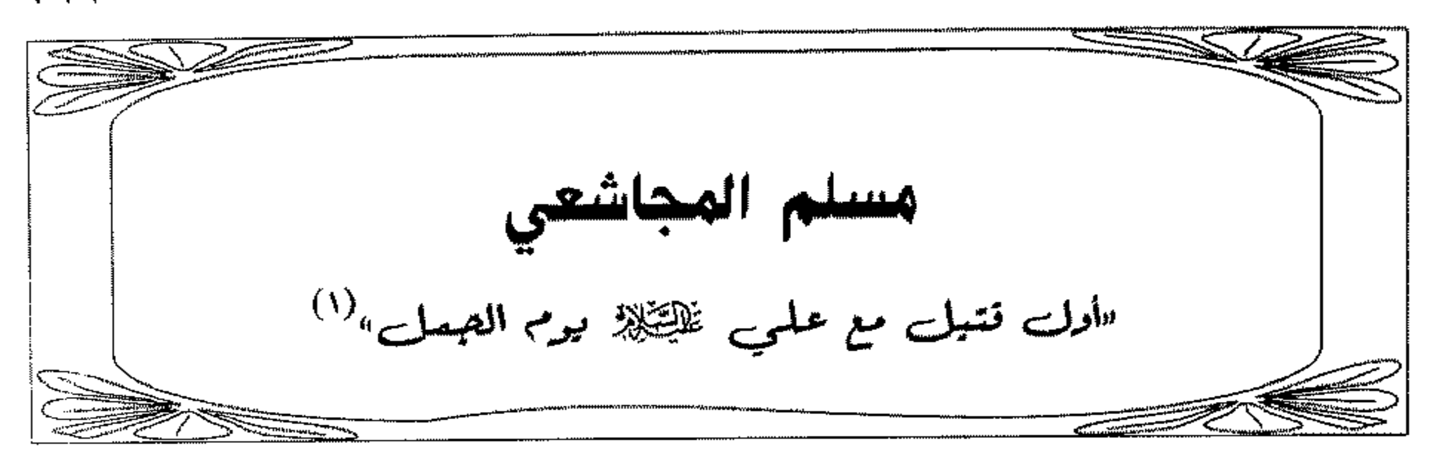
ومخنف هذا هو الجدّ الأعلى للمؤرّخ الشيعي الجليل أبي مخنف. ونُقلت عن الإمام عليه السلام كلمات في مدحه وذمّه.

أُسد الغابة: مخنف بن سليم، له صحبة. واستعمله عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه على مدينة أصفهان، وشهد معه صفّين، وكان معه راية الأزد.

مصادره

الأعلام ٨/ ٧٥. الأخبار الطوال/ ١١٤، ١٢٣، ١٤٦. الاستيعاب ٣/ ٥٠٣. أسد الغابة ٣٣٩٤. الاشتقاق/ ٤٣٩. الإصابة ٣/ ٣٩٢. أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٦، ٤٤٦. أخبار إصبهان ١/ ٧٢. تاريخ الطبري ٥/ ١٩٩، ٢١٢ وج١٣/ ٣٦. تحفة الأحباب/ ٣٥٧. تقريب التهذيب ٢/ ٢٣٦. تنقيح المقال ٣/ ٢٠٧. تهذيب التهذيب ١٠/ ٧٨. جامع الرواة ٢/ ٢٢٢. الجرح والتعديل ٨/ ٤٢٥. خلاصة الأقوال/ ١٩٤. رجال ابن داود/ ١٨٧. رجال الطوسي/ ٥٨. رجال البرقي/ ٦. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٣٠٥. الطبقات الكبرى ١/ ٢٨٠ و٦/ ٣٥.





مسلم المجاشعي

«أول قتيل مع علي عليه السلام يوم الجمل»[1]

كان يعيش في المدائن أيّام واليها حُذيفة بن اليمان، وبعد قتل عثمان وبقاء حذيفة والياً عليها بأمر الإمام عليّ عليه السلام، قرأ حذيفة على الناس رسالة الإمام عليه السلام، ودعاهم إلى بيعته متحدّثاً عن عظمته. ولمّا بايع الناس، طلب مسلم من حذيفة أن يحدّثه بحقيقة ما كان قد جرى، ففعل فأصبح مسلم من الموالين للإمام عليه السلام. ورسخ حبّ الإمام في قلبه حتى قال عليه السلام فيه يوم الجمل: إنّ الفتى ممّن حشى الله قلبه نوراً وإيماناً، وهو مقتول. . . .

وكان أوّل من استُشهد يومئذٍ بعد قَطْع يديه.

المناقب للخوارزمي عن مجزأة السدوسي - في ذكر أحداث حرب الجمل -: لمّا تقابل العسكران: عسكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعسكر أصحاب الجمل، جعل أهل البصرة يرمون أصحاب عليّ بالنّبل حتى عقروا منهم جماعة، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، إنّه قد عقرنا نبلهم فما انتظارك بالقوم؟!.

فقال عليّ: اللهمّ إنّي أُشهدك أنّي قد أعذرت وأنذرت، فكن لي عليهم من الشاهدين.

ثمّ دعا عليّ بالدرع، فأفرغها عليه، وتقلّد بسيفه واعتجر[2] بعمامته واستوى على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ دعا بالمصحف فأخذه بيده، وقال: يا أيّها الناس، من يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟.

---

(١) أعيان الشيعة ج١٤ ص٤٦٥، ح١٠٣٦٤.

(٢) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفّها على رأسه ويرد طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه (النهاية: ٣/ ١٨٥).

قال: فوثب غلام من مجاشع يقال له: مسلم، عليه قباء أبيض، فقال له: أنا آخذه يا أمير المؤمنين.

فقال له عليّ: يا فتى إنّ يدك اليمنى تقطع، فتأخذه باليسرى فتقطع، ثمّ تضرب عليه بالسيف حتى تقتل.

فقال الفتى: لا صبر لي على ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فنادى عليّ ثانية، والمصحف في يده، فقام إليه ذلك الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين.

قال: فأعاد عليه على مقالته الأُولى، فقال الفتى: لا عليك يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله، ثمّ أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم، فقال: يا هؤلاء، هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

قال: فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها، فأخذ المصحف بشماله فقطعت شماله، فاحتضن المصحف بصدره فضرب عليه حتى قتل رحمة الله عليه -.

الجمل: كانت أُمّه [أي مسلم] حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرّته من موضعه، ولَحِقَها جماعة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرحوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأُمّه تبكي وتندبه وتقول:

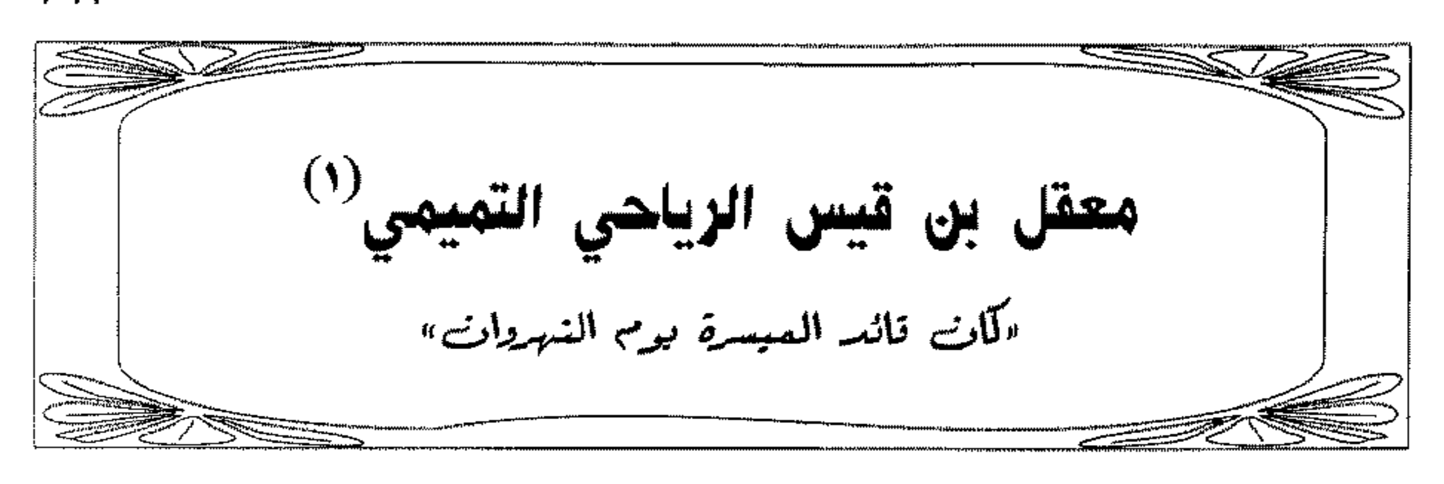
[البحر الرجز المجزوء]

يا ربّ إنّ مسلماً دعاهُم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه قناهُم وأُمّهم قائمةٌ تراهم
تأمرهم بالقتل لا تنهاهُم

مصادره

تحفة الأحباب/ ٣٦٠. سفينة البحار ١/ ٦٥٢. مروج الذهب ٢/ ٣٧٠. معجم رجال الحديث ١٨/ ١٥٢. المناقب ٣/ ١٥٥. مجالس المؤمنين ١/ ٣٠٤.





معقل بن قيس الرياحي التميمي[١]

«كان قائد الميسرة يوم النهروان»

كان مع أمير المؤمنين في صفين، وقال أورده نصر:

[البحر الرجز المجزوء]

يا أيها السائل عن أصحابي إن كنت تبغي خير الصوابِ
أخبرك عنهم غير ما تكذابِ بأنهم أوعية الكتابِ
صبر لدى الهيجاء والضرابِ وسل جموع الأزد والربابِ
وسل بذاك معشر الأحزاب[٢]

---

(١) أعيان الشيعة ج١٤ ص٤٧٤، ح١٠٣٩٩.

(٢) معقل بن قيس الرياحي، شجاع من مقاتلي الكوفة، وخطيب بليغ من خطبائها. وكان من أمراء الجيش في زمن الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبى عليهما السلام. وكان رسول عمّار إلى المدينة في فتح «تُسْتَر»[١] وقدِم إليها مع الهُرْمُزان.
تولّى قيادة رجّالة الكوفة في معركة الجمل، وغدا أميراً على بعض قبائلها في معركة صفّين.
وولي قيادة الجيش حيناً في معارك ذي الحجّة يوم صفّين.
كان قائد الميسرة يوم النهروان. ثمّ أمره الإمام عليه السلام بقمع تمرّد «بني ناجية» فهزم خرّيت بن راشد.
عندما أغار يزيد بن شجرة على مكّة والمدينة، هَبَّ معقل إلى مواجهته، فأسَر عدداً من أصحابه ولاذ الباقون بالفرار.
لمّا عزم الإمام عليه السلام على معاودة قتال معاوية بعد إخماد فتنة النهروان، واستبان الاستعداد النسبي الذي أبداه أهل الكوفة للقتال، ذهب معقل إلى أطراف الكوفة لجمع المقاتلين، لكنّه تلقّى - وهو في مهمّته - الخبر المفجع لاستشهاد الإمام عليّ عليه السلام.
في سنة ٤٣ هـ خرج المُسْتَورد - أحد أقطاب الخوارج - في أيّام حكومة معاوية الغاصبة وهو يريد الشيعة، فنهض معقل إلى قتاله. واستشهد بعد أن دَحَر جيشه وقتَله في مبارزة بينهما. =

---

(١) تُسْتَر: هو تعريب «شوتشر» وهي من مدن إيران في محافظة خوزستان، وهي قريبة من مدينة دزفول.

. . . .

=وصفه سعيد بن قيس بأنّه ناصح، أريب صليب شجاع.

شرح نهج البلاغة: معقل بن قيس كان من رجال الكوفة وأبطالها، وله رياسة وقدم، أوفده عمّار بن ياسر إلى عمر بن الخطّاب مع الهُرمُزان لفتح تُستَر. وكان من شيعة عليّ عليه السلام، وجّهه إلى بني ساقة فقتل منهم وسبى. وحارب المستَورد بن عُلفة الخارجي من تميم الرباب، فقتل كلّ واحد منهما صاحبه بدجلة.

الغارات عن عبد الله بن قعين - في ذكر حرب بني ناجية -: سار فينا معقل، يحرّضنا ويقول لنا: يا عباد الله، لا تبدأوا القوم وغضّوا الأبصار، وأقلّو الكلام، ووطّنوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم، إنّما تقاتلون مارقةً مرقت من الدين وعلوجاً[1] منعوا الخراج، ولصوصاً وأكراداً، انظروني فإذا حملت فشدّوا شدّة رجل واحد.

قال: فمرّ في الصفّ كلّه يقول لهم هذه المقالة حتى إذا مرّ بالناس كلّهم، أقبل فوقف وسط الصفّ في القلب، ونظرنا إليه ما يصنع، فحرّك رايته تحريكتين، ثمّ حمل في الثالثة وحملنا معه جميعاً، فوالله ما صبروا لنا ساعةً واحدةً حتى ولّوا وانهزموا، وقتلنا سبعين عربيّاً من بني ناجية ومن بعض من اتّبعه من العرب، وقتلنا نحو ثلاثمائة من العلوج والأكراد.

الغارات عن كعب بن قعين: أقام معقل بن قيس بأرض الأهواز وكتب إلى عليّ عليه السلام معي بالفتح وكنت أنا الذي قدم بالكتاب عليه، وكان في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من معقل بن قيس، سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلاّ هو، أمّا بعد، فإنّا لقينا المارقين وقد استظهروا علينا بالمشركين، فقتلنا منهم ناساً كثيراً، ولم نتعدّ فيهم سيرتك، فلم نقتل منهم مدبراً ولا أسيراً، ولم نُذفّف[2] منهم على جريح، وقد نصرك الله والمسلمين، والحمد لله ربّ العالمين، والسلام.

الغارات عن أبي عبد الرحمن السلمي - في ذكر عزم الإمام عليه السلام على حرب معاوية ثانياً وقوله لأصحابه -: أشيروا عليّ برجل يحشر الناس من السواد ومن القرى ومن محشرهم.

فقال سعيد بن قيس: أما والله أشير عليك بفارس العرب الناصح، الشديد على عدوّك.

قال له: من؟.

قال: معقل بن قيس الرياحي.

قال: أجل، فدعاه فسرّحه في حشر الناس من السواد إلى الكوفة، فلم يقدم حتى أُصيب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه.

---

(١) العليج: الرجل من كفار العجم وغيرهم (النهاية: ٣/ ٢٨٦).

(٢) تَذفيف الجريح: الإجهاز عليه وتحرير قتله (النهاية: ٢/ ١٦٢).

وقال الطبري في تاريخه: أنه لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على العودة إلى صفين جمع رؤساء الكوفة فخطبهم، وطلب إليهم أن يكتب له كل رئيس عشيرته من المقاتلة، فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال: سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة، أنا أول الناس جاء بما سألت وبما طلبت، وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له: نحواً من ذلك.

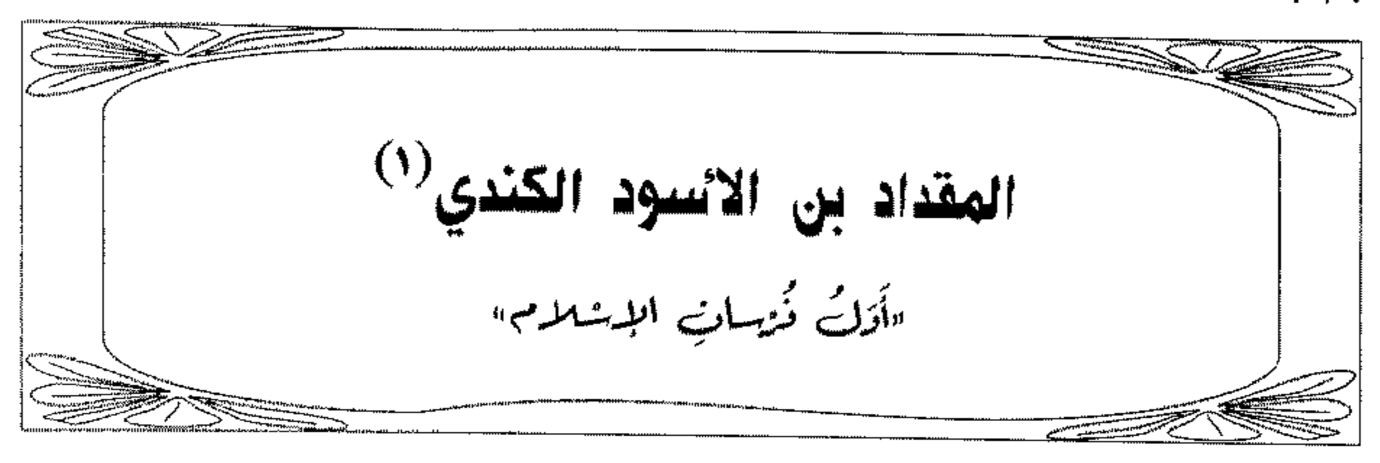
وقام عدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس فقالوا: مثل ذلك، فكانوا ثمانية وستين ألفاً ومائتين، ولما جمع الحسن عليه السلام الناس بالكوفة وخطبهم وحثهم على الجهاد معه، لما بلغه مسير معاوية إليه فتثاقلوا، قام معقل بن قيس في جماعة فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم المذكور في ترجمته.

فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً.

مصادره

الأعلام ٨/ ١٨٨. الأخبار الطوال/ ١٦٧، ٢١٣. الاشتقاق/ ١٠٩، ١٨٦. الإصابة ٣/ ٤٩٩. أعلام نهج البلاغة/ ٤٧. أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٦، ٢٩٦، ٤٨٢. البداية والنهاية ٧/ ٢٥٧، ٣١٨. تاريخ الطبري ٥/ ١٩٩، ٢٣٧ وج٦/ ٤٥. تنقيح المقال ٣/ ٢٢٩. جامع الرواة ٢/ ٢٤٧. جمهرة أنساب العرب/ ١٩٩، ٢٢٨. الجمل أو النصرة في حرب البصر/ ١٧٢. رجال الشيخ الطوسي/ ٥٩. سفينة البحار ٢/ ٢١٦. شرح ابن أبي الحديد ٣/ ١٣٦. ٢٠٩ و٤/ ١٣٤ و٥/ ٩٧ و١٥/ ٩٢ و١٦/ ٣٩. العقد الفريد ٥/ ٥٨. الغدير ٨/ ١٢١ و٩/ ٤٧، ٣٦٨. الغارات ١/ ٣٣١، ٣٤٨، ٣٥١ . ٣٥٧ و٢/ ٤٨٢، ٥٠٤، ٥٠٩، ٦٣٨، ٧٩٣. قاموس الرجال ٩/ ٥٥. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨١ ٣/ ٢٨١، ٢٨٧، ٣٦٨ . ٣٧٠، ٤٢٩ . ٤٣٦. مجمع الرجال ٦/ ١٠٦. مروج الذهب ٢/ ٤١٩. معجم رجال الحديث ١/ ١٨٠ و١٨/ ٢٣٢. منتهى المقال/ ٣١١. نقد الرجال/ ٣٤٩. وقعة صفّين/ ٩٦، ١٧٧، ١٣٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٩٥، ٣٨١؛ ٥١٣.





المقداد بن الأسود الكندي[1]

"أوّل فرسان الإسلام"

المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود، توفي سنة ٣٣ عذب في الإسلام وهاجر إلى الحبشة في الدفعة الثانية.

وفي يوم بدر عندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه بشأن الحرب قال المقداد: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحق، أنا نقول لك: إذهب أنت وربك فقاتلا أنا معكما مقاتلون.

وقد شهد المقداد بدراً واحداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرفاة المشهورين[1].

(١) أعيان الشيعة ج١٤ ص٤٧٨، ح١٠٤١١.

(٢) المقداد بن عمرو بن ثعلبة البَهْرَاوِيُّ الكندي، المعروف بالمقداد بن الأسود. طويل القامة، أسمر الوجه. كان من شجعان الصحابة وأبطالهم ونُجَبائهم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ. وصفُوه بأنّه مجمع الفضائل والمناقب، وكان أحد الأركان الأربعة. وعَدّه رسول الله ﷺ أحد الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنّة.
ثبت على الصراط المستقيم بعد رسول الله ﷺ، وحفظ حقّ الولاية العلويّة، وأعلن مخالفته للذين بدّلوا، في مسجد النبيّ ﷺ.
وعُدَّ المقداد في بعض الروايات أطوع أصحاب الإمام عليه السلام وكان من الصفوة الذين صلوا على الجثمان الطاهر لسيدة النساء فاطمة صلوات الله عليها.
عارض المقداد حكومة عثمان، وأعلن عن معارضته لها من خلال خطبة ألقاها في مسجد المدينة. وقال: إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل. . أما والله لو أجد عليه أعواناً. . .
توفّي المقداد سنة ٣٣ هـ وهو في السبعين من عمره.
وكان له نصيب من مال الدنيا منذ البداية فأوصى للحسن والحسين عليهما السلام بستّة وثلاثين=

. . . .

=ألف درهم منه.
وهذه الوصيّة دليل على حبّه لأهل البيت عليهم السلام وتكريمه واحترامه لهم عليهم السلام.
الأمالي للطوسي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: لمّا بويع عثمان سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبد الرحمن بن عوف: والله يا عبد الرحمن، ما رأيت مثل ما أُتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم.
فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟.
قال: إنّي والله أُحبّهم لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ويعتريني والله وَجدٌ لا أبثّه بثّة، لتشرّف قريش على الناس بشرفهم، واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من أيديهم.
فقال له عبد الرحمن: ويحك! والله لقد اجتهدت نفسي لكم.
فقال له المقداد: والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون، أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم يوم بدر وأُحد..
فقال له عبد الرحمن: ثكلتك أُمّك يا مقداد! لا يسمعنّ هذا الكلام منك الناس، أما والله إنّي لخائف أن تكون صاحب فرقةٍ وفتنةٍ.
قال جندب: فأتيته بعدما انصرف من مقامه، فقلت له: يا مقداد أنا من أعوانك.
فقال: رحمك الله، إنّ الذي نريد لا يغني فيه الرجلان والثلاثة، فخرجت من عنده وأتيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فذكرت له ما قال وقلت، قال: فدعا لنا بخير.
تاريخ اليعقوبي: - في ذكر أحداث ما بعد استخلاف عثمان -: مال قوم مع عليّ بن أبي طالب، وتحاملوا في القول على عثمان.
فروى بعضهم قال: دخلت مسجد رسول الله، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف تلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فسُلبها، وهو يقول: واعجباً لقريش! ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّهم، وفيهم أول المؤمنين، وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم في دين الله، وأعظمهم غناءً في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم للصراط المستقيم.
والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقيّ، وما أرادوا إصلاحاً للأُمّة ولا صواباً في المذهب، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبُعداً وسحقاً للقوم الظالمين.
فدنوت منه فقلت: من أنت يرحمك الله؟ ومن هذا الرجل؟.
فقال: أنا المقداد بن عمرو، وهذا الرجل عليّ بن أبي طالب.
قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأُعينك عليه؟.
فقال: يا بن أخي! إنّ هذا الأمر لا يجري فيه الرجل ولا الرجلان.
ثمّ خرجت فلقيت أبا ذرّ، فذكرت له ذلك، فقال: صدق أخي المقداد، ثمّ أتيت عبد الله بن مسعود، فذكرت ذلك له، فقال: لقد أُخبرنا فلم نألُ.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج، من رواية عوانة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي في كتاب الشورى: قال عوانة، فحدثنا إسماعيل قال: حدثني الشعبي، وذكر خبر الشورى إلى أن قال: فأقبل المقداد بن عمرو والناس مجتمعون فقال: أيها الناس إسمعوا ما أقول أنا المقداد بن عمرو وإنكم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا.

قال عبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومي: أيها الناس إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا.

فقال له المقداد: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون.

فقال له عبد الله: يا بن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجرؤ على الدخول في أمر قريش.

قال الشعبي: وخرج المقداد من الغد فلقي عبد الرحمن بن عوف فأخذ بيده وقال: إن كنت إنما أردت بما صنعت الدنيا فأكثر الله مالك.

فقال عبد الرحمن: إسمع رحمك الله إسمع.

فقال: لا أسمع، والله وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على علي.

فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك.

قال علي: فبمن أقاتل رحمك الله.

قال عوانة، قال إسماعيل، قال الشعبي: فحدثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه جند بن عبد الله الأزدي قال: كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو فسمعته يقول: والله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت، وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً فقال: وما أنت وذاك يا مقداد.

قال المقداد: إني والله أحبهم لحب رسول الله ﷺ، وأني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ﷺ، ثم انتزاعهم سلطانه من أهله.

قال عبد الرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم.

قال المقداد: وأما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد.

فقال عبد الرحمن: ثكلتك أمك لا يسمعن هذا الناس، فإني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد: إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة.

قال: فتربد وجه عبد الرحمن ثم قال: لو أعلم إنك إياي تعني لكان لي ولك شأن.

قال المقداد: إياي تهدد يا بن أم عبد الرحمن، ثم قام عن عبد الرحمن فانصرف «اهـ».

إن كلمات المقداد التي مرت بنا من قبل، لا تصور شجاعته فحسب، بل تصور لنا حكمته الراجحة، وتفكيره العميق...

وكذلك كان المقداد...

كان حكيماً، أريباً، ولم تكن حكمته تعبر عن نفسها في مجرد كلمات، بل هل تعبر عن نفسها في مبادئ نافذة، وسلوك قويم مُطَّرِد. وكانت تجاربه قوتاً لحكمته ورياً لفطنته..

ولّاه الرسول عليه السلام إحدى الإمارات يوماً، فلما رجع سأله النبي ﷺ:

«كيف وجدت الإمارة»...؟

فأجاب في صدق عظيم:

«لقد جعلتني أنظُرُ إلى نفسي كما لو كنت فوق الناس، وهم جميعاً دوني...

والذي بعثك بالحق، لا أتأمَّرن على اثنين بعد اليوم، أبداً».

إذا لم تكن هذه هي الحكمة، فماذا تكون..؟؟

وإذا لم يكن هذا هو الحكيم.. فمن يكون..؟؟

رجل لا يخدع عن نفسه، ولا عن ضعفه.

يلي الإمارة، فيغشى نفسه الزهو والصلف، ويكتشف في نفسه هذا الضعف، فيقسم ليجنبنها مظانه، وليرفضن الإمارة بعد تلك التجربة ويتحاماها.. ثم يبر بقسمه فلا يكون أميراً بعد ذلك أبداً؟

لقد كان دائب التغني بحديث سمعه عن رسول الله... هوذا:

«إن السعيد لمن جنِّب الفتن».

وإذا كان قد رأى في الإماراة زهواً يفتنه، أو يكاد يفتنه، فإن سعادته إذن في تجنبها..

ومن مظاهر حكمته، طول أناته في الحكم على الرجال..

وهذه أيضاً تعلمها من رسول الله.. فقد علمهم ﷺ أن قلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر حين تغلي..

وكان المقداد يرجئ حكمه الأخير على الناس إلى لحظة الموت، ليتأكد أن هذا الذي يريد أن يصدر عليه حكمه لن يتغير ولن يطرأ على حياته جديد.. وأي تغيّر، أو أي جديد بعد الموت..؟؟

وتتألق حكمته في حنكة بالغة خلال هذا الحوار الذي ينقله إلينا أحد أصحابه وجلسائه، يقول:

«جلسنا إلى المقداد يوماً، فمّر به رجل...

فقال مخاطباً المقداد: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ...

والله لوددنا أنَّا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت فأقبل عليه المقداد وقال:

«ما يحمل أحدكم على أن يتمنَّى مشهداً غيَّبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يصير فيه؟ والله، لقد عاصر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله عز وجل على مناخرهم في جهنم... أولاَ تحمدون الله الذي جنَّبكم مثل بلائهم، وأخرجكم مؤمنين بربكم وبنبيكم»...

حكمة... وأية حكمة..!!

إنك لا تلتقي بمؤمن يحب الله ورسوله، إلا وتجده يتمنى لو أنه عاش أيام الرسول ورآه...!

ولكن بصيرة «المقداد» الحاذق الحكيم تكشف البعد المفقود في هذه الأمنية..

ألم يكن من المحتمل لهذا الذي يتمنى لو أنه عاش تلك الأيام.. أن يكون من أصحاب الجحيم..؟

ألم يكن من المحتمل أن يكفر مع الكافرين..؟؟

وأليس من الخير إذن أن يحمد الله الذي رزقه الحياة في عصور استقر فيها الإسلام، فأخذه صفواً عفواً..؟؟

هذه نظرة المقداد، تتألق حكمة وفطنة.. وفي كل مواقفه، وتجاربه، وكلماته، كان الأريب الحكيم.

وكان حب المقداد للإسلام عظيماً..

وكان إلى جانب ذلك، واعياً وحكيماً..

والحب حين يكون عظيماً وحكيماً، فإن يجعل من صاحبه إنساناً علياً، لا يجد غبطة هذا الحب في ذاته.. بل في مسؤولياته..

والمقداد بن عمرو من هذا الطراز..

فحبه الرسول ووصيه ملأ قلبه وشعوره بمسؤولياته من سلامة الرسول، ولم يكن تسمع في المدينة فزعة، إلى ويكون المقداد في مثل لمح البصر، واقفاً على باب رسول الله ممتطياً صهوة فرسه، ممتشقاً مهنّده وحسامه!!

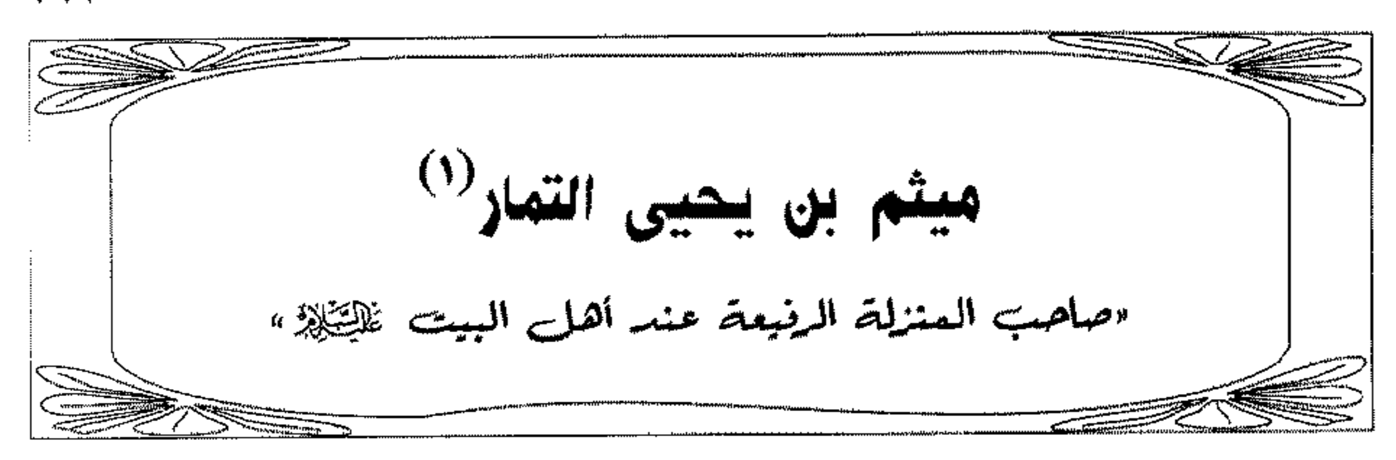
وحبه الإسلام، ملأ قلبه بمسؤولياته عن حماية الإسلام.

مصادره

الأعلام ٨/ ٢٠٨. الاستيعاب ٣/ ٤٧٢. أسد الغاب ٤/ ٤٠٩. الاشتقاق/ ٥٤٩. الإصاب ٣/ ٤٥٤. بهجة الآمال ٧/ ٨٦. تأسيس الشيعة/ ٣٥٥. تاريخ الطبري ١٣/ ١٠. تاريخ الخميس ٢/ ٢٥٨. تحفة الأحباب/ ٣٧٨. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٧. تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٢.

تنقيح المقال ٣/ ٢٤٤. تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٥. جامع الرواة ٢/ ٢٦٢. الجرح والتعديل ٨/ ٤٢٦. جمهرة أنساب العرب/ ٤٤١. خلاصة الأقوال/ ٦٩. الدرجات الرفيعة/ ٢٢١. رجال ابن داود/ ١٩٢. رجال الطوسي/ ٥٧. رجال البرقي/ ١. سفينة البحار ٢/ ٤٠٨. شذرات الذهب ١/ ٣٩. ابن أبي الحديد ١/ ٩٣. ٢٢٠ الفهارس/ ٢٧٨. الطبقات الكبرى ٢/ ١٦١. العقد الفريد ٣/ ٢٩٠ و٥/ ٢٧. ٣٠ و٦/ ١٠٨ و٧/ ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩. الغدير ١/ ٥٩، ١٦٤، ٢٠٠، ٣٨٦ الفهارس/ ٣٠٧. الغارات ١/ ٣٧١ و٢/ ٨٢٨. الفوائد الرجالية ٢/ ١٦٨. قاموس الرجال ٩/ ١١١. الكامل في التاريخ ٢/ ٧٣، ١١١، ١١٨، ١٢٠، ١٥٢، ١٩٠، ٢٩٠، ٤٩٢. اللباب ١/ ٥٢٠. مجمع الرجال ٦/ ١٣٥. مرآة الجنان ١/ ٨٩. المعارف/ ١١٣. معجم الثقات/ ١٢٣. معجم رجال الحديث ٣/ ٢١١ و١٨/ ٣١٣. منتهى لمقال/ ٣١٣. مجالس المؤمنين ١/ ٢٠٣. النجوم الزاهرة ١/ ٢٠، ٩١. نقد الرجال/ ٣٥٣. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤٣٨. وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٧ و٧/ ٢١٦





ميثم بن يحيى التمار[1]

«صاحب المنزلة الرفيعة عند أهل البيت عليهم السلام»

خطيب الشيعة بالكوفة ومتكلمها، قال لابن عباس: سلني ما شئت من تفسير القرآن، فإني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام، وعلمني تأويله، وكان محبوساً عند قتل مسلم بن عقيل (ذكره ابن نما)[2].

وكان ميثم عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه علي عليه السلام منها وأعتقه، وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم سلمة رضوان الله عليها فقالت له: من أنت.

قال: عراقي فاستنسبته، فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب.

فقالت: أنت هيثم.

قال: بل أنا ميثم.

فقالت: سبحان الله والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي عليه السلام فقالت: هو في حائط له.

---

(١) أعيان الشيعة ج١٥ ص٩٢، ح١٠٥٢٥.

(٢) هو ميثم بن يحيى التمّار الأسدي أبو سالم، جليل من أصحاب أمير المؤمنين، والحسن، والحسين عليهم السلام. كان عبداً لامرأة فاشتراه عليّ عليه السلام وأعتقه، نال منزلةً رفيعةً من العلم بفضل باب العلم النبوي حتى وُصف بأنّه أُوتي علم المنايا والبلايا.
كان الإمام عليه السلام قد أخبره بكيفيّة استشهاده وما يلاقيه في سبيل الله. وقد نطق ميثم بهذه الحقيقة العظيمة الواعِظة أمام قاتله الجلاّد الجائر، وأكّد حتميّة تحقّق تلك النبوءة الإعجازيّة بصلابةٍ تامّةٍ.
إنّ رسوخه على طريق الحقّ، وثباته في الدفاع عن الولاية، ومنطقه البليغ في تجلية الحقائق.
كلّ ذلك قد استبان مراراً في كلمات الأئمة عليهم السلام وذكرته أقلام العلماء ممّا سنقف عليه لاحقاً. =

. . . .

= قتله عبيد الله بن زياد قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بأيّام.

الإرشاد: إنّ ميثم التمّار كان عبداً لامرأة من بني أسدٍ، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك؟ قال: سالم. قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ اسمك الذي سمّاك به أبوَاك في العجم ميثم. قال: صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنّه لاسمي. قال: فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً. فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم.

فقال له عليّ عليه السلام ذات يوم: إنّك تؤخذ بعدي فتُصلب وتُطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فيخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، وتُصلب على باب دار عمرو بن حُريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبةً وأقربهم من المطهرة، وامضِ حتى أُريك النخلة التي تصلب على جذعها. فأراه إيّاها. فكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركتِ من نخلة، لكِ خُلقتُ ولي غُذّيتِ. ولم يزل يتعاهدها حتى قُطِعت وحتى عرف الموضع الذي يُصلب عليها بالكوفة. قال: وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إنّي مجاورك فأحسن جواري. فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟ وهو لا يعلم ما يريد. وحجّ في السنة التي قُتل فيها، فدخل على أُمّ سلمة رضي الله عنها، فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم. قالت: والله لربّما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك عليّاً في جوف الليل. فسألها عن الحسين، قالت: هو في حائط له.

قال: أخبريه أنّي قد أحببت السلام عليه، ونحن مُلتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله. فدعت له بطيبٍ فطيّبت لحيته، وقالت له: أما إنّها ستُخضَبُ بدمٍ.

فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأُدخل عليه فقيل: هذا كان من آثر الناس عند عليّ. قال: ويحكم هذا الأعجمي؟! قيل له: نعم. قال له عبيد الله: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد لكلّ ظالم وأنت أحد الظلمة. قال: إنّك على عُجمتك لتبلغ الذي تريد، ما أخبرك صاحبك أنّي فاعل بك؟ قال: أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبةً وأقربهم من المطهرة. قال: لنخالفنّه.

قال: كيف تُخالفه؟! فوالله ما أخبرني إلاّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء!؟ ولقد عرفت الموضع الذي أُصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام. فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد، فقال ميثم التمّار للمختار: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا. فلمّا دعا عبيدالله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله فخلاّه، وأمر بميثم أن يصلب، فأُخرج فقال له رجل لَقِيَه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسّم وقال وهو=

. . . .

=يومىء إلى النخلة: لها خُلقت ولي غُذّيت، فلمّا رُفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث. قال عمرو: قد كان والله يقول: إنّي مجاورك. فلمّا صُلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره[1]، فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد. فقال: ألجموه. فكان أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام. وكان مقتل ميثم رحمة الله عليه قبل قدوم الحسين بن عليّ عليه السلام العراق بعشرة أيّام، فلمّا كان يوم الثالث من صلبه، طُعن ميثم بالحربة، فكبّر ثمّ انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً.

رجال الكشّي عن حمزة بن ميثم: خرج أبي إلى العمرة، فحدّثني قال: استأذنت على أُمّ سلمة رحمة الله عليها، فضربت بيني وبينها خدراً، فقالت لي: أنت ميثم؟ فقلت: أنا ميثم. فقالت: كثيراً ما رأيت الحسين بن عليّ، ابن فاطمة صلوات الله عليهم يذكرك. قلت: فأين هو؟ قالت: خرج في غنم له آنفاً. قلت: أنا والله أكثر ذكره فاقرئيه السلام فإنّي مبادر. فقالت: يا جارية اخرجي فادهنيه، فخرجت فدهنت لحيتي ببان. فقلت: أما والله لئن دهنتها لتخضبنّ فيكم بالدماء. فخرجنا فإذا ابن عبّاس رحمة الله عليهما جالس، فقلت: يا بن عبّاس سلني ما شئت من تفسير القرآن، فإنّي قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلّمني تأويله. فقال: يا جارية الدواة وقرطاساً، فأقبل يكتب. فقلت: يا بن عبّاس، كيف بك إذا رأيتني مصلوباً تاسع تسعة أقصرهم خشبةً وأقربهم بالمطهرة.

فقال لي: وتكهن أيضاً خرق الكتاب. فقلت: مه احتفظ بما سمعت منّي فإن يك ما أقول لك حقّاً أمسكته، وإن يك باطلاً خالفته. قال: هو ذاك.

فقدم أبي علينا فما لبث يومين حتى أرسل عبيد الله بن زياد، فصلبه تاسع تسعة أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة، فرأيت الرجل الذي جاء إليه ليقتله وقد أشار إليه بالحربة، وهو يقول: أما والله لقد كنت ما علمتك إلاّ قوّاماً، ثمّ طعنه في خاصرته فأجافه فاحتقن الدم فمكث يومين، ثمّ إنّه في اليوم الثالث بعد العصر قبل المغرب انبعث منخراه دماً، فخضبت لحيته بالدماء.

خصائص الأئمّة عليهم السلام عن ابن ميثم التمّار: سمعت أبي يقول: دعاني أمير المؤمنين عليه السلام يوماً فقال لي: يا ميثم كيف أنت إذا دعاك دعيّ بني أُميّة عبيد الله بن زياد إلى البراءة منّي؟ قلت: إذاً والله أصبر، وذاك في الله قليل.

قال: يا ميثم، إذاً تكون معي في درجتي. =

---

(١) أجمرت الثوب وجمرته إذا بخرته بالطيب (النهاية: ١/ ٢٩٣).

قال: أخبريه إني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيبت لحيته فقال لها: أما أنها ستخضب بدم.

فقالت: من أنبأك هذا.

قال: أنبأني سيدي.

فبكت أم سلمة وقالت له: أنه ليس بسيدك وحدك وهو سيدي وسيد المسلمين، ثم ودعته فقدم الكوفة، فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب.

=وكان ميثم يمرّ بعريف قومه فيقول: يا فلان، كأنّي بك قد دعاك دعيّ بني أُميّة وابن دعيّها فيطلبني منك، فتقول هو بمكّة، فيقول: لا أدري ما تقول، ولا بدّ لك أن تأتي به، فتخرج إلى القادسيّة فتقيم بها أيّاماً، فإذا قدمتُ عليك ذهبتَ بي إليه حتى يقتلني على باب دار عمرو بن حريث، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر من منخري دم عبيط. قال: وكان ميثم يمرّ في السبخة بنخلة فيضرب بيده عليها، ويقول: يا نخلة ما غذّيتِ إلاّ لي، وكان يقول لعمرو بن حريث: إذا جاورتك فأحسن جواري، فكان عمرو يرى أنّه يشتري عنده داراً أو ضيعةً له بجنب ضيعته، فكان عمرو يقول: سأفعل. فأرسل الطاغية عبيد الله بن زياد إلى عريف ميثم يطلبه منه، فأخبره أنّه بمكّة، فقال له: إن لم تأتني به لأقتلنّك فأجّله أجلاً، وخرج العريف إلى القادسيّة ينتظر ميثماً، فلمّا قدم ميثم أخذ بيده فأتى به عبيد الله بن زياد، فلمّا أدخله عليه، قال له: ميثم؟ قال: نعم. قال: إبرأ من أبي تراب. قال: لا أعرف أبا تراب. قال: إبرأ من عليّ بن أبي طالب. قال: فإن لم أفعل؟ قال: إذاً والله أقتلك. قال: أما إنّه قد كان يقال لي إنّك ستقتلني، وتصلبني على باب عمرو بن حريث، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر من منخري دم عبيط. قال: فأمر بصلبه على باب عمرو بن حريث. فقال للناس: سلوني، سلوني - وهو مصلوب - قبل أن أموت، فوالله لأُحدثنكم ببعض ما يكون من الفتن، فلمّا سأله الناس وحدّثهم، أتاه رسول من ابن زياد - لعنه الله - فألجمه بلجام من شريط، فهو أوّل من أُلجم بلجام وهو مصلوب، ثمّ أنفذ إليه من وَجأ جوفه حتى مات، فكانت هذه من دلائل أمير المؤمنين عليه السلام.

رجال الكشّي عن سدير عن أبيه أبي حكيم: اجتمعنا سبعة من التمّارين فاتّعدنا لحمله فجئنا إليه ليلاً والحرّاس يحرسونه، وقد أوقدوا النار فحالت بيننا وبينهم، فاحتملناه بخشبته حتى انتهينا به إلى فيض من ماء في مراد فدفناه فيه، ورمينا بخشبته في مراد في الخراب، وأصبح فبعث الخيل فلم يجد شيئاً.

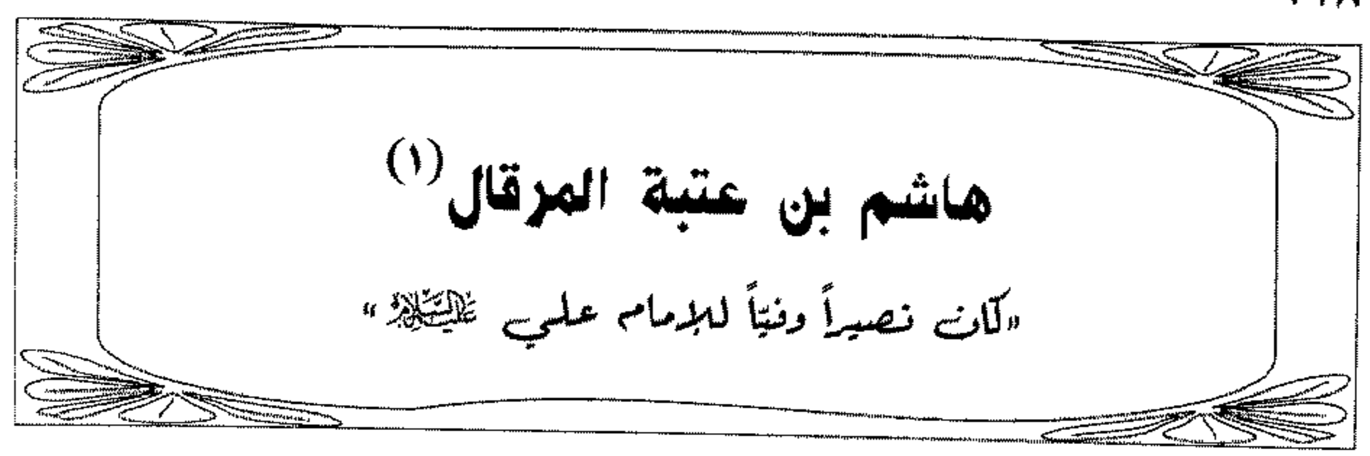
قال: ويحكم هذا الأعجمي فحبسه ابن زياد وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتخلية سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع، فأمضى شفاعته وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد فوافى البريد وقد أخرج ليضرب عنقه فأطلق، وأما ميثم فأخرج بعده ليصلب، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم ومخازي بني أمية وهو مصلوب على الخشبة فقيل: لابن زياد قد فضحكم هذا العبد.

فقال: ألجموه فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه، وفمه دماً، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات، وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام.

مصادره:

الإصابة ٣/ ٥٠٤.. الأعلام ٨/ ٢٩٤. الأنساب/ ١٠٩٢. بهجة الآمال ٢/ ٢٦ و٧/ ١٢٣. تأسيس الشيعة/ ٢٨٣، ٣٥٥. تحفة الأحباب/ ٣٨٢. تنقيح المقال ٣/ ٢٦٢. تهذيب المقال ٣/ ٢٠٦. جامع الرواة ٢/ ٢٨٤. رجال ابن داود/ ١٩٤. رجال الطوسي/ ٥٨. رجال الكشي/ ٧٩. رجال البرقي/ ٤. سفينة البحار ٢/ ٥٢٤. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٢٩١ . ٢٩٤ و٧/ ١٦٦. الغارات ١/ ٦٢ و٢/ ٤١٣، ٧٩٤، ٧٩٦ . ٨٠١، ٨٤٣، ٩١٠. قاموس الرجال ٩/ ١٦٤. الكنى والألقاب ٣/ ٢١٧. اللباب ٣/ ٢٨١. مجمع الرجال ٦/ ١٦٤. معجم الثقات/ ٣٥١. معجم رجال الحديث ١٩/ ٩٤. المناقب ٣/ ٣٠٦. منتهى المقال/ ٣١٧. مجالس المؤمنين ١/ ٣٠٦. نقد الرجال/ ٣٥٩.





هاشم بن عتبة المرقال[1]

"كان نصيراً وفياً للإمام علي عليه السلام"

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ابن أخي سعد بن أبي وقاص الزهري الملقب: بالمرقال.

قتل في صفين.

ويبدو أن هاشماً كان صغيراً أيام الرسول، أو كان واقفاً على عتبات البلوغ، مما جعل اسمه لا يذكر في الغزوات مع الرسول، وبخاصة أنه أسلم في عام الفتح، وحتى في حروب الردَّة لم يكن له شأن يذكر، ولكن بتتبع مسيرة خالد بن الوليد في حروب الردة، ومنها السفر إلى العراق، ثم إرسال أبي بكر إليه أن يتوجه بنصف الجيش إلى الشام، ثم عودة ذلك الجيش إلى العراق مرة أخرى بأمر من عمر بن الخطاب، وأن يكون بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، نتبين أن هاشماً كان من الفرسان المقاتلين مع خالد في حروبه بالعراق، ورحلته إلى الشام[2].

---

(١) أعيان الشيعة ج١٥ ص١٧٣، ح١٠٦٧٨.

(٢) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المِرْقَالُ، يكنى أبا عمرو، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص العارف السليم القلب، وأسد الحروب الباسل. كان من الفضلاء الخيار وكان من الأبطال البُهم[1]. من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الكبار، وكان نصيراً وفيّاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الشجعان الأبطال.

أسلم يوم الفتح. وذهبت إحدى عينيه في معركة اليرموك.

ثمّ سارع إلى نصرة عمّه سعد بن أبي وقاص. وتولّى قيادة الجيش في فتح (جَلَوْلاء). لُقِّب بالمِرقال لطريقته الخاصّة في القتال وفي هجومه على العدو. =

---

(١) البهمة بالضم: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يدري من أين يُؤتى له من شدَّة بأسه، والجمع بُهَم (لسان العرب: ١٢/ ٥٨).

ثم تولى رياسة فرقة من الفرسان في معركة اليرموك، التي تعد أكبر الفتوح في حروب الشام، وكان وسامُه في هذه المعركة أن فُقِئت عينه، فصار أعور، واستمر بعد ذلك في جيش خالد حين فتح دمشق، ثم عاد هاشم قائداً على من كان خالد بن الوليد قائداً عليهم، متوجهاً هاشمٌ بهم إلى معركة «القادسية» التي كان يقودها عمه سعد بن أبي وقاص.

= شهد معركة الجمل وصفّين. وإنّ ملاحمه، وخطبه في بيان عظمة الإمام عليّ عليه السلام، وكشفه ضلال الأمويّين وسيرتهم القبيحة، كلّها كانت دليلاً على عمق تفكيره، ومعرفته الحقّ. وثباته عليه. دفع الإمام عليّ عليه السلام رايته العظمى إليه يوم صفّين. وتولّى قيادة رجّالة البصرة يومئذٍ. استُشهد في صفّين عند مقاتلته كتيبة أمويّة بقيادة «ذو الكلاع». وأثنى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على شجاعته وشهامته وثباته وكياسته.

الاستيعاب عن أبي عمر: أسلم هاشم بن عتبة يوم الفتح، يعرف بالمرقال، وكان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال البُهَم، فُقِئت عينه يوم اليرموك، ثمّ أرسله عمر من اليرموك مع خيل العراق إلى سعد، كتب إليه بذلك، فشهد القادسيّة، وأبلى بها بلاءً حسناً وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد، وكان سبب الفتح على المسلمين. وكان بُهْمَة من البُهم فاضلاً خيّراً. وهو الذي افتتح (جلولاء)، فعقد له سعد لواءً ووجّهه، وفتح الله عليه (جلولاء) ولم يشهدها سعد.

المستدرك على الصحيحين عن محمّد بن عمر: كان [هاشم بن عتبة] أعور، فقئت عينه يوم اليرموك.

الإصابة عن المرزباني: لمّا جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة، قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأُمّة عليّ. فقال: لا تعجل. فوضع هاشم يده على الأخرى، فقال: هذه لعليّ وهذه لي، وقد بايعت عليّاً، وأنشد:

[البحر الوافر]

أبايع غيرَ مكترثٍ عليّاً ولا أخشى أميراً أشعريّا
أبايعه وأعلم أن سأُرضي بذاك الله حقّاً والنبيّا

الإمام عليّ عليه السلام: وقد أردتُ تولية مصرَها هاشمَ بن عُتبة، ولو ولّيته إيّاها لما خلّى لهم العرصة، ولا أنهزهم الفرصة، بلا ذمّ لمحمّد بن أبي بكر، ولقد كان إليّ حبيباً، وكان لي ربيباً.

عنه عليه السلام: رحم الله محمّداً، كان غلاماً حدثاً، أما والله لقد كنت أردت أن أُولّي المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص مصر، والله لو أنّه وليها لما خلّى لعمرو بن العاص وأعوانه العرصة، ولما قُتل إلاّ وسيفه في يده.

وأدرك بجيشه جيوش المسلمين، فكان مدداً عظيماً له شأنه في تقوية نفوس المجاهدين، حتى لقد قال من ترجموا له: أنه أبلى في القادسية بلاء حسناً، وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد وكان سبب الفتح على المسلمين.

ففي الحروب المشهورة التي دارت رحاها في الفتوحات الإسلامية: موقعة اليرموك، وفتح «دمشق» بالشام، ومعركة «القادسية»، والاستيلاء على «مدائن كسرى» بالعراق وفارس. ثم في موقعة «الجمل»، ومعركة «صِفِّين»، كل هذه اشترك فيها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الملقب: «بالمرْقال»، وكلمة «مِرْقال» لُقِّب بها لأنه كان يُرْقِل في الحرب، أي يسرع.

وكان اشتراكه في كل هذه الحروب رئيساً على فرقة من الخيالة، أو قائداً لجماعات كثيرة، وانفرد هو بأن كان قائداً أعلى لمعركة «جلولاء».

وأقام سعد بن أبي وقاص بالمدائن، فجاءته الأخبار بأن فلول الفرس قد توقفت عند «جلولاء» وأنهم اجتمع إليهم خلق كثير، وجَمٌ غفير، وسار «يزدجرد» إلى «حُلْوان». . ببلاد فارس، وهي غير حلوان التي تقرب من القاهرة.

وصار «يزدجرد» يجمع من أنحاء مختلفة جيوشاً كثيرة، لتقف أمام المسلمين، وتحمي بقية فارس من زحفهم.

فأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يخبره بذلك.

فكتب إليه عمر يطلب منه أن يقيم هو بالمدائن، وأن يبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى جيوش كسرى في «جلولاء» وعَيّن له جماعة من فرسان المسلمين يكونون معه.

فبعث سعد مع ابن أخيه جيشاً يقارب اثني عشر ألفاً، فيهم بعض من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب.

وكانت جيوش الفرس بجلولاء قد حفرت الخنادق حولها، فحاصرهم هاشم بن عتبة، وكانوا يخرجون من البلد للقتال، فيقاتلون قتالاً شديداً لم يسمع مثله، وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد، وكذلك كان سعد بن أبي وقاص يبعث مدداً إلى ابن أخيه مرة بعد أخرى. والقتال يشتد، وقام هاشم في الناس فخطبهم

أكثر من مرة، فحرضهم على القتال، والتوكل على الله ثم يقول: إن هذا المنزل منزل له ما بعده، ويقول لهم: «أَبْلُوا الله بلاءً حسناً يُتِمُّ لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله».

أما الفرس فقد تعاقدوا وتعاهدوا، وحلفوا بالنار التي يعبدونها أنهم لن يفروا أبداً حتى يفنوا العرب، ولهذا شهدت (جلولاء) معارك لم يسبق لها مثيل في الهجوم والدفاع والاستبسال، وأخيراً أذن الله بالنصر، فبعد حوالي ثمانين معركة، في أيام مختلفة، انتصر المسلمون، واقتحموا الخندق، من الطريق الذي كان يخرج منه جيش الفرس ليقاتل المسلمين، وأصاب الله المشركين بالذعر، فاندفعوا متفرقين، يحاولون الهرب، فكانت خنادقهم سبباً في هلاك كثير منهم، إذ تساقطوا فيها أكداساً، وكانوا أيضاً قد بذروا في الأرض عند الخندق من جهتهم قطعاً من جديد، لها أسنان كالمسامير لتصيب خيل المسلمين إذا هم استطاعوا أن يجتازوه بمعابر في ساعة غفلة، فكانت هذه المسامير سبباً في إصابة كثير من خيل الفرس، وهي تتجه هاربة بعد الهزيمة بمن عليها، فيتساقطون تحت أقدامها صرعى، حينما تكبو بهم وهي مندفعة في هربهم، وفتح الله جلولاء، وكانت هي الضربة القاضية على آل الفرس في الوقوف أمام المسلمين، ولهذا سميت وقعة: «جلولاء فتح الفتوح»، قيل: إنه قتل فيها من الفرس حوالي مائة ألف، وظفر المسلمون بغنائم لا تحصى.

وكان بين فتح المدائن وفتح (جلولاء) حوالي تسعة أشهر.

وقال في ذلك هاشم بن عتبة:

[البحر الرجز المجزوء]

يَوْمُ جلولاءَ ويَوْمُ رُسْتَمْ ... ويومُ زَحْفِ الكوفةِ المُقَدَّمْ
ويَوَمِ عَرْضِ النَّهَرِ المُحَرَّمْ ... مِن بَيْنِ أيامٍ خَلَوْنَ صُرَّمْ
شَيَّبْنَ أصداغي فهُنْ هُرَّمْ ... مِثْلُ ثَغَامِ البَلَدِ المُحَرَّمْ

وذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين، أنه لما أراد علي عليه السلام المسير إلى صفين دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار فخطبهم واستشارهم، فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبيرهم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يبقون جهداً مشاحة على الدنيا وضنّاً بما في أيديهم منها، وليس لهم أربة غيرها إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان، كذبوا ليس بدمه يثأرون ولكن الدنيا يطلبون فسر بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال وإن أبوا إلا الشقاق فذلك الظن بهم، والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى ويسمع إذا أمر.

وذكر نصر أيضاً: أن زياد بن النضر الحارثي قال لعبد الله بن ورقاء الخزاعي لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى صفين: أن يومنا ويومهم ليوم عصيب ما يصبر عليه إلا كل مشيع القلب الصادق النية رابط الجأش، وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقي منا ومنهم إلا الرذال.

قال عبد الله بن بديل: وأنا والله أظن ذلك.

فقال علي: ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكل آتية منيته كما كتب الله له فطوبى للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في طاعته، فلما سمع هاشم بن عتبة مقالتهم، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحرموا حلاله، واستولاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناهم الأماني حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة انجازنا موعود ربنا، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحماً، وأفضل الناس سابقة وقدماً، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذي علمنا ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الأهواء، وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا بنورك جذلة على من خالفك وتولى الأمر دونك، والله ما أحب أن لي ما في الأرض مما أقلت وما تحت السماء مما أظلت وأني واليت عدواً لك أو عاديت ولياً لك.

فقال علي: اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمرافقة لنبيك ﷺ.

وقال نصر: دعا علي هاشم بن عتبة ومعه لواؤه وكان أعور فقال له: يا هاشم حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء.

فقال هاشم: لأجهدن أن لا أرجع إليك أبداً.

قال علي: إن بإزائك ذا الكلاع وعنده الموت الأحمر، فتقدم هاشم فلما أقبل قال معاوية: من هذا المقبل.

فقيل: هاشم المرقال.

فقال: أعور بن زهرة قاتله الله، وقال: أن حماة اللواء ربيعة فأجيلوا القداح فمن خرج سهمه عبيته لهم فخرج سهم ذي الكلاع بكر بن وائل.

فقال: ترحك اللهم من سهم وكان جل أصحاب علي أهل اللواء من ربيعة، لأنه أمر حماة منهم أن يحاموا عن اللواء فأقبل هاشم وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أعور يبغي نفسه خلاصا مثل الفنيق لابساً دلاصا
قد جرب الحرب ولا أناصا لادية يخشى ولا قصاصا
كل امرىء وإن كبا وحاصا ليس يرى من موته مناصا

وحمل صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

يا أعور العين وما بي من عورْ أثبت فإني لست من فرعي مضرْ
نحن اليمانون وما فينا خورْ كيف ترى وقع غلام من عذرْ
ينعى ابن عفان ويلحى من غدرْ سيان عندي من سعى ومن أمرْ

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله.

وقال نصر في كتاب صفين: إن معاوية لما تعاظمت عليه الأمور بصفين جمع خواص أصحابه فقال لهم: إنه قد غمني رجال من أصحاب علي، وعد منهم: المرقال وهم خمسة، وعبأ لكل واحدٍ رجلاً من أصحابه، فكان عمرو بن العاص بإزاء المرقال فخرج عمرو وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

لا عيش إن لم ألق يوماً هاشما ذاك الذي أقام لي المآتما
ذاك الذي يشتم عرضي ظالما ذاك الذي إن يَنْجُ مني سالما
يكنْ شجاً حتى الممات لازما

فطعن في أعراض الخيل مزبداً فحمل هاشم وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

لا عيش إن لم ألق يومي عمرا ذاك الذي أحدث فينا الغدرا
أو يحدث الله لأمر أمرا لا تجزعي يا نفس صبراً صبرا
ضرباً مداريك وطعناً شزرا يا ليت ماتحتي يكون قبرا

فطعن عمراً حتى رجع واشتد القتال وانصرف الفريقان ولم يسر معاوية ذلك.

وفي كتاب لباب الآداب: أمد عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص في حرب القادسية بجيش عليه هاشم بن عتبة المرقال، فوصلهم والعسكران متوافقان المسلمون ورستم، فوقف هاشم مقابل موكب منهم ثم أخذ سهماً فوضعه في قوسه ورماهم، فوقع سهمه في أذن فرسه فخلها فضحك.

وقال: واسواتاه من رمية رجل كل من ترى ينتظره أين ترون كان سهمي بالغاً لو لم يصب إذن الفرس.

قالوا: العتيق وهو نهر خلف ذلك الموكب فنزل عن فرسه ثم سار يضربهم بسيفه حتى أوصلهم العتيق ثم رجع إلى موقفه.

وأنشد الشيخ شرف الدين الدمياطي في أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب لعبد الله بن زيد الهلالي:

[البحر الرجز المجزوء]

ما أنجبت نجيبة من فحلِ بجبل نعلمه أو سهلِ
كسته من بطن لأم الفضلِ زوجة عم المصطفى ذي الفضلِ
خاتم الأنبياء وخير الرسلِ أكرم بها من كهلة وكهلِ

وقالوا: الفحل يحمي شوله معقولاً: والشول تقدم في باب الشين المعجمة أنها النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة والشول جمع على غير قياس ومعقولاً لا نصب على الحال أي أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ أهله وحريمه، وإن كانت به علة وقد تمثل بذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاس أخي سعد بن أبي وقاص حين فقئت عينه باليرموك، وهو الذي افتتح (جلولاء) وكانت (جلولاء) تسمى (فتح الفتوح)، وبلغت غنائمها ثمانية عشر ألفاً، وشهد صفين مع علي، وكانت معه الراية وهو على الرجالة وقتل يومئذٍ وهو يقول:

[البحر الرجز المجزوء]

أعور يبغي أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا

لا بد أن يفل أو يفلا

فقطعت رجله يومئذٍ وهو يقاتل من دنا منه، وهو بارك يقول:

الفحلّ يحمل شوله معقولا

وفيه يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه:

[البحر الرجز المجزوء]

يا هاشم الخير جزيت الجنَّهْ قاتلت في الله عدو السنَّهْ

مصادره

أخبار شعراء الشيعة/ ٣٥. الأخبار الطوال/ ١٢٠، ١٢١، ١٤٤، ١٧١، ١٧٤، ١٨٣. الاستيعاب ٣/ ٦١٦. أسد الغابة ٥/ ٤٩. الاشتقاق/ ١٥٣، ١٥٤. الإصابة ٣/ ٥٩٣. أعلام نهج البلاغة/ ٤٩. أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٤. الأعلام ٩/ ٤٩. البداية والنهاية ٧/ ٢٦٢، ٢٧٠. تاريخ الطبري ٦/ ٢٣ وج١٣/ ١٣. تاريخ بغداد ١/ ١٩٦. تقريب التهذيب ٢/ ٣١٤. تنقيح المقال ٣/ ٢٨٨. تهذيب التهذيب ١١/ ٢٠. جامع الرواة ٢/ ٣١٠. الجرح والتعديل ٩/ ١٠٣. جمهرة أنساب العرب/ ١٢٩. الجمل أو النصرة في حرب البصرة/ ١٣، ١٧٢. خلاصة الأقوال/ ١٧٩. الدرجات الرفيعة/ ٣٧٥. رجال ابن داود/ ١٩٩. رجال الطوسي/ ٦١. سفينة البحار ١/ ٧٢٠. شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٨٨ و٣/ ١٧٢، ٢١٣ و٤/ ٢٧ و٦/ ٥٣ و٨/ ١٠ و١٠/ ١٠٤ و١٤/ ٨. ١٠. الطبقات الكبرى ٣/ ٢٦٢. العقد الفريد ٥/ ٦٩، ٨٣. الغارات ١/ ٣٠١. الغدير ١/ ٦٠، ١٦٤، ١٨٩، ١٩٠. الفهارس/ ٣٢٩. قاموس الرجال ٩/ ٢٢٨. الكامل

في التاريخ ٢/ ٤٧٦ . ٤٧٨، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٢٠، ٥٢٥، ٣٣ذ، و٣/ ٨٢ . ٣١٤. الكنى والألقاب ٣/ ١٧٢. مجمع الرجال ٦/ ٢١١. مرآة الجنان ١/ ١٠١. مروج الذهب ٢/ ٣٨٧. معجم الثقات/ ٣٥٤. معجم رجال الحديث ١٩/ ٢٤٥. المناقب ٣/ ١٦٨. منتهى المقال/ ٣٢٣. مجالس المؤمنين ١/ ٢٦٩. النجوم الزاهرة ١/ ١١٢. نقد الرجال/ ٣٦٧. وقعة صفّين/ ٩٢، ١١٢، ١٥٤، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٥٨، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٤٨. ٣٥٣. ٣٥٩، ٤٢٦. ٤٢٨، ٤٣١، ٤٥٥.



الفهرس

مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٥
تحليل في طبقات عماله ١٠
أبو قتادة بن ربعي الأنصاري ١٤
الخلاف في وفاته ١٤
الخلاف في اسمه ١٥
أقوال العلماء فيه ١٦
الأصبغ بن نباتة ١٨
أقوال العلماء فيه ١٨
من ثقاة الإمام علي عليه السلام ٢١
لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة ٢١
من ذخائر الإمام علي عليه السلام ٢٢
خضب سيفه ورمحه دماً ٢٢
أويس القرني ٢٤
من الزهاد الثمانية ٢٤
موضع وفاته ٢٥
حليته ٢٦
الأصفياء الأخفياء الأبرياء ٢٧
أقوال العلماء فيه ٢٧
أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام؟ ٢٩
خير التابعين ٣٠
بعض ما روي في حقه ٣١
جملة مما روي من أخباره ٣٣
شهوده صفين وشهادته وأنه من خير التابعين ٣٨
ما جاء عنه من المواعظ والحكم ٣٩
ثابت بن قيس بن الشماس الخزرجي ٤٢
جابر بن عبد الله الأنصاري السلمي الخزرجي ٤٦
نسبه ٤٦
وفاته ومدة عمره ٤٦

أمه ٤٧
كنيته ٤٧
حليته ٤٧
أقوال العلماء فيه ٤٨
شيء من سيرته ٥٥
بعض ما روي من طريق جابر ٥٩
بعض ما روي عن جابر من الحكم ٦٠
التمييز ٦٠
جارية بن قدامة السعدي ٦٢
أقوال العلماء فيه ٦٢
أخباره ٦٧
كتابه عليه السلام لأهل البصرة ٦٩
كتاب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام ٧٢
خروج الأشهب بن بشر ٧٢
بسر بن أبي أرطأة ٧٣
كان من المخلصين في ولائه لعلي عليه السلام ٧٤
قصته مع معاوية ٧٥
قدوم جارية على علي عليه السلام ٧٦
أشعاره ٧٧
جعدة بن هبيرة المخزومي ٧٩
أقوال العلماء فيه ٧٩
من أحب الناس إلى علي عليه السلام ٧٩
أخباره ٨٣
أبو ذر الغفاري ٨٧
الخلاف في اسمه ٨٧
نسبته ٩٢
أمه ٩٣
صفته ٩٤
خبر إسلامه ٩٤
مؤاخاته ٩٦

أقوال العلماء فيه ٩٦
ما ورد فيه من الروايات ١٠٢
زهده ١٠٦
عبادته: التفكر ١١١
شدة خوفه من الله ١١٢
بعض فتاواه ١١٣
موالاته لعلي عليه السلام ١١٣
بعض أخباره ١١٤
خبره في غزوة تبوك ١١٥
ما روي عنه من الأخبار ١١٦
ما رواه من المواعظ والحكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ١١٧
وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر ١١٨
مواعظه وحكمه ١٤٢
كلامه لمّا مات ابنه ١٤٦
نفيه إلى الشام ١٤٧
سبب نفيه إلى الشام ١٤٨
نفيه من الشام إلى المدينة ١٥٣
نفيه من المدينة إلى الربذة ١٥٦
كتابه إلى حذيفة بن اليمان يشكو إليه ما فعل به ١٦٤
جواب حذيفة له ١٦٥
كيفية وفاته ١٦٦
جندب بن زهير ١٧٤
جنادب الأزد أربعة ١٧٤
أهو صحابي أم تابعي ١٧٥
من هو قاتل الساحر ١٧٥
أقوال العلماء ١٧٦
خبر تسييره وأصحابه إلى الشام ١٧٩
أخباره بصفين ١٨١
جند بن عبد الله الأزدي ١٨٤
أقوال العلماء فيه ١٨٦

جويرية بن مسهر العبدي ١٨٨
الحارث الأعور الهمداني ١٩١
وفاته وكيفية دفنه ١٩١
نسبته ١٩١
نسبه ١٩٣
أقوال العلماء فيه ١٩٤
من خواص أمير المؤمنين عليه السلام ١٩٤
حب علي عليه السلام ١٩٥
منزلته عند الإمام علي عليه السلام ١٩٦
أخباره ١٩٧
بعض ما روي من طريقه ٢٠١
حبة البجلي العرني ٢٠٢
نسبه ٢٠٢
أقوال العلماء فيه ٢٠٣
هل هو تابعي أم صحابي ٢٠٥
مما روي من طريقه ٢٠٦
حجر بن عدي ٢١٠
صفته ٢١٦
أقوال العلماء فيه ٢١٦
مجمل أحواله المستفادة مما تقدم ٢٢٠
رئاسته وشجاعته ٢٢١
إباء نفسه ٢٢١
عبادته ٢٢١
زهده ٢٢١
معرفته بالله تعالى ٢٢١
تسليمه لأمر الله تعالى ٢٢١
طاعته لله تعالى ٢٢٢
مقاومته للظلم ٢٢٢
هو صحابي لا تابعي ٢٢٣
أخباره يوم الجمل ٢٢٤

أخباره بصفين ٢٢٥
حجر الخير وحجر الشر ٢٢٦
كلامه يوم غارة الغامدي على الأنبار ٢٢٩
خبره مع الضحاك بن قيس ٢٢٩
هرب الضحاك ٢٢٩
الضحاك على منبر الكوفة ٢٣٠
أخباره عند حرب الخوارج ٢٣١
كلامه بعد وقعة النهروان ٢٣١
خبره ليلة قتل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٣١
أخباره مع الحسن عليه السلام ٢٣٢
من أخباره مع معاوية ٢٣٢
مقتله والسبب فيه ٢٣٢
خبره مع المغيرة بن شعبة ٢٣٣
خبره مع زياد بن سمية وسبب قتله ٢٣٤
ما جرى لحجر بعد مجيئه إلى زياد ٢٤٤
الشهادة على حجر من وجوه الكوفة ٢٤٥
أسماء الشهود ٢٤٦
كتاب زياد إلى معاوية في حجر وأصحابه ٢٤٩
رأي معاوية في ذلك ٢٥٠
كتاب شريح إلى معاوية ٢٥١
كتاب معاوية إلى زياد ٢٥١
أقوال في حجر ٢٥٢
ما قاله حجر حين حمل إلى عذراء ٢٥٣
كيفية قتل حجر رضوان الله عليه وولده ٢٥٥
عدد أصحاب حجر المأخوذين معه وأسماؤهم ٢٦٢
أسماء من قتل منهم ٢٦٤
صفة مشهدهم بعذراء ٢٦٥
المشهد المنسوب إليهم بمحلة مسجد القصب ٢٦٦
أسماء من سلم منهم ٢٦٧
ما قاله أصحاب حجر بعد شهادته ٢٦٨

ما جرى بين الحسين عليه السلام وبين معاوية بشأن قتل حجر ٢٦٨
ندم معاوية على قتل حجر حيث لا ينفعه ٢٦٩
أول ذل دخل الكوفة ٢٧١
متى ذل الناس ٢٧١
ما فعلته وقالته أم المؤمنين بشأن حجر ٢٧١
بكاء ابن عمر على حجر ٢٧٣
قول الحسن البصري في قتل حجر ٢٧٣
دعاء الربيع عامل معاوية على نفسه بالموت لما بلغه قتل حجر ٢٧٤
ما روي من طريق حجر ٢٧٥
ما رثي به حجر ٢٧٦
حذيفة بن اليمان ٢٨٢
وفاته ومدفنه ٢٨٢
نسبه ٢٨٥
من هو الملقب باليمان وسبب تلقيبه بذلك ٢٨٦
كنيته ٢٨٨
أبوه ٢٨٨
أمه ٢٨٨
أولاده ٢٨٩
صفته ٢٨٩
مؤاخاته ٢٨٩
أقوال العلماء فيه ٢٩٠
الأركان الأربعة ٢٩٠
روايات الكشي في حقه ٢٩١
خلاصة أحواله ٢٩٦
هو أنصاري أم مهاجري ٢٩٦
أخباره ٢٩٧
استعماله على الصدقة وشدة ورعه ٢٩٨
سكناه الكوفة والمدائن ونصيبين ٢٩٨
أخباره يوم الخندق ٢٩٩
خبره في غزوة تبوك ٣٠١

أخباره في الفتوح ٣٠١
أخباره في فتح بلاد خراسان ٣٠٣
خبره يوم الجرعة ٣٠٤
خبره في أمر المصاحف ٣٠٤
مصحف عثمان ٣٠٥
أول من جمع القرآن ٣٠٦
المراسلة بينه وبين أبي ذر ٣٠٩
ولاؤه وتشيعه لأمير المؤمنين علي وأهل البيت عليهم السلام ٣٠٩
فقهه ومعرفته بالقضاء ٣١١
علمه بالكتاب والسنة ٣١٢
تجويزه الكذب للضرورة ٣١٢
كان حذيفة صاحب حلقة في المسجد ٣١٣
حديثه عن الفتن ٣١٣
كان حذيفة يسأل عن الشر دون الخير ٣١٦
تمنيه العزلة عن الناس ٣١٧
صبره على البلاء ٣١٧
كلامه في النفاق والمنافقين في زمانه ٣١٨
من هو المنافق ٣٢٢
الأمراء الكذابون الظالمون ٣٢٢
رواياته في النمام ٣٢٢
في النهي عن الحرير وآنية الذهب والفضة ٣٢٣
كل معروف صدقة ٣٢٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٢٤
التكبير خمساً على الجنازة ٣٢٥
فضل الصوم والأطعام والكسوة ٣٢٥
في رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ٣٢٥
أخباره ببعض الأحداث ٣٢٦
ما أثر عنه من المواعظ والحكم ٣٢٦
التنزه عن منازعة الأشرار والفجار ٣٢٨
ما أثر عنه من الدعاء ٣٢٩

القلوب أربعة ٣٢٩
التلاعن ٣٢٩
توليته على المدائن ووفاته بها ٣٢٩
كتاب علي عليه السلام إلى حذيفة بتوليته المدائن ٣٣١
كتاب علي عليه السلام إلى أهل المدائن حين ولى عليهم حذيفة ٣٣٢
خطبة حذيفة بالمدائن لما وليها من قبل علي عليه السلام ودعوته الناس إلى البيعة ٣٣٣
خطبته وبيعته علياً عليه السلام في رواية المسعودي ٣٣٥
خطبته بالمدائن في أمر الساعة ٣٣٦
أخباره لما حضرته الوفاة «وصيته» ٣٣٦
ما قاله في مرضه ٣٣٦
قوله لما ثقل وجيء بأكفانه ووصيته فيها ٣٣٧
ما جرى له عند الموت ٣٣٩
فائدة ٣٤٠
حُكَيْمُ بن جبلة ٣٤٤
أقوال العلماء فيه ٣٤٤
أخباره ومقتله ٣٤٥
أبو أيوب الأنصاري ٣٥٣
وفاته ومدفنه ٣٥٣
انقطاع نسله ٣٥٥
أمه ٣٥٥
أقوال العلماء فيه ٣٥٥
الناقة أناخت بباب أبي أيوب ٣٥٥
من شيعة علي عليه السلام ٣٥٥
أخباره ٣٥٨
اهتمام أبي أيوب براحته صلى الله عليه وآله ٣٥٩
زهده ومعرفته ٣٥٩
صلاته بالناس بعد مقتل عثمان ٣٦٠
خبره في دخول علي عليه السلام البصرة يوم الجمل ٣٦٠
خبره في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ٣٦٠

أخباره مع معاوية ٣٦٢
أخباره مع الخوارج ٣٦٦
روايته حديث الغدير ٣٦٦
ما رواه عن النبي ﷺ من الدعاء ٣٦٧
سؤال ابن عباس والمسور إياه عن بعض الأحكام ٣٦٧
خزيمة بن ثابت ٣٦٩
أقوال العلماء فيه ٣٧٠
أخبار يوم الجمل ٣٧٤
أخباره بصفين ٣٧٤
أشعاره ٣٧٤
رثاؤه ٣٧٧
رشيد الهجري ٣٧٩
أقوال العلماء فيه ٣٨٠
ما رواه الكشي في حقه ٣٨٠
أقوال غيرنا ٣٨٦
زياد بن النضر الحارثي ٣٨٨
أخباره بصفين ٣٨٨
خبره مع الخوارج ٣٩٢
زيد بن صوحان ٣٩٥
ربيعة وعبد القيس وآل صوحان ٣٩٥
كنيته ٣٩٦
هو صحابي أم تابعي ٣٩٨
أقوال العلماء فيه ٤٠٠
ما روي في حقه ٤٠١
أخباره ٤٠٣
خبره مع عثمان ومعاوية ٤٠٦
أخباره يوم الجمل ومقتله ٤٠٧
سعد بن مسعود الثقفي ٤١٥
سعيد بن قيس الهمداني الكوفي ٤١٨

أخباره يوم الجمل ٤١٩
أخباره بصفين ٤٢٠
أخباره يوم الحكمين ٤٢٧
أخباره لما عزم أمير المؤمنين على العودة إلى صفين ٤٢٨
أخباره في غارة الغامدي ٤٢٩
أخباره مع الحسن عليه السلام ٤٣٠
سلمان الفارسي ٤٣١
اسمه ونسبه الأصليان ٤٣١
ألقابه ٤٣٢
سلمان من المعمرين ٤٣٩
سبب إسلامه ٤٣٩
سبب إسلام سلمان برواية الحاكم ٤٤٢
رواية أخرى للحاكم في سبب إسلام سلمان فيها مخالفة لما مر ٤٥٠
مكاتبته في الرق ٤٥٢
أقوال العلماء فيه ٤٥٣
أقوال أصحابنا ٤٥٣
أقوال غيرنا فيه ٤٥٥
مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٤٥٦
أخباره وأحواله ٤٥٦
خبره يوم السقيفة ٤٥٨
المؤاخاة بينه وبين أبي الدرداء وأخباره معه ٤٥٩
كتاب علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان قبل خلافته ٤٦٣
الروايات الواردة فيه ٤٦٤
ما رواه من الحديث ٤٦٨
وعلم الاسم الأعظم ٤٦٨
لا تقولوا الفارسي ولكن المحمدي ٤٦٩
سليمان بن صرد ٤٧١
أقول العلماء فيه ٤٧١
أخباره ٤٧٢
في قتل عثمان وكل مذنب ٤٧٢

خبر مقتله وأمر التوابين ٤٧٣
بين المختار وسليمان ٤٧٥
ما روي من طريقه ٤٨٠
سهل بن حنيف ٤٨٢
أقوال العلماء فيه ٤٨٥
أخباره ٤٨٧
شريح بن هانىء ٤٩١
صعصعة بن صوحان العبدي ٤٩٥
ضرار بن ضمرة ٥٠٩
عامر بن واثلة الكناني ٥١١
عبد الرحمن بن كلدة ٥١٩
ظالم بن عمرو (أبو الأسود الدُّؤَلي) ٥٢٥
سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) ٥٣١
صفته ٥٣١
أقوال العلماء فيه ٥٣١
أخباره ٥٣٣
عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ٥٣٥
عبد الله بن عباس ٥٣٩
وعظ عائشة ٥٤٧
أخذ مال البصرة ٥٤٧
جواب ابن عباس ٥٤٩
المكتوب إليه عبيد الله لا عبد الله ٥٥١
عبد الله بن كعب المرادي ٥٥٥
عبد الله بن هاشم المرقال ٥٥٧
عثمان بن حنيف الأنصاري ٥٦٢
الناكثون على أبواب البصرة ٥٦٣
علي يكتب إلى ابن حنيف ٥٦٤
عثمان يفاوضهم ٥٦٤
الناكثون في البصرة ٥٦٥
أهل البصرة يردون ٥٦٦

طلائع المعركة ٥٦٧
مواجهة طلحة ٥٦٧
ابن حنيف يعظهما ٥٦٧
الهدنة ٥٦٨
الغدر ٥٦٨
عائشة تأمر بالمذبحة ٥٧٠
كتاب الإمام علي عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة ٥٧٠
عدي بن حاتم الطائي ٥٧٤
العكبر بن جدير بن المندر الأسدي الكوفي ٥٨٣
عمار بن ياسر ٥٨٦
عمرو بن الحمق الخزاعي ٦٠٢
عمرو بن محصن الأنصاري ٦٠٨
عمر ابن أبي سلمة ٦١٠
قثم بن العباس ٦١١
الفضل بن العباس ٦١٤
قنبر مولى أمير المؤمنين ٦٢٢
قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ٦٢٥
تحليل عزل قيس بن سعد ٦٣١
كرمه ٦٣٤
ولاؤه لعلي عليه السلام ٦٣٥
توليته مصر وعزله عنها ٦٣٥
روايته عن النبي صلى الله عليه وآله ٦٤١
مالك بن الحارث الأشتر ٦٥٢
موقفه يوم رفع المصاحف ٦٥٧
بطولته في القتال ٦٦٠
رأيه في علي بن أبي طالب عليه السلام ٦٦١
عهد الاشتر ٦٦١
الأشتر زعيم الثورة الشعبية 672
مالك بن كعب ٦٨٠
مالك بن نويرة التميمي اليربوعي ٦٨٤

محمد بن أبي بكر ٦٩١
محمد بن أبي حذيفة ٧٠٥
مخنف بن سليم ٧٠٩
مسلم المجاشعي ٧١١
معقل بن قيس الرياحي التميمي ٧١٣
المقداد بن الأسود الكندي ٧١٦
ميثم بن يحيى التمار ٧٢٣
هاشم بن عتبة المرقال ٧٢٨
الفهرس ٧٣٧

في حب أهل البيت



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ١٤ / ٥٤٧٩ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com